

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام الطبري

بتحقيق العلامة أحمد شاكر  
تم نسخه من موقع الملك فهد

القول في تأويل قوله تعالى : أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا (77) أَطْلَعَ الْعَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (78)

يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم: (أَفَرَأَيْتَ) يا محمد (الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا) حجبتنا فلم يصدق بها، وأنكر وعيدنا من أهل الكفر (وَقَالَ) وهو بالله كافر وبرسوله (لَأُوتِينَ) في الآخرة (مَالًا وَوَلَدًا).

وذكر أن هذه الآيات أنزلت في العاص بن وائل السهمي أبي عمرو بن العاص.

\* ذكر الرواية بذلك: حدثنا أبو السائب وسعيد بن يحيى، قال ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، عن خباب، قال: كنت رجلاً قيناً، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه، فقال: والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث، قال: فقال: فإذا أنا ميتٌ ثم يُبعث كما تقول، جئتني ولي مال وولد، قال: فأنزل الله تعالى: (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا) (أَطْلَعَ الْعَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا).... إلى قوله: وَبَاتِينَ قَرَدًا .

حدثني به أبو السائب، وقرأ في الحديث: وولدا.

< 18-246 >

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون العاص بن وائل السهمي بدين، فأتوه يتقاضونه، فقال: أستم تزعمون أن في الجنة فضة وذهباً وحريراً، ومن كل الثمرات؟ قالوا: بلى، قال: فإن موعدكم الآخرة، فوالله لأوتين مالا وولداً، ولأوتين مثل كتابكم الذي جئتم به، فضرب الله مثله في القرآن، فقال: (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا).... إلى قوله وَبَاتِينَ قَرَدًا .

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله (لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا) قال: العاص بن وائل يقوله.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا القاسم، قال. ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا) فذكر لنا أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أتوا رجلا من المشركين يتقاضونه دينا، فقال: ليس يزعم صاحبكم أن في الجنة حريبا وذهبا؟ قالوا: بلى، قال فمبادكم الجنة، فوالله لا أومن بكتابكم الذي جئتم به، استهزاء بكتاب الله، ولأوتين مالا وولدا، يقول الله (أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا)؟.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، قال: قال خباب بن الأرت: كنت قينا بمكة، فكنت أعمل للعاص بن وائل، فاجتمعت لي عليه دراهم، فجئت لأتقاضاه، فقال لي: لا أفضيك حتى تكفر بمحمد، قال: قلت: لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث، قال: فإذا بُعثت كان لي مال وولد، قال: فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تبارك وتعالى (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا) إِلَى وَبَاتِنَا قَرْدًا .

واختلفت القراء في قراءة قوله (وَوَلَدًا) فقرأته قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة: (وَوَلَدًا) بفتح الواو من الولد في كل القرآن، غير أن أبا عمرو بن > 247-18 < العلاء خص التي في سورة نوح بالضم، فقرأها (مَالُهُ وَوَلَدُهُ) وأما عامة قراء الكوفة غير عاصم، فإنهم قرءوا من هذه السورة من قوله (مَالًا وَوَلَدًا) إلى آخر السورة. واللتين في الزخرف، والتي في نوح، بالضم وسكون اللام.

وقد اختلف أهل العربية في معنى ذلك إذا ضمت واوه، فقال بعضهم: ضمها وفتحها واحد، وإنما هما لغتان، مثل قولهم العدم والعدم، والحزن والحزن. واستشهدوا لقلهم ذلك بقول الشاعر:

فَلَيْتَ فُلَانًا كَانَ فِي بَطْنِ أُمَّهِ

وَلَيْتَ فُلَانًا كَانَ وُلْدَ جِمَارٍ (1)

ويقول الحارث بن جِلْزَة:

وَلَقَدْ رَأَيْتُ مَعَاشِرًا

قَدْ تَمَرُّوا مَالًا وَوُلْدًا (2)

# جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقول رُؤبة:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَزِيزِ قَرَدًا

لَمْ يَتَّخِذْ مِنْ وُلْدٍ شَيْءٍ وُلْدًا (3)

وتقول العرب في مثلها: وُلْدِكَ مِنْ دَمِّي عَقَبِيكَ، قال: وهذا كله واحد، بمعنى الولد.

وقد ذكر لي أن قيسا تجعل الوُلْد جمعا، والوَلد واحدا .

ولعلّ الذين قرءوا ذلك بالضمّ فيما اختاروا فيه الضمّ، إنما قرءوه كذلك ليفرقوا بين الجمع والواحد.

قال أبو جعفر: والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك عندي أن الفتح في الواو من الوَلد والضمّ فيها بمعنى واحد، وهما لغتان، فبأيتهما قرأ > 18- < 248 القارئ فمصيب الصواب، غير أن الفتح أشهر اللغتين فيها، فالقراءة به أعجب إليّ لذلك.

وقوله ( أَطَّلَعَ الْعَيْبَ ) يقول عزّ ذكره: أعلم هذا القائل هذا القول علم الغيب، فعلم أن له في الآخرة مالا وولدا باطلاعه على علم ما غاب عنه ( أم اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ) يقول: أم أمن بالله وعمل بما أمر به، وانتهى عما نهاه عنه ، فكان له بذلك عند الله عهدا أن يؤتبه ما يقول من المال والولد.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( أَطَّلَعَ الْعَيْبَ أمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ) بعمل صالح قدّمه.

القول في تأويل قوله تعالى : كَلَّا سَتَكُنُّبُ مَا يَقُولُ وَتَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (79) وَتَرْتُّهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (80)

يعني تعالى ذكره بقوله (كَلَّا) : ليس الأمر كذلك، ما اطلع الغيب، فعلم صدق ما يقول، وحقيقة ما يذكر، ولا اتخذ عند الرحمن عهدا بالإيمان بالله ورسوله، والعمل بطاعته، بل كذب وكفر ، ثم قال تعالى ذكره (سَتَكُنُّبُ مَا يَقُولُ) : أي سنكتب ما يقول هذا الكافر بربه، القائل لأوتينّ في الآخرة مالا وولدا ( وَتَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ) يقول: ونزيده من العذاب في جهنم بقلبه الكذب والباطل في الدنيا، زيادة على عذابه بكفره بالله.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله ( وَتَرْتُهُ مَا يَقُولُ ) يقول عز ذكره :

ونسلب هذا القائل: لأوتين في الآخرة مالا وولدا، ماله وولده، وبصير لنا ماله وولده دونه، ويأتينا هو يوم القيامة فردا ، وحده لا مال معه ولا ولد.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى " ح ; وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ( وَتَرْتُهُ مَا يَقُولُ ) ماله وولده، وذلك الذي قال العاص بن وائل.

< 18-249 >

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( وَتَرْتُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا قَرْدًا ) لا مال له ولا ولد.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله ( وَتَرْتُهُ مَا يَقُولُ ) قال: ما عنده، وهو قوله لأوتين مالا وولداً وفي حرف ابن مسعود: ونرثه ما عنده.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( وَتَرْتُهُ مَا يَقُولُ ) قال: ما جمع من الدنيا وما عمل فيها ( وَيَأْتِينَا قَرْدًا ) قال : فرداً من ذلك، لا يتبعه قليل ولا كثير.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ( وَتَرْتُهُ مَا يَقُولُ ) : نرثه (4)

القول في تأويل قوله تعالى : **وَإِتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ( 81 ) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ( 82 )**

يقول تعالى ذكره: واتخذ يا محمد هؤلاء المشركون من قومك آلهة يعبدونها من دون الله، لتكون هؤلاء الآلهة لهم عزاً، يمنعونهم من عذاب الله، ويتخذون عبادتهموها عند الله زلفى ، وقوله: (كلا) يقول عز ذكره: ليس الأمر كما ظنوا وأملوا من هذه الآلهة التي يعبدونها من دون الله، في أنها تنقذهم من عذاب الله، وتنجيهم منه، ومن سوء إن أرادهم بهم ربهم. وقوله: ( سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ ) يقول عز ذكره: ولكن سيكفر الآلهة في الآخرة بعبادة هؤلاء المشركين يوم القيامة إياها، وكفرهم بها قيلهم لربهم : تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون،

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فجددوا أن يكونوا عبدوهم أو أمروهم بذلك، وتبرؤوا منهم، وذلك كفرهم بعبادتهم.

< 18-250 >

وأما قوله ( وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: معنى ذلك: وتكون الهتهم عليهم عوناً، وقالوا: الضدُّ: العون.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا عليُّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليِّ، عن ابن عباس، قوله ( وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ) يقول: أعواناً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى " ح "؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ( وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ) قال: عوناً عليهم تخاصمهم وتكذبهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ( وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ) قال: أوثانهم يوم القيامة في النار.

وقال آخرون: بل عنى بالصدِّ في هذا الموضع: القُرناء.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ( وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ) يقول: يكونون عليهم قرناء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ) قرناء في النار، يلعن بعضهم بعضاً، ويتبرأ بعضهم من بعض.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله ( ضِدًّا ) قال: قرناء في النار.

وقال آخرون: معنى الصدِّ هاهنا: العدو.

\* ذكر من قال ذلك: حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله ( وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ) قال: أعداء.

وقال آخرون: معنى الصدِّ في هذا الموضع: البلاء.

\* ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: < 251-18 > قال ابن زيد، في قوله: ( وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ) قال: يكونون عليهم بلاء.

الضدّ: البلاء، والضدّ في كلام العرب: هو الخلاف، يقال: فلان يضاّد فلانا في كذا، إذا كان يخالفه في صنيعه، فيفسد ما أصلحه، ويصلع ما أفسده، وإذا كان ذلك معناه، وكانت آلهة هؤلاء المشركين الذين ذكرهم الله في هذا الموضع يتبرءون منهم، وينتفون يومئذ، صاروا لهم أضدادا، فوصفوا بذلك.

وقد اختلف أهل العربية في وجه توحيد الضدّ، وهو صفة لجماعة. فكان بعض نحويّ البصرة يقول: وحد لأنه يكون جماعة، وواحدا مثل الرصد والأرصاد. قال: ويكون الرصد أيضا لجماعة. وقال بعض نحوي الكوفة وحد، لأن معناه عوناً، وذكر أن أبا نهيك كان يقرأ ذلك.

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبد المؤمن، قال: سمعت أبا نهيك الأزدي يقرأ ( كَلَّا سَيَكْفُرُونَ ) يعني الآلهة كلها أنهم سيكفرون بعبادتهم.

القول في تأويل قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْرَهُمْ آيًّا (83) فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا (84)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تر يا محمد أننا أرسلنا الشياطين على أهل الكفر بالله (تَوْرَهُمْ) يقول: تحرّكهم بالإغواء والإضلال، فتزعجهم إلى معاصي الله، وتغريهم بها حتى يواقعوها (آيًّا) إزعاجا وإغواء.

وينحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: (آيًّا) يقول: تغريهم إغراء.

< 18-252 >

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، قال: قال ابن عباس: تَوْرُ الكافرين إغراء في الشرك: امض امض في هذا الأمر، حتى توقعهم في النار، امضوا في الغيِّ امضوا.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو إدريس، عن جوير، عن الضحاك، في قوله (تَوْرَهُمْ آيًّا) قال: تغريهم إغراء.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (تَوَّضَّعُوا لِرَبِّكُمْ) قال: تزعجهم إزعاجا في معصية الله.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا ابن عثمة، قال: ثنا سعيد بن بشير، عن قتادة في قول الله (تَوَّضَّعُوا لِرَبِّكُمْ) قال: تزعجهم إلى معاصي الله إزعاجا.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله (تَوَّضَّعُوا لِرَبِّكُمْ) قال تزعجهم إزعاجا في معاصي الله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَّضَّعُوا لِرَبِّكُمْ) فقرا وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ قال: تَوَّضَّعُوا لِرَبِّكُمْ، قال: تشليهم إشلء على معاصي الله تبارك وتعالى، وتغريهم عليها، كما يغري الإنسان الآخر على الشيء ، يقال منه: أَرَزَّتْ فلانا بكذا، إذا أغريته به أوَّزَه أَرَا وأزيرا ، وسمعت أزيز القدر: وهو صوت غليانها على النار؛ ومنه حديث مطرف عن أبيه، أنه انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، ولجوفه أزيز كأزيز الرجل.

وقوله ( فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ) يقول عز ذكره: فلا تعجل على هؤلاء الكافرين بطلب العذاب لهم والهلاك، يا محمد إنما نعدُّ لهم عذابًا ، يقول: فإنما نؤخر إهلاكهم ليزدادوا إثما، ونحن نعدُّ أعمالهم كلها ونحصيها حتى أنفاسهم لنجازيهم على جميعها، ولم نترك تعجيل هلاكهم لخير أردناه بهم.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

< 18-253 >

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا علي، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله ( إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ) يقول: أنفاسهم التي يتنفسون في الدنيا، فهي معدودة كسنتهم وأجالهم.

< 18-254 >

القول في تأويل قوله تعالى : يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدًا (85) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا (86)

يقول تعالى ذكره: يوم نجمع الذين اتقوا في الدنيا فخافوا عقابه، فاجتنبوا لذلك معاصيه، وأدوا فرائضه إلى ربهم (وَفِدًا) يعني بالوفد: الركبان ، يقال: وفدت على فلان: إذا قدمت عليه، وأوفد القوم وفدا على أميرهم، إذا بعثوا قبلهم بعثا. والوفد في هذا الموضع بمعنى الجمع، ولكنه واحد، لأنه مصدر واحدهم وافد، وقد يجمع الوفد: الوفود، كما قال بعض بني حنيفة:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

إِنِّي لَمُمْتَدِحٌ فَمَا هُوَ صَانِعٌ

رَأْسُ الْوُفُودِ مُزَاجِمٌ بِنِ جِسَاسٍ (5)

وقد يكون الوفود في هذا الموضع جمع وافد، كما الجلوس جمع جالس.

وينحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، قال: ثنا ابن فضيل، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعد، عن علي، في قوله (يَوْمَ تَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا) قال: أما والله ما يحشر الوفد على أرجلهم، ولا يساقون سوقا، ولكنهم يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها، عليها رجال الذهب، وأزمتها الزبرجد، فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن شعبة، عن إسماعيل، عن رجل، عن أبي هريرة (يَوْمَ تَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا) قال: على الإبل.

< 18-255 >

حدثنا علي، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله (يَوْمَ تَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا) يقول: ركباناً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو بن قيس الملائي، قال: إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن صورة، وأطيبها ريحاً، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا إلا أن الله طيب ريحك وحسن صورتك، فيقول: كذلك كنت في الدنيا أنا عمك الصالح طالما ركبتك في الدنيا، فاركبني أنت اليوم، وتلا (يَوْمَ تَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا).

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة (إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا) قال: وفداً إلى الجنة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، في قوله (يَوْمَ تَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا) قال: على النجائب.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، قال: سمعت سفيان الثوري يقول (يَوْمَ تَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا) قال: على الإبل النوق.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله ( وَتَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ) يقول تعالى ذكره: ونسوق الكافرين بالله الذين أجرموا إلى جهنم عطاشا ، والورد: مصدر من قول القائل: وردت كذا أرده وِرْدًا، ولذلك لم يجمع ، وقد وصف به الجمع.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ( وَتَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ) يقول: عطاشا.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن شعبة، عن إسماعيل، عن رجل، عن أبي هريرة ( وَتَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ) قال: عطاشا.

حدثني يعقوب والفضل بن صباح، قالا ثنا إسماعيل بن عُلَيْبَةَ ، عن أبي رجاء، قال: سمعت الحسن يقول في قوله ( وَتَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ) قال: عطاشا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن يونس، عن الحسن، مثله.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ( إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ) قال: ظماء إلى النار.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( وَتَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ) سوقوا إليها وهم ظمء عطاش .

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، قال: سمعت سفيان يقول في قوله ( وَتَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ) قال: عطاشا.

القول في تأويل قوله تعالى : لا يَمْلِكُونَ الشِّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (87)

يقول تعالى ذكره: لا يملك هؤلاء الكافرون بربهم يا محمد، يوم يحشر الله المتقين إليه وفدا الشفاعة، حين يشفع أهل الإيمان بعضهم لبعض عند الله، فيشفع بعضهم لبعض ( إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ مِنْهُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ ) في الدنيا(عَهْدًا) بالإيمان به، وتصديق رسوله، والإقرار بما جاء به، والعمل بما أمر به.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

كما حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) قال: العهد: شهادة أن لا إله إلا الله، ويتبرأ إلى الله من الحول والقوة ولا يرجو إلا الله.

< 18-256 >

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قوله (لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) قال: المؤمنون يومئذ بعضهم لبعض شفعاء (إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) قال: عملا صالحا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا): أي بطاعته، وقال في آية أخرى لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ليعلموا أن الله يوم القيامة يشفع المؤمنين بعضهم في بعض، ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "إِنَّ فِي أُمَّتِي رَجُلًا لَيُدْخِلَنَّ اللَّهُ بِشَفَاعَتِهِ الْجَنَّةَ أَكْثَرَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ"، وكنا نحدث أن الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن أبي المليح، عن عوف بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ شَفَاعَتِي لِمَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا"، و "مَنْ" في قوله (إِلَّا مَنْ) في موضع نصب على الاستثناء، ولا يكون خفضا بضمير اللام، ولكن قد يكون نصبا في الكلام في غير هذا الموضع، وذلك كقول القائل: أردت المرور اليوم إلا العدو، فإنني لا أمر به، فيستثنى العدو من المعنى، وليس ذلك كذلك في قوله (لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) لأن معنى الكلام: لا يملك هؤلاء الكفار إلا من آمن بالله، فالمؤمنون ليسوا من أعداد الكافرين، ومن نصبه على أن معناه إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا، فإنه ينبغي أن يجعل قوله لا يملكون الشفاعة للمتقين، فيكون معنى الكلام حينئذ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا، لا يملكون الشفاعة، إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا، فيكون معناه عند ذلك، إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا. فأما إذا جعل لا يملكون الشفاعة خبرا عن المجرمين، فإن "من" تكون حينئذ نصبا على أنه استثناء منقطع، فيكون معنى الكلام: لا يملكون الشفاعة، لكن من اتخذ عند الرحمن عهدا يملكه.

< 18-257 >

القول في تأويل قوله تعالى: وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (90)

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء الكافرون بالله (اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا) يقول تعالى ذكره للقائلين ذلك من خلقه: لقد جئتم أيها الناس شيئا عظيماً من القول منكرًا.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (سَيِّئًا إِذَا) يقول: قولا عظيما.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله (لَقَدْ جِئْتُمْ سَيِّئًا إِذَا) يقول: لقد جئتم شيئا عظيما وهو المنكر من القول.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى ; وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (سَيِّئًا إِذَا) قال: عظيما.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله (سَيِّئًا إِذَا) قال: عظيما.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد في قوله (لَقَدْ جِئْتُمْ سَيِّئًا إِذَا) قال: جئتم شيئا كبيرا من الأمر حين دعوا للرحمن ولدا. وفي الإِدِّ لغات ثلاث، يقال: لقد جئت شيئا إِدًّا، بكسر الألف، وأدًّا بفتح الألف، وأدا بفتح الألف ومدّها، عليّ مثال مادّ فاعل. وقرأ قرّاء الأمصار، وبها نقرا، > 258-18 < وقد ذكر عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قرأ ذلك بفتح الألف، ولا أرى قراءته كذلك لخلافها قراءة قرّاء الأمصار، والعرب تقول لكل أمر عظيم: إدّ، وإمر، ونكر، ومنه قوله الراجز:

قَدْ لَقِيَ الْأَعْدَاءُ مِنِّي نُكْرًا

دَاهِيَةً دَهِيَاءَ إِذَا إِمْرًا (6)

ومنه قول الآخر:

فِي لَهْثٍ مِنْهُ وَحَنْلٍ إِذَا (7)

وقوله (تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَّقَطَّرَنَ مِنْهُ ) يقول تعالى ذكره:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

تكاد السماوات يتشققن قطعاً من قيلهم (اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا) ومنه قيل: فطرنا به: إذا انشق.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَّقَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشِقُ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا \* أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا قال: إن الشرك فزعت منه السماوات والأرض والجبال، وجميع الخلائق إلا الثقلين، وكادت أن تزول منه لعظمة الله، وكما لا ينفع مع الشرك إحسان المشرك، كذلك نرجو أن يغفر الله ذنوب الموحدين. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لَقُّنَا مَوْتَاكُمْ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَهَا عِنْدَ مَوْتِهِ وَجِئَتْ لَهُ الْجَنَّةُ " قالوا: يا رسول الله، فمن قالها في صحته؟ قال: " تلك أَوْجِبُ وَأَوْجِبُ ". ثم قال: " وَالَّذِي تَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ < 259-18 > جِيءَ بِالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُنَّ وَمَا تَحْتَهُنَّ، فَوُضِعْنَ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ، وَوُضِعَتْ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَى، لَرَجَحَتْ بِهِنَّ ".

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ( تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَّقَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشِقُ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ) ذكر لنا أن كعباً كان يقول: غضبت الملائكة، واستعرت جهنم، حين قالوا ما قالوا.

وقوله: (وتنشق الأرض) يقول: وتكاد الأرض تنشق، فتصدع من ذلك ( وتخرُّ الجبال هَدًّا ) يقول: وتكاد الجبال يسقط بعضها على بعض سقوطاً. والهدُّ: السقوط، وهو مصدر هددت، فأنا أهدُّ هَدًّا.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ( وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ) يقول: هدماً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس ( وتخر الجبال هَدًّا ) قال: الهد: الانقضاء.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ) قال: غضبا لله. قال: ولقد دعا هؤلاء الذين جعلوا لله هذا الذي غضبت السماوات والأرض والجبال من قولهم، لقد استتابهم ودعاهم إلى التوبة، فقال: لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ تَلَاتَةٍ قَالُوا: هو وصاحبه

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وابنه، جعلوهما إلهين معه وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ .... إلى قوله:  
وَبَسْتَعْفِرُونَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ .

القول في تأويل قوله تعالى : أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (91) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (92) إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (93)

< 18-260 >

يقول تعالى ذكره: وتكاد الجبال أن تخرّ انقضاضا، لأن دعوا للرحمن ولدا. ف " أن " في موضع نصب في قول بعض أهل العربية، لاتصالها بالفعل، وفي قول غيره في موضع خفض بضمير الخافض ، وقد بينا الصواب من القول في ذلك في غير موضع من كتابنا هذا بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقال (أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا) يعني بقوله: (أَنْ دَعَوْا) : أن جعلوا له ولدا، كما قال الشاعر:

أَلَا رُبَّ مَنْ تَدْعُو تَصِيحًا وَإِنْ تَغِيبُ

تَجِدُهُ بَعِيْبٍ غَيْرِ مُتَّصِحِ الصَّدْرِ (8)

وقال ابن أحرمر:

أَهْوَى لَهَا مَشَقَّصًا حَسْرًا فَسَبَّرَقَهَا

وكنت أدعو قداها الإئمة القردا (9)

وقوله (وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا) يقول: وما يصلح لله أن يتخذ ولدا، لأنه ليس، كالخلق الذين تغلبهم الشهوات، وتضطربهم اللذات إلى جماع الإناث، ولا ولد يحدث إلا من أنثى، والله يتعالى عن أن يكون كخلقه، وذلك كقول ابن أحرمر:

فِي رَأْسِ حَلْقَاءَ مِنْ هُنُقَاءَ مُشْرِقَةٍ

مَا يَنْبَغِي دُونَهَا سَهْلٌ وَلَا جَبَلٌ (10)

# جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يعني: لا يصلح ولا يكون.

( إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ) يقول: ما جميع من في السماوات من الملائكة، وفي الأرض من البشر والإنس والجن (إلا > 261-18 < آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ) يقول: إلا يأتي ربه يوم القيامة عبداً له، ذليلاً خاضعاً، مقرراً له بالعبودية، لا نسب بينه وبينه.

وقوله ( آتِي الرَّحْمَنِ ) إنما هو فاعل من أتيته، فأنا أتيه.

القول في تأويل قوله تعالى : لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (94) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَرْدًا (95)

يقول تعالى ذكره: لقد أحصى الرحمن خلقه كلهم، وعدَّهم عدًّا، فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم، وعرف عددهم، فلا يعزب عنه منهم أحد ( وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَرْدًا ) يقول: وجميع خلقه سوف يرد عليه يوم تقوم الساعة وحيدا لا ناصر له من الله، ولا دافع عنه، فيقضي الله فيه ما هو قاض، ويصنع به ما هو صانع.

الهوامش:

(1) البيت في ( اللسان : ولد ) ولم ينسبه . قال : الولد والولد واحد ، مثل العرب والعرب ، والعجم ، والعجم ونحو ذلك . وأنشد الفراء : " فليت فلانا . . . " البيت . فهذا واحد . قال : وقيس تجعل الولد جمعا ، والولد ( بالتحريك ) واحدا . ابن السكيت يقال في الولد : الولد ( بكسر أوله ) ولا ولد ( بضم أوله ) . قال : ويكون الولد ( بضم أوله ) واحدا وجمعا قال : وقد يكون الولد ( بالضم ) جمع الولد ، مثل أسد وأسد . ( وهذا قريب مما نقله المؤلف عن الفراء في معاني القرآن ) .

(2) البيت للحارث بن حلزة اليشكري ، وهو من شواهد ( لسان العرب : ولد ) ( مثل الشاهد الذي قبله . واستشهد به الفراء أيضا في معاني القرآن ( مصورة الجامعة رقم 24059 ص 195 ) ثم قال : والولد والولد : لغتان مثل ما قالوا : العدم والعدم .

(3) البيتان لرؤية بن العجاج ، وهما من مشطور الرجز ، و الفرد : المتفرد بالربوبية ، و بالأمر دون خلقه ، وهو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا ثاني . والبيت ساقه المؤلف مع الشاهدين السابقين عليه . شواهد على أن الولد ، بضم الواو وسكون اللام ، بمعنى الولد ، بالتحريك . وأنه مفرد ، وقد يجيء بمعنى الجمع .

(4) كذا في ابن كثير أيضا . والذي في الدر عن ابن عباس : ونرثه ما يكون : ماله وولده .

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(5) البيت لبعض بني حنيفة ، كما قال المؤلف . وفي ( تاج العروس : جث :  
جساس بوزن كتاب ابن نشبة بن ربيع التيمي ، ابن عمرو بن عبد الله بن  
لؤى بن عمرو بن الحارث بن تيم بن عبد مناة بن أد : أبو قبيلة ، من ولده  
مزاحم بن زفر بن علاج بن الحارث بن عمرو بن جساس عن شعبة عنه أبو  
الربيع الزهراني ، وأخوه عثمان بن زفر ، حدث عن يوسف بن موسى  
القطان وغيره . وفي خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي : مزاحم بن زفر  
بن الحارث الكوفي ، عن عمر بن عبد العزيز ؛ وعنه شعبة وسفيان ، وثقه  
ابن معين . وفي اللسان : وفد ) قال الله تعالى : ( يوم نحشر المتقين إلى  
الرحمن وفدا ) : قيل الوفد : الركبان المكرمون . . . وهم الوفد والوفود . فأما  
الوفد فاسم للجمع ، وقيل جمع . وأما الوفود فجمع وافد . . . . وجمع الوفد :  
أوفاد ووفود .

(6) هذان بيتان من مشطور الرجز ، وقد سبق استشهد المؤلف بهما عند  
قوله تعالى في سورة الكهف ( 15 : 184 ) " لقد جئت شيئا إمرا " . وقد  
شرحناهما ثمت .

(7) هذا بيت من مشطور الرجز لم أعرف قائله . واللهث واللهات : حر  
العطش في الجوف . وفي ( اللسان : لهث ) ابن سيده : لهث الكلب بالفتح ،  
ولهث يلهث فيهما لهثا : دلح لسانه من شدة العطش والحر ، وكذلك الطائر  
إذا أخرج لسانه من حر أو عطش . ولهث الرجل ولهث ( بفتح الهاء في  
الأول وكسرها في الثاني ) يلهث ( بالفتح ) في اللغتين جميعا ، لهثا فهو لهثان  
: أعيأ . وأما الحثل فلم أجد في مادة ( حثل ) في المعاجم معنى يناسب  
البيت ، ولعله محرف عن الخبل ، وهو فساد الأعضاء . أو عن الختل ، وهو  
التخادع عن غفلة ، ولعل الراجز يصف كلب صيد أو فرسا . وأما الإد فهو  
العجب والأمر الفطيع ؛ وهو محل الشاهد في كلام المؤلف ، كالبيتين قبله .  
(8) انظر شرح هذا الشاهد مع شرح تاليه .

(9) ( 1 ) البيت في ( اللسان : دعا ) . ونسبه إلى ابن أحمز الباهلي . قال :  
ودعوته بزبد ، ودعوته إياه سميته به ، تعدى الفعل بعد إسقاط الحرف ؛  
قال ابن أحمز الباهلي : " أهوى لها . . . " البيت . أي اسميه ، وأراد : أهوى  
لها بمشقص ، فحذف الحرف وأوصل وقوله عز وجل ( أن دعوا للرحمن ولدا  
: أي جعلوا ، وأنشد بيت ابن أحمز أيضا وقال : أي كنت أجعل وأسمي ؛  
ومثله قول الشاعر : " ألا رب من تدعو تصيحا . . . البيت " . والمشقص من  
النصال : ما كان طويلا غير عريض ، فإذا كان عريضا فهو المعبلة ( اللسان :  
شقص ) . وسهم محشور وحشر : مستوى قذذ الريش ، وكل لطيف دقيق  
حشر . وشبرقها : مزقها ، يقال : ثوب مشبرق : مقطع ممزق . وفي كتاب  
( المعاني الكبير لابن قتيبة طبع حيدر أباد ص 988 ) : يقول : كنت من  
إشفاتي عليها أسمى ما يصلحها قذى ، فكيف ما يؤذيها . وقوله " أدعو " أي  
أسمي ؛ تقول : ما تدعون هذا فيكم ؟ أي ما تسمونه ؟ والحشر : السهم  
الخفيف الريش الذي قد شد قصبه ورفاهه . والإثمد : الكحل الأسود والقرد :  
هو الذي ينقطع في العين ؛ وقيل : القرد : الذي لصق بعضه ببعض . والمعنى  
: كنتم أسمى الإثمد قذى ، من حذري عليها .

(10) تقدم الاستشهاد بهذا البيت قريبا في هذا الجزء ص 84 وشرحناه ثمة .  
القول في تأويل قوله تعالى : إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الرَّحْمَنُ وُدًّا (96) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ لِبَلْسَانِكَ لِيُنشَرَّ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا )  
(97)

يقول تعالى ذكره: إن الذين آمنوا بالله ورسوله، وصدّقوا بما جاءهم من عند ربهم، فعملوا به، فأحلوا حلاله، وحرموا حرامه ( سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ) في الدنيا، في صدور عباده المؤمنين.

وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يحيى بن طلحة، قال: ثنا شريك، عن مسلم الملائي، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله ( سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ) قال: محبة في الناس في الدنيا.

< 18-262 >

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ( سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ) قال: حبا.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ( سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ) قال: الودّ من المسلمين في الدنيا، و الرزق الحسن ، واللسان الصادق.

حدثني يحيى بن طلحة، قال: ثنا شريك ، عن عبيد المُكْتَبِ، عن مجاهد، في قوله ( سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ) قال: محبة في المسلمين في الدنيا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد، في قوله : ( سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ) قال: يحبهم ويحبهم إلى خلقه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ( سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ) قال: يحبهم ويحبهم إلى المؤمنين.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا عليّ بن هاشم، عن ابن أبي ليلى، عن الحكم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: يحبهم ويحبهم.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو، عن قتادة، في قوله ( سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ) قال: ما أقبل عبد إلى الله إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه. وزاده من عنده.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ) : إي والله في قلوب أهل الإيمان. ذُكر لنا أن هرم بن حيان كان يقول : ما أقبل عبد بقلبه إلى الله، إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه ، حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، أن عثمان بن عفان كان يقول: ما من الناس عبد يعمل خيرًا ولا يعمل شرًا، إلا كساه الله رداء عمله.

< 18-263 >

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن الثوري، عن مسلم، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله ( سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ) قال: محبة. وذُكر أن هذه الآية نزلت في عبد الرحمن بن عوف.

حدثني محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطي، قال: أخبرنا يعقوب بن محمد، قال: ثنا عبد العزيز بن عمران، عن عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن أم إبراهيم ابنة أبي عبيدة بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيها، عن عبد الرحمن بن عوف، أنه لما هاجر إلى المدينة، وجد في نفسه على فراق أصحابه بمكة، منهم شيبه بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، وأميه بن خلف، فأنزل الله تعالى: ( إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ) .

وقوله ( فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِئُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ ) يقول تعالى ذكره: وإنما يسرنا يا محمد هذا القرآن بلسانك، تقرؤه لتبشر به المتقين الذين اتقوا عقاب الله ، بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه بالجنة ( وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ) يقول: ولتنذر بهذا القرآن عذاب الله قومك من قريش، فإنهم أهل لدد وجدل بالباطل، لا يقبلون الحق. واللذ: شدة الخصومة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ( لُدًّا ) قال: لا يستقيمون.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ( وتندّر به قوما لدا ) يقول: لتندّر به قوماً ظلّمة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( وَتُنذِرُ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ) : أي جدالا بالباطل، ذوي لدة وخصومة.

< 18-264 >

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا محمد بن فضيل، عن ليث، عن مجاهد، في قوله: ( وَتُنذِرُ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ) قال: فجارا.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله ( قَوْمًا لُدًّا ) قال: جدالا بالباطل.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( وَتُنذِرُ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ) قال: الألدّ: الظلوم، وقرأ قول الله وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ .

حدثنا أبو صالح الضراري (1). قال: ثنا العلاء بن عبد الجبار، قال: ثنا مهدي ميمون، عن الحسن في قول الله عزّ وجلّ ( وَتُنذِرُ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ) قال: صماً عن الحقّ.

حدثني ابن سنان، قال: ثنا أبو عاصم، عن هارون، عن الحسن، مثله.

وقد بيّنا معنى الألدّ فيما مضى بشواهد، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى : وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرًا (98)

يقول تعالى ذكره: وكثيراً أهلكتنا يا محمد قبل قومك من مشركي قريش، من قرن، يعني من جماعة من الناس، إذا سلکوا في خلافي وركوب معاصي مسلکهم، هل تحسّ منهم من أحد: يقول: فهل تحسّ أنت منهم أحداً يا محمد فتراه وتعاينه ( أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرًا ) يقول:

أو تسمع لهم صوتاً، بل بادوا وهلكوا، وخلت منهم دورهم، وأوحشت منهم منازلهم، وصاروا إلى دار لا ينفعهم فيها إلا صالح من عمل قديمه، فكذلك قومك هؤلاء، صائرون إلى ما صار إليه أولئك، إن لم يعالجوا التوبة قبل الهلاك.

< 18-265 >

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

# جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ( أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ) قال: صوتا.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قوله ( هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ) قال: هل ترى عينا، أو تسمع صوتا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ) يقول: هل تسمع من صوت، أو ترى من عين .

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله ( أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ) يعني: صوتا.

حدثنا أبو كريب ، قال: ثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: يركز الناس: أصواتهم. قال أبو كريب: قال سفيان: ( هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ) قال: أو تسمع لهم حسا. قال: والركز: الحس.

قال أبو جعفر: والركز في كلام العرب: الصوت الخفيّ، كما قال الشاعر:

فَتَوَجَّسَتْ ذِكْرَ الْأَيْسِ قِرَاعَهَا

عَنْ ظَهْرِ عَيْبٍ وَالْأَيْسِ سَقَامُهَا (2)

آخر تفسير سورة مريم، والحمد لله رب العالمين < 18-266 >

< 18-267 >

تفسير سورة طه

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى : طه (1) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) إِلَّا تَذَكَّرَةً لِمَنْ يَخْشَى (3)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر محمد بن جرير: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (طَّهَ) فقال بعضهم: معناه يا رجل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا أبو تميلة، عن الحسن بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس: طه: بالنبطية: يا رجل.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ( طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ) فَإِنْ قَوْمَهُ قَالُوا: لَقَدْ شَقِيَ هَذَا الرَّجُلُ بِرَبِّهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ (طَّهَ) يَعْنِي: يَا رَجُلُ ( مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عبد الله بن مسلم، أو يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبیر أنه قال: طه: يا رجل بالسريانية.

قال ابن جريج: وأخبرني زمعة بن صالح، عن سلمة بن وهرام، عن عكرمة، عن ابن عباس، بذلك أيضا. قال ابن جريج، وقال مجاهد، ذلك أيضا.

حدثنا عمران بن موسى القزاز، قال: ثنا عبد الوارث بن سعيد، قال: ثنا عمارة عن عكرمة، في قوله (طَّهَ) قال: يا رجل، كلمه بالنبطية.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبد الله، عن عكرمة، في قوله (طَّهَ) قال: بالنبطية: يا إنسان.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، عن قرة بن خالد، عن الضحاك، في قوله (طَّهَ) قال: يا رجل بالنبطية.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن > 268-18 < حصين، عن عكرمة في قوله (طَّهَ) قال: يا رجل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (طَّهَ) قال: يا رجل، وهي بالسريانية.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة والحسن في قوله (طَّهَ) قال: يا رجل.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: أخبرنا عبيد، يعني ابن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله (طَّهَ) قال: يا رجل.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: هو اسم من أسماء الله، وقسم أقسم الله به.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله (طّة) قال: فإنه قسم أقسم الله به، وهو اسم من أسماء الله.

وقال آخرون: هو حروف هجاء.

وقال آخرون: هو حروف مقطعة يدلّ كلّ حرف منها على معنى، واختلفوا في ذلك اختلافهم في الم .

وقد ذكرنا ذلك في مواضعه، وبينا ذلك بشواهد.

والذي هو أولى بالصواب عندي من الأقوال فيه قول من قال: معناه: يا رجل، لأنها كلمة معروفة في عكّ فيما بلغني، وأن معناها فيهم: يا رجل، أنشدت لمتمم بن نويرة:

هَتَفْتُ بِطَةِ فِي الْقِتَالِ فَلَمْ يُجِبْ

فَخِفْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُوَائِلًا (3)

وقال آخر:

< 18-269 >

إِنَّ السَّفَاهَةَ طَةِ مِنْ حَلَائِقِكُمْ

لا بَارَكَ اللهُ فِي الْقَوْمِ الْمَلَاعِينِ (4)

فإذا كان ذلك معروفا فيهم على ما ذكرنا، فالواجب أن يوجه تأويله إلى المعروف فيهم من معناه، ولا سيما إذا وافق ذلك تأويل أهل العلم من الصحابة والتابعين.

فتأويل الكلام إذن: يا رجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، ما أنزلناه عليك فنكلفك ما لا طاقة لك به من العمل، ودُكر أنه قيل له ذلك بسبب ما كان يلقي من النَّصب والعناء والسهر في قيام الليل.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى ، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ( مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ) قال: هي مثل قوله فَأَقْرَعُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ فكانوا يعلقون الحبال في صدورهم في الصلاة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، عن مجاهد ( مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ) قال: في الصلاة كقوله: فَأَقْرَعُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ فكانوا يعلقون الحبال بصدورهم في الصلاة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ) لا والله ما جعله الله شقيا، ولكن جعله رحمة ونورا، ودليلا إلى الجنة.

وقوله ( إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ يَخْشَى ) يقول تعالى ذكره: ما أنزلنا عليك هذا القرآن إلا تذكرة لمن يخشى عقاب الله، فيتقيه بأداء فرائض ربه واجتناب محارمه.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ يَخْشَى ) وإن الله أنزل كتبه، وبعث رسله رحمة رحم الله بها العباد، ليتذكر ذاكر، وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله، وهو ذكر له أنزل الله فيه حلاله وحرامه، فقال تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا .

< 18-270 >

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ يَخْشَى ) قال: الذي أنزلناه عليك تذكرة لمن يخشى.

فمعنى الكلام إذن: يا رجل ما أنزلنا عليك هذا القرآن لتشقى به، ما أنزلناه إلا تذكرة لمن يخشى.

وقد اختلف أهل العربية في وجه نصب تذكرة، فكان بعض نحوي البصرة يقول: قال: إلا تذكرة بدلا من قوله لتشقى، فجعله: ما أنزلنا عليك القرآن إلا تذكرة، وكان بعض نحوي الكوفة يقول: نصبت على قوله: ما أنزلناه إلا تذكرة، وكان بعضهم ينكر قول القائل: نصبت بدلا من قوله ( لِتَشْقَى ) ويقول: ذلك غير جائز، لأن ( لِتَشْقَى ) في الجحد، و ( إِلَّا تَذَكَّرَ ) في التحقيق، ولكنه تكرير، وكان بعضهم يقول: معنى الكلام: ما أنزلنا عليك القرآن إلا تذكرة لمن يخشى، لا لتشقى.

القول في تأويل قوله تعالى : تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا (4)  
الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (5)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم: هذا القرآن تنزيل من الربّ الذي خلق الأرض والسّموات العلى ، والعلّى: جمع عليا.

واختلف أهل العربية في وجه نصب قوله (تنزيلا) فقال بعض نحويي البصرة: نصب ذلك بمعنى: نزل الله تنزيلا وقال بعض من أنكّر ذلك من قبله هذا من كلامين، ولكن المعنى: هو تنزيل، ثم أسقط هو، واتصل بالكلام الذي قبله، فخرج منه، ولم يكن من لفظه.

قال أبو جعفر: والقولان جميعا عندي غير خطأ.

وقوله (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) يقول تعالى ذكره: الرحمن على عرشه ارتفع وعلا.

وقد بينا معنى الاستواء بشواهد في ما مضى وذكرنا اختلاف المختلفين فيه فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع. وللرفع في الرحمن وجهان: أحدهما بمعنى قوله: تنزيلا فيكون معنى الكلام: نزله من خلق الأرض والسّموات، نزله < 271-18 > الرحمن الذي على العرش استوى ، والآخر بقوله (عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) لأن في قوله استوى، ذكرا من الرحمن.

القول في تأويل قوله تعالى : لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (6)

يقول تعالى ذكره: لله ما في السموات وما في الأرض وما بينهما، وما تحت الثرى، ملكا له، وهو مدبر ذلك كله، ومصرفّ جميعه، ويعني بالثرى: الندى.

يقال للتراب الرطب المبتلّ: ثرى منقوص، يقال منه: ثريت الأرض ثرى، ثرى منقوص، والثرى: مصدر.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ) والثرى: كلُّ شيء مبتلّ.

حدثنا عن الحسين بن الفرّج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحّاك يقول في قوله ( وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ) ما حفر من التراب مبتلا وإنما عنى بذلك: وما تحت الأرضين السبع.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

كالذي حدثني محمد بن إبراهيم السليمي المعروف بابن صدران (5) . قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا محمد بن رفاعة، عن محمد بن كعب ( وَمَا تَحْتِ الثَّرَى ) قال: الثرى: سبع أرضين.

القول في تأويل قوله تعالى : وَإِنْ تَجَهَّزْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7)  
اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (8)

يقول تعالى ذكره: وإن تجهز يا محمد بالقول، أو تخف به، فسواء عند ربك الذي له ما في السموات وما في الأرض ( فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ ) يقول: فإنه لا > 272-18 < يخفى عليه ما استسهرته في نفسك، فلم تبده بجوارحك ولم تتكلم بلسانك، ولم تنطق به وأخفى.

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله (وَأَخْفَى) فقال بعضهم: معناه:

وأخفى من السرّ، قال: والذي هو أخفى من السرّ ما حدّث به المرء نفسه ولم يعمله.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ( يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ) قال: السرّ: ما عملته أنت وأخفى: ما قذف الله في قلبك مما لم تعمله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ( يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ) يعني بأخفى: ما لم يعمله، وهو عامله; وأما السرّ: فيعني ما أسرّ في نفسه.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ( يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ) قال: السرّ: ما أسرّ ابن آدم في نفسه، وأخفى: قال: ما أخفى ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعمله، فالله يعلم ذلك، فعلمه فيما مضى من ذلك، وما بقي علم واحد، وجميع الخلائق عنده في ذلك كنفس واحدة، وهو قوله: مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ .

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قال سعيد بن جبير، عن ابن عباس: السرّ: ما أسرّ الإنسان في نفسه; وأخفى: ما لا يعلم الإنسان مما هو كائن.

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ومحمد بن عمرو، قالوا ثنا أبو عاصم، عن عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله ( يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ) قال: أخفى:



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الوسوسة، زاد ابن عمرو والحارث في حديثيهما: والسرّ: العمل الذي يسرون من الناس.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد (وَأَخْفَى) قال: الوسوسة.

< 18-273 >

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرمة، في قوله (يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) قال: أخفى حديث نفسك.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا الحسين بن الحسن الأشقر، قال: ثنا أبو كدينة، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله (يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) قال: السرّ: ما يكون في نفسك اليوم، وأخفى: ما يكون في غد وبعد غد، لا يعلمه إلا الله.

وقال آخرون: بل معناه: وأخفى من السرّ ما لم تحدّث به نفسك.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا الفضل بن الصباح، قال: ثنا ابن فضيل، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، في قوله (يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) قال: السرّ: ما أسررت في نفسك، وأخفى من ذلك: ما لم تحدّث به نفسك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَإِنْ تَجَهَّزْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) كنا نحدّث أن السرّ ما حدّثت به نفسك، وأن أخفى من السرّ: ما هو كائن مما لم تحدث به نفسك.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا سليمان بن حرب، قال: ثنا أبو هلال، قال: ثنا قتادة، في قوله (يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) قال: يعلم ما أسررت في نفسك، وأخفى: ما لم يكن هو كائن.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله (يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) قال: أخفى من السرّ: ما حدّثت به نفسك، وما لم تحدث به نفسك أيضا مما هو كائن.

حدّثت عن الحسين بن الفرّج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله (يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) أما السرّ: فما أسررت في نفسك، وأما أخفى من السرّ: فما لم تعمله وأنت عامله، يعلم الله ذلك كله.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إنه يعلم سرّ العباد، وأخفى سرّ نفسه، فلم يطلع عليه أحدا.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: < 274-18 > قال ابن زيد، في قوله (يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) قال: يعلم أسرار العباد، وأخفى سرّه فلا يعلم.

قال أبو جعفر: وكان الذين وجهوا ذلك إلى أن السرّ هو ما حدّث به الإنسان غيره سرّاً، وأن أخفى: معناه: ما حدّث به نفسه، وجهوا تأويل أخفى إلى الخفيّ. وقال بعضهم: قد توضع أفعال موضع الفاعل، واستشهدوا لقليلهم ذلك بقول الشاعر:

تَمَّتْ رِجَالٌ أَنْ أُمُوتَ وَإِنْ أُمْتُ

فَتِلْكَ طَرِيقٌ، لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحِدٍ (6)

والصواب من القول في ذلك، قول من قال: معناه: يعلم السرّ وأخفى من السرّ، لأن ذلك هو الظاهر من الكلام؛ ولو كان معنى ذلك ما تأوله ابن زيد، لكان الكلام: وأخفى الله سرّه، لأن أخفى: فعل واقع متعدّ، إذ كان بمعنى فعل على ما تأوله ابن زيد، وفي انفراد أخفى من مفعوله، والذي يعمل فيه لو كان بمعنى فعل الدليل الواضح على أنه بمعنى أفعال. وأن تأويل الكلام: فإنه يعلم السرّ وأخفى منه. فإذا كان ذلك تأويله، فالصواب من القول في معنى أخفى من السرّ أن يقال: هو ما علم الله مما أخفى عن العباد، ولم يعلموه مما هو كائن ولم يكن، لأن ما ظهر وكان فغير سرّ، وأن ما لم يكن وهو غير كائن فلا شيء، وأن ما لم يكن وهو كائن فهو أخفى من السرّ، لأن ذلك لا يعلمه إلا الله، ثم من أعلمه ذلك من عباده.

وأما قوله تعالى ذكره (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) فإنه يعني به: المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، يقول: فإياه فأعبدوا أيها الناس دون ما سواه من الآلهة والأوثان (لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) يقول جلّ ثناؤه: لمعبودكم أيها الناس الأسماء الحسنى، فقال: الحسنى، فوحد، وهو نعت للأسماء، ولم يقل الأحاسن، لأن الأسماء تقع عليها هذه، فيقال: هذه أسماء، وهذه في لفظة واحدة؛ ومنه قول الأعشى:

< 18-275 >

وَسَوْفَ يُعْقِبُنِيهِ إِنْ ظَفِرَتْ بِهِ

رَبِّ عَفُورٍ وَبَيْضِ ذَاتِ أَطْهَارٍ (7)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فوجد ذات، وهو نعت للبيض لأنه يقع عليها هذه، كما قال حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ومنه قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَارِبٌ أُخْرَى فوجد أخرى، وهي نعت لمأرب، والمأرب: جمع، واحدها: مأربة، ولم يقل آخر، لما وصفنا، ولو قيل: آخر، لكان صوابا.

القول في تأويل قوله تعالى: **وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (9) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُتُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٌ عَلَى النَّارِ هُدًى (10)**

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مسليه عما يلقي من الشدة من مشركي قومه، ومعرفة ما إليه بصائر أمره وأمرهم، وأنه معلية عليهم، وموهن كيد الكافرين، ويحثه على الجد في أمره، والصبر على عبادته، وأن يتذكر فيما ينوبه فيه من أعدائه من مشركي قومه وغيرهم، وفيما يزاول من الاجتهاد في طاعته ما ناب أخاه موسى صلوات الله عليه من عدوه، ثم من قومه، ومن بني إسرائيل وما لقي فيه من البلاء والشدة طفلا صغيرا، ثم يافعا مترعرا، ثم رجلا كاملا (وَهَلْ أَتَاكَ) يا محمد (حَدِيثُ مُوسَى) ابن عمران (إِذْ رَأَى نَارًا) ذكر أن ذلك كان في الشتاء ليلا وأن موسى كان أضل الطريق؛ فلما رأى ضوء النار قَالَ لِأَهْلِهِ ما قال.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، < 276-18 > قال: ثنا أسباط، عن السدي، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: لما قضى موسى الأجل، سار بأهله فضل الطريق. قال عبد الله بن عباس: كان في الشتاء، وُرفعت لهم نار، فلما رآها ظن أنها نار، وكانت من نور الله قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُتُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا .

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن وهب بن منبه اليماني، قال: لما قضى موسى الأجل، خرج ومعه غنم له، ومعه زنده له، وعصاه في يده يهش بها على غنمه نهارا، فإذا أمسى اقتدح بزنده نارا، فبات عليها هو وأهله وغنمه، فإذا أصبح غدا بأهله وغنمه، فتوكأ على عصاه، فلما كانت الليلة التي أراد الله بموسى كرامته، وابتدأه فيها بنبوته وكلامه، أخطأ فيه الطريق حتى لا يدري أين يتوجه، فأخرج زنده ليقترح نارا لأهله ليبيتوا عليها حتى يصبح، ويعلم وجه سبيله، فأصلد زنده فلا يوري له نارا، ففدح حتى أعياه، لاحت (8) النار فرآها، (فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُتُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٌ عَلَى النَّارِ هُدًى). وعني بقوله: (آنَسْتُ نَارًا) وجدت، ومن أمثال العرب: بعد اطلاع إيناس، ويقال أيضا: بعد طلوع إيناس، وهو مأخوذ من الأنس.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله ( لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ ) يقول: لعلي أجيئكم من النار التي آنست بشعلة.

والقَبَس: هو النار في طَرَفِ العود أو القصبة ، يقول القائل لصاحبه: أقبسني ناراً، فيعطيه إياها في طرف عود أو قصبة ، وإنما أراد موسى بقوله لأهله ( لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ ) لعلي آتيكم بذلك لتصللوا به.

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن وهب بن منبه ( لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ ) قال: بقبس تصطللون.

وقوله ( أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ) دلالة تدلُّ على الطريق الذي أضللناه، إما من خبر هاد يهدينا إليه، وإما من بيان وعلم نتبينه به ونعرفه.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا < 277-18 > معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ( أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ) يقول: من يدلُّ على الطريق.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله ( أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ) قال: هادياً يهديه الطريق.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله ( أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ) أي هداة يهدونه الطريق.

حدثني أحمد بن المقدم، قال: ثنا المعتمر، قال: سمعت أبي يحدث، عن قتادة، عن صاحب له، عن حديث ابن عباس، أنه زعم أنها أيلة ( أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ) وقال أبي: وزعم قتادة أنه هدى الطريق.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله ( أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ) قال: من يهديني إلى الطريق.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن وهب بن منبه ( أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ) قال: هدى عن علم الطريق الذي أضللنا بنعت من خبر.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني يونس، قال: أخبرنا سفيان، عن أبي سعيد، عن عكرمة، قال: قال ابن عباس: ( لَعَلِّي أَيْتِكُمْ مِنْهَا يَقْبَسُ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ) قال: كانوا أضلوا عن الطريق، فقال: لعلني أجد من يدلني على الطريق، أو أتيكم بقبس لعلكم تصطلون.

القول في تأويل قوله تعالى : فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (11) إِيَّيَّيْنَا أَنَا رَبُّكَ  
فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى (12)

يقول تعالى ذكره: فلما أتى النار موسى، ناداه ربه (يا موسى \* إِيَّيَّيْنَا أَنَا رَبُّكَ  
فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ).

< 18-278 >

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن وهب بن منبه، قال: خرج موسى نحوها، يعني نحو النار، فإذا هي في شجر من العليق، وبعض أهل الكتاب يقول في عوسجة، فلما دنا استأخرت عنه، فلما رأى استئخارها رجع عنها، وأوجس في نفسه منها خيفة؛ فلما أراد الرجعة، دنت منه ثم كلم من الشجرة، فلما سمع الصوت استأنس، وقال الله تبارك وتعالى (يا موسى \* إِيَّيَّيْنَا أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى) فخلعها فالفها.

واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله أمر الله موسى بخلع نعليه، فقال بعضهم: أمره بذلك، لأنهما كانتا من جلد حمار ميت، فكره أن يطأ بهما الوادي المقدس، وأراد أن يمسه من بركة الوادي.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عاصم، عن أبي قلابة، عن كعب، أنه رأى يخلعون نعالهم ( فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى ) فقال: كانت من جلد حمار ميت، فأراد الله أن يمسه القدس.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة، في قوله ( فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ) قال: كانتا من جلد حمار ميت.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعد، عن قتادة، قال: حدثنا، أن نعليه كانتا من جلد حمار، فخلعهما ثم أتاه.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله ( فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ) قال: كانتا من جلد حمار، فقيل له اخلعهما.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْجٍ. قال: وأخبرني عمر بن عطاء عن عكرمة وأبو سفيان، عن معمر، عن جابر الجعفي، عن عليّ بن أبي طالب ( قَاخَلَعُ تَعْلِيكَ ) قال: كانتا من جلد حمار، فقيل له اخلعهما. قال: وقال قتادة مثل ذلك.

وقال آخرون: كانتا من جلد بقر، ولكن الله أراد أن يطاء موسى الأرض بقدميه، ليصل إليه بركتها.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني < 279-18 > حجاج، قال: قال ابن جريج، قال الحسن: كانتا، يعني نعلي موسى من بقر، ولكن إنما أراد الله أن يباشر بقدميه بركة الأرض، وكان قد قدس مرتين. قال ابن جُرَيْجٍ: وقيل لمجاهد: زعموا أن نعليه كانتا من جلد حمار أو ميته، قال: لا ولكنه أمر أن يباشر بقدميه بركة الأرض.

حدثني يعقوب، قال: قال أبو بشر، يعني ابن عليّ، سمعت ابن أبي نجيح، يقول في قوله: ( قَاخَلَعُ تَعْلِيكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى ) قال: يقول: أفض بقدميك إلى بركة الوادي.

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: أمره الله تعالى ذكره بخلع نعليه ليباشر بقدميه بركة الوادي، إذ كان واديا مقدسا.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب، لأنه لا دلالة في ظاهر التنزيل على أنه أمر بخلعهما من أجل أنهما من جلد حمار ولا لنجاستهما، ولا خبر بذلك عن يلمز بقوله الحجة، وإن في قوله ( إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى ) بعقبه دليلا واضحا، على أنه إنما أمره بخلعهما لما ذكرنا.

ولو كان الخبر الذي حدثنا به بشر قال: ثنا خلف بن خليفة عن حميد بن عبد الله بن الحارث، عن ابن مسعود، عن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم، قال: " يَوْمَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى، كَانَتْ عَلَيْهِ جُبَّةٌ صُوفٍ وَكِسَاءٌ صُوفٍ، وَ سَرَاوِيلٌ صُوفٍ، وَتَعْلَانِ مِنْ جِلْدِ حِمَارٍ غَيْرِ مُدَكِّي " صحيحا لم نعهده إلى غيره، ولكن في إسناده نظر يجب التثبت فيه.

واختلفت القراء في قراءة قوله ( إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ) فقرأ ذلك بعض قراء المدينة والبصرة ( نُودِيَّ يَا مُوسَى أَيُّ ) بفتح الألف من " أني "، فأَنَّ على قراءتهم في موضع رفع بقوله: نودي، فإن معناه: كان عندهم نودي هذا القول، وقرأه بعض عامة قراء المدينة والكوفة بالكسر: نودي يا موسى إنني، على الابتداء، وأن معنى ذلك قيل: يا موسى إنني.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: والكسر أولي القراءتين عندنا بالصواب، وذلك أن النداء قد حال بينه وبين العمل في أن قوله "يا موسى"، وحظ قوله "نودي" أن يعمل في أن لو كانت قبل قوله "يا موسى"، وذلك أن يقال: نودي أن يا موسى إني أنا ربك، < 280-18 > ولا حظ لها في "إن" التي بعد موسى.

وأما قوله (إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى) فإنه يقول: إنك بالوادي المطهر المبارك.

كما حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى) يقول: المبارك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: قال مجاهد، قوله (إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى) قال: قُدَّس بُورُك مَرَّتَيْنِ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، قوله (إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى) قال: بالوادي المبارك.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (طَوًى) فقال بعضهم: معناه: إنك بالوادي المقدس طويته، فعلى هذا القول من قولهم طوى مصدر خرج من غير لفظه، كأنه قال: طويت الوادي المقدس طوى.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: قوله (إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى) يعني الأرض المقدسة، وذلك أنه مرّ بواديه ليلاً فطواه، يقال: طويت وادي كذا وكذا طوى من الليل، وارتفع إلى أعلى الوادي، وذلك نبيّ الله موسى صلى الله عليه وسلم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: مرّتين، وقال: ناداه ربه مرّتين؛ فعلى قول هؤلاء طوى مصدر أيضا من غير لفظه، وذلك أن معناه عندهم: نودي يا موسى مرّتين نداءين، وكان بعضهم ينشد شاهدا لقوله طوى، أنه بمعنى مرّتين، قول عديّ بن زيد العبادي:

أعاذِلْ إِنَّ اللَّوْمَ فِي عَيْرِ كُنْهِهِ

عَلَيَّ طَوًى مِنْ عَيْكِ الْمُتَرَدِّدِ (9)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وروى ذلك آخرون: " عليّ ثنى "؛ أي مرّة بعد أخرى، وقالوا: طوى وثنى بمعنى واحد.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، ( فَاخْلَعُ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى ) كنا نحدّث أنه وادٍ قدّس مرّتين، وأن اسمه طَوًى.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إنه قدّس طوى مرّتين.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، قال: قال ابن جريج، قال الحسن: كان قد قدّس مرّتين.

وقال آخرون: بل طوى: اسم الوادي.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ بن داود، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنى معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (طوى) : اسم للوادي.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الجارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: طوى: قال: اسم الوادي.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى ) قال: ذاك الوادي هو طوى، حيث كان موسى، وحيث كان إليه من الله ما كان، قال: وهو نحو الطور.

وقال آخرون: بل هو أمر من الله لموسى أن يطأ الوادي بقدميه.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن منصور الطوسي، قال: ثنا صالح بن إسحاق، عن جعفر بن برقان، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قول الله تبارك وتعالى ( فَاخْلَعُ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى ) قال: طأ الوادي.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا الحسن، عن يزيد، عن عكرمة، في قوله (طوى) قال: طأ الوادي.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن < 282-18 > سعيد بن جبیر، في قول الله (طُوى) قال: طأ الأرض حافيا، كما تدخل الكعبة حافيا، يقول: من بركة الوادي.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد (طُوى) طأ الأرض حافيا.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأه بعض قرّاء المدينة (طُوى) بضم الطاء وترك التنوين، كأنهم جعلوه اسم الأرض التي بها الوادي، كما قال الشاعر:

تَصْرُوا تَبِيَّهُمْ وَشَدُّوا أَرْزَهُ

بُحَيْنَ حِينَ تَوَاكُلِ الْأَبْطَالِ (10)

فلم يجزّ حنين، لأنه جعله اسما للبلدة لا للوادي؛ ولو كان جعله اسما للوادي لأجراه كما قرأت القرّاء وَيَوْمَ حُتَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ وكما قال الآخر:

أَلْسَنَا أَكْرَمَ النَّقْلَيْنِ رَحْلًا

وَأَعْظَمَهُمْ يَبْطِنِ حِرَاءَ نَارًا (11)

فلم يجزّ حراء، وهو جبل، لأنه حملة اسما للبلدة، فكذلك طُوى " في قراءة من لم يجره حملة اسما للأرض. وقرأ ذلك عامّة قرّاء أهل الكوفة: (طُوى) بضم الطاء والتنوين؛ وقارئو ذلك كذلك مختلفون في معناه على ما قد ذكرت من اختلاف أهل التأويل؛ فأما من أراد به المصدر من طويت، فلا مؤنة في تنوينه، وأما من أراد أن يجعله اسما للوادي، فإنه إنما ينونه لأنه اسم ذكر لا مؤنث، وأن لام الفعل منه ياء، فزاده ذلك خفة فأجراه كما قال الله وَيَوْمَ حُتَيْنٍ إِذْ كَانَ حنين اسم واد، والوادي مذكر.

قال أبو جعفر: وأولى القولين عندي بالصواب قراءة من قرأه بضم الطاء والتنوين، لأنه إن يكن اسما للوادي فحظه التنوين لما ذكر قبل من العلة لمن قال ذلك، وإن كان مصدرا أو مفسرا، فكذلك أيضا حكمه التنوين، وهو عندي اسم الوادي. وإذ كان ذلك كذلك، فهو في موضع خفض رداً على الوادي.

# جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الهوامش:

- (1) أبو صالح الضراري ، بالضاد المعجمة ، كما في ( تاج العروس : ضرر ) .  
في الأصل : بالضاد المهملة ، تحريف .
- (2) البيت من معلقة لبيد بن ربيع العامري ( جمهرة أشعار العرب ص 63 -  
74 وشرح الزوزني للمعلقات السبع ، وشرح التبريزي للقوائد العشر ) .  
والرواية في الجمهرة : " وتسمعت رجز الأنيس " . قال : والركز الصوت  
الخفي . قال تعالى : " أو تسمع لهم ركزا " . ويروي رزا بالتشديد . والأنيس :  
الإنس . عن ظهر غيب : أي مكان خفي . والغيب ما توارى عنك من أرض أو  
علم . وفي التبريزي : وتسمعت رز الأنيس . قال : ويروي : توجست رز  
الأنيس . أي سمعت البقرة صوت الناس . فأفزعها . ولم تر الناس . والرز  
والركز الصوت الخفي . وقوله " عن ظهر غيب " معناه : من وراء حجاب ،  
أي تسمع من حيث لا ترى . " الأنيس سقامها " : معناه : والأنيس هلاكها ، أي  
يصيدها وراعها أي أفزعها وفاعل تسمعت ضمير البقرة وفاعل راءها : ضمير  
للرز ، وفي الزوزني وتوجست رز الأنيس ، ثم شرح البيت بمثل شرح  
التبريزي له .
- (3) البيت لمتهم بن نويرة كما قال المؤلف . وفيه ( اللسان : طهطه ) : الليث  
في تفسير ( طه ) مجزومة أنها بالحيشية : يا رجل ، قال : ومن قرأ ( طه )  
فحرفان . وبلغنا أن موسى لما سمع كلام الرب عز وجل استفزه الخوف ،  
حتى قام على أصابع قدميه خوفاً ، فقال الله عز وجل : ( طه ) أي اطمئن .  
الفراء : ( طه ) حرف هجاء . قال : وجاء في التفسير ( طه ) يا رجل : يا  
إنسان . قال : وحدث قيس عن عاصم عن زر ، قال : قرأ رجل علي ابن  
مسعود ( طه ) فقال له عبد الله : ( طه ) بكسرتين ، فقال الرجل : أليس إنما  
أمر أن يطأ قدمه ، فقال له عبد الله : هكذا أقرأنيها رسول الله صلى الله  
عليه وسلم . قال الفراء : وكان بعض القراء يقطعها ( طه هـ ) وروي  
الأزهري عن أبي حاتم قال : ( طه ) : افتتاح سورة ، ثم استقبال الكلام  
فخاطب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى  
. وقال قتادة : ( طه ) بالسريانية : يا رجل . وقال سعيد بن جبیر وعكرمة :  
هي بالنبطية : يا رجل ، وروي ذلك عن ابن عباس . أه . ( اللسان ) .
- (4) هذا الشاهد كالذي قبله ، على أن معنى ( طه ) في كلام العرب : يا  
رجل ولم أقف على قائل البيت .

- (5) في الخلاصة للخزرجي : محمد بن إبراهيم بن صدران بضم المهملة الأولى  
، الأزدي ، بتحتانية بعد اللام المكسورة .
- (6) ورد هذا البيت في مقطوعة خمسة أبيات كتب بها الوليد بن عبد الملك  
لما مرض وقد بلغه عن أخيه سليمان أنه تمنى موته ، لما له من العهد بعده  
، فعاتبه الوليد في كتابه وفيه هذه الأبيات ، وأولها : " تمنى رجال . . . إلخ  
" . ذكرها المسعودي في ( مروج الذهب ، طبعة دار الرجاء 3 : 103 ) والشاهد  
في قوله بأوحد ، فإنه بمعنى : بواحد .

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(7) في ( اللسان : عقب ) يقال : أعقبه الله بإحسان وخيرا . والاسم العقبي ، وهو شبه العوض . واستعقب منه خيرا أو شرا : اعتاضه ، فأعقبه خيرا ، أي عوضه وأبدله . والشاهد في البيت أن قائله وصف البيض وهو جمع بيضاء ، بكلمة ( ذات ) وهي واحد ، ولم يطابق بين النعت والمنعوت في العدد . وتأويل ذلك عند المؤلف أنه كلمة البيض وإن كانت جمعا فإنها يشار إليها بكلمة هذه وهذه في الأصل إشارة للواحدة فلما جاز أن يشار بهذه إلى الجمع جاز أن ينعت البيض بذات التي هي للواحدة ، وذلك نظير قول القرآن : " له الأسماء الحسنى " ، والأسماء جمع ، والحسنى صفتها وهي واحدة .

(8) المقام يقتضي أن يقول : حتى إذا أعياه ، لاحت . . . إلخ أو : فلاح ، ثم لاحت .

(9) البيت لعدي بن زيد ( اللسان : طوى ) . قال : وإذا كان طوى وطوى ( بكسر الطاء وضمها ) وهو الشيء المطوي مرتين ، فهو صفة بمنزلة ثني وثني ( بكسر الثاء وضمها ) ، وليس بعلم لشيء وهو مصروف لا غير ، كما قال عدي بن زيد : " أعاذل " إن اللوم . . البيت " ، ورأيت في حاشية نسخة من أمالي ابن بري أن الذي في شعر عدي : على ثنى من فيك ، أراد اللوم المكرر .

(10) البيت لحسان بن ثابت ( اللسان : حن ) . والشاهد فيه أن حنين غير مصروف ، لأنه جعله اسما للبلدة ، كما قال المؤلف أو لبقة .

(11) البيت في ( اللسان : حرى ) قال الجوهري : لم يصرف حراء لأنه ذهب به إلى البلدة التي هو بها ، وفي الحديث " كان يتحنث بحراء " مصروفًا ، وهو جبل من جبال مكة ، وفي رواية اللسان : طرا ، في موضع ، رحلا . > 283-18 <

القول في تأويل قوله تعالى : وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13) إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14)

اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة القراء الذين قرءوا " وأنا " بتشديد النون، و (أنا) بفتح الألف من " أنا " ردًا علي: نودي يا موسى، كأن معنى الكلام عندهم: نودي يا موسى إنني أنا ربك، وأنا اخترتك، وبهذه القراءة قرأ ذلك عامة قراء الكوفة. وأما عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة فقرءوه: (وأنا اخترتك) بتخفيف النون على وجه الخبر من الله عن نفسه أنه اختاره.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما قراء أهل العلم بالقرآن، مع اتفاق معنيهما، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فيه، وتأويل الكلام: نودي أنا اخترناك. فاجتبيناك لرسالتنا إلى من نرسلك إليه ( فاستمع لِمَا يُوحَى ) يقول: فاستمع لوحينا الذي نوحيه إليك وعه، واعمل به.

( إِنِّي أَنَا اللَّهُ ) يقول تعالى ذكره: إنني أنا المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، لا إله إلا أنا فلا تعبد غيري، فإنه لا معبود تجوز أو تصلح له العبادة

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

سواي (فَاعْبُدْنِي) يقول: فأخلص العبادة لي دون كل ما عبد من دوني (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي).

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم: معنى ذلك: أقم الصلاة لي فإنك إذا أقمتها ذكرتني.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) قال: إذا صلى ذكر ربه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) قال: إذا ذكر عبد ربه.

< 18-284 >

قال آخرون: بل معنى ذلك: وأقم الصلاة حين تذكرها.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن مغيرة، عن إبراهيم في قوله (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) قال: يصلها حين يذكرها.

حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: ثنا عمي عبد الله بن وهب، قال: ثنا يونس ومالك بن شهاب، قال: أخبرني سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " مَنْ تَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا، قَالَ اللَّهُ (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) ". وكان الزهري يقرؤها: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) بمنزلة فعلى.

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من قال: معناه: أقم الصلاة لتذكرني فيها، لأن ذلك أظهر معنيه، ولو كان معناه: حين تذكرها، لكان التنزيل: أقم الصلاة لذكرها. وفي قوله: (لِذِكْرِي) دلالة بينة على صحة ما قال مجاهد في تأويل ذلك، ولو كانت القراءة التي ذكرناها عن الزهري قراءة مستفيضة في قراءة الأمصار، كان صحيحا تأويل من تأوله بمعنى: أقم الصلاة حين تذكرها، وذلك أن الزهري وجه بقراءته (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) بالألف لا بالإضافة، إلى أقم لذكرها، لأن الهاء والألف حذفتا، وهما مرادتان في الكلام ليوفق بينها وبين سائر رءوس الآيات، إذ كانت بالألف والفتح. ولو قال قائل في قراءة الزهري هذه التي ذكرنا عنه، إنما قصد الزهري بفتحها تصديره بالإضافة ألفا للتوفيق بينه وبين رءوس الآيات قبله وبعده، لأنه خالف بقراءته ذلك كذلك من قرأه بالإضافة، وقال: إنما ذلك كقول الشاعر:

# جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أَطَوَّفُ مَا أَطَوَّفُ ثُمَّ آوِي

إلى (1) أَمَا وَيُرْوِينِي التَّقِيْعُ (2)

وهو يريد: إلى أُمِّي، وكقول العرب: يا أبا وأما، وهي تريد: يا أباي وأُمِّي، > 18-285 < كان له بذلك مقال.

القول في تأويل قوله تعالى : إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ (15) فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ (16)

يقول تعالى ذكره: إن الساعة التي يبعث الله فيها الخلائق من قبورهم لموقف القيامة جائية (أَكَادُ أُخْفِيهَا) فعلى ضمّ الألف من أخفيها قراءة جميع قرّاء أمصار الإسلام، بمعنى: أكاد أخفيها من نفسي، لئلا يطلع عليها أحد، وبذلك جاء تأويل أكثر أهل العلم.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (أَكَادُ أُخْفِيهَا) يقول: لا أظهر عليها أحدا غيري.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا) قال: لا تاتيكم إلا بغتة.

حدثنا ابن بشير، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا) قال: من نفسي.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله (أَكَادُ أُخْفِيهَا) قال: من نفسي.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس (أَكَادُ أُخْفِيهَا) قال: من نفسي.

حدثني عبد الأعلى بن واصل، قال: ثنا محمد بن عبيد الطنافسي، قال: > 18-286 < ثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، في قوله (أَكَادُ أُخْفِيهَا) قال: يخفيها من نفسه.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( أَكَادُ أُخْفِيهَا ) وهي في بعض القراءة: أخفيها من نفسي. ولعمري لقد أخفاها الله من الملائكة المقربين، ومن الأنبياء المرسلين.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: في بعض الحروف: ( إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي ).

وقال آخرون: إنما هو: ( أَكَادُ أُخْفِيهَا ) بفتح الألف من أخفيها بمعنى: أظهرها.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا محمد بن سهل، قال: سألتني رجل في المسجد عن هذا البيت.

دَابَّ شَهْرَيْنِ ثُمَّ شَهْرًا دَمِيغًا

بِأَرِيكَيْنِ يَخْفِيَانِ عَمِيرًا (3)

فقلت: يظهران، فقال ورقاء بن إياس وهو خلفي: أقرأنيها سعيد بن جبير ( أَكَادُ أُخْفِيهَا ) بنصب الألف ، وقد رُوِيَ عن سعيد بن جبير وفاق لقول الآخرين الذين قالوا: معناه: أكاد أخفيها من نفسي.

\* ذكر الرواية عنه بذلك: حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عطاء، عن سعيد بن جبير ومنصور، عن مجاهد، قال ( إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ) قال من نفسي.

حدثني عبيد بن إسماعيل الهباري، قال: ثنا ابن فضيل، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير ( أَكَادُ أُخْفِيهَا ) قال: من نفسي.

< 18-287 >

قال أبو جعفر: والذي هو أولي بتأويل الآية من القول، قول من قال: معناه: أكاد أخفيها من نفسي، لأن تأويل أهل التأويل بذلك جاء، والذي دُكر عن سعيد بن جبير من قراءة ذلك بفتح الألف قراءة لا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءة الحجة التي لا يجوز خلافها فيما جاءت به نقلا مستفيضا.

فإن قال قائل: ولم وجهت تأويل قوله ( أَكَادُ أُخْفِيهَا ) بضم الألف إلى معنى: أكاد أخفيها من نفسي، دون توجيهه إلى معنى: أكاد أظهرها، وقد علمت أن للإخفاء في كلام العرب وجهين: أحدهما الإظهار، والآخر الكتمان، وأن الإظهار

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

في هذا الموضوع أشبه بمعنى الكلام، إذ كان الإخفاء من نفسه يكاد عند السامعين أن يستحيل معناه، إذ كان محالاً أن يخفي أحد عن نفسه شيئاً هو به عالم، والله تعالى ذكره لا يخفى عليه خافية؟ قيل: الأمر في ذلك بخلاف ما ظننت، وإنما وجَّهنا معنى (أخفيها) بضمّ الألف إلى معنى: أسترها من نفسي، لأن المعروف من معنى الإخفاء في كلام العرب: الستر. يقال: قد أخفيت الشيء: إذا سترته، وأن الذين وجَّهوا معناه إلى الإظهار، اعتمدوا على بيت لامرئ القيس ابن عابس الكندي.

حدثت عن معمر بن المثنى أنه قال: أنشدني أبو الخطاب، عن أهله في بلده:

فإن تُدْفِنُوا الدَّاءَ لا تُخْفِهِ

وإن تَبْعُوا الحَرْبَ لا تَقْعُد (4)

بضمّ النون من لا نخفه، ومعناه: لا نظهره، فكان اعتمادهم في توجيه الإخفاء في هذا الموضوع إلى الإظهار على ما ذكروا من سماعهم هذا البيت، على ما وصفت < 288-18 > من ضم النون من نخفه، وقد أنشدني الثقة عن الفرّاء:

فإن تَدْفِنُوا الدَّاءَ لا تَخْفِهِ

يفتح النون من نخفه، من خفيته أخفيه، وهو أولى بالصواب لأنه المعروف من كلام العرب.

فإذا كان ذلك كذلك، وكان الفتح في الألف من أخفيها غير جائز عندنا لما ذكرنا، ثبت وصحّ الوجه الآخر، وهو أن معنى ذلك. أكاد أسترها من نفسي.

وأما وجه صحة القول في ذلك، فهو أن الله تعالى ذكره خاطب بالقرآن العرب على ما يعرفونه من كلامهم وجرى به خطابهم بينهم، فلما كان معروفاً في كلامهم أن يقول أحدهم إذا أراد المبالغة في الخبر عن إخفائه شيئاً هو له مسرّ: قد كدت أن أخفي هذا الأمر عن نفسي من شدة استسراري به، ولو قدرت أخفيه عن نفسي أخفيته، خاطبهم على حسب ما قد جرى به استعمالهم في ذلك من الكلام بينهم، وما قد عرفوه في منطقتهم وقد قيل في ذلك أقوال غير ما قلنا. وإنما اخترنا هذا القول على غيره من الأقوال لموافقة أقوال أهل العلم من الصحابة والتابعين، إذ كنا لا نستجيز الخلاف عليهم، فيما استفاض القول به منهم، وجاء عنهم مجيئاً يقطع العذر، فأما الذين قالوا في ذلك غير قولنا ممن قال فيه على وجه الانتزاع من كلام العرب، من غير أن يعزوه إلى إمام من الصحابة أو التابعين، وعلى وجه

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يحتمل الكلام من غير وجهه المعروف، فإنهم اختلفوا في معناه بينهم، فقال بعضهم: يحتمل معناه: أريد أخفيها، قال: وذلك معروف في اللغة، وذكر أنه حُكي عن العرب أنهم يقولون: أولئك أصحابي الذين أكاد أنزل عليهم، وقال: معناه: لا أنزل إلا عليهم. قال: وحُكي: أكاد أبرح منزلي: أي ما أبرح منزلي، واحتجّ ببيت أنشده لبعض الشعراء:

كَادَتْ وَكَدْتُ وَتِلْكَ حَيْرٌ إِرَادَةٌ

لَوْ عَادَ مِنْ عَهْدِ الصَّبَابَةِ مَا مَصَى (5)

< 18-289 >

وقال: يريد: بكادت: أرادت، قال: فيكون المعنى: أريد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى. قال: ومما يُشبهه ذلك قول زيد الخيل:

سريع إلى الهَيْجَاءِ شَاكٍ سِلاخُهُ

فَمَا أَنْ تَكَادُ قِرْنُهُ يَتَنَفَّسُ (6)

وقال: كأنه قال: فما يتنفس قرنه، وإلا ضعف المعنى; قال: وقال ذو الرُّمَّة:

إِذَا عَئِرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ يَكَدْ

رَسِيسُ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ (7)

قال: وليس المعنى: لم يكد يبرح: أي بعد يُسر، ويبرح بعد عُسر; وإنما < 18-290 > المعنى: لم يبرح، أو لم يرد يبرح، وإلا ضعف المعنى; قال: وكذلك قول أبي النجم:

وَإِنْ أَتَاكَ تَعِيٌّ فَانْدَبَنَّ أَبَا

قَدْ كَادَ يَضْطَلِعُ الْأَعْدَاءَ وَالْحُطْبَا (8)



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال: يكون المعنى: قد اضطلع الأعداء، وإلا لم يكن مدحا إذا أراد كاد ولم يرد يفعل.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إن الساعة آتية أكاد، قال: وانتهى الخبر عند قوله أكاد لأن معناه: أكاد أن آتي بها، قال: ثم ابتداء فقال: ولكني أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى، قال: وذلك نظير قول ابن ضابي:

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي

تَرَكَتْ عَلَى عَثْمَانَ تَبْكِي أَقَارِبُهُ (9)

فقال: كدت، ومعناه: كدت أفعل.

وقال آخرون: معنى (أخفيها) أظهرها، وقالوا: الإخفاء والإسرار قد توجههما العرب إلى معنى الإظهار، واستشهد بعضهم لقيه ذلك بيت الفرزدق:

< 18-291 >

فَلَمَّا رَأَى الْحَجَّاجَ جَرَدَ سَيْفَهُ

أَسَرَ الْحَرُورِيُّ الَّذِي كَانَ أَصْمَرَ (10)

وقال: عنى بقوله: أسر: أظهر. قال: وقد يجوز أن يكون معنى قوله وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ وأظهروها، قال: وذلك أنهم قالوا: يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَدِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا . وقال جميع هؤلاء الذين حكينا قولهم جائز أن يكون قول من قال: معنى ذلك: أكاد أخفيها من نفسي، أن يكون أراد: أخفيها من قبلي ومن عندي، وكل هذه الأقوال التي ذكرنا عن ذكرنا توجيه منهم للكلام إلى غير وجهه المعروف، وغير جائز توجيه معاني كلام الله إلى غير الأغلب عليه من وجوهه عند المخاطبين به، ففي ذلك مع خلافهم تأويل أهل العلم فيه شاهد عدل على خطأ ما ذهبوا إليه فيه.

وقوله (لِيُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى) يقول تعالى ذكره: إن الساعة آتية لتجزى كل نفس: يقول: لكتاب كل نفس امتحنها ربها بالعبادة في الدنيا بما تسعى، يقول: بما تعمل من خير وشر، وطاعة ومعصية، وقوله (فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا) يقول تعالى ذكره: فلا يردُّنك يا موسى عن التأهب للساعة، من لا يؤمن بها، يعني: من لا يقرب بقيام الساعة، ولا يصدق بالبعث بعد الممات، ولا يرجو ثوابا، ولا يخاف عقابا. وقوله (وَاتَّبِعْ هَوَاهُ) يقول: اتبع هوى نفسه، وخالف أمر الله ونهيه (فَتَرَدَى) يقول: فتهلك إن أنت انصدت عن التأهب

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

للساعة، وعن الإيمان بها، وبأن الله باعث الخلق لقيامها من قبورهم بعد فنائهم بصدّ من كفر بها، وكان بعضهم يزعم أن الهاء والألف من قوله ( قَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا ) كناية عن ذكر الإيمان، قال: وإنما قيل عنها وهي كناية > 18-292 < عن الإيمان كما قيل إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُوْرٌ رَجِيْمٌ يذهب إلى الفعلة، ولم يجر للإيمان ذكر في هذا الموضع، فيجعل ذلك من ذكره، وإنما جرى ذكر الساعة، فهو بأن يكون من ذكرها أولى.

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17)

يقول تعالى ذكره: وما هذه التي في يمينك يا موسى؟ فالباء في قوله (بِيَمِينِكَ) من صلة تلك، والعرب تصل تلك وهذه كما تصل الذي، ومنه قول يزيد بن مفرع:

عَدَسٌ مَا لِعَبَّادٍ عَلَيَّكَ إِمَارَةٌ

أَمِنْتَ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيْقٌ (11)

كأنه قال: والذي تحملين طليق.

ولعل قائلًا أن يقول: وما وجه استخبار الله موسى عما في يده؟ ألم يكن عالما بأن الذي في يده عصا؟ قيل له: إن ذلك على غير الذي ذهبت إليه، وإنما قال ذلك عزّ ذكره له إذا أراد أن يحولها حية تسعى، وهي خشبة، فنبهه عليها، وقرّره بأنها خشبة يتوكأ عليها، ويهشّ بها على غنمه، ليعرّفه قدرته على ما يشاء، وعظم سلطانه، ونفاذ أمره فيما أحبّ بتحويله إياها حية تسعى، إذا أراد ذلك به ليجعل ذلك لموسى آية مع سائر آياته إلى فرعون وقومه.

القول في تأويل قوله تعالى : قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأُشَشُّ بِهَا عَلَى عَنَمِي وَلِي فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى (18)

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن موسى: قال موسى مجيبًا لربه ( هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأُشَشُّ بِهَا عَلَى عَنَمِي ) يقول: أضرب بها الشجر اليابس فيسقط ورقها وترعاه غنمي، يقال منه: هشّ فلان الشجر يهشّ هشًا: إذا اختبط ورق أعصانها > 18-293 < فسقط ورقها، كما قال الراجز:

أُشَشُّ بِالْعَصَا عَلَى أَعْنَامِي

مِنْ نَاعِمِ الْأَرَكَ وَالْبَشَامِ (12)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله ( وَأَهْشُ بِهَا عَلَيَّ غَنَمِي ) قال: أخبط بها الشجر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( وَأَهْشُ بِهَا عَلَيَّ غَنَمِي ) قال: أخبط.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( وَأَهْشُ بِهَا عَلَيَّ غَنَمِي ) قال: كان نبي الله موسى صلى الله عليه وسلم يهش على غنمه ورق الشجر.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي ( وَأَهْشُ بِهَا عَلَيَّ غَنَمِي ) يقول: أضرب بها الشجر للغنم، فيقع الورق.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَيَّ غَنَمِي ) قال: يتوكأ عليها حين يمشي مع الغنم، ويهش بها، يحرك الشجر حتى يسقط الورق الحبله وغيرها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسن، عن عكرمة ( وَأَهْشُ بِهَا عَلَيَّ غَنَمِي ) قال: أضرب بها الشجر، فيسقط من ورقها علي.

حدثني عبد الله بن أحمد بن شبيب، قال: ثنا علي بن الحسن، قال: ثنا حسين، قال: سمعت عكرمة يقول ( وَأَهْشُ بِهَا عَلَيَّ غَنَمِي ) قال: أضرب بها الشجر، فيتساقط الورق على غنمي.

< 18-294 >

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَأَهْشُ بِهَا عَلَيَّ غَنَمِي ) يقول: أضرب بها الشجر حتى يسقط منه ما تاكل غنمي.

وقوله ( وَلِيَّ فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى ) يقول:

ولي في عصاي هذه حوائج أخرى، وهي جمع مأربة، وفيها للعرب لغات ثلاث: مأربة بضم الراء، ومأربة بفتحها، ومأربة بكسرهما، وهي مفعلة من قولهم: لا أرب لي في هذا الأمر: أي لا حاجة لي فيه، وقيل أخرى وهن مارب جمع،

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ولم يقل آخر، كما قيل: لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وقد بَيَّنَّت العلة في توجيه ذلك هنالك.

وينحو الذي قلنا في معنى المآرب، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا أحمد بن عبدة الضبي، قال: ثنا حفص بن جميع، قال: ثنا سيماء بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: (وَلِيَّ فِيهَا مَّآرِبٌ أُخْرَى) قال: حوائج أخرى قد علمتها.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (وَلِيَّ فِيهَا مَّآرِبٌ أُخْرَى) يقول: حاجة أخرى.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (وَلِيَّ فِيهَا مَّآرِبٌ أُخْرَى) قال: حاجات.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح (وَلِيَّ فِيهَا مَّآرِبٌ أُخْرَى) قال: حاجات ومنافع.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد (وَلِيَّ فِيهَا مَّآرِبٌ أُخْرَى) قال: حاجات.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ (وَلِيَّ فِيهَا مَّآرِبٌ أُخْرَى) يقول: حوائج أخرى أحمل عليها المزود والسقاء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَلِيَّ فِيهَا مَّآرِبٌ أُخْرَى) قال: حوائج أخرى.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله (وَلِيَّ فِيهَا مَّآرِبٌ أُخْرَى) قال: حاجات ومنافع أخرى.

< 18-295 >

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن وهب بن منبه (وَلِيَّ فِيهَا مَّآرِبٌ أُخْرَى) أي منافع أخرى.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وَلِيَّ فِيهَا مَّآرِبٌ أُخْرَى) قال: حوائج أخرى سوى ذلك.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله (مَّآرِبٌ أُخْرَى) قال: حاجات أخرى.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (19) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (20) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (21)

يقول تعالى ذكره: قال الله لموسى: ألق عصاك التي بيمينك يا موسى ، يقول الله جل جلاله: فألقاها موسى، فجعلها الله حية تسعى، وكانت قبل ذلك خشبة يابسة، وعصا يتوكأ عليها ويهشُّ بها على غنمه، فصارت حية بأمر الله.

كما حدثنا أحمد بن عبدة الضبي، قال: ثنا حفص بن جميع، قال: ثنا سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما قيل لموسى: ألقها يا موسى، ألقاها (فَأِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى) ولم تكن قبل ذلك حية، قال: فمرت بشجرة فأكلتها، ومرت بصخرة فابتلعته، قال: فجعل موسى يسمع وقع الصخرة في جوفها، قال: فولى مدبراً، فنودي أن يا موسى خذها، فلم يأخذها، ثم نودي الثانية: أن (خُذْهَا وَلَا تَخَفْ) ، فلم يأخذها، فقيل له في الثالثة إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ فأخذها.

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: قال له، يعني لموسى ربه ( أَلْقِهَا يَا مُوسَى ) يعني ( فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ) فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَرُ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ فَنُودِيَ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ .

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن وهب بن منبه، > 18-296 < ( قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى \* فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ) تهترُّ لها أنياب وهيئة كما شاء الله أن تكون، فرأى أمراً فظيعاً، وَلَى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ فناده ربه: يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ( سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ) .

وقوله ( قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ) يقول تعالى ذكره قال الله لموسى: خذ الحية، والهاء والألف من ذكر الحية ( وَلَا تَخَفْ ) يقول: ولا تخف من هذه الحية يقول: ( سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ) يقول : فإننا سنعيد لها سيرتها الأولى التي كانت عليها قبل أن نصيرها حية، ونردّها عصا كما كانت.

يقال لكل من كان علي أمر فتركه، وتحول عنه ثم راجعه: عاد فلان سيرته الأولى، وعاد لسيرته الأولى، وعاد إلى سيرته الأولى.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله ( سِيرَتَهَا الْأُولَى ) يقول: حالتها الأولى.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ( سِيرَتَهَا الْأُولَى ) قال: هيئتها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن وهب بن منبه ( سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ) أي سنردّها عصا كما كانت.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ) قال: إلى هيئتها الأولى.

القول في تأويل قوله تعالى : **وَاصْمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (22) لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (23)**

يقول تعالى ذكره: واصم يا موسى يدك، فضعها تحت عضدك; < 297-18 > والجناحان هما اليدان، كذلك روي الخبر عن أبي هريرة وكعب الأحبار، وأما أهل العربية، فإنهم يقولون: هما الجنبان، وكان بعضهم يستشهد لقوله ذلك بقول الراجز:

أصُمَّهُ لِلصَّدْرِ وَالْجَنَاحِ (13)

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ( إِلَى جَنَاحِكَ ) قال: كفه تحت عضده.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، عن مجاهد، مثله.

وقوله ( تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ) ذكر أن موسى عليه السلام كان رجلا آدم، فأدخل يده في جيبه، ثم أخرجها بيضاء من غير سوء، من غير برص، مثل الثلج، ثم ردها، فخرجت كما كانت على لونه.

حدثنا بذلك ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن وهب بن منبه.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري، قال: ثنا شريك، عن يزيد بن أبي زياد، عن مقسم، عن ابن عباس، في قوله ( تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ) قال: من غير برص.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى ، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ( مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ) قال: من غير برص.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، في قوله ( بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ) قال: من غير برص.

< 18-298 >

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ) قال: من غير برص.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي ( تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ) قال: من غير برص.

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ( مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ) قال: من غير برص.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا حماد بن مسعدة، قال: ثنا قره، عن الحسن في قول الله ( بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ) قال: أخرجها الله من غير سوء، من غير برص، فعلم موسى أنه لقي ربه.

وقوله ( آيَةٌ أُخْرَى ) يقول: وهذه علامة ودلالة أخرى غير الآية التي أريناك قبلها من تحويل العصا حية تسعى على حقيقة ما بعثناك به من الرسالة لمن بعثناك إليه، ونصب آية على اتصالها بالفعل، إذ لم يظهر لها ما يرفعها من هذه أو هي ، وقوله ( لِئُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ) يقول تعالى ذكره: واضمم يدك يا موسى إلى جناحك، تخرج بيضاء من غير سوء، كي نريك من أدلتنا الكبرى على عظيم سلطاننا وقُدْرَتنا. وقال: الكبرى، فوحد، وقد قال ( مِنْ آيَاتِنَا ) كَمَا قَالَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وقد بينا ذلك هنالك. وكان بعض أهل البصرة يقول: إنما قيل الكبرى، لأنه أريد بها التقديم، كأن معناها عنده: لنريك الكبرى من آياتنا.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (24) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30)

< 18-299 >

يقول تعالى ذكره لنبية موسى صلوات الله عليه: (اذْهَبْ) يا موسى (إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى). يقول: إنه تجاوز قدره، وتمرد على ربه; وقد بينا معنى الطغيان بما مضى بما أغنى عن إعادته، في هذا الموضع.

وفي الكلام محذوف استغني بفهم السامع بما ذكر منه، وهو قوله ( اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ) فادعه إلى توحيد الله وطاعته، وإرسال بني إسرائيل معك ( قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ) يقول: ربِّ اشرح لي صدري، لأعي عنك ما تودعه من وحيك، وأجترئ به على خطاب فرعون

( وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ) يقول: وسهل عليّ القيام بما تكلفني من الرسالة، وتحملني من الطاعة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ( رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ) قال: جراءة لي.

وقوله ( وَاخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ) يقول: وأطلق لساني بالمنطق، وكانت فيه فيما ذكر عُجْمَةٌ عن الكلام الذي كان من إلقاءه الجمره إلى فيه يوم هم فرعون بقتله.

\* ذكر الرواية بذلك عن قاله: حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن سعيد بن جبير، في قوله: ( عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ) قال: عجمة لجمرة نار أدخلها في فيه عن أمر امرأة فرعون، تردّ به عنه عقوبة فرعون، حين أخذ موسى بلحيته وهو لا يعقل، فقال: هذا عدو لي، فقالت له: إنه لا يعقل.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح ( وَاخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ) لجمرة نار أدخلها في فيه عن أمر امرأة فرعون، تدرأ به عنه عقوبة فرعون، حين أخذ موسى بلحيته وهو لا يعقل، فقال: هذا عدو لي، فقالت له: إنه لا يعقل، هذا قول سعيد بن جبير.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي) قال: عجمة الجمره نار أدخلها في فيه، عن أمر امرأة فرعون تردّ به عنه عقوبة فرعون حين أخذ بلحيته.

< 18-300 >

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: لما تحرّك الغلام، يعني موسى، أورته أمه أسية صبا، فبينما هي ترقصه وتلعب به، إذ ناولته فرعون، وقالت: خذه، فلما أخذه إليه أخذ موسى بلحيته فنتفها، فقال فرعون: عليّ بالذباحين، قالت أسية: لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا إنما هو صبيّ لا يعقل، وإنما صنع هذا من صباه، وقد علمت أنه ليس في أهل مصر أحلى مني أنا أضع له حليا من الياقوت، وأضع له جمرا، فإن أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه، وإن أخذ الجمر فإنه هو صبيّ، فأخرجت له ياقوتها ووضعت له طستا من جمر، فجاء جبرائيل صلى الله عليه وسلم، فطرح في يده جمره، فطرحها موسى في فيه، فأحرقت لسانه، فهو الذي يقول الله عز وجل (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي \* يَفْقَهُوا قَوْلِي)، فزالت (14) عن موسى من أجل ذلك.

وقوله (يَفْقَهُوا قَوْلِي) يقول: يفقهوا عني ما أخاطبهم وأراجعهم به من الكلام (وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي) يقول: واجعل لي عوناً من أهل بيتي (هَارُونَ أَخِي).

وفي نصب هارون وجهان: أحدهما أن يكون هارون منصوباً على الترجمة عن الوزير (15).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: كان هارون أكبر من موسى.

القول في تأويل قوله تعالى: (أَشْدُّ بِهِ أَرِي (31) وَأَشْرَكُهُ فِي أَمْرِي (32) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (34) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (35))

< 18-301 >

يقول تعالى ذكره مخبراً عن موسى أنه سأل ربه أن يشدد أزره بأخيه هارون، وإنما يعني بقوله (أَشْدُّ بِهِ أَرِي) قُو ظهري، وأعني به، يقال منه: قد أزر فلان فلاناً: إذا أعانه وشدّ ظهره.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (أَشْدُّ بِهِ أَرِي) يقول: أشدد به ظهري.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( أَشَدُّ بِهِ  
أَزْرِي ) يقول: اشدد به أمري، وقووني به، فإن لي به قوّة.

وقوله ( وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ) يقول: واجعله نبيا مثل ما جعلتني نبيا، وأرسله  
معي إلى فرعون

(كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا) يقول : كي نعظمك بالتسبيح لك كثيرا(وَتَذُكَّرَكَ كَثِيرًا)  
فنحمدك (إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا) يقول : إنك كنت ذا بصر بنا لا يخفى عليك من  
أفعالنا شيء .

وذكر عن عبد الله بن أبي إسحاق أنه كان يقرأ: (أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي) بفتح الألف  
من أشدد (وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ) بضم الألف من أشركه، بمعنى الخبر من  
موسى عن نفسه، أنه يفعل ذلك، لا على وجه الدعاء، وإذا قرئ ذلك كذلك  
جزم أشدد وأشرك على الجزاء، أو جواب الدعاء، وذلك قراءة لا أرى القراءة  
بها، وإن كان لها وجه مفهوم، لخلافها قراءة الحجة التي لا يجوز خلافها.

القول في تأويل قوله تعالى : قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (36) وَلَقَدْ  
مَتَّئْنَا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (37)

يقول تعالى ذكره: قال الله لموسى صلى الله عليه وسلم: قد أعطيت ما  
سألت يا موسى ربك من شرحه صدرك وتيسيره لك أمرك، وحل عقدة  
لسانك، وتصيير أخيك هارون وزيراً لك، وشيّد أزرك به، وإشراكه في الرسالة  
> 302-18 < معك ( وَلَقَدْ مَتَّئْنَا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ) يقول تعالى ذكره: ولقد  
تطولنا عليك يا موسى قبل هذه المرة مرّة أخرى.

الهوامش:

- (1) في الأصل : إذ ، ولعله تحريف عن " إلى " .
- (2) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن ( مصور الجامعة ص 196 )  
قال : والعرب تقول : بيئاً وأما ، يريدون : بأبي وأمي ومثله ( يا ويلتا أعجزت  
( وإن شئت جعلتها يا إضافة ، وإن شئت يا ندبة . أه . والنقيع والنقيعة :  
المحض من اللبن يبرد ، قال ابن بري : شاده قول الشاعر : " . . ويكفين  
النقيع " .
- (3) البيت لكعب ( اللسان ، والتاج ، دمك ) قالوا : يقال أقمت عنده شهراً  
دميكا ، أي شهر تاماً ، قال كعب : " داب شهرين ثم شهراً دميكا " أه . ولم  
يذكر الشطر الثاني من البيت . وفي ( معجم ما استعجم للبكري ص 144 )  
قال أبو عبيدة : أريك في بلاد ذبيان . قال : وهما أريكان : أريك الأسود ،  
وأريك الأبيض ، والأريك : الجبل الصغير ويخيفان : بفتح الياء يخرجان والغير :

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

له معاني كثيرة ، منها في تاج العروس : الغمير ، كأمير : حب البهيمي الساقط من سنبله حين يبس ، أو نبات أخضر قد غمره اليبس . الخ .  
(4) البيت لامرئ القيس بن عابس الكندي . استشهد به صاحب ( اللسان : خفا ) على أن قوله لا نخفه ، بفتح النون أي لا نظهره . وكذا ترى قوله تعالى : " أكاد أخفيها " أي أظهرها ، حكاة اللحياني ، عن الكسائي ، عن محمد بن سهل ، عن سعيد بن جبير . أه . قال في اللسان : يقال خفيت الشيء : أظهرته واستخرجته ، يقال خفي المطر الفئار : إذا أخرجهن من أنفاقهن ، أي من جحرتهن . قال امرئ القيس يصف فرسا :

خفاهن من أنفاقهن كأنما

خفاهن ودق من عشي مجلب

وخفيت الشيء أخفيه : كتمته ، وهو من الأضداد ، وأخفيت الشيء : سترته وكتمته ، ورواية المؤلف البيت كما في معاني القرآن للفراء . وفي ( اللسان ؛ : خفا ) : " فإن تكتموا السر لا نخفه " .  
(5) البيت في ( اللسان : كيد ) قال : ويقال : فلان يكيد أمرا ما أدري ما هو ؟ إذا كان يريغه ، ويحتال له ، ويسعى له . وقال : " بلغوا الأمر الذي كادوا " : يريد : طلبوا أو أرادوا ، وأنشد أبو بكر في كاد بمعنى أراد ، للأفوه :

فإن تجمع أوتاد وأعمدة

وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا

أراد : الذي أرادوا ، وأنشد :

كادت وكدت وتلك خير إرادة

لو ( كان ) من أمر الصباة ما مضى

قال : معناه : ما أرادت ، قال : ويحتمله قوله تعالى : لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا لَأَن الَّذِي عَيْنٍ مِنَ الظُّلُمَاتِ آيَسَهُ مِنَ التَّأْمَلِ لِيَدَهُ ، والإبصار إليها ، والبيت شاهد على أن كاد بمعنى أراد ، استشهد به المؤلف عند قوله تعالى : أَكَادُ أَخْفِيهَا .  
(6) البيت لزيد الخيل كما قال المؤلف . واستشهد به صاحب ( اللسان : كاد ) على أن كاد قد تجيء صلة في الكلام . قال : وتكون كاد صلة للكلام ( زائدة ) ، أجاز ذلك الأخفش وقطرب وأبو حاتم ، واحتج قطرب بقول الشاعر : " سريع . الخ " . معناه : ما يتنفس قرنه ، ولكن أبا جعفر الطبري جعله شبيهاً

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

بالشاهد السابق عليه ، وتوجيه قطرب لهذا الشاهد أوضح وأحسن ، وإن التي قبل يكاد : زائدة ، أو نافية مؤكدة لما النافية قبلها .  
(7) هذا البيت من حائية ذي الرمة المشهورة (ديوان طبعة كيمبرج سنة 1919 ص 78) قال شارحه : النأي البعد ، رسيس الهوى : مسه ، وما خفي منه ، أو أوله ، ويقال : لم يجد رسيس الحمى ، واستشهد المؤلف بالبيت على أن المعنى فيه : لم يبرح - أو لم يرد يبرح ؛ وعلى هذا يكون الفعل (يكاد) زائداً في الكلام ، وقد جاء في (اللسان : رسس) رواية أخرى للبيت ، تؤيد ما ذهب إليه المؤلف ، من أن المعنى على زيادة (يكاد) ، وهي :

إِذَا عَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ يَكَدْ

رَسِيسُ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ

وهذه الرواية هي التي عدل إليها الشاعر ، حين خطأه ابن شبرمة قاضي البصرة لما سمعه ينشد القصيدة في المربد. ولكن المحققين قالوا إن بديهة ذي الرمة في الرواية الأولى ، كانت أجود من روايته ، (في الرواية الثانية) . وقد بين العلامة المحقق رضي الله الديلي الأسترايادي : محمد بن الحسن ، صواب الرواية الأولى ، بأن معنى لم يكد : لم يقرب وأن نفي مقارنة الشيء أبلغ من نفي الشيء فيكون معنى البيت : إذا غير البعاد قلوب المحبين ، فبعاد مية عني لا يذهب بما أحس لها من حب ثابت مقيم ولا يقارب أن يذهب به . (وانظر شرح الرضي على كافية ابن الحاجب ، طبعة الآستانة 2 : 306 أفعال المقاربة) . وقد أبطل الرضي زعم من زعم من النحاة أن " نفي كاد إثبات وأن إثباته نفي " وهو كلام نفيس دال على ذكائه ودقة فهمه .

(8) البيت لأبي النجم كما قال المؤلف ، والشاهد في قوله " كاد يضطلع " فقد ذهب المؤلف أن معناه : قد اضطلع الأعداء وإلا لم يكن مدحا إذا أراد كاد . ولم يرد يفعل ، وعلى التخريج للبيت يكون الفعل (كاد) صلة (زائدة) ، مثل الشاهدين السابقين عليه عنده . ويضطلع الأعداء : أي يضطلع بهم وبالخطب ، أسقط الباء ، فعدى الفعل بنفسه إلى المعمول الذي كان مجرورا بالباء قبل إسقاطها . يقال اضطلع بحمله ، أي قوي عليه ونهض به . وهو من الضلاعة أي القوة . وفي (اللسان : ضلع) : واضطلع الحمل أي احتمله أضلاعه . وقال ابن السكيت : يقال : هو مضطلع بحمله ، أي قوي على حمله ، وهو مفتعل مج الضلاعة . والنعي : الناعي الذي يخبر بموت من مات .  
(9) البيت لضائب ابن الحارث البرجمي ، حبسه الخليفة عثمان ، لأنه كان فاحشا ، هجا قوما فأراد عثمان تأديبه ، فلما دعي ليؤدب ، شد سكيننا في ساقه ، ليقتل بها عثمان ، فعثر عليه ، ثم ضرب وأعيد إلى السجن حتى مات فيه . والبيت من مقطوعة لأمية له أنشدها أبو العباس المبرد انظر (رغبة الآمل ، بشرح الكامل للمرصفي 4 : 91) .

فلا تتبعيني إن هلكت ملامة

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فليس بعار قتل من لا أقاتله  
هممت ولم أفعل وكدت وليتني  
تركت على عثمان تبكي حلائله

والشاهد في قوله : كدت ، أي كدت أفعل ما هممت به من قتل عثمان .  
وهو نظير ما في القرآن ( إن الساعة آتية أكاد ) ذهب قوم إلى أن معناه :  
أكاد أن آتي بها . ثم ابتداء فقال : ولكني أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى  
والبيت لضابئ لا لابنه كما قال المؤلف .  
(10) لم أجد هذا البيت في ديوان الفرزدق ، وهو من شواهد أبي عبيدة  
( اللسان : سرر ) قال : أسررت الشيء : أخفيته ، وأسررته : أعلنته ، ومن  
الإظهار قوله تعالى : ( وأسروا الندامة لما رأوا العذاب ) أي أظهروها . وأنشد  
الفرزدق \* فلما رأى الحجاج جرد سيفه \*

البيت . قال شمر : لم أجد هذا البيت للفرزدق وما قال غير أبي عبيدة في  
قوله " وأسروا الندامة " أي أظهروها . قال : ولم أسمع ذلك لغيره . قال  
الأزهري : وأهل اللغة أنكروا أبي عبيدة أشد الإنكار . وقيل : أسروا الندامة :  
يعني : الرؤساء من المشركين أسروا الندامة في سفلتهم الذين أضلوهم ،  
وأسروها : أخفوها وكذلك قال الزجاج ، وهو قول المفسرين . والحروري :  
الخارجي نسبة إلى حروراء ، وهو أول مجتمعاتهم لما نابذوا أمير المؤمنين  
عليها ، وأظهروا التحكيم " لا حكم إلا لله " . فسموا المحكمة ، والحرورية ،  
والخوارج .

(11) البيت لزيد بن مفرغ الحميري ، يخاطب بغلته حين هرب من عبيد الله  
بن زياد وأخيه عباد ، وكان ابن مفرغ يهجوها إذا تأخر عليه العطاء ، وله  
قصة مشهورة . وعدس : زجر للبلغ ، أو اسم له . ويروي نجوت في مكان :  
أمنت ( اللسان : عدس ) . وهذا : اسم إشارة ، وقد وصل بجملة تحملين ،  
فصار من الأسماء الموصولة في قول بعض النحويين . هذا : مبتدأ وجملة  
تحملين : صلة ؛ وطلق : خبر المبتدأ . أي والذي تحملينه طليق ، ليس لأحد  
عليه سلطان .

(12) في ( اللسان : هش ) : الهش أن تنثر ورق الشجر بعصا . هش الغصن  
يهشه هشا خطبه فألقى ورقه لغنمه ، ومنه قوله عز وجل : وَأَهْشُ بِهَا عَلَى  
عَتَمِي قال الفراء : أي أضرب بها الشجر اليايس ، ليسقط ورقها ، فترعاه  
غنمه . والأراك والبشام : نوعان من الشجر ترتعيهما الماشية ، وفي أغصانها  
لين وقد تأكلها الماشية إذا كانت خضراء .

(13) في ( اللسان : جنح ) : وجناحا الطائر : يده . وجناح الإنسان يده . ويده  
الإنسان : جناحاه . وقال الزجاج : الجناح : العضد ، ويقال : اليد كلها جناح . أه  
وجناحا العسكر جانباه ، وجناحا الوادي : مجريان عن يمينه وشماله . أه .  
ولم أقف على قائل الرجز .

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(14) في النسخة رقم 100 دار الكتب المصرية : فتراللت ، ولعله : فزالت ، أي العقدة .

(15) لم يبين المؤلف الوجه الثاني في نصب هارون ، وقد بينه الشوكاني في تفسيره " فتح القدير " طبعة الحلبي . 3 : 351 قال : وانتصاب " وزيراً " و " هارون " : على أنهما مفعولا أجعل . وقيل مفعولاه : " لي وزيراً " ، ويكون هارون عطف بيان للوزير . أه . قلت : وعني المؤلف بالترجمة : البدل . وهو أخو عطف البيان .

القول في تأويل قوله تعالى : **إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ (38)**

وذلك حين أوحينا إلى أمك، إذ ولدتك في العام الذي كان فرعون يقتل كل مولود ذكر من قومك ما أوحينا إليها؛ ثم فسّر تعالى ذكره ما أوحى إلى أمه، فقال: هو أن اقذفه في التابوت، فإن في موضع نصب ردّاً على " ما " التي في قوله (ما يُوحَى)، وترجمة عنها.

القول في تأويل قوله تعالى : **أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفيه فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي (39)**

يقول تعالى ذكره: ولقد مننا عليك يا موسى مرّة أخرى حين أوحينا إلى أمك، أن اقذفي ابنك موسى حين ولدتك في التابوت (فاقذفيه في اليم) يعني باليم: النيل (فليلقه اليم بالساحل) يقول: فاقذفيه في اليم، يلقه اليم بالساحل، وهو جزاء أخرج مخرج الأمر، كان اليم هو المأمور، كما قال جل ثناؤه: **اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْتَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ** يعني: اتبعوا سبيلنا نحمل عنكم خطاياكم، ففعلت ذلك أمه به فألقاه اليم بمشّرة آل فرعون.

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما ولدت موسى أمه أَرْضَعَتْهُ، حتى إذا أمر فرعون بقتل الولدان من سنته تلك عمدت إليه، فصنعت به ما أمرها الله تعالى، جعلته في تابوت صغير، ومهدت له فيه، ثم عمدت إلى النيل فقذفته فيه، وأصبح فرعون في مجلس له كان يجلسه على شفير النيل كلّ غداة، فبينما هو جالس، إذ مرّ النيل بالتابوت فقذف به وأسية ابنة مُرَّاحم امرأته جالسة إلى جنبه، فقال: إن هذا لشيء في البحر، فأتوني به، فخرج إليه أعوانه حتى جاءوا به، ففتح التابوت فإذا فيه صبيّ في مهده، فألقى الله عليه محبته، وعطف عليه نفسه. وعنى جلّ ثناؤه بقوله (يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ) فرعون هو العدو، كان لله ولموسى.

< 18-303 >

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله (فاقذفيه في اليم) وهو البحر، وهو النيل.

واختلف أهل التأويل في معنى المحبة التي قال الله جلّ ثناؤه (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي) فقال بعضهم: عنى بذلك أنه حبه إلى عباده.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني الحسين بن عليّ الصدائي والعباس بن محمد الدوري، قالا ثنا حسين الجعفي عن موسى بن قيس الحضرمي، عن سلمة بن كهيل، في قول الله ( وَالْقَيْثُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ) قال عباس: حبيتك إلى عبادي، وقال الصدائي: حبيتك إلى خلقي.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أي حسنت خلقك.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني إبراهيم بن مهدي، عن رجل، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، قوله ( وَالْقَيْثُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ) قال: حسنا وملاحة.

قال أبو جعفر: والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله ألقى محبته على موسى، كما قال جل ثناؤه ( وَالْقَيْثُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ) فحبه إلى آسية امرأة فرعون، حتى تبنته وغدته وربته، و إلى فرعون، حتى كف عنه عاديته وشربه، وقد قيل: إنما قيل: وألقيت عليك محبة مني، لأنه حبه إلى كل من رآه. ومعنى ( وَالْقَيْثُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ) حبيتك إليهم، يقول الرجل لآخر إذا أحبه: ألقى عليك رحمتي: أي محبتي.

"39"

القول في تأويل قوله تعالى : وَلِئَصِّغَ عَلَيَّ عَيْنِي (39) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَيَّ قَدَرًا يَا مُوسَىٰ (40)

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( وَلِئَصِّغَ عَلَيَّ عَيْنِي ) فقال بعضهم: > 304-18 < معناه: ولتغذى وتربى على محبتي وإرادتي.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: هو غذاؤه، ولتغذى على عيني.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( وَلِئَصِّغَ عَلَيَّ عَيْنِي ) قال: جعله في بيت الملك ينعم ويترف غذاؤه عندهم غذاء الملك، فتلك الصنعة.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وأنت بعيني في أحوالك كلها.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج ( وَلِئَصْنَعِ عَلِيَّ عَيْنِي ) ( قَالَ: أَنْتَ بَعِينِي إِذْ جَعَلْتِكَ أَمَكُ فِي التَّابُوتِ، ثُمَّ فِي الْبَحْرِ، وَ ( إِذْ تَمْشِي أَحْتُكَ ) . وقرأ ابن نهيك ( وَلِئَصْنَعِ ) بفتح التاء.

وتأوله كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبد المؤمن، قال: سمعت أبا نهيك يقرأ ( وَلِئَصْنَعِ عَلِيَّ عَيْنِي ) فسألته عن ذلك، فقال: ولتعمل على عيني.

قال أبو جعفر: والقراءة التي لا أستجيز القراءة بغيرها ( وَلِئَصْنَعِ ) بضم التاء، لإجماع الحجة من القراء عليها.

وإذ كان ذلك كذلك، فأولى التأويلين به، التأويل الذي تأوله قتادة، وهو ( وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ) ولتغذي على عيني، ألقيت عليك المحبة مني ، وعني بقوله ( عَلِيَّ عَيْنِي ) بمرأى مني ومحبة وإرادة.

وقوله ( إِذْ تَمْشِي أَحْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَيَّ مَنْ يَكْفُلُهُ ) يقول تعالى ذكره: حين تمشي أحتك تتبعك حتى وجدتك، ثم تأتي من يطلب المراضع لك، فتقول: هل أدلكم على من يكفله؟ وحذف من الكلام ما ذكرت بعد قوله ( إِذْ تَمْشِي أَحْتُكَ ) استغناء بدلالة الكلام عليه.

وإنما قالت أخت موسى ذلك لهم لما حدثنا موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: لما ألقته أمه في اليم ( قَالَتْ لِأَخْتِي قُصِّيهِ ) فلما التقطه آل فرعون، وأرادوا له المرضعات، فلم يأخذ من أحد من > 18- 305 < النساء، وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند فرعون في الرضاع، فأبى أن يأخذ، فقالت أخته: هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَيَّ أَهْلَ بَيْتِ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ؟ فأخذوها وقالوا: بل قد عرفت هذا الغلام، فدلينا على أهله، قالت: ما أعرفه، ولكن إنما قلت هم للملك ناصحون.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: قالت، يعني أم موسى لأخته: قصيه فانظري ماذا يفعلون به، فخرجت في ذلك قَبَصَرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وقد احتاج إلى الرضاع والتمس الثدي، وجمعوا له المراضع حين ألقى الله محبتهم عليه، فلا يؤتى بامرأة، فيقبل ثديها، فيرضعهم ذلك، فيؤتى بمرضع بعد مرضع، فلا يقبل شيئاً منهم، فقالت لهم أخته حين رأت من وجدهم به وحرصهم عليه هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَيَّ أَهْلَ بَيْتِ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ أي لمنزلته عنديكم وحرصكم على مسرة الملك ، وعنى بقوله: ( هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَيَّ مَنْ يَكْفُلُهُ ) هل أدلكم على من يضمه إليه فيحفظه ويرضعه ويربيه، وقيل: معنى وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ضمها.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله ( فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ) يقول تعالى ذكره: فرددناك إلى أمك بعد ما صرت في أيدي آل فرعون، كيما تقرّ عينها بسلامتك ونجاتك من القتل والغرق في اليم، وكيلا تحزن عليك من الخوف من فرعون عليك أن يقتلك.

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما قالت أخت موسى لهم ما قالت، قالوا: هات، فأنت أمه فأخبرتها، فانطلقت معها حتى أتتهم، فناولوها إياه، فلما وضعته في حجرها أخذ ثديها، وسرّوا بذلك منه، وردّه الله إلى أمه كي تقرّ عينها، ولا تحزن، فبلغ لطف الله لها وله، أن ردّها عليها ولدها وعطف عليها نفع فرعون وأهل بيته مع الأمانة من القتل الذي يتخوف على غيره، فكانهم كانوا من أهل بيت فرعون في الأمان والسعة، فكان على فرش فرعون وسرره.

وقوله ( وَقَتَلْتَ نَفْسًا ) يعني جلّ ثناؤه بذلك: قتله القبطي الذي قتله حين استغاثه عليه الإسرائيلي، فوكزه موسى. وقوله ( فَتَجَنَّبَاكَ مِنَ الْعَمِّ ) يقول تعالى ذكره: فنجيناك من غمك بقتلك النفس التي قتلت، إذ أرادوا أن يقتلوك < 306-18 > بها فخلصناك منهم، حتى هربت إلى أهل مدين، فلم يصلوا إلى قتلك وقودك.

وكان قتله إياه فيما ذكر خطأ، كما حدثني واصل بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن فضيل، عن أبيه، عن سالم، عن عبد الله بن عمر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إِنَّمَا قَتَلَ مُوسَى الَّذِي قَتَلَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ حَطًّا، فَقَالَ اللَّهُ لَهُ ( وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَتَجَنَّبَاكَ مِنَ الْعَمِّ وَقَتْنَاكَ فُتُوًّا )".

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، ومحمد بن عمرو، قالوا ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ( فَتَجَنَّبَاكَ مِنَ الْعَمِّ ) قال: من قتل النفس.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( فَتَجَنَّبَاكَ مِنَ الْعَمِّ ) النفس التي قتل.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( وَقَتْنَاكَ فُتُوًّا ) فقال بعضهم: ابتليناك ابتلاء واختبرناك اختبارا.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ( وَقَتْنَاكَ فُتُوًّا ) يقول: اختبرناك اختبارا.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، ( وَفَتَّانَكَ فَتُونًا ) قال: ابتليت بلاء.

حدثني العباس بن الوليد الأملي، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا أصبغ بن زيد الجهني، قال: أخبرنا القاسم بن أيوب، قال: ثني سعيد بن جبير، قال: سألت عبد الله بن عباس، عن قول الله لموسى ( وَفَتَّانَكَ فَتُونًا ) فسألته على الفتون ما هي؟ فقال لي: استأنف النهار يا بن جبير، فإن لها حديثًا طويلاً قال: فلما أصبحت غدوت على ابن عباس لانتجز منه ما وعدني، قال: فقال ابن عباس: تذاكر فرعون وجلساؤه ما وعد الله إبراهيم أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكا، فقال بعضهم: إن بني إسرائيل ينتظرون ذلك وما يشكون، ولقد كانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب؛ فلما هلك قالوا: ليس هكذا كان الله وعد إبراهيم، فقال فرعون: فكيف ترون؟ قال: فأتروا بينهم، وأجمعوا أمرهم على < 307-18 > أن يبعث رجلا معهم الشفار يطوفون في بني إسرائيل، فلا يجدون مولودًا ذكرًا إلا ذبحوه؛ فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بأجالهم، وأن الصغار يذبحون، قالوا: يوشك أن تفنوا بني إسرائيل، فتصيرون إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة التي كانوا يكفونكم، فاقتلوا عاما كل مولود ذكر، فيقل أبناؤهم، ودعوا عاما لا تقتلوا منهم أحدا، فتشبه الصغار مكان من يموت من الكبار، فإنهم لن يكثرُوا بمن تستحيون منهم، فتخافون مكائرتهم إياكم، ولن يقلوا بمن تقتلون، فأجمعوا أمرهم على ذلك.

فحملت أم موسى بهارون في العام المقبل الذي لا يذبح فيه الغلمان، فولدته علانية آمنة، حتى إذا كان العام المقبل حملت بموسى، فوقع في قلبها الهم والحزن، وذلك من الفتون يا ابن جبير، مما دخل عليه في بطن أمه مما يراى به، فأوحى الله إليها وَلَا تَحَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ وأمرها إذا ولدته أن تجعله في تابوت ثم تلقيه في اليم، فلما ولدته فعلت ما أمرت به، حتى إذا توارى عنها ابنها أنها إبليس، فقالت في نفسها: ما صنعت بابني لو ذبح عندي، فواريته وكفنته كان أحب إلي من أن ألقيه بيدي إلى حيطان البحر ودوابه، فانطلق به الماء حتى أوفى به عند فرضة مستقى جوارى آل فرعون، فرأينه فأخذته، فهممن أن يفتح الباب، فقال بعضهن لبعض: إن في هذا مالا وإنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة فرعون بما وجدنا فيه، فحملته كهيئته لم يحركن منه شيئا، حتى دفعنه إليها؛ فلما فتحته رأت فيه الغلام، فألقى عليه منها محبة لم يلق مثلها منها على أحد من الناس وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى قَارِعًا من كل شيء إلا من ذكر موسى ، فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا إلى امرأة فرعون بشفارهم، يريدون أن يذبحوه، وذلك من الفتون يا ابن جبير، فقالت للذباحين: انصرفوا عني، فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل، فأتي فرعون فاستوهبه إياه، فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وأجملتم، وإن أمر بذبحه لم ألكم، فلما أتت به فرعون قالت فُرَّةٌ عَيْنٌ لِي وَلَكَ قال فرعون: يكون لك، وأما أنا فلا حاجة لي فيه، فقال: والذي يحلف به لو أقر فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت به، لهداه الله به كما هدى به امرأته، ولكن الله حرمه ذلك، فأرسلت إلى من حولها من كل أشى لها لبن، لتختار له ظئرا، فجعل كلما أخذته امرأة منهم

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

لترضعه لم يقبل ثديها، حتى < 308-18 > أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت، فحزنها ذلك، فأمرت به فأخرج إلى السوق مجمع الناس ترجو أن تصيب له ظئرا يأخذ منها، فلم يقبل من أحد، وأصبحت أم موسى، فقالت لأخته: قصيه واطليبه، هل تسمعين له ذكرا، أحي ابني، أو قد أكلته دواب البحر وحيثانه؟ ونسيت الذي كان الله وعدها، فبصرت به أخته عن جنب وهم لا يشعرون، فقالت من الفرح حين أعياهم الطؤورات: أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون، فأخذوها وقالوا: وما يدريك ما نصحهم له، هل يعرفونه حتى شكوا في ذلك، وذلك من الفتون < 309-18 > يا ابن جبير، فقالت: نصحهم له وشفقتهم عليه، رغبتهم في طؤورة الملك، ورجاء منفعتهم، فتركوها، فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخبر، فجاءت، فلما وضعت في حجرها نزا إلى ثديها حتى امتلأ جنباه، فانطلق البُشراء إلى امرأة فرعون يبشرونها أن قد وجدنا لابنك ظئرا، فأرسلت إليها، فأتيت بها وبه، فلما رأت ما يصنع بها قالت: امكثي عندي حتى ترضعي ابني هذا فإنني لم أحبّ حبه شيئا قط، قال: فقالت: لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي، فيضيع، فإن طابت نفسك أن تعطينيه، فأذهب به إلى بيتي فيكون معي لا آله خيرا فعلت، وإلا فإنني غير تاركة بيتي وولدي، وذكرت أم موسى ما كان الله وعدها، فتعاسرت على امرأة فرعون، وأيقنت أن الله تبارك وتعالى منجز وعده، فرجعت بابنها إلى بيتها من يومها، فأنبته الله نباتا حسنا، وحفظه لما قضى فيه، فلم يزل بنو إسرائيل وهم مجتمعون في ناحية المدينة يمتنعون به من الظلم والسخره التي كانت فيهم.

فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى: أزيريني ابني فوعدها يوما تزيرها إياه فيه، فقالت لخواصها وطؤورتها وقهارمتها: لا يبقين أحد منكم إلا استقبل ابني بهدية وكرامة ليري ذلك، وأنا باعثة أمينة تحصي كل ما يصنع كل إنسان منكم، فلم تزل الهدية والكرامة والتحف تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون، فلما دخل عليها نحلته وأكرمته، وفرحت به، وأعجبها ما رأت من حُسن أثرها عليه، وقالت: انطلقن به إلى فرعون، فلينحله، وليكرمه، فلما دخلوا به عليه جعلته في حجره، فتناول موسى لحيه فرعون حتى مدها، فقال عدو من أعداء الله: ألا ترى ما وعد الله إبراهيم أنه سيصرعك ويعلوك، فأرسل إلي الذباحين ليذبحوه وذلك من الفتون يا بن جبير، بعد كل بلاء ابتلي به وأريد به، فجاءت امرأة فرعون تسعى إلى فرعون، فقالت: ما بدا لك في هذا الصبي الذي قد وهبته لي؟ قال: ألا ترى يزعم أنه سيصرعني ويعلونني، فقالت: اجعل بيني وبينك أمرا تعرف فيه الحق، أنت بجمرتين ولؤلؤتين، فقربهنّ إليه، فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين علمت أنه يعقل، وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين، فاعلم أن أحدا لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل، فقرب ذلك إليه، فتناول الجمرتين، فنزعوهما منه مخافة أن تحرقا يده، فقالت المرأة: ألا ترى؟ فصرفه الله عنه بعد ما قد همّ به، وكان الله بالغا فيه أمره.

فلما بلغ أشده، وكان من الرجال، لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا سخره، حتى امتنعوا كل امتناع، فبينما

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

هو يمشي ذات يوم في ناحية المدينة، إذ هو برجلين يقتتلان، أحدهما من بني إسرائيل، والآخر من آل فرعون، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني، فغضب موسى واشتد غضبه، لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل، وحفظه لهم، ولا يعلم الناس إلا أنما ذلك من قبل الرضاة غير أم موسى، إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره؛ فوكر موسى الفرعوني فقتله، وليس يراها أحد إلا الله والإسرائيلي، فقال موسى حين قتل الرجل: ( هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ) ثُمَّ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ فَاصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ الْأَخْبَارَ، فَاتَى فِرْعَوْنَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَتَلُوا رَجُلًا مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، فَخُذْ لَنَا بِحَقِّنَا وَلَا تَرْخِصْ لَهُمْ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: ابْغُونِي قَاتِلَهُ وَمَنْ يَشْهَدُ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ أَنْ يَقْضِيَ بغير بَيِّنَةٍ وَلَا ثَبَتٍ، فَطَلَبُوا لَهُ ذَلِكَ؛ فبينما هم يطوفون لا يجدون تَبَتًا، إِذْ مَرَّ مُوسَى مِنَ الْغَدِ، فَرَأَى ذَلِكَ الْإِسْرَائِيلِيَّ يُقَاتِلُ فِرْعَوْنَ، فَاسْتِغَاثَهُ الْإِسْرَائِيلِيَّ عَلَى الْفِرْعَوْنِي، فَصَادَفَ مُوسَى وَقَدْ نَدِمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ بِالْأَمْسِ وَكَرِهَ الَّذِي رَأَى، فَغَضِبَ مُوسَى، فَمَدَّ يَدَهُ وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَبْطِشَ بِالْفِرْعَوْنِي، قَالَ لِلْإِسْرَائِيلِيَّ لِمَا فَعَلَ بِالْأَمْسِ وَالْيَوْمِ إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ فَنَظَرَ الْإِسْرَائِيلِيَّ مُوسَى بَعْدَ مَا قَالَ، فَإِذَا هُوَ غَضْبَانٌ كَغَضْبِهِ بِالْأَمْسِ الَّذِي قَتَلَ فِيهِ < 310-18 > الْفِرْعَوْنِي، فَخَافَ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ مَا قَالَ لَهُ إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ أَنْ يَكُونَ إِيَّاهُ أَرَادَ، وَلَمْ يَكُنْ أَرَادَهُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ الْفِرْعَوْنِي، فَخَافَ الْإِسْرَائِيلِيَّ، فَحَاجَزَ الْفِرْعَوْنِي فَقَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ إِيَّاهُ أَرَادَ مُوسَى لِيَقْتُلَهُ، فَتَتَارَكَ؛ فَانْطَلَقَ الْفِرْعَوْنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا سَمِعَ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّ مِنَ الْخَبَرِ حِينَ يَقُولُ: أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ؟ فَارْسَلْ فِرْعَوْنَ الذَّبَاحِينَ، فَسَلَكَ مُوسَى الطَّرِيقَ الْأَعْظَمَ، فَطَلَبُوهُ وَهُمْ لَا يَخَافُونَ أَنْ يَفُوتَهُمْ. وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ شَيْعَةِ مُوسَى مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ، فَاخْتَصَرَ طَرِيقًا قَرِيبًا حَتَّى سَبَقَهُمْ إِلَى مُوسَى، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، وَذَلِكَ مِنَ الْفِتُونِ يَا بَنَ جُبَيْرٍ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: (فُتُونًا) قال: بلاء، إلقاءه في التابوت، ثم في البحر، ثم التقاط آل فرعون إياه، ثم خروجه خائفًا.

قال محمد بن عمرو، وقال أبو عاصم: خائفًا، أو جائعًا " شكُّ أبو عاصم "، وقال الحارث: خائفًا يترقب، ولم يشك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله وقال: خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ، ولم يشك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله ( وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ) يقول: ابتليناك بلاء.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حُدِّثَ عن الحسين، قال: سمعت أبا مُعَاذٍ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله ( وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ) هو البلاء على إثر البلاء.

وقال آخرون: معنى ذلك: أخلصناك.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ( وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ) أخلصناك إخلاصًا.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن يعلى بن مسلم، قال: سمعت سعيد بن جبیر، يفسر هذا الحرف ( وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ) قال: أخلصناك إخلاصًا.

< 18-311 >

قال أبو جعفر: وقد بيَّنا فيما مضى من كتابنا هذا معنى الفتنة، وأنها الابتلاء والاختبار بالأدلة المُغنية عن الإعادة في هذا الموضوع.

وقوله ( فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ) وهذا الكلام قد حذف منه بعض ما به تمامه اكتفاءً بدلالة ما ذكر عما حذف. ومعنى الكلام: وفتناك فتونا، فخرجت خائفًا إلى أهل مدين، فلبثت سنين فيهم.

وقوله ( ثُمَّ جِئْتَ عَلَيَّ قَدَرًا يَا مُوسَى ) يقول جل ثناؤه: ثم جئت للوقت الذي أردنا إرسالك إلى فرعون رسولاً ولمقداره.

وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ( ثُمَّ جِئْتَ عَلَيَّ قَدَرًا يَا مُوسَى ) يقول: لقد جئت لميقات يا موسى.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن مجاهد، قال ( عَلَيَّ قَدَرًا يَا مُوسَى ) قال: موعده.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: علي ذي موعده.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: (عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى) قال: قدر الرسالة والنبوة، والعرب تقول: جاء فلان على قدر: إذا جاء لميقات الحاجة إليه; ومنه قول الشاعر:

نالَ الخِلافةَ أو كاتَتْ لَهُ قَدْرًا

كَمَا أتى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرٍ (1)

< 18-312 >

القول في تأويل قوله تعالى : (وَاصْطَلَعْتَكَ لِنَفْسِي (41) اذْهَبْ أَنْتَ وَأُخُوكَ بَيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (42) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43)

يقول تعالى ذكره: (وَاصْطَلَعْتَكَ لِنَفْسِي) أنعمت عليك يا موسى هذه النعم، ومننت عليك هذه المنن، اجتباء مني لك، واختيارا لرسالتي والبلاغ عني، والقيام بأمرى ونهبي (اذْهَبْ أَنْتَ وَأُخُوكَ) هارون (بَيَاتِي) يقول: بأدلتى وحججى، اذهبا إلى فرعون بها إنه تمرد في ضلاله وغيه، فأبلغاه رسالتي (وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي) يقول: ولا تضعفا في أن تذكراي فيما أمرتكما ونهيتكما، فإن ذكركما إياي يقوي عزائمكما، ويثبت أقدامكما، لأنكما إذا ذكرتماني، ذكرتما مني عليكما نعمة، ومننا لا تحصى كثرة، يقال منه: ونى فلان في هذا الأمر، وعن هذا الأمر: إذا ضعف، وهو يني ونيا كما قال العجاج:

فَمَا وَنَى مُحَمَّدٌ مُدُّ أَنْ غَفَرَ

لَهُ الْإِلَهُ مَا مَصَى وَمَا غَيَّرَ (2)

وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله (وَلَا تَنِيَا) يقول: لا تبطنأ.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي) يقول: ولا تضعفا في ذكري.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح، عن < 313-18 > مجاهد، قوله ( وَلَا تَنبِيَا فِي ذِكْرِي ) قال: لا تضعفا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد (تَنبِيَا) تضعفا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( وَلَا تَنبِيَا فِي ذِكْرِي ) يقول: لا تضعفا في ذكره.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله ( وَلَا تَنبِيَا فِي ذِكْرِي ) قال: لا تضعفا.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَلَا تَنبِيَا فِي ذِكْرِي ) يقول: لا تضعفا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( وَلَا تَنبِيَا فِي ذِكْرِي ) قال: الواني: هو الغافل المفرط ذلك الواني.

القول في تأويل قوله تعالى : فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44)  
قَالَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْزُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّعَى (45)

يقول تعالى ذكره لموسى وهارون: فقولا لفرعون قولا لينا ، ذكر أن القول اللين الذي أمرهما الله أن يقولا له، هو أن يكنياه.

حدثني جعفر ابن ابنة إسحاق بن يوسف الأزرق، قال: ثنا سعيد بن محمد الثقفي، قال: ثنا علي بن صالح، عن السدي: ( فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا ) قال: كنياه.

وقوله ( لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ) اختلف في معنى قوله (لَعَلَّهُ) في هذا الموضع، فقال بعضهم معناها ها هنا الاستفهام، كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى: فقولا له قولا لينا، فانظرا هل يتذكر ويراجع أو يخشى الله فيرتدع عن طغيانه.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله ( لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ) يقول: هل يتذكر أو يخشى.

وقال آخرون: معنى لعل ها هنا كي. ووجهوا معنى الكلام إلى اذْهَبَا < 314-18 > إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فادعواه وعظاه ليتذكر أو يخشى، كما يقول القائل: اعمل عملك لعلك تأخذ أجرك، بمعنى: لتأخذ أجرك، وافرج من عملك لعلنا



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

تَغَدَّى، بمعنى: لتغدى، أو حتى تتغدى، ولكلا هذين القولين وجه حسن، ومذهب صحيح.

وقوله ( قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا ) يقول تعالى ذكره: قال موسى وهارون: ربنا إننا نخاف فرعون إن نحن دعوناه إلى ما أمرتنا أن ندعوه إليه، أن يعجل علينا بالعقوبة، وهو من قولهم: فرط مني إلى فلان أمر: إذا سبق منه ذلك إليه، ومنه: فارط القوم، وهو المتعجل المتقدم أمامهم إلى الماء أو المنزل كما قال الراجز:

قَدْ فَرَطَ الْعِلْجُ عَلَيْنَا وَعَجِلُ (3)

وأما الإفراط: فهو الإسراف والإشطاط والتعدّي ، يقال منه: أفرطت في قولك: إذا أسرف فيه وتعدّي.

وأما التفريط: فإنه التواني ، يقال منه: فرطت في هذا الأمر حتى فات: إذا تواني فيه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى ، وحدثني الجارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ( أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا ) قال: عقوبة منه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، عن مجاهد، مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّعَى ) قال: نخاف أن يعجل علينا إذ نبغاه كلامك أو أمرك، يفرط ويعجل. وقرأ لا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى .

< 18-315 >

القول في تأويل قوله تعالى : قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى (46)  
فَاتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ  
بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أُمَّةٍ الْهُدَى (47)

يقول الله تعالى ذكره: قال الله لموسى وهارون (لا تخافا) فرعون (إِنِّي مَعَكُمْ) أعينكما عليه، وأبصركما (أَسْمَعُ) ما يجري بينكما وبينه، فأفهمكما ما



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

تجاورانه به (وَأَرَى) ما تفعلان ويفعل، لا يخفى عليّ من ذلك شيء (فَأْتِيَاهُ فَقُولَا لَهُ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ).

وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج ( قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ) ما يحاوركما، فأوحى إليكما فتجاوبانه.

وقوله ( فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ) أرسلنا إليك يأمرُك أن ترسل معنا بني إسرائيل، فأرسلهم معنا ولا تعذبهم بما تكلفهم من الأعمال الرديئة ( قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ ) معجزة ( مِنْ رَبِّكَ ) على أنه أرسلنا إليك بذلك، إن أنت لم تصدقنا فيما نقول لك أربناكها، ( والسلام على من اتبع الهدى ) يقول: والسلامة لمن اتبع هدى الله، وهو بيانه، يقال: السلام على من اتبع الهدى، ولمن اتبع بمعنى واحد.

القول في تأويل قوله تعالى : إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (48) قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)

يقول تعالى ذكره لرسوله موسى وهارون: قولوا لفرعون إنا قد أوحى إلينا ربك أن عذابه الذي لا نفاذ له، ولا انقطاع على من كذب بما ندعوه إليه من > 316-18 < توحيد الله وطاعته، وإجابة رسله (وتولى) يقول: وأدبر مُعرضاً عما جئناه به من الحق.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ) كذب بكتاب الله، وتولى عن طاعة الله.

وقوله ( قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ) في هذا الكلام متروك، ترك ذكره استغناءً بدلالة ما ذكر عليه عنه، وهو قوله: (فَأْتِيَاهُ) فقالا له ما أمرهما به ربهما وأبلغاه رسالته، فقال فرعون لهما (فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ) فخاطب موسى وحده بقوله: يا موسى، وقد وجه الكلام قبل ذلك إلى موسى وأخيه. وإنما فعل ذلك كذلك، لأن المجاورة إنما تكون من الواحد وإن كان الخطاب بالجماعة لا من الجميع، وذلك نظير قوله نَسِيًا حُوتَهُمَا وكان الذي يحمل الحوت واحد، وهو فتى موسى، يدل على ذلك قوله قَائِي نَسِيْتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أذْكَرَهُ .

وقوله ( قَالَ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ) يقول تعالى ذكره: قال موسى له مجيباً: ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه، يعني: نظير خلقه في الصورة والهيئة كالذكور من بني آدم. أعطاهم نظير خلقهم من الإناث أزواجاً،

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وكالذكور من البهائم، أعطاهما نظير خلقها، وفي صورتها وهيئتها من الإناث أزواجا، فلم يعط الإنسان خلاف خلقه، فيزوجه بالإناث من البهائم، ولا البهائم بالإناث من الإنس، ثم هداهم للمأتي الذي منه النسل والنماء كيف يأتيه، ولسائر منافع من المطاعم والمشارب، وغير ذلك.

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: بنحو الذي قلنا فيه.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) يقول: خلق لكل شيء زوجة، ثم هداه لمنكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه ومولده.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ (قَالَ < 317-18 > رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) يقول: أعطى كل دابة خلقها زوجا، ثم هدى للنكاح.

وقال آخرون: معنى قوله (ثُمَّ هَدَى) أنه هداهم إلى الألفة والاجتماع والمناحة.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) يعني: هدى بعضهم إلى بعض، ألف بين قلوبهم وهداهم للتزويج أن يزوّج بعضهم بعضا.

وقال آخرون: معنى ذلك: أعطى كل شيء صورته، وهي خلقه الذي خلقه به، ثم هداه لما يصلحه من الاحتياال للغذاء والمعاش.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب وأبو السائب، قالا ثنا ابن إدريس، عن ليث، عن مجاهد، في قوله (أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) قال: أعطى كل شيء صورته ثم هدى كل شيء إلى معيشته.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله (أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) قال: سوّى خلق كل دابة، ثم هداها لما يصلحها، فعلمها إياها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا ججاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: (رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) قال: سوّى خلق كل دابة

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ثم هداها لما يُصلحها وعَلَّمها إياه، ولم يجعل الناس في خلق البهائم، ولا خلق البهائم في خلق الناس، ولكن خلق كل شيء فقدره تقديراً.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن حميد عن مجاهد ( أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ) قال: هداه إلى حيلته ومعيشته.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أعطى كل شيء ما يُصلحه، ثم هداه له.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: < 318-18 > أخبرنا معمر، عن قتادة، قوله ( أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ) قال: أعطى كل شيء ما يُصلحه. ثم هداه له.

قال أبو جعفر: وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في تأويل ذلك، لأنه جل ثناؤه أخبر أنه أعطى كل شيء خلقه، ولا يعطي المعطي نفسه، بل إنما يعطي ما هو غيره، لأن العطية تقتضي المعطي المُعطى والعطية، ولا تكون العطية هي المُعطى، وإذا لم تكن هي هو، وكانت غيره، وكانت الصورة كل خلق بعض أجزائه، كان معلوماً أنه إذا قيل: أعطى الإنسان صورته، إنما يعني أنه أعطى بعض المعاني التي به مع غيره دعي إنساناً، فكان قائله قال: أعطى كل خلق نفسه، وليس ذلك إذا وجه إليه الكلام بالمعروف من معاني العطية، وإن كان قد يحتمله الكلام. فإذا كان ذلك كذلك، فالأصوب من معانيه أن يكون موجهاً إلى أن كل شيء أعطاه ربه مثل خلقه، فزوجه به، ثم هداه لما بيّننا، ثم ترك ذكر مثل، وقيل ( أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ) كما يقال: عبد الله مثل الأسد، ثم يحذف مثل، فيقول: عبد الله الأسد.

القول في تأويل قوله تعالى : قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (51)

يقول تعالى ذكره: قال فرعون لموسى، إذ وصف موسى ربه جلّ جلاله بما وصفه به من عظيم السلطان، وكثرة الإنعام على خلقه والأفضال: فما شأن الأمم الخالية من قبلنا لم تقرّ بما تقول، ولم تصدّق بما تدعو إليه، ولم تخلص له العبادة، ولكنها عبدت الآلهة والأوثان من دونه، إن كان الأمر على ما تصف من أن الأشياء كلها خلقه، وأنها في نعمته تتقلب، وفي منته تتصرف

الهوامش:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(1) هذا البيت لجريز ، من قصيدة عدة تسعة وعشرون بيتا في ديوانه ( طبعة الصاوي بالقاهرة 274 - 276 ) والرواية فيه : " نال الخلافة " كرواية المؤلف ، وفي بعض كتب الشواهد : " جاء الخلافة " . وفي هامش الديوان : وبرى : " عز الخلافة " البيت . ومحل الشاهد في البيت ، قوله : " على قدر " فإن معناه : القضاء الموافق . قال في ( اللسان : قدر ) : يقال : قدر الإله كذا تقديرا ؛ وإذا وافق الشيء الشيء قلت : جاء قدره ، وقال ابن سيده : القدر والقدر ( بسكون الدال وتحريكها ) : القضاء والحكم ، وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء ، ويحكم به من الأمور .

(2) هذان بيتان من مشطور الرجز ( 14 ، 15 ) من أرجوز للعجاج ( ديوانه طبع ليبسج 1903 ص 15 ) وألوانا ، كما في ( اللسان : وفى ) الفترة في الأعمال والأمور ، وقد وني وني وني وونيا ( على فعول ) . أي ضعف . وتوانى في حاجته قصر . وفي حديث عائشة تصف أباه ، رضي الله عنهما : " سبق إذا ونيتم " : أي قصرت وفترتم .

(3) في ( اللسان : فرط ) عليه يفرط : عجل عليه وعدى وأذاه . وقال الفراء في قوله تعالى : ( إننا نخاف أن يفرط علينا ) قال : يعجل إلى عقوبتنا . والعلاج : الرجل القوي الضخم . ولم أعرف قائل الرجز . القول في تأويل قوله تعالى : قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَصِلُ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52)

فأجابه موسى فقال: علم هذه الأمم التي مضت من قبلنا فيما فعلت من ذلك، عند ربي في كتاب: يعني في أم الكتاب، لا علم لي بأمرها، وما كان سبب ضلال من ضل منهم فذهب عن دين الله ( لا يَصِلُ رَبِّي ) يقول: لا يخطئ ربي في تدبيره وأفعاله، فإن كان عذب تلك القرون في عاجل، وعجل هلاكها، فالصواب < 319-18 > ما فعل، وإن كان آخر عقابها إلى القيامة، فالحق ما فعل، هو أعلم بما يفعل، لا يخطئ ربي ( ولا يَنْسَى ) فيترك فعل ما فعله حكمة وصواب.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبيد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ( فِي كِتَابٍ لَا يَصِلُ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ) يقول: لا يخطئ ربي ولا ينسى.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ) يقول فما أعمى القرون الأولى، فوكلمها نبي الله موكلا فقال ( عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي ) .... الآية يقول: أي أعمارها وأجالها.

وقال آخرون: معنى قوله ( لا يَصِلُ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ) واحد.

\* ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى ، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ( لا يَصِلُ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ) قال: هما شيء واحد.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، عن مجاهد، مثله.

والعرب تقول: ضلَّ فلان منزله: إذا أخطأه، يضلُّه بغير ألف، وكذلك ذلك في كلِّ ما كان من شيء ثابت لا يبرح، فأخطأه مريده، فإنها تقول: أضله، فأما إذا ضاع منه ما يزول بنفسه من دابة وناقة وما أشبه ذلك من الحيوان الذي ينفلت منه فيذهب، فإنها تقول: أضلَّ فلان بغيره أو شاته أو ناقته يُضِلُّه بالألف. وقد بيَّنا معنى النسيان فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته.

القول في تأويل قوله تعالى : الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ تَبَاتٍ سَنَى (53)

< 18-320 >

اختلف أهل التأويل في قراءة قوله (مَهْدًا) فقراءته عامة قرّاء المدينة والبصرة ( الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مِهَادًا ) بكسر الميم من المهاد وإلحاق ألف فيه بعد الهاء، وكذلك عملهم ذلك في كلِّ القرآن وزعم بعض من اختار قراءة ذلك كذلك، أنه إنما اختاره من أجل أن المهاد: اسم الموضع، وأن المهد الفعل ، قال: وهو مثل الفرش والفراش. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين (مَهْدًا) بمعنى: الذي مهد لكم الأرض مهدا.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار مشهورتان، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فيها.

وقوله ( وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ) يقول: وأنهج لكم في الأرض طرقا. والهاء في قوله فيها: من ذكر الأرض.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ) : أي طرقا.

وقوله ( وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ) يقول: وأنزل من السماء مطرا ( فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ تَبَاتٍ سَنَى ) وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن إنعامه على خلقه بما يحدث لهم من الغيث الذي ينزله من سمائه إلى أرضه، بعد تناهي خبره عن جواب موسى فرعون عما سأله عنه وثنائه على ربه بما هو أهله، يقول جل ثناؤه: فأخرجنا نحن أيها الناس بما ننزل من السماء من ماء أزواجا، يعني ألوانا من نبات شتى، يعني مختلفة الطعوم، والأرايح والمنظر.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

# جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ( مِنْ تَبَاتٍ سَنَّى ) يقول: مختلف.

القول في تأويل قوله تعالى : كَلُوا وَارْعُوا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لَأُولِي النُّهَى (54)

يقول تعالى ذكره: كلوا أيها الناس من طيب ما أخرجنا لكم بالغيث الذي أنزلناه من السماء إلى الأرض من ثمار ذلك وطعامه، وما هو من أقواتكم > 321-18 < وغذائكم، وارعوا فيما هو أرزاق بهائمكم منه وأقواتها أنعامكم ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ ) يقول: إن فيما وصفت في هذه الآية من قدرة ربكم، وعظيم سلطانه لآيات: يعني لدلالات وعلامات تدلّ على وحدانية ربكم، وأن لا إله لكم غيره ( لَأُولِي النُّهَى ) يعني: أهل الحجى والعقول ، والنهى: جمع نُهية، كما الكسَى: جمع كُشيّة.

قال أبو جعفر: والكسَى: شحمة تكون في جوف الضبِّ، مُشبيهة بالسرة، وخصّ تعالى ذكره بأن ذلك آيات لأولي النُّهى، لأنهم أهل التفكير والاعتبار، وأهل التدبر والاتعاظ.

القول في تأويل قوله تعالى : مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (55)

يقول تعالى ذكره: من الأرض خلقناكم أيها الناس، فأنشأناكم أجساما ناطقة ( وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ) يقول: وفي الأرض نعيدكم بعد مماتكم، فنصيركم ترابا، كما كنتم قبل إنشائنا لكم بشرا سويا ( وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ ) يقول: ومن الأرض نخرجكم كما كنتم قبل مماتكم أحياء، فننشئكم منها، كما أنشأناكم أول مرة..

وقوله ( تَارَةً أُخْرَى ) يقول: مرّة أخرى.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ) يقول: مرّة أخرى.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( تَارَةً أُخْرَى ) قال: مرّة أخرى الخلق الآخر.

قال أبو جعفر: فتأويل الكلام إذن: من الأرض أخرجناكم ولم تكونوا شيئا خلقا سويا، وسنخرجكم منها بعد مماتكم مرّة أخرى، كما أخرجناكم منها أول مرة.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَقَدْ أَرْبَبْنَا آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى (56)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره: ولقد أرينا فرعون آياتنا، يعني أدلتنا وحججنا علي > 18-322 < حقيقة ما أرسلنا به رسولين، موسى وهارون إليه كلها (فَكَذَّبَ وَآبَى ) أن يقبل من موسى وهارون ما جاء به من عند ربهما من الحق استكبارا وعتوا.

القول في تأويل قوله تعالى : قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (57) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوَّى (58)

يقول تعالى ذكره: قال فرعون لما أريناه آياتنا كلها لرسولنا موسى: أجئتنا يا موسى لتخرجنا من منازلنا ودورنا بسحرك هذا الذي جئتنا به ( فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا ) لا نتعداه، لنجيء بسحر مثل الذي جئت به، فننظر أين يغلب صاحبه، لا نخلف ذلك الموعد ( نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوَّى ) يقول: بمكان عدل بيننا وبينك وتصف.

وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين ( مَكَانًا سُوَّى ) بكسر السين، وقرأته عامة قراء الكوفة ( مَكَانًا سُوَّى ) بضمها.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا، أنهما لغتان، أعني الكسر والضم في السين من " سوي " مشهورتان في العرب ، وقد قرأت بكل واحدة منهما علماء من القراء، مع اتفاق معنيهما، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. وللعرب في ذلك إذا كان بمعنى العدل والنصف لغة هي أشهر من الكسر والضم وهو الفتح، كما قال جل ثناؤه تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ وإذا فتح السين منه مدّ ، وإذا كسرت أو ضمت قصر، كما قال الشاعر:

فإِنَّ أَبَانَا كَانَ حَلًّا يَبْلُدَةً

سُوَّى بَيْنَ قَيْسِ قَيْسَ عَيْلَانَ وَالْفِرِّيرِ (1)

> 18-323 <

ونظير ذلك من الأسماء: طُوَّى، وطَوَّى، وثنى وثْنَى، وَعَدَى، وَعَدَى.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله ( مَكَائًا سُؤَى ) قال: منصفا بينهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، بنحوه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( مَكَائًا سُؤَى ) : أي عادلا بيننا وبينك.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، قوله ( مَكَائًا سُؤَى ) قال: نصفنا بيننا وبينك.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، في قوله ( فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَائًا سُؤَى ) قال: يقول: عدلا.

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله ( مَكَائًا سُؤَى ) قال: مكانا مستويا يتبين للناس ما فيه، لا يكون صوب ولا شيء فيغيب بعض ذلك عن بعض مستو حين يرى.

القول في تأويل قوله تعالى : قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الرِّيبَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَى (59) فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (60)

يقول تعالى ذكره: قال موسى لفرعون، حين سأله أن يجعل بينه وبينه موعدا للاجتماع: (( مَوْعِدُكُمْ )) للاجتماع ( يَوْمَ الرِّيبَةِ ) يعني يوم عيد كان لهم، أو سوق كانوا يتزينون فيه ( وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ) يقول: وأن يُساق الناس من كلِّ فجٍّ وناحية ( ضُحَى ) فذلك موعد ما بيني وبينك للاجتماع.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

< 18-324 >

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ( قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الرِّيبَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَى ) فإنه يوم زينة يجتمع الناس إليه ويحشر الناس له.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج ( قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الرِّيبَةِ ) قال: يوم زينة لهم، ويوم عيد لهم ( وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَى ) إلى عيد لهم.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد (يَوْمُ الرِّبَّةِ) قال: يوم السوق.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (يَوْمُ الرِّبَّةِ) موعدهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال موسى (مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الرِّبَّةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسُ ضُحَى) وذلك يوم عيد لهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد، عن قتادة (قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الرِّبَّةِ) يوم عيد كان لهم، وقوله (وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسُ ضُحَى) يجتمعون لذلك الميعاد الذي وعدوه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الرِّبَّةِ) قال: يوم العيد، يوم يتفرغ الناس من الأعمال، ويشهدون ويحضرون ويرون.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الرِّبَّةِ) يوم عيد كان فرعون يخرج له (وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسُ ضُحَى) حتى يحضروا أمرى وأمرى، وأن من قوله (وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسُ ضُحَى) رفع بالعطف على قوله (يَوْمُ الرِّبَّةِ).

< 18-325 >

وذكر عن أبي نهيك في ذلك ما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبد المؤمن، قال: سمعت أبا نهيك يقول: (وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسُ ضُحَى) يعني فرعون يحشر قومه.

وقوله (فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ) يقول تعالى ذكره: فأدبر فرعون معرضا عما أتاه به من الحق (فَجَمَعَ كَيْدَهُ) يقول: فجمع مكره، وذلك جمعه سحرته بعد أخذه إياهم بتعلمه (ثُمَّ آتَى) يقول: ثم جاء للموعد الذي وعده موسى، وجاء بسحرته.

القول في تأويل قوله تعالى: قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ (61)

يقول تعالى ذكره: قال موسى للسحرة لما جاء بهم فرعون (وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا) يقول: لا تخلقوا على الله كذبا، ولا تتقولوه (فَيُسْحِتَكُمْ)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يَعَذَابٍ ( فَيَسْتَأْصِلُكُمْ بِهَلَاكٍ فَيُبِيدُكُمْ. وللعرب فيه لغتان: سحت، وأسحت،  
وسحت، أكثر من أسحت، يقال منه: سحت الدهر، وأسحت مال فلان: إذا  
أهلكه فهو يسحته سحتا، وأسحته يسحته إسحاتا، ومن الإسحات قول  
الفرزدق:

وَعَصُّ رَمَانَ يَا بَنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ

مِنَ الْمَالِ إِلَّا مُسَحَّتًا أَوْ مُجَلَّفًا (2)

وُروى: إلا مسحت أو مجلف.

< 18-326 >

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس،  
قوله ( فَيُسْحِتُكُمْ بِعَذَابٍ ) يقول: فيهلككم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( فَيُسْحِتُكُمْ بِعَذَابٍ ) يقول:  
يستأصلكم بعذاب.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله  
( فَيُسْحِتُكُمْ بِعَذَابٍ ) قال: يستأصلكم بعذاب فيهلككم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( فَيُسْحِتُكُمْ  
بِعَذَابٍ ) قال: يهلككم هلاكا ليس فيه بقية، قال: والذي يسحت ليس فيه بقية.

حدثنا موسى قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي ( فَيُسْحِتُكُمْ بِعَذَابٍ )  
يقول: يهلككم بعذاب.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة  
وبعض أهل الكوفة ( فَيَسْحِتُكُمْ ) بفتح الياء من سحت يسحت. وقرأته عامة  
قراء الكوفة ( فَيُسْحِتُكُمْ ) بضم الياء من أسحت يسحت.

قال أبو جعفر: والقول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان، ولغتان  
معروفتان بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، غير أن الفتح فيها أعجب  
إلي لأنها لغة أهل العالية، وهي أفصح والأخرى وهي الضم في نجد.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله ( وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ) يقول: لم يظفر من يخلق كذبا، ويقول بكذبه ذلك بحاجته التي طلبها به، ورجا إدراكها به.

القول في تأويل قوله تعالى : فَتَنَّا زُجُرًا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى (62)  
قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا  
بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَى (63)

< 18-327 >

يقول تعالى ذكره: فتنازع السحرة أمرهم بينهم.

وكان تنازعهم أمرهم بينهم فيما ذكر أن قال بعضهم لبعض، ما حدثنا بيشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( فَتَنَّا زُجُرًا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ) قال السحرة بينهم: إن كان هذا ساحرا فإننا سنغلبه، وإن كان من السماء فله أمر.

وقال آخرون: بل هو أن بعضهم قال لبعض: ما هذا القول بقول ساحر.

ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: حدثت عن وهب بن منبه، قال: جمع كل ساحر حباله وعصيه، وخرج موسى معه أخوه يتكئ على عصاه، حتى أتى المجمع، وفرعون في مجلسه، معه أشرف أهل مملكته، قد استكف له الناس، فقال موسى للسحرة حين جاءهم: وَيَلِكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى فتراذ السحرة بينهم، وقال بعضهم لبعض: ما هذا بقول ساحر.

وقوله ( وَأَسْرُوا النَّجْوَى ) يقول تعالى ذكره: وأسروا السحرة المناجاة بينهم.

ثم اختلف أهل العلم في السرار الذي أسروه، فقال بعضهم: هو قول بعضهم لبعض: إن كان هذا ساحرا فإننا سنغلبه، وإن كان من أمر السماء فإنه سيغلبنا.

وقال آخرون: في ذلك ما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق قال: حدثت عن وهب بن منبه، قال: أشار بعضهم إلى بعض بتناج ( إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا ).

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي ( فَتَنَّا زُجُرًا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ) من دون موسى وهارون، قالوا في نجواهم ( إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَى ) قالوا: إن هذان لساحران، يعنون بقولهم: إن هذان موسى وهارون، لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما .

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( إِنَّ هَذَانِ >  
328-18 < لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا ) موسى  
وهارون صلى الله عليهما.

وقد اختلفت القراء في قراءة قوله ( إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ) فقرأته عامة قراء  
الأمصار ( إِنَّ هَذَانِ ) بتشديد إن وبالألف في هذان، وقالوا: قرأنا ذلك كذلك،  
وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: " إن " خفيفة في معنى ثقيلة،  
وهي لغة لقوم يرفعون بها، ويدخلون اللام ليفرقوا بينها وبين التي تكون في  
معنى ما، وقال بعض نحوي الكوفة: ذلك على وجهين: أحدهما على لغة بني  
الحارث بن كعب ومن جاورهم، يجعلون الاثني في رفعهما ونصبهما وخفضهما  
بالألف، وقد أنشدني رجل من الأسد عن بعض بني الحارث بن كعب:

فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ رَأَى

مَسَاغًا لِنَابَاهِ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا (3)

قال: وحكى عنه أيضا: هذا خط يدا أخي أعرفه، قال: وذلك وإن كان قليلا  
أفيس، لأن العرب قالوا: مسلمون، فجعلوا الواو تابعة للضمة، لأنها لا تعرب،  
ثم قالوا: رأيت المسلمين، فجعلوا الياء تابعة لكسرة الميم، قالوا: فلما رأوا  
الياء من الاثني لا يمكنهم كسر ما قبلها، وثبت مفتوحا، تركوا الألف تتبعه، >  
329-18 < فقالوا: رجلا في كلِّ حال. قال: وقد اجتمعت العرب على إثبات  
الألف في كلا الرجلين، في الرفع والنصب والخفض، وهما اثنان، إلا بني كنانة،  
فإنهم يقولون: رأيت كلي الرجلين، ومررت بكلي الرجلين، وهي قبيحة قليلة  
مضوا على القياس، قال: والوجه الآخر أن تقول: وجدت الألف من هذا دعامة،  
وليست بلام فعل، فلما بنيت زدت عليها نونا، ثم تركت الألف ثابتة على  
حالتها لا تزول بكلِّ حال، كما قالت العرب الذي، ثم زادوا نونا تدلُّ على  
الجمع، فقالوا: الذين في رفعهم ونصبهم وخفضهم، كما تركوا هذان في رفعه  
ونصبه وخفضه، قال: وكان القياس أن يقولوا: اللذون، وقال آخر منهم: ذلك من  
الجزم المرسل، ولو نصب لخرج إلى الانبساط.

وحدثت عن أبي عُبَيْدة معمر بن المثنى، قال: قال أبو عمرو وعيسى بن عمر  
ويونس: إن هذين لساحران في اللفظ، وكتب هذان كما يريدون الكتاب،  
واللفظ صواب، قال: وزعم أبو الخطاب أنه سمع قوما من بني كنانة وغيرهم،  
يرفعون الاثني في موضع الجر والنصب، قال: وقال بشر بن هلال: إن بمعنى  
الابتداء والإيجاب، ألا ترى أنها تعمل فيما يليها، ولا تعمل فيما بعد الذي  
بعدها، فترفع الخبر ولا تنصبه، كما نصبت الاسم، فكان مجاز " إن هذان  
لساحران "، مجاز كلامين، مخرجه: إنه إي نعم، ثم قلت: هذان ساحران. ألا  
ترى أنهم يرفعون المشترك كقول ضابئ:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ  
فَأَيْ وَقَارِ بِهَا لَعْرِبُ (4)

وقوله:

< 18-330 >  
إِنَّ السُّيُوفَ عُدُّوْهَا وَرَوَاحِهَا  
تَرَكَتْ هَوَازِنَ مِثْلَ قَرْنِ الْأَعْصَبِ (5)

قال: ويقول بعضهم: إن الله وملائكته يصلون على النبي، فيرفعون على شركة الابتداء، ولا يعملون فيه إن. قال: وقد سمعت الفصحاء من المحرمين يقولون: إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، قال: وقرأها قوم على تخفيف نون إن وإسكانها، قال: ويجوز لأنهم قد أدخلوا اللام في الابتداء وهي فصل، قال:

أُمُّ الْحَلِيسِ لَعَجُورٌ شَهْرَبَةٌ (6)

قال: وزعم قوم أنه لا يجوز، لأنه إذا خفف نون " إن " فلا بد له من أن يدخل " إلا " فيقول: إن هذا إلا ساحران.

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك عندنا (إن) بتشديد نونها، < 18-331 > وهذان بالألف لإجماع الحجة من القراء عليه، وأنه كذلك هو في خط المصحف، ووجهه إذا قرئ كذلك مشابهته الذين إذ زادوا على الذي النون، وأقر في جميع الأحوال الإعراب على حالة واحدة، فكذلك (إن هَذَانِ) زبدت على هذا نون وأقر في جميع أحوال الإعراب على حال واحدة، وهي لغة الحارث بن كعب، وختعم، وزبيد، ومن وليهم من قبائل اليمن.

وقوله ( وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَى ) يقول: ويغلبا على ساداتكم وأشرافكم، يقال: هو طريقة قومه ونظورة قومه، ونظيرتهم إذا كان سيدهم وشريفهم والمنظور إليه، يقال ذلك للواحد والجمع، وربما جمعوا، فقالوا: هؤلاء طرائق قومهم، ومنه قول الله تبارك وتعالى: كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا وهؤلاء نظائر قومهم.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأما قوله (المُثَلَّى) فإنها تأنيث الأمثل، يقال للمؤنث، خذ المثلى منهما. وفي المذكري: خذ الأمثل منهما، ووحدت المثلى، وهي صفة ونعت للجماعة، كما قيل له الأسماء الحُسنى وقد يحتمل أن يكون المثلى أُنثت لتأنيث الطريقة.

وبنحو ما قلنا في معنى قوله ( بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ) قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ( وَبَدَّهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ) يقول: أمثلكم وهم بنو إسرائيل.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ( وبدهبا بطريقتكم المثلى ) قال: أولي العقل والشرف والأنساب.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، في قوله ( وَبَدَّهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ) قال: أولي العقول والأشراف والأنساب.

حدثنا أبو كريب وأبو السائب، قالا ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ( وَبَدَّهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ) وطريقتهم المثلى يومئذ كانت بنو إسرائيل، وكانوا أكثر القوم عددا وأموالا وأولادا، قال عدو الله: إنما يريدان < 332-18 > أن يذهبا بهم لأنفسهما.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله ( بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ) قال: بنني إسرائيل.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ( وَبَدَّهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ) يقول: يذهبا بأشراف قومكم.

وقال آخرون: معنى ذلك، وبغيرا سنتكم ودينكم الذي أنتم عليه، من قولهم: فلان حسن الطريقة.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( وَبَدَّهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ) قال: يذهبا بالذي أنتم عليه، بغير ما أنتم عليه، وقرأ دَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ قال: هذا قوله: ( وَبَدَّهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ) وقال: يقول طريقتكم اليوم طريقة حسنة، فإذا غيرت ذهبت هذه الطريقة.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وَرُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ ( وَبَدَّهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُتْلَى ) مَا حَدَّثَنَا بِهِ الْقَاسِمُ، قَالَ: ثنا الحسين، قَالَ: ثنا هشيم، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ الْقَاسِمِ، عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: يَصْرَفَانِ وَجْهَ النَّاسِ إِلَيْهِمَا.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَهَذَا الْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ ( وَبَدَّهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُتْلَى ) وَإِنْ كَانَ قَوْلًا لَهُ وَجْهٌ يَحْتَمِلُهُ الْكَلَامُ، فَإِنْ تَأْوِيلُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ خِلافَهُ، فَلَا أُسْتَجِيزُ لِذَلِكَ الْقَوْلِ بِهِ.

القول في تأويل قوله تعالى : فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (64)

اختلفت القراء في قراءة قوله ( فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ) فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة ( فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ) بهمز الألف من ( فَأَجْمِعُوا ) ، ووجهها معنى ذلك إلى: فأحكموا كيدكم، واعزموا عليه، من قولهم: أجمع فلان الخروج، وأجمع > 333-18 < على الخروج، كما يقال: أزمع عليه، ومنه قول الشاعر:

يا ليت شِعْرِي والمُنَى لا تَنْفَعُ

هَلْ أَعْدُونَ يَوْمًا وَأَمْرِي مُجْمَعٌ (7)

يعني بقوله: " مجمع "؛ قد أحكم وعزم عليه، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: " مَنْ لَمْ يُجْمَعْ عَلَى الصَّوْمِ مِنَ اللَّيْلِ فَلَا صَوْمَ لَهُ ".

وقرأ ذلك بعض قراء أهل البصرة: ( فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ) بوصل الألف، وترك همزها، من جمعت الشيء، كأنه وجهه إلى معنى: فلا تدعوا من كيدكم شيئاً إلا جئتم به. وكان بعض قارئى هذه القراءة يعتلّ فيما ذكر لي لقراءته ذلك كذلك بقوله فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ..

قال أبو جعفر: والصواب في قراءة ذلك عندنا همز الألف من أجمع، لإجماع الحجة من القراء عليه، وأن السحرة هم الذين كانوا به معروفين، فلا وجه لأن يقال لهم: أجمعوا ما دعيتم له مما أنتم به عالمون، لأن المرء إنما يجمع ما لم يكن عنده إلى ما عنده، ولم يكن ذلك يوم تزيد في علمهم بما كانوا يعملونه من السحر، بل كان يوم إظهاره، أو كان متفرقاً مما هو عنده، بعضه إلى بعض، ولم يكن السحر متفرقاً عندهم فيجمعونه ، وأما قوله فَجَمَعَ كَيْدَهُ فغير شبيه المعنى بقوله ( فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ) وذلك أن فرعون كان هو الذي يجمع ويحتفل بما يغلب به موسى مما لم يكن عنده مجتمعاً حاضراً، فقليل: فتولى فرعون فجمع كيده.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله ( ثُمَّ اتُّوَا صَفًّا ) يقول: احضروا وجئوا صفا، والصفّ هاهنا مصدر، ولذلك وحده، ومعناه: ثم اتُّوا صفوفًا، وللصفّ في كلام العرب موضع آخر، وهو قول العرب: أتيت الصفّ اليوم، يعني به المصلى الذي يصلي فيه.

وقوله ( وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ) يقول: قد ظفر بحاجته اليوم من علا على صاحبه فقهره.

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: حدثت عن وهب بن منبه، قال: جمع فرعون الناس لذلك الجمع، ثم أمر السحرة فقال ( اتُّوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ) أي قد أفلح من أفلح اليوم على صاحبه.

الهوامش:

(1) البيت لموسى بن جابر الحنفي ( اللسان : سوى ) قال : قال الأخفش : سوى إذا كان بمعنى غير أو العدل يكون فيه ثلاث لغات : إن ضمت السين أو قصرت فيهما جميعا ، وإن فتحت مددت . تقول : ما كان سوى وسوي وسواء : أي عدل ووسط بين الفريقين ، قال موسى بن جابر : " وجدنا أبانا . . البيت " . والفزر : أبو قبيلة من تميم ، وهو سعد بن زياد مناة بن تميم . (2) هذا البيت للفرزدق من نقيضته التي مطلعها \* عزفت بأعشاش وما كدت تعرف \*

وقبل بيت الشاهد قوله ( انظر ديوانه طبعة الصاوي ص 565 ) :

إليك أمير المؤمنين رمت بنا

هموم المنى والوجل المتعسف

ورواية الشاهد عند المؤلف موافقة لرواية ( اللسان : جلف ) . قال : قال أبو الغوث : المسحت : الملك . والمجلف : الذي بقيت منه بقية ، أو هو الذي أخذ من جوانبه . والمجلف أيضا : الرجل الذي جلفته السنون ، أي أذهبت أمواله . وفيه ( اللسان : سحت ) وقوله عز وجل : ( فيسحتكم بعذاب ) : قرئ : فيسحتكم بعذاب ، ويسحتكم . بفتح الياء والحاء ، ويسحت ( بضم الياء ) أكثر . فسحتكم ( بفتح الياء والحاء ) : يقشركم . ويسحتكم ( بضم الياء ) يستأصلكم ، وأسحت ماله : استأصله وأفسده ، قال الفرزدق : \* وعفي زمان ..... أو مجلف \*

أما رفع مجلف ، فهو على تقدير مبتدأ ، كأنه قال أو هو مجلف . والبيت شاهد عند الطبري ، على أن معنى قوله تعالى : فيسحتكم : يستأصلكم .



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(3) البيت للمتمسك : جرير بن عبد العزى ، وقيل جرير بن عبد المسيح ، من كلمة له رواها ابن الشجري ( انظر كتاب الأشموني في النحو بشرح الأستاذ محيي الدين عبد الحميد ، طبعة الحلبي 1 : 47 ) . قال : أطرق : سكت فلم يتكلم وأرعى عينيه ينظر إلى الأرض . والشجاع : ضرب من الحيات لطيف دقيق ، وهو أجرؤها . أو هو الحية العظيمة تثب على الفارس والراجل وتقوم على ذنبها ، وربما بلغت رأس الفارس ، وتكون في الصحاري . ومساغا : اسم مكان من ساغ يسوغ : إذا دخل ونفذ . وصمما عضد ونيب . والبيت جار على لغة بني الحارث بن كعب ومن لف لفهم ، والشاهد فيه أن قوله لناباه مثنى مجرور باللام ، وقد جاء بالألف ، وهي لغة بني الحارث بن كعب وبني العنبر وبني الهجيم وبطون من ربيعة وبكر بن وائل ، وزبيد وختعم وهمدان وعذرة . ويخرج بعض النحويين على هذه اللغة قوله تعالى : " إن هذان لساحران " وقوله صلى الله عليه وسلم : " لا وتران في ليلة " . قال الفراء في معاني القرآن ( الورقة 198 من مصورة الجامعة 24059 ) فقراءتنا بتشديد إن ، وبالألف ؛ على جهتين : إحداهما على لغة بني الحارث بن كعب يجعلون الاثنين في رفعهما وخفضهما بالألف ، أنشدني رجل من الأسد عنهم " فأطرق إطراق الشجاع " . . . البيت . وحكى هذا الرجل عنهم : هذا خط يدا أخي ، أعرفه بعينه وذلك وإن كان قليلا أقيس . ( وساق المؤلف كلام الفراء إلى آخره ) .

(4) البيت لضائب بن الحارث البرجمي ، وهو أول أبيات قالها وهو محبوس بالمدينة ، في زمن عثمان بن عفان . وبعده ثلاثة أبيات أنشدها أبو العباس المبرد في الكامل ( خزانة الأدب للبغدادي 4 : 323 - 328 ) واستشهد به النحاة على أن قوله ( قيار ) مبتدأ حذف خبره ، والجملة اعتراضية بين اسم إن وخبرها ، والتقدير : فإني وقيار كذلك ، لغريب . وإنما لم يجعل الخبر لقيار ، ويكون خبر إن محذوفا ؛ لأن اللام لا تدخل في خبر المبتدأ حتى يقدم ، نحو لقائم زيد . وهذا تخريج له خلاف مذهب سيوبه ، فإن الجملة عنده في نية التأخير ، فهي معطوفة لا معترضة ، وزعم الكسائي والفراء أن نصب إن ضعيف لأنها إنما تغير الاسم ولا تغير الخبر ، قال الزجاج : وهذا غلط ، لأن إن قد عملت عملين : الرفع والنصب ، وليس في العربية ناصب ليس معه مرفوع ، لأن كل منصوب مشبه بالمفعول ، والمفعول لا يكون غير فاعل ، إلا فيما لم يسم فاعله . وكيف يكون نصب إن ضعيفا وهي تتخطى الظروف وتنصب ما بعدها نحو " إن فيها قوما جبارين " ، ونصب إن من أقوى المنصوبات أه .

(5) البيت للأخطل ( خزانة الأدب للبغدادي 2 : 372 ) من قصيدة له ستة عشر بيتا مدح بها العباس بن محمد بن عبد الله بن العباس . والبيت شاهد عند النحاة على أنه قد يعتبر الأول في اللفظ دون الثاني ، أي يعتبر المبدل منه في اللفظ دون البديل فإن قوله " غدوها " بدل من السيوف ، قال المبرد في الكامل : هو بدل اشتمال ، وقد روعي المبدل منه في اللفظ ، بإرجاع الضمير إليه من الخبر ، ولم يراع البديل ولو روعي ل قيل " تركا " بالثنية . وهوازن : أبو قبيلة ، وهو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر . والأعصب : الذي انكسر أحد قرنيه . وأورد المؤلف البيت شاهدا على أنهم قد يرفعون المشترك ، أي المعطوف على اسم إن ، وليس

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

في البيت عطف على اسم إن ، وإنما هو إبدال من المنصوب كما قرره المبرد وأبو علي الفارسي في إيضاح الشعر .  
(6) هذا بيت من مشطور الرجز نسبة الصاغاني في العباب إلى عنبرة بن عروش بالشين في آخره ، وقيل بالسين ، مولى ثقيف . ( خزنة الأدب الكبرى للبغدادي 4 : 328 - 330 ) . وهو شاهد على أنه شذ دخول اللام على خبر المبتدأ المؤخر ، مجردا من إن . وقد روي بعضهم : لهي عجوز ، لتكون في التقدير داخلة على المبتدأ . قال ابن السراج في الأصول : قال أبو عثمان : وقرأ سعيد بن جبير ( إلا أنهم لا يأكلون الطعام ) : فتح أن ، وجعل اللام زائدة كما زيدت في قوله :

أم الحليس لعجوز شهره

ترضى من اللحم بعظم الرقبة

انتهى . وعند ابن جني غير زائدة ، لكنها في البيت ضرورة . قال في سر الصناعة : وأما الضرورة التي تدخل لها اللام في خبر إن فمن ضرورات الشعر ، ولا يقاس عليها ؛ والوجه أن يقال : لأم الحليس عجوز شهره ، كما يقال لزيد قائم . وأورد المؤلف البيت شاهدا على أن اللام فيه " وقيار بها لغريب " هي لام ابتداء أخرجت إلى الخبر ، كما في قول الراجز : أم الحليس لعجوز ، وأصله : لأم الحليس عجوز .

(7) البيت في ( اللسان : جمع ) ولم ينسبه قال وجمع أمره وأجمع عليه : عزم عليه ، كأنه جمع نفسه له ، والأمر مجمع . ويقال أيضا . أجمع أمرك ولا تدعه منتشرًا وقال آخر " يا ليت شعري . . . البيت " وقوله تعالى : " فأجمعوا أمركم وشركاءكم " أي وادعوا شركاءكم قال وكذلك هي في قراءة عبد الله ؛ لأنه لا يقال أجمعت شركائي ، إنما يقال جمعت ، وقال الفراء الإجماع : الإعداد والعزيمة على الأمر قال ونصب شركائي بفعل مضمر ، كأنك قلت فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم قال أبو إسحاق الذي قاله الفراء غلط في إضماره " وادعوا شركاءكم " . لأن الكلام لا فائدة له . لأنهم كانوا يدعون شركاءهم لأن يجمعوا أمرهم . قال والمعنى فأجمعوا أمركم مع شركاءكم ، وإذا كان الدعاء لغير شيء فلا فائدة فيه قالوا والواو بمعنى مع . كقولك " لو يركب الناقة وفصيلها لرضعها " المعنى لو يركب الناقة مع فصيلها قال ومن قرأ " فأجمعوا أمركم وشركاءكم " بألف موصولة فإنه يعطف شركاءكم على أمركم قال ويجوز فأجمعوا أمركم مع شركائكم .

القول في تأويل قوله تعالى : **قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّمَا أَنْتَ تُنْقِي وَآمَّا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (65) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (66)**

يقول تعالى ذكره: فأجمعت السحرة كيدهم، ثم أتوا صفا فقالوا لموسى ( يَا مُوسَى إِنَّمَا أَنْتَ تُنْقِي وَآمَّا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ) وترك ذكر ذلك من الكلام اكتفاء بدلالة الكلام عليه.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

واختلف في مبلغ عدد السحرة الذين أتوا يومئذ صفا، فقال بعضهم: كانوا سبعين ألف ساحر، مع كل ساحر منهم جبل وعصا.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن هشام الدستوائي، قال: ثنا القاسم بن أبي بزة، قال: جمع فرعون سبعين ألف ساحر، فألقوا سبعين ألف جبل، وسبعين ألف عصا، فألقى موسى عصاه، فإذا هي ثعبان مبین فاغر به فاه، فابتلع حبالهم وعصيتهم فَأَلْقَى السَّحَرَةَ سُجَّدًا عند ذلك، فما رفعوا رءوسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلها، < 335-18 > فعند ذلك قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ .

وقال آخرون: بل كانوا نيفا وثلاثين ألف رجل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: (قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى \* قَالَ بَلْ أَلْقُوا) ، فألقوا حبالهم وعصيتهم، وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل ليس منهم رجل إلا ومعه جبل وعصا.

وقال آخرون بل كانوا خمسة عشر ألفا.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: حدثت عن وهب بن منبه، قال: صف خمسة عشر ألف ساحر، مع كل ساحر حباله وعصيه.

وقال آخرون: كانوا تسع مئة.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: كان السحرة ثلاث مئة من العريش، وثلاث مئة من فيوم، ويشكون في ثلاث مئة من الإسكندرية، فقالوا لموسى: إما أن تلقي ما معك قبلنا، وإما أن تلقي ما معنا قبلك، وذلك لقوله ( وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ) وأن في قوله (إِمَّا أَنْ ) في موضع نصب، وذلك أن معنى الكلام: اختر يا موسى أحد هذين الأمرين: إما أن تلقي قبلنا، وإما أن نكون أول من ألقى، ولو قال قائل: هو رفع، كان مذهبا، كأنه وجهه إلى أنه خبر، كقول القائل:

# جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فَسِيرًا فِيمَا حَاجَةً تَقْضِيَانَهَا

وَأَمَّا مَقِيلٌ صَالِحٌ وَصَدِيقٌ (1)

< 18-336 >

وقوله ( قَالَ بَلْ أَلْقُوا ) يقول تعالى ذكره: قال موسى للسحرة: بل ألقوا أنتم ما معكم قبلي. وقوله ( فَإِذَا جَبَّالَهُمْ وَعَعِصِيَهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ) ، وفي هذا الكلام متروك، وهو: فآلقوا ما معهم من الجبال والعصي، فإذا جبالهم، ترك ذكره استغناءً بدلالة الكلام الذي ذكر عليه عنه ، وذكر أن السحرة سحروا عين موسى وأعين الناس قبل أن يلقوا جبالهم وعصيتهم، فخيّل حينئذ إلى موسى أنها تسعى.

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: حدثت عن وهب بن منبه، قال: قالوا يا موسى، ( إِمَّا أَنْ تُلْقِيَهَا وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا ) فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى وبصر فرعون، ثم أبصار الناس بعد، ثم ألقى كل رجل منهم ما في يده من العصي والجبال، فإذا هي حيات كأمثال الجبال، قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضها.

واختلفت القراء في قراءة قوله ( يُخَيَّلُ إِلَيْهِ ) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار ( يُخَيَّلُ إِلَيْهِ ) بالياء بمعنى: يخيّل إليهم سعيها، وإذا قرئ ذلك كذلك، كانت " أن " في موضع رفع ، وزوي عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه: ( تُخَيَّلُ ) بالتاء، بمعنى: تخيل جبالهم وعصيتهم بأنها تسعى، ومن قرأ ذلك كذلك، كانت " أن " في موضع نصب لتعلق تخيل بها، وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقرؤه: ( تُخَيَّلُ إِلَيْهِ ) بمعنى: تتخيّل إليه، وإذا قرئ ذلك كذلك أيضا ف " أن " في موضع نصب بمعنى: تتخيّل بالسعي لهم.

والقراءة التي لا يجوز عندي في ذلك غيرها ( يُخَيَّلُ ) بالياء، لإجماع الحجة من القراء عليه.

القول في تأويل قوله تعالى : فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (67) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (68) وَالْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاجِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاجِرُ حَيْثُ أَتَى (69)

< 18-337 >

يعني تعالى ذكره بقوله: فأوجس في نفسه خوفا موسى فوجده.

وقوله ( قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ) يقول تعالى ذكره: قلنا لموسى إذ أوجس في نفسه خيفة ( لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ) على هؤلاء السحرة، وعلى فرعون وجنده، والقاهر لهم ( وَالْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا )

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول: وألق عصاك تبتلع حبالهم وعصيمهم التي سحروها حتى خيل إليك أنها تسعى.

وقوله (إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاجِرٌ) اختلفت القراء في قراءة قوله، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة (إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاجِرٌ) برفع كيد وبالأل في ساحر بمعنى: إن الذي صنعه هؤلاء السحرة كيد من ساحر. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاجِرٌ) برفع الكيد وبغير الألف في السحر بمعنى إن الذي صنعه كيد سحر.

والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، وذلك أن الكيد هو المكر والخدعة، فالساحر مكره وخدعته من سحر يسحر، ومكر السحر وخدعته: تخيله إلى المسحور، على خلاف ما هو به في حقيقته، فالساحر كائد بالسحر، والسحر كائد بالتخييل، فإلى أيهما أضفت الكيد فهو صواب، وقد ذكر عن بعضهم أنه قرأ (كَيْدٌ سَاجِرٌ) بنصب كيد، ومن قرأ ذلك كذلك، جعل إنما حرفاً واحداً وأعمل صنعوا في كيد.

قال أبو جعفر: وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها لإجماع الحجة من القراء على خلافها.

وقوله (وَلَا يُفْلِحُ السَّاجِرُ حَيْثُ أَتَى) يقول: ولا يظفر الساحر بسحره بما طلب أين كان. وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقول: معنى ذلك: أن الساحر يُقتل حيث وُجد. وذكر بعض نحويي البصرة، أن ذلك في حرف ابن مسعود (وَلَا يُفْلِحُ السَّاجِرُ أَيْنَ أَتَى) وقال: العرب تقول: جئتُك من حيث لا تعلم، ومن أين لا تعلم، وقال غيره من أهل العربية الأول: جزاء يقتل الساحر حيث أتى وأين أتى وقال: وأما قول العرب: جئتُك من حيث لا تعلم، ومن أين لا تعلم، فإنما هو جواب لم يفهم، فاستفهم كما قالوا: أين الماء والعشب.

< 18-338 >

القول في تأويل قوله تعالى: فَأَلْقَى السَّحْرَهُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (70) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آدِنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَأَصْلَبَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ آيَاتُنَا أَسَدُّ عَدَابًا وَأَبْقَى (71)

وفي هذا الكلام متروك قد استغنى بدلالة ما ترك عليه وهو: فألقى موسى عصاه، فتلقفت ما صنعوا (فألقي السحرة سجداً قالوا آمنا برّب هارون وموسى) وذكر أن موسى لما ألقى ما في يده تحول ثعباناً، فالتقم كل ما كانت السحرة ألقته من الحبال والعصي.

\* ذكر الرواية عن قال ذلك: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، قال: لما اجتمعوا وألقوا ما في أيديهم من السحر، يُحَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى \* فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى \* فُلْنَا لَا تَخَفُ إِنَّكَ أَنْتَ

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الأعلى \* وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَعْبَانٌ مَبِينٌ، قَالَ: فَتَحَتْ فَمَا لَهَا مِثْلُ الدَّحْلِ، ثُمَّ وَضَعَتْ مَشْفَرَهَا عَلَى الْأَرْضِ وَرَفَعَتْ الْآخَرَ، ثُمَّ اسْتَوْعَبَتْ كُلَّ شَيْءٍ الْقُوَّةَ مِنَ السِّحْرِ، ثُمَّ جَاءَ إِلَيْهَا فَقَبِضَ عَلَيْهَا، فَإِذَا هِيَ عَصَا، فَخَرَّ السَّحْرَةَ سَجْدًا (قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى \* قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ) قَالَ: فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ قَطَعَ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلَ مِنْ خِلَافٍ فِرْعَوْنَ ( وَلَاصَلْبَتِكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ) قَالَ: فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ صَلَبَ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ فِرْعَوْنَ.

حدثنا موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديِّ قَأْوَجَسَ فِي نَفْسِهِ خَيْفَةً مُوسَى فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ لَا تَخَفْ ( وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَأَكَلَتْ كُلَّ حَيَّةٍ لَهُمْ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ سَجَدُوا وَ ( قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ).

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: حُدِّثْتُ عَنْ > 339-18 < وَهَبِ بْنِ مِنْبِهِ قَأْوَجَسَ فِي نَفْسِهِ خَيْفَةً مُوسَى لَمَّا رَأَى مَا أَلْقَوْا مِنَ الْحِبَالِ وَالْعَصِيِّ وَخِيلَ إِلَيْهِ أَنَّهَا تَسْعَى، وَقَالَ: وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لِعَصَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَلَقَدْ عَادَتْ حَيَاتٍ، وَمَا تَعَدُّوْا عَصَايَ هَذِهِ، أَوْ كَمَا حَدَّثَ نَفْسَهُ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاجِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاجِرُ حَيْثُ أَتَى وَفَرِحَ مُوسَى فَأَلْقَى عَصَاهُ مِنْ يَدِهِ، فَاسْتَعْرَضَتْ مَا أَلْقَوْا مِنْ حِبَالِهِمْ وَعَصِيهِمْ، وَهِيَ حَيَاتٌ فِي عَيْنِ فِرْعَوْنَ وَأَعْيُنِ النَّاسِ تَسْعَى، فَجَعَلَتْ تَلْقَفُهَا، تَبْتَلِعُهَا حَيَّةٌ حَيَّةٌ، حَتَّى مَا يَرَى بِالْوَادِي قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ مِمَّا أَلْقَوْا، ثُمَّ أَخَذَهَا مُوسَى فَإِذَا هِيَ عَصَا فِي يَدِهِ كَمَا كَانَتْ، وَوَقَعَ السَّحْرَةُ سَجْدًا، قَالُوا: آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى، لَوْ كَانَ هَذَا سِحْرًا مَا غَلَبْنَا.

وقوله ( قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ ) يقول جل ثناؤه: وقال فرعون للسحرة: أصدقتم وأقررتم لموسى بما دعاكم إلیه مني قبل أن أطلق ذلك لكم ( إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ ) يقول: إن موسى لعظيمكم ( الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ).

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: حُدِّثْتُ عَنْ وَهَبِ بْنِ مِنْبِهِ، قَالَ: لَمَّا قَالَتِ السَّحْرَةُ ( آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ) قَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ، وَأَسْفُ وَرَأَى الْغَلْبَةَ وَالْبَيِّنَةَ: ( آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ) : أَي لِعَظِيمِ السَّحَرِ الَّذِي عَلَّمَكُمْ.

وقوله: ( فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ) يقول: فلأقطعن أيديكم وأرجلكم مخالفا بين قطع ذلك، وذلك أن يقطع اليمنى اليمين ويسرى الرجلين، أو يسرى اليمين، ويمنى الرجلين، فيكون ذلك قطعاً من خلاف، وكان فيما ذكر أول من فعل ذلك فرعون، وقد ذكرنا الرواية بذلك. وقوله ( وَلَاصَلْبَتِكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ) يقول: ولأصلبكنم على جذوع النخل، كما قال الشاعر:

هُمُ صَلَبُوا الْعَبْدِيَّ فِي جِدَعِ تَحْلَةٍ



# جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فَلَا عَظَسَتْ شَيْبَانٌ إِلَّا بِأَجْدَعَا (2)

< 18-340 >

يعني على، جذع نخلة، وإنما قيل: في جذوع، لأن المصلوب على الخشبة يرفع في طولها، ثم يصير عليها، فيقال: صلب عليها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( وَأَصْلَبْتَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ) لما رأى السحرة ما جاء به عرفوا أنه من الله فخرؤا سجدا، وأمنؤا عند ذلك، قال عدو الله ( فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ ... الآية.

حدثنا موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال فرعون: ( فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَأَصْلَبْتَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ) فقتلهم وقطعهم، كما قال عبد الله بن عباس حين قالوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّفْنَا مُسْلِمِينَ وقال: كانوا في أول النهار سحرة، وفي آخر النهار شهداء.

وقوله ( وَلَتَعْلَمَنَّ آيَاتُنَا أَسَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ) يقول: ولتعلمن أيها السحرة أننا أشد عذابا لكم، وأدوم، أنا أو موسى.

القول في تأويل قوله تعالى : قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيُعْفِرَ لَنَا خَطَايَاَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَى (73)

يقول تعالى ذكره: قالت السحرة لفرعون لما توعدهم بما توعدهم به ( لَنْ نُؤْتِرَكَ ) فنتبعك ونكذب من أجلك موسى ( عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ) يعني من الحجج والأدلة على حقيقة ما دعاهم إليه موسى ( وَالَّذِي فَطَرَنَا ) يقول: قالوا: لن نؤثرك على الذي جاءنا من البينات، وعلى الذي فطرنا، ويعني بقوله ( فَطَرَنَا ) خلقنا، فالذي من قوله ( وَالَّذِي فَطَرَنَا ) خفض على قوله ( مَا جَاءَنَا ) وقد يحتمل أن يكون قوله ( وَالَّذِي فَطَرَنَا ) خفضا على القسم، فيكون معنى الكلام: لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والله، وقوله ( قَاضٍ مَا أَنْتَ قَاضٍ ) ( قَاضٍ ) يقول: فاصنع ما أنت صانع، واعمل بنا ما بدا لك ( إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ) يقول: إنما تقدر أن تعذبنا في هذه الحياة الدنيا التي تفتنى، ونصب الحياة الدنيا على الوقت وجعلت إنما حرفا واحدا.

وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: حدثت عن وهب بن منبه ( لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ) أي على الله على ما جاءنا من الحجج مع بينة ( قَافُضَ مَا أَنْتَ قَاضٍ ) أي اصنع ما بدا لك ( إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ) أي ليس لك سلطان إلا فيها، ثم لا سلطان لك بعده.

وقوله ( إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَاَنَا ) يقول تعالى ذكره: إنا أقررنا بتوحيد ربنا، وصدقنا بوعدده ووعيده، وأن ما جاء به موسى حي ( لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَاَنَا ) يقول: ليغفر لنا عن ذنوبنا فيسترها علينا ( وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ) يقول: ليغفر لنا ذنوبنا، وتعلمنا ما تعلمناه من السحر، وعملنا به الذي أكرهتنا على تعلمه والعمل به ، وذكّر أن فرعون كان أخذهم بتعليم السحر.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى بن سهل، قال: ثنا نعيم بن حماد، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن أبي سعيد، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قول الله تبارك وتعالى: ( وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ) قال: غلمان دفعهم فرعون إلى السحرة، تعلمهم السحر بالقرما.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ) قال: أمرهم بتعلم السحر، قال: تركوا كتاب الله، وأمروا قومهم بتعليم السحر.

(وما أكرهتنا عليه من السحر) قال: أمرتنا أن نتعلمه.

وقوله ( وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ) يقول: والله خير منك يا فرعون جزاء لمن أطاعه، وأبقى عذابا لمن عصاه وخالف أمره.

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق ( وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ) : خير منك ثوابا، وأبقى عذابا.

< 18-342 >

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي معشر، عن محمد بن كعب، ومحمد بن قيس في قول الله ( وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ) قالا خيرا منك إن أطيع، وأبقى منك عذابا إن عصي.

القول في تأويل قوله تعالى : إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا (74) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (75)



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل السحرة لفرعون ( إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ ) من خلقه ( مُجْرِمًا ) يقول: مكتسبا الكفر به، ( فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ ) يقول: فإن له جهنم مأوى ومسكنا، جزاء له على كفره ( لَا يَمُوتُ فِيهَا ) فتخرج نفسه ( وَلَا يَحْيَا ) فتستقر نفسه في مقرها فتطمئن، ولكنها تتعلق بالحناجر منهم ( وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا ) موحدا لا يُشرك به ( قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ ) يقول: قد عمل ما أمره به ربه، وانتهى عما نهاه عنه ( فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ) يقول: فأولئك الذين لهم درجات الجنة العلى.

القول في تأويل قوله تعالى : جَنَّاتٍ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى (76)

يقول تعالى ذكره: ومن يأتيه مؤمنا قد عمل الصالحات، فأولئك لهم الدرجات العلى. ثم بين تلك الدرجات العلى ما هي، فقال: هن ( جَنَّاتٌ عَدْنٌ ) يعني: جنات إقامة لا طعن عنها ولا نفاذ لها ولا فناء ( تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ) يقول: تجري من تحت أشجارها الأنهار ( خَالِدِينَ فِيهَا ) يقول: ماكتين فيها إلى غير غاية محدودة؛ فالجنات من قوله ( جَنَّاتٌ عَدْنٌ ) مرفوعة بالرد على الدرجات.

< 18-343 >

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، في قوله وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى قال: عدن.

وقوله ( وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ) يقول: وهذه الدرجات العلى التي هي جنات عدن على ما وصف جل جلاله ثواب من تزكى، يعني: من تطهر من الذنوب، فأطاع الله فيما أمره، ولم يدنس نفسه بمعصيته فيما نهاه عنه.

الهوامش:

(1) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن ( مصورة الجامعة ، الورقة 198 ) قال : وقوله " إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى " . . أن وأن : في موضع نصب ، والمعنى : اختر إحدى هاتين ؛ ولو رفع إذ لم يظهر الفعل ، كان صوابا ، كأنه خبر ، كقول الشاعر : فسيرا . . . البيت " . ولو رفع " إما منا بعد وإما فداء " كان أيضا صوابا . ومذهبه كمذهب قوله : " فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان " والنصب في قوله " إما أن تلقي " وفي قوله " إما منا بعد وإما فداء " : أجود من الرفع ، لأنه شيء ليس بعام ، مثل ما ترى من معنى قوله " فإمساك " و " فصيام ثلاثة أيام " لما كان المعنى يعم الناس في الإمساك بالمعروف في صيام الثلاثة الأيام في كفارة اليمين ، كان الجزاء ، فرفع لذلك ، والاختيار إنما هي فعلة واحدة .

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(2) البيت لسويد بن أبي كاهل اليشكري ( اللسان : عبد ) قال : قال سيبويه : النسبة إلى عبد القيس عدي ، وهو من القسم الذي أضيف فيه الأول ، لأنهم لو قالوا : قيسي ، لالتبس بالمضاف إلى قيس عيلان ونحوه ، قال سويد بن أبي كاهل : " وهو صلبوا . . . البيت " . قال ابن بري : قوله بأجدعا ، أي بانف أجدع ، فحذف الموصوف ، وأقام صفته مكانه . واستشهد المؤلف بقوله : صلبوا العدي في جذع نخلة أي على جذع نخلة ، كقول القرآن : **وَأَصْلَبْتَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ** . وإنما ذلك على الاستعارة التبعية في الحرف ( في ) بتشبيه الاستعلاء بالظرفية ، بجامع التمكن في كل منهما . القول في تأويل قوله تعالى : **وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَحْشَىٰ** (77)

يقول تعالى ذكره ( **وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ** ) نبينا ( **مُوسَىٰ** ) إذ تابعنا له الحجج على فرعون ، فأبى أن يستجيب لأمر ربه ، وطغى وتمادى في طغيانه ( **أَنْ أَسْرِ** ) ليلا ( **بِعِبَادِي** ) يعني بعبادي من بني إسرائيل ،

( **فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا** ) يقول : فاتخذ لهم في البحر طريقا يابسا ، واليبس واليبس : يجمع أيباس ، تقول : وقفوا في أيباس من الأرض ، واليبس المخفف : يجمع ييوس .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

\* ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( **يَبَسًا** ) قال : يابسا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، مثله .

وأما قوله ( **لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَحْشَىٰ** ) فإنه يعني : لا تخاف من فرعون وجنوده أن يدركوك من ورائك ، ولا تخشى غرقا من بين يديك ووَخَلًا .

< 18-344 >

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

\* ذكر من قال ذلك :

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله ( **لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَحْشَىٰ** ) يقول : ( **لَا تَخَافُ** ) من آل فرعون ( **دَرْكًا وَلَا تَحْشَىٰ** ) من البحر غرقا .

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( لا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ) يقول: لا تخاف أن يدركك فرعون من بعدك ولا تخشى الغرق أمامك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جُرَيْج: قال أصحاب موسى: هذا فرعون قد أدركنا، وهذا البحر قد غشينا، فأنزل الله ( لا تَخَافُ دَرَكًا ) أصحاب فرعون (ولا تَخْشَى) من البحر وحلا.

حدثني أحمد بن الوليد الرملي، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: ثنا هشيم، عن بعض أصحابه، في قوله ( لا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ) قال: الوَحْل.

واختلفت القراء في قراءة قوله ( لا تَخَافُ دَرَكًا ) فقرأته عامّة قراء الأمصار غير الأعمش وحمزة: ( لا تَخَافُ دَرَكًا ) على الاستئناف بلا كما قال: وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا فَرَفِعَ، وأكثر ما جاء في هذا الأمر الجواب مع " لا ".  
وقرأ ذلك الأعمش وحمزة ( لا تَخَفُ دَرَكًا ) فجزما لا يتخاف على الجزاء، ورفعاً ( ولا تَخْشَى ) على الاستئناف، كما قال جل ثناؤه يُؤَلِّوْكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ فاستأنف بثم، ولو نوى بقوله: ( ولا تَخْشَى ) الجزم، وفيه الياء، كان جائزاً، كما قال الراجز:

هُرِّي إِلَيْكَ الْجِدْعَ يَجْنِيكَ الْجَنَى

وأعجب القراءتين إليّ أن أقرأ بها (لا تخافُ) على وجه الرفع، لأن ذلك أفصح اللغتين، وإن كانت الأخرى جائزة، وكان بعض نحويي البصرة يقول: معنى قوله ( لا تَخَافُ دَرَكًا ) اضرب لهم طريقاً لا تخاف فيه دركاً، قال: وحذف فيه، كما تقول: زيد أكرمت، وأنت تريد أكرمته، وكما تقول وَأَثَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا أي لا تجزى فيه، وأما نحويو الكوفة فإنهم < 345-18 > ينكرون حذف فيه إلا في المواقيت، لأنه يصلح فيها أن يقال: قمت اليوم وفي اليوم، ولا يجيزون ذلك في الأسماء.

القول في تأويل قوله تعالى : فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَاءٌ غَشِيَهُمْ (78) وَأَصَلُّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (79)

يقول تعالى ذكره: فسرى موسى ببني إسرائيل إذ أوحينا إليه أن أسر بهم، فأتبعهم فرعون بجنوده حين قطعوا البحر، فغشي فرعون وجنده في اليم ما غشاهم، فغرقوا جميعاً ( وَأَصَلُّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ) يقول جل ثناؤه: وجاوز فرعون بقومه عن سواء السبيل، وأخذ بهم على غير استقامة، وذلك أنه سلك بهم طريق أهل النار، بأمرهم بالكفر بالله، وتكذيب رسله ( وَمَا هَدَى ) يقول: وما سلك بهم الطريق المستقيم، وذلك أنه نهاهم عن اتباع رسول الله

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

موسى، والتصديق به، فأطاعوه، فلم يهدم بأمره إياهم بذلك، ولم يهتدوا  
باتباعهم إياه.

القول في تأويل قوله تعالى : يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ  
وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى (80) كُلُوا مِنْ  
طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي (81)

يقول تعالى ذكره: فلما نجا موسى بقومه من البحر، وغشي فرعون قومه من  
اليم ما غشيهم، قلنا لقوم موسى ( يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ )  
فِرْعَوْنَ (وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ) وقد  
ذكرنا كيف كانت مواعدة الله موسى وقومه جانب الطور الأيمن، وقد بينا  
المَنَّاءَ والسَّلْوَى باختلاف المختلفين فيهما، وذكرنا الشواهد على الصواب من  
القول في < 346-18 > ذلك فيما مضى قبل، بما أغنى عن إعادته في هذا  
الموضع.

واختلفت القراء في قراءة قوله ( قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ ) فكانت عامة قرآء المدينة  
والبصرة يقرءونه ( قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ ) بالنون والألف وسائر الحروف الأخرى معه  
كذلك، وقرأ ذلك عامة قرآء الكوفة ( قَدْ أَنْجَيْتُكُمْ ) بالتاء، وكذلك سائر  
الحروف الأخرى، إلى قوله ( وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ) فإنهم وافقوا  
الآخرين في ذلك وقرءوه بالنون والألف.

والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان باتفاق المعنى، فبأيتها قرأ  
القارئ ذلك فمصيب.

وقوله ( كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ) يقول تعالى ذكره لهم: كلوا يا بني  
إسرائيل من شهيآت رزقنا الذي رزقناكم، وحلاله الذي طيبناه لكم ( وَلَا تَطْغَوْا  
فِيهِ ) يقول: ولا تعتدوا فيه، ولا يظلم فيه بعضكم بعضا. كما حدثنا علي، قال:  
ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس قوله: ( وَلَا تَطْغَوْا  
فِيهِ ) يقول: ولا تظلموا.

وقوله ( فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ) يقول: فينزل عليكم عقوبيتي.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد عن قتادة، قوله ( فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ  
غَضَبِي ) يقول: فينزل عليكم غضبي.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرآته عامة قرآء الحجاز والمدينة والبصرة  
والكوفة ( فَيَحِلُّ عَلَيْكُمْ ) بكسر الحاء وَمَنْ يَحِلُّ بكسر اللام، ووجهوا معناه  
إلى: فيجب عليكم غضبي، وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة ( فَيَحِلُّ عَلَيْكُمْ )  
بضم الحاء، ووجهوا تأويله إلى ما ذكرنا عن قتادة من أنه فيقع وينزل عليكم  
غضبي.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء، وقد حذر الله الذين قيل لهم هذا القول من بني إسرائيل وقوع بأسه بهم ونزوله بمعصيتهم إياه إن هم عصوه، وخوفهم وجوبه لهم، فسواء قرئ ذلك بالوقوع أو بالوجوب، لأنهم كانوا قد خوّفوا المعنيين كليهما.

"81"

< 18-347 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَنْ يَخِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى (81) وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (82)

يقول تعالى ذكره: ومن يجب عليه غضبي، فينزل به، فقد هوى، يقول فقد تردى فشقي. كما حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله ( فَقَدْ هَوَى ) يقول: فقد شقي.

وقوله ( وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ ) يقول: وإنني لذو غفر لمن تاب من شركه، فرجع منه إلى الإيمان لي ( وَآمَنَ ) يقول: وأخلص لي الألوهة، ولم يشرك في عبادته إياي غيري. ( وَعَمِلَ صَالِحًا ) يقول: وأدى فرائضي التي افترضتها عليه، واجتنب معاصي ( ثُمَّ اهْتَدَى ) يقول: ثم لزم ذلك فاستقام ولم يضيع شيئاً منه.

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ( وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ) قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله ( وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ ) من الشرك ( وَآمَنَ ) يقول: وحد الله ( وَعَمِلَ صَالِحًا ) يقول: أدى فرائضي.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ ) من ذنبه ( وَآمَنَ ) به ( وَعَمِلَ صَالِحًا ) فيما بينه وبين الله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع ( وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ ) من الشرك ( وَآمَنَ ) يقول: وأخلص لله، وعمل في إخلاصه.

واختلفوا في معنى قوله ( ثُمَّ اهْتَدَى ) فقال بعضهم: معناه: لم يشكك في إيمانه.

\* ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ( ثُمَّ اهْتَدَى ) يقول: لم يشكك.

< 18-348 >

وقال آخرون: معنى ذلك: ثم لزم الإيمان والعمل الصالح.

\* ذكر قال ذلك: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( ثُمَّ اهْتَدَى ) يقول: ثم لزم الإسلام حتى يموت عليه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ثم استقام.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس ( ثُمَّ اهْتَدَى ) قال: أخذ بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

وقال آخرون: بل معناه: أصاب العمل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله ( وَوَعِمَلْ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ) قال: أصاب العمل.

وقال آخرون: معنى ذلك: عرف أمر مثيبه.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن الكلبي ( وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ ) من الذنب (وَأَمَّنَ) من الشرك ( وَوَعِمَلْ صَالِحًا ) أدّى ما افترضت عليه ( ثُمَّ اهْتَدَى ) عرف مثيبه إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

وقال آخرون بما حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري، قال: أخبرنا عمر بن شاکر، قال: سمعت ثابتا البناني يقول في قوله ( وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَأَمَّنْ وَوَعِمَلْ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ) قال: إلى ولاية أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم.

قال أبو جعفر: إنما اخترنا القول الذي اخترنا في ذلك، من أجل أن الاهتداء هو الاستقامة على هدى، ولا معنى للاستقامة عليه إلا وقد جمعه الإيمان والعمل الصالح والتوبة، فمن فعل ذلك وثبت عليه فلا شك في اهتدائه.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

إلقول في تأويل قوله تعالى : وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى (83) قَالَ هُمْ  
أَوْلَاءَ عَلَيَّ أَتْرِي وَوَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (84)

< 18-349 >

يقول تعالى ذكره: ( وَمَا أَعْجَلَكَ ) وأي شيء أعجلك ( عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى )  
فتقدمتهم وخلفتهم ورائك، ولم تكن معهم

( قَالَ هُمْ أَوْلَاءَ عَلَيَّ أَتْرِي ) يقول: قومي على أتري يلحقون بي ( وَوَعَجَلْتُ  
إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ) يقول وعجلت أنا فسبقتهم ربّ كيما ترضى عني.

وإنما قال الله تعالى ذكره لموسى: ما أعجلك عن قومك، لأنه جل ثناؤه، فيما  
بلغنا، حين نجاه وبني إسرائيل من فرعون وقومه، وقطع بهم البحر، وعدهم  
جانب الطور الأيمن، فتعجل موسى إلى ربه، وأقام هارون في بني إسرائيل  
يسير بهم على أثر موسى.

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: وعد الله موسى  
حين أهلك فرعون وقومه ونجاه وقومه، ثلاثين ليلة، ثم أتمها بعشر، فتم  
ميقات ربه أربعين ليلة، تلقاه فيها بما شاء، فاستخلف موسى هارون في بني  
إسرائيل، ومعه السامري، يسير بهم على أثر موسى ليلحقهم به، فلما كلم  
الله موسى، قال له ( مَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى قَالَ هُمْ أَوْلَاءَ عَلَيَّ  
أَتْرِي وَوَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ).

كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله  
( وَوَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ) قال: لأرضيك.

القول في تأويل قوله تعالى : قَالَ قَائِلًا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ  
السَّامِرِيُّ (85) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ  
رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ  
رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (86)

يقول الله تعالى ذكره قال الله لموسى: فإننا يا موسى قد ابتلينا قومك من  
بعدك بعبادة العجل، وذلك كان فتنتهم من بعد موسى.

وبعني بقوله ( مِنْ بَعْدِكَ ) من بعد فراقك إياهم يقول الله تبارك وتعالى  
( وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ) < 350-18 > وكان إضلال السامري إياهم دعاءه إياهم  
إلى عبادة العجل.

وقوله ( فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ ) يقول: فانصرف موسى إلى قومه من بني  
إسرائيل بعد انقضاء الأربعين ليلة ( غَضْبَانَ أَسِفًا ) متغيظا على قومه، حزينا  
لما أحدثوه بعده من الكفر بالله.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

كما حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله (عَصَبَانِ أَسِيفًا) يقول: حزينا، وقال في الزخرف قَلَمًا آسَفُونَ يقول: أغضبونا، والأسف على وجهين: الغضب، والحزن.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي (عَصَبَانِ أَسِيفًا) يقول: حزينا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِيفًا) : أي حزينا على ما صنع قومه من بعده.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (أَسِيفًا) قال: حزينا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا ججاج عن ابن جريح، عن مجاهد، مثله ، وقوله ( قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا ) يقول: ألم يعدكم ربكم أنه غفار لمن تاب وأمن وعمل صالحا ثم اهتدى، ويعدكم جانب الطور الأيمن، وينزل عليكم المن والسلوى، فذلك وعد الله الحسن بنبي إسرائيل الذي قال لهم موسى: ألم يعدكموه ربكم ، وقوله ( أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ ) يقول: أفتال عليكم العهد بي، وبجميل نعم الله عندكم، وأياديه لديكم، أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم: يقول: أم أردتم أن يجب عليكم غضب من ربكم فتستحقوه بعبادتكم العجل، وكفركم بالله، فأخلفتم مواعيدي. وكان إخلافهم مواعده، عكوفهم على العجل، وتركهم السير على أثر موسى للموعد الذي كان الله وعدهم، وقولهم لهارون إذ نهاهم عن عبادة العجل، ودعاهم إلى السير معه في أثر موسى ( لَنْ > 351-18 < تَبَرَّحَ عَلَيْهِ غَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ).

القول في تأويل قوله تعالى : قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حُمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (87)

يقول تعالى ذكره: قال قوم موسى لموسى: ما أخلفنا موعدك، يعنون بموعده: عهده الذي كان عهده إليهم.

كما حدثني محمد بن عمرو، ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى " ح " وحدثنا الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله مَوْعِدِي قال: عهدي ، وذلك العهد والموعد هو ما بيناه قبل.

وقوله (بِمَلَكِنَا) يخبر جل ذكره عنهم أنهم أقروا على أنفسهم بالخطأ، وقالوا: إنا لم نطق حمل أنفسنا على الصواب، ولم نملك أمرنا حتى وقعنا في الذي وقعنا فيه من الفتنة.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة يَمْلِكُنَا بفتح الميم، وقرأته عامة قراء الكوفة ( يَمْلِكُنَا)بضم الميم، وقرأه بعض أهل البصرة ( يَمْلِكُنَا) بالكسر، فأما الفتح والضم فهما بمعنى واحد، وهما بقدرتنا وطاقتنا، غير أن أحدهما مصدر، والآخر اسم، وأما الكسر فهو بمعنى ملك الشيء وكونه للمالك.

واختلف أيضا أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه: ما أخلفنا موعدك بأمرنا.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا  $352-18$  معاوية، عن عليّ عن ابن عباس، قوله مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ يَمْلِكُنَا يقول: بأمرنا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (يَمْلِكُنَا) قال: بأمرنا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

وقال آخرون: معناه: بطاقتنا.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قَالَوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ يَمْلِكُنَا : أي بطاقتنا.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ قَالَوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ يَمْلِكُنَا يقول: بطاقتنا.

وقال آخرون: معناه: ما أخلفنا موعدك بهوانا، ولكننا لم نملك أنفسنا.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ يَمْلِكُنَا قال: يقول بهوانا، قال: ولكنه جاءت ثلاثة، قال ومعهم حلي استعاروه من آل فرعون، وثياب.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال أبو جعفر: وكلّ هذه الأقوال الثلاثة في ذلك متقاربات المعنى، لأن من لم يملك نفسه، لغلبة هواه على ما أمر، فإنه لا يمتنع في اللغة أن يقول: فعل فلان هذا الأمر، وهو لا يملك نفسه وفعله، وهو لا يضبطها وفعله وهو لا يطبق تركه، فإذا كان ذلك كذلك، فسواء بأيّ القراءات الثلاث قرأ ذلك القارئ، وذلك أن من كسر الميم من الملك، فإنما يوجه معنى الكلام إلى ما أخلفنا موعدك، ونحن نملك الوفاء به لغلبة أنفسنا إيانا على خلافه، وجعله من قول القائل: هذا ملك فلان لما يملكه من المملوكات، وأن من فتحها، فإنه يوجه معنى الكلام إلى نحو ذلك، غير أنه يجعله مصدرا من قول القائل: ملكت الشيء أملكه ملكا ومملكة، كما يقال: غلبت فلانا أغلبه غلبا وغلبة، وأن من ضمها فإنه وجه معناه إلى ما أخلفنا موعدك بسلطاننا وقدرتنا، أي ونحن نقدر < 353-18 > أن نمتنع منه، لأن كل من قهر شيئا فقد صار له السلطان عليه، وقد أنكر بعض الناس قراءة من قرأه بالضم، فقال: أيّ ملك كان يومئذ لبني إسرائيل، وإنما كانوا بمصر مستضعفين، فأغفل معنى القوم وذهب غير مرادهم ذهابا بعيدا، وقارئو ذلك بالضم لم يقصدوا المعنى الذي ظنه هذا المنكر عليهم ذلك، وإنما قصدوا إلى أن معناه: ما أخلفنا موعدك بسلطان كانت لنا على أنفسنا نقدر أن نردها عما أتت، لأن هواها غلبنا على إخلافك الموعد.

وقوله وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ يقول: ولكننا حملنا أثقالا وأحمالا من زينة القوم، يعنون من حلي آل فرعون، وذلك أن بني إسرائيل لما أراد موسى أن يسير بهم ليلا من مصر بأمر الله إياه بذلك، أمرهم أن يستعبروا من أمتة آل فرعون وحليهم، وقال: إن الله مغنمكم ذلك، ففعلوا، واستعاروا من حلي نسائهم وأمتعتهم، فذلك قولهم لموسى حين قال لهم أَقْطَالٌ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَجِلَّ عَلَيْكُمْ غِصْبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي \* قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فهو ما كان مع بني إسرائيل من حلي آل فرعون، يقول: خطئونا بما أصبنا من حلي عدونا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ( أَوْزَارًا قال: أثقالا وقوله مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ قال: هي الحلي التي استعاروا من آل فرعون، فهي الأثقال.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا قال: أثقالا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ قال: حليهم.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أُوزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ يَقُول: من حليّ القبط.

< 18-354 >

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أُوزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ قال: الحليّ الذي استعاروه والثياب ليست من الذنوب في شيء، لو كانت الذنوب كانت حملناها نحملها، فليست من الذنوب في شيء.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأ عامة قراء المدينة وبعض المكيين (حُمِّلْنَا) بضم الحاء وتشديد الميم بمعنى أن موسى يحملهم ذلك، وقرأه عامة قراء الكوفة والبصرة وبعض المكيين (حَمَلْنَا) بتخفيف الحاء والميم وفتحهما، بمعنى أنهم حملوا ذلك من غير أن يكلفهم حمله أحد.

قال أبو جعفر: والقول عندي في تأويل ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، لأن القوم حملوا، وأن موسى قد أمرهم بحمله، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب.

وقوله فَقَدَفْنَاهَا يَقُول: فألقينا تلك الأوزار من زينة القوم في الحفرة ( فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ) يقول: فكما قذفنا نحن تلك الأثقال، فكذلك ألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل.

وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله فَقَدَفْنَاهَا قال: فألقيناها فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ : كذلك صنع.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد فَقَدَفْنَاهَا قال: فألقيناها فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ فكذلك صنع.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة فَقَدَفْنَاهَا : أي فنبذناها. القول في تأويل قوله تعالى : فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ قَتَيْبٍ (88)

وقوله فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ يقول: فأخرج لهم السامري مما قذفوه ومما ألقاه عجلا جسدا له خوار، ويعني بالخوار: الصوت، وهو صوت البقر.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 18-355 >

ثم اختلف أهل العلم في كيفية إخراج السامريّ العجل، فقال بعضهم: صاغه صياغة، ثم ألقى من تراب حافر فرس جبرائيل في فمه فخار.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ قَالَ: كَانَ اللَّهُ وَقْتُ لِمُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَتَمَّهَا بِعَشْرِ، فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُونَ قَالَ عَدُوُّ اللَّهِ السَّامِرِيُّ: إِنَّمَا أَصَابَكُمْ الَّذِي أَصَابَكُمْ عَقُوبَةُ بِالْحَلِيِّ الَّذِي كَانَ مَعَكُمْ، فَهَلَمُوا وَكَانَتْ حَلِيًّا تَعِيرُهَا (1) مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، فَسَارُوا وَهِيَ مَعَهُمْ، فَقَذَفُوهَا إِلَيْهِ، فَصَوَّرَهَا صُورَةَ بَقْرَةٍ، وَكَانَ قَدْ صَرَّ فِي عِمَامَتِهِ أَوْ فِي ثُوبِهِ قَبْضَةٌ مِنْ أَثَرِ فِرْسِ جِبْرَائِيلَ، فَقَذَفَهَا مَعَ الْحَلِيِّ وَالصُّورَةَ ( فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ حُورًا ) فَجَعَلَ يَخُورُ خُورَ الْبَقْرِ، فَقَالَ ( هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى ).

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: لما استبطأ موسى قومه قال لهم السامريّ: إنما احتبس عليكم لأجل ما عندكم من الحلّي، وكانوا استعاروا حلّيًا من آل فرعون فجمعوه فأعطوه السامريّ فصاغ منه عجلًا ثم أخذ القبضة التي قبض من أثر الفرس، فرس الملك، فنبذها في جوفه، فإذا هو عجل جسد له خوار، قالوا: هذا إلهكم وإله موسى، ولكن موسى نسي ربه عندكم.

وقال آخرون في ذلك بما حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: أخذ السامريّ من تربة الحافر، حافر فرس جبرائيل، فانطلق موسى واستخلف هارون على بني إسرائيل وواعدهم ثلاثين ليلة، فأتهمها الله بعشر، قال لهم هارون: يا بني إسرائيل إن الغنيمة لا تحل لكم، وإن حلّي القبط إنما هو غنيمة، فاجمعوها جميعا، فاحفروا لها حفرة فادفنها، فإن جاء موسى فأحلها أخذتموها، وإلا كان شيئا لم تأكلوه، فجمعوا ذلك الحلّي في تلك الحفرة، فجاء السامريّ بتلك القبضة فقذفها فأخرج الله من الحلّي عجلا جسدا له خوار، وعدت بنو إسرائيل موعد موسى، فعدوا الليلة يوما، واليوم < 18-356 > يوما، فلما كان لعشرين خرج لهم العجل، فلما رآه قال لهم السامريّ ( هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَتَسِي ) فعكفوا عليه يعبدونه، وكان يخور ويمشي فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ذَلِكَ حِينَ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ: احفروا لهذا الحلّي حفرة واطرحوه فيها، فطرحوه، فقذف السامريّ تربته، وقوله: ( فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى ) يقول: فقال قوم موسى الذين عبدوا العجل: هذا معبودكم ومعبود موسى، وقوله ( فَتَسِي ) يقول: فضل وترك.

ثم اختلف أهل التأويل في قوله ( فَتَسِي ) من قائله ومن الذي وصف به وما معناه، فقال بعضهم: هذا من الله خبر عن السامريّ، والسامريّ هو الموصوف به، وقالوا: معناه: أنه ترك الدين الذي بعث الله به موسى وهو الإسلام.

\* ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: يقول الله (فَتَسِيَّ): أي ترك ما كان عليه من الإسلام، يعني السامري.

وقال آخرون: بل هذا خبر من الله عن السامري، أنه قال لبني إسرائيل، وأنه وصف موسى بأنه ذهب يطلب ربه، فأضلَّ موضعه، وهو هذا العجل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي عن أبيه، عن ابن عباس فَقَدَفْنَاهَا يعني زينة القوم حين أمرنا السامري لما قبض قبضة من أثر جبرائيل عليه السلام، فألقى القبضة على حليهم فصار عجلا جسدا له خوار ( فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى ) الذي انطلق يطلبه (فَتَسِيَّ) يعني: نسي موسى، ضلَّ عنه فلم يهتد له.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (فَتَسِيَّ) يقول: طلب هذا موسى فخالفه الطريق.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة (فَتَسِيَّ) يقول: قال السامري: موسى نسي ربه عندكم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن < 357-18 > مجاهد، قوله (فَتَسِيَّ) موسى، قال: هم يقولونه: أخطأ الرب العجل.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد (فَتَسِيَّ) قال: نسي موسى، أخطأ الرب العجل، قوم موسى يقولونه.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي (فَتَسِيَّ) يقول: ترك موسى إلهه هاهنا وذهب يطلبه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله ( هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَتَسِيَّ ) قال: يقول: فني حيث وعده ربه هاهنا، ولكنه نسي.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ( هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَتَسِيَّ ) يقول: نسي موسى ربه فأخطأه، وهذا العجل إله موسى.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: والذي هو أولى بتأويل ذلك القول الذي ذكرناه عن هؤلاء، وهو أن ذلك خبر من الله عزّ ذكره عن السامريّ أنه وصف موسى بأنه نسي ربه، وأنه ربه الذي ذهب يريده هو العجل الذي أخرجه السامري، لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه، وأنه عقيب ذكر موسى، وهو أن يكون خبراً من السامري عنه بذلك أشبه من غيره.

القول في تأويل قوله تعالى : أَفَلَا يَرْوُونَ أَلا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا وَلَا تَفْعًا (89) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (90) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (91)

يقول تعالى ذكره موبخاً عبدة العجل، والقائلين له هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَتَسِيَّ وَعَابَهُمْ بِذَلِكَ، وسفه أحلامهم بما فعلوا ونالوا منه: أَفَلَا يَرُونَ أَنَّ الْعَجَلَ الَّذِي < 358-18 > زَعَمُوا أَنَّهُ إِلَهُهُمْ وَإِلَهُ مُوسَى لَا يَكْلَمُهُمْ، وَإِنْ كَلَّمُوهُ لَمْ يَرِدْ عَلَيْهِمْ جَوَابًا، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى ضَرٍّ وَلَا نَفْعٍ، فَكَيْفَ يَكُونُ مَا كَانَتْ هَذِهِ صِفَتَهُ إِلَهًا؟ كَمَا حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: ثنا أَبُو عَاصِمٍ. قَالَ: ثنا عَيْسَى " ح " وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: ثنا الْحَسَنُ، قَالَ: ثنا وَرْقَاءُ، جَمِيعًا عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مَجَاهِدٍ ( أَلا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ) الْعَجَلُ.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ( أَفَلَا يَرْوُونَ أَلا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ) قال: العجل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال الله ( أَفَلَا يَرْوُونَ أَلا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ ) ذلك العجل الذي اتخذوه ( قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا وَلَا تَفْعًا ).

وقوله ( وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ ) يقول: لقد قال لعبدة العجل من بني إسرائيل هارون، من قبل رجوع موسى إليهم، وقيله لهم ما قال مما أخبر الله عنه ( إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ) يقول: إنما اختبر الله إيمانكم ومحافظةكم على دينكم بهذا العجل الذي أحدث فيه الخوار، ليعلم به الصحيح الإيمان منكم من المريض القلب، الشاك في دينه.

كما حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال لهم هارون: ( إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ) يقول: إنما ابتليتكم به، يقول: بالعجل.

وقوله ( وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ) يقول: وإن ربكم الرحمن الذي يعم جميع الخلق نعمه، فاتَّبِعُونِي عَلَى مَا أَمْرُكُمْ بِهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَتَرَكَ عِبَادَةَ الْعَجَلِ، وَأَطِيعُوا أَمْرِي فِيمَا أَمْرُكُمْ بِهِ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ ، وَقَوْلُهُ ( قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ ) يقول: قال عبدة العجل من قوم موسى: لن نزال على العجل مقيمين نعبد، حتى يرجع إلينا موسى.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (92)  
أَلَا تَتَّبِعُنِي أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (93) قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي  
خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (94)

< 18-359 >

يقول تعالى ذكره: قال موسى لأخيه هارون لما فرغ من خطاب قومه ومراجعته إياهم على ما كان من خطأ فعلهم: يا هارون أي شيء منعك إذ رأيتهم ضلوا عن دينهم، فكفروا بالله وعبدوا العجل ألا تتبعني.

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي عدل موسى عليه أخاه من تركه اتباعه، فقال بعضهم: عدله على تركه السير بمن أطاعه في أثره على ما كان عهد إليه.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما قال القوم لَنْ تَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى أقام هارون فيمن تبعه من المسلمين ممن لم يُفتتن، وأقام من يعبد العجل على عبادة العجل، وتخوف هارون إن سار بمن معه من المسلمين أن يقول له موسى ( فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ) وكان له هائبا مطيعا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَا تَتَّبِعُنِي ) قال: تدعهم.

وقال آخرون: بل عدله على تركه أن يصلح ما كان من فساد القوم.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله ( مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَا تَتَّبِعُنِي ) قال: أمر موسى هارون أن يصلح، ولا يتبع سبيل المفسدين، فذلك قوله ( أَلَا تَتَّبِعُنِي أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ) بذلك، وقوله ( قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ) وفي هذا الكلام متروك، ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام عليه، وهو: ثم أخذ موسى بلحية أخيم هارون ورأسه يجره إليه، فقال هارون ( يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ).

وقوله ( إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي )  
فاختلف أهل العلم في صفة التفريق بينهم، الذي خشيه هارون، فقال بعضهم: كان هارون خاف أن يسير بمن أطاعه، وأقام على دينه في أثر موسى، ويخلف < 18-360 > عبدة العجل، وقد قالوا له لَنْ تَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى فيقول له موسى (فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي) بسيرك بطائفة، وتركك منهم طائفة وراءك.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال ابن زيد، في قول الله تعالى ( ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعني أفعصيت أمري ) قَالَ (..... حَشِيثٌ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي) قال: خشيت أن يتبعني بعضهم ويتخلف بعضهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: خشيت أن نقتل فيقتل بعضنا بعضا.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح ( إِيَّيْ حَشِيثٌ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ) قال: كنا نكون فرقتين فيقتل بعضنا بعضا حتى نتفانى.

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب، القول الذي قاله ابن عباس من أن موسى عدل أخاه هارون على تركه اتباع أمره بمن اتبعه من أهل الإيمان، فقال له هارون: إني خشيت أن تقول، فرقت بين جماعتهم، فتركت بعضهم وراءك، وحيئت بعضهم، وذلك بين في قول هارون للقوم يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي وفي جواب القوم له وقيلهم لَنْ تَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى .

وقوله ( وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ) يقول: ولم تنظر قولي وتحفظه، من مراقبة الرجل الشيء، وهي مناظرته بحفظه.

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، قال: قال ابن عباس ( وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ) قال: لم تحفظ قولي.

القول في تأويل قوله تعالى : قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (95) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (96)

< 18-361 >

يعني تعالى ذكره بقوله ( فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ) قال موسى للسامري: فما شأنك يا سامري، وما الذي دعاك إلى ما فعلته. كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ) قال: ما أمرك؟ ما شأنك؟ ما هذا الذي أدخلك فيما دخلت فيه.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ( قَالَ قَمَا حَطُّبُكَ يَا سَامِرِيُّ ) قال: ما لك يا سامريّ؟

وقوله ( بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ) يقول: قال السامريّ: علمت ما لم يعلموه، وهو فعلت من البصيرة: أي صرت بما عملت بصيرا عالما.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: لما قتل فرعون الولدان قالت أمّ السامريّ: لو نحيته عني حتى لا أراه، ولا أدري قتله، فجعلته في غار، فأتى جبرائيل، فجعل كفّ نفسه في فيه، فجعل يُرضعه العسل واللبن، فلم يزل يختلف إليه حتى عرفه، فمن ثم معرفته إياه حين قال: ( فَقَبِضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ).

وقال آخرون: هي بمعنى: أبصرت ما لم يبصروه، وقالوا: يقال: بصرت بالشيء وأبصرته، كما يقال: أسرعت وسرعت ما شئت.

\* ذكر من قال: هو بمعنى أبصرت: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ) يعني فرس جبرائيل عليه السلام.

وقوله ( فَقَبِضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ) يقول: قبضت قبضة من أثر حافر فرس جبرائيل.

وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما قذفت بنو إسرائيل ما كان معهم من زينة آل فرعون في النار، وتكسرت، ورأى السامريّ أثر فرس جبرائيل عليه السلام، فأخذ ترابا من أثر حافره، ثم < 362-18 > أقبل إلى النار فقذفه فيها، وقال: كن عجلا جسدا له خوار، فكان للبلاء والفتنة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: قبض قبضة من أثر جبرائيل، فألقى القبضة على حليهم فصار عجلا جسدا له خوار، فقال: هذا إلهكم وإله موسى.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ( فَقَبِضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ قَبْضُهَا ) قال: من تحت حافر

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فرس جبرائيل، نبذه السامريّ على حلية بني إسرائيل، فانسبك عجلا جسدا له خوار، حفيف الريح فيه فهو خواره، والعجل: ولد البقرة.

واختلف القراء في قراءة هذين الحرفين، فقرأته عامّة قراء المدينة والبصرة ( بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ) بالياء، بمعنى: قال السامريّ بصرت بما لم يبصر به بنو إسرائيل. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ( بَصُرْتُ بِمَا لَمْ تَبْصُرُوا بِهِ ) بالتاء على وجه المخاطبة لموسى صلى الله عليه وسلم وأصحابه، بمعنى: قال السامريّ لموسى: بصرت بما لم تبصر به أنت وأصحابك.

والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء مع صحة معنى كل واحدة منهما، وذلك أنه جائز أن يكون السامريّ رأى جبرائيل، فكان عنده ما كان بأن حدثه نفسه بذلك أو بغير ذلك من الأسباب، أن تراب حافر فرسه الذي كان عليه يصلح لما حدث عنه حين نبذه في جوف العجل، ولم يكن علم ذلك عند موسى، ولا عند أصحابه من بني إسرائيل، فلذلك قال لموسى ( بَصُرْتُ بِمَا لَمْ تَبْصُرُوا بِهِ ) أي علمت بما لم تعلموا به. وأما إذا قرئ ( بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ) بالياء، فلا مؤنة فيه، لأنه معلوم أن بني إسرائيل لم يعلموا ما الذي يصلح له ذلك التراب.

وأما قوله ( فَقَبِضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ) فإن قراء الأمصار على قراءته بالصاد، بمعنى: فأخذت بكفي تراباً من تراب أثر فرس الرسول.

وروي عن الحسن البصري وقتادة ما حدثني أحمد بن يوسف، قال: > 18- 363 < ثنا القاسم، قال: ثنا هشيم، عن عباد بن عوف، عن الحسن أنه قرأها ( فَقَبِضْتُ قَبْضَةً ) بالصاد.

وحدثني أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا هشيم، عن عباد، عن قتادة مثل ذلك بالصاد بمعنى: أخذت بأصابعي من تراب أثر فرس الرسول، والقبضة عند العرب: الأخذ بالكف كلها، والقبضة: الأخذ بأطراف الأصابع.

وقوله ( فَتَبَدُّثُهَا ) يقول: فألقيتها ( وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي ) يقول: وكما فعلت من إلقائي القبضة التي قبضت من أثر الفرس على الحلية التي أوقد عليها حتى انسبكت فصارت عجلا جسدا له خوار، ( سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي ) يقول: زينت لي نفسي أن يكون ذلك كذلك.

كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد ( وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي ) قال: كذلك حدثني نفسي.

القول في تأويل قوله تعالى : قَالَ قَادُهَا قَائًا لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ نُخْلِقَهُ وَأَنْظِرُ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلَمْتَ عَلَيْهِ عَاقِبًا لَنْحَرِّقَهُ ثُمَّ لَنْنَسِفَهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (97) إِنَّمَا إِلْهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلْهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (98)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره: قال موسى للسامري: فاذهب فإن لك في أيام حياتك أن تقول: لا مساس: أي لا أمس، ولا أمس.. ودُكر أن موسى أمر بني إسرائيل أن لا يأكلوه، ولا يخالطوه، ولا يباعدوه، فلذلك قال له: إن لك في الحياة أن تقول لا مساس، فبقي ذلك فيما ذكر في قبيلته.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان والله السامري عظيمًا من عظماء بني إسرائيل، من قبيلة يقال لها سامرة، ولكن عدو الله نافق بعد ما قطع البحر مع بني إسرائيل، قوله ( فَادْهَبْ فَإِنَّ > 364-18 < لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ) فبقاياهم اليوم يقولون لا مساس.

وقوله ( وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ ) اختلفت القراء في قراءته، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والكوفة (لَنْ تُخْلَفَهُ) بضم التاء وفتح اللام بمعنى: وإن لك موعدًا لعذابك وعقوبتك على ما فعلت من إضلالك قومي حتى عبدوا العجل من دون الله، لن يخلفه الله، ولكن يذيقه، وقرأ ذلك الحسن وقاتدة وأبو نهيك ( وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ ) بضم التاء وكسر اللام، بمعنى: وإن لك موعدًا لن تخلفه أنت يا سامري، وتأولوه بمعنى: لن تغيب عنه.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبد المؤمن، قال: سمعت أبا نهيك يقرأ ( لَنْ تُخْلَفَهُ أَنْتَ ) يقول: لن تغيب عنه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ ) يقول: لن تغيب عنه.

قال أبو جعفر: والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، لأنه لا شك أن الله موف وعده لخلقه بحشرهم لموقف الحساب، وأن الخلق موافقون ذلك اليوم، فلا الله مخلفهم ذلك، ولا هم مخلفوه بالتخلف عنه، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب في ذلك.

وقوله ( وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ) يقول: وانظر إلى معبودك الذي ظلت عليه مقيمًا تعبدته.

كما حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ( ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ) الذي أقمت عليه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: فقال له موسى ( وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ) يقول: الذي أقمت عليه. وللعرب في ظلت: لغتان: الفتح في الظاء،

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وبها قرأ قرء الأمصار، والكسر فيها، وكان الذين كسروا نقلوا حركة اللام التي هي عين الفعل من ظللت إليها، ومن فتحها أقرّ حركتها التي كانت لها قبل أن يحذف منها شيء، والعرب تفعل في الحروف التي فيها التضعيف ذلك، < 365-18 > فيقولون في مَسَيْتَ مَسَتْ وَمَسَّتْ وفي هممت بذلك: همت به، وهل أحست فلانا وأحسسته، كما قال الشاعر:

حَلَا أَنَّ الْعِتَاقَ مِنَ الْمَطَايَا

أَحْسَنَ بِهِ فَهَنَّ إِلَيْهِ شُوسٌ (2)

وقوله (لَنَحْرَقَنَّه) اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق (لَنُحْرَقَنَّه) بضم النون وتشديد الراء، بمعنى لنحرقنه بالنار قطعة قطعة، وزوي عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك (لَنُحْرَقَنَّه) بضم النون، وتخفيف الراء، بمعنى: لنحرقنه بالنار إحراقاً واحدة، وقرأه أبو جعفر القارئ: (لَنُحْرَقَنَّه) بفتح النون وضم الراء بمعنى: لنبردنه بالمبارد من حرقة أحرقه وأحرقه، كما قال الشاعر:

بِذِي فِرْقَيْنِ يَوْمَ بَنُو حُبَيْبٍ

يُؤْوِبُهُمْ عَلَيْنَا يَحْرُقُونَا (3)

< 18-366 >

والصواب في ذلك عندنا من القراءة (لَنُحْرَقَنَّه) بضم النون وتشديد الراء، من الإحراق بالنار.

كما حدثني عليّ قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: (لَنُحْرَقَنَّه) يقول: بالنار.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس (لَنُحْرَقَنَّه) فحرّقه ثم ذراه في اليم، وإنما اخترت هذه القراءة لإجماع الحجة من القراء عليها.

وأما أبو جعفر، فإنني أحسبه ذهب إلى ما حدثنا به موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط عن السديّ (وَإِنظُرْ إِلَى إِلْهَكِ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحْرَقَنَّه ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا) ثم أخذه فذبحه، ثم حرّقه بالمبرد، ثم ذراه في اليم، فلم يبق بحر يومئذ إلا وقع فيه شيء منه.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ) قال: وفي بعض القراءة لنذبحه ثم لنحرقه، ثم لننسه في اليم نسا.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في حرف ابن مسعود ( وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُذَبِّحَنَّهُ ثُمَّ لَنَحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ).

وقوله ( ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ) يقول: ثم لنذريه في البحر تذرية، يقال منه: نسف فلان الطعام بالمنسف: إذا ذراه فطير عنه قشوره وتراه باليد أو الريح.

< 18-367 >

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله ( ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ) يقول: لنذريه في البحر.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: ذراه في اليم، واليم: البحر.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: ذراه في اليم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة في اليم، قال: في البحر.

وقوله ( إِنَّمَا إِلْهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ) يقول: ما لكم أيها القوم معبود إلا الذي له عبادة جميع الخلق لا تصلح العبادة لغيره، ولا تنبغي أن تكون إلا له ( وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ) يقول: أحاط بكل شيء علما فعلمه، فلا يخفى عليه منه شيء ولا يضيق عليه علم جميع ذلك، يقال منه: فلان يسع لهذا الأمر: إذا أطاقه وقوي عليه، ولا يسع له: إذا عجز عنه فلم يطقه ولم يقو عليه.

وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ) يقول: ملأ كل شيء علما تبارك وتعالى.

-----

# جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الهوامش:

- (1) لعله : تعوروها : أي استعاروها ، كما أورده في اللسان في قصة العجل من حديث ابن عباس .
- (2) البيت لأبي زيد الطائي ( اللسان : حسس ) . ورواية الشطر الثاني فيه : " حسين به فهن إليه شوس " . قال : حس بالشيء يحس ( يقتل ) حسا ( بالفتح ) وحسا ( بالكسر ) وحسيسا ، وأحس به ، وأحسه : شعر به . وأما قولهم " أحست بالشيء " فعلى الحذف كراهية التقاء المثلين . قال سيويه : وكذلك يفعل في كل بناء بيني اللام من الفعل منه على السكون ، لا تصل إليه الحركة ، شبهوها بأقمت . الأزهرى : ويقال : هل أحست : بمعنى أحسست . ويقال : حست بالشيء إذا علمته وعرفته . قال : ويقال : أحسست الخبر وأحسته وحسيت وحست : إذا عرفت منه طرفا وتقول ما أحسست بالخبر وما أحست وما حسيت وما حست : أي لم أعرف منه شيئا . . . وربما قالوا : حسيت بالخبر ، وأحسيت به ، يدلون من السين ياء ، قال أبو زيد : " خلا أن . . . البيت " . قال الجوهرى وأبو عبيدة يروي بيت أبي زيد ؛ " أحسن به فهو إليه شوس " . وأصله أحسن . أه . ويقال في ظل وما وما أشبهه كل مضعف مكسور العين في الماضي : ظللت أفعل كذا ، بلامين ، وظلت أفعل كذا بفتح الفاء . وظلت أفعل كذا ، بحذف اللام ونقل حركتها إلى الظاء .
- (3) البيت أنشده المفضل الضبي ونسبه لعامر بن شقيق ( اللسان : حرق ، ومعجم ما استعجم للبكري 210 ) وذو فرقين أو ذات فرقين كما في معجم ما استعجم : هضبة ببلاد بني تميم - بين طريق البصرة والكوفة وهي إلى الكوفة أقرب . أه . وفي شرح الحماسة للتبريزي ( 2 : 67 ) نسب القصيدة لعامر بن شقيق من بني كوز بن كعب بن بجالة بن زهل بن مالك . وقبل البيت :

فإنك لو رأيت ولم تربه

أكف القوم تخرق بالقنينا

قال : وذو فرقين : هضبة في بلاد بني أسد ، من ناحية الفرات . وقوله " بذى فرقين " : يجوز أن يتعلق بقوله : " لو رأيت " ، ويجوز أن يتعلق بتخرق بالقنينا . وكذلك قوله " يوم بني حبيب " : ويجوز أن يكون ظرفا لكل واحد من الفعلين ، لأنهما ظرفان ، والفاعل ، تيينا+ لها . ويقال : هو يحرق أنيابه : أحدهما للزمان والآخر للمكان ، وأضاف اليوم إلى الجملة التي بعده ، لأن الأزمنة تضاف إلى الجمل ، من الابتداء والخبر ، والفعل والفاعل ، تيينا لها . ويقال : هو يحرق أنيابه : إذا حك بعضها ببعض تهديدا ، ويقال : هو يحرق عليه الأرم ، أي يصف بأنياه تغيظا . ويقال : حرقه إذا حك بعضها ببعض تهديدا ، ويقال : هو يحرق عليه الأرم ، أي يصرف بأنياه تغيظا . ويقال : حرقه بالمبرد : إذا برده . وحكى أبو حاتم : فلان يحرق نابه على ، برفع الباء ، لأنه هو الذي يحرق . وقال أبو العلاء قوله " بذى فرقين " : أراد : ذات

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فرقين ، فذكر على معنى الموضع أو الجبل وهي التي ذكرها عبيد في قوله  
\* فذات فرقين فالقلب \*

قيل : هي تثنية كسنام الفالج ، فلذلك سميت ذات فرقين .  
القول في تأويل قوله تعالى : كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ  
وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (99) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (100)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: كما قصصنا عليك يا محمد نبأ موسى وفرعون وقومه وأخبار بني إسرائيل مع موسى ( كَذَلِكَ نَقُصُّ  $< 368-18 >$  عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ) يقول: كذلك نخبرك بأخبار الأشياء التي قد سبقت من قبلك، فلم تشاهدها ولم تعانها ، وقوله ( وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ) يقول تعالى ذكره لمحمد صلى الله عليه وسلم: وقد آتيناك يا محمد من عندنا ذكرا يتذكر به، ويتعظ به أهل العقل والفهم، وهو هذا القرآن الذي أنزله الله عليه، فجعله ذكرا للعالمين ، وقوله ( مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ ) يقول تعالى ذكره: من ولي عنه فادبر فلم يصدق به ولم يقرب ( فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ) يقول: فإنه يأتي ربه يوم القيامة يحمل حملا ثقيلا وذلك الإثم العظيم. كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ( يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ) قال: إثما.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

القول في تأويل قوله تعالى : خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا (101)  
يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (102) يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (103)

يقول تعالى ذكره: خالدین فی وزرهم، فأخرج الخير جل ثناؤه عن هؤلاء المعرضين عن ذكره في الدنيا أنهم خالدون في أوزارهم، والمعنى: أنهم خالدون في النار بأوزارهم، ولكن لما كان معلوما المراد من الكلام اكتفي بما ذكر عما لم يذكر.

وقوله ( وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ) يقول تعالى ذكره: وساء ذلك الحمل والثقل من الإثم يوم القيامة حملا وحق لهم أن يسوءهم ذلك، وقد أوردتهم مهلكة لا منجى منها.

وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

$< 18-369 >$

\* ذكر من قال ذلك:



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ( وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ) يقول: بنسما حملوا.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ( وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ) يعني بذلك: ذنوبهم.

وقوله ( يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ) يقول تعالى ذكره: وساء لهم يوم القيامة، يوم ينفخ في الصور، فقوله ( يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ) ردًا على يوم القيامة، وقد بينا معنى النفخ في الصور، وذكرنا اختلاف المختلفين في معنى الصور، والصحيح في ذلك من القول عندي بشواهد المغنية عن إعادته في هذا الموضع قبل.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار ( يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ) بالياء وضمها على ما لم يسم فاعله، بمعنى: يوم يأمر الله إسرافيل فينفخ في الصور. وكان أبو عمرو بن العلاء يقرأ ذلك ( يَوْمَ تَنْفَخُ فِي الصُّورِ ) بالنون بمعنى: يوم تنفخ نحن في الصور، كأن الذي دعاه إلى قراءة ذلك كذلك طلبه التوفيق بينه وبين قوله ( وَتَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ ) إذ كان لا خلاف بين القراء في ( نحشر ) أنها بالنون.

قال أبو جعفر: والذي أختار في ذلك من القراءة ( يوم ينفخ ) بالياء على وجه ما لم يسم فاعله، لأن ذلك هو القراءة التي عليها قراء الأمصار وإن كان للذي قرأ أبو عمرو وجه غير فاسد.

وقوله ( وَتَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ) يقول تعالى ذكره: ونسوق أهل الكفر بالله يومئذ إلى موقف القيامة زرقا، فقيل: عنى بالزرق في هذا الموضع: ما يظهر في أعينهم من شدة العطش الذي يكون بهم عند الحشر لرأي العين من الزرق، وقيل: أريد بذلك أنهم يحشرون عميا، كالذي قال الله وَتَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيَ .

وقوله ( يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ) يقول تعالى ذكره: يتهامسون بينهم، ويسر بعضهم إلى بعض: إن لبثتم في الدنيا، يعني أنهم يقول بعضهم لبعض: ما لبثتم في الدنيا إلا عشرا.

< 18-370 >

ونحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ( يتخافتون بينهم ) يقول: يتساورون بينهم.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ ) :  
أي يتسارون بينهم ( إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ) .

القول في تأويل قوله تعالى : نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْئَلُهُمْ طَرِيقَةً  
إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (104)

يقول تعالى ذكره: نحن أعلم منهم عند إسرارهم وتخافتهم بينهم بقليلهم إن  
لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا بما يقولون لا يخفى علينا مما يتساررونه بينهم شيء ( إِذْ  
يَقُولُ أَمْئَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ) يقول تعالى ذكره حين يقول أوفاهم  
عقلا وأعلمهم فيهم: إن لبتتم في الدنيا إلا يوما.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن شعبة، في قوله: ( إِذْ يَقُولُ  
أَمْئَلُهُمْ طَرِيقَةً ) أوفاهم عقلا

وإنما عنى جل ثناؤه بالخبر عن قليلهم هذا القول يومئذ، إعلام عباده أن أهل  
الكفر به ينسون من عظيم ما يعاينون من هول يوم القيامة، وشدة جزعهم  
من عظيم ما يردون عليه ما كانوا فيه في الدنيا من النعيم واللذات، ومبلغ  
ما عاشوا فيها من الأزمان، حتى يخيل إلى أعتلهم فيهم، وأذكرهم وأفهمهم  
أنهم لم يعيشوا فيها إلا يوما.

القول في تأويل قوله تعالى : وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا )  
(105) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (106) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (107)

< 18-371 >

يقول تعالى ذكره: ويسألك يا محمد قومك عن الجبال، فقل لهم: يذريها ربي  
تذرية، ويطيرها بقلعها واستئصالها من أصولها، ودك بعضها على بعض،  
وتصويره إياها هباء منبثا

(فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا) يقول تعالى ذكره: فيدع أماكنها من الأرض إذا نسفها  
نسفا، قاعا: يعني: أرضا ملساء، صفصفا: يعني مستويا لا نبات فيه، ولا نشز،  
ولا ارتفاع.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ( قَاءًا صَفْصَفًا ) يقول: مستويا لا نبات فيه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( فَيَدْرُهَا قَاءًا صَفْصَفًا ) قال: مستويا، الصفصف: المستوي.

حدثني يونس، قال: أخبرنا عبد الله بن يوسف، قال: ثنا عبد الله بن لهيعة، قال: ثنا أبو الأسود، عن عروة، قال: كنا قعودا عند عبد الملك حين قال كعب: إن الصخرة موضع قدم الرحمن يوم القيامة، فقال: كذب كعب، إنما الصخرة جبل من الجبال، إن الله يقول ( وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ) فسكت عبد الملك.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ( صَفْصَفًا ) قال: مستويا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

قال أبو جعفر: وكان بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل الكوفة يقول: القاع: مستنقع الماء، والصفصف: الذي لا نبات فيه.

وقوله ( لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ) يقول: لا ترى في الأرض عوجا ولا أمتا.

واختلف أهل التأويل في معنى العوج والأمت، فقال بعضهم عنى > 18-372 < بالعوج في هذا الموضع: الأودية، وبالأمت: الروابي والنشور.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ( لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ) يقول: واديا، ولا أمتا: يقول: رابية.

حدثني محمد بن عبد الله المخرمي، قال: ثنا أبو عامر العقدي، عن عبد الواحد بن صفوان مولى عثمان، قال: سمعت عكرمة، قال: سئل ابن عباس، عن قوله ( لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ) قال: هي الأرض البيضاء، أو قال: الملساء التي ليس فيها لبنة مرتفعة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ( لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ) قال: ارتفاعا، ولا انخفاضاً.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ) قال: لا تعادي، الأمت: التعادي.

وقال آخرون: بل عنى بالعوج في هذا الموضع: الصدوع، وبالأمت: الارتفاع من الأكام وأشباهها.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ( لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا ) قال: صدعا(ولا أمتا) يقول: ولا أكمة.

وقال آخرون: عنى بالعوج: الميل، وبالأمت: الأثر.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ( لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا ) يقول: لا ترى فيها ميلا والأمت: الأثر مثل الشراك.

وقال آخرون: الأمت: المحاني والأحداب.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قال: الأمت: الحدب.

< 18-373 >

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بالعوج: الميل، وذلك أن ذلك هو المعروف في كلام العرب.

فإن قال قائل: وهل في الأرض اليوم من عوج، فيقال: لا ترى فيها يومئذ عوجا، قيل: إن معنى ذلك: ليس فيها أودية وموانع تمنع الناظر أو السائر فيها عن الأخذ على الاستقامة، كما يحتاج اليوم من أخذ في بعض سبلها إلى الأخذ أحيانا يمينا، وأحيانا شمالا لما فيها من الجبال والأودية والبحار. وأما الأمت فإنه عند العرب: الانثناء والضعف، مسموع منهم، مد حبله حتى ما ترك فيه أمتا: أي انثناء، وملا سقائه حتى ما ترك فيه أمتا، ومنه قول الراجز:

ما في انجذاب سَيْرِهِ مِنْ أَمْتٍ (1)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يعني: من وهن وضعف، فالواجب إذا كان ذلك معني الأمت عندهم أن يكون أصوب الأقوال في تأويله: ولا ارتفاع ولا انخفاض، لأن الانخفاض لم يكن إلا عن ارتفاع، فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: لا ترى فيها ميلا عن الاستواء، ولا ارتفاعا، ولا انخفاضا، ولكنها مستوية ملساء، كما قال جل ثناؤه: ( قَاعًا صَفْصَفًا ).

القول في تأويل قوله تعالى : يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلا هَمْسًا (108)

يقول تعالى ذكره: يومئذ يتبع الناس صوت داعي الله الذي يدعوهم إلى موقف القيامة، فيحشرهم إليه ( لا عِوَجَ لَهُ ) يقول: لا عوج < 374-18 > لهم عنه ولا انحراف، ولكنهم سراعا إليه ينحشرون، وقيل: لا عوج له، والمعنى: لا عوج لهم عنه، لأن معنى الكلام ما ذكرنا من أنه لا يعوجون له ولا عنه، ولكنهم يؤمونه ويأتونه، كما يقال في الكلام: دعاني فلان دعوة لا عوج لي عنها: أي لا أعوج عنها، وقوله ( وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ ) يقول تعالى ذكره: وسكنت أصوات الخلائق للرحمن فوصف الأصوات بالخشوع، والمعنى لأهلها إنهم خضع جميعهم لربهم، فلا تسمع لناطق منهم منطلقا إلا من أذن له الرحمن.

كما حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ( وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ ) يقول: سكنت.

وقوله ( فَلا تَسْمَعُ إِلا هَمْسًا ) يقول:

إنه وطاء الأقدام إلى المحشر، وأصله: الصوت الخفيّ، يقال همس فلان إلى فلان بحدِيثه إذا أسرّه إليه وأخفاه، ومنه قول الراجز:

وَهَنَّ يَمْشِيْنَ بِنَا هَمِيْسًا

إِنْ يَصْدُقِ الطَّيْرُ نِيْكَ لَمِيْسًا (2)

يعني بالهمس: صوت أخفاف الإبل في سيرها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عليّ بن عباس، عن عطاء، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس ( فَلا تَسْمَعُ إِلا هَمْسًا ) قال: وطاء الأقدام.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ( وَحَسَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ) يعني: همس الأقدام، وهو الوطاء.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس ( فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ) يقول: الصوت الخفي.

حدثنا إسماعيل بن موسى السديّ، قال: أخبرنا شريك، عن عبد الرحمن بن الأصبهاني، عن عكرمة ( فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ) قال: وطاء الأقدام.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا حماد، عن حميد، عن الحسن ( فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ) قال: همس الأقدام.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ) قال قتادة: كان الحسن يقول: وقع أقدام القوم.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عليه، قال: ثنا ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله ( فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ) قال: تهافتا، وقال: تخافت الكلام.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ( هَمْسًا ) قال: خفض الصوت.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: خفض الصوت، قال: وأخبرني عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قال: كلام الإنسان لا تسمع تحرّك شفّتيه ولسانه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، قوله ( فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ) يقول: لا تسمع إلا مشيا، قال: المشي الهمس وطاء الأقدام.

القول في تأويل قوله تعالى : **يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (109) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (110)**

يقول تعالى ذكره ( **يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا (من أذن له الرحمن) أن يشفع ( وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا )** ) وأدخل في الكلام له دليلا على إضافة > 18-376 < القول إلى كناية " مَنْ " وذلك كقول القائل الآخر: رضيت لك عملك، ورضيته منك، وموضع مَنْ من قوله ( **إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ** ) نصب لأنه خلاف الشفاعة.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) يقول تعالى ذكره: يعلم ربك يا محمد ما بين أيدي هؤلاء الذين يتبعون الداعي من أمر القيامة، وما الذي يصيرون إليه من الثواب والعقاب (وَمَا خَلْفَهُمْ) يقول: ويعلم أمر ما خلفوه وراءهم من أمر الدنيا. كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) من أمر الساعة (وما خلفهم) من أمر الدنيا.

وقوله (وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) يقول تعالى ذكره: ولا يحيط خلقه به علما. ومعنى الكلام: أنه محيط بعباده علما، ولا يحيط بعباده به علما، وقد زعم بعضهم أن معنى ذلك: أن الله يعلم ما بين أيدي ملائكته وما خلفهم، وأن ملائكته لا يحيطون علما بما بين أيدي أنفسهم وما خلفهم، وقال: إنما أعلم بذلك الذين كانوا يعبدون الملائكة، أن الملائكة كذلك لا تعلم ما بين أيديها وما خلفها، موبخهم بذلك ومقرّعهم بأن من كان كذلك، فكيف يعبد، وأن العبادة إنما تصلح لمن لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

القول في تأويل قوله تعالى : وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (111)

يقول تعالى ذكره: استترت وجوه الخلق، واستسلمت للحَيِّ القيوم الذي لا يموت، القيوم على خلقه بتدبيره إياهم، وتصريفهم لما شاءوا، وأصل العنوا الذل، يقال منه: عنا وجهه لربه يعنوا عنوا، يعني خضع له وذل، وكذلك قيل للأسير: عان لذلة الأسير، فأما قولهم: أخذت الشيء عنوة، فإنه يكون وإن كان معناه يتول إلى هذا أن يكون أخذه غلبة، ويكون أخذه عن تسليم وطاعة، كما قال الشاعر:

< 18-377 >

هَلْ أَنْتَ مُطِيعِي أَيُّهَا الْقَلْبُ عِنُوهُ

ولم تلح نفس لم تلم في اختيالها (3)

وقال آخر:

هَلْ أَخَذُوهَا عِنُوهَ عَنِ مَوَدَّةِ

وَلَكِنْ بِحَدِّ الْمَشْرِفِي اسْتَقَالَهَا (4)

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ( وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ) يقول: ذلت.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ( وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ) يعني بعنت: استسلموا لي.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ( وَعَنَتِ الْوُجُوهُ ) قال: خشعت.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، < 378-18 > عن قتادة، قوله ( وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ) أي ذلت الوجوه للحَيِّ القيوم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله ( وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ) قال: ذلت الوجوه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: قال طلق: إذا سجد الرجل فقد عنا وجهه، أو قال: عنا.

حدثني أبو حُصَيْن عبد الله بن أحمد، قال: ثنا عيسى، قال: ثنا حصين، عن عمرو بن مرة عن طلق بن حبيب، في هذه الآية ( وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ) قال: هو وضع الرجل رأسه وبيده وأطراف قدميه.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا ابن فضيل، عن ليث، عن عمرو بن مرة، عن طلق بن حبيب في قوله ( وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ) قال: وهو وضعك جبهتك وكفيك وركبتك وأطراف قدميك في السجود.

حدثنا خلاد بن أسلم، قال ثنا محمد بن فضيل، عن حصين، عن عمرو بن مرة، عن طلق بن حبيب في قوله ( وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ) قال: وضع الجبهة والأنف على الأرض.

حدثني يعقوب: قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن عمرو بن مرة، عن طلق بن حبيب، في قوله ( وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ) قال: هو السجود على الجبهة والراحة والركبتين والقدمين.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( وَعَتَّتِ  
الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقِيُومِ ) قال: استأسرت الوجوه للحَيِّ الْقِيُومِ، صاروا أسارى  
كلهم له، قال: والعاني: الأسير، وقد بَيَّنَّا معنى الْحَيِّ الْقِيُومِ فيما مضى، بما  
أغنى عن إعادته هاهنا.

وقوله ( وَقَدْ حَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ) يقول تعالى ذكره: ولم يظفر بحاجته  
وطلبته من حمل إلى موقف القيادة شركا بالله، وكفرا به، وعملا بمعصيته.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة،  
في قوله ( وَقَدْ حَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ) قال: من حمل شركا.

< 18-379 >

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( وَقَدْ حَابَ  
مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ) قال: من حمل شركا. الظلم هاهنا: الشرك.

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا  
يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (112)

يقول تعالى ذكره وتقدّست أسماؤه: ومن يعمل من صالحات الأعمال، وذلك  
فيما قيل أداء فرائض الله التي فرضها على عباده ( وَهُوَ مُؤْمِنٌ ) يقول: وهو  
مصدق بالله، وأنه مجاز أهل طاعته وأهل معاصيه على معاصيهم ( فَلَا يَخَافُ  
ظُلْمًا ) يقول: فلا يخاف من الله أن يظلمه، فيحمل عليه سيئات غيره، فيعاقبه  
عليها ( وَلَا هَضْمًا ) يقول: لا يخاف أن يهضمه حسناته، فينقصه ثوابها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ  
الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ) وإنما يقبل الله من العمل ما كان في إيمان.

حدثنا القاسم، قال: قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله ( وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ  
الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ) قال: زعموا أنها الفرائض.

\* ذكر من قال ما قلنا: في معنى قوله ( فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ).



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا أبو كريب وسليمان بن عبد الجبار، قالا ثنا ابن عطية، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس ( فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ) قال: هضما : غصبا.

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال: ( فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ) قال: لا يخاف ابن آدم يوم القيامة أن يظلم فيزداد عليه في سيئاته، ولا يظلم فيهضم في حسناته.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني < 380-18 > أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ( وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ) يقول: أنا قاهر لكم اليوم، أخذكم بقوّتي وشدّتي، وأنا قادر على قهركم وهضمكم، فإنما بيني وبينكم العدل، وذلك يوم القيامة.

حدثت عن الحسين بن الفرّج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ( فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ) أما هضما فهو لا يقهر الرجل الرجل بقوّته، يقول الله يوم القيامة: لا أخذكم بقوّتي وشدّتي، ولكن العدل بيني وبينكم، ولا ظلم عليكم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ( هَضْمًا ) قال: انتقاص شيء من حقّ عمله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: ثنا أبو أسامة، عن مسعر، قال: سمعت حبيب بن أبي ثابت يقول في قوله ( وَلَا هَضْمًا ) قال: الهضم: الانتقاص.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ( فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ) قال: ظلما أن يزداد في سيئاته، ولا يهضم من حسناته.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ) قال: لا يخاف أن يظلم فلا يجزى بعمله، ولا يخاف أن ينتقص من حقه فلا يوفى عمله.

حدثنا الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا سلام بن مسكين، عن ميمون بن سياه، عن الحسن، في قول الله تعالى ( فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ) قال: لا ينتقص الله من حسناته شيئا، ولا يحمل عليه ذنب مسيء ،

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأصل الهضم: النقص، يقال: هضمني فلان حقي، ومنه امرأة هضم: أي ضامرة < 381-18 > البطن، ومنه قولهم: قد هضم الطعام: إذا ذهب، وهضمت لك من حقل: أي حططتك.

القول في تأويل قوله تعالى : وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنْ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (113)

يقول تعالى ذكره: كما رغبتنا أهل الإيمان في صالحات الأعمال، بوعدناهم ما وعدناهم، كذلك حذرنا بالوعيد أهل الكفر بالمقام على معاصينا، وكفرهم بآياتنا فأنزلنا هذا القرآن عربيا، إذ كانوا عربيا ( وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ ) فبيناه: يقول: وخوفناهم فيه بضروب من الوعيد ( لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ) يقول: كي يتقونا، بتصريفنا ما صرّفنا فيه من الوعيد ( أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ) يقول: أو يحدث لهم هذا القرآن تذكرة، فيعتبرون ويتعظون بفعلنا بالأمم التي كذبت الرسل قبلها، وينزجرون عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ) ما حذروا به من أمر الله وعقابه، ووقائعه بالأمم قبلهم (أو يحدث لهم) القرآن (ذِكْرًا) : أي جدا وورعا.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله ( أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ) قال: جدا وورعا، وقد قال بعضهم في ( أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ) أن معناه: أو يحدث لهم شرفا، بإيمانهم به.

الهوامش:

(1) البيت من مشطور الرجز ، وهو للعجاج كما في ( اللسان : أمت )  
والرواية فيه : \* ما في انطلاق ركبته من أمت \*

قال : وفي حديث أبي سعيد الخدري : " أن النبي صلى الله عليه وسلم حرم الخمر ، فلا أمت فيها ، وأنا أنهي عن السكر والمسكر " . قال أبو منصور : معنى قول أبي سعيد عن النبي : أراد أنه حرمها تحريما لا هوادة فيه ولا لين ، لكنه شدد في تحريمها ؛ وهو من قولك : سرت سيرا لا أمت فيه : أي لا وهن فيه ولا ضعف . وجائز أن يكون المعنى أنه حرمها تحريما لا شك فيه . وأصله من الأمت بمعنى الحزر والتقدير ، لأن الشك يدخلها . قال العجاج \*  
ما في انطلاق ركبته من أمت \*

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أي من فتور وإسترخاء . أه .  
(2) البيت مما أنشده ابن عباس ، وقد نقله عنه السيوطي في الإتيان وكثير من المفسرين ، ومنهم المؤلف ، ونقل صاحب ( اللسان : همس ) شطره الأول . وهو \* وهن يمشين بنا هميسا \*

قال : وهو صوت نقل أخفاف الإبل . أ هـ . وقال في أول المادة : الهمس : الخفي من الصوت والوطء والأكل . وفي التنزيل : " فلا تسمع إلا همسا " . وفي التهذيب : يعني به والله أعلم : خفق الأقدام على الأرض . وقال الفراء : يقال إنه نقل الأقدام إلى المحشر . ويقال : الصوت الخفي . وروي عن ابن عباس تمثل فأنشده \* وهن يمشين بنا هميسا \*

(3) لم أقف على قائل البيت . وعنوة : قال في اللسان ( عنو ) في حديث الفتح أنه دخل مكة عنوة : أي قهرا وغلبة . قال ابن الأثير : هو من عنا يعنو : إذا ذل وخضع . والعنوة : المرة منه ، كأن المأخوذ بها يخضع ويذل . وأخذت البلاد عنوة : بالقهر والإذلال . ابن الأعرابي : عنا يعنو : إذا أخذ الشيء قهرا . وعنا يعنو عنوة : إذا أخذ الشيء صلحا ، بإكرام ورفق . والعنوة أيضا المودة قال الأزهري : أخذت الشيء عنوة : يعني غلبة ، ويكون عن تسليم وطاعة مما يؤخذ منه الشيء . وأنشد الفراء لكثير :

فَمَا أَحَدُوهَا عَنُوهَ عَن مَوَدَّةِ

وَلَكِنَّ صَرَبَ الْمَشْرِفِيِّ اسْتَقَالَهَا

فهذا على معنى التسليم والطاعة بلا قتال . وقال الأخفش في قوله تعالى : " وعنت الوجوه " : استأسرت . قال : والعاني : الأسير . وقال أبو الهيثم : العاني الخاضع .

(4) البيت لكثير عزة ، كما في ( اللسان : عنا ) وقد تقدم القول في معناه في الشاهد السابق عليه . المشرفي : السيف منسوب إلى قرية يقال لها مشارف بالشام أو اليمن . واستقلالها : أخذها وانتزاعها .  
القول في تأويل قوله تعالى : فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (114)

< 18-382 >

يقول تعالى ذكره: فارتفع الذي له العبادة من جميع خلقه، الملك الذي قهر سلطانه كل ملك وجبار، الحق عما يصفه به المشركون من خلقه ( وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ) يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولا تعجل يا محمد بالقرآن، فتقرئه أصحابك، أو تقرأه عليهم، من

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قبل أن يوحى إليك بيان معانيه، فعوتب على إكتابه وإملائه ما كان الله ينزله عليه من كتابه من كان يكتبه ذلك من قبل أن يبين له معانيه، وقيل: لا تتله على أحد، ولا تمله عليه حتى نبينه لك.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ( وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ) قال: لا تتله على أحد حتى نبينه لك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: يقول: لا تتله على أحد حتى تتمه لك، هكذا قال القاسم: حتى تتمه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس. قوله ( وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ) يعني: لا تعجل حتى نبينه لك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ) : أي بيانه.

حدثنا الجسين، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة ( وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ) قال: تبيانه.

حدثنا ابن المثنى وابن بشار، قالوا ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن قتادة ( مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ) من قبل أن يبين لك بيانه.

وقوله ( وَفُلٌ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ) يقول تعالى ذكره: وقل يا محمد: رب زدني علما إلى ما علمتني أمره بمسألته من فوائد العلم ما لا يعلم.

< 18-383 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَسِيٍّ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (115)

يقول تعالى ذكره: وإن يضيع يا محمد هؤلاء الذين نصرّف لهم في هذا القرآن من الوعيد عهدي، ويخالفوا أمري، ويتركوا طاعتي، ويتبعوا أمر عدوهم إبليس، ويطيعوه في خلاف أمري، فقيما ما فعل ذلك أبوهم آدم ( وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى ) يقول: ولقد وصينا آدم وقلنا له إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنْ

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الْجَنَّةِ ووسوس إليه الشيطان فأطاعه، وخالف أمري، فحلَّ به من عقوبتي ما حلَّ.

وعنى حلَّ ثناؤه بقوله (مِنْ قَبْلُ) هؤلاء الذين أخبر أنه صرَّف لهم الوعيد في هذا القرآن، وقوله (فَنَسِي) يقول: فترك عهدي.

كما حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ) يقول: فترك.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله (فَنَسِيَ) قال: ترك أمر ربه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) قال: قال له يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرَوْحِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى فقرأ حتى بلغ لَا تَطْمَأ فِيهَا وَلَا تَصْحَى وقرأ حتى بلغ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى قال: فنسي ما عهد إليه في ذلك، قال: وهذا عهد الله إليه، قال: ولو كان له عزم ما أطاع عدوه الذي حسده، وأبي أن يسجد له مع من سجد له إبليس، وعصى الله الذي كرمه وشرَّفه، وأمر ملائكته فسجدوا له.

حدثنا ابن المثنى وابن بشار قالوا ثنا يحيى بن سعيد، وعبد الرحمن، ومؤمل، قالوا: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: إنما سمي الإنسان لأنه عهد إليه فنسي.

وقوله (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) اختلف أهل التأويل في معنى العزم هاهنا، فقال بعضهم: معناه الصبر.

< 18-384 >

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) (أي صبرا).

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن قتادة (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) قال: صبرا.

حدثنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، قال: ثنا أبو النضر، قال: ثنا شعبة، عن قتادة، مثله.

وقال آخرون: بل معناه: الحفظ، قالوا: ومعناه: ولم نجد له حفظا لما عهدنا إليه.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو السائب، قال: ثنا ابن إدريس، عن أبيه، عن عطية ( وَلَمْ تَجِدْ لَهُ عَزْمًا ) قال: حفظا لما أمرته.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هاشم بن القاسم، عن الأشجعي، عن سفيان، عن عمرو بن قيس، عن عطية، في قوله ( وَلَمْ تَجِدْ لَهُ عَزْمًا ) قال: حفظا.

حدثنا عباد بن محمد، قال: ثنا قبيصة، عن سفيان، عن عمرو بن قيس، عن عطية، في قوله ( وَلَمْ تَجِدْ لَهُ عَزْمًا ) قال: حفظا لما أمرته به.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ( وَلَمْ تَجِدْ لَهُ عَزْمًا ) يقول: لم نجد له حفظا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( وَلَمْ تَجِدْ لَهُ عَزْمًا ) قال: العزم: المحافظة على ما أمره الله تبارك وتعالى بحفظه والتمسك به.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله ( وَلَمْ تَجِدْ لَهُ عَزْمًا ) يقول: لم نجعل له عزما.

حدثني القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا الحجاج بن فضالة، عن لقمان بن عامر، عن أبي أمامة قال: لو أن أحلام بني آدم جمعت منذ يوم خلق > 18-385 < الله تعالى آدم إلى يوم الساعة، ووضعت في كفة ميزان. ووضع حلم آدم في الكفة الأخرى، لرجح حلمه بأحلامهم، وقد قال الله تعالى ( وَلَمْ تَجِدْ لَهُ عَزْمًا ).

قال أبو جعفر: وأصل العزم اعتقاد القلب على الشيء، يقال منه: عزم فلان على كذا: إذا اعتقد عليه ونواه، ومن اعتقاد القلب: حفظ الشيء، ومنه الصبر على الشيء، لأنه لا يجزع جازع إلا من خور قلبه وضعفه، فإذا كان ذلك كذلك، فلا معنى لذلك أبلغ مما بينه الله تبارك وتعالى، وهو قوله ( وَلَمْ تَجِدْ لَهُ عَزْمًا ) فيكون تأويله: ولم نجد له عزم قلب، على الوفاء لله بعهد، ولا على حفظ ما عهد إليه.

القول في تأويل قوله تعالى : وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (116) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرَوْحِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره معلما نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، ما كان من تضييع آدم عهده، ومعرّفه بذلك أن ولده لن يعدوا أن يكونوا في ذلك على منهاجه، إلا من عصمه الله منهم (و) اذكر يا محمد ( وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ) أن يسجد له ( فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرَوْجِكَ ) ولذلك من شنانه لم يسجد لك، وخالف أمري في ذلك وعصاني، فلا تطيعاه فيما يأمركما به، فيخرجكما بمعصيتكما ربكما، وطاعتكما له ( مِنْ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ) يقول: فيكون عيشك من كدّ يدك، فذلك شقاؤه الذي حدّره ربه.

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، قال: أهبط إلى آدم ثور أحمر، فكان يحرث عليه، ويمسح العرق من جبينه، فهو الذي قال الله تعالى ذكره ( فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ) فكان ذلك شقاؤه ، وقال تعالى ذكره ( فَتَشْقَى ) ولم يقل: فتشقى، وقد قال: ( فَلَا يُخْرِجَنَّكَ ) لأن > 18- 386 < ابتداء الخطاب من الله كان لآدم عليه السلام، فكان في إعلامه العقوبة على معصيته إياه، فيما نهاه عنه من أكل الشجرة الكفاية من ذكر المرأة، إذ كان معلوما أن حكمها في ذلك حكمه. كما قال عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ اجترئ بمعرفة السامعين معناه من ذكر فعل صاحبه.

القول في تأويل قوله تعالى : إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى (119) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى (120)

يقول تعالى ذكره، مخبرا عن قبله لآدم حين أسكنه الجنة (إِنَّ لَكَ) يا آدم ( أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ) و " أن " في قوله ( أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ) في موضع نصب بإن التي في قوله: (إِنَّ لَكَ).

وقوله ( وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا ) اختلفت القراء في قراءتها، فقرأ ذلك بعض قراء المدينة والكوفة بالكسر: وإنك، على العطف على قوله (إِنَّ لَكَ) ، وقرأ ذلك بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة والبصرة وأنك، بفتح ألفها عطفا بها على " أن " التي في قوله ( أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ) ، ووجهوا تأويل ذلك إلى أن لك هذا وهذا، فهذه القراءة أعجب القراءتين إليّ، لأن الله تبارك وتعالى ذكره وعد ذلك آدم حين أسكنه الجنة، فكون ذلك بأن يكون عطفا على أن لا تجوع أولى من أن يكون خبر مبتدأ، وإن كان الآخر غير بعيد من الصواب ، وعني بقوله ( لَا تَظْمَأُ فِيهَا ) لا تعطش في الجنة ما دمت فيها) ولا تَصْحَى ) ، يقول: لا تظهر للشمس فيؤذيك حرّها، كما قال ابن أبي ربيعة:

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَصَتْ

فَيَصْحَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَحْضَرُ (1)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 18-387 >

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله ( وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ) يقول: لا يصيبك فيها عطش ولا حر.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ( وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ) يقول: لا يصيبك حر ولا أذى.

حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي، قال: ثنا عبد الرحمن بن شريك، قال: ثني أبي، عن خفيف عن سعيد بن جبير ( لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ) قال: لا تصيبك الشمس.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( وَلَا تَصْحَى ) قال: لا تصيبك الشمس، وقوله ( فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ) يقول: فألقى إلى آدم الشيطان وحدثه ( قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ ) يقول: قال له: هل أدلك على شجرة إن أكلت منها خلدت فلم تمت، وملكت ملكا لا ينقضي فيلبي.

كما حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي ( قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ) إن أكلت منها كنت ملكا مثل الله أو تكونا من الخالدين فلا تموتان أبدا.

< 18-388 >

القول في تأويل قوله تعالى : فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (122)

يقول تعالى ذكره: فأكل آدم وحواء من الشجرة التي نُهيَا عن الأكل منها، وأطاعا أمر إبليس، وخالفا أمر ربهما ( فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا ) يقول: فانكشفت لهما عوراتهما، وكانت مستورة عن أعينهما.

كما حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: إنما أراد، يعني إبليس بقوله هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ليبي لهما ما توارى عنهما من سواتهما، بهتك لباسهما، وكان قد علم أن لهما سواة لما كان يقرأ من كتب الملائكة، ولم يكن آدم يعلم ذلك، وكان لباسهما الطفر، فأبى آدم أن يأكل منها، فتقدمت حواء، فأكلت ثم قالت: يا آدم كل، فإني قد أكلت، فلم يضرنني، فلما أكل آدم بدت سواتهما.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله (وَطَفِقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ) يقول: أقبلًا يشدان عليهما من ورق الجنة.

كما حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي (وَطَفِقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ) يقول: أقبلًا يغطيان عليهما بورق التين.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَطَفِقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ) يقول: يوصلان عليهما من ورق الجنة.

وقوله (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) يقول: وخالف أمر ربه، فتعدى إلى ما لم يكن له أن يتعدى إليه، من الأكل من الشجرة التي نهاه عن الأكل منها، وقوله (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى) يقول: اصطفاه ربه من بعد معصيته إياه فرزقه الرجوع إلى ما يرضى عنه، والعمل بطاعته، وذلك هو كانت توبته التي تابها عليه، وقوله (وَهَدَى) يقول: وهداه للتوبة، فوقفه لها.

< 18-389 >

المقول في تأويل قوله تعالى : قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123)

يقول تعالى ذكره: قال الله تعالى لآدم وحواء ( اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا إِلَى الْأَرْضِ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ) يقول: أنتما عدو إبليس وذريته، وإبليس عدوكمما وعدو ذريتهما.

وقوله ( فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ) يقول: فإن يأتكم يا آدم وحواء وإبليس مني هدى: يقول: بيان لسبيلي، وما أختاره لخلقى من دين ( فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ ) يقول: فمن اتبع بياني ذلك وعمل به، ولم يزغ منه ( فَلَا يَضِلُّ ) يقول: فلا يزول عن محجة الحق، ولكنه يرشد في الدنيا ويهتدي (وَلَا يَشْقَى) في الآخرة بعقاب الله، لأن الله يدخله الجنة، وينجيهِ من عذابه.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني الحسين بن يزيد الطحان، قال: ثنا أبو خالد الأحمر، عن عمرو بن قيس الملائي، عن عكرمة عن ابن عباس، قال: تضمن الله لمن قرأ القرآن، واتبع ما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم تلا هذه الآية ( فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ).

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي، قال: ثنا حكام الرازي، عن أيوب بن موسى، عن مرو ثنا الملائي عن ابن عباس أنه قال: إن الله قد ضمن.... فذكر نحوه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن أيوب بن يسار أبي عبد الرحمن، عن عمرو بن قيس، عن رجل عن ابن عباس، بنحوه.

حدثنا علي بن سهل الرملي، قال: ثنا أحمد بن محمد النسائي، عن أبي سلمة، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، قال: قال ابن عباس: من قرأ القرآن واتبع ما فيه عصمه الله من الضلالة، ووقاه، أظنه أنه قال: من هول يوم القيامة، < 390-18 > وذلك أنه قال ( فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ) في الآخرة.

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125)

يقول تعالى ذكره ( وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ) الذي أذكره به فتولى عنه ولم يقبله ولم يستجب له، ولم يتعظ به فينزجر عما هو عليه مقيم من خلافه أمر ربه ( فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ) يقول: فإن له معيشة ضيقة، والضنك من المنازل والأماكن والمعاش: الشديد، يقال: هذا منزل ضنك: إذا كان ضيقا، وعيش ضنك: الذكر والأنثى والواحد والاثنان والجمع بلفظ واحد؛ ومنه قول عنتره:

وإن نزلوا بضنك أنزل (2)

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله ( فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ) يقول: الشقاء.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن < 391-18 > مجاهد، قوله ( ضَنْكًا ) قال: ضيقة.

حدثنا الحسين، قال: ثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، في قوله ( فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ) قال: الضنك: الضيق.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد، في قوله ( فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ) يقول: ضيقة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

واختلف أهل التأويل في الموضع الذي جعل الله لهؤلاء المعرضين عن ذكره العيشة الضنك، والحال التي جعلهم فيها، فقال بعضهم: جعل ذلك لهم في الآخرة في جهنم، وذلك أنهم جعل طعامهم فيها الضريع والزقوم.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو بن علي بن مقدم، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن عوف، عن الحسن، في قوله: ( فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ) قال: في جهنم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ) فقرأ حتى بلغ ( وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ) قال: هؤلاء أهل الكفر، قال: ومعيشة ضنكا في النار شوك من نار وزقوم وغسلين، والضريع: شوك من نار، وليس في القبر ولا في الدنيا معيشة، ما المعيشة والحياة إلا في الآخرة، وقرأ قول الله عز وجل ( يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ) قال: لمعيشتي، قال: والغسلين والزقوم: شيء لا يعرفه أهل الدنيا.

حدثنا الحسن، قال: ثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة ( فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ) قال: في النار.

وقال آخرون: بل عنى بذلك: فإن له معيشة في الدنيا حراما قال: ووصف الله جل وعز معيشتهم بالضنك، لأن الحرام وإن اتسع فهو ضنك.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين بن واقد، عن يزيد، عن عكرمة في قوله: ( مَعِيشَةً ضَنْكًا ) < 392-18 > قال: هي المعيشة التي أوسع الله عليه من الحرام.

حدثني داود بن سليمان بن يزيد المكتب من أهل البصرة، قال: ثنا عمرو بن جرير البجلي، عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم في قول الله ( مَعِيشَةً ضَنْكًا ) قال: رزقا في معصيته.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني عبد الأعلى بن واصل، قال: ثنا يعلى بن عبيد، قال: ثنا أبو بسطام، عن الضحاك ( قَائِلٌ لَهُ مَعِيشَةٌ صَنْكًا ) قال: الكسب الخبيث.

حدثني محمد بن إسماعيل الصراري، قال: ثنا محمد بن سوار، قال: ثنا أبو اليقظان عمار بن محمد، عن هارون بن محمد التيمي، عن الضحاك، في قوله ( قَائِلٌ لَهُ مَعِيشَةٌ صَنْكًا ) قال: العمل الخبيث، والرزق السيئ.

وقال آخرون ممن قال عنى أن لهؤلاء القوم المعيشة الضنك في الدنيا، إنما قيل لها ضنك وإن كانت واسعة، لأنهم ينفقون ما ينفقون من أموالهم على تكذيب منهم بالخلف من الله، وإياس من فضل الله، وسوء ظنّ منهم بربهم، فتشتدّ لذلك عليهم معيشتهم وتضيق.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ( وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ) يقول: كلّ مال أعطيته عبدا من عبادي قلّ أو كثير، لا يتقيني فيه، لا خير فيه، وهو الضنك في المعيشة. ويقال: إن قوما ضلّلا أعرضوا عن الحق وكانوا أولي سعة من الدنيا أكثرين، فكانت معيشتهم ضنكا، وذلك أنهم كانوا يرون أن الله عزّ وجل ليس بمخلف لهم معايشهم من سوء ظنهم بالله، والتكذيب به، فإذا كان العبد يكذب بالله، وبسيء الظنّ به، اشتدّت عليه معيشته، فذلك الضنك.

وقال آخرون: بل عنى بذلك: أن ذلك لهم في البرزخ، وهو عذاب القبر.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يزيد بن مخلد الواسطي، قال: ثنا خالد بن عبد الله، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن أبي حازم عن النعمان بن أبي عياش، عن أبي سعيد الخدري، قال في قول الله ( مَعِيشَةٌ ضَنْكًا ) قال: عذاب < 393-18 > القبر.

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا عبد الرحمن بن إسحاق، عن أبي حازم، عن النعمان بن أبي عياش، عن أبي سعيد الخدري، قال: إن المعيشة الضنك، التي قال الله: عذاب القبر.

حدثني حوثره بن محمد المنقري، قال: ثنا سفيان، عن أبي حازم، عن أبي سلمة، عن أبي سعيد الخدري ( قَائِلٌ لَهُ مَعِيشَةٌ ضَنْكًا ) قال: يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه.

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا أبي وشعيب بن الليث، عن الليث، قال: ثنا خالد بن زيد، عن ابن أبي هلال، عن أبي حازم، عن أبي

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

سعيد، أنه كان يقول: المعيشة الضنك: عذاب القبر، إنه يسלט على الكافر في قبره تسعة وتسعون تينا تنهشه وتخدش لحمه حتى يُبعث، وكان يقال: لو أن تينا منها نفخ الأرض لم تنبت زرعاً.

حدثنا مجاهد بن موسى، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: يطبق على الكافر قبره حتى تختلف فيه أضلعه، وهي المعيشة الضنك التي قال الله ( مَعِيشَةً صَنْكًا وَتَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ).

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح والسدي، في قوله ( مَعِيشَةً صَنْكًا ) قال: عذاب القبر.

حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، قال: ثنا محمد بن عبيد، قال: ثنا سفيان الثوري، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، في قوله ( فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً صَنْكًا ) قال: عذاب القبر.

حدثني عبد الرحمن بن الأسود، قال: ثنا محمد بن ربيعة، قال: ثنا أبو عُميس، عن عبد الله بن مخارق عن أبيه، عن عبد الله، في قوله ( مَعِيشَةً صَنْكًا ) قال: عذاب القبر.

حدثني عبد الرحيم البرقي، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: ثنا محمد بن جعفر وابن أبي حازم، قالوا ثنا أبو حازم، عن النعمان بن أبي عياش، عن أبي سعيد الخدري ( مَعِيشَةً صَنْكًا ) قال: عذاب القبر.

< 18-394 >

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هو عذاب القبر الذي حدثنا به أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: ثنا عمي عبد الله بن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث، عن درّاج، عن ابن حُجيرة عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " أَتَدْرُونَ فِيمَ أُنزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ( فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً صَنْكًا وَتَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ) أَتَدْرُونَ مَا الْمَعِيشَةُ الصَّنْكَ؟ " قالوا: اللهم ورسوله أعلم، قال: عَذَابُ الْكَافِرِ فِي قَبْرِهِ، وَالَّذِي تَفْسِي بِيَدِهِ أَنَّهُ لِيُسَلَطَ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ تَيْنًا، أَتَدْرُونَ مَا التَّيْنُ: تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ حَيْهَ، لِكُلِّ حَيْهَ سَبْعَةُ رُءُوسٍ، يَنْفُحُونَ فِي جِسْمِهِ وَيَلْسَعُونَهُ وَبِحَدِيثِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ."

وإن الله تبارك وتعالى اتبع ذلك بقوله: وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى فكان معلوماً بذلك أن المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم قبل عذاب الآخرة، لأن ذلك لو كان في الآخرة لم يكن لقوله: وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى معنى مفهوم، لأن ذلك إن لم يكن تقدّمه عذاب لهم قبل الآخرة، حتى يكون الذي في الآخرة أشدّ منه، بطل معنى قوله وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ، فإذا كان ذلك كذلك، فلا تخلو تلك المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم من أن

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

تكون لهم في حياتهم الدنيا، أو في قبورهم قبل البعث، إذ كان لا وجه لأن تكون في الآخرة لما قد بينا، فإن كانت لهم في حياتهم الدنيا، فقد يجب أن يكون كل من أعرض عن ذكر الله من الكفار، فإن معيشتهم فيها ضئيلة، وفي وجودنا كثيرا منهم أوسع معيشة من كثير من المقبلين على ذكر الله تبارك وتعالى، القائلين له المؤمنون في ذلك، ما يدل على أن ذلك ليس كذلك، وإذ خلا القول في ذلك من هذين الوجهين صح الوجه الثالث، وهو أن ذلك في البرزخ.

وقوله ( وَتَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ) اختلف أهل التأويل في صفة العمى الذي ذكر الله في هذه الآية، أنه يعث هؤلاء الكفار يوم القيامة به، فقال بعضهم: ذلك عمى عن الحجة، لا عمى عن البصر.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، قال: ثنا محمد بن عبيد، قال: ثنا سفيان الثوري، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، < 395-18 > في قوله: ( وَتَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ) قال: ليس له حجة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ( وَتَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ) قال: عن الحجة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله، وقيل: يحشر أعمى البصر.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك ما قال الله تعالى ذكره، وهو أنه يحشر أعمى عن الحجة ورؤية الشيء كما أخبر جل ثناؤه، فعمم ولم يخص.

وقوله ( قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك. فقال بعضهم في ذلك، ما حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرزاق، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ( قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى ) لا حجة لي.

وقوله ( وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: وقد كنت بصيرا بحجتي.

ذكر من قال ذلك: حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ( وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ) قال: عالما بحجتي.

وقال آخرون. بل معناه: وقد كنت ذا بصر أبصر به الأشياء.

# جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ( وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ) في الدنيا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ) قال: كان بعيد البصر، قصير النظر، أعمى عن الحق.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا، أن الله عزَّ شأنه وجلُّ ثناؤه، عمَّ بالخبر عنه بوصفه نفسه بالبصر، ولم يخص منه معنى دون > 396-18 < معنى، فذلك على ما عمه ، فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الآية، قال: ربِّ لم حشرتني أعمى عن حفتي ورؤية الأشياء، وقد كنت في الدنيا ذا بصر بذلك كله.

فإن قال قائل: وكيف قال هذا لربه ( لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى ) مع معاينته عظيم سلطانه، أجهل في ذلك الموقف أن يكون لله أن يفعل به ما شاء، أم ما وجه ذلك؟ قيل: إن ذلك منه مسألة لربه يعرِّفه الجرم الذي استحق به ذلك، إذ كان قد جهله، وظنَّ أن لا جرم له، استحق ذلك به منه، فقال: رَبِّ لَأَيِّ ذَنْبٍ وَأَيِّ جَرْمٍ حَشَرْتَنِي أَعْمَى، وقد كنت من قبل في الدنيا بصيرا وأنت لا تعاقب أحدا إلا بدون ما يستحق منك من العقاب.

الهوامش:

(1) البيت لعمر بن أبي ربيعة القرشي المخزومي . وقد أورده صاحب اللسان في ( ضحا ) ولم ينسبه . قال : وضحا الرجل ضحوا ( على فعل ) وضحوا ( على فاعول ) وضحيا : برز للشمس وضحى بكسر الحاء يضحى في اللغتين معه ضحوا وضحيا : أصابته الشمس ، قال الله تعالى : ( وأنت لا تظلم فيها ولا تضحى ) قال : لا يؤذيك حر الشمس . وقال الفراء : لا تضحى : لا تصيبك شمس مؤذية . قال : وفي بعض التفسير : ولا تضحى : لا تعرق . قال الأزهري : والأول أشبه بالصواب ، وأنشد : " رأيت رجلا . . . البيت " . أه . وقوله " يخصر " : هو من الخصر بالتحريك ، والبرد يجده الإنسان في أطرافه .

(2) هذا جزء من عجز بيت لعنترة بن عمرو بن شداد العبسي ( مختار الشعر الجاهلي طبعة الحلبي ، شرح مصطفى السقا ، ص 388 ) والبيت بتمامه هو :

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

إِنْ يُلَاحِظُوا أَكْرُرُ وَإِنْ يُسْتَلْحَمُوا  
أَشْدُّ وَإِنْ يُلَقُوا بِصْنِكٍ أَنْزِلْ

وفي ( اللسان : صنك ) : الصنك : الضيق من كل شيء ، الذكر والأنثى فيه سواء . ومعيشة صنك : ضيقة . وفي التزيل : ( فإن له معيشة صنكا ) أي غير حلال .  
القول في تأويل قوله تعالى : قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126)

وقوله ( قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا ) يقول تعالى ذكره، قال الله حينئذ للقاتل له: ( لِمَ حَسَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ) فعلت ذلك بك، فحشرتك أعمى كما أتتك آياتي، وهي حجه وأدلته وبيانه الذي بينه في كتابه، فنسيتها: يقول: فتركتها وأعرضت عنها، ولم تؤمن بها، ولم تعمل. وعنى بقوله ( كَذَلِكَ أَتَتْكَ ) هكذا أتتك. وقوله: ( وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ) يقول: فكما نسيت آياتنا في الدنيا، فتركتها وأعرضت عنها، فكذلك اليوم ننسك، فنتركك في النار.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله ( وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ) فقال بعضهم بمثل الذي قلنا في ذلك.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، قال، ثنا محمد بن عبيد، قال: ثنا سفيان الثوري، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، في قوله ( وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ) قال: في النار.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله ( كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا ) قال: فتركتها ( وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ) وكذلك اليوم تترك في النار.

وروي عن قتادة في ذلك ما حدثني بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ) قال: نسي من الخير، ولم ينس من الشر. وهذا القول الذي قاله قتادة قريب المعنى مما > 397-18 < قاله أبو صالح ومجاهد، لأن تركه إياهم في النار أعظم الشر لهم.

القول في تأويل قوله تعالى : وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (127)

يقول تعالى ذكره: وهكذا نجزي: أي نثيب من أسرف فعصى ربه، ولم يؤمن برسله وكتبه، فنجعل له معيشة صنكا في البرزخ كما قد بينا قبل ( وَلَعَذَابُ



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الآخِرَةَ أَشَدُّ وَأَبْقَى ) يقول جل ثناؤه: ولعذاب في الآخرة أشدّ لهم مما وعدتهم في القبر من المعيشة الضنك وأبقى يقول: وأدوم منها، لأنه إلى غير أمد ولا نهاية.

القول في تأويل قوله تعالى : أَقَلَّمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ (128)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: أفلم يهد لقومك المشركين بالله، ومعنى يهد: يبين. يقول: أفلم يبين لهم كثرة ما أهلكنا قبلهم من الأمم التي سلكت قبلها التي يمشون في مساكنهم ودورهم، ويرون آثار عقوباتنا التي أحلناها بهم سوء مغبة ما هم عليه مقيمون من الكفر بآياتنا، ويتعظوا بهم، ويعتبروا، ونبهوا إلى الإذعان، ويؤمنوا بالله ورسوله، خوفا أن يصيبهم بكفرهم بالله مثل ما أصابهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ ) لأن قريشا كانت تتجر إلى الشام، فتمر بمساكن عاد وثمود ومن أشبههم، فترى آثار وقائع الله تعالى بهم، فلذلك قال لهم: أفلم يحذرهم ما يرون من فعلنا بهم بكفرهم بنا نزول مثله لهم، وهم على مثل فعلهم مقيمون ، وكان الفراء يقول: لا يجوز < 398-18 > في كم في هذا الموضع أن يكون إلا نصبا بأهلكنا، وكان يقول: وهو وإن لم يكن إلا نصبا، فإن جملة الكلام رفع بقوله ( يَهْدِ لَهُمْ ) ويقول: ذلك مثل قول القائل: قد تبين لي أقام عمرو أم زيد في الاستفهام، وكقوله سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ويزعم أن فيه شيئا يرفع سواء لا يظهر مع الاستفهام، قال: ولو قلت: سواء عليكم صمتكم ودعاؤكم تبين ذلك الرفع الذي في الجملة، وليس الذي قال الفراء من ذلك، كما قال: لأن كم وإن كانت من حروف الاستفهام فإنها لم تجعل في هذا الموضع للاستفهام، بل هي واقعة موقع الأسماء الموصوفة، ومعنى الكلام ما قد ذكرنا قبل وهو: أفلم يبين لهم كثرة إهلاكنا قبلهم القرون التي يمشون في مساكنهم، أو أفلم تهدم القرون الهالكة، وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ( أَقَلَّمْ يَهْدِ لَهُمْ مِّنْ أَهْلَكْنَا ) فكم واقعة موقع من في قراءة عبد الله، هي في موضع رفع بقوله ( يَهْدِ لَهُمْ ) وهو أظهر وجوهه، وأصح معانيه، وإن كان الذي قاله وجه ومذهب على بعد.

وقوله ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ ) يقول تعالى ذكره: إن فيما يعاين هؤلاء ويرون من آثار وقائعنا بالأمم المكذبة رسلها قبلهم، وحلول مثلثنا بهم لكفرهم بالله (آيات) يقول: لدلالات وعبرا وعظات (لأولي النهي) يعني: لأهل الحجة والعقول، ومن ينهاه عقله وفهمه ودينه عن واقعة ما يضره.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (لأولي النهى) يقول: التقى.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ) أهل الورع.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى (129) قَاصِرٌ عَلَيَّ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ أَتَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ < 399-18 > وَأَطْرَافِ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (130)

يقول تعالى ذكره ( وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ ) يا محمد أن كل من قضى له أجلا فإنه لا يخترمه قبل بلوغه أجله ( وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ) يقول: ووقت مسمى عند ربك سماه لهم في أم الكتاب وخطه فيه، هم بالغوه ومستوفوه ( لَكَانَ لِزَامًا ) يقول: للآزمهم الهلاك عاجلا وهو مصدر من قول القائل: لازم فلان فلانا يلزمه ملازمة ولزاما: إذا لم يفارقه، وقدّم قوله ( لَكَانَ لِزَامًا ) قبل قوله ( وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ) ومعنى الكلام: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما، فاصبر على ما يقولون.

وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى ، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ( وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ) الأجل المسمى: الدنيا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ) وهذه من مقادير الكلام، يقول: لولا كلمة سبقت من ربك إلى (1).

أجل مسمى كان لزاما، والأجل المسمى، الساعة، لأن الله تعالى يقول بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ .

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ) قال: هذا مقدّم ومؤخر، ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

واختلف أهل التأويل في معنى قوله ( لَكَانَ لِرَآمًا ) فقال بعضهم: معناه: لكان موتا.

< 18-400 >  
\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ( لَكَانَ لِرَآمًا ) يقول: موتا.

وقال آخرون: معناه لكان قتلا.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد ( لَكَانَ لِرَآمًا ) والززوم: القتل.

وقوله ( فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ) يقول جل ثناؤه لنبيه: فاصبر يا محمد على ما يقول هؤلاء المكذبون بآيات الله من قومك لك إنك ساحر، وإنك مجنون وشاعر ونحو ذلك من القول ( وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ) يقول: وصل بثنائك على ربك، وقال: بحمد ربك، والمعنى: بحمدك ربك، كما تقول: أعجبتني ضرب زيد، والمعنى: ضربني زيد، وقوله: ( قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ) وذلك صلاة الصبح ( وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ) وهي العصر ( وَمِنْ آتَاءِ اللَّيْلِ ) وهي ساعات الليل، واحدها: إني، على تقدير حمل، ومنه قول المنخل السعدي:

حُلُوٌّ وَمُرٌّ كَعَطْفِ الْقِدْحِ مِرَّتُهُ

فِي كُلِّ إِنِّي قَصَاةُ اللَّيْلِ يَنْتَعِلُ (2)

ويعني بقوله ( وَمِنْ آتَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ ) صلاة العشاء الآخرة، لأنها تصلى بعد مضيّ آناء من الليل. وقوله ( وَأَطْرَافِ النَّهَارِ ) : يعني صلاة الظهر والمغرب، وقيل: أطراف النهار، والمراد بذلك الصلاتان اللتان ذكرتا، لأن صلاة الظهر في آخر طرف النهار الأول، وفي أول طرف النهار الآخر، فهي في طرفين منه، < 401-18 > والطرف الثالث: غروب الشمس، وعند ذلك تصلى المغرب، فلذلك قيل أطراف، وقد يحمل أن يقال: أريد به طرفا النهار. وقيل: أطراف، كما قيل صَعَتْ قُلُوبُكُمَا فجمع، والمراد: قلبان، فيكون ذلك أول طرف النهار الآخر، وآخر طرفه الأول (3).

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عاصم، عن ابن أبي زيد، عن ابن عباس (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) قال: الصلاة المكتوبة.

حدثنا تميم بن المنتصر، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله، قال: كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرأى القمر ليلة البدر فقال: " إِنَّكُمْ رَأَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لَا تُصَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا " ثم تلا ( وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ) .

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج ( وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ) قال ابن جريج: العصر، وأطراف النهار قال: المكتوبة.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة في قوله ( وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ) قال: هي صلاة الفجر ( وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ) قال: صلاة العصر ( وَمِنْ آتَاءِ اللَّيْلِ ) قال: صلاة المغرب والعشاء ( وَأَطْرَافَ النَّهَارِ ) قال: صلاة الظهر.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( وَمِنْ آتَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ ) قال: من آتاء الليل: العتمة، وأطراف النهار: المغرب والصبح، ونصب قوله ( وَأَطْرَافَ النَّهَارِ ) عطفا على قوله ( قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ) لأن معنى ذلك: فسبح بحمد ربك آخر الليل، وأطراف النهار.

< 18-402 >

وبنحو الذي قلنا في معنى ( آتَاءِ اللَّيْلِ ) قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس ( وَمِنْ آتَاءِ اللَّيْلِ ) قال: المصلى من الليل كله.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عليه، عن أبي رجاء، قال: سمعت الحسن قرأ ( وَمِنْ آتَاءِ اللَّيْلِ ) قال: من أوله، وأوسطه، وآخره.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله ( وَمِنْ آتَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ ) قال: آتاء الليل: جوف الليل.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله ( لَعَلَّكَ تَرْضَى ) يقول: كي ترضى.

وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والعراق ( لَعَلَّكَ تَرْضَى ) بفتح التاء. وكان عاصم والكسائي يقرآن ذلك ( لَعَلَّكَ تُرَضَى ) بضم التاء، وزوي ذلك عن أبي عبد الرحمن السلمي، وكان الذين قرءوا ذلك بالفتح، ذهبوا إلى معنى: إن الله يعطيك، حتى ترضى عطيتته وثوابه إياك، وكذلك تأوله أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( لَعَلَّكَ تَرْضَى ) قال: الثواب، ترضى بما يثيبك الله على ذلك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج ( لَعَلَّكَ تَرْضَى ) قال: بما تعطى، وكان الذين قرءوا ذلك بالضم، وجهوا معنى الكلام إلى لعل الله يرضيك من عبادتك إياه، وطاعتك له. والصواب من القول في ذلك عندي: أنهما قراءتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء، وهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار، متفقتا المعنى، غير مختلفتيه، وذلك أن الله تعالى ذكره إذا أرضاه، فلا شك أنه يرضى، وأنه إذا رضي فقد أرضاه الله، فكل واحدة منهما تدل على معنى الأخرى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب.

< 18-403 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِيَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (131)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولا تنظر إلى ما جعلنا لضرباء هؤلاء المعرضين عن آيات ربهم وأشكالهم، متعة في حياتهم الدنيا، يتمتعون بها، من زهرة عاجل الدنيا ونصرتها ( لِيَفْتِنَهُمْ فِيهِ ) يقول: لنختبرهم فيما متعناهم به من ذلك، ونبليهم، فإن ذلك فإن زائل، وغرور وخذع تضحل ( وَرِزْقُ رَبِّكَ ) الذي وعدك أن يرزقك في الآخرة حتى ترضى، وهو ثوابه إياه ( خَيْرٌ ) لك مما متعناهم به من زهرة الحياة الدنيا ( وَأَبْقَى ) يقول: وأدوم، لأنه لا انقطاع له ولا نفاذ، وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى يهودي يستسلف منه طعاما، فأبى أن يسلفه إلا برهن.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن موسى بن عبيدة، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن أبي رافع، قال: أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يهودي يستسلفه، فأبى أن يعطيه إلا برهن، فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَنْزَلَ اللهُ ( وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا محمد بن كثير، عن عبد الله بن واقد، عن يعقوب بن يزيد، عن أبي رافع، قال: نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف: فأرسلني إلى يهودي بالمدينة يستسلفه، فأتيته، فقال: لا أسلفه إلا برهن، فأخبرته بذلك، فقال: إني لأمين في أهل السماء وفي أهل الأرض، فأحمل دُرْعِي إليه، فنزلت وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَتَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ وقوله ( وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) إلى قوله وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ويعني بقوله: ( أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ) رجالا منهم < 404-18 > أشكالا وبزهرة الحياة الدنيا: زينة الحياة الدنيا.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) : أي زينة الحياة الدنيا، ونصب زهرة الحياة الدنيا على الخروج من الهاء التي في قوله به من ( مَتَّعْنَا بِهِ ) ، كما يقال: مررت به الشريف الكريم، فنصب الشريف الكريم على فعل مررت، وكذلك قوله ( إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) تنصب على الفعل بمعنى: متعناهم به زهرة في الحياة الدنيا وزينة لهم فيها، وذكر الفراء أن بعض بني فقعس أنشده:

أَبْعَدَ الَّذِي بِالسَّفْحِ سَفْحِ كُؤَاكِبِ

رَهِيْنَةَ رَمْسٍ مِنْ تُرَابٍ وَجَنْدَلٍ (4)

فنصب رهينة على الفعل من قوله: " أبعد الذي بالسفح "، وهذا لا شك أنه أضعف في العمل نصبا من قوله ( مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ) لأن العامل في الاسم وهو رهينة، حرف خافض لا ناصب.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

< 18-405 >

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ( لِنَفْسِهِمْ فِيهِ ) قال: لنبتليهم فيه ( وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ) مما متعنا به هؤلاء من هذه الدنيا.

القول في تأويل قوله تعالى : وَأُمُرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرِزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (وَأْمُرْ) يا محمد (أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) يقول: واصطبر على القيام بها، وأدائها بحدودها أنت (لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا) يقول: لا نسألك ما لا بل نكلفك عملاً ببدنك، نؤتيك عليه أجراً عظيماً وثواباً جزيلاً يقول (نَحْنُ نَزْرُقُكَ) نحن نعطيك المال ونكسبكه، ولا نسألكه، وقوله: (وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى) يقول: والعاقبة الصالحة من عمل كل عامل لأهل التقوى والخشية من الله دون من لا يخاف له عقاباً، ولا يرجو له ثواباً.

وينجو الذي قلنا في قوله (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو السائب، قال: ثنا حفص بن غياث، عن هشام بن عروة، قال: كان عروة إذا رأى ما عند السلاطين دخل داره، فقال (لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْتَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِيَفْتَنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ حَيْرٌ وَأَنْقَى وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَزْرُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى) ثم ينادي: الصلاة الصلاة، يرحمكم الله.

حدثنا أبو كريب قال: ثنا عثام، عن هشام بن عروة، عن أبيه، أنه كان إذا رأى شيئاً من الدنيا جاء إلى أهله، فقال الصلاة (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا).

حدثنا العباس بن عبد العظيم، قال: ثنا جعفر بن عون، قال: أخبرنا > 18-406 < هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: كان يبيت عند عمر بن الخطاب من غلمانه أنا وپرفا، وكانت له من الليل ساعة يصلبها، فإذا قلنا لا يقوم من الليل كان قياماً (5).

، وكان إذا صلى من الليل ثم فرغ قرأ هذه الآية (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا).... الآية.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، مثله.

القول في تأويل قوله تعالى : وَقَالُوا لَوْلَا يَا تَبَّتْ بَايَةَ مِنْ رَبِّهِ أَوْلَمَ تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى (133)

يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء المشركون الذين وصف صفتهم في الآيات قبل هلا يأتينا محمد بآية من ربه، كما أتى قومه صالح بالناقة وعيسى بإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، يقول الله جل ثناؤه: أو لم يأتهم بيان ما في



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الكتب التي قبل هذا الكتاب من أبناء الأمم من قبلهم التي أهلكتناهم لما سألوا الآيات فكفروا بها لما أتتهم كيف عجلنا لهم العذاب، وأنزلنا بأسنا بكفرهم بها، يقول: فماذا يؤمنهم إن أتتهم الآية أن يكون حالهم حال أولئك.

وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ( أَوْلَمُ تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ) قال: التوراة والإنجيل.

حدثنا القاسم: قال: ثنا الحسين قال: ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله.

< 18-407 >

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( أَوْلَمُ تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ) الكتب التي خلت من الأمم التي يمشون في مساكنهم.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى (134)

يقول تعالى ذكره: ولو أنا أهلكتنا هؤلاء المشركين الذين يكذبون بهذا القرآن من قبل أن ننزله عليهم، ومن قبل أن نبعث داعياً يدعوهم إلى ما فرضنا عليهم فيه بعذاب ننزله بهم بكفرهم بالله، لقالوا يوم القيامة، إذ وردوا علينا، فأردنا عقابهم: ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا يدعونا إلى طاعتك، فنتبع آياتك: يقول: فنتبع حجتك وأدلتك وما تنزله عليه من أمرك ونهيك من قبل أن نذل بتعذيبك إيانا ونخزي به.

كما حدثني الفضل بن إسحاق، قال: ثنا أبو قتيبة سلم بن قتيبة، عن فضيل عن مرزوق، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يَحْتَجُّ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: الْهَالِكُ فِي الْفِتْرَةِ، وَالْمَعْلُوبُ عَلَى عَقْلِهِ، وَالصَّبِيُّ الصَّغِيرُ، فَيَقُولُ الْمَعْلُوبُ عَلَى عَقْلِهِ: لَمْ تَجْعَلْ لِي عَقْلاً أَتَفْعَلُ بِهِ، وَيَقُولُ الْهَالِكُ فِي الْفِتْرَةِ: لَمْ يَأْتِنِي رَسُولٌ وَلَا نَبِيٌّ، وَلَوْ أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ أَوْ نَبِيٌّ لَكُنْتُ أَطُوعَ خَلْقِكَ لَكَ وَقراً: ( لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ) وَيَقُولُ الصَّبِيُّ الصَّغِيرُ: كُنْتُ صَغِيرًا لَا أَعْقِلُ قَالَ: فَتَرْفَعُ لَهُمْ نَارٌ وَيُقَالُ لَهُمْ: رُدُّوْهَا قَالَ: فَيَرُدُّهَا مَنْ كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ سَعِيدٌ، وَيَتَلَكَّأُ عَنْهَا مَنْ كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ شَقِيٌّ، فَيَقُولُ: إِيَّايَ عَصَيْتُمْ، فَكَيْفَ بَرُسُلِي لَوْ أَتَيْتُمْ؟ "

القول في تأويل قوله تعالى : قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى (135)



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 18-408 >

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد: كلكم أيها المشركون بالله متربص يقول: منتظر لمن يكون الفلاح، وإلى ما يتول أمرى وأمركم متوقف ينتظر دوائر الزمان، فتربصوا يقول: فترقبوا وانتظروا، فستعلمون من أهل الطريق المستقيم المعتدل الذي لا اعوجاج فيه إذا جاء أمر الله وقامت القيامة، أنحن أم أنتم؟ ومن اهتدى يقول: وستعلمون حينئذ من المهتدي الذي هو على سنن الطريق القاصد غير الجائر عن قصده منا ومنكم ، وفي " من " من قوله ( فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ ) ، والثانية من قوله ( وَمَنْ اهْتَدَى ) وجهان الرفع، وترك إعمال تعلمون فيهما، كما قال جل ثناؤه لَتَعْلَمَنَّ أَيُّ الْجَزْبِينَ أَحْصَى وَالنَّصِبَ عَلَى إِعْمَالٍ تَعْلَمُونَ فِيهِمَا، كما قال جل ثناؤه وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ .

الهوامش:

(1) لعله يريد : لولا أن الله سبقت كلمته بتأخير عذابهم إلى أجل مسمى .  
وبجوز أن تكون " إلى " وضعت في موضع واو العطف سهواً من الناسخ .  
(2) ( في اللسان : أنى ) لأنى : واحد آناء الليل ، وهي ساعاته ، وفي التنزيل العزيز : ( ومن آناء الليل ) . قال أهل اللغة : منهم الزجاج : آناء الليل : ساعاته ، واحدها : إني وإني ؛ فمن قال : إني ، فهو مثل نحى وأنحاء ؛ ومن قال : إني فهو مثله معي وأمعاء ؛ قال الهذلي المتنخل :

السَّالِكُ النَّعْرَ مَحْشِيًّا مَوَارِدُهُ

بُكِّلُ إِنِّي قَصَاهُ اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ

قال الأزهري : كذا رواه ابن الأنباري ، وأنشد الجوهري : " حلو ومر . . . البيت " ونسبه أيضاً المتنخل ؛ فإما أن يكون هو البيت يعنيه ، أو آخر من قصيدة أخرى .

(3) في الأصل : الآخر ؟ وهو سهو من الكاتب . كما تبين من عبارة المؤلف .

(4) البيت من شواهد الفراء عن بعض بني فقعس ، كما قال المؤلف . وكواكب بضم الكاف : جبل بعينه ، ورهينة الرمس الذي نزل واستقر به لا يبرحه . والرمس : القبر . أو التراب والصخور يوارى بها الميت في لحده . والجنديل : الصخر والشاهد في البيت : نصب رهينة على الخروج كما قال المؤلف ، كما نصبت " زهرة الحياة الدنيا " . قال صاحب تاج العروس : والخروج عن أئمة النحو : هو النصب على المفعولية ، وهو عبارة البصريين ، لأنهم يقولون في المفعول : هو منصوب على الخروج : أي خروجه عن طرفي الإسناد وعمدته ، وهو كقولهم له ( فضلة ) . أه . أراد المؤلف أن رهينة

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

منصوب على البذل من محل المجرور ( بالسفح ) ، لأنه محله النصب على المفعولية . وقد تبين أبو البقاء العكبري في " إعراب القرآن " وجوه نصب " زهرة الحياة " قال ( 2 : 68 ) في نصبه أوجه : ( أحدها ) : أن يكون منصوبا بفعل محذوف ، دل عليه " متعنا " أي جعلنا لهم زهرة الحياة الدنيا . و ( الثاني ) : أن يكون بدلا من موضع ( به ) . و ( الثالث ) : أن يكون بدلا من أزواج . والتقدير : ذوي زهرة ؛ فحذف المضاف . ويجوز أن يكون جعل الأزواج زهرة على المبالغة . ولا يجوز على أن يكون صفة ، لأنه معرفة ، وأزواج : نكرة . و ( الرابع ) : أن يكون على الذم ، أي أذم أو أعنى . و ( الخامس ) : أن يكون بدلا من ( ما ) . اختاره بعضهم . وقال آخرون : لا يجوز ؛ لأن قوله تعالى : ( لنفتنهم ) من صلة " متعنا " ، فيلزم منه الفصل بين الصلة والموصول بالأجنبي . و ( السادس ) : أن يكون حالا من الهاء ، أو من ( ما ) ، وحذف التنوين لالتقاء الساكنين ، وجر الحياة على البذل . وممن اختاره مكي ( لعله أبو الحرم مكي بن ريان الماكسيني الضير ) ، وفيه نظر . و ( السابع ) : أنه تمييز لما ، أو للهاء في ( به ) ، حكى عن الفراء ، وهو غلط ، لأنه معرفة . أه .

(5) لعله يريد : كان يقوم قياما ، أي قياما طويلا ، والضمير في كان راجع إلى " عمر " رضي الله عنه .

< 18-409 >

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام

القول في تأويل قوله تعالى : اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (1)

يقول تعالى ذكره: دنا حساب الناس على أعمالهم التي عملوها في دنياهم ونعمهم التي أنعمها عليهم فيها في أبدانهم، وأجسامهم، ومطاعمهم، ومشاربهم، وملابسهم وغير ذلك من نعمه عندهم، ومسألته إياهم ماذا عملوا فيها؛ وهل أطاعوه فيها، فانتهوا إلى أمره ونهيه في جميعها، أم عصوه فخالفوا أمره فيها؟ ( وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ) يقول: وهم في الدنيا عما الله فاعل بهم من ذلك يوم القيامة، وعن دنو محاسبتهم إياهم منهم، واقترابه لهم في سهو وغفلة، وقد أعرضوا عن ذلك، فتركوا الفكر فيه، والاستعداد له، والتأهب، جهلا منهم بما هم لاقوه عند ذلك من عظيم البلاء، وشديد الأهوال.

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ( وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ) قال أهل التأويل، وجاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

\* ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا محمد بن المثني، قال: ثنا أبو الوليد، قال: ثنا أبو معاوية، قال: أخبرنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم ( وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ) قال: في الدنيا.

القول في تأويل قوله تعالى : مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (2)

يقول تعالى ذكره: ما يحدث الله من تنزيل شيء من هذا القرآن للناس، ويذكرهم به ويعظهم إلا استمعوه، وهم يلعبون لاهية قلوبهم.

ونحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، < 410-18 > عن قتادة قوله ( مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ ) .. الآية، يقول: ما ينزل عليهم من شيء من القرآن إلا استمعوه وهم يلعبون.

القول في تأويل قوله تعالى : لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (3)

يقول تعالى ذكره ( لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ) غافلة : يقول: ما يستمع هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم هذا القرآن إلا وهم يلعبون غافلة عنه قلوبهم، لا يتدبرون حكمه ولا يتفكرون فيما أودعه الله من الحجج عليهم.

كما حدثنا بشر قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ) يقول: غافلة قلوبهم.

وقوله ( وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ) يقول: وأسر هؤلاء الناس الذين اقتربت الساعة منهم وهم في غفلة معرضون، لاهية قلوبهم، النجوى بينهم، يقول: وأظهروا المناجاة بينهم فقالوا: هل هذا الذي يزعم أنه رسول من الله أرسله إليكم، إلا بشر مثلكم: يقولون: هل هو إلا إنسان مثلكم في صوركم وخلقكم؟ يعنون بذلك محمدا صلى الله عليه وسلم ، وقال الذين ظلموا فوصفهم بالظلم بفعلهم وقيلهم الذي أخبر به عنهم في هذه الآيات إنهم يفعلون ويقولون من الإعراض عن ذكر الله، والتكذيب برسوله وللذين من قوله ( وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ) في الإعراب وجهان: الخفض على أنه تابع للناس في قوله إقترَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ) والرفع على الرّدِّ على الأسماء الذين (1) في قوله ( وَأَسْرَأُ النَّجْوَى ) من ذكر الناس، كما قيل: ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وقد يحتمل أن يكون رفعا على الابتداء، ويكون معناه: وأسروا النجوى، ثم قال: هم الذين ظلموا.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله ( أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ) يقول: وأظهروا هذا القول بينهم، وهي النجوى التي أسروها بينهم، فقال بعضهم لبعض: أتقبلون السحر وتصدقون به وأنتم تعلمون أنه سحر؟ يعنون بذلك القرآن.

< 18-411 >

كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ) قال: قال أهل الكفر لنبيهم لما جاء به من عند الله، زعموا أنه ساحر، وأن ما جاء به سحر، قالوا: أتأتون السحر وأنتم تبصرون؟

القول في تأويل قوله تعالى : قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (4)

اختلفت القرّاء في قراءة قوله ( قُلْ رَبِّي ) فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين ( قُلْ رَبِّي ) على وجه الأمر، وقرأه بعض قرّاء مكة وعامة قرّاء الكوفة ( قَالَ رَبِّي ) على وجه الخبر.

وكأن الذين قرءوه على وجه الأمر أرادوا من تأويله: قل يا محمد للقائلين أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ربي يعلم قول كل قائل في السماء والأرض، لا يخفى عليه منه شيء وهو السميع لذلك كله، ولما يقولون من الكذب، العليم بصدق، وحقيقة ما ادعوكم إليه، وباطل ما تقولون وغير ذلك من الأشياء كلها. وكان الذين قرءوا ذلك قال على وجه الخبر أرادوا، قال محمد: ربي يعلم القول خبرا من الله عن جواب نبيه إياهم.

والقول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قرّاءة الأمصار، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء، وجاءت بهما مصاحف المسلمين متفتحة المعنى، وذلك أن الله إذا أمر محمدا بقيل ذلك قاله، وإذا قاله فعن أمر الله قاله، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب في قراءته.

القول في تأويل قوله تعالى : بَلْ قَالُوا أَصْغَاتُ أَخْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ (5)

يقول تعالى ذكره: ما صدّقوا بحكمة هذا القرآن، ولا أنه من عند الله، ولا أقروا بأنه وحي أوحى الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم، بل قال بعضهم: < 412-18 > هو أهاويل رؤيا رآها في النوم، وقال بعضهم: هو فرية واختلاق افتراه واختلقه من قبل نفسه، وقال بعضهم: بل محمد شاعر، وهذا الذي جاءكم به شعر (فليأتنا) به يقول: قالوا فليجئنا محمد إن كان صادقا في قوله، إن الله بعثه رسولا إلينا وإن هذا الذي يتلوه علينا وحي من الله أوجاه إلينا، (بآية) يقول: بحجة ودلالة على حقيقة ما يقول ويدّعي ( كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ ) يقول: كما جاءت به الرسل الأولون من قبله من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

والأبرص وكناقة صالح، وما أشبه ذلك من المعجزات التي لا يقدر عليها إلا الله ولا يأتي بها إلا الأنبياء والرسل.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (أَصْعَاثُ أَحْلَامٍ) أي فعل حالم، إنما هي رؤيا برأها (بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ) كل هذا قد كان منهم. وقوله (فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ) يقول: كما جاء عيسى بالبينات وموسى بالبينات، والرسل.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (أَصْعَاثُ أَحْلَامٍ) قال: مشتبهة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله (أَصْعَاثُ أَحْلَامٍ) قال أهويلها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

وقال تعالى ذكره: بل قالوا: ولا جحد في الكلام ظاهر فيحقيق بيل، لأن الخبر عن أهل الجحود والتكذيب، فاجتري بمعرفة السامعين بما دل عليه قوله، بل من ذكر الخبر عنهم على ما قد بينا.

القول في تأويل قوله تعالى: مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ (6)

يقول تعالى ذكره: ما آمن من قبل هؤلاء المكذبين محمدا من مشركي > 413-18 < قومه الذين قالوا: فليأتنا محمد بآية كما جاءت به الرسل قبله من أهل قرية عدبناهم بالهلاك في الدنيا، إذ جاءهم رسولنا إليهم بآية معجزة (أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ) يقول: أفهؤلاء المكذبون محمدا السائلوه الآية يؤمنون إن جاءتهم آية ولم تؤمن قبلهم أسلافهم من الأمم الخالية التي أهلكناها برسولها مع مجيئها.

وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (أَهْلَكْتَاهَا أَفْهَمُ يَوْمُنُونَ) يصدّقون بذلك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفْهَمُ يَوْمُنُونَ) أي الرسل كانوا إذا جاءوا قومهم بالبينات فلم يؤمنوا لم يناظروا.

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (7)

يقول تعالى ذكره لنبيه: وما أرسلنا يا محمد قبلك رسولا إلى أمة من الأمم التي خلت قبل أمتك إلا رجالا مثلهم نوحى إليهم، ما نريد أن نوحى إليهم من أمرنا ونهينا، لا ملائكة، فماذا أنكروا من إرسالنا لك إليهم، وأنت رجل كسائر الرسل الذين قبلك إلى أممهم. وقوله (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) يقول للقائلين لمحمد صلى الله عليه وسلم في تناجيهم بينهم: هل هذا إلا بشر مثلكم، فإن أنكرتهم وجهلتم أمر الرسل الذين كانوا من قبل محمد، فلم تعلموا أيها القوم أمرهم إنسا كانوا أم ملائكة، فاسألوا أهل الكتب من التوراة والإنجيل ما كانوا يخبروكم عنهم.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) يقول فاسألوا أهل التوراة < 414-18 > والإنجيل قال أبو جعفر: أراه أنا قال: يخبروكم أن الرسل كانوا رجالا يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق. وقيل: أهل الذكر: أهل القرآن.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني أحمد بن محمد الطوسي، قال: ثني عبد الرحمن بن صالح، قال: ثني موسى بن عثمان، عن جابر الجعفي، قال: لما نزلت (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) قال: علي: نحن أهل الذكر.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) قال: أهل القرآن، والذكر: القرآن. وقرأ إِيَّا تَحْنُ تَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِيَّا لَهُ لَحَافِظُونَ .

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ (8)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره: وما جعلنا الرسل الذين أرسلناهم من قبلك يا محمد إلى الأمم الماضية قبل أمتك، (جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ) يقول: لم نجعلهم ملائكة لا يأكلون الطعام، ولكن جعلناهم أجسادا مثلك يأكلون الطعام.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ) يقول: ما جعلناهم جسدا إلا ليأكلوا الطعام.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله (وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ) يقول: لم أجعلهم جسدا ليس فيهم أرواح لا يأكلون الطعام، ولكن جعلناهم جسدا فيها أرواح يأكلون الطعام.

قال أبو جعفر: وقال: (وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا) فوَحَّدَ الجسد وجعله موحدًا، وهو من صفة الجماعة، وإنما جاز ذلك لأن الجسد بمعنى المصدر، كما يقال في الكلام: وما جعلناهم حَلَقًا لا يأكلون.

< 18-415 >

وقوله (وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ) يقول: ولا كانوا أربابا لا يموتون ولا يفنون، ولكنهم كانوا بشرا أجسادا فماتوا، وذلك أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كما قد أخبر الله عنهم لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَبُوعًا ... إلى قوله أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا قال الله تبارك وتعالى لهم: ما فعلنا ذلك بأحد قبلكم فنعمل بكم، وإنما كنا نرسل إليهم رجالا نوحى إليهم كما أرسلنا إليكم رسولا نوحى إليه أمرنا ونهينا.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ) أي لا بد لهم من الموت أن يموتوا.

القول في تأويل قوله تعالى: ثُمَّ صَدَقْنَاهُمْ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ (9)

يقول تعالى ذكره: ثم صدقنا رسلنا الذين كذبهم أممهم وسألتهم الآيات، فاتيناهم ما سألوه من ذلك، ثم أقاموا على تكذيبهم إياها، وأصروا على جحودهم نبوتها بعد الذي أتتهم به من آيات ربها، وعدنا الذي وعدناهم من الهلاك على إقامتهم على الكفر بربهم بعد مجيء الآية التي سألوها، وذلك كقوله جل ثناؤه فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أَعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أَعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ وكقوله وَلَا تَمْسُوها بِسُوءٍ فَإِنَّا نَحْكُمُ عَذَابًا قَرِيبًا ونحو ذلك من



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

المواعيد التي وعد الأمم مع مجيء الآيات ، وقوله ( فأنجيناهم ) يقول تعالى ذكره: فأنجيناهم عند إصرار أممها على تكذيبها بعد الآيات، ( وَمَنْ نَشَاءُ ) وهم أتباعها الذين صدقوها وأمنوا بها ، وقوله ( وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ) يقول تعالى ذكره: وأهلكنا الذين أسرفوا على أنفسهم بكفرهم بربهم.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ) والمسرفون: هم المشركون.

القول في تأويل قوله تعالى : لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ > 18-416  
< أَقْلًا تَعْقِلُونَ (10)

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه، لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم، فيه حديثكم.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، قوله ( فِيهِ ذِكْرُكُمْ ) قال: حديثكم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ( لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ) قال: حديثكم ( أَقْلًا تَعْقِلُونَ ) قال: في قد أفلح بل أتيتهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون .

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا سفيان: نزل القرآن بمكارم الأخلاق، ألم تسمعه يقول ( لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَقْلًا تَعْقِلُونَ ) .

وقال آخرون: بل عني بالذكر في هذا الموضع: الشرف، وقالوا: معنى الكلام: لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه شرفكم.

قال أبو جعفر: وهذا القول الثاني أشبه بمعنى الكلمة، وهو نحو مما قال سفيان الذي حكينا عنه، وذلك أنه شرف لمن اتبعه وعمل بما فيه.

الهوامش:

(1) لعله على الاسم الذي . . إلخ . القول في تأويل قوله تعالى : وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (11) فَلَمَّا أَحْسَبُوا أَنَّكُمْ آتِينَ إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (12)



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره: وكثيرا قصمنا من قرية، والقصم: أصله الكسر، يقال منه: قصمت ظهر فلان إذا كسرته، وانقصمت سنه: إذا انكسرت، وهو هاهنا معني به أهلكتنا، وكذلك تأوله أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا،  $< 417-18 >$  عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله ( وَكَمْ قَصَمْنَا ) قال: أهلكتنا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله ( وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ ) قال: أهلكتناها، قال ابن جريج: قصمنا من قرية، قال: باليمن قصمنا، بالسيف أهلكتها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله ( قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ ) قال: قصمها أهلكتها.

وقوله ( مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ) أجرى الكلام على القرية، والمراد بها أهلها لمعرفة السامعين بمعناه، وكأن ظلمها كفرها بالله وتكذيبها رسله، وقوله ( وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ) يقول تعالى ذكره: وأحدثنا بعد ما أهلكتنا هؤلاء الظلمة من أهل هذه القرية التي قصمناها بظلمها قوما آخرين سواهم.

وقوله ( فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسَئِنَا ) يقول: فلما عابنوا عذابنا قد حل بهم ورأوه قد وجدوا مسه، يقال منه: قد أحسست من فلان ضعفا، وأحسته منه ( إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ) يقول: إذا هم مما أحسوا بأسنا النازل بهم يهربون سراعا عَجَلَى، يَعْدُونَ منهزمين، يقال منه: ركض فلان فرسه: إذا كدّه سياقته.

القول في تأويل قوله تعالى : لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (13)

يقول تعالى ذكره: لا تهربوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه: يقول: إلى ما أنعمتم فيه من عيشتكم ومساكنكم.

كما حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله ( لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ) يعني من نزل به العذاب في الدنيا ممن كان يعصي الله من الأمم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجیح، عن  $< 418-18 >$  مجاهد، قوله ( لا تَرْكُضُوا ) لا تفرّوا.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ ) يقول: ارجعوا إلى دنياكم التي أترفتم فيها.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور عن معمر، عن قتادة ( وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ ) قال: إلى ما أترفتم فيه من دنياكم.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله ( لَعَلَّكُمْ تُسَأَلُونَ ) فقال بعضهم: معناه: لعلكم تفقهون وتفهمون بالمسألة.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله ( لَعَلَّكُمْ تُسَأَلُونَ ) قال: تفقهون.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ( لَعَلَّكُمْ تُسَأَلُونَ ) قال: تفقهون.

وقال آخرون: بل معناه لعلكم تسألون من دنياكم شيئا على وجه السخرية والاستهزاء.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( لَعَلَّكُمْ تُسَأَلُونَ ) استهزاء بهم.

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ( لَعَلَّكُمْ تُسَأَلُونَ ) من دنياكم شيئا، استهزاء بهم.

القول في تأويل قوله تعالى : قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (14) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ (15)

يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء الذين أحلّ الله بهم بأسه بظلمهم لما نزل بهم بأس الله: يا ويلنا إنا كنا ظالمين بكفرنا برنا ، فما زالت تلك دعواهم يقول فلم تزل دعواهم، حين أتاهم بأس الله، بظلمهم أنفسهم : ( يَا وَيْلَنَا إِنَّا > 419-18 < كُنَّا ظَالِمِينَ ) حتى قتلهم الله ، فحصدهم بالسيف كما يُحصد

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الزرع ويستأصل قطعاً بالمناجل ، وقوله ( خَامِدِينَ ) يقول : هالكين قد انطفأت شرارتهم ، وسكنت حركتهم ، فصاروا هموداً كما تخدم النار فتطفأ .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ )... الآية: فلما رأوا العذاب وعاینوه لم يكن لهم هَجِيرَى إلا قولهم ( يَا وَيْلَتَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ) حتى دَمَّر الله عليهم وأهلكهم.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ( قَالُوا يَا وَيْلَتَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ \* فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْتَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ) يقول: حتى هلكوا.

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال ابن عباس ( حَصِيدًا ) الحصاد ( خامدين ) خمود النار إذا طفئت.

حدثنا سعيد بن الربيع، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: إنهم كانوا أهل حصون، وإن الله بعث عليهم بختنصر، فبعث إليهم جيشاً فقتلهم بالسيف، وقتلوا نبياً لهم فحُصِدُوا بالسيف، وذلك قوله ( فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْتَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ) بالسيف.

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ( 16 )

يقول تعالى ذكره: ( وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ) إلا حجة عليكم أيها الناس، ولتعتبروا بذلك كله، فتعلموا أن الذي دبره وخلقه لا يشبهه شيء، وأنه لا تكون الألوهية إلا له، ولا تصلح العبادة لشيء غيره، ولم يخلق ذلك عبثاً ولعباً.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ) يقول: ما خلقناهما عبثاً ولا باطلاً.

< 18-420 >

القول في تأويل قوله تعالى : لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْتَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنَّ كُنَّا قَاعِلِينَ ( 17 )

يقول تعالى ذكره: لو أردنا أن نتخذ زوجة وولداً لاتخذنا ذلك من عندنا، ولكننا لا نفعل ذلك، ولا يصلح لنا فعله ولا ينبغي، لأنه لا ينبغي أن يكون لله ولد ولا صاحبة.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سليمان بن عبيد الله الغيداني، قال: ثنا أبو قُتيبة، قال: ثنا سلام بن مسكين، قال: ثنا عقبة بن أبي حمزة، قال: شهدت الحسن بمكة، قال: وجاءه طاووس وعطاء ومجاهد، فسألوه عن قول الله تبارك وتعالى ( لو أردنا أن نتخذ لهم آياتنا لاتخذنا ) قال الحسن: اللهو: المرأة.

حدثني سعيد بن عمرو السكوني، قال: ثنا بقية بن الوليد، عن علي بن هارون، عن محمد، عن ليث، عن مجاهد في قوله ( لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ ) قال: زوجة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ )... الآية، أي أن ذلك لا يكون ولا ينبغي. واللهو بلغة أهل اليمن: المرأة.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ( لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ ) قال: اللهو في بعض لغة أهل اليمن: المرأة ( لَاتَّخِذْتَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا ).

وقوله ( إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ) حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قوله ( إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ) يقول: ما كنا فاعلين.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قالوا مريم صاحبته، وعيسى ولده، فقال تبارك وتعالى ( لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ ) > 421-18 < نساء وولدا ( لَاتَّخِذْتَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ) قال: من عندنا، ولا خلقنا جنة ولا نارا، ولا موتا ولا بعثا ولا حسابا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله ( لَاتَّخِذْتَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا ) من عندنا، وما خلقنا جنة ولا نارا ولا موتا ولا بعثا.

القول في تأويل قوله تعالى : بَلْ تَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (18)

يقول تعالى ذكره: ولكن ننزل الحق من عندنا، وهو كتاب الله وتنزيله على الكفر به وأهله، فيدمغه، يقول: فيهلكه كما يدمغ الرجل الرجل بأن يشجه على رأسه شجة تبلغ الدماغ، وإذا بلغت الشجة ذلك من المشجوج لم يكن له بعدها حياة.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله ( فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ) يقول: فإذا هو هالك مضمحلٌ.

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ( فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ) قال: هالك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ) قال: ذاهب.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( بَلْ تَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ) والحق كتاب الله القرآن، والباطل: إبليس، فيدمغه فإذا هو زاهق: أي ذاهب.

وقوله ( وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ) يقول: ولكم الويل من وصفكم ربكم بغير صفته، وقيلكم إنه اتخذ زوجة وولدا، وفريتكم عليه.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، إلا أن بعضهم قال: معنى تصفون تكذبون.

< 18-422 >

وقال آخرون: معنى ذلك: تشركون، وذلك وإن اختلفت به الألفاظ فمتفقة معانيه؛ لأن من وصف الله بأن له صاحبة فقد كذب في وصفه إياه بذلك، وأشرك به، ووصفه بغير صفته، غير أن أولى العبارات أن يُعبر بها عن معاني القرآن أقربها إلى فهم سامعيه.

\* ذكر من قال ما قلنا في ذلك: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ( وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ) أي تكذبون.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج ( وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ) قال: تشركون وقوله عَمَّا يَصِفُونَ قال: يشركون قال: وقال مجاهد سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ قال: قولهم الكذب في ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (19)

يقول تعالى ذكره: وكيف يجوز أن يتخذ الله لهوا، وله ملك جميع من في السماوات والأرض، والذين عنده من خلقه لا يستنكفون عن عبادتهم إياه ولا

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يَعْيُونَ من طول خدمتهم له، وقد علمتم أنه لا يستعبد والد ولده ولا صاحبه، وكل من في السماوات والأرض عبيده، فأنى يكون له صاحبة وولد: يقول: أولا تتفكرون فيما تفترون من الكذب على ربكم.

وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ( وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ) لا يرجعون.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ( وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ) لا يحسرون.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

< 18-423 >

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ) قال: لا يُعْيُونَ.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قوله: ( وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ) قال: لا يعيرون.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ) قال: لا يستحسرون، لا يملون ذلك الاستحسار، قال: ولا يفترون، ولا يسامون، هذا كله معناه واحد والكلام مختلف، وهو من قولهم: بعير حَسِير: إذا أعيا وقام؛ ومنه قول علقمة بن عبدة:

بِهَا جِيفُ الْحَسْرَى فَأَمَّا عِظَامُهَا

فَيْبِضُ، وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبُ (1)

القول في تأويل قوله تعالى : يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفُتُونَ (20) أم  
اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (21)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره: يسبح هؤلاء الذين عنده من ملائكة ربهم الليل والنهار لا يفترون من تسبيحهم إياه.

كما حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُليّة، قال: أخبرنا حميد، عن إسحاق بن عبيد الله بن الحارث، عن أبيه أن ابن عباس سأل كعباً عن قوله: (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ) و (يسبحون الليل والنهار لا يسمون) (2) فقال: هل يتودك طرفك؟ هل يتودك نفسك؟ قال: لا قال: فإنهم ألهموا التسبيح كما ألهمتم الطرف والنفس.

< 18-424 >

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني أبو معاوية، عن أبي إسحاق الشيباني، عن حسان بن مخرق، عن عبيد الله بن الحارث، قال: قلت: لكعب الأحمار (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ) أما يشغلهم رسالة أو عمل؟ قال: يا بن أخي إنهم جعل لهم التسبيح، كما جعل لكم النفس، أليست تأكل وتشرب وتقوم وتقع وتجيء وتذهب وأنت تنفس؟ قلت: بلى قال: فكذاك جعل لهم التسبيح.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن وأبو داود، قالوا ثنا عمران القطان، عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة، عن عمرو البكالي، عن عبد الله بن عمر، قال: إن الله خلق عشرة أجزاء، فجعل تسعة أجزاء الملائكة، وجزءاً سائر الخلق، وجزءاً الملائكة عشرة أجزاء، فجعل تسعة أجزاء يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وجزءاً لرسالته، وجزءاً الخلق عشرة أجزاء، فجعل تسعة أجزاء الجن، وجزءاً سائر بني آدم، وجزءاً بني آدم عشرة أجزاء، فحمل يأجوج ومأجوج تسعة أجزاء وجزءاً سائر بني آدم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ) يقول: الملائكة الذين هم عند الرحمن لا يستكبرون عن عبادته، ولا يسمون فيها.

وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس مع أصحابه، إذ قال: "تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ؟ قالوا: ما نسمع من شيء يا نبي الله، قال: إني لأسمع أطيب السماء، وما تلام أن تئط وتئس فيها موضع راحة إلا وفيه ملكٌ ساجدٌ أو قائمٌ".

وقوله (أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ) يقول تعالى ذكره: أتخذ هؤلاء المشركون آلهة من الأرض هم ينشرون: يعني بقوله هم: الآلهة، يقول: هذه الآلهة التي اتخذوها تنشر الأموات، يقول: يحيون الأموات، وينشرون الخلق، فإن الله هو الذي يحيي ويميت.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى " ح " وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (يُنشِرُونَ) يقول: يُحيون.

< 18-425 >

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ) يقول: أفي آلهتهم أحد يحيي ذلك ينشرون، وقرأ قول الله قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ... إلى قوله ( مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ).

القول في تأويل قوله تعالى : لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22)

يقول تعالى ذكره: لو كان في السماوات والأرض آلهة تصلح لهم العبادة سوى الله الذي هو خالق الأشياء، وله العبادة والألوهية التي لا تصلح إلا له (لَفَسَدَتَا) يقول: لفسد أهل السماوات والأرض ( فسبحان الله رب العرش عما يصفون ) يقول جل ثناؤه: فتنزيه لله وتبرئة له مما يفترى به عليه هؤلاء المشركون به من الكذب.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ) يسبح نفسه إذ قيل عليه البهتان.

القول في تأويل قوله تعالى : لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (23)

يقول تعالى ذكره: لا سائل يسأل رب العرش عن الذي يفعل بخلقه من تصرفهم فيما شاء من حياة وموت وإعزاز وإذلال، وغير ذلك من حكمه فيهم؛ لأنهم خلقه وعبيده، وجميعهم في ملكه وسلطانه، والحكم حكمه، والقضاء قضاؤه، لا شيء فوقه يسأله عما يفعل فيقول له: لم فعلت؟ ولم لم تفعل؟ ( وَهُمْ يُسْأَلُونَ ) يقول جل ثناؤه: وجميع من في السماوات والأرض من عباده مستولون عن أفعالهم، ومحاسبون على أعمالهم، وهو الذي يسألهم عن ذلك ويحاسبهم عليه، لأنه فوقهم ومالكهم، وهم في سلطانه.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، < 426-18 > عن قتادة، قوله ( لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ) يقول: لا يسأل عما يفعل بعباده، وهم يسألون عن أعمالهم.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا ججاج، عن ابن جريج، قال: قوله ( لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ) قال: لا يسأل الخالق عن قضائه في خلقه، وهو يسأل الخلق عن عملهم.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ( لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ) قال: لا يسأل الخالق عما يقضي في خلقه، والخلق مسئولون عن أعمالهم.

القول في تأويل قوله تعالى : أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (24)

يقول تعالى ذكره: أتخذ هؤلاء المشركون من دون الله آلهة تنفع وتضر، وتخلق وتحيي وتميت ، قل يا محمد لهم: هاتوا برهانكم، يعني حجتكم يقول: هاتوا إن كنتم تزعمون أنكم محقون في قيلكم ذلك حجة ودليلا على صدقكم.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ) يقول: هاتوا بينتكم على ما تقولون.

وقوله ( هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ ) يقول: هذا الذي جئتم به من عند الله من القرآن والتنزيل، ( ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ ) يقول: خبر من معي مما لهم من ثواب الله على إيمانهم به، وطاعتهم إياه، وما عليهم من عقاب الله على معصيتهم إياه وكفرهم به ( وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي ) يقول: وخبر من قبلي من الأمم التي سلفت قبلي، وما فعل الله بهم في الدنيا وهو فاعل بهم في الآخرة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ ) يقول: هذا القرآن فيه ذكر الجلال والحرام > 427-18 < ( وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي ) يقول: ذكر أعمال الأمم السالفة وما صنع الله بهم إلى ما صاروا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا ججاج، عن ابن جريج ( هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ ) قال: حديث من معي، وحديث من قبلي.

وقوله ( بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ) يقول: بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون الصواب فيما يقولون ولا فيما يأتون ويذرون، فهم معرضون عن الحق جهلا منهم به، وقلة فهم.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وكان قَتَادَةَ يَقُولُ فِي ذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا بَشْرٌ، قَالَ: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتَادَةَ ( بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ) عن كتاب الله.

الهوامش:

(1) البيت لعلقمة بن عبدة التميمي ، من قصيدة له يمدح بها الحارث بن أبي الحارث بن أبي شمر الغساني ( مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة مصطفى البابي الحلبي ، ص 421 ، وهو البيت العشرون في القصيدة ) والحسرى : جمع حسير من الدواب ، وهو الذي كل من من المسير ، فمات إعياء . وصليب : يابس لم يدبغ . والضمير في ( بها ) راجع إلى المغارة التي سلكها ، فوجد فيها بقايا الدواب التي سارت فيها من قبل ، من عظام وجلود .

(2) التلاوة " يسبحون له بالليل والنهار وهم " . . إلخ . القول في تأويل قوله تعالى : وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25)

يقول تعالى ذكره: وما أرسلنا يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم إلا نوحى إليه أنه لا معبود في السماوات والأرض، تصلح العبادة له سواي فاعبدون يقول: فأخلصوا لي العبادة، وأفردوا لي الألوهية.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتَادَةَ، قوله ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ) قال: أرسلت الرسل بالإخلاص والتوحيد، لا يقبل منهم " قال أبو جعفر: أظنه أنا قال " : عمل حتى يقولوه ويقروا به، والشرائع مختلفة، في التوراة شريعة، وفي الإنجيل شريعة، وفي القرآن شريعة، حلال وحرام، وهذا كله في الإخلاص لله والتوحيد له.

القول في تأويل قوله تعالى : وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (26) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (27)

< 18-428 >

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء الكافرون بربهم: اتخذ الرحمن ولدا من ملائكته، فقال جل ثناؤه استعظاما مما قالوا، وتبريًّا مما وصفوه به سبحانه، يقول تنزيها له عن ذلك، ما ذلك من صفته ( بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ) يقول: ما الملائكة

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

كما وصفهم به هؤلاء الكافرون من بني آدم، ولكنهم عباد مكرمون، يقول:  
أكرمهم الله.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ) قال: قالت اليهود: إن الله تبارك وتعالى صاهر الجن، فكانت منهم الملائكة، قال الله تبارك وتعالى تكذبا لهم وردًا عليهم، ( بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ) وإن الملائكة ليس كما قالوا، إنما هم عباد أكرمهم الله بعبادته.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، وحدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة ( وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ) قالت اليهود وطوائف من الناس: إن الله تبارك وتعالى خاتن إلى الجن والملائكة من الجن، قال الله تبارك وتعالى ( سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ) ، وقوله: ( لَا يَسْئِفُونَهُ بِالْقَوْلِ ) يقول جل ثناؤه: لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ربهم، ولا يعملون عملاً إلا به.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: قال الله ( لَا يَسْئِفُونَهُ بِالْقَوْلِ ) يثني عليهم ( وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ).

القول في تأويل قوله تعالى : يَعْلمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ (28)

يقول تعالى ذكره: يعلم ما بين أيدي ملائكته ما لم يبلغوه ما هو وما هم فيه قائلون وعاملون، وما خلفهم: يقول: وما مضى من قبل اليوم مما خلفوه وراءهم من الأزمان والدهور ما عملوا فيه، قالوا ذلك كله محصى لهم وعليهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

< 18-429 >

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ( يَعْلمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ) يقول: يعلم ما قدموا وما أضعوا من أعمالهم ( ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ) يقول: ولا تشفع الملائكة إلا لمن رضي الله عنه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ( وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ) يقول: الذين ارتضى لهم شهادة أن لا إله إلا الله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ( إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ) قال: لمن رضي عنه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ) يوم القيامة، ( وَهُمْ مِنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ ).

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال أخبرنا معمر، عن قتادة يقول: ولا يشفعون يوم القيامة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، مثله ، وقوله ( وَهُمْ مِنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ ) يقول: وهم من خوف الله وحذار عقابه أن يحلّ بهم مشفقون، يقول: حذرون أن يعصوه ويخالفوا أمره ونهيه.

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (29)

يقول تعالى ذكره: ومن يقل من الملائكة: إني إله من دون الله (فَذَلِكِ) الذي يقول ذلك منهم ( نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ) يقول: نثيبه على قيله ذلك جهنم ( كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ) يقول: كما نجزي من قال من الملائكة إني إله من > 18- 430 < دون الله جهنم، كذلك نجزي ذلك كل من ظلم نفسه، فكفر بالله وعبد غيره، وقيل: عنى بهذه الآية إبليس، وقال قائلو ذلك: إنما قلنا ذلك، لأنه لا أحد من الملائكة قال: إني إله من دون الله سواه.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج ( وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ ) قال: قال ابن جريج: من يقل من الملائكة إني إله من دونه؛ فلم يقله إلا إبليس دعا إلى عبادة نفسه، فنزلت هذه في إبليس.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكِ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ) وإنما كانت هذه الآية خاصة لعدو الله إبليس لما قال ما قال، لعنه الله وجعله رجیما، فقال ( فَذَلِكِ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ).

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ( وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ) قال: هي خاصة لإبليس.

القول في تأويل قوله تعالى : **أُولَئِكَ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَائِنًا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (30)**

يقول تعالى ذكره: أو لم ينظر هؤلاء الذي كفروا بالله بأبصار قلوبهم، فيروا بها، ويعلموا أن السماوات والأرض كانتا رَتْقًا: يقول: ليس فيهما ثقب، بل كانتا ملتصقتين، يقال منه: رتق فلان الفتق: إذا شده، فهو يرتقه رتقا ورتوقا، ومن ذلك قيل للمرأة التي فرجها ملتحم: رتقاء، ووجد الرتق، وهو من صفة السماء والأرض، وقد جاء بعد قوله (كائنا) لأنه مصدر، مثل قول الزور والصوم والاطر.

وقوله (فَفَتَقْنَاهُمَا) يقول: فصدعناهما وفرجناهما.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى وصف الله السماوات والأرض بالرتق > 18-431 < وكيف كان الرتق، وبأي معنى فتق؟ فقال بعضهم: عنى بذلك أن السماوات والأرض كانتا ملتصقتين، ففصل الله بينهما بالهواء.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ( **أُولَئِكَ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَائِنًا رَتْقًا** ) يقول: كانتا ملتصقتين.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ( **أُولَئِكَ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَائِنًا رَتْقًا** ) يقول: كانتا ملتصقتين... الآية، يقول: كانتا ملتصقتين، فرفع السماء ووضع الأرض.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ( **أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَائِنًا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا** ) كان ابن عباس يقول: كانتا ملتصقتين، ففتقهما الله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( **أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَائِنًا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا** ) قال: كان الحسن وقتادة يقولان: كانتا جميعا، ففصل الله بينهما بهذا الهواء.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أن السماوات كانت مرتتقة طبقة، ففتقها الله فجعلها سبع سماوات وكذلك الأرض كانت كذلك مرتتقة، ففتقها، فجعلها سبع أرضين

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\* ذكر من قال: ذلك: حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تبارك وتعالى ( رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ) من الأرض سِتًّا أرضين معها فتلك سبع أرضين معها، ومن السماء سِتًّا سماوات معها، فتلك سبع سماوات معها، قال: ولم تكن الأرض والسماء متماسكتين.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ( رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ) قال: فتقهن سبع سماوات، بعضهن فوق بعض، وسبع أرضين بعضهن تحت بعض.

< 18-432 >

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد نحو حديث محمد بن عمرو، عن أبي عاصم.

حدثنا عبد الحميد بن بيان، قال: أخبرنا محمد بن يزيد، عن إسماعيل، قال: سألت أبا صالح عن قوله ( كَاتِنًا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ) قال: كانت الأرض رتقا والسماوات رتقا، ففتق من السماء سبع سماوات، ومن الأرض سبع أرضين.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: كانت سماء واحدة ثم فتقها، فجعلها سبع سماوات في يومين، في الخميس والجمعة، وإنما سمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السماوات والأرض، فذلك حين يقول خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ يَقُولُ ( كَاتِنًا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ).

وقال آخرون: بل عنى بذلك أن السماوات كانت رتقا لا تمطر، والأرض كذلك رتقا لا تنبت، ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرمة ( أَوْلَمَ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَاتِنًا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ) قال: كانتا رتقا لا يخرج منهما شيء، ففتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات. قال: وهو قوله وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ \* وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ .

حدثني الحسين بن عليّ الصديقي، قال: ثنا أبي، عن الفضيل بن مرزوق، عن عطية، في قوله ( أَوْلَمَ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَاتِنًا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ) قال: كانت السماء رتقا لا تمطر، والأرض رتقا لا تنبت، ففتق السماء بالمطر، وفتق الأرض بالنبات، وجعل من الماء كل شيء حي، أفلا يؤمنون؟

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله ( أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ) قال: كانت السماوات رتقا لا ينزل منها مطر، وكانت الأرض رتقا لا يخرج منها نبات، ففتقهما الله، فأنزل مطر السماء، وشق الأرض فأخرج نباتها، وقرأ ( فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ).

وقال آخرون: إنما قيل (فَفَتَقْنَاهُمَا) لأن الليل كان قبل النهار، ففتق النهار.

\* ذكر من قال ذلك:

< 18-433 >

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: خلق الليل قبل النهار، ثم قال: كانتا رتقا ففتقناهما.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا من المطر والنبات، ففتقنا السماء بالغيث والأرض بالنبات.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في ذلك لدلالة قوله: ( وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ) على ذلك، وأنه جل ثناؤه لم يعقب ذلك بوصف الماء بهذه الصفة إلا والذي تقدمه من ذكر أسبابه.

فإن قال قائل: فإن كان ذلك كذلك، فكيف قيل: أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا، والغيث إنما ينزل من السماء الدنيا؟ قيل: إن ذلك مختلف فيه، قد قال قوم: إنما ينزل من السماء السابعة، وقال آخرون: من السماء الرابعة، ولو كان ذلك أيضا كما ذكرت من أنه ينزل من السماء الدنيا، لم يكن في قوله ( أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ) دليل على خلاف ما قلنا، لأنه لا يمتنع أن يقال السماوات، والمراد منها واحدة فتجمع، لأن كل قطعة منها سماء، كما يقال: ثوب أخلاق، وقميص أسمال.

فإن قال قائل: وكيف قيل إن السماوات والأرض كانتا، فالسماوات جمع، وحكم جمع الإناث أن يقال في قليلة كن، وفي كثيره كانت؟ قيل: إنما قيل ذلك كذلك لأنهما صنفان، فالسماوات نوع، والأرض آخر، وذلك نظير قول الأسود بن يعفر:

إِنَّ الْمَنِيَّةَ وَالْحُثُوفَ كِلَاهُمَا

نُوفِي الْمَخَارِمَ يَرْقُبَانِ سَوَادِي (1)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فقال كلاهما ، وقد ذكر المنية والحتوف لما وصفت من أنه عنى النوعين،  
وقد < 434-18 > أخبرت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى، قال: أنشدني غالب  
النفيلي للقطامي:

أَلَمْ يَخْرُكْ أَنَّ جِبَالَ قَيْسٍ

وَتَغْلِبَ قَدْ تَبَايَنَّا انْقِطَاعًا (2)

فجعل جبال قيس وهي جمع، وجبال تغلب وهي جمع اثنين.

وقوله ( وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ) يقول تعالى ذكره: وأحيينا بالماء  
الذي ننزله من السماء كل شيء.

كما حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة  
( وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ) قال: كل شيء حي خلق من الماء.

فإن قال قائل: وكيف خص كل شيء حي بأنه جعل من الماء دون سائر  
الأشياء غيره، فقد علمت أنه يحيا بالماء الزروع والنبات والأشجار، وغير ذلك  
مما لا حياة له، ولا يقال له حي ولا ميت؟ قيل: لأنه لا شيء من ذلك إلا  
وله حياة وموت، وإن خالف معناه في ذلك معنى ذوات الأرواح في أنه لا  
أرواح فيهن وأن في ذوات الأرواح أرواحا، فلذلك قيل ( وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ  
شَيْءٍ حَيٍّ ).

وقوله ( أَقْلًا يُؤْمِنُونَ ) يقول: أفلا يصدّقون بذلك، ويفرّون بألوهية من فعل ذلك  
 ويفردونه بالعبادة.

القول في تأويل قوله تعالى : وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا  
فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (31)

يقول تعالى ذكره: أو لم ير هؤلاء الكفار أيضا من حجنا عليهم وعلى جميع  
خلقنا، أنا جعلنا في الأرض جبالا راسية؟ والرواسي: جمع راسية، وهي الثابتة.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( وَجَعَلْنَا فِي  
الْأَرْضِ رَوَاسِيًا ) أي جبالا.

< 18-435 >



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله ( أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ ) يقول: أن لا تتكفأ بهم، يقول جل ثناؤه: فجعلنا في هذه الأرض هذه الرواسي من الجبال، فثبتناها لئلا تتكفأ بالناس، وليقدروا بالثبات على ظهرها.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كانوا على الأرض تمور بهم لا تستقر، فأصبحوا وقد جعل الله الجبال وهي الرواسي أوتادا للأرض، وجعلنا فيها فجاجا سبلا يعني مسالك، واحدها فج.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا ) أي أعلاما. وقوله ( سُبُلًا ) أي طرقا، وهي جمع السبيل.

وكان ابن عباس فيما ذكر عنه يقول: إنما عنى بقوله ( وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا ) وجعلنا في الرواسي، فالهاء والألف في قوله ( وَجَعَلْنَا فِيهَا ) من ذكر الرواسي.

حدثنا بذلك القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس، قوله ( وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا ) سبلا قال: بين الجبال.

وإنما اخترنا القول الآخر في ذلك وجعلنا الهاء والألف من ذكر الأرض، لأنها إذا كانت من ذكرها داخل في ذلك السهل والجبل؛ وذلك أن ذلك كله من الأرض، وقد جعل الله لخلقه في ذلك كله فجاجا سبلا ولا دلالة تدل على أنه عنى بذلك فجاج بعض الأرض التي جعلها لهم سبلا دون بعض، فالعموم بها أولى.

وقوله ( لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ) يقول تعالى ذكره: جعلنا هذه الفجاج في الأرض ليهتدوا إلى السير فيها.

القول في تأويل قوله تعالى: ( وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفَقًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ (32) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (33) )

< 18-436 >

يقول تعالى ذكره: ( وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفَقًا ) للأرض مسموكا ، وقوله: ( مَحْفُوظًا ) يقول: حفظناها من كل شيطان رجيم.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ( سَفَقًا مَحْفُوظًا ) قال: مرفوعا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ( وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفَقًا مَحْفُوظًا )... الآية: سقفا مرفوعا، وموجا مكفوبا.

وقوله: ( وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ) يقول: وهؤلاء المشركون عن آيات السماء. ويعني بآياتها: شمسها وقمرها ونجومها. (معرضون) يقول: يعرضون عن التفكير فيها ، وتدبر ما فيها من حجج الله عليهم ، ودلالاتها على وحدانية خالقها، وأنه لا ينبغي أن تكون العبادة إلا لمن دبرها وسواها، ولا تصلح إلا له.

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ( وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ) قال: الشمس والقمر والنجوم آيات السماء.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، عن مجاهد، مثله.

وقوله: ( وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ) يقول تعالى ذكره: والله الذي خلق لكم أيها الناس الليل والنهار، نعمة منه عليكم وحجة، ودلالة عظيم سلطانه، وأن الألوهة له دون كل ما سواه فهما يختلفان عليكم لصلاح معاشكم وأمور دنياكم وآخرتكم، وخلق الشمس والقمر أيضا، ( كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ) يقول: كل ذلك في فلك < 437-18 > يسبحون.

واختلف أهل التأويل في معنى الفلك الذي ذكره الله في هذه الآية، فقال بعضهم: هو كهيئة حديدة الرحي.

\* ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: (كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) قال: فلك كهيئة حديدة الرحي.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريح: (كُلُّ فِي فَلَكٍ) قال: فلك كهيئة حديدة الرحي.

حدثنا ابن حميد، قال: ثني جرير، عن قابوس بن أبي طيبان، عن أبيه، عن ابن عباس: (كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) قال: فلك السماء.

وقال آخرون: بل الفلك الذي ذكره الله في هذا الموضع سرعة جري الشمس والقمر والنجوم وغيرها.

\* ذكر من قال ذلك: حدث عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: (كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) الفلك: الجري والسرعة.

وقال آخرون: الفلك موج مكفوف تجري الشمس والقمر والنجوم فيه.

وقال آخرون: بل هو القطب الذي تدور به النجوم، واستشهد قائل هذا القول لقوله هذا بقول الراجز:

بَاتَتْ تُنَاجِي الْقَلَكَ الدَّوَّارَا

حتى الصَّبَاحِ تَعْمَلُ الْأَقْتَارَا (3)

وقال آخرون في ذلك، ما حدثنا به بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا < 438-18 > سعيد، عن قتادة، قوله: (كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) : أي في فلك السماء.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: (كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) قال: يجري في فلك السماء كما رأيت.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد، في قوله: (كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) قال: الفلك الذي بين السماء والأرض من مجاري النجوم والشمس والقمر، وقرأ: تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا وقال: تلك البروج بين السماء والأرض وليست في الأرض (كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) قال: فيما بين السماء والأرض: النجوم والشمس والقمر.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وذكر عن الحسن أنه كان يقول: الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: كما قال الله عز وجل: (كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) وجائز أن يكون ذلك الفلك كما قال مجاهد كحديدة الرحي، وكما ذكر عن الحسن كطاحونة الرحي، وجائز أن يكون موجا مكفوفاً، وأن يكون قطب السماء، وذلك أن الفلك في كلام العرب هو كل شيء دائر، فجمعه أفلاك، وقد ذكرت قول الراجز:

بَأْتَتْ تُنَاجِي الْفُلْكَ الدَّوَّارَا

وإذ كان كل ما دار في كلامها، ولم يكن في كتاب الله، ولا في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا عمن يقطع بقوله العذر، دليل يدل على أي ذلك هو من أي كان الواجب أن نقول فيه ما قال، ونسكت عما لا علم لنا به.

فإذا كان الصواب في ذلك من القول عندنا ما ذكرنا، فتأويل الكلام: والشمس والقمر، كل ذلك في دائر يسبحون.

وأما قوله: (يُسَبِّحُونَ) فإن معناه: يَجْرُونَ.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: (كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) قال: يجرون.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

< 18-439 >

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: (يَسْبَحُونَ) قال: يجرون.

وقيل: (كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) فأخرج الخبر عن الشمس والقمر مخرج الخبر عن بني آدم بالواو والنون، ولم يقل: يسبحن أو تسبح، كما قيل: وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ لأن السجود من أفعال بني آدم، فلما وصفت الشمس والقمر بمثل أفعالهم، أجرى الخبر عنهما مجرى الخبر عنهم.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَا جَعَلْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَقَانٍ مِتَّ فَهُمْ  
الْخَالِدُونَ (34) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُمُ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا  
تُرْجَعُونَ (35)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وما خلدنا أحدا من بني  
آدم يا محمد قبلك في الدنيا فنخلدك فيها، ولا بد لك من أن تموت كما مات  
من قبلك رسلنا (أفان ميت قهم الخالدون) يقول: فهؤلاء المشركون بربهم هم  
الخالدون في الدنيا بعدك، لا ما ذلك كذلك، بل هم ميتون بكل حال عشت أو  
ميت، فأدخلت الفاء في إن وهي جزاء، وفي جوابه، لأن الجزاء متصل بكلام  
قبله، ودخلت أيضا في قوله فهم لأنه جواب للجزاء، ولو لم يكن في قوله  
فهم الفاء جاز على وجهين: أحدهما: أن تكون محذوفة، وهي مرادة، والآخر أن  
يكون مرادا تقديمها إلى الجزاء فكأنه قال: أفهم الخالدون إن ميت.

وقوله (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) يقول تعالى ذكره: كل نفس منفوسة من  
خلقه، معالجة غصص الموت ومتجرعة كأسها.

وقوله (وَنَبَلُّوكُمُ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً) يقول تعالى ذكره: ونختبركم أيها الناس  
بالشر وهو الشدة نبتليكم بها، وبالخير وهو الرخاء والسعة العافية فنفتنكم به.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين: قال: ثني **< 440-18 >** حجاج، عن ابن جريج،  
قال: قال ابن عباس، قوله (وَنَبَلُّوكُمُ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً) قال: بالرخاء  
والشدة، وكلاهما بلاء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَنَبَلُّوكُمُ بِالشَّرِّ  
وَالْخَيْرِ فِتْنَةً) يقول: نبلوكم بالشر بلاء، والخير فتنة، (وإلينا ترجعون).

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وَنَبَلُّوكُمُ  
بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) قال: نبلوهم بما يحبون وبما يكرهون،  
نختبرهم بذلك لننظر كيف شكرهم فيما يحبون، وكيف صبرهم فيما يكرهون.

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس،  
قوله (وَنَبَلُّوكُمُ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ) يقول: نبتليكم بالشدة والرخاء، والصحة والسقم،  
والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلالة، وقوله (وَإِلَيْنَا  
تُرْجَعُونَ) يقول: وإلينا يردون فيجازون بأعمالهم، حسنها وسيئها.

-----

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الهوامش:

(1) البيت للأسود بن يعفر النهشلي التميمي (المفضليات 101) والمنية : الموت ، والحتوف جمع حتف ، يريد به أنواع الأخطار التي تؤدي إلى الموت والمخارم جمع مخرم : الطريق في الغلط ( عن السكري ) . وقيل : الطرق في الجبال وأفواه الفجاج ، وسواد الإنسان شخصه . والشاهد في البيت أن الشاعر ذكر المنية والحتوف ثم قال يرقبان بالثنية ، لأنه جعل المنية والحتوف نوعين للهلاك ، ثم قال : يرقبان . ولو جرى على ما يقتضيه اللفظ لقال : ترقب سوادي ، لأن المنية والحتوف عدة أشياء .

(2) البيت للقمامي ، وهو الرابع من عينته المشهورة التي مطلعها " قفي قبل التفرق يا ضباعا " ( انظر ديوانه ، طبعة ليدن سنة 1902 ، ص 27 ) . قال : تباينت تفرقت . والحيال : العلائق والعهود . والشاهد في البيت أن الشاعر قال : تباينتا بلفظ الثنية ، مع أن حبال قيس جمع ، وحيال تغلب جمع ، فكان ظاهر اللفظ يقتضي أن يقول : ( تباينت انقطاعا ) مراعاة لمعنى الجمعية في حبال قيس وتغلب .

(3) البيت شاهد على أن الفلك هو القطب الذي تدور به النجوم . وقال في ( اللسان : فلك ) : الفلك : مدار النجوم ، والجمع : أفلاك . وفي حديث ابن مسعود : أن رجلا أتى رجلا وهو جالس عنده فقال : " إني تركت فرسك كأنه يدور في فلك " . قال أبو عبيدة : قوله " في فلك " : فيه قولان : فاما الذي تعرفه العامة ، فإنه شبه بفلك السماء الذي تدور عليه النجوم ، وهو الذي يقال له القطب ، شبه بقطب الرحي . قال : وقال بعض العرب : الفلك هو الموج إذا ماج في البحر فاضطرب ، وجاء وذهب ، فشبه الفرس في اضطرابه بذلك . القول في تأويل قوله تعالى : **وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا هَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ** (36)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: ( **وَإِذَا رَأَى** ) يا محمد ( **الَّذِينَ كَفَرُوا** ) بالله، ( **إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا** ) يقول: ما يتخذونك إلا سخرية يقول بعضهم لبعض ( **هَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ** ) يعني بقوله: يذكر آلهتكم بسوء وبعيها، تعجبا منهم من ذلك، يقول الله تعالى ذكره: فيعجبون من ذكرك يا محمد آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع بسوء ( **وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ** ) الذي خلقهم وأنعم عليهم، ومنه نفعهم، ويده ضرهم، وإليه مرجعهم بما هو أهله منهم؛ أن يذكره به ( كافرون ) والعرب تضع الذكر موضع المدح والذم، فيقولون: سمعنا فلانا يذكر فلانا، وهم يريدون سمعناه يذكره بقبیح وبعييه؛ ومن ذلك قول > 441-18 < عنتره:

لا تَذْكَرِي مُهْرِي وَمَا أَطْعَمْتُهُ

فَيَكُونُ جِلْدُكَ مِثْلَ جِلْدِ الْأَجْرَبِ (1)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يعني بذلك: لا تعيبي مهري، وسمعناه يُذكر بخير.

القول في تأويل قوله تعالى : خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ (37) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (38)

يقول تعالى ذكره ( خُلِقَ الْإِنْسَانُ ) يعني آدم ( مِنْ عَجَلٍ ) .

واختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه: من عجل في بنيته وخلقته، كان من العجلة، وعلى العجلة.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد في قوله ( خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ) قال: لما نفخ فيه الروح في ركبته ذهب لينهض، فقال الله: ( خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ) .

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: لما نفخ فيه يعني في آدم الروح، فدخل في رأسه عطس، فقالت الملائكة: قل الحمد لله، فقال: الحمد لله، فقال الله له: رحمك ربك، فلما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام، فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان إلى ثمار الجنة؛ فذلك حين يقول ( خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ) يقول: خلق الإنسان عجولاً.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ( خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ) قال: خلق عجولاً.

< 18-442 >

وقال آخرون: معناه: خلق الإنسان من عجل: أي من تعجيل في خلق الله إياه ومن سرعة فيه وعلى عجل، وقالوا: خلقه الله في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس على عجل في خلقه إياه قبل مغيبها.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله ( خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ) قال: قول آدم حين خُلِقَ بعد كل شيء آخر النهار من يوم خلق الخلق: فلما أحيا الروح عينيه ولسانه ورأسه، ولم تبلغ أسفله، قال: يا رب استعجل بخلقى قبل غروب بالشمس. (2)

حدثني الحارث، قال ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، قال: قال مجاهد ( خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ) قال آدم حين خُلِقَ بعد كل شيء ثم ذكر نحوه، غير أنه قال في حديثه: أستعجلُ بخلقِي فقد غربت الشمس.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ) قال: على عجل آدم آخر ذلك اليوم من ذينك اليومين، يريد يوم الجمعة، وخلقه على عجل، وجعله عجولا.

وقال بعض أهل العربية من أهل البصرة ممن قال نحو هذه المقالة: إنما قال: ( خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ) وهو يعني أنه خلقه من تعجيل من الأمر، لأنه قال إِنَّمَا قَوْلُنَا لِإِنبِيِّ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ قال: فهذا العجل. وقوله ( فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ ) إِنِّي ( سَأَرْبِكُمْ آيَاتِي ) وعلى قول صاحب هذه المقالة، يجب أن يكون كل خلق الله خُلِقَ على عجل، لأن كل ذلك خلق بأن قيل له كن فكان. فإذا كان ذلك كذلك، فما وجه خصوص الإنسان إذا بذكر أنه خُلِقَ من عجل دون الأشياء كلها، وكلها مخلوق من عجل، وفي خصوص الله تعالى ذكره الإنسان بذلك الدليل الواضح، على أن القول في ذلك غير الذي قاله صاحب هذه المقالة.

< 18-443 >

وقال آخرون منهم: هذا من المقلوب، وإنما خُلِقَ العجل من الإنسان، وخُلِقَت العجلة من الإنسان. وقالوا: ذلك مثل قوله مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ وإنما هو لتنوء العصبه بها متناقلة، وقالوا: هذا وما أشبهه في كلام العرب كثير مشهور، قالوا: وإنما كلم القوم بما يعقلون، قالوا: وذلك مثل قولهم: عَرَضْتُ الناقه، وكقولهم: إذا طلعت الشعري واستوت العود على الجِزْبَاءِ: أي استوت الحرباء على العود، كقول الشاعر:

وَتَرَكْتُ حَيْلًا لَا هَوَادَةَ بَيْنَهَا

وَتَشَقَّى الرَّمَاحُ بِالضِيَاطِرَةِ الْحُمْرِ (3)

وكقول ابن مقبل:

حَسَرْتُ كَفِّي عَنِ السَّرْبَالِ آخِذُهُ

فَرَدًّا يُجَرُّ عَلَى أَيْدِي الْمُقَدِّينَا (4)



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يريد: حسرت السربال عن كفي، ونحو ذلك من المقلوب، وفي إجماع أهل التأويل على خلاف هذا القول، الكفاية المغنية عن الاستشهاد على فساده بغيره.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في تأويل ذلك عندنا الذي ذكرناه عن قال معناه: خُلِقَ الإنسان من عجل في خلقه: أي على عجل وسرعة في ذلك، وإنما قيل ذلك كذلك، لأنه بُودِرَ بخلقه مغيب الشمس في آخر ساعة من نهار يوم الجمعة، وفي ذلك الوقت نفخ فيه الروح.

وإنما قلنا أولى الأقوال التي ذكرناها في ذلك بالصواب، لدلالة قوله تعالى (سَأْرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ) على ذلك.

وأن أبا كريب، حدثنا قال: ثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا محمد بن < 444-18 > عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لَسَاعَةً لَيَقْلَلُهَا (5)

، قال لا يُؤَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا حَيْرًا إِلَّا أَتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ فقال عبد الله بن سلام: قد علمت أي ساعة هي، هي آخر ساعات النهار من يوم الجمعة، قال الله ( خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأْرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ).

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا المحاربي وعبد بن سليمان وأسير بن عمرو، عن محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه، وذكر كلام عبد الله بن سلام بنحوه.

فتأويل الكلام إذا كان الصواب في تأويل ذلك ما قلنا بما به استشهدنا ( خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ) ولذلك يستعجل ربه بالعذاب ( سَأْرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ) أيها المستعجلون ربهم بالآيات القائلون لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم: بل هو شاعر، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون آياتي، كما أريتها من قبلكم من الأمم التي أهلكناها بتكذيبها الرسل، إذا أتتها الآيات فلا تستعجلون، يقول: فلا تستعجلوا ربكم، فإننا سنأتيكم بها ونريكموها.

واختلفت القراء في قراءة قوله ( خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ) فقراءته عامة قراء الأمصار ( خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ) بضم الخاء على مذهب ما لم يسم فاعله. وقراه حميد الأعرج ( خَلَقَ ) بفتحها، بمعنى: خلق الله الإنسان، والقراءة التي عليها قراء الأمصار، هي القراءة التي لا أستجيز خلافها.

وقوله ( وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ) يقول تعالى ذكره: ويقول هؤلاء المستعجلون ربهم بالآيات والعذاب لمحمد صلى الله عليه وسلم: متى هذا الوعد: يقول: متى يجيئنا هذا الذي تعدنا من العذاب إن كنتم صادقين فيما تعدوننا به من ذلك. وقيل ( إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ) كأنهم قالوا ذلك لرسول الله

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به، و متى في موضع نصب، لأن معناه: أي وقت هذا الوعد وأي يوم هو فهو نصب على الظرف لأنه وقت.

< 18-445 >

القول في تأويل قوله تعالى : لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونَ عَنْ وُجُوهِهُمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (39)

يقول تعالى ذكره: لو يعلم هؤلاء الكفار المستعجلون عذاب ربهم ماذا لهم من البلاء حين تفتح وجوههم النار، وهم فيها كالحون، فلا يكفون عن وجوههم النار التي تفتحها، ولا عن ظهورهم فيدفعونها عنها بأنفسهم ( وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ).

يقول: ولا لهم ناصر ينصرهم، فيستنقذهم حينئذ من عذاب الله لما أقاموا على ما هم عليه مقيمون من الكفر بالله، ولسارعوا إلى التوبة منه والإيمان بالله، ولما استعجلوا لأنفسهم البلاء.

القول في تأويل قوله تعالى : بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (40)

يقول تعالى ذكره: لا تأتي هذه النار التي تفتح وجوه هؤلاء الكفار الذين وصف أمرهم في هذه السورة حين تأتيهم عن علم منهم بوقتها، ولكنها تأتيهم مفاجأة لا يشعرون بمجيئها فتبتهتهم : يقول: فتغشاهم فجأة، وتفتح وجوههم معاينة كالرجل يبهت الرجل في وجهه بالشيء، حتى يبقى المبهوت كالحيوان منه ( فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا ) يقول: فلا يطيقون حين تبتهتهم فدفعها عن أنفسهم ( وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ) يقول: ولا هم وإن لم يطيقوا دفعها عن أنفسهم يؤخرون بالعذاب بها لتوبة يحدثونها، وإنابة ينيون، لأنها ليست حين عمل وساعة توبة وإنابة، بل هي ساعة مجازاة وإثابة.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (41)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: إن يتخذك يا محمد > 446-18 < هؤلاء القائلون لك: هل هذا إلا بشر مثلكم، أفأتأتون السحر وأنتم تبصرون، إذ رأوك هُزُوا ويقولون: هذا الذي يذكر ألهتكم كفرا منهم بالله، واجتراء عليه، فلقد استهزئ برسلكم من رسلنا الذين أرسلناهم من قبلك إلى أممهم، يقول: فوجب ونزل بالذين استهزءوا بهم، وسخروا منهم من أممهم ما كانوا به يستهزئون : يقول جل ثناؤه: حل بهم الذي كانوا به يستهزئون من البلاء والعذاب الذي كانت رسلهم تخوفهم نزوله بهم، يستهزئون: يقول جل ثناؤه، فلن يعدو هؤلاء المستهزئون بك من هؤلاء الكفرة أن يكونوا كأسلافهم من الأمم المكذبة رسلها، فينزل بهم من عذاب الله وسخطه باستهزائهم بك نظير الذي نزل بهم.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : قُلْ مَنْ يَكْلُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ (42)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد بهؤلاء المستعجلين بالعذاب، القائلين: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين من يكلؤكم أيها القوم: يقول: من يحفظكم ويحرسكم بالليل إذا نمت، وبالنهار إذا تصرّفت من الرحمن؟ يقول: من أمر الرحمن إن نزل بكم، ومن عذابه إن حلّ بكم، وترك ذكر الأمر، وقيل من الرحمن اجتزاء بمعرفة السامعين لمعناه من ذكره.

ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس، في قوله ( قُلْ مَنْ يَكْلُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ ) قال: يحرسكم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد عن قتادة ( قُلْ مَنْ يَكْلُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ ) قل من يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن، يقال منه: كَلَّتِ الْقَوْمُ: إذا حرستهم، أكلؤهم، كما قال ابن هرمة:

إِنَّ سُلَيْمَى ( وَاللَّهُ يَكْلُوهَا )

صَنَّتْ بِشَيْءٍ مَا كَانَ يَرْزُوهَا (6)

< 18-447 >

قوله ( بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ) وقوله بل: تحقيق لجدد قد عرفه المخاطبون بهذا الكلام، وإن لم يكن مذكورا في هذا الموضع ظاهرا.

ومعنى الكلام: وما لهم أن لا يعلموا أنه لا كائ لهم من أمر الله إذا هو حلّ بهم ليلا أو نهارا، بل هم عن ذكر مواعظ ربهم وحججه التي احتجّ بها عليهم معرضون لا يتدبرون ذلك فلا يعتبرون به، جهلا منهم وسفها.

القول في تأويل قوله تعالى : أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ (43)

يقول تعالى ذكره: هؤلاء المستعجلين ربهم بالعذاب آلهة تمنعهم، إن نحن أحللتنا بهم عذابنا، وأنزلنا بهم بأسنا من دوننا؟ ومعناه: أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم منا، ثم وصف جلّ ثناؤه الآلهة بالضعف والمهانة، وما هي به من

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

صفتها، فقال وكيف تستطيع آلهتهم التي يدعونها من دوننا أن تمنعهم منا وهي لا تستطيع نصر أنفسها، وقوله: ( وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ) اختلف أهل التأويل في المعنى بذلك، وفي معنى يُصْحَبُونَ، فقال بعضهم: عنى بذلك الآلهة، وأنها لا تصحب من الله بخير.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ ) يعني الآلهة ( وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ) يقول: لا يصحبون من الله بخير.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولا هم منا ينصرون.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا أبو ثور، عن معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ( وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ) قال: لا ينصرون.

< 18-448 >

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس، قوله ( أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا ) إلى قوله: ( يُصْحَبُونَ ) قال: ينصرون، قال: قال مجاهد: ولا هم يُحفظون.

حدثنا عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ( وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ) يُجَارُونَ (7) .

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ( وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ) يقول: ولا هم منا يجارون، وهو قوله وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ يعني الصاحب، وهو الإنسان يكون له خفير مما يخاف، فهو قوله يصحبون.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هذا القول الذي حكيناه عن ابن عباس، وأن (هُم) من قوله (ولا هم) من ذكر الكفار، وأن قوله (يُصْحَبُونَ) بمعنى: يجارون يصحبون بالجوار؛ لأن العرب محكي عنها أنا لك جار من فلان وصاحب، بمعنى: أجيرك وأمنعك، وهم إذا لم يصحبوا بالجوار، ولم يكن لهم مانع من عذاب الله مع سخط الله عليهم، فلم يصحبوا بخير ولم ينصروا.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ (44)

يقول تعالى ذكره: ما لهؤلاء المشركين من آلهة تمنعهم من دوننا، ولا جار يجيرهم من عذابنا، إذا نحن أردنا عذابهم، فاتكلوا على ذلك، وعصوا رسلنا اتكالا منهم على ذلك، ولكننا متعناهم بهذه الحياة الدنيا وآباءهم من قبلهم حتى < 449-18 > طال عليهم العمر، وهم على كفرهم مقيمون، لا تأتيهم منا واعظة من عذاب، ولا زاجرة من عقاب على كفرهم وخلافهم أمرنا، وعبادتهم الأوثان والأصنام، فنسوا عهدنا وجهلوا موقع نعمتنا عليهم، ولم يعرفوا موضع الشكر، وقوله ( أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ) يقول تعالى ذكره: أفلا يرى هؤلاء المشركون بالله السائلو محمد صلى الله عليه وسلم الآيات المستعجلو بالعذاب، أنا نأتي الأرض نخربها من نواحيها بقهرنا أهلها، وغلبتناهم، وإجلاؤهم عنها، وقتلهم بالسيوف، فيعتبروا بذلك ويتعظوا به، ويحذروا منا أن ننزل من بأسنا بهم نحو الذي قد أنزلنا بمن فعلنا ذلك به من أهل الأطراف، وقد تقدم ذكر القائلين بقولنا هذا ومخالفيه بالروايات عنهم في سورة الرعد، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله ( أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ) يقول تبارك وتعالى: أفهؤلاء المشركون المستعجلو محمدا بالعذاب الغالبونا، وقد رأوا قهرنا من أحللتنا بساحته بأسنا في أطراف الأرضين، ليس ذلك كذلك، بل نحن الغالبون، وإنما هذا تقرير من الله تعالى لهؤلاء المشركين به بجهلهم، يقول: أفيظنون أنهم يغلبون محمدا ويقهرونه، وقد قهر من ناواه من أهل أطراف الأرض غيرهم.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ) يقول: ليسوا بغالبين، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الغالب.

الهوامش:

(1) البيت لعنترة بن عمرو بن شداد العبسي ( مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبي ، ص 396 ) يقول : لا تلوميني بذكر مهري وطعامه ، وإلا نفرت منك كما ينفر الصحيح من الأجر . يعني لا تعيبي مهري ولا تلوميني من أجل اهتمامي به ، فهو وسيلتي للدفاع عنك وعن قومي .

(2) هذا السند تكرر للذي قبله من غير فرق .

(3) البيت لخداش بن زهير ( اللسان : ضطر ) . الجوهرى : الضيطر : الرجل الضخم الذي لا غناء عنده ؛ وكذلك الضواطر والضوطري . وفي حديث علي : من يعذرني من هؤلاء الضياطرة : هم الضخام الذين لا غناء عندهم ، الواحد ضيطار . وقول خداش : " وتركب خيلا . . . البيت " : قال ابن سيده : يجوز أن يكون عني أن الرماح تشفى بهم ، أي أنهم لا يحسنون حملها ، ولا الطعن

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

بها ، ويجوز أن يكون على " القلب " أي تشقى الضياطرة الحمر بالرمح ؛  
يعني أنهم يقتلون بها . والهواة : المصالحة والموادعة . والبيت شاهد على  
القلب .

(4) البيت لتميم بن أبي مقبل ، كما قال المؤلف . وحسرت كفي عن  
السربال : يريد حسرت السربال عنها . والسربال : القميص والدرع . والمفدون  
: الذي يقولون لي فديناك من المكاره ، تعظيما لي وإكبارا لبلائي في الحرب  
؛ وهو كالشاهد قبله على أن الكلام فيه مقلوب ، لأنه يريد حسرت السربال  
عن كفي ، لشجاعتي .

(5) في ابن كثير ، رواية ابن أبي حاتم : " وقبض أصابعه يقللها " .  
(6) البيت لإبراهيم بن هرمة ، كما قال المؤلف . وقد جاء في ( اللسان : كلاً  
) غير منسوب . وفيه " بزاد " في موضع " بشيء " . قال : يقال : كلاًك الله  
كلاءة ( بالكسر ) حفظك الله وحرصك .

وأنشد " إن سليمي ... البيت " وجملة ( والله يكلؤها ) اعتراضية للدعاء .  
وبرزؤها : ينقص منها ويضيرها . يريد : ضنت بشيء هين عليها لو بذلته لنا  
واستشهد المؤلف به على أن معنى يكلأ يحفظ ، كما قال أهل اللغة .  
(7) لم يقدم قبل هذا القول الأخير خلاصته ، كعادته التي سار عليها ، قبل  
ذكر القائلين له . كان يقول : وقال بعضهم : بل معناه يجارون .  
القول في تأويل قوله تعالى : قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ  
الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ (45)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء  
القائلين فليأتنا بآية كما أرسل الأولون: إنما أنذركم أيها القوم بتنزيل الله  
الذي يوحيه إلى من عنده، وأخوفكم به بأسه.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( قُلْ إِنَّمَا  
أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ ) أي بهذا القرآن.

< 18-450 >

وقوله ( وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ ) اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة  
قراء الأمصار: (ولا يسمع بفتح الياء من ( يَسْمَعُ ) بمعنى أنه فعل للصم، والصم  
حينئذ من فرعون ، وروي عن أبي عبد الرحمن السلمى أنه كان يقرأ ( ولا  
تُسْمَعُ ) بالتاء وضمها، فالصم على هذه القراءة مرفوعة، لأن قوله ( ولا تُسْمَعُ  
) لم يسم فاعله، ومعناه على هذه القراءة: ولا يسمع الله الصم الدعاء.

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة عندنا في ذلك ما عليه قراء الأمصار  
لإجماع الحجة من القراء عليه، ومعنى ذلك: ولا يصغي الكافر بالله بسمع قلبه  
إلى تذكر ما في وحي الله من المواعظ والذكر، فيتذكر به ويعتبر، فينجزر  
عما هو عليه مقيم من ضلاله إذا نُلي عليه وأريد به، ولكنه يعرض عن  
الاعتبار به والتفكير فيه، فعل الأصم الذي لا يسمع ما يقال له فيعمل به.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنَادُّونَ ) يقول: إن الكافر قد صمَّ عن كتاب الله لا يسمعه، ولا ينتفع به ولا يعقله، كما يسمعه المؤمن وأهل الإيمان.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَئِن مَسَّنَهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (46)

يقول تعالى ذكره: ولئن مست هؤلاء المستعجلين بالعذاب يا محمد نفحة من عذاب ربك، يعني بالنفحة النسيب والخط، من قولهم: نفح فلان لفلان من عطائه: إذا أعطاه قسماً أو نصيباً من المال.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( وَلَئِن مَسَّنَهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ ).. الآية، يقول: لئن أصابتهم عقوبة.

وقوله ( لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ) يقول: لئن أصابتهم هذه النفحة من عقوبة ربك يا محمد بتكذيبهم بك وكفرهم، ليعلمن حينئذ غيب تكذيبهم بك، وليعترفن على أنفسهم بنعمة الله وإحسانه إليهم وكفرانهم أياديه عندهم، > 451-18 < وليقولن يا ويلنا إنا كان ظالمين في عبادتنا الآلهة والأنداد، وتركنا عبادة الله الذي خلقنا وأنعم علينا، ووضعنا العبادة غير موضعها.

القول في تأويل قوله تعالى : وَتَصْعُقُ الْمُوَاظِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (47)

يقول تعالى ذكره ( وَتَصْعُقُ الْمُوَاظِينَ ) العدل وهو (الْقِسْطُ) وجعل القسط وهو موحد من نعت الموازين، وهو جمع لأنه في مذهب عدل ورضا ونظر. وقوله ( لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ) يقول: لأهل يوم القيامة، ومن ورد على الله في ذلك اليوم من خلقه، وقد كان بعض أهل العربية يوجه معنى ذلك إلى "في" كأن معناه عنده: ونضع الموازين القسط في يوم القيامة، وقوله ( فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ) يقول: فلا يظلم الله نفساً ممن ورد عليه منهم شيئاً بأن يعاقبه بذنب لم يعمله أو يبخره ثواب عمل عمله، وطاعة أطاعه بها، ولكن يجازي المحسن بإحسانه، ولا يعاقب مسيئاً إلا بإساءته.

وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ( وَتَصْعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ )... إلى آخر الآية، وهو كقوله وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ يعني بالوزن: القسط بينهم بالحق في الأعمال الحسنة والسيئات، فمن أحاطت حسناته بسيئاته ثقلت موازينه، يقول: أذهبت حسناته سيئاته، ومن أحاطت سيئاته بحسناته فقد خفت موازينه وأمه هاوية، يقول: أذهبت سيئاته حسناته.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد في قول الله ( وَتَصْعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ) قال: إنما هو مثل، كما يجوز الوزن كذلك يجوز الحق، قال الثوري: قال ليث عن مجاهد ( وَتَصْعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ ) قال: العدل.

< 18-452 >

وقوله ( وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا ) يقول: وإن كان الذي من عمل الحسنات، أو عليه من السيئات وزن حبة من خردل آتينا بها: يقول: جئنا بها فأحضرناها إياه.

كما حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ابن زيد، في قوله ( وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا ) قال: كتبناها وأحصيناها له وعليه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله ( وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا ) قال: يؤتي بها لك وعليك، ثم يعفو إن شاء أو يأخذ، ويجزي بما عمل له من طاعة، وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، في قوله ( وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا ) قال: جازينا بها.

حدثنا عمرو بن عبد الحميد، قال: ثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد أنه كان يقول ( وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا ) وقال آتينا بها، فأخرج قوله بها مخرج كناية المؤنث، وإن كان الذي تقدم ذلك قوله مِثْقَالَ حَبَّةٍ، لأنه عني بقوله بها الحبة دون المِثْقَالَ، ولو عني به المِثْقَالَ لقل به، وقد ذكر أن مجاهدا إنما تأول قوله ( آتَيْنَا بِهَا ) على ما ذكرنا عنه، لأنه كان يقرأ ذلك ( آتَيْنَا بِهَا ) بمدّ الألف. وقوله: ( وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ) يقول: وحسب من شهد ذلك الموقف بنا حاسبين، لأنه لا أحد أعلم بأعمالهم وما سلف في الدنيا من صالح أو سيئ منا.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ (48)

يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا موسى بن عمران وأخاه هارون الفرقان، يعني به الكتاب الذي يفرق بين الحق والباطل، وذلك هو التوراة في قول بعضهم.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، < 453-18 > قال: ثنا عيسى،  
وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح،  
عن مجاهد، قوله: (الْفُرْقَان) قال: الكتاب.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد،  
مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى  
وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ ) الفرقان: التوراة حلالها وحرامها، وما فرق الله به بين الحق  
والباطل.

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال:  
قال ابن زيد في قوله ( وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ ) قال: الفرقان:  
الحق آتاه الله موسى وهارون، فرقى بينهما وبين فرعون، قضى بينهم بالحق،  
وقرأ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ قال : يوم بدر.

قال أبو جعفر: وهذا القول الذي قاله ابن زيد في ذلك أشبه بظاهر التنزيل،  
وذلك لدخول الواو في الضياء، ولو كان الفرقان هو التوراة كما قال من قال  
ذلك، لكان التنزيل: ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضياء، لأن الضياء الذي  
أتى الله موسى وهارون هو التوراة التي أضاءت لهما ولمن اتبعهما أمر دينهم  
فبصرهم الحلال والحرام، ولم يقصد بذلك في هذا الموضع ضياء الإبصار، وفي  
دخول الواو في ذلك دليل على أن الفرقان غير التوراة التي هي ضياء.

فإن قال قائل: وما ينكر أن يكون الضياء من نعت الفرقان، وإن كانت فيه  
واو فيكون معناه: وضياء آتيناه ذلك، كما قال بَزِيئَةَ الْكَوَاكِبِ \* وَحِفْظًا ؟  
قيل له: إن ذلك وإن كان الكلام يحتمله، فإن الأغلب من معانيه ما قلنا،  
والواجب أن يوجه معاني كلام الله إلى الأغلب الأشهر من وجوهها المعروفة  
عند العرب ما لم يكن بخلاف ذلك ما يجب التسليم له من حجة خبر أو  
عقل.

وقوله ( وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ) يقول: وتذكيرا لمن اتقى الله بطاعته وأداء فرائضه  
واجتناب معاصيه، ذكرهم بما أتى موسى وهارون من التوراة.

القول في تأويل قوله تعالى < 454-18 > : الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ  
مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (49)

يقول تعالى ذكره: آتينا موسى وهارون الفرقان: الذكر الذي آتيناهما للمتقين  
الذين يخافون ربهم بالغيب، يعني في الدنيا أن يعاقبهم في الآخرة إذا قدموا  
عليه بتضييعهم ما ألزمهم من فرائضه فهم من خشيته، يحافظون على حدوده

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وفرائضه، وهم من الساعة التي تقوم فيها القيامة مشفقون، حذرون أن تقوم عليهم، فيردوا على ربهم قد فرطوا في الواجب عليهم لله، فيعاقبهم من العقوبة بما لا قبل لهم به.

القول في تأويل قوله تعالى : وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ( 50 )

يقول جل ثناؤه: وهذا القرآن الذي أنزلناه إلى محمد صلى الله عليه وسلم ذكر لمن تذكر به، وموعظة لمن اتعظ به ( مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ ) كما أنزلنا التوراة إلى موسى وهارون ذكرا للمتقين ( أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ) يقول تعالى ذكره: أفأنتم أيها القوم لهذا الكتاب الذي أنزلناه إلي محمد منكمرون وتقولون هو أضغاث أحلام بل افتراءه بل هو ساعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون وإنما الذي آتينا من ذلك ذكر للمتقين، كالذي آتينا موسى وهارون ذكرا للمتقين.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ )... إلى قوله ( أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ) أي هذا القرآن.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52)

< 18-455 >

يقول تعالى ذكره ( وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ ) موسى وهارون، ووقفناه للحق، وأنقذناه من بين قومه وأهل بيته من عبادة الأوثان، كما فعلنا ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم، وعلى إبراهيم، فأنقذناه من قومه وعشيرته من عبادة الأوثان، وهديناه إلى سبيل الرشاد توفيقا منا له.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى " ح " وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ ) قال: هديناه صغيرا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ( وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ ) قال: هداه صغيرا.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ( آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ ) قال: هداه صغيرا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ ) يقول: آتينا هداه.

وقوله ( وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ) يقول: وكنا عالمين به أنه ذو يقين وإيمان بالله وتوحيد له، لا يشرك به شيئا ( إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ) يعني في وقت قبيله وحين قبيله لهم ( مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ) يقول: قال لهم: أي شيء هذه الصور التي أنتم عليها مقيمون، وكانت تلك التماثيل أصنامهم التي كانوا يعبدونها.

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ( مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ) قال: الأصنام.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله. وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا أن العاكف على الشيء المقيم عليه بشواهد ذلك، وذكرنا الرواية عن أهل التأويل.

< 18-456 >

القول في تأويل قوله تعالى : قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (54) قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنْ اللَّاعِبِينَ (55)

يقول تعالى ذكره: قال أبو إبراهيم وقومه لإبراهيم: وجدنا آباءنا لهذه الأوثان عابدين، فنحن على ملة آباءنا نعبدها كما كانوا يعبدون، (قال) إبراهيم (لَقَدْ كُنْتُمْ) أيها القوم (أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ) بعبادتكم إياها (فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) يقول: في ذهاب عن سبيل الحق، وجور عن قصد السبيل مبین: يقول: بين لمن تأمله بعقل، إنكم كذلك في جور عن الحق (قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ)؟ يقول: قال أبوه وقومه له: أجئنا بالحق فيما تقول (أَمْ أَنْتَ) هازل لآعب (مِنَ اللَّاعِبِينَ).

القول في تأويل قوله تعالى : قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (56)

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لهم: بل جئتم بالحق لا اللعب، ربكم رب السماوات والأرض الذي خلقهن، وأنا على ذلكم من أن ربكم هو رب السماوات والأرض الذي فطرهن، دون التماثيل التي أنتم لها عاكفون، ودون كل أحد سواه شاهد من الشاهدين، يقول: فإياه فاعبدوا لا هذه التماثيل التي هي خلقه التي لا تضر ولا تنفع.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : **وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ** ( 57 )

ذكر أن إبراهيم صلوات الله عليه حلف بهذه اليمين في سر من قومه وخفاء، وأنه لم يسمع ذلك منه إلا الذي أفشاه عليه حين قالوا. من فعل هذا بالهتنا < 457-18 > إنه لمن الظالمين، فقالوا: سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم.

\*ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله ( **وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ** ) قال: قول إبراهيم حين استتبعه قومه إلى عيد لهم فأبى وقال: إني سقيم، فسمع منه وعيد أصنامهم رجل منهم استأخر، وهو الذي يقول **سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ** .

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( **وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ** ) قال: نرى أنه قال ذلك حيث لم يسمعه بعد أن تولوا مدبرين. القول في تأويل قوله تعالى : **فَجَعَلَهُمْ جُذَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ** (58)

وقوله ( **فَجَعَلَهُمْ جُذَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ** ) اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار سوى يحيى بن وثاب والأعمش والكسائي ( **فَجَعَلَهُمْ جُذَادًا** ) (1) بمعنى جمع جذيد، كأنهم أرادوا به جمع جذيد وجذاد، كما يجمع الخفيف خفاف، والكريم كرام.

وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأه ( **جُذَادًا** ) بضم الجيم، لإجماع قراء الأمصار عليه، وأن ما أجمعت عليه فهو الصواب، وهو إذا قرئ كذلك مصدر مثل الرِّفَات، والْفُتَات، والدُّقَاق لا واحد له، وأما من كسر الجيم فإنه جمع للجذيد، والجذيد: هو فعيل صُرِفَ من مجذوذ إليه، مثل كسير وهشيم، والمجذوزة: المكسورة قطعاً.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ( **فَجَعَلَهُمْ جُذَادًا** ) يقول: حطاماً.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 18-458 >

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (جُدَادًا) كالصَّريم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا ) : أي قطعاً.

وكان سبب فعل إبراهيم صلوات الله عليه بأهله قومه ذلك، كما حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط عن السدي أن إبراهيم قال له أبوه: يا إبراهيم إن لنا عيداً لو قد خرجت معنا إليه قد أعجبك ديننا، فلما كان يوم العيد، فخرجوا إليه، خرج معهم إبراهيم، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال: إني سقيم، يقول: أشتكى رجلي فتواطئوا رجليه وهو صريع؛ فلما مضوا نادى في آخرهم، وقد بقي صعقَى الناس ( وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ ) فسمعوها منه، ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة، فإذا هنَّ في بهو عظيم، مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه بعضها إلى بعض، كل صنم يليه أصغر منه، حتى بلغوا باب البهو، وإذا هم قد جعلوا طعاماً، فوضعوه بين أيدي الآلهة، قالوا: إذا كان حين نرجع رجعنا، وقد باركت الآلهة في طعامنا فأكلنا، فلما نظر إليهم إبراهيم، وإلى ما بين أيديهم من الطعام قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ فلما لم تجبه، قال مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ \* قَرَأَ عَلَيْهِمْ صَرْبًا بِالْيَمِينِ فأخذ فأس حديد، فنقر كل صنم في حافتيه، ثم علق الفأس في عنق الصنم الأكبر، ثم خرج، فلما جاء إلّقوم إلى طعامهم نظروا إلى الهتهم قالوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ \* قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ .

وقوله ( إِنْ كَبِيرًا لَهُمْ ) يقول: إلا عظيماً للآلهة، فإن إبراهيم لم يكسره، ولكنه فيما ذكر علق الفأس في عنقه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني **459-18** < حجاج، عن ابن جريج ( إِنْ كَبِيرًا لَهُمْ ) قال: قال ابن عباس، إلا عظيماً لهم عظيم الهتهم، قال ابن جريج، وقال مجاهد: وجعل إبراهيم الفأس التي أهلك بها أصنامهم مُسْنَدَةً إلى صدر كبيرهم الذي تَرَكَ.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: جعل إبراهيم الفأس التي أهلك بها أصنامهم مسندة إلى صدر كبيرهم الذي ترك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: أقبل عليهنّ كما قال الله تبارك وتعالى صَرَبًا بِالْيَمِينِ ثم جعل يكسرهنّ بفأس في يده، حتى إذا بقي أعظم صنم منها ربط الفأس بيده، ثم تركهنّ، فلما رجع قومه، رأوا ما صنع بأصنامهم، فراعهم ذلك وأعظموه وقالوا: من فعل هذا بالهتنا إنه لمن الظالمين، وقوله ( لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ) يقول: فعل ذلك إبراهيم بالهتهم ليعتبروا ويعلموا أنها إذا لم تدفع عن نفسها ما فعل بها إبراهيم، فهي من أن تدفع عن غيرها من أرادها بسوء أبعدها، فيرجعوا عما هم عليه مقيمون من عبادتها إلى ما هو عليه من دينه وتوحيد الله، والبراءة من الأوثان.

وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ) قال: كادهم بذلك لعلهم يتذكرون أو يبصرون.

القول في تأويل قوله تعالى : قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْتَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ( 59 ) قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ( 60 ) قَالُوا قَاتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ( 61 )

يقول تعالى ذكره: قال قوم إبراهيم لما رأوا آلهتهم قد جدّت، إلا الذي ربط به الفأس إبراهيم: من فعل هذا بالهتنا؟ إن الذي فعل هذا بالهتنا لمن > 18- 460 < الظالمين! أي لمن الفاعلين بها ما لم يكن له فعله

( قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ) يقول: قال الذين سمعوه يقول وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ سمعنا فتى يذكرهم بعيب يقال له إبراهيم.

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج ( قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ ) قال ابن جريج: يذكرهم بعيبهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قوله ( سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ) سمعناه يسبها ويعيبها ويستهزئ بها، لم نسمع أحدا يقول ذلك غيره، وهو الذي نطن صنع هذا بها.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله ( فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ) يقول تعالى ذكره : قال قوم إبراهيم بعضهم لبعض: فأتوا بالذي فعل هذا بالهتنا الذي سمعتموه يذكرها بعيد ويسبها ويذمها على أعين الناس؛ فقل: معنى ذلك: على رءوس الناس. وقال بعضهم: معناه: بأعين الناس ومرأى منهم، وقالوا: إنما أريد بذلك أظهرنا الذي فعل ذلك للناس كما تقول العرب إذا ظهر الأمر وشهر: كان ذلك على أعين الناس، يراد به كان بأيدي الناس.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ) فقال بعضهم : معناه : لعل الناس يشهدون عليه، أنه الذي فعل ذلك، فتكون شهادتهم عليه حجة لنا عليه، وقالوا إنما فعلوا ذلك لأنهم كرهوا أن يأخذه بغير بينة.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي ( فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ) عليه أنه فعل ذلك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ) قال: كرهوا أن يأخذه بغير بينة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لعلهم يشهدون ما يعاقبونه به، فيعاقبونه ويرونه.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: بلغ ما فعل إبراهيم بالهة قومه نمرود، وأشرف قومه، فقالوا: < 461-18 > ( فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ) : أي ما يُصنع به، وأظهر معنى ذلك أنهم قالوا: فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون عقوبتنا إياه، لأنه لو أريد بذلك ليشهدوا عليه بفعله كان يقال: انظروا من شاهده يفعل ذلك، ولم يقل: أحضروه بمجمع من الناس.

القول في تأويل قوله تعالى : قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَا يَا إِبْرَاهِيمُ (62)  
قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (63)

يقول تعالى ذكره: فأتوا بإبراهيم، فلما أتوا به قالوا له: أنت فعلت هذا بالهتنا من الكسر بها يا إبراهيم؟ فأجابهم إبراهيم: بل فعله كبيرهم هذا وعظيمهم، فاسألوا الآلهة من فعل بها ذلك وكسرها إن كانت تنطق، أو تعبر عن نفسها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما أتى به واجتمع له قومه عند ملكهم نمرود (قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَا يَا



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

إِبْرَاهِيمُ \* قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) غضب من أن يعبدوا معه هذه الصغار وهو أكبر منها، فكسرهن.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا )... الآية، وهي هذه الخصلة التي كادهم بها.

وقد زعم بعض من لا يصدّق بالآثار، ولا يقبل من الأخبار إلا ما استفاض به النقل من العوام، أن معنى قوله ( بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ) إنما هو: بل فعله كبيرهم هذا إن كانوا ينطقون فاسألوهم، أي إن كانت الآلهة المكسورة تنطق، فإن كبيرهم هو الذي كسرهم، وهذا قول خلاف ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن إبراهيم لم يكذب إلا ثلاث كذبات كلها في الله، قوله ( بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ) وقوله إِيَّي سَتَقِيمُ وقوله لسارة: > 462-18 < هي أختي، وغير مستحيل أن يكون الله تعالى ذكره أذن لخليله في ذلك، ليقترع قومه به، ويحتجّ به عليهم، ويعرّفهم موضع خطئهم، وسوء نظرهم لأنفسهم، كما قال مؤدّن يوسف لإخوته أَيُّهَا الْعَبْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ولم يكونوا سرقوا شيئاً.

القول في تأويل قوله تعالى : فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (64) ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (65)

يقول تعالى ذكره: فذكروا حين قال لهم إبراهيم صلوات الله عليه بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ في أنفسهم، ورجعوا إلى عقولهم، ونظر بعضهم إلى بعض، فقالوا: إنكم معشر القوم الظالمون هذا الرجل في مسألتكم إياه وقيلكم له من فعل هذا بالهتنا يا إبراهيم، وهذه ألهمتكم التي فعل بها ما فعل حاضرتمكم فاسألوها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق ( فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ) قال: ارعَوْوا ورجعوا عنه يعني عن إبراهيم، فيما ادّعوا عليه من كسرهن إلى أنفسهم فيما بينهم، فقالوا: لقد ظلمناه وما نراه إلا كما قال.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج ( فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ ) قال: نظر بعضهم إلى بعض ( فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ).

وقوله ( ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ) يقول جل ثناؤه: ثم غلبوا في الحجة، فاحتجوا على إبراهيم بما هو حجة لإبراهيم عليهم، فقالوا: لقد علمت ما هؤلاء الأصنام ينطقون.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثم قالوا: > 18-463 < يعني قوم إبراهيم، وعرفوا أنها، يعني ألهمهم لا تضر ولا تنفع ولا تبطلش: ( لَقَدْ عَلِمْتَمَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ) : أي لا تتكلم فتخبرنا من صنع هذا بها، وما تبطلش بالأيدي فنصدقك، يقول الله ( ثُمَّ نَكِسُوا عَلَي رُءُوسِهِمْ ) في الحجة عليهم لإبراهيم حين جادلهم، فقال عند ذلك إبراهيم حين ظهرت الحجة عليهم بقولهم: ( لَقَدْ عَلِمْتَمَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ).

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قال الله ( ثُمَّ نَكِسُوا عَلَي رُءُوسِهِمْ ) أدركت الناس حيرة سوء.

وقال آخرون: معنى ذلك: ثم نكسوا في الفتنة.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي ( ثُمَّ نَكِسُوا عَلَي رُءُوسِهِمْ ) قال: نكسوا في الفتنة على رؤوسهم، فقالوا: لقد علمت ما هؤلاء ينطقون.

وقال بعض أهل العربية: معنى ذلك: ثم رجعوا عما عرفوا من حجة إبراهيم، فقالوا: لقد علمت ما هؤلاء ينطقون.

وإنما اخترنا القول الذي قلنا في معنى ذلك، لأن نكس الشيء على رأسه: قلبه على رأسه وتصيير أعلاه أسفله؛ ومعلوم أن القوم لم يقلبوا على رؤوس أنفسهم، وأنهم إنما نكسبت حجتهم، فأقيم الخبر عنهم مقام الخبر عن حجتهم، وإذا كان ذلك كذلك، فنكس الحجة لا شك إنما هو احتجاج المحتج على خصمه بما هو حجة لخصمه، وأما قول السدي: ثم نكسوا في الفتنة، فإنهم لم يكونوا خرجوا من الفتنة قبل ذلك فنكسوا فيها. وأما قول من قال من أهل العربية ما ذكرنا عنه، فقول بعيد من الفهوم، لأنهم لو كانوا رجعوا عما عرفوا من حجة إبراهيم، ما احتجوا عليه بما هو حجة له، بل كانوا يقولون له: لا تسألهم، ولكن نسألك فأخبرنا من فعل ذلك بها، وقد سمعنا أنك فعلت ذلك، ولكن صدقوا القول فقالوا ( لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ) وليس ذلك رجوعا عما كانوا عرفوا، بل هو إقرار به.

القول في تأويل قوله تعالى : قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (66) أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ > 18-464 < مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (67)

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لقومه: أفتعبدون أيها القوم ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم، وأنتم قد علمتم أنها لم تمنع نفسها ممن أرادها بسوء، ولا هي

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

تقدر أن تنطق إن سئلت عنم يأتيا بسوء فتخبر به، أفلا تستحيون من عبادة ما كان هكذا.

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق ( قَالَ أَفْتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ )... الآية، يقول يرحمه الله: ألا ترون أنهم لم يدفعوا عن أنفسهم الضر الذي أصابهم، وأنهم لا ينطقون فيخبرونكم من صنع ذلك بهم، فكيف ينفعونكم أو يضرّون.

وقوله ( أَفْ لَكُمْ ) يقول: فبأ لکم وللآلهة التي تعبدون من دون الله، أفلا تعقلون قبح ما تفعلون من عبادتكم ما لا يضر ولا ينفع، فتركوا عبادته، وتعبدوا الله الذي فطر السماوات والأرض، والذي بيده النفع والضر.

القول في تأويل قوله تعالى : قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ قَاعِلِينَ ( 68 ) قُلْنَا يَا تَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ( 69 ) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ( 70 )

يقول تعالى ذكره: قال بعض قوم إبراهيم لبعض: حرّقوا إبراهيم بالنار ( وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ قَاعِلِينَ ) يقول: إن كنتم ناصرها، ولم تريدوا ترك عبادتها.

وقيل: إن الذي قال ذلك رجل من أكراد فارس.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، عن ليث، عن مجاهد، في قوله: ( حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ ) قال: قالها رجل من أعراب فارس، يعني الأكراد.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، < 465-18 > قال: أخبرني وهب بن سليمان، عن شعيب الجبلي، قال: إن الذي قال حرّقه " هيزن " فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: أجمع نمرود وقومه في إبراهيم فقالوا ( حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ قَاعِلِينَ ) أي لا تنصروها منه إلا بالتحريق بالنار إن كنتم ناصرها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن الحسن بن دينار، عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، قال: تلوت هذه الآية على عبد الله بن عمر، فقال: أتدري يا مجاهد من الذي أشار بتحريق إبراهيم بالنار؟ قال: قلت لا قال: رجل من أعراب فارس. قلت: يا أبا عبد الرحمن، أو هل للفرس أعراب؟ قال: نعم الكرد هم أعراب فارس، فرجل منهم هو الذي أشار بتحريق إبراهيم بالنار.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله ( قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم) في الكلام متروك اجتزئ بدلالة ما ذكر عليه منه، وهو: فأوقدوا له نارا ليحرقوه ثم ألقوه فيها، فقلنا للنار: يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم، وذكر أنهم لما أرادوا إحراقه بنوا له بنيانا، كما حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ قَالَ: فحبسوه في بيت، وجمعوا له حطباً، حتى إن كانت المرأة لتمرص فتقول: لئن عافاني الله لأجمعن حطباً لإبراهيم، فلما جمعوا له، وأكثروا من الحطب (2) حتى إن الطير لتمرّ بها فتحترق من شدة وهجها، فعمدوا إليه فرفعوه على رأس البنيان، فرفع إبراهيم صلى الله عليه وسلم رأسه إلى السماء، فقالت السماء والأرض والجبال والملائكة: ربنا، إبراهيم يحرق فيك، فقال: أنا أعلم به، وإن دعاكم فأغيثوه، وقال إبراهيم حين رفع رأسه إلى السماء: اللهم أنت الواحد في السماء، وأنا الواحد في الأرض ليس في الأرض أحد يعبدك غيري، حسبي الله ونعم الوكيل، فقفوه في النار، فناداها فقال ( يَا تَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ) فكان جبريل عليه السلام هو الذي ناداها.

< 18-466 >

وقال ابن عباس: لو لم يتبع بردها سلاما لمات إبراهيم من شدة بردها، فلم يبق يومئذ نار في الأرض إلا طفتت، طنت أنها هي تعنى، فلما طفتت النار نظروا إلى إبراهيم، فإذا هو رجل آخر معه، وإذا رأس إبراهيم في حجره يمسح عن وجهه العرق، وذكر أن ذلك الرجل هو ملك الظل، وأنزل الله نارا فانتفع بها بنو آدم، وأخرجوا إبراهيم، فأدخلوه على الملك، ولم يكن قبل ذلك دخل عليه.

حدثني إبراهيم بن المقدم أبو الأشعث، قال: ثنا المعتمر، قال: سمعت أبي، قال: ثنا قتاده، عن أبي سليمان، عن كعب، قال: ما أحرقت النار من إبراهيم إلا وثاقه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( قُلْنَا يَا تَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ) قال: ذكر لنا أن كعبا كان يقول: ما انتفع بها يومئذ أحد من الناس، وكان كعب يقول: ما أحرقت النار يومئذ إلا وثاقه.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن شيخ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله ( قُلْنَا يَا تَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ) قال: بردت عليه حتى كادت تقتله، حتى قيل: وسلاما، قال: لا تضره.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، قال: أخبرنا إسماعيل، عن المنهال بن عمرو، قال: قال إبراهيم خليل الله: ما كنت أياما قط أنعم مني من الأيام التي كنت فيها في النار.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، قال: لَمَّا أَلْقَى إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّارِ، قَالَ الْمَلِكُ خَازِنَ الْمَطَرِ: رَبِّ خَلِيلِكَ إِبْرَاهِيمَ، رَجَا أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ فَيُرْسِلَ الْمَطَرُ، قَالَ: فَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ أَسْرَعَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ ( قُلْنَا يَا تَارُّ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ) فلم يبق في الأرض نار إلا طُفئت.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن الحارث، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة، قال: إن أحسن شيء قاله أبو إبراهيم لما رفع عنه الطبق > 18-467 < وهو في النار، وجده يرشح جبينه، فقال عند ذلك: نعم الرب ربك يا إبراهيم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني وهب بن سليمان عن شعيب الجبسي، قال: ألقى إبراهيم في النار وهو ابن ست عشرة سنة، وذبح إسحاق وهو ابن سبع سنين، وولده سارة وهي ابنة تسعين سنة، وكان مذبحة من بيت إيلياء على ميلين، ولما علمت سارة بما أراد بإسحاق بُطنت يومين، وماتت اليوم الثالث، قال ابن جريج: قال كعب الأحبار: ما أحرقت النار من إبراهيم شيئًا غير وثاقه الذي أوثقوه به.

حدثنا الحسن، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا معتمر بن سليمان التيمي، عن بعض أصحابه قال: جاء جبريل إلى إبراهيم عليهما السلام وهو يوثق أو يقمط ليلقى في النار، قال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أمّا إليك فلا.

قال: ثنا معتمر، قال: ثنا ابن كعب، عن أرقم: أن إبراهيم قال حين جعلوا يوثقونه ليلقوه في النار: لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين، لك الحمد، ولك الملك لا شريك لك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، في قوله ( قُلْنَا يَا تَارُّ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ) قال: السلام لا يؤذيه بردها، ولولا أنه قال: وسلاما لكان البرد أشد عليه من الحر.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله (بَرْدًا) قال: بردت عليه (وَسَلَامًا) لا تؤذيه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ( قُلْنَا يَا تَارُّ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ) قال: قال كعب: ما انتفع أحد من أهل الأرض يومئذ بنار، ولا أحرقت النار يومئذ شيئًا إلا وثاق إبراهيم.

وقال قتادة: لم تأت يومئذ دابة إلا أطفأت عنه النار، إلا الوزغ.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال الزهري: أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله، وسماه فُوسقا.

وقوله ( وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا ) يقول تعالى ذكره: وأرادوا بإبراهيم كيدا ( فَجَعَلْنَاهُمْ  
الْأَخْسَرِينَ ) يعني الهالكين.

< 18-468 >

وقد حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج ( وَأَرَادُوا  
بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ ) قال: ألقوا شيئا منهم في النار لأن يصيبوا  
نجاته، كما نجي إبراهيم صلى الله عليه وسلم، فاحترق.

القول في تأويل قوله تعالى : وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا  
لِلْعَالَمِينَ (71)

يقول تعالى ذكره: ونجينا إبراهيم ووطيا من أعدائهما نمرود وقومه من أرض  
العراق ( إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ) وهي أرض الشام، فارق  
صلوات الله عليه وقومه ودينهم وهاجر إلى الشام.

وهذه القصة التي قص، الله من نيا إبراهيم وقومه تذكير منه بها قوم محمد  
صلى الله عليه وسلم من قريش أنهم قد سلخوا في عبادتهم الأوثان، وأذاهم  
محدا على نبيه عن عبادتها، ودعائهم إلى عبادة الله مخلصين له الدين،  
مسلك أعداء أبيهم إبراهيم، ومخالفتهم دينه، وأن محمدا في براءته من  
عبادتها وإخلاصه العبادة لله، وفي دعائهم إلى البراءة من الأصنام، وفي الصبر  
على ما يلقي منهم في ذلك سالك منهاج أبيه إبراهيم، وأنه مخرجه من بين  
أظهرهم كما أخرج إبراهيم من بين أظهر قومه حين تمادوا في غيهم إلى  
مهاجره من أرض الشام، ومسلك بذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عما  
يلقى من قومه من المكروه والأذى، ومعلمه أنه منجيه منهم كما نجي أباه  
إبراهيم من كفره قومه.

وقد اختلف أهل التأويل في الأرض التي ذكر الله أنه نجى إبراهيم ووطيا  
إليها، ووصفه أنه بارك فيها للعالمين، فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسين بن حريث المروزي أبو عمار، قال: ثنا الفضل بن موسى، عن  
الحسين بن واقد، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب  
( وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ) قال: الشام، وما من  
ماء عذب إلا خرج من تلك الصخرة التي ببيت المقدس.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن فرات القزاز، عن  
الحسن، في قوله ( إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ) قال: الشام.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 18-469 >

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( وَتَجِيئُهُ وُلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ) كانا بأرض العراق، فأنجيا إلى أرض الشام، وكان يقال للشام عماد دار الهجرة، وما نقص من الأرض زيد في الشام، وما نقص من الشام زيد في فلسطين، وكان يقال: هي أرض المحشر والمنشر، وبها مجمع الناس، وبها ينزل عيسى ابن مريم، وبها يهلك الله شيخ الضلالة الكذاب الدجال.

وحدثنا أبو قلابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " رأيت فيما يرى النائم كأن الملائكة حملت عمود الكتاب فوضعت بالشام، فأولته أن الفتن إذا وقعت فإن الإيمان بالشام".

وذكر لنا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبه: " إئتة كائن بالشام جند، وبالعراق جند، وباليمن جند، فقال رجل: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم خير لي، فقال: عليك بالشام فإن الله قد تكفل لي بالشام وأهله، فمن أبى فليلق بأمه وليسق بقدره".

وذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا كعب ألا تحوّل إلى المدينة فإنها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضع قبره، فقال له كعب: يا أمير المؤمنين، إني أجد في كتاب الله المنزل، أن الشام كنز الله من أرضه، وبها كنزه من عباده.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة ( وَتَجِيئُهُ وُلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ) قال: هاجرا جميعا من كوثى إلى الشام.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: انطلق إبراهيم ولوط قبل الشام، فلقي إبراهيم سارة، وهي بنت ملك حران، وقد طعنت على قومها في دينهم، فتزوجها على أن لا يغيرها (3).

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: خرج إبراهيم مهاجرا إلى ربه، وخرج معه لوط مهاجرا، وتزوج سارة ابنة عمه، فخرج < 18-470 > بها معه يلتمس الفرار بدينه، والأمان على عبادة ربه، حتى نزل حران، فمكث فيها ما شاء الله أن يمكث، ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر، ثم خرج من مصر إلى الشام، فنزل السبع من أرض فلسطين، وهي بزية الشام، ونزل لوط بالمؤتفكة، وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة، أو أقرب من ذلك، فبعثه الله نيا صلى الله عليه وسلم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قوله ( وَتَجِيئُهُ وُلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ) قال: نجاه من أرض العراق إلى أرض الشام.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، أنه قال في هذه الآية (بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ) قال: ليس ماء عذب إلا يهبط إلى الصخرة التي بيت المقدس، قال: ثم يتفرق في الأرض.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وَتَجَيَّنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ) قال: إلى الشام.

وقال آخرون: بل يعني مكة وهي الأرض التي قال الله تعالى (الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ).

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَتَجَيَّنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ) يعني مكة ونزول إسماعيل البيت. ألا ترى أنه يقول: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِمَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ .

قال أبو جعفر: وإنما اخترنا ما اخترنا من القول في ذلك لأنه لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام، وبها كان مقامه أيام حياته، وإن كان قد كان قدم مكة وبنى بها البيت وأسكنها إسماعيل ابنه مع أمه هاجر، غير أنه لم يقم بها، ولم يتخذها وطنًا لنفسه، ولا لوط، والله إنما أخبر عن إبراهيم ولوط أنهما أنجاهما إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين.

القول في تأويل قوله تعالى < 457-18 > : وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (72)

يقول تعالى ذكره: ووهبنا لإبراهيم إسحاق ولدا ويعقوب ولد ولده، نافلة لك.

واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله (نَافِلَةً) فقال بعضهم: عنى به يعقوب خاصة.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً) يقول: ووهبنا له إسحاق ولدا، ويعقوب ابن ابن نافلة.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ) والنافلة: ابن ابنه يعقوب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ) قال: سألت واحدا فقال رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَأَعْطَاهُ واحدا، وزاده يعقوب، ويعقوب ولد ولده.

وقال آخرون: بل عنى بذلك إسحاق ويعقوب، قالوا: وإنما معنى النافلة: العطية، وهما جميعا من عطاء الله أعطاهما إياه.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن جريج، عن عطاء، في قوله ( وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ) قال: عطية.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله ( إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ) قال: عطاء.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

< 18-472 >

قال أبو جعفر: وقد بينا فيما مضى قبل، أن النافلة الفضل من الشيء يصير إلى الرجل من أي شيء كان ذلك، وكلا ولديه إسحاق ويعقوب كان فضلا من الله تفضل به على إبراهيم، وهبة منه له، وجائز أن يكون عنى به أنه آتاهما إياه جميعا نافلة منه له، وأن يكون عنى أنه آتاه نافلة يعقوب، ولا برهان يدل على أي ذلك المراد من الكلام، فلا شيء أولى أن يقال في ذلك مما قال الله ووهب الله له لإبراهيم إسحاق ويعقوب نافلة.

وقوله ( وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ) يعني عاملين بطاعة الله، مجتنبين محارمه، وعنى بقوله: (كُلًّا) إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب .

الهوامش:

(1) في العبارة هنا قصور ، ولعل بها سقطا ، وسيوضحها المؤلف في كلامه الآتي بعدها . والحاصل أن قراءة عامة القراء " جذاذا " بضم الجيم ، قيل هو مفرد كحطام ، وقيل من الجمع العزيز . وقرأ ابن وثاب وجماعة بالكسر ، وهو جديذ ، ونظيره كريم وكرام .



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(2) سقطت من هذا الخبر عبارة ذكر نحوها الثعلبي المفسر في عرائس المجالس ، وهي : أشعلوا النار في كل ناحية بالحطب ، فاشتعلت النار ، حتى إن كان الطير ليمر بها فيحترق . . . الخ .  
(3) في ابن كثير : على أن يفر بها . القول في تأويل قوله تعالى :  
وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (73)

وقوله: ( وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ) يقول تعالى ذكره: وجعلنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أئمة يؤتم بهم في الخير في طاعة الله في اتباع أمره ونهيه، ويقتدى بهم، ويتبعون عليه.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ) جعلهم الله أئمة يقتدى بهم في أمر الله وقوله ( يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ) يقول: يهدون الناس بأمر الله إياهم بذلك، ويدعونهم إلى الله وإلى عبادته، وقوله ( وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ) يقول تعالى ذكره: وأوحينا فيما أوحينا أن افعلوا الخيرات، وأقيموا الصلاة بأمرنا بذلك ( وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ) يقول: كانوا لنا خاشعين، لا يستكبرون عن طاعتنا وعبادتنا.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَوْطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ (74)

يقول تعالى ذكره: وآتينا لوطا حكما، وهو فصل القضاء بين الخصوم، وعلماء: يقول: وآتيناه أيضا علما بأمر دينه، وما يجب عليه لله من فرائضه.

وفي نصب لوط وجهان: أن ينصب لتعلق الواو بالفعل كما قلنا: وآتينا لوطا، والآخر بمضمر بمعنى: واذكر لوطا.

وقوله ( وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ ) يقول: ونجيناه من عذابنا الذي أحلناه بأهل القرية التي كانت تعمل الخبائث، وهي قرية سدوم < 473-18 > التي كان لوط بعث إلى أهلها، وكانت الخبائث التي يعملونها: إتيان الذكران في أديبارهم، وخذفهم الناس، وتضارطهم في أديبتهم، مع أشياء آخر كانوا يعملونها من المنكر، فأخرجه الله حين أراد إهلاكهم إلى الشام.

كما حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: أخرجهم الله، يعني لوطا وابنتيه زينا وزعرثا إلى الشام حين أراد إهلاك قومه.

وقوله ( إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ) مخالفين أمر الله، خارجين عن طاعته وما يرضى من العمل.

القول في تأويل قوله تعالى : وَأَدْخَلْنَا فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (75)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره: وأدخلنا لوطا في رحمتنا بإنجائنا إياه ما أحللتنا بقومه من العذاب والبلاء وإنقاذنا منه إياه من الصالحين: يقول: إن لوطا من الذين كانوا يعملون بطاعتنا، ويتهبون إلى أمرنا ونهينا ولا يعصوننا ، وكان ابن زيد يقول في معنى قوله ( وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ) ما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ) قال: في الإسلام.

القول في تأويل قوله تعالى : وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (76) وَنَصَرْنَا نُوْحًا إِذْ كَذَّبَ بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا فَاعْرِفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (77)

يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد نوحا إذ نادى ربه من قبلك، ومن قبل إبراهيم ولوط، وسألنا أن نهلك قومه الذين كذبوا الله فيما توعدهم به من وعيده، وكذبوا نوحا فيما أتاهم به من الحق من عند ربه وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا فَاسْتَجَبْنَا لَهُ دَعَاؤَهُ، ( وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ ) يعني < 474-18 > بأهله: أهل الإيمان من ولده وحلائلهم ( مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ) يعني بالكرب العظيم: العذاب الذي أحل بالمكذبين من الطوفان والغرق ، والكرب: شدة الغم، يقال منه: قد كريني هذا الأمر فهو يكريني كربا ، وقوله: ( وَنَصَرْنَا نُوْحًا إِذْ كَذَّبَ بِآيَاتِنَا ) يقول: ونصرنا نوحا على القوم الذين كذبوا بحجنا وأدلتنا، فأنجينا منهم، فأغرقناهم أجمعين ، إنهم كانوا قوم سوء، يقول تعالى ذكره: إن قوم نوح الذين كذبوا بآياتنا كانوا قوم سوء، يسيئون الأعمال، فيعصون الله ويخالفون أمره.

القول في تأويل قوله تعالى : وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَمَّةٌ مِّنَ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (78) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (79)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر داود وسليمان يا محمد إذ يحكما في الحرث.

واختلف أهل التأويل في ذلك الحرث ما كان؟ فقال بعضهم: كان نبتا.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن إسحاق، عن مرة في قوله ( إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ) قال: كان الحرث نبتا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد عن قتادة، قال: ذكر لنا أن غم القوم وقعت في زرع ليلا.

وقال آخرون: بل كان ذلك الحرث كزما.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا المحاربي، عن أشعث، عن أبي إسحاق، عن مرة، عن ابن مسعود، في قوله ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ) قال: كَرَمٌ قد أنبت عناقيده.

< 18-475 >

حدثنا تميم بن المنتصر، قال: أخبرنا إسحاق، عن شريك، عن أبي إسحاق، عن مسروق، عن شريح، قال: كان الحرث كَرَمًا.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قال الله تبارك وتعالى ( إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ) والحرث: إنما هو حرث الأرض، وجائز أن يكون ذلك كان زرعاً، وجائز أن يكون عَرَسًا، وغير ضائر الجهل بأي ذلك كان.

وقوله ( إِذْ تَقَسَّتْ فِيهِ عَنَّمُ الْقَوْمِ ) (1) يقول: حين دخلت في هذا الحرث غنم القوم الآخرين من غير أهل الحرث ليلا فرعته أو أفسدته ( وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ) يقول: وكنا لحكم داود وسليمان والقوم الذين حكما بينهم فيما أفسدت غنم أهل الغنم من حرث أهل الحرث، شاهدين لا يخفى علينا منه شيء، ولا يغيب عنا علمه وقوله ( فَفَهَّمْنَاهَا ) يقول: ففهمنا القضية في ذلك ( سُلَيْمَانَ ) دون داود ، ( وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ) يقول: وكلهم من داود وسليمان والرسول الذين ذكرهم في أول هذه السورة آتينا حكما وهو النبوة، وعلمًا: يعني وعلمًا بأحكام الله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب وهارون بن إدريس الأصمّ قالوا ثنا المحاربي، عن أشعث، عن أبي إسحاق، عن مرة، عن ابن مسعود، في قوله ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ) قال: كرم قد أنبت عناقيده فأفسدته، قال: فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم، فقال سليمان غير هذا يا نبي الله، قال: وما ذاك؟ قال: يدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها، حتى إذا كان الكرم كما كان دفعت الكرم إلى صاحبه، ودفعت الغنم إلى صاحبها، فذلك قوله ( فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ).

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ) < 18-476 > الْحَرْثِ ... إلى قوله ( وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ) يقول: كنا لما حكما شاهدين، وذلك أن رجلين دخلا على داود، أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم، فقال صاحب الحرث: إن هذا أرسل غنمه في حرثي، فلم يُبق من حرثي شيئاً، فقال له

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

داود: اذهب فإن الغنم كلها لك، ف قضى بذلك داود، ومّرّ صاحب الغنم بسليمان، فأخبره بالذي قضى به داود، فدخل سليمان على داود فقال يا نبيّ الله إن القضاء سوى الذي قضيت، فقال: كيف؟ قال سليمان: إن الحرث لا يخفي على صاحبه ما يخرج منه في كل عام، فله من صاحب الغنم أن يبيع من أولادها وأصوافها وأشعارها حتى يستوفي ثمن الحرث، فإن الغنم لها نسل في كل عام، فقال داود: قد أصبت، القضاء كما قضيت، ففهمها الله سليمان.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، عن علي بن زيد، قال: ثني خليفة، عن ابن عباس قال: قضى داود بالغنم لأصحاب الحرث، فخرج الرُّعاة معهم الكلاب، فقال سليمان: كيف قضى بينكم؟ فأخبروه، فقال: لو وافيت أمركم لقضيت بغير هذا، فأخبر بذلك داود، فدعاه فقال: كيف تقضي بينهم؟ قال: أدفع الغنم إلى أصحاب الحرث، فيكون لهم أولادها وألبانها وسلاؤها ومنافعها، ويبذر أصحاب الغنم لأهل الحرث مثل حرثهم، فإذا بلغ الحرث الذي كان عليه، أخذ أصحاب الحرث الحرث، وردّوا الغنم إلى أصحابها.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، قال: ثنا ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله ( إِذْ تَقَشَّتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) قال: أعطاهم داود رقاب الغنم بالحرث، وحكم سليمان بجزء الغنم وألبانها لأهل الحرث، وعليهم رعايتها على أهل الحرث، ويحترث لهم أهل الغنم حتى يكون الحرث كهيئته يوم أكل، ثم يدفعونه إلى أهله ويأخذون غنمهم.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثني ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج بنحوه، إلا أنه قال: وعليهم رعايتها.

< 18-477 >

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن إسحاق، عن مرة في قوله ( إِذْ تَقَشَّتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) قال: كان الحرث نبتا، فنفتشت فيه ليلا فاختصموا فيه إلى داود، ف قضى بالغنم لأصحاب الحرث. فمروا على سليمان، فذكروا ذلك له، فقال: لا تُدفع الغنم فيصيبون منها، يعني أصحاب الحرث ويقوم هؤلاء على حرثهم، فإذا كان كما كان ردوا عليهم. فنزلت ( فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ).

حدثنا تميم بن المنتصر، قال: أخبرنا إسحاق، عن شريك، عن أبي إسحاق، عن مسروق، عن شريح، في قوله ( إِذْ تَقَشَّتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) قال: كان النفض ليلا وكان الحرث كرما، قال: فجعل داود الغنم لصاحب الكرم، قال: فقال سليمان: إن صاحب الكرم قد بقي له أصل أرضه وأصل كرمه، فاجعل له أصوافها وألبانها! قال: فهو قول الله ( فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ).

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن أبي زياد، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا إسماعيل، عن عامر، قال: جاء رجلان إلي شريح، فقال أحدهما: إن شياه هذا قطعت عَزْلاً لي، فقال شريح: نهارة أم ليلاً؟ قال: إن كان نهارة فقد برئ صاحب الشياه، وإن كان ليلاً فقد ضمن، ثم قرأ ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) قال: كان النفس ليلاً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن عامر، عن شريح بنحوه.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي، عن شريح، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ )... الآية، النفس بالليل، والهمل بالنهار.

وذكر لنا أن غنم القوم وقعت في زرع ليلاً فُرفِع ذلك إلى داود، فقضى بالغنم لأصحاب الزرع، فقال سليمان: ليس كذلك، ولكن له نسلها ورسلها وعوارضها وجُزازها، حتى إذا كان من العام المقبل كهيئته يوم أكل، دفعت الغنم إلى ربها وقبض صاحب الزرع زرعه، فقال الله ( فَفَهَّمَهَا سُلَيْمَانَ ).

< 18-478 >

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة والزهري ( إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) قال: نفست غنم في حرث قوم، قال الزهري: والنفس لا يكون إلا ليلاً فقضى داود أن يأخذ الغنم، ففهمها الله سليمان، قال: فلما أخبر بقضاء داود، قال: لا ولكن خذوا الغنم، ولكم ما خرج من رسلها وأولادها وأصوافها إلى الحول.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، في قوله ( إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) قال: في حرث قوم، قال معمر: قال الزهري: النفس لا يكون إلا بالليل، والهمل بالنهار، قال قتادة: فقضى أن يأخذوا الغنم، ففهمها الله سليمان، ثم ذكر باقي الحديث نحو حديث عبد الأعلى.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ )... الآيتين، قال: انفلت غنم رجل على رجل حرث رجل فأكلته، فجاء إلى داود، فقضى فيها بالغنم لصاحب الحرث بما أكلت، وكأنه رأى أنه وجه ذلك، فمروا بسليمان، فقال: ما قضى بينكم نبي الله؟ فأخبروه، فقال: ألا أقضي بينكما عسى أن ترضيا به؟ فقالا نعم. فقال: أما أنت يا صاحب الحرث، فخذ غنم هذا الرجل فكن فيها كما كان صاحبها، أصب من لبنها وعارضتها وكذا وكذا ما كان يصيب، وأحرث أنت يا صاحب الغنم حرث هذا الرجل، حتى إذا كان حرثه مثله ليلة نفست

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فيه غنمك، فأعطه حرثه، وخذ غنمك، فذلك قول الله تبارك وتعالى ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) وقرأ حتى بلغ قوله ( وَكَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، في قوله ( إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) قال: رعت.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: النفس: الرعية تحت الليل.

قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الزهري، عن حرام بن محيصة > 18- 479 < بن مسعود، قال: " دخلت ناقة للبراء بن عازب حائطا لبعض الأنصار فأفسدته، فُرِفِعَ ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال ( إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) فقضى على البراء بما أفسدته الناقة، وقال على أصحاب الماشية حفظ الماشية بالليل، وعلى أصحاب الحوائط حفظ حيطانهم بالنهار".

قال الزهري: وكان قضاء داود وسليمان في ذلك أن رجلا دخلت ماشيته زرعاً لرجل فأفسدته، ولا يكون النفوش إلا بالليل، فارتفعا إلى داود، فقضى بغنم صاحب الغنم لصاحب الزرع، فأنصرفا فمرا بسليمان، فقال: بماذا قضى بينكما نبي الله؟ فقالا قضى بالغنم لصاحب الزرع، فقال: إن الحكم لعلى غير هذا، أنصرفا معي! فأتى أباه داود، فقال: يا نبي الله، قضيت على هذا بغنمه لصاحب الزرع؟ قال نعم. قال: يا نبي الله، إن الحكم لعلى غير هذا، قال: وكيف يا نبي؟ قال: تدفع الغنم إلى صاحب الزرع، فيصيب من ألبانها وسمونها وأصوافها، وتدفع الزرع إلى صاحب الغنم يقوم عليه، فإذا عاد الزرع إلى حاله التي أصابته الغنم عليها، ردت الغنم على صاحب الغنم، وردّ الزرع إلى صاحب الزرع، فقال داود: لا يقطع الله فمك، فقضى بما قضى سليمان، قال الزهري: فذلك قوله ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ )... إلى قوله ( حُكْمًا وَعِلْمًا ).

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، وعلي بن مجاهد، عن محمد بن إسحاق، قال: فحدثني من سمع الحسن يقول: كان الحكم بما قضى به سليمان، ولم يعنف الله داود في حكمه.

وقوله ( وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ) يقول تعالى ذكره: وسخرنا مع داود الجبال، والطير يسبحن معه إذا سبح.

وكان قنادة يقول في معنى قوله ( يُسَبِّحْنَ ) في هذا الموضع ما حدثنا به بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ) : أي يصلين مع داود إذا صلى.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله ( وَكُنَّا قَاعِلِينَ ) يقول: وكنا قد قضينا أنا فاعلو ذلك، ومسخرو الجبال والطير في أم الكتاب مع داود عليه الصلاة والسلام.

< 18-480 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ (80)

يقول تعالى ذكره: وعلمنا داود صنعة لبوس لكم، واللبوس عند العرب: السلاح كله، درعا كان أو جوشنا أو سيفا أو رمحا، يدل على ذلك قول الهذلي:

وَمَعِيَ لَبُوسٌ لِلْبَيْسِ كَأَنَّهُ

رَوْقٌ يَجْهَةٌ ذِي نِعَاجٍ مُجْفِلٍ (2)

وإنما يصف بذلك رمحا، وأما في هذا الموضع فإن أهل التأويل قالوا: عنى الدروع.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ )... الآية، قال: كانت قبل داود صفائح، قال: وكان أول من صنع هذا ألحلق وسرد داود.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ( وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ ) قال: كانت صفائح، فأول من سردها وحلقها داود عليه السلام.

واختلفت القراء في قراءة قوله (لِتُحْصِنَكُمْ) فقرأ ذلك أكثر قراء الأمصار (لِيُحْصِنَكُمْ) بالياء، بمعنى: ليحصنكم اللبوس من بأسكم، ذكره لتذكير اللبوس، وقرأ ذلك أبو جعفر يزيد بن القعقاع (لِتُحْصِنَكُمْ) بالتاء، بمعنى: لتحصنكم الصنعة، فأنت لتأنيث الصنعة، وقرأ شيبة بن نصاح وعاصم بن أبي النجود (لِتُحْصِنَكُمْ) بالنون، بمعنى: لتحصنكم نحن من بأسكم.

قال أبو جعفر: وأولى القراءات في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأه > 481-18 < بالياء، لأنها القراءة التي عليها الحجة من قراء الأمصار، وإن كانت القراءات الثلاث التي ذكرناها متقاربات المعاني، وذلك أن الصنعة هي اللبوس، واللبوس هي الصنعة، والله هو المحصن به من البأس، وهو المحصن بتصوير الله إياه كذلك، ومعنى قوله: (لِتُحْصِنَكُمْ) ليحرزكم، وهو من قوله: قد أحصن فلان جاريته، وقد بينا معنى ذلك بشواهد في ما مضى قبل، والبأس: القتال،



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وعَلَّمْنَا دَاوُدَ صِنْعَةَ سِلَاحٍ لَكُمْ لِيَحْرُزَكُمْ إِذَا لَبَسْتُمُوهُ، وَلَقِيتُمْ فِيهِ أَعْدَاءَكُمْ مِنَ الْقَتْلِ.

وقوله ( فَهَلْ أَنْتُمْ بِشَاكِرُونَ ) يقول: فهل أنتم أيها الناس شاكرو الله على نعمته عليكم بما علمكم من صنعة اللبوس المحصن في الحرب وغير ذلك من نعمه عليكم، يقول: فاشكروني على ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: **وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (81)**

يقول تعالى ذكره (وَ) سخرنا (لِسُلَيْمَانَ) بين داود (الرِّيحَ عَاصِفَةً) وعصوفها: شدة هبوبها؛ (تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) يقول: تجري الريح بأمر سليمان إلى الأرض التي باركنا فيها، يعني: إلى الشام، وذلك أنها كانت تجري بسليمان وأصحابه إلى حيث شاء سليمان، ثم تعود به إلى منزله بالشام، فلذلك قيل: (إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا).

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه قال: كان سليمان إذا خرج إلى مجلسه عكفت عليه الطير، وقام له الجن والإنس حتى يجلس إلى سريه، وكان امرءا غزّاء، قلما يقعد عن الغزو، ولا يسمع في ناحية من الأرض بملك إلا أتاه حتى يذله، وكان فيما يزعمون إذا أراد الغزو، أمر بعسكره فصّرب له بخشب، ثم نصب له على الخشب، ثم حمل عليه الناس والدوابّ وآلة الحرب كلها، حتى إذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح، فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته، حتى إذا استقلت أمر الرخاء، فمدّته شهرا في روحته، وشهرا في غدوته إلى حيث أراد، يقول الله عزّ وجل **فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُجَاءً حَيْثُ أَصَابَ** قال < 482-18 > **وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عُدُوَّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ** قال: فذكر لي أن منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتاب كتبه بعض صحابة سليمان، إما من الجنّ وإما من الإنس، نحن نزلناه وما بنيناه، ومبنيها وجدناه، غدونا من إصطخر فقلناه، ونحن راحلون منه إن شاء الله قائلون الشام.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ( وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً )... إلى قوله ( وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ) قال: ورث الله سليمان داود، فورثه نبوته وملكه وزاده على ذلك أن سخر له الريح والشياطين.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله ( وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ ) قال: عاصفة شديدة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها، قال: الشام.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

واختلفت القراء في قراءة قوله ( وَاسْلَيْمَانَ الرِّيحَ ) فقرأته عامة قراء الأمصار بالنصب على المعنى الذي ذكرناه، وقرأ ذلك عبد الرحمن الأعرج ( الرِّيحُ ) رفعا بالكلام في سليمان على ابتداء الخبر عن أن لسليمان الريح.

قال أبو جعفر: والقراءة التي لا أستجيز القراءة غيرها في ذلك ما عليه قراء الأمصار لإجماع الحجة من القراء عليه.

وقوله ( وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ) يقول: وكنا عالمين بأن فعلنا ما فعلنا لسليمان من تسخيرنا له، وإعطائنا ما أعطيناه من الملك وصلاح الخلق، فعلى علم منا بموضع ما فعلنا به من ذلك فعلنا، ونحن عالمون بكل شيء لا يخفى علينا منه شيء.

الهوامش:

(1) نفشت الماشية في الزرع : تفرقت فيه ليلا ترعاه وليس معها راع والفعل من ....

(2) البيت في ( اللسان : لبس ) . واللبوس : ما يلبس ، واللبوس : الثياب والسلاح ، مذكر ، فإن ذهبت به إلى الدرع أنثت وقال الله تعالى : ( وعلمناه صنعة لبوس لكم ) : قالوا : هي الدرع تلبس في الحروب .

واستشهد المؤلف بالبيت على أن اللبوس عام في السلاح كله : الدرع والسيف والرمح والجوشن . والتشبيه في البيت يعطي ما قاله المؤلف ، لأن الشاعر يشبه رمحا بروق الثور المجفل ، يدافع عن نعاجه ، وهي بقر الوحش

القول في تأويل قوله تعالى : **وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يُغْوِصُونَ لَّهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ (82)**

يقول تعالى ذكره: وسخرنا أيضا لسليمان من الشياطين من يغوصون له في البحر، ويعملون عملا دون ذلك من البنيان والتمثيل والمحارِب ( وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ) ، يقول: وكنا لأعمالهم ولأعدادهم حافظين، لا يتودنا حفظ ذلك كله.

< 18-483 >

القول في تأويل قوله تعالى : **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ (84)**

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر أيوب يا محمد، إذ نادى ربه وقد مسه الضر والبلاء ( رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له ) يقول تعالى ذكره : فاستجبنا لأيوب دعاءه إذ نادانا، فكشفنا ما

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

كان به من ضرّ وبلاء وجهد ، وكان الضر الذي أصابه والبلاء الذي نزل به امتحانًا من الله له واختبارًا .

وكان سبب ذلك كما حدثني محمد بن سهل بن عسكر البخاري، قال: ثنا إسماعيل بن عبد الكريم بن هشام، قال: ثنا عبد الصمد بن معقل (1)، قال: سمعت وهب بن منبه يقول: كان بدء أمر أيوب الصديق صلوات الله عليه، أنه كان صابرا نعم العبد، قال وهب: إن لجبريل بين يدي الله مقاما ليس لأحد من الملائكة في القرية من الله والفضيلة عنده، وإن جبريل هو الذي يتلقى الكلام، فإذا ذكر الله عبدا بخير تلقاه جبرائيل منه، ثم تلقاه ميكائيل، وحوّله الملائكة المقرّبون حافين من حول العرش، وشاع ذلك في الملائكة المقرّبين، صارت الصلاة على ذلك العبد من أهل السماوات، فإذا صلت عليه ملائكة السماوات، هبطت عليه بالصلاة إلى ملائكة الأرض، وكان إبليس لا يُحجّب بشيء من السماوات، وكان يقف فيهن حيث شاء ما أرادوا. ومن < 484-18 > هنالك وصل إلى آدم حين أخرجه من الجنة، فلم يزل على ذلك يصعد في السماوات، حتى رفع الله عيسى ابن مريم، فحُجّب من أربع، وكان يصعد في ثلاث، فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حُجّب من الثلاث الباقية، فهو محجوب هو وجميع جنوده من جميع السماوات إلى يوم القيامة إلا من استترق السَّمْعَ فأتبعه شهابٌ مُبينٌ ولذلك أنكرت الجنّ ما كانت تعرف حين قالت: وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا ... إلى قوله شَهَابًا رَصَدًا .

قال وهب: فلم يرعُ إبليس إلا تجاوبُ ملائكتها بالصلاة على أيوب، وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه، فلما سمع إبليس صلاة الملائكة، أدركه البغي والحسد، ووصد سريعا حتى وقف من الله مكانا كان يقفه، فقال: يا إلهي، نظرت في أمر عبدك أيوب، فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرك، وعافيته فحمدك، ثم لم تجرّبه بشدة ولم تجرّبه ببلاء، وأنا لك زعيم لئن ضربته بالبلاء ليكفرن بك ولينسينك وليعبدن غيرك، قال الله تبارك وتعالى له: انطلق، فقد سلطتك على ماله، فإنه الأمر الذي تزعم أنه من أجله يشكرني، ليس لك سلطان على جسده، ولا على عقله، فانقض عدوّ الله، حتى وقع على الأرض، ثم جمع عفاريت الشياطين وعظماءهم، وكان لأيوب البَشَنِيَّة من الشام كلها بما فيها من شرقها وغربها، وكان له بها ألف شاة برعاتها وخمسائة فدان يتبعها خمسائة عبد، لكل عبد امرأة وولد ومال، وحمل آلة كل فدان أتان، لكل أتان ولد من اثنين وثلاثة وأربعة وخمسة وفوق ذلك، فلما جمع إبليس الشياطين، قال لهم: ماذا عندكم من القوّة والمعرفة؟ فإني قد سلطت على مال أيوب، فهي المصيبة الفادحة، والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال، قال عفريت من الشياطين: أعطيت من القوّة ما إذا شئت تحوّلت إعصارا من نار فأحرقت كل شيء أتى عليه، فقال له إبليس: فأت الإبل ورعاتها، فانطلق يؤمّ الإبل، وذلك حين وضعت رعوسها وثبتت في مراعيها، فلم تشعر الناس حتى ثار من تحت الأرض إعصار من نار تنفخ منها أرواح السيموم، لا يدنو منها أحد إلا احترق فلم يزل يُحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها، فلما فرغ منها تمثل إبليس على قعود منها < 485-18 > براعيها، ثم انطلق يؤمّ أيوب حتى

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وجده قائما يصلي، فقال: يا أيوب، قال: لبيك، قال: هل تدري ما الذي صنع ربك؟ الذي اخترت وعبدت ووحدت بإبلك ورعاتها، قال أيوب: إنها ماله أعارنيه، وهو أولى به إذا شاء نزع، وقديما ما وطنت نفسي ومالي على الفناء، قال إبليس: وإن ربك أرسل عليها نارا من السماء فاحترقت ورعاتها، حتى أتى على آخر شيء منها ومن رعاتها، فتركت الناس مبهوتين، وهم وقوف عليها يتعجبون، منهم من يقول: ما كان أيوب يعبد شيئا وما كان إلا في غرور، ومنهم من يقول: لو كان إله أيوب يقدر على أن يمنع من ذلك شيئا لمنع وليه، ومنهم من يقول: بل هو فعل الذي فعل ليُشمت به عدوه، وليفجع به صديقه، قال أيوب: الحمد لله حين أعطاني، وحين نزع مني، عُريانا خرجت من بطن أمي، وعريانا أعود في التراب، وعريانا أحشر إلى الله، ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعارك الله وتجزع حين قبض عاريتي، الله أولى بك، وبما أعطاك، ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا لنقل روحك مع ملك الأرواح، فأجرني فيك وصرت شهيدا، ولكنه علم منك شرًا فأخرك من أجله، فعزّاك الله من المصيبة، وخلصك من البلاء كما يخلص الزّوان من القمح الخلاص.

ثم رجع إبليس إلى أصحابه خاسئا ذليلا فقال لهم: ماذا عندكم من القوّة، فإني لم أكلم قلبه؟ قال عفريت من عظمائهم عندي من القوّة ما إذا شئت صحت صوتا لا يسمعه ذو روح إلا خرجت مهجة نفسه، قال له إبليس: فأت الغنم ورعاتها، فانطلق يوم الغنم ورعاتها، حتى إذا وسّطها صاح صوتا جثمت أمواتا من عند آخرها ورعاءها، ثم خرج إبليس متمثلا بقهرمان الرّعاء (2)، حتى إذا جاء أيوب وجده وهو قائم يصلي، فقال له القول الأوّل، وردّ عليه أيوب الرّد الأوّل، ثم إن إبليس رجع إلى أصحابه، فقال لهم: ماذا عندكم من القوّة، فإني لم أكلم قلب أيوب؟ فقال عفريت من عظمائهم: عندي من القوّة إذا شئت تحوّلت ريحا عاصفا تنسف كل شيء تأتي عليه، حتى لا أبقى شيئا، قال له < 486-18 > إبليس: فأت الفدّادين والحرث، فانطلق يؤمهم، وذلك حين قربوا الفدّادين وأنشئوا في الحرث، والاتن وأولادها رُتوع، فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصف تنسف كل شيء من ذلك، حتى كأنه لم يكن، ثم خرج إبليس متمثلا بقهرمان الحرث، حتى جاء أيوب وهو قائم يصلي، فقال له مثل قوله الأوّل، ورد عليه أيوب مثل رده الأوّل.

فلما رأى إبليس أنه قد أفنى ماله، ولم ينجح منه، صعد سريعا، حتى وقف من الله الموقف الذي كان يقفه، فقال: يا إلهي إن أيوب يرى أنك ما متعته بنفسه وولده (3)، فأنت معطيه المال، فهل أنت مسلطي على ولده؟ فإنها الفتنة المضلة، والمصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال، ولا يقوى عليها صبرهم، فقال الله تعالى له: انطلق، فقد سلطتك على ولده، ولا سلطان لك على قلبه ولا جسده، ولا على عقله، فانقضّ عدو الله جوادا، حتى جاء بني أيوب وهم في قصرهم، فلم يزل يزلزل بهم حتى تداعى من قواعده، ثم جعل يناطح الجُدْر بعضها ببعض، ويرميهم بالخشب والجدل، حتى إذا مثل بهم كل مُثلة، رفع بهم القصر، حتى إذا أقله بهم فصاروا فيه منكسين، انطلق إلى أيوب متمثلا بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة، وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه ودماغه، متغيرا لا يكاد يُعرف من شدّة التغير، والمُثلة التي جاء

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

متمثلاً فيها، فلما نظر إليه أيوب هاله، وحزن ودمعت عيناه، وقال له: يا أيوب، لو رأيت كيف أفلتت من حيث أفلتت، والذي رمانا به من فوقنا ومن تحتنا، ولو رأيت بنيك كيف عُذِّبوا، وكيف مُثِّلَ بهم، وكيف قُلبوا فكانوا منكسين على رؤوسهم، تسيل دماؤهم ودماعهم من أنوفهم وأجوافهم، وتقطر من أشفارهم، ولو رأيت كيف سُقِّتْ بطونهم، فتناثرت أمعاؤهم، ولو رأيت كيف قُذِّفوا بالخشب والجنجل يشدخ دماغهم، وكيف دقَّ الخشب عظامهم، وخرق جلودهم، وقطع عصبهم، ولو رأيت العصب عريانا، ولو رأيت العظام متهشمة في الأجواف، ولو رأيت الوجوه مشدوخة، ولو رأيت الجُدْر تَنَاطَحَ عليهم، ولو رأيت ما رأيت، قطع قلبك، فلم يزل يقول هذا ونحوه، ولم يزل يرققه حتى رقَّ أيوب فبكى، وقبض قبضة < 487-18 > من تراب، فوضعها على رأسه، فأغتم إبليس (الفرصة منه) (4) عند ذلك، فصعد سريعا بالذي كان من جزع أيوب مسرورا به، ثم لم يلبث أيوب أن فاء وأبصر، فاستغفر، وصعد قرناؤه من الملائكة بتوبة منه، فبدروا إبليس إلى الله، فوجدوه قد علم بالذي رُفِعَ إليه من توبة أيوب، فوقف إبليس خازيا ذليلا فقال: يا إلهي، إنما هوّن على أيوب حَظَرَ المال والولد، أنه يرى أنك ما متعته بنفسه، فأنت تعيد له المال والولد، فهل أنت مسلطي على جسده؟ فأنا لك زعيم لئن ابتليته في جسده لينسينك، وليكفرن بك، وليجحدنك نعمتك، قال الله: انطلق فقد سلطتك على جسده، ولكن ليس لك سلطان على لسانه ولا على قلبه، ولا على عقله.

فانقضَّ عدوُّ الله جوادا، فوجد أيوب ساجدا، فعجّل قبل أن يرفع رأسه، فأتاه من قِبَل الأرض في موضع وجهه، فنفخ في منخره نفخه اشتعل منها جسده، فترهل، ونبئت (به): ثاليل مثل أليات الغنم، ووقعت فيه حكة لا يملكها، فحك بأظفاره حتى سقطت كلها، ثم حك بالعظام، وحك بالحجارة الخشنة، ويقطع المُسوح الخشنة، فلم يزل يحكه حتى تَفِدَ لحمه وتقطع، ولما تَغَلَّ جلد أيوب وتغير وأتن، أخرجه أهل القرية، فجعلوه على تلّ وجعلوا له عريشا، ورفضه خلق الله غير امرأته، فكانت تختلف إليه بما يُصلحه ويلزمه، وكان ثلاثة من أصحابه اتبعوه على دينه، فلما رأوا ما ابتلاه الله به رفضوه من غير أن يتركوا دينه واتهموه، يُقال لأحدهم بلدد، وأليفز، وصافر (5)، قال: فانطلق إليه الثلاثة، وهو في بلائه، فبكتوه: فلما سمع منهم أقبل على ربه، فقال أيوب صلى الله عليه وسلم: ربّ لأيّ شيء خلقتني؟ لو كنت إذ كرهتني في الخير تركتني فلم تخلقني، يا ليتني كنت حيضة ألقني أمي، ويا ليتني متّ في بطنها، فلم أعرف شيئا ولم تعرفني، ما الذنب الذي أدنبت لم يذنبه أحد غيري، وما العمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني، لو كنت أمتني فالحقتني بآبائي، فالموت كان أجمل بي، فأسوة لي بالسلطين الذي صُفِّت من دونهم الجيوش، < 488-18 > يضربون عنهم بالسيوف بخلا بهم عن الموت، وحرصا على بقائهم، أصبحوا في القبور جاثمين، حتى طنوا أنهم سيخلدون، وأسوة لي بالملوك الذين كنزوا الكنوز، وطمروا المطامير، وجمعوا الجموع، وطنوا أنهم سيخلدون، وأسوة لي بالجيارين الذين بنوا المدائن والحصون، وعاشوا فيها المئين من السنين، ثم أصبحت خرابا، مأوى للوحوش، ومثنى للشياطين.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أليفز التيماني: قد أعيانا أمرك يا أبوب، إن كَلَّمناك فما نرج للحدث منك موضعا، وإن نسكت عنك مع الذي نرى فيك من البلاء، فذلك علينا، قد كنا نرى من أعمالك أعمالا كنا نرجو لك عليها من الثواب غير ما رأينا، فإنما يحصد امرؤ ما زرع، ويجزى بما عمل، أشهد على الله الذي لا يقدر قدر عظمته، ولا يحصى عدد نعمه، الذي ينزل الماء من السماء فيحيي به الميت، ويرفع به الخافض، ويقوّي به الضعيف: الذي تضلّ حكمة الحكماء عند حكمته، وعلم العلماء عند علمه، حتى تراهم من العي في ظلمة يموجون، أن من رجا معونة الله هو القوي، وإن من توكل عليه هو المكفي، هو الذي يكسر ويجبر ويجرح ويداوي.

قال أيوب: لذلك سكتت فَعَضُّت على لساني، ووضعت لسوء الخدمة رأسي، لأنني علمت أن عقوبته غيرت نور وجهي، وأن قوته نزعَتْ قوّة جسدي، فانا عبده، ما قضى عليّ أصابني، ولا قوّة لي إلا ما حمل عليّ، لو كانت عظامي من حديد، وجسدي من نحاس، وقلبي من حجارة، لم أطق هذا الأمر، ولكن هو ابتلاني، وهو يحمله عني، أتيتوني غصبا، رهبتم قبل أن تسترهبوا، وبكيتم من قبل أن تُضربوا، كيف بي لو قلت لكم: تصدّقوا عني بأموالكم، لعلّ الله أن يخلصني، أو قَرَّبوا عني قربانا لعلّ الله أن يتقبله مني ويرضى عني، إذا استيقظت تمثيت النوم رجاء أن أستريح، فإذا نمت كادت تجود نفسي، تقطعت أصابعي، فإني لأرفع اللقمة من الطعام بيديّ جميعا فما تبلغان فمي إلا على الجهد مني، تساقطت لهواتي ونخر رأسي، فما بين أذنيّ من سداد، حتى إن إحداهما لترى من الأخرى، وإن دماغي ليسيل من فمي، تساقط شعري عني، فكأنما حُرِّق بالنار وجهي، وحدقتاي هما متدلّيتان على > 18- 489 < خدي، ورم لساني حتى ملأ فمي، فما أدخل فيه طعاما إلا غصني، وورمت شفّتي حتى غطت العليا أنفي، والسفلى ذقني، تقطعت أمعائي في بطني، فإني لأدخل الطعام فيخرج كما دخل، ما أحسه ولا ينفعني، ذهبت قوة رجليّ، فكأنهما قربتا ماء مُلّتا، لا أطيق حملهما، أحمل لحافي بيديّ وأسناني، فما أطيق حمله حتى يحمله معي غيري، ذهب المال فصرت أسأل بكفي، فيطعمني من كنت أعوله اللقمة الواحدة، فيمنّها عليّ ويعيرني، هلك بنيّ وبناتي، ولو بقي منهم أحد أعانني على بلائي ونفعتني، وليس العذاب بعذاب الدنيا، إنه يزول عن أهلها، ويموتون عنه، ولكن طوبى لمن كانت له راحة في الدار التي لا يموت أهلها، ولا يتحوّلون عن منازلهم، السعيد من سعد هنالك والشقي من شقي فيها.

قال يلدد: كيف يقوم لسانك بهذا القول، وكيف تفصح به، أتقول إن العدل يجوز، أم تقول إن القويّ يضعف؟ ابك على خطيئتك وتضرّع إلى ربك عسى أن يرحمك، ويتجاوز عن ذنبك، وعسى إن كنت بريئا أن يجعل هذا لك ذخرا في آخرتك، وإن كان قلبك قد قسا فإن قولنا لن ننفعلك، ولن يأخذ فيك، هيهات أن تثبت الآجام في المفاوز، وهيهات أن يثبت التردّي في الفلاة، من توكل على الضعيف كيف يرجو أن يمنعه، ومن جحد الحقّ كيف يرجو أن يوقّي حقه؟.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أيوب: إني لأعلم أن هذا هو الحقّ، لن يَفُجَّ العبد على ربه، ولا يطيق أن يخاصمه، فأبيّ كلام لي معه، وإن كان إليّ القوّة هو الذي سمك السماء فأقامها وحده، وهو الذي يكشطها إذا شاء فتنطوي له، وهو الذي سطح الأرض فدحاها وحده، ونصب فيها الجبال الراسيات، ثم هو الذي يزلزلها من أصولها حتى تعود أسافلها أعاليها، وإن كان فيّ الكلام، فأبيّ كلام لي معه، من خلق العرش العظيم بكلمة واحدة، فحشاه السماوات والأرض وما فيهما من الخلق، فوسعه وهو في سعة واسعة، وهو الذي كلم البحار ففهمت قوله، وأمرها، فلم تُعد أمره، وهو الذي يفقه الحيتان والطير وكلّ دابة، وهو الذي يكلم الموتى فيحييهم قوله، ويكلم الحجارة فتفهم قوله ويأمرها فتطيعه.

قال أليفز: عظيم ما تقول يا أيوب، إن الجلود لتقشعر من ذكر ما تقول، > 490-18 < إنما أصابك ما أصابك بغير ذنب أذنبته، مثل هذه الحدّة، وهذا القول أنزلك هذه المنزلة، عظمت خطيئتك، وكثر طلابك، وعصبت أهل الأموال على أموالهم، فليست وهم عراة، وأكلت وهم جياع، وحبست عن الضعيف بابك، وعن الجائع طعامك، وعن المحتاج معروفك، وأسرت ذلك وأخفيت في بيتك، وأظهرت أعمالا كنا نراك تعملها، فظننت أن الله لا يجزيك إلا على ما ظهر منك، وظننت أن الله لا يطلع على ما غيب في بيتك، وكيف لا يطلع على ذلك وهو يعلم ما غيّبت الأرضون وما تحت الظلمات والهواء؟.

قال أيوب صلى الله عليه وسلم: إن تكلمت لم ينفعني الكلام، وإن سكت لم تعذروني، قد وقع عليّ كيدي، وأسخطت ربي بخطيئتي، وأشمت أعدائي، وأمكنتهم من عنقي، وجعلتني للبلاء عرّضا، وجعلتني للفتنة نُصبا، لم تنفسي مع ذلك، ولكن أتبعني بلاء على إثر بلاء، ألم أكن للغريب دارا، وللمسكين قرارا، ولليتيم وليّا، وللأرملة قيّما؟ ما رأيت غربيا إلا كنت له دارا مكان داره وقرارا مكان قراره، ولا رأيت مسكينا إلا كنت له مالا مكان ماله وأهلا مكان أهله، وما رأيت يتيما إلا كنت له أبا مكان أبيه، وما رأيت أيّما إلا كنت لها قيّما ترصّي قيامه، وأنا عبد ذليل، إن أحسنت لم يكن لي كلام بإحسان، لأنّ الميّن لربي وليس لي، وإن أسأت فبيده عقوبتي، وقد وقع عليّ بلاء لو سلطته على جبل ضعف عن حمله، فكيف يحمله ضعفي؟.

قال أليفز: أتجاجّ الله يا أيوب في أمره، أم تريد أن تناصفه وأنت خاطئ، أو تبرئها وأنت غير بريء؟ خلق السماوات والأرض بالحقّ، وأحصى ما فيهما من الخلق، فكيف لا يعلم ما أسرت، وكيف لا يعلم ما عملت فيجزيك به؟ وضع الله ملائكة صفوفًا حول عرشه وعلى أرجاء سماواته، ثم احتجب بالنور، فأبصارهم عنه كليلة، وقوتهم عنه ضعيفة، وعزيزهم عنه ذليل، وأنت تزعم أن لو خاصمك، وأدلى إلى الحكم معك، وهل تراه فتناصفه، أم هل تسمعه فتحاوره؟ قد عرفنا فيك قضاءه، إنه من أراد أن يرتفع وضعه، ومن اتضع له رفعه.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أيوب صلى الله عليه وسلم: إن أهلكني فمن ذا الذي يعرض له في عبده ويسأله عن أمره، لا يردُّ غضبه شيء إلا رحمته، ولا ينفع عبده إلا التضرُّع < 491-18 > له، قال: ربِّ أقبل عليَّ برحمتك، وأعلمني ما ذنبي الذي أذنبت؟ أو لأيِّ شيء صرفت وجهك الكريم عني، وجعلتني لك مثل العدو، وقد كنت تكرمني، ليس يغيب عنك شيء تُحصي قطر الأمطار، وورق الأشجار، وذرُّ التراب، أصبح جلدي كالثوب العفن، بأيه أمسكت سقط في يدي، فهب لي قُرْبانا من عندك، وفرجا من بلائي، بالقدرة التي تبعث موتى العباد، وتنشر بها ميت البلاد، ولا تهلكني بغير أن تعلمني ما ذنبي، ولا تُفسد عمل يديك، وإن كنت غنيا عني، ليس ينبغي في حكمك ظلم، ولا في نعمتك عَجَل، وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف، وإنما يعجل من يخاف الفوت، ولا تذكرني خطئي وذنوبي، اذكر كيف خلقتني من طين، فجعلت مضغعة، ثم خلقت المضغعة عظاما، وكسوت العظام لحما وجلدا، وجعلت العصب والعروق لذلك قواما وشدة، وربيتني صغيرا، ورزقتني كبيرا، ثم حفظت عهدك وفعلت أمرك، فإن أخطأت فبين لي، ولا تهلكني غمًّا، وأعلمني ذنبي، فإن لم أرضك فأنا أهل أن تعدِّني، وإن كنت من بين خلقك تحصي عليَّ عملي، وأستغفرك فلا تغفر لي، إن أحسنت لم أرفع رأسي، وإن أسأت لم تبلعني ربي، ولم تُقلني عثرتي، وقد ترى ضعفي تحتك، وتضرُّعي لك، فلم خلقتني، أو لم أخرجتني من بطن أمي، لو كنت كمن لم يكن لكان خيرا لي، فليست الدنيا عندي بخطر لغضبك، وليس جسدي يقوم بعذابك، فارحمني وأذقني طعم العافية من قبل أن أصير إلى ضيق القبر وظلمة الأرض، وعمِّ الموت.

قال صافر: قد تكلمت يا أيوب، وما يطيق أحد أن يحبس فمك، تزعم أنك بريء، فهل ينفعك إن كنت بريئا وعليك من يحصي عملك، وتزعم أنك تعلم أن الله يغفر لك ذنوبك، هل تعلم سَمَك السماء كم بُعد؟ أم هل تعلم عمق الهواء كم بعده؟ أم هل تعلم أيُّ الأرض أعرضها؟ أم عندك لها من مقدار تقدرها به؟ أم هل تعلم أيُّ البحر أعمقه؟ أم هل تعلم بأيِّ شيء تحبسه؟ فإن كنت تعلم هذا العلم وإن كنت لا تعلمه، فإن الله خلقه وهو يحصيه، لو تركت كثرة الحديث، وطلبت إلى ربك رجوت أن يرحمك، فبذلك تستخرج رحمته، وإن كنت تقيم على خطيئتك وترفع إلى الله يديك عند الحاجة وأنت مُصِرٌّ على ذنبك إصرار الماء الجاري في صَبَب لا يستطيع إحباسه، فعند طلب الحاجات < 492-18 > إلى الرحمن تسودُّ وجوه الأشرار، وتظلم عيونهم، وعند ذلك يسرُّ بنجاح حوائجهم الذين تركوا الشهوات تزينا بذلك عند ربهم، وتقدّموا في التضرُّع، ليستحقوا بذلك الرحمة حين يحتاجون إليها، وهم الذين كابدوا الليل، واعتزلوا الفرش، وانتظروا الأسحار.

قال أيوب: أتم قوم قد أعجبتكم أنفسكم، وقد كنت فيما خلا والرجال يُوقرونني، وأنا معروف حقي منتصف من خصمي، قاهر لمن هو اليوم يقهرني، يسألني عن علم غيب الله لا أعلمه ويسألني، فلعمري ما نصح الأخ لأخيه حين نزل به البلاء كذلك، ولكنه يبكي معه، وإن كنت جادًّا فإن عقلي يقصر عن الذي تسألني عنه، فسل طير السماء هل تخبرك، وسل وحوش الأرض هل تَرَجِّع إليك؟ وسل سباع البرية هل تجيبك؟ وسل حيتان البحر هل

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

تصف لك كل ما عدت؟ تعلم أن صنع هذا بحكمته، وهياًه بلطفه. أما يعلم ابن آدم من الكلام ما سمع بأذنيه، وما طعم بفيه، وما شمَّ بأنفه، وأن العلم الذي سألت عنه لا يعلمه إلا الله الذي خلقه، له الحكمة والجبروت، وله العظمة واللطف، وله الجلال والقدرة، إن أفسد فمن ذا الذي يصلح؟ وإن أعجم فمن ذا الذي يُفصح؟ إن نظر إلى البحار يبست من خوفه، وإن أذن لها ابتلعت الأرض، وإنما يحملها بقدرته هو الذي تبَّهت الملوك عند ملكه، وتطيش العلماء عند علمه، وتعي الحكماء عند حكمته، ويخسأ المبطلون عند سلطانه، هو الذي يذكر المنسي، وينسى المذكور، ويجري الظلمات والنور، هذا علمي، وخلقته أعظم من أن يحصيه عقلي، وعظمته أعظم من أن يقدرها مثلي.

قال بلدد: إن المنافق يجزى بما أسرَّ من نفاقه، وتضلَّ عنه العلانية التي خادع بها، وتوكل على الجزاء بها الذي عملها، ويهلك ذكره من الدنيا ويظلم نوره في الآخرة، ويوحش سبيله، وتوقعه في الأحبولة سريرته، وينقطع اسمه من الأرض، فلا ذكر فيها ولا عمران، لا يرثه ولد مصلحون من بعده، ولا يبقى له أصل يعرف به، ويبعث من يراه، وتقف الأشعار عند ذكره.

قال أيوب: إن أكن غويا فعليَّ غواي، وإن أكن برياً فأبيَّ منعة عندي، إن صرخت فمن ذا الذي يصرخني، وإن سكنتُ فمن ذا الذي يعذرنني، ذهب رجائي وانقضت أحلامي، وتنكرت لي معارفي؛ دعوت غلامي، فلم يجبني، > 493-18 < وتضرَّعت لأمتي فلم ترحمني، وقع عليَّ البلاء فرفضوني، أنتم كنتم أشدَّ عليَّ من مصيبتني، انظروا وابهتوا من العجائب التي في جسدي، أما سمعتم بما أصابني، وما شغلكم عني ما رأيتم بي، لو كان عبد يخاصم ربه رجوت أن أتغلب عند الحكم، ولكن لي ربا جباراً تعالى فوق سماواته، وألقاني هاهنا، وهنت عليه، لا هو عذرنني بعذري، ولا هو أدناني فأخاصم عن نفسي يسمعني ولا أسمع، وبراني ولا أراه، وهو محيط بي، ولو تجلى لي لذابت كليتي، ووصعق روحي، ولو نفسني فأتكلم بملء فمي، ونزع الهيبة مني، علمت بأبيَّ ذنب عذبي، نودي فقيل: يا أيوب، قال: لبيك، قال: أنا هذا قد دنوت منك، فقم فاشدد إزارك، وقم مقام جبار، فإنه لا ينبغي لي أن يخاصمني إلا جبار مثلي، ولا ينبغي أن يخاصمني إلا من يجعل الزنار في فم الأسد، والسُّخال في فم العنقاء، واللحم في فم التنين، ويكيل مكبلاً من النور، ويزن مثقالاً من الريح، ويُصرُّ صُرَّة من الشمس، وبردُّ أمس لغد، لقد منَّك نفسك أمراً ما يبلغ بمثل قوَّتكَ، ولو كنت إذ منَّك نفسك ذلك ودعتك إليه تذكرت أيِّ مرام رام بك، أردت أن تخاصمني بغيبك؟ أم أردت أن تحاجيني بخطئك، أم أردت أن تكاثرني بضعفك، أين كنت مني يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها، هل علمت بأبيَّ مقدار قدرتها؟ أم كنت معي تمرُّ بأطرافها؟ أم تعلم ما بُعد زواياها؟ أم على أيِّ شيء وضعت أكنافها؟ أبطاعتك حمل ماء الأرض؟ أم بحكمتك كانت الأرض للماء غطاء، أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا بعلائق ثبتت من فوقها، ولا يحملها دعائم من تحتها، هل يبلغ من حكمتك أن تجري نورها، أو تسير نجومها، أو يختلف بأمرك ليها ونهارها، أين كنت مني يوم سجرت البحار



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأنبعت الأنهار؟ أقدرتك حبست أمواج البحار على حدودها؟ أم قدرتك فتحت الأرحام حين بلغت مدتها؟ أين أنت مني يوم صببت الماء على التراب، ونصبت شوامخ الجبال، هل لك من ذراع تطيق حملها، أم هل تدري كم مثقال فيها، أم أين الماء الذي أنزل من السماء؟ هل تدري أمّ تلده أو أب يولده؟ أحكمتك أحصت القطر وقسمت الأرزاق، أم قدرتك تثير السحاب، وتغشيه الماء؟ هل تدري ما < 494-18 > أصوات الرعود؟ أم من أي شيء لهب البروق؟ هل رأيت عمق البحور؟ أم هل تدري ما بُعد الهواء، أم هل خزنت أرواح الأموات؟ أم هل تدري أين خزنة الثلج، أو أين خزائن البرد، أم أين جبال البرد؟ أم هل تدري أين خزنة الليل بالنهار، وأين خزنة النهار بالليل؟ وأين طريق النور؟ وبأي لغة تتكلم الأشجار؟ وأين خزنة الريح، كيف تحبسه الأغلاق؟ ومن جعل العقول في أجواف الرجال؟ ومن شق الأسماع والأبصار، ومن ذلت الملائكة لملكه، وقهر الجبارين بجبروته، وقسم أرزاق الدواب بحكمته، ومن قسم للأسد أرزاقها وعرف الطير معاشها، وعطفها على أفراخها، من أعتق الوحش من الخدمة، وجعل مساكنها البرية لا تستأنس بالأصوات، ولا تهاب المسلطين، أمن حكمتك تفرّعت أفراخ الطير، وأولاد الدواب لأمهاتها؟ أم من حكمتك عطفت أمهاتها عليها، حتى أخرجت لها الطعام من بطونها، وأثرتها بالعيش على نفوسها؟ أم من حكمتك يبصر العُقاب، فأصبح في أماكن القتلى أين أنت مني يوم خلقت بهموت (6) مكانه في منقطع التراب، والوتينان (7) يحملان الجبال والقرى والعمران، أذانهما كأنها شجر الصنوبر الطوال رؤوسهما، كأنها أكام الجبال، وعروق أفخاذهما كأنها أوتاد الحديد، وكان جلودهما فلق الصخور، وعظامهما كأنها عمَد النحاس، هما رأسا خلقي الذين خلقت للقتال، أنت ملأت جلودهما لحما؟ أم أنت ملأت رؤوسهما دماغا؟ أم هل لك في خلقهما من شريك؟ أم لك بالقوة التي عملتهما يدان؟ أو هل يبلغ من قوّتك أن تخطم على أنوفهما أو تضع يدك على رؤوسهما، أو تقعد لهما على طريق فتحبسهما، أو تصدّهما عن قوتهما؟ أين أنت يوم خلقت الثنين ورزقه في البحر، ومسكنه في السحاب، عيناه توفدان نارا، ومنخره يثوران دخانا، أذناه مثل قوس السحاب، يثور منهما لهب كأنه إعصار العجاج، جوفه يحترق ونفسه يلتهب، وزبده كأمثال الصخور، وكان صريف أسنانه صوت الصواعق، وكان نظر عينيه لهب البرق، أسراره لا تدخله الهموم، تمرّ به الجيوش وهو متكئ، لا يفزعه شيء ليس فيه < 495-18 > مفصل [رُبر] الحديد عنده مثل التين، والنحاس عنده مثل الخيوط، لا يفزع من الشباب، ولا يحسنّ وقع الصخور على جسده، ويضحك من النيازك، ويسير في الهواء كأنه عصفور، وبهلك كل شيء يمرّ به ملك الوحوش، وإياه أثرت بالقوة على خلقي، هل أنت آخذه بأحبولتك فرابطه بلسانه، أو واضع اللجام في شذقه، أظننه يوفي بعهدك، أو يسبح من خوفك؟ هل تحصي عمره، أم هل تدري أجله، أو تفوّت رزقه؟ أم هل تدري ماذا خرب من الأرض؟ أم ماذا يخرب فيما بقي من عمره؟ أتطبيق غضبه حين يغضب أم تأمره فيطيعك؟ تبارك الله وتعالى؟

قال أيوب صلى الله عليه وسلم: قَصُرْتُ عن هذا الأمر الذي تعرض لي، ليت الأرض انشقت بي، فذهبت في بلائي ولم أتكلم بشيء يسخط ربي، اجتمع

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

عليّ البلاء، إلهي حملتني لك مثل العدو، وقد كنت تكرمني وتعرف نصحي، وقد علمت أن الذي ذكرت صنع يدك وتدبير حكمتك، وأعظم من هذا ما شئت عملت، لا يعجزك شيء ولا يخفى عليك خافية، ولا تغيب عنك غائبة، مَنْ هذا الذي يظن أن يُسيّر عنك سرّاً، وأنت تعلم ما يخطر على القلوب؟ وقد علمت منك في بلائي هذا ما لم أكن أعلم، وخفت حين بلوت أمرك أكثر مما كنت أخاف، إنما كنت أسمع بسطوتك سمعاً، فأماً الآن فهو بصر العين، إنما تكلمت حين تكلمت لتعذرني، وسكتت حين سكتت لترحمني، كلمة زلت فلن أعود، قد وضعت يديّ على فمي، وعضضت على لساني، وألصقت بالتراب خديّ، ودسيت وجهي لصغاري، وسكتت كما أسكتتني خطيئتي، فاغفر لي ما قلت فلن أعود لشيء تكرهه مني.

قال الله تبارك وتعالى: يا أيوب نفذ فيك علمي، وبحلمي صرفت عنك غضبي، إذ خطئت فقد غفرت لك، ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم، فاغتسل بهذا الماء، فإن فيه شفاءك، وقرب عن صحابتك قرباناً، واستغفر لهم، فإنهم قد عصوني فيك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه اليمانيّ، وغيره من أهل الكتب الأول، أنه كان من حديث أيوب أنه كان رجلاً من الروم، وكان الله قد اصطفاه ونباه، وابتلاه > 18- 469 < في الغنى بكثرة الولد والمال، وبسط عليه من الدنيا، فوسّع عليه في الرزق، وكانت له التّشنية من أرض الشام، أعلاها وأسفلها، وسهلها وجبلها، وكان له فيها من أصناف المال كله، من الإبل والبقر والغنم والخيول والحمير ما لا يكون للرجل أفضل منه في العدة والكثرة، وكان الله قد أعطاه أهلاً وولداً من رجال ونساء، وكان بَرّاً تقياً رحيماً بالمساكين، يطعم المساكين ويحمل الأراامل، ويكفل الأيتام، ويكرم الضيف، ويبلغ ابن السبيل، وكان شاكراً لأنعم الله عليه، مودياً لحق الله في الغنى، قد امتنع من عدوّ الله إبليس أن يصيب منه ما أصاب من أهل الغنى من العزّة والغفلة، والسهو والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من الدنيا، وكان معه ثلاثة قد آمنوا به وصدّقوه، وعرفوا فضل ما أعطاه الله على من سواه، منهم رجل من أهل اليمن يقال له: أليفز، ورجلان من أهل بلاده يقال لأحدهما: صوفر، وللآخر: بلد، وكانوا من بلاده كهولاً وكان لإبليس عدو الله منزل من السماء السابعة يقع به كل سنة موقعا يسأل فيه، فصعد إلى السماء في ذلك اليوم الذي كان يصعد فيه، فقال الله له: أو قيل له عن الله: هل قدرت من أيوب عبدي على شيء؟ قال: أي ربّ وكيف أقدر منه على شيء؟ أو إنما ابتليته بالرخاء والنعمة والسعة والعافية، وأعطيته الأهل والمال والولد والغنى والعافية في جسده وأهله وماله، فما له لا يشكرك ويعبدك ويطيعك وقد صنعت ذلك به، لو ابتليته بنزع ما أعطيته لحال عما كان عليه من شكرك، ولترك عبادتك، ولخرج من طاعتك إلى غيرها، أو كما قال عدوّ الله، فقال: قد سلطت على أهله وماله، وكان الله هو أعلم به، ولم يسلطه عليه إلا رحمة ليعظم له الثواب بالذي يصيبه من البلاء، وليجعله عبرة للصابرين، وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم، ليتأسوا به، وليرجوا من عاقبة الصبر في عرّض الدنيا

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ثواب الآخرة وما صنع الله بأيوب، فانحطَّ عدوُّ الله سريعا، فجمع عفاريت الجنِّ ومردة الشياطين من جنوده، فقال: إني قد سلطت على أهل أيوب وماله، فماذا عليكم؟ فقال قائل منهم: أكون إعصارا فيه نار، فلا أمرٌ بشيء من ماله إلا أهلكته، قال: أنت وذاك، فخرج حتى أتى إبله، فأحرقها ورعاتها جميعا، ثم جاء عدوُّ الله أيوب في صورة قيِّمه عليها هو في مصلى فقال: يا أيوب أقبلت نار حتى غشيت إبلك فأحرقتها ومن فيها غيري، فجئتُك أخبرك > 497-18 < بذلك، فعرفه أيوب، فقال: الحمد لله الذي هو أعطاه، وهو أخذها الذي أخرجك منها كما يخرج الرُّوان من الحبِّ النقيِّ، ثم انصرف عنه، فجعل يصيب ماله مالا مالا حتى مرَّ على آخره، كلما انتهى إليه هلاك مال من ماله حمد الله وأحسن عليه الثناء ورضي بالقضاء، ووطن نفسه بالصبر على البلاء، حتى إذا لم يبق له مال أتى أهله وولده، وهم في قصر لهم معهم حظياتهم، وخذامهم، فتمثَّل ريحا عاصفا، فاحتمل القصر من نواحيه، فألقاه على أهله وولده، فشدهم تحته، ثم أتاه في صورة قَهْرمانه عليهم، قد شدخ وجهه، فقال: يا أيوب قد أتت ريح عاصف، فاحتملت القصر من نواحيه، ثم ألقته على أهلك وولدك فشدهم غيري، فجئتُك أخبرك ذلك، فلم يجزع على شيء أصابه جزعه على أهله وولده، وأخذ ترابا فوضعه على رأسه، ثم قال: ليت أُمي لم تلدني، ولم أك شيئا، وسرَّ بها عدوُّ الله منه، فأصعد إلى السماء جَزَلا وراجع أيوب التوبة مما قال، فحمد الله، فسبقت توبته عدو الله إلى الله، فلما جاء وذكر ما صنع، قيل له قد سبقتُ توبته إلى الله ومراجعتَه، قال: أي ربِّ فسلطني على جسده، قال: قد سلطتك على جسده إلا على لسانه وقلبه ونفسه وسمعه وبصره، فأقبل إليه عدوُّ الله وهو ساجد، فنفخ في جسده نفخة أشعل ما بين قرنِه إلى قدمه كحريق النار، ثم خرج في جسده ثاليل كألبيات الغنم، فحكَّ بأظفاره حتى ذهب، ثم بالْفَخَّار والحجارة حتى تساقط لحمه، فلم يبق منه إلا العروق والعصب والعظام، عيناه تجولان في رأسه للنظر وقلبه للعقل، ولم يخلص إلى شيء من حشو البطن، لأنه لا بقاء للنفس إلا بها، فهو يأكل ويشرب على التواء من حشوته، فمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث.

فحدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق، عن ابن دينار، عن الحسن أنه كان يقول: مكث أيوب في ذلك البلاء سبع سنين وستة أشهر ملقى على رماد مكنسة في جانب القرية، قال وهب بن منبه: ولم يبق من أهله إلا امرأة واحدة تقوم عليه وتكسب له، ولا يقدر عدوُّ الله منه على قليل ولا كثير مما يريد. فلما طال البلاء عليه وعليها، وسئمها الناس، وكانت تكسب عليه ما تطعمه وتسقيه، قال وهب بن منبه: فحدثت أنها التمسست له يوما من الأيام تطعمه، فما وجدت شيئا حتى جرت قَرْنا من رأسها فباعته برغيف. فأثته به > 498-18 < فعشته إياه، فلبث في ذلك البلاء تلك السنين، حتى إن كان المارِّ ليمرَّ فيقول: لو كان لهذا عند الله خير لأراحه مما هو فيه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمه، قال: فحدثني محمد بن إسحاق، قال: وكان وهب بن منبه يقول: لبث في ذلك البلاء ثلاث سنين لم يزد يوما واحدا، فلما غلبه أيوب فلم يستطع منه شيئا، اعترض لامراته في هيئة ليست كهيئة بني

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

آدم في العظم والجسم والطول على مركب ليس من مراكب الناس، له عظم وبهاء وجمال ليس لها، فقال لها: أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتلى؟ قالت نعم، قال: هل تعرفيني؟ قالت لا قال: فأنا إله الأرض، وأنا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت، وذلك أنه عبد إله السماء وتركني فأغضبني، ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليه وعلى كل ما كان لكما من مال وولد، فإنه عندي، ثم أراها إياهم فيما ترى ببطن الوادي الذي لقيها فيه، قال: وقد سمعت أنه إنما قال: لو أن صاحبك أكل طعاما ولم يسم عليه لعوفي مما به من البلاء، والله أعلم، وأراد عدو الله أن يأتيه من قبلها، فرجعت إلى أيوب، فأخبرته بما قال لها وما أراها، قال: أو قد أتاك عدو الله ليفتنك عن دينك؟ ثم أقسم إن الله عافاه ليضربنها مئة ضربة، فلما طال عليه البلاء، جاءه أولئك النفر الذين كانوا معه قد آمنوا به وصدّقوه معهم فتى حديث السنن، قد كان آمن به وصدّقه، فجلسوا إلى أيوب ونظروا إلى ما به من البلاء، فأعظموا ذلك وقطّعوا به، وبلغ من أيوب صلوات الله عليه مجهوده، وذلك حين أراد الله أن يفرّج عنه ما به، فلما رأى أيوب ما أعظموا مما أصابه، قال: أي ربّ لأيّ شيء خلقتني ولو كنت إذ قضيت عليّ البلاء تركتني فلم تخلقني ليتني كنت دما ألقنتني أمي، ثم ذكر نحو حديث ابن عسكر، عن إسماعيل بن عبد الكريم، إلى: وكابدوا الليل، واعتزلوا الفراش، وانتظروا الأسحار، ثم زاد فيه: أولئك الأمنون الذي لا يخافون، ولا يهتمون ولا يحزنون، فإين عاقبة أمرك يا أيوب من عواقبهم؟

قال فتى حضرهم وسمع قولهم، ولم يفطنوا له ولم يابهاوا لمجلسه، وإنما قيّضه الله لهم لما كان من جورهم في المنطق وشططهم، فأراد الله أن يصغر به < 499-18 > إليهم أنفسهم وأن يسفّه بصغره لهم أحلامهم، فلما تكلم تمادى في الكلام، فلم يزد إلا حكما، وكان القوم من شأنهم الاستماع والخشوع إذا وُعطوا أو دُكروا، فقال: إنكم تكلمتم قبلي أيها الكهول، وكنتم أحقّ بالكلام وأولى به مني لحقّ أسنانكم، ولأنكم جرّبتهم قبلي، ورأيتم وعلمتم ما لم أعلم، وعرفتم ما لم أعرف، ومع ذلك قد تركتم من القول أحسن من الذي قلتم، ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم، ومن الأمر أجمل من الذي أتيتم، ومن الموعدة أحكم من الذي وصفتهم، وقد كان لأيوب عليكم من الحقّ والدّمّام أفضل من الذي وصفتهم، هل تدرون أيها الكهول حقّ من انتقصتم، وحرمة من انتهكتهم، ومن الرجل الذي عيتم واتهمتم، ولم تعلموا أيها الكهول أن أيوب نبيّ الله وخيرته وصفوته من أهل الأرض، يومكم هذا اختاره الله لوحيه، واصطفاه لنفسه وأتمنه على نبوّته، ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله على أنه سخط شيئا من أمره مذ أتاه ما أتاه إلى يومكم هذا، ولا على أنه نزع منه شيئا من الكرامة التي أكرمه بها مذ أتاه ما أتاه إلى يومكم هذا، ولا أن أيوب غير الحقّ في طول ما صحبتموه إلى يومكم هذا، فإن كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم، ووضع في أنفسكم، فقد علمتم أن الله يتلى النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ثم ليس بلاؤه لأولئك بدليل سخطه عليهم ولا لهوانه لهم ولكنها كرامة وخيرة لهم، ولو كان أيوب ليس من الله بهذه المنزلة ولا في النبوة ولا في الأثرة ولا في الفضيلة ولا في الكرامة، إلا أنه أخ أحبتموه على وجه الصحابة، لكان لا يجمل بالحكيم أن

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يعدُّ أخاه عند البلاء، ولا يعيره بالمصيبة بما لا يعلم وهو مكروب حزين، ولكن يرحمه ويبكي، معه ويستغفر له، ويحزن لحزنه، ويدله على مرشد أمره، وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا، فالله الله أيها الكهول في أنفسكم.

قال: ثم أقبل على أيوب صلى الله عليه وسلم فقال : وقد كان في عظمة الله وجلاله، وذكر الموت ما يقطع لسانك، ويكسر قلبك، وينسيك حججك، ألم تعلم يا أيوب أن لله عبادا أسكتتهم خشيته من غير عيٍّ ولا بكم؟ وإنهم لهم الفصحاء النطقاء النبلاء الألباء العالمون بالله وبآياته، ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم، واقشعرت جلودهم، وانكسرت قلوبهم، وطاشت عقولهم إعظاما لله، وإعزازا وإجلالا فإذا استفاقوا من ذلك استبقوا إلى الله > 18- 500 < بالأعمال الزاكية، يعُدُّون أنفسهم مع الظالمين والخاطئين، وإنهم لأنزاه برآء، ومع المقصّرين والمفترّطين، وإنهم لأكياس أقوياء، ولكنهم لا يستكثرون لله الكثير، ولا يرضون لله بالقليل، ولا يُدلون عليه بالأعمال فهم مروّعون مفزعون مغتمون خاشعون وجلون مستكثنون معترفون، متى ما رأيتهم يا أيوب.

قال أيوب: إن الله يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير، فمتى نبتت في القلب يظهرها الله على اللسان، وليست تكون الحكمة من قبل السن، ولا الشبية ولا طول التجربة، وإذا جعل الله العبد حكيما في الصيام لم يسقط منزله عند الحكماء، وهم يرون عليه من الله نور الكرامة، ولكنكم قد أعجبتم أنفسكم، وطننتم أنكم عوفيتم بإحسانكم، فهالك بغيتم وتعزّزتم، ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم، ثم صدقتم أنفسكم لوجدتم لكم عيوباً سترها الله بالعافية التي ألبسكم، ولكني قد أصبحت اليوم وليس لي رأي ولا كلام معكم، قد كنت فيما خلا مسموعا كلامي، معروفا حقي، منتصفا من خصمي، قاهرا لمن هو اليوم يقهرني، مهيبا مكاني، والرجال مع ذلك يبنصتون لي ويوقروني، فأصبحت اليوم قد انقطع رجائي، ورفع حذري، وملني أهلي، وعقني أرحامي، وتنكرت لي معارفي، ورغب عني صديقي، وقطعني أصحابي، وكفرني أهل بيتي، ووجدت حقوقي، ونسيت صنائعي، أصرخ فلا يُصْرخونني، وأعتذر فلا يعذرونني، وإن قضاءه هو الذي أذلني، وأقماني وأخسانني، وأن سُلطاناه، هو الذي أسقمني وأنحل جسمي، ولو أن ربي نزع الهيئة التي في صدري، وأطلق لساني حتى أتكلم بملء فمي، ثم كان ينبغي للعبد يحاج عن نفسه، لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي، ولكنه ألقاني وتعالى عني، فهو يراني، ولا أراه، ويسمعني ولا أسمع له لا نظر إليّ فرحمني، ولا دنا مني ولا أدناني، فأدلي بعذري، وأتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي.

لما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده، أظله غمام حتى ظن أصحابه أنه عذاب، ثم نودي منه، ثم قيل له: يا أيوب، إن الله يقول: ها أنا ذا قد دنوت منك، ولم أزل منك قريبا، فقم فأدل بعذرك الذي زعمت، وتكلم ببراءتك، وخاصم عن نفسك، واشدد إزارك، ثم ذكر نحو حديث ابن عسكر، عن إسماعيل، إلى آخره، وزاد فيه: ورحمتي سبقت غضبي، فأركض برجلك هذا > 18-501 <

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

مغتسل بارد وشراب فيه شفاؤك، وقد وهبت لك أهلك ومثلهم معهم، ومالك ومثله معه وزعموا: ومثله معه لتكون لمن خلفك آية، ولتكون عبرة لأهل البلاء، وعزاء للصابرين، فركض برجله، فانفجرت له عين، فدخل فيها فاغتسل، فأذهب الله عنه، كل ما كان به من البلاء، ثم خرج فجلس، وأقبلت امرأته تلتمسه في مضجعه، فلم تجده، فقامت كالوالهة متلذدة، ثم قالت: يا عبد الله، هل لك علم بالرجل المبتلي الذي كان هاهنا؟ قال: لا ثم تبسم، فعرفته بمضحكه، فاعتنقته.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه، قال: فحدثت عبد الله بن عباس حديثه، واعتناقها إياه، فقال عبد الله: فوالذي نفس عبد الله بيده ما فارقت من عناقه حتى مر بها كل مال لهما وولد.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: وقد سمعت بعض من يذكر الحديث عنه أنه دعاها حين سألت عنه، فقال لها: وهل تعرفينه إذا رأيته؟ قالت: نعم، ومالي لا أعرفه؟ فتبسم، ثم قال: ها أنا هو، وقد فرج الله عني ما كنت فيه، فعند ذلك اعتنقته، قال وهب: فأوحى الله في قسمه ليضربها في الذي كلمته، أن وَخُذْ بِيَدِكَ ضِعْفًا قَاصِرًا بِهِ وَلَا تَحْتِثْ أَيَّ قَدِّ بَرَّتْ يَمِينُكَ، يقول الله تعالى إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ يقول الله وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ .

حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: ثنا فضيل بن عياض، عن هشام، عن الحسن، قال: لقد مكث أيوب مطروحا على كناسة سبع سنين وأشهرها ما يسأل الله أن يكشف ما به، قال: وما على وجه الأرض خلق أكرم على الله من أيوب، فيزعمون أن بعض الناس قال: لو كان لرب هذا فيه حاجة ما صنع به هذا، فعند ذلك دعا.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عليه، عن بونس، عن الحسن، قال: بقي أيوب على كناسة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرها تختلف عليه الدواب.

حدثني محمد بن إسحاق، قال: ثنا يحيى بن معين، قال: ثنا ابن عيينة، > 18-502 عن عمرو، عن وهب بن منبه، قال: لم يكن بأيوب أكلة، إنما كان يخرج به مثل ثدي النساء ثم ينقفه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا مخلد بن حسين، عن هشام، عن الحسن، وحجاج عن مبارك، عن الحسن: زاد أحدهما على الآخر قال: إن أيوب أتاه الله مالا وأوسع عليه، وله من النساء والبقر والغنم والإبل، وإن عدو الله إبليس قيل له: هل تقدر أن تفتن أيوب؟ قال: رب إن أيوب أصبح في دنيا من مال وولد، ولا يستطيع أن لا يشكرك، ولكن سلطني على ماله وولده، فسترى كيف يطيعني وبعضيك! قال: فسلطه على ماله وولده، قال: فكان يأتي بالماشية من ماله من الغنم فيحرقها بالنيران، ثم يأتي أيوب وهو يصلي



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

متشبهًا براعي الغنم، فيقول: يا أيوب تصلي لربك، ما ترك الله لك من ماشيتك شيئاً من الغنم إلا أحرقتها بالنيران، وكنت ناحية فجئت لأخبرك، قال: فيقول أيوب: اللهم أنت أعطيت، وأنت أخذت، مهما تبقي نفسي أحمدك على حسن بلائك، فلا يقدر منه على شيء مما يريد، ثم يأتي ماشيته من البقر فيحرقها بالنيران، ثم يأتي أيوب فيقول له ذلك، ويردّ عليه أيوب مثل ذلك، قال: وكذلك فعل بالإيل حتى ما ترك له من ماشية حتى هدم البيت على ولده، فقال: يا أيوب أرسل الله على ولدك من هدم عليهم البيوت، حتى هلكوا، فيقول أيوب مثل ذلك، قال: ربّ هذا حين أحسنت إليّ الإحسان كله، قد كنت قبل اليوم يشغلني حبّ المال بالنهار، وبشغلني حب الولد بالليل شفقة عليهم، فالآن أفرغ سمعي وبصري وليلي ونهاري بالذكر والحمد، والتقديس والتهليل، فينصرف عدوّ الله من عنده لم يصب منه شيئاً ما يريد.

قال: ثم إن الله تبارك وتعالى قال: كيف رأيت أيوب؟ قال إبليس: أيوب قد علم أنك سترّدّ عليه ماله وولده ولكن سلطني على جسده، فإن أصابه الضرّ فيه أطاعني وعصاك، قال: فسلط على جسده، فاتاه فنفخ فيه نفخة قرّح من لدن قرنه إلى قدمه، قال: فأصابه البلاء بعد البلاء، حتى حمل فوضع على مزبلة كناسه لبني إسرائيل، فلم يبق له مال ولا ولد ولا صديق، ولا أحد يقربه غير زوجته، صبرت معه بصدق، وكانت تأتيه بطعام، وتحمد الله معه إذا حمد، وأيوب على ذلك لا يفتر من ذكر الله، والتحميد والثناء على الله والصبر على < 503-18 > ما ابتلاه الله، قال الحسن: فصرخ إبليس عدوّ الله صرخة جمع فيها جنوده من أقطار الأرض جزعاً من صبر أيوب، فاجتمعوا إليه وقالوا له: جمعتنا، ما خبرك؟ ما أعياك؟ قال: أعياني هذا العبد الذي سألت ربي أن يسلطني على ماله وولده فلم أدع له مالا ولا ولداً، فلم يزد ذلك إلا صبراً وثناءً على الله وتحميداً له، ثم سلّطت على جسده فتركته فُرحةً ملقاةً على كناسه بني إسرائيل، لا يقربه إلا امرأته، فقد افتضحت بربي، فاستعنت بكم، فأعينوني عليه، قال: فقالوا له: أين مكرك؟ أين علمك الذي أهلكت به من مضي، قال: بطل ذلك كله في أيوب، فأشيروا عليّ، قالوا: نشير عليك، رأيت آدم حين أخرجته من الجنة، من أين أتيت؟ قال: من قبل امرأته، قالوا: فشأنك بأيوب من قبل امرأته، فإنه لا يستطيع أن يعصيها، وليس أحد يقربه غيرها، قال: أصبتم، فانطلق حتى أتى امرأته وهي تصدّق، فتمثل لها في صورة رجل، فقال: أين بعلك يا أمة الله؟ قالت: هو ذاك يحك قروحه، ويتردّد الدوابّ في جسده، فلما سمعها طمع أن تكون كلمة جزع، فوقع في صيدها، فوسوس إليها، فذكرها ما كانت فيه من التعم والمال والدوابّ، وذكرها جمال أيوب وشبابه، وما هو فيه من الضرّ، وأن ذلك لا ينقطع عنهم أبداً، قال الحسن: فصرخت، فلما صرخت علم أن قد صرخت وجزعت، أتاها بسخلة، فقال: ليذبح هذا إليّ أيوب وبيراً، قال: فجاءت تصرخ يا أيوب، يا أيوب، حتى متى يعذبك ربك، ألا يرحمك؟ أين الماشية؟ أين المال، أين الولد؟ أين الصديق، أين لونك الحسن؟ قد تغير، وصار مثل الرماد؟ أين جسمك الحسن الذي قد بلي وتردد فيه الدوابّ؟ اذبح هذه السخلة واسترح، قال أيوب: أتاك عدوّ الله، فنفخ فيك، فوجد فيك رفقا، وأجبتة! وملك رأيت ما تبكين عليه مما تذكرين ما كنا فيه من المال والولد والصحة والشباب؟ من

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أعطانيه؟ قالت: الله، قال: فكم متّعنا به؟ قالت: ثمانين سنة، قال: فمذ كم ابتلانا الله بهذا البلاء الذي ابتلانا به؟ قالت: منذ سبع سنين وأشهر، قال: ويحك! والله ما عدلت، ولا أنصفت ربك، ألا صبرت حتى نكون في هذا البلاء الذي ابتلانا ربنا به ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة؟ والله لئن شفاني الله لأجلدتك مئة < 504-18 > جلدة، هيه أمرتيني أن أذبح لغير الله، طعامك وشرابك الذي تأتيني به عليّ حرام، وأن أذوق ما تأتيني به بعد، إذ قلت لي هذا فاعزّبي عني فلا أراك، فطردها، فذهبت، فقال الشيطان: هذا قد وطن نفسه ثمانين سنة على هذا البلاء الذي هو فيه، فباء بالغلبة ورفضه، ونظر أيوب إلى امرأته وقد طردها، وليس عنده طعام ولا شراب، ولا صديق، قال الحسن: ومّرّ به رجلان وهو على تلك الحال، ولا والله ما على ظهر الأرض يومئذ أكرم على الله من أيوب، فقال أحد الرجلين لصاحبه: لو كان لله في هذا حاجة، ما بلغ به هذا، فلم يسمع أيوب شيئاً كان أشدّ عليه من هذه الكلمة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن جرير بن حازم، عن عبد الله بن عبيد بن عمير، قال: كان لأيوب أخوان، فأتياه، فقاما من بعيد لا يقدران أن يدنوا منه من ريحه، فقال أحدهما لصاحبه: لو كان الله علم في أيوب خيراً ما ابتلاه بما أرى، قال: فما جزع أيوب من شيء أصابه جزعه من كلمة الرجل، فقال أيوب: اللهم إن كنت تعلم أنني لم أبت ليلة شبعان قط وأنا أعلم مكان جائع فصدقني، فضدّق وهما يسمعان، ثم قال: اللهم إن كنت تعلم أنني لم أتخذ قميصين قط وأنا أعلم مكان عار فصدقني فصدق وهما يسمعان، قال: ثم خرّ ساجداً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: فحدثني مخلد بن الحسين، عن هشام، عن الحسن، قال: فقال: ( ربه أني مسني الضر ) ثم ردّ ذلك إلى ربه فقال ( وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن جرير، عن عبد الله بن عبيد بن عمير، قال: فقيل له: ارفع رأسك فقد استجيب لك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن مبارك، عن الحسن ومخلد، عن هشام، عن الحسن، دخل حديث أحدهما في الآخر، قال فقيل له: اَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُعْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ فركض برجله فنبعت عين، فاغتسل منها، فلم يبق عليه من دائه شيء ظاهر إلا سقط، فأذهب الله < 505-18 > كل ألم وكل سقم، وعاد إليه شبابه وجماله، أحسن ما كان وأفضل ما كان، ثم ضرب برجله، فنبعت عين أخرى فشرب منها، فلم يبق في جوفه داء إلا خرج، فقام صحيحاً، وكسبي حلة، قال: فجعل يتلفت ولا يرى شيئاً ما كان له من أهل ومال إلا وقد أضعفه الله له، حتى والله ذكر لنا أن الماء الذي اغتسل به، تطاير على صدره جرادا من ذهب، قال: فجعل يضمه بيده، فأوحى الله إليه: يا أيوب ألم أغنك؟ قال: بلى، ولكنها بركتك، فمن يشيع منها، قال: فخرج حتى جلس على مكان مشرف، ثم إن امرأته قالت: رأيت إن كان



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

طردني إلى من أكله؟ أدعه يموت جوعاً أو يضيع فتأكله السباع؟ لأرجعنَّ إليه فرجعت، فلا كُناسة ترى، ولا من تلك الحال التي كانت، وإذا الأمور قد تغيرت، فجعلت تطوف حيث كانت الكُناسة وتبكي، وذلك بعين أيوب، قالت: وهابت صاحب الحُلة أن تأتيه فتسأل عنه، فأرسل إليها أيوب فدعاها، فقال: ما تريدِين يا أمة الله؟ فبكت وقالت: أردت ذلك المبتلى الذي كان منبوزاً على الكُناسة، لا أدري أضع أم ما فعل؟ قال لها أيوب: ما كان منك؟ فبكت وقالت: بعلي، فهل رأيته؟ وهي تبكي إنه قد كان هاهنا؟ قال: وهل تعرفينه إذا رأيته؟ قالت: وهل يخفى على أحد رآه؟ ثم جعلت تنظر إليه وهي تهابه، ثم قالت: أما إنه كان أشبه خلق الله بك إذ كان صحيحاً، قال: فإني أنا أيوب الذي أمرتيني أن أذبح للشيطان، وإني أطعت الله وعصيت الشيطان، فدعوت الله فردد علي ما ترين، قال الحسن: ثم إن الله رحمها بصبرها معه على البلاء أن أمره تخفيفاً عنها أن يأخذ جماعة من الشجر فيضربها ضربة واحدة تخفيفاً عنها بصبرها معه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَأَيُّوبَ إِذْ تَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِي الضُّرُّ) ... إلى آخر الآيتين، فإنه لما مسه الشيطان بنصب وعذاب، أنساه الله الدعاء أن يدعوه فيكشف ما به من ضرٍّ، غير أنه كان يذكر الله كثيراً، ولا يزيده البلاء في الله إلا رغبة وحسن إيمان، فلما انتهى الأجل، وقضى الله أنه كاشف ما به من ضرٍّ أذن له في الدعاء، ويسرَّه له، وكان قبل ذلك يقول تبارك وتعالى: لا ينبغي لعبدي أيوب أن يدعوني، ثم لا أستجيب له، فلما دعا < 506-18 > استجاب له، وأبدله بكل شيء ذهب له ضعفين، ردَّ إليه أهله ومثلهم معهم، وأثنى عليه فقال: إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ .

واختلف أهل التأويل في الأهل الذي ذكر الله في قوله (وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ) أهم أهله الذين أوتيتهم في الدنيا، أم ذلك وعد وعده الله أيوب أن يفعل به في الآخرة؟ فقال بعضهم: إنما أتى الله أيوب في الدنيا مثل أهله الذين هلكوا، فإنهم لم يُردِّوا عليه في الدنيا، وإنما وعد الله أيوب أن يؤتيه إياهم في الآخرة.

حدثني أبو السائب سلم بن جنادة، قال: ثنا ابن إدريس، عن ليث، قال: أرسل مجاهد رجلاً يقال له قاسم إلى عكرمة يسأله عن قول الله لأيوب (وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ) فقال: قيل له: إن أهلك لك في الآخرة، فإن شئت عجلناهم لك في الدنيا، وإن شئت كانوا لك في الآخرة، وأتيناك مثلهم في الدنيا، فقال: يكونون لي في الآخرة، وأوتي مثلهم في الدنيا، قال: فرجع إلى مجاهد فقال: أصاب.

وقال آخرون: بل ردَّهم إليه بأعيانهم وأعطاه مثلهم معهم.

\* ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام بن سلم، عن أبي سنان، عن ثابت، عن الضحاك، عن ابن مسعود ( وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ) قال: أهله بأعيانهم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: لما دعا أيوب استجاب الله له، وأبدله بكل شيء ذهب له ضعفين، ردّ إليه أهله ومثلهم معهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ قال: أحياهم بأعيانهم، وردّ إليه مثلهم (8).

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن ليث، عن مجاهد، في قوله ( وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ) قال: قيل له: إن شئت أحييناهم لك، وإن شئت كانوا لك في الآخرة وتعطى مثلهم في الدنيا، فاختار أن يكونوا في الآخرة < 507-18 > ومثلهم في الدنيا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ( وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ) قال الحسن وقتادة: أحيا الله أهله بأعيانهم، وزاده إليهم مثلهم.

وقال آخرون: يل آتاه المثل من نسل ماله الذي ردّه عليه وأهله، فأما الأهل والمال فإنه ردّهما عليه.

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن رجل، عن الحسن ( وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ) قال: من نسلهم.

وقوله ( رَحْمَةً ) نصبت بمعنى: فعلنا بهم ذلك رحمة منا له.

وقوله ( وَذَكَرَ لِلْعَائِدِينَ ) يقول: وتذكروا للعائدين ربهم فعلنا ذلك به ليعتبروا به، ويعلموا أن الله قد يبتلي أوليائه ومن أحبّ من عباده في الدنيا بضروب من البلاء في نفسه وأهله وماله، من غير هوان به عليه، ولكن اختباراً منه له ليبلى بصره عليه واحتسابه إياه وحسن يقينه منزلته التي أعدها له تبارك وتعالى من الكرامة عنده،

وقد: حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن أبي معشر، عن محمد بن كعب القرظي، في قوله رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَ لِلْعَائِدِينَ وقوله رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ( قال: أيما مؤمن أصابه بلاء فذكر ما أصاب أيوب فليقل: قد أصاب من هو خير منا نبيا من الأنبياء.

القول في تأويل قوله تعالى : وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (85) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ (86)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يعني تعالى ذكره بإسماعيل: إسماعيل بن إبراهيم صادق الوعد ، وبإدريس: أخنوخ ، وبذي الكفل: رجلا تكفل من بعض الناس ، إما من نبيٍّ وإما من ملك من صالحى الملوك بعمل من الأعمال ، فقام به من بعده ، فأثنى الله عليه حسن وفائه بما تكفل به ، وجعله من المعدودين في عبادته ، مع من حمد صبره على طاعة الله، وبالذي قلنا في أمره جاءت الأخبار عن سلف العلماء.

< 18-508 >

\*ذكر الرواية بذلك عنهم: حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث: أن نبيا من الأنبياء ، قال: من تكفل لي أن يصوم النهار ويقوم الليل ، ولا يغضب ، فقام شاب فقال: أنا ، فقال : اجلس: ثم عاد فقال: من تكفل لي أن يقوم الليل ويصوم النهار ، ولا يغضب؟ فقام ذلك الشاب فقال: أنا، فقال: اجلس، ثم عاد فقال: من تكفل لي أن يقوم الليل ، ويصوم النهار ، ولا يغضب؟ فقام ذلك الشاب فقال: أنا ، فقال: تقوم الليل، وتصوم النهار ، ولا تغضب فمات ذلك النبيّ ، فجلس ذلك الشاب مكانه يقضي بين الناس ، فكان لا يغضب، فجاءه الشيطان في صورة إنسان ليغضبه وهو صائم يريد أن يقلب ، فضرب الباب ضربا شديدا ، فقال: من هذا؟ فقال: رجل له حاجة، فأرسل معه رجلا فقال: لا أرضى بهذا الرجل، فأرسل معه آخر ، فقال: لا أرضى بهذا، فخرج إليه فأخذ بيده ، فانطلق معه ، حتى إذا كان في السوق خلاه وذهب ، فسمي ذا الكفل.

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا وهيب ، قال : ثنا داود ، عن مجاهد ، قال: لما كبر اليسع قال: لو أني استخلفت على الناس رجلا يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل، قال: فجمع الناس ، فقال: من يتقبل لي بثلاث أستخلفه: يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ولا يغضب ، قال: فقام رجل تزدريه العين ، فقال: أنا، فقال: أنت تصوم النهار ، وتقوم الليل ولا تغضب؟ قال: نعم، قال: فردّهم ذلك اليوم ، وقال مثلها اليوم الآخر ، فسكت الناس وقام ذلك الرجل ، فقال: أنا، فاستخلفه، قال: فجعل إبليس يقول للشياطين: عليكم بفلان، فأعياهم ، فقال: دعوني وإياه، فأتاه في صورة شيخ كبير فقير ، فأتاه حين أخذ مضجعه للقائلة ، وكان لا ينام الليل والنهار إلا تلك النومة ، فدقّ الباب ، فقال: من هذا؟ قال: شيخ كبير مظلوم، قال: فقام ففتح الباب ، فجعل يقص عليه ، فقال: إن بيني وبين قومي خصومة ، وإنهم ظلموني وفعلوا بي وفعلوا، فجعل يطوّل عليه ، حتى حضر الرواح ، وذهبت القائلة ، وقال: إذا رحمت فأنتي أخذ لك بحقك، فانطلق وراح ، فكان في مجلسه ، فجعل ينظر هل يرى الشيخ ، فلم يره ، فجعل يبتغيه فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس < 18-509 > وينتظره فلا يراه، فلما رجع إلى القائلة ، فأخذ مضجعه ، أتاه فدقّ الباب ، فقال: من هذا؟ قال: الشيخ الكبير المظلوم، ففتح له ، فقال: ألم أقل لك إذا قعدت فأنتي، فقال: إنهم أخطب قوم إذا عرفوا أنك قاعد ، قالوا نحن نعطيك حقك ، وإذا قمت جحدوني، قال: فانطلق فإذا رحمت فأنتي، قال: ففاتته القائلة ، فراح فجعل

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ينظر فلا يراه ، فشوقٌ عليه النعاس ، فقال لبعض أهله: لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام ، فإني قد شققتُ عليّ النوم، فلما كان تلك الساعة جاء ، فقال له الرجل وراءك ، فقال: إني قد أتيتك أمس فذكرت له أمري ، قال: والله لقد أمرنا أن لا ندع أحدا يقربه، فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت ، فتسوّر منها ، فإذا هو في البيت ، وإذا هو يدقُّ الباب ، قال: واستيقظ الرجل فقال: يا فلان ، ألم أمرك؟ قال: أما من قبلي والله فلم تؤت ، فانظر من أين أتيت، قال: فقام إلى الباب ، فإذا هو مغلق كما أغلقه ، وإذا هو معه في البيت ، فعرفه فقال: أعدو الله؟ قال: نعم أعيتني في كل شيء ، ففعلت ما ترى لأغضبك، فسماه ذا الكفل ، لأنه تكفل بأمر فوفى به.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال: ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله ( وَذَا الْكِفْلِ ) قال رجل صالح غير نبيّ ، تكفل لنبيّ قومه أن يكفيه أمر قومه ، ويقمه لهم ، ويقضي بينهم بالعدل ، ففعل ذلك ، فسمي ذا الكفل.

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه ، إلا أنه قال: ويقضي بينهم بالحق.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال: ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس قال: كان في بني إسرائيل ملك صالح ، فكبر ، فجمع قومه فقال: أيكم يكفل لي بملكي هذا ، على أن يصوم النهار، ويقوم الليل ، ويحكم بين بني إسرائيل بما أنزل الله ، ولا يغضب؟ قال: فلم يقم أحد إلا فتى شاب ، فازدراه لحدائثه سنة فقال: أيكم يكفل لي بملكي هذا على أن يصوم النهار، ويقوم الليل ، ولا يغضب ، ويحكم بين بني إسرائيل بما أنزل الله؟ فلم يقم إلا ذلك الفتى، قال: فازدراه ، فلما كانت الثالثة قال مثل < 510-18 > ذلك ، فلم يقم إلا ذلك الفتى ، فقال: تعال، فخلي بينه وبين ملكه، فقام الفتى ليلة، فلما أصبح جعل يحكم بين بني إسرائيل، فلما انتصف النهار دخل ليقيل ، فأتاه الشيطان في صورة رجل من بني آدم ، ف جذب ثوبه ، فقال: أتنام والخصوم ببابك؟ قال: إذا كان العشيّة فاتني، قال: فانتظره بالعشيّ فلم يأت، فلما انتصف النهار دخل ليقيل ، جذب ثوبه ، وقال: أتنام والخصوم على بابك؟ قال: قلت لك: أتنني العشيّ فلم تأتني ، أتنني بالعشي، فلما كان بالعشيّ انتظره فلم يأت، فلما دخل ليقيل جذب ثوبه ، فقال: أتنام والخصوم ببابك؟ قال: أخبرني من أنت ، لو كنت من الإنس سمعت ما قلت، قال: هو الشيطان ، جئت لأفتنك فعصمك الله مني، فقضى بين بني إسرائيل بما أنزل الله زمانا طويلا وهو ذو الكفل ، سمي ذا الكفل لأنه تكفل بالملك.

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبي موسى الأشعري ، قال وهو يخطب الناس: إن ذا الكفل لم يكن نبيا ولكن كان عبدا

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

صالحا ، تكفل بعمل رجل صالح عند موته ، كان يصلي لله كل يوم مائة صلاة ، فأحسن الله عليه الثناء في كفاله إياه.

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم ، قال : ثنا عمرو ، قال: أما ذو الكفل فإنه كان على بني إسرائيل ملك، فلما حضره الموت ، قال: من يكفل لي أن يكفيني بني إسرائيل، ولا يغضب ، ويصلي كل يوم مائة صلاة، فقال ذو الكفل: أنا، فجعل ذو الكفل يقضي بين الناس ، فإذا فرغ صلى مائة صلاة، فكاده الشيطان ، فأمهله حتى إذا قضى بين الناس ، وفرغ من صلاته وأخذ مضجعه فنام ، أتى الشيطان بابه فجعل يدقه ، فخرج إليه ، فقال: ظلمت وضُعت بي، فأعطاه خاتمه وقال: اذهب فأتني بصاحبك، وانتظره ، فأبطأ عليه الآخر ، حتى إذا عرف أنه قد نام وأخذ مضجعه ، أتى الباب أيضا كي يغضبه ، فجعل يدقه ، وخذش وجه نفسه فسالت الدماء ، فخرج إليه فقال: ما لك؟ فقال: لم يتبغني ، وضربت وفعل، فأخذه ذو الكفل ، وأنكر أمره ، فقال: أخبرني من أنت؟ وأخذه أخذا شديدا ، قال: فأخبره من هو.

حدثنا الحسن ، قال: أخبرنا عبد الرزاق ، قال: أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَذَا الْكِفْلِ ) قال: قال أبو موسى الأشعري: لم يكن ذو الكفل > 18- 511 < نبيا ، ولكنه كفل بصلاة رجل كان يصلي كل يوم مائة صلاة ، فوفى ، فكفل بصلاته ، فلذلك سمي ذا الكفل، ونصب إسماعيل وإدريس وذا الكفل ، عطفا على أيوب ، ثم استؤنف بقوله ( كَلِّ ) فقال ( كَلِّ مِنَ الصَّابِرِينَ ) ومعنى الكلام: كلهم من أهل الصبر فيما نابهم في الله.

وقوله ( وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ) يقول تعالى ذكره: وأدخلنا إسماعيل وإدريس وذا الكفل ، والهاء والميم عائدتان عليهم (في رحمتنا إنهم من الصالحين ) يقول: إنهم ممن صلح ، فاطاع الله ، وعمل بما أمره...

القول في تأويل قوله تعالى : وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ يَنْقُدِرَ عَلَيْهِ قَتَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ( 87 )

يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد ذا النون ، يعني صاحب النون، والنون: الحوت، وإنما عنى بذي النون، يونس بن متى ، وقد ذكرنا قصته في سورة يونس بما أغنى عن ذكره في هذا الموضع ، وقوله ( إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا ) يقول: حين ذهب مغاضبا.

واختلف أهل التأويل في معنى ذهابه مغاضبا ، وعن كان ذهابه ، وعلى من كان غضبه ، فقال بعضهم: كان ذهابه عن قومه وإياهم غاضب.

\*ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن سعد ، قال: ثني أبي ، قال: ثني عمي ، قال: ثني أبي عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا ) يقول: غضب على قومه.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حُدثت عن الحسين ، قال: سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله ( إِذْ دَهَبَ مُغَاضِبًا ) أما غَضِبَهُ فكان على قومه.

وقال آخرون: ذهب عن قومه مغاضبا لربه ، إذ كشف عنهم العذاب بعدما وعدهموه.

\*ذكر من قال ذلك: وذكر سبب مغاضبته ربه في قولهم:

حدثنا ابن < 512-18 > حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن زياد ، عن عبد الله بن أبي سلمة ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال: بعثه الله ، يعني يونس إلى أهل قريته ، فردّوا عليه ما جاءهم به ، وامتنعوا منه، فلما فعلوا ذلك أوحى الله إليه: إني مرسل عليهم العذاب في يوم كذا وكذا ، فاخرج من بين أظهرهم، فأعلم قومه الذي وعده الله من عذابه إياهم ، فقالوا: ارمقوه ، فإن خرج من بين أظهركم فهو والله كائن ما وعدكم، فلما كانت الليلة التي وُعدوا بالعذاب في صباحها أدلج وراه القوم ، فخرجوا من القرية إلى براز من أرضهم ، وفرّقوا بين كل دابة وولدها ، ثم عجوا إلى الله ، فاستقالوه ، فأقالهم ، وتنظر يونس الخبر عن القرية وأهلها ، حتى مر به مار ، فقال: ما فعل أهل القرية؟ فقال: فعلوا أن نبههم خرج من بين أظهرهم ، عرفوا أنه صدقهم ما وعدهم من العذاب ، فخرجوا من قريتهم إلى براز من الأرض ، ثم فرقوا بين كل ذات ولد وولدها ، وعجّوا إلى الله وتابوا إليه، فقبل منهم ، وأخّر عنهم العذاب، قال: فقال يونس عند ذلك وغضب: والله لا أرجع إليهم كذابا أبدا ، وعدتهم العذاب في يوم ثم رُدّ عنهم، ومضى على وجهه مغاضبا.

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا عوف ، عن سعيد بن أبي الحسن ، قال: بلغني أن يونس لما أصاب الذنب ، انطلق مغاضبا لربه ، واستزله الشيطان ،

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، عن مجالد بن سعيد ، عن الشعبي ، في قوله ( إِذْ دَهَبَ مُغَاضِبًا ) قال: مغاضبا لربه.

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن عبد الملك ، عن سعيد بن جبیر، فذكر نحو حديث ابن حميد ، عن سلمة ، وزاد فيه: قال: فخرج يونس ينظر العذاب ، فلم ير شيئا ، قال: جرّبوا عليّ كذبا، فذهب مغاضبا لربه حتى أتى البحر.

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن وهب بن منبه اليماني ، قال: سمعته يقول: إن يونس بن < 513-18 > متى كان عبدا صالحا ، وكان في خلقه ضيق، فلما



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حملت عليه أثقال النبوة ، ولها أثقال لا يحملها إلا قليل ، تفسخ تحتها تفسخ الريع (9) تحت الحمل ، فحذفها بين يديه ، وخرج هاربا منها ، يقول الله لنبه صلى الله عليه وسلم قَاصِرٌ كَمَا صَبَرَ أَوْلُو الْعَرَمِ مِنَ الرَّسُلِ قَاصِرٌ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْخُوْتِ : أي لا تلق أمري كما ألقاه ، وهذا القول ، أعني قول من قال: ذهب عن قومه مغاضبا لربه ، أشبه بتأويل الآية ، وذلك لدلالة قوله ( فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) على ذلك، على أن الذين وجهوا تأويل ذلك إلى أنه ذهب مغاضبا لقومه ، إنما زعموا أنهم فعلوا ذلك استنكارا منهم أن يغضب نبي من الأنبياء ربه ، واستعظاما له ، وهم بقتلهم أنه ذهب مغاضبا لقومه قد دخلوا في أمر أعظم ما أنكروا ، وذلك أن الذين قالوا: ذهب مغاضبا لربه اختلفوا في سبب ذهابه كذلك ، فقال بعضهم: إنما فعل ما فعل من ذلك كراهة أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الخلف فيما وعدهم ، واستحيا منهم ، ولم يعلم السبب الذي دفع به عنهم البلاء، وقال بعض من قال هذا القول: كان من أخلاق قومه الذين فارقهم قتل من جربوا عليه الكذب ، عسى أن يقتلوه من أجل أنه وعدهم العذاب ، فلم ينزل بهم ما وعدهم من ذلك ، وقد ذكرنا الرواية بذلك في سورة يونس ، فكرهنا إعادته في هذا الموضوع.

وقال آخرون: بل إنما غاضب ربه من أجل أنه أمر بالمصير إلى قوم لينذرهم بأسه ، ويدعوهم إليه ، فسأل ربه أن ينظره، ليتأهب للشخص إلىهم ، فقيل له: الأمر أسرع من ذلك ، ولم ينظر حتى شاء أن ينظر إلى أن يأخذ نعلا ليلبسها ، فقيل له نحو القول الأول ، وكان رجلا في خلقه ضيق ، فقال: أعجلني ربي أن أخذ نعلا فذهب مغاضبا.

\*وممن ذكر هذا القول عنه: الحسن البصري، حدثني بذلك الحارث ، قال : ثنا الحسن بن موسى ، عن أبي هلال ، عن شهر بن حوشب ، عنه.

قال أبو جعفر: وليس في واحد من هذين القولين من وصف نبي الله يونس صلوات الله عليه شيء إلا وهو دون ما وصفه بما وصفه الذين قالوا: ذهب < 514-18 > مغاضبا لقومه ، لأن ذهابه عن قومه مغاضبا لهم ، وقد أمره الله تعالى بالمقام بين أظهرهم ، ليلبغهم رسالته ، ويحذرهم بأسه ، وعقوبته على تركهم الإيمان به ، والعمل بطاعتك لا شك أن فيه ما فيه ، ولولا أنه قد كان صلى الله عليه وسلم أتى ما قاله الذين وصفوه بإتيان الخطيئة ، لم يكن الله تعالى ذكره ليعاقبه العقوبة التي ذكرها في كتابه ، ويصفه بالصفة التي وصفه بها ، فيقول لنبه صلى الله عليه وسلم وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْخُوْتِ إِذْ تَادَى وَهُوَ مَكْطُومٌ وَيَقُولُ فَالْتَقَمَهُ الْخُوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ \* فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ \* لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ .

وقوله ( فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم: معناه: فظن أن لن نعاقبه بالتضييق عليه من قولهم قدرت على فلان: إذا ضيقت عليه ، كما قال الله جل ثناؤه وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ .



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\*ذكر من قال ذلك: حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال: ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) يقول: ظنَّ أن لن يأخذه العذاب الذي أصابه.

حدثني محمد بن سعد ، قال: ثني أبي ، قال: ثني عمي ، قال: ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) يقول: ظنَّ أن لن نقضي عليه عقوبة ولا بلاء فيما صنع بقومه في غضبه إذ غضب عليهم ، وفراره وعقوبته أخذ النون إياه.

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، أنه قال في هذه الآية ( فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) قال: فظنَّ أن لن نعاقبه بذنبه.

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا زيد بن حباب ، قال: ثني شعبة ، عن مجاهد ، ولم يذكر فيه الحكم.

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) قال: يقول: ظنَّ أن لن نعاقبه.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن > 515-18 < قتادة والكلبي ( فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) قالوا ظنَّ أن لن نقضي عليه العقوبة.

حدثت عن الحسين ، قال: سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله ( فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ ) يقول: ظنَّ أن الله لن يقضي عليه عقوبة ولا بلاء في غضبه الذي غضب على قومه ، وفراقه إياهم.

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن ابن عباس ، في قوله ( فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) قال: البلاء الذي أصابه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فظن أنه يعجز ربه فلا يقدر عليه.

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا عوف ، عن سعيد بن أبي الحسن ، قال: بلغني أن يونس لما أصاب الذنب ، انطلق مغاضبا لربه ، واستزله الشيطان ، حتى ظن أن لن نقدر عليه ، قال: وكان له سلف وعبادة وتسبيح ، فأبى الله أن يدعه للشيطان ، فأخذه فقفده في بطن الحوت ، فمكث في بطن الحوت أربعين من بين ليلة ويوم ، فأمسك الله نفسه فلم يقتله هناك ، فتاب إلي ربه في بطن الحوت ، وراجع نفسه ، قال: فقال ( سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ) قال: فاستخرجه الله

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

من بطن الحوت برحمته ، بما كان سلف من العبادة والتسبيح ، فجعله من الصالحين ، قال عوف: وبلغني أنه قال في دعائه: وبنيت لك مسجدا في مكان لم بينه أحد قبلي.

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوزة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ( قَطَنَّ أَنْ لَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ ) وكان له سلف من عبادة وتسبيح ، فتداركه الله بها فلم يدعه للشيطان.

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن الحارث ، عن إياس بن معاوية المدني ، أنه كان إذا ذكر عنده يونس ، وقوله ( قَطَنَّ أَنْ لَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ ) يقول إياس: فليم فر؟

وقال آخرون: بل ذلك بمعنى الاستفهام ، وإنما تأويله: أفضنَّ أن لن نقدر عليه؟

ذكر من قال ذلك: حدثني يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، في قوله ( قَطَنَّ أَنْ لَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ ) قال: هذا استفهام ، وفي قوله > 18- 516 < فَمَا تُعْنِ التُّدْرُ قال: استفهام أيضا.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب ، قول من قال: عَتَى به: فظنَّ يونس أن لن نحبسه ونضيق عليه ، عقوبة له على مغاضبته به.

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الكلمة ، لأنه لا يجوز أن ينسب إلى الكفر وقد اختاره لنبوته ، ووصفه بأن ظنَّ أن ربه يعجز عما أراد به ولا يقدر عليه ، ووصف له بأنه جهل قدرة الله ، وذلك وصف له بالكفر ، وغير جائز لأحد وصفه بذلك ، وأما ما قاله ابن زيد ، فإنه قول لو كان في الكلام دليل على أنه استفهام حسن ، ولكنه لا دلالة فيه على أن ذلك كذلك ، والعرب لا تحذف من الكلام شيئا لهم إليه حاجة إلا وقد أبقت دليلا على أنه مراد في الكلام ، فإذا لم يكن في قوله ( قَطَنَّ أَنْ لَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ ) دلالة على أن المراد به الاستفهام كما قال ابن زيد ، كان معلوما أنه ليس به وإذا فسد هذان الوجهان ، صح الثالث وهو ما قلنا.

وقوله ( قَتَادَى فِي الظُّلْمَاتِ ) اختلف أهل التأويل في المعنى بهذه الظلمات ، فقال بعضهم: عني بها ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت.

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال: ثني حجاج ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ( قَتَادَى فِي الظُّلْمَاتِ ) قال: ظلمة بطن الحوت ، وظلمة البحر ، وظلمة الليل ، وكذلك قال أيضا ابن جريج.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن زياد ، عن عبد الله بن أبي سلمة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : نادى في الظلمات : ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت ( لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ) .

حدثني محمد بن إبراهيم السلمى ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : أخبرنا محمد بن رُفاعة ، قال : سمعت محمد بن كعب يقول في هذه الآية ( فَتَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ) قال : ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت .

< 18-517 >

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَتَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ) قال : ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فَتَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ) قال : ظلمة بطن الحوت ، وظلمة البحر ، وظلمة الليل .

وقال آخرون : إنما عنى بذلك أنه نادى في ظلمة جوف حوت في جوف حوت آخر في البحر ، قالوا : فذلك هو الظلمات .

\*ذكر من قال ذلك : حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ( فَتَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ) قال : أوحى الله إلى الحوت أن لا تضر له لحما ولا عظما ، ثم ابتلع الحوت حوت آخر ، قال ( فَتَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ) قال : ظلمة الحوت ، ثم حوت ، ثم ظلمة البحر .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله أخبر عن يونس أنه ناداه في الظلمات ( أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ) ولا شك أنه قد عنى بإحدى الظلمات : بطن الحوت ، وبالأخرى : ظلمة البحر ، وفي الثالثة اختلاف ، وجائز أن تكون تلك الثالثة : ظلمة الليل ، وجائز أن تكون كون الحوت في جوف حوت آخر ، ولا دليل يدل على أي ذلك من أي ، فلا قول في ذلك أولى بالحق من التسليم لظاهر التنزيل .

وقوله ( لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ ) يقول : نادى يونس بهذا القول معترفا بذنبه تائباً من خطيئته ( إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ) في معصيتي إياك .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن زياد ، عن عبد الله بن أبي سلمة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال ( فَتَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ) معترفاً بذنبه ، تائباً من خطيئته .

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال: ثني حجاج ، قال ، أبو معشر: قال محمد بن قيس: قوله ( لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ ) ما صنعتُ من < 518-18 > شيء فلم أعبد غيرك ، (إني كنت من الظالمين ) حين عصيتك.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن عوف الأعرابي ، قال: لما صار يونس في بطن الحوت ظن أنه قد مات ، ثم حرَّك رجله ، فلما تحركت سجد مكانه ، ثم نادى: يا ربِّ اتخذت لك مسجدا في موضع ما اتخذهُ أحد.

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال: ثني ابن إسحاق عن حدثه ، عن عبد الله بن رافع ، مولى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ حَبْسَ يُونُسَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ، أَوْحَى اللَّهُ إِلَى الْحُوتِ: أَنْ حُدَّهُ وَلَا تَحْدِثْ لَهُ لَحْمًا وَلَا تَكْسِرْ عَظْمًا ، فَأَحَذَهُ ، ثُمَّ هَوَى بِهِ إِلَى مَسْكِنِهِ مِنَ الْبَحْرِ ، فَلَمَّا انْتَهَى بِهِ إِلَى اسْفَلِ الْبَحْرِ ، سَمِعَ يُونُسُ حِسًّا ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: مَا هَذَا؟ قَالَ: فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: إِنَّ هَذَا تَسْبِيحٌ دَوَابِّ الْبَحْرِ ، قَالَ: فَسَبَّحَ وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ، فَسَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ تَسْبِيحَهُ ، فَقَالُوا: يَا رَبَّنَا إِنَّا نَسْمَعُ صَوْتًا ضَعِيفًا يَأْرُضُ غَرِيبَهُ؟ قَالَ: ذَلِكَ عَبْدِي يُونُسُ ، عَصَانِي فَحَبَسْتُهُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ ، قَالُوا: الْعَبْدُ الصَّالِحُ الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ إِلَيْكَ مِنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عَمَلٌ صَالِحٌ؟ قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ: فَسَقَعُوا لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ ، فَأَمَرَ الْحُوتَ فَقَدَّقه فِي السَّاحِلِ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَهُوَ سَقِيمٌ".

القول في تأويل قوله تعالى : فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88)

يقول تعالى ذكره ( فَاسْتَجَبْنَا ) ليونس دعاءه إيانا ، إذ دعانا في بطن الحوت ، ونجينا من الغم الذي كان فيه بحسنائه في بطن الحوت وغمه بخطيئته ، وذنبه ( وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ) ، يقول جل ثناؤه: وكما أنجينا يونس من كرب الحبس في بطن الحوت في البحر إذ دعانا ، كذلك ننجي المؤمنين من كربهم إذا استغاثوا بنا ودعونا.

وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الأثر.

< 18-519 >

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا عمران بن بكار الكلاعي ، قال : ثنا يحيى بن عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو يحيى بن عبد الرحمن ، قال: ثني بشر بن منصور ، عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيب ، قال: سمعت سعد بن مالك يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " اسْمُ اللَّهِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ ، دَعْوَةُ يُونُسَ بْنِ مَتَّى ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هِيَ لِيُونُسَ بْنِ مَتَّى خَاصَّةٌ أَمْ لَجَمَاعَةِ الْمَسْلُومِينَ؟ قَالَ: هِيَ لِيُونُسَ بْنِ مَتَّى خَاصَّةٌ ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ عَامَّةٌ إِذَا دَعَوْا بِهَا ، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ اللَّهِ

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِتَادَى فِي الطُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ  
الطَّاغُوتِ \* فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَتَجِبْنَا لَهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ تُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ فهو شرط  
الله لمن دعاه بها.

واختلفت القراء في قراءة قوله ( تُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ) فقرأت ذلك قراء الأمصار ،  
سوى عاصم ، بنونين الثانية منهما ساكنة ، من أنجيناها ، فنحن ننجيه ،  
وإنما قرءوا ذلك كذلك وكتابته في المصاحف بنون واحدة ، لأنه لو قرئ بنون  
واحدة وتشديد الجيم ، بمعنى ما لم يسم فاعله ، كان " المؤمنون " رفعا ،  
وهم في المصاحف منصوبون ، ولو قرئ بنون واحدة وتخفيف الجيم ، كان  
الفعل للمؤمنين وكانوا رفعا ، ووجب مع ذلك أن يكون قوله " نجى " مكتوبا  
بالألِف ، لأنه من ذوات الواو ، وهو في المصاحف بالياء.

فإن قال قائل: فكيف كتب ذلك بنون واحد ، وقد علمت أن حكم ذلك إذا  
قرئ ( تُنْجِي ) أن يُكتب بنونين؟ قيل: لأن النون الثانية لما سكنت وكان الساكن  
غير ظاهر على اللسان حذفت كما فعلوا ذلك ب " إلا " لا فحذفوا النون من  
" إن " لخفائها ، إذ كانت مندغمة في اللام من " لا " ، وقرأ ذلك عاصم ( تُنْجِي  
الْمُؤْمِنِينَ ) بنون واحدة ، وتثقل الجيم ، وتسكين الياء ، فإن يكن عاصم وجه  
قراءته ذلك إلى قول العرب: ضرب الضرب زيدا ، فكنى عن المصدر الذي  
هو النجاء ، وجعل الخبر ، أعني خبر ما لم يسم فاعله المؤمنين ، كأنه أراد  
: وكذلك تَجَّى المؤمنين ، فكنى عن النجاء ، فهو وجه ، وإن كان غيره  
أصواب ، وإلا فإن الذي قرأ من ذلك على ما قرأه لحن ، لأن المؤمنين اسم  
على القراءة التي قرأها ما لم يسم فاعله ، والعرب ترفع ما كان من  
الأسماء كذلك ، وإنما حمل عاصم على هذه القراءة أنه وجد المصاحف بنون  
واحدة وكان في قراءته إياه < 520-18 > على ما عليه قراءة القراء إلحاق  
نون أخرى ليست في المصحف ، فظن أن ذلك زيادة ما ليس في المصحف  
، ولم يعرف لحذفها وجهها يصرفه إليه.

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة التي لا استجيز غيرها في ذلك عندنا ما  
عليه قراء الأمصار ، من قراءته بنونين وتخفيف الجيم ، لإجماع الحجة من  
القراء عليها وتخطئها خلافه.

القول في تأويل قوله تعالى : وَزَكَرَآءَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ  
خَيْرُ الْوَارِثِينَ (89) فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا  
يُتَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (90)

يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم:

واذكر يا محمد زكريا حين نادى ربه ( رَبِّ لَا تَذَرْنِي ) وحيدا(فَرْدًا ) لا ولد لي  
ولا عقب ( وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ) يقول: فارزقني وارثا من آل يعقوب يرثني ،  
ثم رد الأمر إلى الله فقال وأنت خير الوارثين ، يقول الله جل ثناؤه:  
فاستجبنا لزكريا دعاءه ، ووهبنا له يحيى ولدا ووارثا يرثه ، وأصلحنا له زوجه.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

واختلف أهل التأويل في معنى الصلاح الذي عناه الله جل ثناؤه بقوله ( وَأَصْلَحْنَا لَهُ رَوْجَهُ ) فقال بعضهم: كانت عقيما فأصلحها بأن جعلها ولودا.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبيد المحاربي ، قال : ثنا حاتم بن إسماعيل ، عن حميد بن صخر ، عن عمار ، عن سعيد ، في قوله ( وَأَصْلَحْنَا لَهُ رَوْجَهُ ) قال: كانت لا تلد.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال: ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال: قال ابن عباس ، في قوله ( وَأَصْلَحْنَا لَهُ رَوْجَهُ ) قال: وهبنا له ولدها.

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله < 521-18 > ( وَأَصْلَحْنَا لَهُ رَوْجَهُ ) كانت عاقرا ، فجعلها الله ولودا ، وهب له منها يحيى.

وقال آخرون: كانت سيئة الخلق ، فأصلحها الله له بأن رزقها حُسن الخُلُق.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أصلح لذكريا وزوجه ، كما أخبر تعالى ذكره بأن جعلها ولودا حسنة الخُلُق ، لأن كل ذلك من معاني إصلاحه إياها ، ولم يخص الله جل ثناؤه بذلك بعضا دون بعض في كتابه ، ولا على لسان رسوله ، ولا وضع ، على خصوص ذلك دلالة ، فهو على العموم ما لم يأت ما يجب التسليم له بأن ذلك مراد به بعض دون بعض.

وقوله ( إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ) يقول الله: إن الذين سميانهم ، يعني ذكريا وزوجه ويحيى ، كانوا يسارعون في الخيرات في طاعتنا ، والعمل بما يقربهم إلينا، وقوله ( وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ) يقول تعالى ذكره: وكانوا يعبدوننا رغبا ورهبا ، وعنى بالدعاء في هذا الموضع: العبادة ، كما قال وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ويعنى بقوله ( رَغَبًا ) أنهم كانوا يعبدونه رغبة منهم فيما يرجون منه من رحمته وفضله ( وَرَهَبًا ) يعني رهبة منهم من عذابه وعقابه ، بتركهم عبادته وركوبهم معصيته.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال: ثني حجاج ، عن ابن جريج ( إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ) قال: رغبا في رحمة الله ، ورهبا من عذاب الله.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، في قوله ( وَبَدَّعُوْنَا رَعْبًا وَرَهْبًا ) قال: خوفًا وطمعًا ، قال: وليس ينبغي لأحدهما أن يفارق الآخر.

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار ( رَعْبًا وَرَهْبًا ) بفتح الغين والهاء من الرَعْب والرَهْب ، واختلف عن الأعمش في ذلك ، فُرُوِيَتْ عنه الموافقة في ذلك للقراء ، وُرُوِيْ عَنْهُ أَنَّهُ قَرَأَهَا رُعْبًا وَرُهْبًا بضم الراء في الحرفين وتسكين الغين والهاء.

< 18-522 >

والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قراء الأمصار ، وذلك الفتح في الحرفين كليهما.

وقوله ( وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ) يقول: وكانوا لنا متواضعين متذللين ، ولا يستكبرون عن عبادتنا ودعائنا.

الهوامش:

(1) عبد الصمد بن معقل ، بكسر القاف اليماني ؛ يروى عن عمه وهب بن منبه وعنه ابن أخيه إسماعيل بن عبد الكريم وثقه أحمد . مات سنة ثلاث وثمانين ومئة . ( عن الخلاصة ) . وهذا الحديث من أحاديث أهل الكتاب ، رواه وهب وكعب وغيرهما من أهل الكتاب ، كما قال الثعلبي في عرائس المجالس ( ص 153 - 163 ) طبعة شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بالقاهرة . وأصله في الكتاب المقدس سفر أيوب ( 793 - 833 ) .

(2) المراد بقهرمان الرعاء : وكيل صاحب المال ، المختص بتدبير أمر الدعاء .

(3) انظر عبارة الثعلبي المفسر في هذا المقام في عرائس المجالس ، ص 155 فإنها أوضح وأدق .

(4) انظر عرائس المجالس للثعلبي المفسر ص 155 .

(5) وردت أسماء أصحاب أيوب الثلاثة في الكتاب المقدس ص 795 وهو :

ألفاز التيماني ، وبلدد الشوحي ، وصوفر النعماني .

(6) في الكتاب المقدس ص 831 : " بهيموث " .

(7) في الكتاب المقدس ص 381 : " لويثان " .

(8) هذا يناسب الاستشهاد على عدم ردهم بأعيانهم . فلعله مؤخر من تقديم .

(9) الرّيع : ولد الناقة أول ما يحمل عليه . القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (91)



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر التي أحصنت فرجها ، يعني مريم بنت عمران.

وبعني بقوله ( أَحْصَتْ ) : حفظت فرجها ومنعت فرجها مما حرم الله عليها إباحته فيه.

واختلف في الفرج الذي عنى الله جل ثناؤه أنها أحصنته ، فقال بعضهم: عنى بذلك فرج نفسها أنها حفظته من الفاحشة.

وقال آخرون: عنى بذلك جيب درعها أنها منعت جبرائيل منه قبل أن تعلم أنه رسول ربها ، وقبل أن تثبته معرفة، قالوا: والذي يدل على ذلك قوله ( فَتَفَحَّخْنَا فِيهَا ) ويعقب ذلك قوله ( وَالَّتِي أَحْصَتْ فَرْجَهَا ) قالوا: وكان معلوماً بذلك أن معنى الكلام: والتي أحصنت جيبها ( فَتَفَحَّخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ) .

قال أبو جعفر: والذي هو أولى القولين عندنا بتأويل ذلك قول من قال: أحصنت فرجها من الفاحشة ، لأن ذلك هو الأغلب من معنیه عليه ، والأظهر في ظاهر الكلام ، ( فَتَفَحَّخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ) يقول: فنفتحنا في جيب درعها من روحنا ، وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في معنى قوله ( فَتَفَحَّخْنَا فِيهَا ) في غير هذا الموضع ، والأولى بالصواب من القول في ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله ( وَجَعَلْنَاهَا وَابْتِهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ) يقول: وجعلنا مريم وابنها عبرة لعالمي زمانهما يعتبرون بهما ويتفكرون في أمرهما ، فيعلمون عظيم سلطاننا وقدرتنا على ما نشاء: وقيل آية ولم يقل آيتين وقد ذكر آيتين ، لأن معنى الكلام: جعلناهما علماً لنا وحجة ، فكل واحدة منهما في معنى الدلالة على الله ، > 523-18 < وعلى عظيم قدرته يقوم مقام الآخر إذا كان أمرهما في الدلالة على الله واحداً.

القول في تأويل قوله تعالى : إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (92)

يقول تعالى ذكره: إن هذه ملتكم ملة واحدة ، وأنا ربكم أيها الناس فاعبدون دون الآلهة والأوثان وسائر ما تعبدون من دوني.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك: حدثني عليٌّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال: ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ) يقول: دينكم دين واحد.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال: ثنا جريج ، عن ابن جريج ، قال: قال مجاهد ، في قوله ( إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ) قال: دينكم دين واحد ،

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ونصبت الأمة الثانية على القطع ، وبالنصب قرأه جماعة قرءاء الأمصار ، وهو الصواب عندنا ، لأن الأمة الثانية نكرة، والأولى معرفة .

وإذ كان ذلك كذلك ، وكان الخبر قبل مجيء النكرة مستغنيا عنها كان وجه الكلام النصب ، هذا مع إجماع الحجة من القراء عليه ، وقد ذكر عن عبد الله بن أبي إسحاق رفع ذلك أنه قرأه (أُمَّةً وَاحِدَةً) بنية تكرير الكلام ، كأنه أراد: إن هذه أمتكم هذه أمة واحدة.

القول في تأويل قوله تعالى : **وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَاغِبُونَ** (93)

يقول تعالى ذكره: وتفترق الناس في دينهم الذي أمرهم الله به ودعاهم إليه ، فصاروا فيه أحزابا ، فهودت اليهود ، وتنصرت النصارى وعُبدت الأوثان ، ثم أخبر جل ثناؤه عما هم إليه صائرون ، وأن مرجع جميع أهل الأديان إليه ، متوعدا بذلك أهل الزيغ منهم والضلال ، ومعلمهم أنه لهم بالمرصاد ، وأنه مجاز جميعهم < 524-18 > جزاء المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ( **وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ** ) قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك: حدثني يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، في قوله ( **وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ** ) قال: تقطعوا: اختلفوا ، في الدين.

القول في تأويل قوله تعالى : **فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ** (94)

يقول تعالى ذكره: فمن عمل من هؤلاء الذين تفرقوا في دينهم بما أمره الله به من العمل الصالح ، وأطاعه في أمره ونهيه ، وهو مقرر بوحدانية الله ؛ مصدق بوعدده ووعيده متبرئ من الأنداد والآلهة ( **فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ** ) يقول: فإن الله يشكر عمله الذي عمل له مطيعا له ، وهو به مؤمن ، فيثيبه في الآخرة ثوابه الذي وعد أهل طاعته أن يشيهموه ، ولا يكفر ذلك له فيجده ، ويحرمه ثوابه على عمله الصالح ( **وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ** ) يقول: ونحن نكتب أعماله الصالحة كلها ، فلا نترك منها شيئا لنجزيه على صغير ذلك وكبيره وقليله وكثيره .

قال أبو جعفر: والكفران مصدر من قول القائل: كفرت فلانا نعمته فأنا أكفره كُفْرًا وكُفْرَانًا ومنه قوله الشاعر:

مِنَ النَّاسِ نَاسٌ مَا تَنَامُ حُدُودَهُمْ

وَحَدِّي وَلَا كُفْرَانَ لِلَّهِ نَائِمٌ (1)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ( 95 )

< 18-525 >

اختلفت القراء في قراءة قوله ( وَحَرَامٌ ) فقرأته عامة قراء أهل الكوفة ( وَحَرَامٌ ) بكسر الحاء ، وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة ( وَحَرَامٌ ) بفتح الحاء والألف.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متفقتا المعنى غير مختلفيه ، وذلك أن الحَرَم هو الحرام ، والحرام هو الحَرَم ، كما الحل هو الحلال والحلال هو الحل ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، وكان ابن عباس يقرؤه: ( وَحَرَم ) بتأويل: وعزم.

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا بن علي ، عن أبي المعلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، كان يقرؤها( وَحَرَمَ على قرية ) قال: فقلت ، لسعيد: أي شيء حرم؟ قال: عزم.

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي المعلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، كان يقرؤها( وَحَرَمَ على قَرْيَةٍ ) قلت لأبي المعلى: ما الحرم؟ قال: عزم عليها.

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس: أنه كان يقرأ هذه الآية ( وَحَرَمَ على قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ) فلا يرجع منهم راجع ، ولا يتوب منهم تائب.

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود عن عكرمة ، قال ( وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ) قال: لم يكن ليرجع منهم راجع ، حرام عليهم ذلك.

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا عيسى بن فرقد ، قال : ثنا جابر الجعفي ، قال: سألت أبا جعفر عن الرجعة ، فقرأ هذه الآية ( وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ) .

فكان أبا جعفر وجه تأويل ذلك إلى أنه: وحرام على أهل قرية أمتناهم أن يرجعوا إلى الدنيا ، والقول الذي قاله عكرمة في ذلك أولى عندي بالصواب ، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن تفريق الناس دينهم الذي بُعث به إليهم الرسل ، ثم أخبر عن صنيعه بمن عم بما دعت إليه رسله من الإيمان به والعمل بطاعته ، ثم أتبع ذلك قوله ( وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ) فلأن يكون ذلك خبرا عن صنيعه بمن أبى إجابة رسله وعمل

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

بمعصيته ، وكفر به ، < 526-18 > أخرى ، ليكون بيانا عن حال القرية الأخرى التي لم تعمل الصالحات وكفرت به.

فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام: حرام على أهل قرية أهلكتناهم بطبعنا على قلوبهم وختمنا على أسماعهم وأبصارهم ، إذ صدّوا عن سبيلنا وكفروا بآياتنا ، أن يتوبوا ويراجعوا الإيمان بنا واتباع أمرنا والعمل بطاعتنا ، وإذ كان ذلك تأويل قوله الله (وَجَزْمٌ) وعزم ، على ما قال سعيد ، لم تكن " لا " في قوله (أَنْهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) صلة ، بل تكون بمعنى النفي ، ويكون معنى الكلام: وعزم منا على قرية أهلكتناها أن لا يرجعوا عن كفرهم ، وكذلك إذا كان معنى قوله (وَجَزْمٌ) نوجبه ، وقد زعم بعضهم أنها في هذا الموضع صلة ، فإن معنى الكلام: وحرام على قرية أهلكتناها أن يرجعوا ، وأهل التأويل الذين ذكرناهم كانوا أعلم بمعنى ذلك منه.

القول في تأويل قوله تعالى : حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (96)

يقول تعالى ذكره: حتى إذا فتح عن يأجوج ومأجوج ، وهما أمتان من الأمم رُدْمهما .

كما حدثني عصام بن داود بن الجراح ، قال: ثني أبي ، قال : ثنا سفيان بن سعيد الثوري ، قال : ثنا منصور بن المعتمر ، عن ربيع بن جراح ، قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أَوْلُ الْإِيَّاتِ الدَّجَالُ ، وَنَزُولُ عِيسَى ، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدْنٍ أَبِينِ ، تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى الْمَحْشَرِ ، تُقِيلُ مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا ، وَالِدُخَانَ ، وَالِدَابَّةَ ، ثُمَّ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ. قَالَ حُذَيْفَةُ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ؟ قَالَ: يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ أُمَّمٌ كُلُّ أُمَّةٍ أَرْبَعٌ مِائَةٍ أَلْفٍ ، لَا يَمُوتُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ حَتَّى يَرَى أَلْفَ عَيْنٍ تَطْرُقُ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ صُلْبِهِ ، وَهُمْ وَلَدُ آدَمَ ، فَيَسِيرُونَ إِلَى حَرَابِ الدُّنْيَا ، يَكُونُ مَقَدِّمَتُهُمْ بِالشَّامِ وَيَسَاقَتُهُمْ بِالْعَوَاقِ ، فَيَمُرُّونَ بِأَنْهَارِ الدُّنْيَا ، فَيَشْرَبُونَ الْفُرَاتَ وَالِدَجْلَةَ وَبَحِيرَةَ الطَّبْرِيةِ حَتَّى يَأْتُوا بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، فَيَقُولُونَ قَدْ قَتَلْنَا أَهْلَ الدُّنْيَا < 527-18 > فَقَاتَلُوا مَنْ فِي السَّمَاءِ ، فَيَرْمُونَ بِالنَّشَابِ إِلَى السَّمَاءِ ، فَتَرْجِعُ نُشَابُهُمْ مُخَصَّبَةً بِالدَّمِ ، فَيَقُولُونَ قَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي السَّمَاءِ ، وَعِيسَى وَالْمُسْلِمُونَ بِجَبَلِ طُورِ سِينِينَ ، فَيُوجِي اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ إِلَى عِيسَى: أَنْ أَحْرِزْ عِبَادِي بِالطُّورِ وَمَا يَلِي أَيْلَةَ ، ثُمَّ إِنَّ عِيسَى يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَيَوْمُنَ الْمَسْلُومُونَ ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ دَابَّةً يُقَالُ لَهَا النَّعْفُ ، تَدْخُلُ مِنْ مَتَاجِرِهِمْ فَيُصْبِحُونَ مَوْتَى مِنْ حَاقِ الشَّامِ إِلَى حَاقِ الْعِرَاقِ ، حَتَّى تَتَّيَنَ الْأَرْضُ مِنْ جِيْفِهِمْ ، وَيَأْمُرُ اللَّهُ السَّمَاءَ فَتَمْطِرُ كَأَفْوَاهِ الْقَرْبِ ، فَتَغْسِلُ الْأَرْضَ مِنْ جِيْفِهِمْ وَتَسْتَهُمْ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ."

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال: إن يأجوج ومأجوج يزيدون على سائر الإنس الضعف ، وإن

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الجنّ يزيدون على الإنس الضعف ، وإن يأجوج ومأجوج رجلان اسمهما يأجوج ومأجوج.

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت وهب بن جابر يحدث ، عن عبد الله بن عمرو أنه قال : إن يأجوج ومأجوج يمر أولهم بنهر مثل دجلة ، ويمرّ آخرهم فيقول : قد كان في هذا مرّة ماء ، لا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفا فصاعدا ، وقال : من بعدهم ثلاثُ أمم لا يعلم عددهم إلا الله : تأويل ، وتاريس ، وناسك أو منسك ، شكُّ شعبة.

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن وهب بن جابر الخيواني ، قال : سألت عبد الله بن عمرو ، عن يأجوج ومأجوج ، أمن بني آدم هم ؟ قال : نعم ، ومن بعدهم ثلاث أمم لا يعلم عددهم إلا الله ، تاريس ، وتأويل ، ومنسك.

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا سهل بن حماد أبو عتاب ، قال : ثنا شعبة ، عن النعمان بن سالم ، قال : سمعت نافع بن جبير بن مطعم يقول : قال عبد الله بن عمرو : يأجوج ومأجوج لهم أنهار يلقّمون ما شاءوا ، ونساء يجامعون ما شاءوا ، وشجر يلقّمون ما شاءوا ، ولا يموت رجل إلا ترك من ذريته ألفا فصاعدا.

< 18-528 >

حدثنا محمد بن عمار ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، قال : أخبرنا زكريا ، عن عامر ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن سلام ، قال : ما مات أحد من يأجوج ومأجوج إلا ترك ألف ذرء فصاعدا.

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن عطية ، قال : قال أبو سعيد : يخرج يأجوج ومأجوج فلا يتركون أحدا إلا قتلوه ، إلا أهل الحصون ، فيمّرّون على البحيرة فيشربونها ، فيمّرّ الماءُ فيقول : كأنه كان ههنا ماء ، قال : فبعث الله عليهم النغف حتى يكسر أعناقهم فيصيروا خبالا فتقول أهل الحصون : لقد هلك أعداء الله ، فيدلون رجلا لينظر ، ويشترط عليهم إن وجدهم أحياء أن يرفعه ، فيجدهم قد هلكوا ، قال : فينزل الله ماء من السماء فيقذفهم في البحر ، فتطهر الأرض منهم ، ويغرس الناس بعدهم الشجر والنخل ، وتخرج الأرض ثمرتها كما كانت تخرج في زمن يأجوج ومأجوج.

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عبيد الله بن أبي يزيد ، قال : رأى ابن عباس صبيانا ينزو بعضهم على بعض يلعبون ، فقال ابن عباس : هكذا يخرج يأجوج ومأجوج.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، قال : بلغنا أن ملكا دون الردم يبعث خيلا كل يوم يحرسون الردم لا يأمن يأجوج ومأجوج أن تخرج عليهم ، قال : فيسمعون جلبة وأمرا شديدا.

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن أبي إسحاق ، أن عبد الله بن عمرو ، قال : ما يموت الرجل من يأجوج ومأجوج حتى يولد له من صلبه ألف ، وإن من ورائهم لثلاث أمم ما يعلم عددهم إلا الله : منسك ، وتأويل ، وتاريس.

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن عمرو البكالي ، قال : إن الله جزأ الملائكة والإنس والجنّ عشرة أجزاء فتسعة منهم الكروبيون وهم الملائكة الذي يحملون العرش ، ثم هم أيضا الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، قال : ومن بقي من الملائكة لأمر الله ووحيه ورسالته ، ثم جزأ الإنس والجنّ عشرة أجزاء ، فتسعة منهم الجن ، لا يولد من < 529-18 > الإنس ولد إلا ولد من الجن تسعة ، ثم جزأ الإنس على عشرة أجزاء ، فتسعة منهم يأجوج ومأجوج ، وسائر الإنس جزء.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ) قال : أمّتان من وراء ردم ذي القرنين.

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن غير واحد ، عن حميد بن هلال ، عن أبي الصيف ، قال : قال كعب : إذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج حفروا حتى يسمع الذين يلونهم قرع فتوسهم ، فإذا كان الليل قالوا : نجىء غدا فنخرج ، فيعيدها الله كما كانت ، فيجيئون من الغد فيجدونه قد أعاده الله كما كان ، فيحفرونه حتى يسمع الذين يلونهم قرع فتوسهم ، فإذا كان الليل ألقى الله على لسان رجل منهم يقول : نجىء غدا فنخرج إن شاء الله ، فيجيئون من الغد فيجدونه كما تركوه ، فيحفرون ثم يخرجون ، فتمرّ الزمرة الأولى بالبحيرة فيشربون ماءها ، ثم تمرّ الزمرة الثانية فيلحسون طينها ، ثم تمرّ الزمرة الثالثة فيقولون : قد كان ههنا مرّة ماء - وتفترّ الناس منهم ، فلا يقوم لهم شيء ، يرمون بسهامهم إلى السماء ، فترجع مخضبة بالدماء ، فيقولون : غلبنا أهل الأرض وأهل السماء ، فيدعو عليهم عيسى ابن مريم ، فيقول : اللهم لا طاقة ولا يدين لنا بهم ، فاكفناهم بما شئت ، فيسلط الله عليهم دودا يقال له النغف ، ففترس رقابهم ، ويبعث الله عليهم طيرا فتأخذهم بمناقرها فتلقيهم في البحر ، ويبعث الله عينا يقال لها الحياة تطهر الأرض منهم وتنبتها ، حتى إن الرمانة ليشبع منها السكن ، وما السكن يا كعب ؟ قال : أهل البيت ، قال : فيبينا الناس كذلك ، إذ أتاهم الصريخ أن ذا السويقتين يريد ، فيبعث عيسى طليعة سبع مائة ، أو بين السبع مائة والثمان مائة ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله ريحا يمانية طيبة ، فيقبض الله فيها روح كل مؤمن ، ثم يبقى عجاج من الناس يتسافدون كما تتسافد البهائم ، فمئّل الساعة كمثل رجل يطيف حول فرسه ينتظرها متى تضع ، فمن تكلف بعد قولي هذا شيئا أو على هذا شيئا فهو المتكلف.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا العباس بن الوليد البيروتي ، قال: أخبرني أبي ، قال: سمعت ابن جابر ، قال: ثنا محمد بن جابر الطائي، ثم الحمصي ، ثنا عبد الرحمن بن جبير > 530-18 < بن نغير الحضرمي ، قال: ثنا أبي أنه سمع الثَّوَّاس بن سَمْعَانَ الكلابي يقول: " ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ، وذكر أمره ، وأن عيسى ابن مريم يقتله ، ثم قال: فيينا هو كذلك ، أوحى الله إليه: يا عيسى ، إني قد أخرجت عبادا لي لا يد لأحد بقتالهم ، فحرّز عبادي إلى الطور، فبيعت الله يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حذب ينسلون ، فيمّر أحدهم على بحيرة طبرية ، فيشربون ما فيها ، ثم ينزل آخرهم ، ثم يقول: لقد كان بهذه ماء مرّة ، فيحاصر نبيّ الله عيسى وأصحابه ، حتى يكون رأس الثور يومئذ خيرا لأحدهم من مائة دينار لأحدكم ، فيرغب نبيّ الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل الله عليهم النعف في رقابهم ، فيصبحون فرسى موت نفس واحدة ، فيهبط نبيّ الله عيسى وأصحابه ، فلا يجدون موضعا إلا قد ملأه زهمهم وتنتهم ودماؤهم ، فيرغب نبيّ الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل عليهم طيرا كأعناق البخت ، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة.

وأما قوله ( وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ) فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنيّ به ، فقال بعضهم: عني بذلك بنو آدم أنهم يخرجون من كل موضع كانوا دفنوا فيه من الأرض ، وإنما عني بذلك الحشر إلى موقف الناس يوم القيامة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، في قوله ( مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ) قال: جمع الناس من كل مكان جاءوا منه يوم القيامة ، فهو حدب.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال: ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيْج ( وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ) ، قال ابن جُرَيْج: قال مجاهد: جمع الناس من كل حدب من مكان جاءوا منه يوم القيامة فهو حدب.

وقال آخرون: بل عني بذلك يأجوج ، ومأجوج وقوله: وهم كناية أسمائهم .

ذكر من قال ذلك: حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، > 531 < قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، قال : ثنا أبو الزعراء ، عن عبد الله أنه قال: يخرج يأجوج ومأجوج فيمرجون في الأرض ، فيفسدون فيها ، ثم قرأ عبد الله ( وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ) قال: ثم بيعت الله عليهم



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

دابة مثل النغف ، فتلج في أسماعهم ومناخرهم فيموتون منها فتنن الأرض منهم ، فيرسل الله عز وجل ماء فيطهر الأرض منهم.

والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين قالوا: عني بذلك يأجوج ومأجوج ، وأن قوله ( وَهُمْ ) كناية عن أسمائهم ، للخبر الذي حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر ، عن قتادة الأنصاري ، ثم الظفري ، عن محمود بن لبيد أخي بني عبد الأشهل ، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " يُفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ يَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ كَمَا قَالَ اللَّهُ ( مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ) فَيُعْشَوْنَ الْأَرْضَ ".

حدثني أحمد بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم بن بشير ، قال: أخبرنا العوام بن حوشب ، عن جبلة بن سحيم ، عن مؤثر ، وهو ابن عفازة العبدي ، عن عبد الله بن مسعود ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يُذكر عن عيسى ابن مريم ، قال: قال عيسى: عَهْدٌ إِلَيَّ رَبِّي أَنَّ الدَّجَالَ خَارِجٌ ، وَأَنَّهُ مُهْبِطِي إِلَيْهِ ، فَذَكَرَ أَنَّ مَعَهُ قَضِيْبَيْنِ ، فَإِذَا رَأَى أَهْلَكَ اللَّهُ ، قَالَ: قِيدُوهُ الرُّصَاصُ ، حَتَّى إِنَّ الشَّجَرَ وَالْحَجَرَ لَيَقُولُ: يَا مُسْلِمِ هَذَا كَافِرٌ فَاقْتُلْهُ ، فَيَهْلِكُهُمْ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَيَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى بِلَادِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ ، فَيَسْتَفِيْلُهُمْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، لَا يَأْتُونَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَهْلَكُوهُ ، وَلَا يَمُرُّونَ عَلَى مَاءٍ إِلَّا شَرِبُوهُ.

حدثني عبيد بن إسماعيل الهباري ، قال : ثنا المحاربي ، عن أصبغ بن زيد ، عن العوام بن حوشب ، عن جبلة بن سحيم ، عن مؤثر بن عفازة ، عن عبد الله بن مسعود ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه.

وأما قوله ( مِنْ كُلِّ حَدَبٍ ) فإنه يعني من كل شرف ونشز وأكمة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

< 18-532 >

ذكر من قال ذلك: حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ) يقول: من كل شرف يُقبلون.

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر عن قتادة ( مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ) قال: من كل أكمة.

حدثني يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، في قوله ( وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ) قال: الحدب: الشيء المشرف ، وقال الشاعر:

عَلَى الْجِدَابِ تَمُورٌ (2)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، في قوله ( حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ) قال: هذا مبتدأ يوم القيامة.

وأما قوله ( يَنْسِلُونَ ) فإنه يعنى: أنهم يخرجون مشاة مسرعين في مشيهم كنسلان الذئب ، كما قال الشاعر:

عَسَلَانَ الذئبِ أَمْسَى قَارِبَا  
بَرَدَ اللَّيْلُ عَلَيْهِ فَتَسَلُّ (3)

القول في تأويل قوله تعالى : **وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (97)**

< 18-533 >

يقول تعالى ذكره: حتى إذا فُتحت يأجوج ومأجوج ، اقترب الوعد الحق ، وذلك وعد الله الذي وعد عباده أنه يعثهم من قبورهم للجزاء والثواب والعقاب ، وهو لا شك حق كما قال جل ثناؤه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو ، يعني ابن قيس ، قال : ثنا حذيفة: لو أن رجلا افتلَى قَلْوًا بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم القيامة.

حدثني يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، في قوله ( **وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ** ) قال: اقترب يوم القيامة منهم، والواو في قوله ( **وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ** ) مقحمة ، ومعنى الكلام: حتى إذا فُتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق ، وذلك نظير قوله **فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ \* وَتَادَيْتَاهُ** معناه: نادينا، بغير واو ، كما قال امرؤ القيس:

فَلَمَّا أَجْرْنَا سَاخَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى

بِنَا بَطْنُ حَبْتٍ ذِي حِقَافٍ عَقَنْقَلٍ (4)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يريد: فلما أجزنا ساحة الحي انتحى بنا.

وقوله ( فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ) ففي هي التي في قوله فإذا هي وجهان: أحدهما أن تكون كناية عن الأبصار ، وتكون الأبصار الظاهرة بيانا عنها ، كما قال الشاعر:

لَعَمْرُو أَبِيهَا لَا تَقُولُ طَعَيْتِي

أَلَا قَرَّ عَنِّي مَالِكُ بْنُ أَبِي كَعْبٍ (5)

< 18-534 >

فكنى عن الطعينة في: لعمرو أبيها ، ثم أظهرها ، فيكون تأويل الكلام حينئذ:

والثاني: أن تكون عمادا كما قال جل ثناؤه فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وكقول الشاعر:

فَهَلْ هُوَ مَرْفُوعٌ يَمَا هَهُنَا رَأْسُ (6)

وقوله ( يَا وَيْلَتَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا ) يقول تعالى ذكره: فإذا أبصار الذين كفروا قد شخصت عند مجيء الوعد الحقِّ بأهواله وقيام الساعة بحقائقها ، وهم يقولون: يا ويلنا قد كنا قبل هذا الوقت في الدنيا في غفلة من هذا الذي نرى ونعاین ونزل بنا من عظيم البلاء ، وفي الكلام متروك تُرِكَ ذكره استغناء بدلالة ما دُكِرَ عليه عنه ، وذلك يقولون من قوله ( فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ > 535-18 < أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ) يقولون يا ويلنا، وقوله ( بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ) يقول مخبرا عن قيل الذين كفروا بالله يومئذ: ما كنا نعمل لهذا اليوم ما ينجينا من شدائده ، بل كنا ظالمين بمعصيتنا ربنا وطاعتنا إبليس وجنده في عبادة غير الله عز وجل.

القول في تأويل قوله تعالى : إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (98)

يقول تعالى ذكره: إنكم أيها المشركون بالله ، العابدون من دونه الأوثان والأصنام ، وما تعبدون من دون الله من الآلهة .

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

كما حُدثت عن الحسين ، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد ، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله ( إِيَّاكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) يعني الآلهة ومن يعبدها ، (حصب جهنم ) وأما حصب جهنم ، فقال بعضهم: معناه: وقود جهنم وشجرها.

\*ذكر من قال ذلك: حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال: ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( حَصَبُ جَهَنَّمَ ) : شجر جهنم.

حدثني محمد بن سعد ، قال: ثني أبي ، قال: ثني عمي ، قال: ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( إِيَّاكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ) يقول: وقودها.

وقال آخرون: بل معناه: حطب جهنم.

ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( حَصَبُ جَهَنَّمَ ) قال: حطبها.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال: ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، (مثله)! وزاد فيه: وفي بعض القراءة (حَطَبُ جَهَنَّمَ) يعني في قراءة عائشة.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( حَصَبُ جَهَنَّمَ ) قال: حطب جهنم يقذفون فيها.

< 18-536 >

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن الحر ، عن عكرمة ، قوله ( حَصَبُ جَهَنَّمَ ) قال: حطب جهنم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنهم يرمي بهم في جهنم.

ذكر من قال ذلك: حُدثت عن الحسين ، قال: سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله ( حَصَبُ جَهَنَّمَ ) يقول: إن جهنم إنما تحصب بهم ، وهو الرمي ، يقول: يرمي بهم فيها.

واختلف في قراءة ذلك ، فقرأته قراء الأمصار ( حَصَبُ جَهَنَّمَ ) بالصاد ، وكذلك القراءة عندنا لإجماع الحجة عليه.

وروي عن عليّ وعائشة أنهما كانا يقرآن ذلك ( حَطَبُ جَهَنَّمَ ) بالطاء.

وروي عن ابن عباس أنه قرأه ( حَصَبُ ) بالصاد.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا بذلك أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا إبراهيم بن محمد ، عن عثمان بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه قرأها كذلك .

وكان ابن عباس إن كان قرأ ذلك كذلك ، أراد أنهم الذين تسجر بهم جهنم ، ويوقد بهم فيها النار ، وذلك أن كل ما هيجت به النار وأوقدت به ، فهو عند العرب حصب لها . فإذا كان الصواب من القراءة في ذلك ما ذكرنا ، وكان المعروف من معنى الحصب عند العرب: الرمي ، من قولهم: حصبت الرجل: إذا رميته ، كما قال جل ثناؤه **إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا** كان الأولى بتأويل ذلك قول من قال: معناه أنهم تقذف جهنم بهم ويرمى بهم فيها ، وقد ذكر أن الحصب في لغة أهل اليمن: الحطب ، فإن يكن ذلك كذلك فهو أيضا وجه صحيح ، وأما ما قلنا من أن معناه الرمي فإنه في لغة أهل نجد. وأما قوله ( **أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ** ) فإن معناه: أنتم عليها أيها الناس أو إليها واردون ، يقول: داخلون ، وقد بينت معنى الورد فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته في هذا الموضوع.

القول في تأويل قوله تعالى : **لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ** (99)

< 18-537 >

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم أنهم **مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ** ، وهم مشركو قريش: أنتم أيها المشركون ، وما تعبدون من دون الله واردو جهنم ، ولو كان ما تعبدون من دون الله آلهة ما وردوها ، بل كانت تمنع من أراد أن يوردكموها إذ كنتم لها في الدنيا عابدين ، ولكنها إذ كانت لا نفع عندها لأنفسها ولا عندها دفع ضر عنها ، فهي من أن يكون ذلك عندها لغيرها أبعد ، ومن كان كذلك كان بينا بعده من الألوهة ، وأن الإله هو الذي يقدر على ما يشاء ولا يقدر عليه شيء ، فأما من كان مقدورا عليه فغير جائز أن يكون إلهًا. وقوله ( **وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ** ) يعني الآلهة ومن عبدها أنهم ماكتون في النار أبدا بغير نهاية ، وإنما معنى الكلام: كلكم فيها خالدون.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك: حدثني يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، في قوله ( **لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ** ) قال: الآلهة التي عبد القوم ، قال: العابد والمعبود.

القول في تأويل قوله تعالى : **لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ** (100) **إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ** (101)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يعني تعالى ذكره بقوله ( لَهُمْ ) المشركين وألتهم ، والهاء ، والميم في قوله ( لَهُمْ ) من ذكر كل التي في قوله ( وَكُلِّ فِيهَا خَالِدُونَ ) ، يقول تعالى ذكره: لكلهم في جهنم زفير ، ( وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ) يقول: وهم في النار لا يسمعون.

وكان ابن مسعود يتأول في قوله ( وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ) ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال: ثني حجاج ، عن المسعودي ، عن يونس بن خباب ، قال: قرأ ابن مسعود هذه الآية ( لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ) قال: إذا ألقى في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار ، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخرى ، ثم جعلت التوابيت في توابيت أخرى > 18-538 < فيها مسامير من نار ، فلا يرى أحد منهم أن في النار أحدا يعدب غيره ، ثم قرأ ( لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ) .

وأما قوله ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ) فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى به ، فقال بعضهم: عني به كل من سبقت له من الله السعادة من خلقه أنه عن النار مُبعد.

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن يوسف بن سعد وليس بابن ماهك عن محمد بن حاطب ، قال: سمعت عليا يخطب فقرأ هذه الآية ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ) ، قال: عثمان رضي الله عنه منهم.

وقال آخرون: بل عني: من عبد من دون الله ، وهو لله طائع ولعبادة من يعبد كاره.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ) قال: عيسى ، وعزير ، والملائكة.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال: ثني حجاج ، عن ابن جريح ، عن مجاهد ، مثله.

قال ابن جريح: قوله إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ثم استثنى فقال ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، والحسن البصري قالا قال في سورة الأنبياء إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ \* لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ \* لَهُمْ فِيهَا زَوْجٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ثُمَّ اسْتَنَى فَقَالَ ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ) فقد عُبدت الملائكة من دون الله ، وَعَزَّيْرٌ وَعِيسَى مِنْ دُونِ اللَّهِ .

حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن > 18-  
539 < سعيد ( أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ) قال: عيسى.

حدثني إسماعيل بن سيف ، قال : ثنا علي بن مسهر ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح في قوله ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى ) قال: عيسى ، وأمه ، وَعَزَّيْرٌ ، والملائكة.

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال: جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني يوما مع الوليد بن المغيرة ، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفي المجلس غير واحد من رجال قريش ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض له النضر بن الحارث ، وكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ، ثم تلا عليه وعليهم إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ \* لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ . . . إلى قوله ( وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ) ، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل عبد الله بن الزبير بن قيس بن عديّ السهمي حتى جلس ، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبير : والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب أنفا وما قعد ، وقد زعم أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم، فقال عبد الله بن الزبير: أما والله لو وجدته لخصمته ، فسلوا محمدا: أكل من عبد من دون الله في جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة ، واليهود تعبد عَزَّيْرًا ، والنصارى تعبد المسيح عيسى ابن مريم ، فعجب الوليد بن المغيرة ومن كان في المجلس من قول عبد الله بن الزبير ، ورأوا أنه قد احتج وخاصم ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قول ابن الزبير ، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: " نعم كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده ، إنما يعبدون الشياطين ومن أمرهم بعبادته " ، فأنزل الله عليه ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ) . . . إلى خَالِدُونَ أي عيسى ابن مريم ، وَعَزَّيْرٌ ، ومن عبدوا من الأحرار والرهبان الذي مضوا على طاعة الله ، فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله ، فأنزل الله فيما ذكروا أنهم يعبدون الملائكة وأنها بنات الله وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ . . . إلى قوله تَجَزِي السَّالِمِينَ .

حدثت عن الحسين ، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد ، قال: > 18-  
540 < سمعت الضحاک ، قال: يقول ناس من الناس ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ) يعني من الناس أجمعين ، فليس كذلك ،



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

إنما يعني من يعبد الآلهة وهو لله مطيع مثل عيسى وأمه وعزير والملائكة ، واستثنى الله هؤلاء الآلهة المعبودة التي هي ومن يعبدها في النار.

حدثنا ابن سنان القزاز ، قال : ثنا الحسن بن الحسين الأشقر ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت إِيَّاكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ قال المشركون: فإن عيسى يُعبد وعزير والشمس والقمر يُعبدون، فأنزل الله ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ) لعيسى وغيره.

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال: عني بقوله ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ) ما كان من معبود ، كان المشركون يعبدونه والمعبود لله مطيع وعابدهو بعبادتهم إياه بالله كقار ، لأن قوله تعالى ذكره ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ ) ابتداء كلام محقق لأمر كان ينكره قوم ، على نحو الذي ذكرنا في الخبر عن ابن عباس ، فكان المشركين قالوا لنبي الله صلى الله عليه وسلم إذ قال لهم إِيَّاكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ : ما الأمر كما تقول ، لأننا نعبد الملائكة ، ويعبد آخرون المسيح وعزيرا ، فقال عز وجل ردا عليهم قولهم: بل ذلك كذلك ، وليس الذي سبقت لهم منا الحسنى هم عنها مبعدون ، لأنهم غير معينين بقولنا إِيَّاكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ، فأما قول الذين قالوا ذلك استثناء من قوله إِيَّاكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ فقول لا معنى له ، لأن الاستثناء إنما هو إخراج المستثنى من المستثنى منه ، ولا شك أن الذين سبقت لهم منا الحسنى إنما هم إما ملائكة وإما إنس أو جان ، وكل هؤلاء إذا ذكرتها العرب فإن أكثر ما تذكرها بمن ، لا بما ، والله تعالى ذكره إنما ذكر المعبودين الذين أخبر أنهم حَصَبُ جَهَنَّمَ بما ، قال إِيَّاكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ إنما أريد به ما كانوا يعبدونه من الأصنام والآلهة من الحجارة والخشب ، لا من كان من الملائكة والإنس ، فإذا كان ذلك كما وصفنا ، فقوله ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ ) جواب من الله للقاتلين ما ذكرنا من المشركين مبتدأ ، وأما الحسنى فإنها الفعلى < 541-18 > من الحسن ، وإنما عني بها السعادة السابقة من الله لهم .

كما حدثني يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، في قوله ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ ) قال: الحسنى: السعادة ، وقال: سبقت السعادة لأهلها من الله ، وسبق الشقاء لأهله من الله.

الهوامش:

(1) البيت شاهد على أن الكفران في قوله تعالى : ( فلا كفران لسعيه ) مصدر من قول القائل : كفرت فلانا نعمته ، فأنا أكفره كفرا وكفرانا . قال

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

في ( اللسان : كفر ) : وتقول : كفر نعمة الله ، وبنعمة الله ، كفرا وكفرانا وكفوراً .

(2) هذا جزء من بيت لم ينسبه المؤلف عند قوله تعالى : ( وهم من كل حذب ينسلون ) قال في ( اللسان : حذب ) يريد يظهرون من غليظ الأرض ومرتفعها . وقال الفراء : " من كل حذب ينسلون " : من كل أكمة ومن كل موضع مرتفع والجمع أحداب وحداب والحذب : الغلظ من الأرض في ارتفاع ، والجمع الحداب . والحذبة : ما أشرف من الأرض وغلظ وارتفع . ولا تكون الحذبة إلا في قف أو غلظ أرض . وتمور : من مار الشيء يemor مورا : تحرك وجاء وذهب ، كما تتكفأ النخلة لعيدانة .

(3) البيت للبيد أو للنابغة الجعدي ( اللسان : غسل ، ونسل ) . وغسل الذئب والثعلب يعسل عسلا وعسلانا : مضى مسرعا ، واضطرب في عدوه ، وهز رأسه . والقارب : الذي يطلب الماء ليلا ، يسير إليه مسرعا . ونسل الماشي ينسل ( كيضرب ويقتل ) نسلا ( بالتسكين والتحريك ) ونسلانا : أسرع . وأصل النسلان للذئب ، ثم استعمل في غيره .

(4) البيت من معلقة امرئ القيس بن حجر الكندي ( مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة مصطفى البابي الحلبي ص 27 ) قال : أجزنا : قطعنا . والساحة : الفناء . والخبت : أرض مطمئنة . والحقف من الرمل : المعوج ، والجمع حقاف ، ويروى " ركام " أي بعضه فوق بعض . وعقنقل : متعقد متداخل بعضه في بعض . والبيت شاهد على أن الواو في قوله : " وانتحى " : مقحمة ، يريد : فلما أجزنا ساحة الحي انتحى . وهي نظير الواو في قوله تعالى : ( حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون واقترب الوعد الحق ) . الواو في " واقترب " : مقحمة . والفعل جواب للشرط " حتى إذا فتحت " . قال الفراء في معاني القرآن ( الورقة 306 من مصورة الجامعة رقم 24059 ) : وقوله ( واقترب الوعد الحق ) معناه والله أعلم ، حتى إذا فتحت اقترب ، ودخول الواو في الجواب في " حتى إذا " بمنزلة قوله : " حتى إذا جاءوها وفتحت " . وفي قراءة عبد الله " فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية " . وفي قراءة غير واو . ومثله في الصفات " فلما أسلما وتله للجنين ناديناها " معناها : ناديناها . وقال امرؤ القيس : " فلما أجزنا . . . البيت " يريد انتحى .

(5) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن ( الورقة 307 من مصورة الجامعة ) عند قوله تعالى : ( فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ) قال : تكون هي عمادا يصلح في موضعها هو ، فتكون كقوله " إنه أنا الله العزيز " . ومثله قوله : " فإنها لا تعمي الأبصار " فجاء التأييث لأن الأبصار مؤنثة ، والتذكير للعماد . . . وإن شئت جعلت هي للأبصار ، كنييت عنها ثم أظهرت الأبصار لتفسرها ، كما قال الشاعر : لعمر أبيها . . . البيت " اه .

وعلى كلام الفراء يكون الضمير " في أبيها " مفسرًا بقوله طعيتني . ومثله الضمير " هي " في الآية " فإذا هي " مفسر بقوله " أبصار " . وقال أبو البقاء العكبري في إعراب القرآن وهو كالوجه الأول من الوجهين اللذين ذكرهما الفراء : إذا للمفاجأة ، وهي مكان . والعامل فيها شاخصة . و " هي " : ضمير القصة . و " أبصار الذين " مبتدأ وشاخصة خبره . وقال الشوكاني في فتح

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القدير ( 3 : 413 ) مبنيا للوجهين : الضمير في فإذا هي للقصة ، أو مبهم يفسره ما بعده . وإذا للمفاجأة .  
(6) هذا شطر بيت من أبيات ثلاثة وردت في الجزء الأول من هذا التفسير ص 401 عند قوله تعالى : " وهو محرم عليكم إخراجهم " . وقد بين أن الضمير " هو " فيه وجهان من التأويل ، كما قال في قوله تعالى : " فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا " ومثل قول الشاعر :

فَأَبْلَغُ أبا يَحْيَى إِذَا مَا لَقِيَتْهُ

على العيسِ في آباطِها عَرَقُ يَيْسِ

بَأَنَّ السُّلَامِيَّ الَّذِي بَصْرَبَّةٍ

أَمِيرَ الحِمَى قَدْ باعَ حَقِي بني عَبَسِ

يَتَّوَبُ وِدِينارٍ وشاةٍ وِدِرْهَمِ

فَهَلْ هُوَ مَرْفُوعٌ يَمَّا هَاهُنَا رَأْسِ

والأبيات : من شواهد الفراء في آية البقرة ولم يورد هنا إلا الشطر الثاني من البيت الثالث .  
القول في تأويل قوله تعالى : لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَتَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ (102)

يقول تعالى ذكره: لا يسمع هؤلاء الذين سبقت لهم منا الحسنى حسيس النار ، ويعني بالحسيس: الصوت والحسن.

فإن قال قائل: فكيف لا يسمعون حسيسها ، وقد علمت ما روي من أن جهنم يؤتى بها يوم القيامة فتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرّب ولا نبي مرسل إلا جثا على ركبتيه خوفا منها؟ قيل: إن الحال التي لا يسمعون فيها حسيسها هي غير تلك الحال ، بل هي الحال التي حدثني محمد بن سعد ، قال: ثني أبي ، قال: ثني عمي ، قال: ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَتَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ) يقول: لا يسمع أهل الجنة حسيس النار إذا نزلوا منزلهم من الجنة.

وقوله ( وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ) يقول: وهم فيما تشتهي نفوسهم من نعيمها ولذاتها ما كثون فيها ، لا يخافون زوالا عنها ولا انتقالا عنها.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : لا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمَكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (103)

اختلف أهل التأويل في الفرع الأكبر أي الفرع هو؟ فقال بعضهم: ذلك النار إذا أطبقت على أهلها.

ذكر من قال ذلك: حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ( لا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ > 542-18 < الْأَكْبَرُ ) قال: النار إذا أطبقت على أهلها.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال: ثني حجاج ، قال: قال ابن جريج ، قوله ( لا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ ) قال: حين يطبق جهنم ، وقال: حين ذبح الموت.

وقال آخرون: بل ذلك النفخة الآخرة.

ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن سعد ، قال: ثني أبي ، قال: ثني عمي ، قال: ثني أبي ، عن ابن عباس ، قوله ( لا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ ) يعني النفخة الآخرة.

وقال آخرون: بل ذلك حين يؤمر بالعبد إلى النار.

ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن رجل ، عن الحسن ( لا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ ) قال: انصراف العبد حين يؤمر به إلى النار.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال: ذلك عند النفخة الآخرة ، وذلك أن من لم يحزنه ذلك الفرع الأكبر وأمن منه ، فهو مما بعده أخرى أن لا يفرع ، وأن من أفرعه ذلك فغير مأمون عليه الفرع مما بعده.

وقوله ( وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ) يقول: وتستقبلهم الملائكة يهنئونهم يقولون ( هَذَا يَوْمَكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ) فيه الكرامة من الله والجاء والجزيل من الثواب على ما كنتم تنصبون في الدنيا لله في طاعته.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال ابن زيد.

حدثني يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، في قوله ( هَذَا يَوْمَكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ) قال: هذا قبل أن يدخلوا الجنة.

القول في تأويل قوله تعالى : يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (104)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره: لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ ، (يَوْمَ تَطْوِي السَّمَاءَ) فيوم صلة من يحزنهم. واختلف أهل التأويل في معنى السجّل الذي ذكره الله في هذا الموضع فقال بعضهم: هو اسم ملك من الملائكة.

ذكر من قال ذلك: حدثنا أبو كريب قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا أبو الوفاء الأشجعيّ ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، في قوله ( يَوْمَ تَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِّلِ لِلْكِتَابِ ) قال: السجّل: مَلَكٌ ، فإذا صعد بالاستغفار قال: اكتبها نورا.

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، قال: سمع السديّ يقول ، في قوله ( يَوْمَ تَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِّلِ ) قال: السجّل: ملك.

وقال آخرون: السجّل: رجل كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

ذكر من قال ذلك: حدثنا نصر بن علي ، قال : ثنا نوح بن قيس ، قال : ثنا عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس في هذه الآية ( يَوْمَ تَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِّلِ لِلْكِتَابِ ) قال: كان ابن عباس يقول: هو الرجل.

قال : ثنا نوح بن قيس ، قال : ثنا يزيد بن كعب ، عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس ، قال: السجّل: كاتب كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال آخرون: بل هو الصحيفة التي يكتب فيها.

ذكر من قال ذلك: حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال: ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( كطي السجل للكتاب ) يقول: كطي الصحيفة على الكتاب.

حدثني محمد بن سعد ، قال: ثني أبي ، قال: ثني عمي ، قال: ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( يوم تطوي السماء كطي السجل للكتاب ) يقول: كطيّ الصحف.

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن  $544-18$  مجاهد ، قال: السجّل: الصحيفة.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال: ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( يوم تطوي السماء كطي السجل للكتاب ) قال: السجل: الصحيفة.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: السجل في هذا الموضوع الصحيفة ، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب ، ولا يعرف لدينا صلى الله عليه وسلم كاتب كان اسمه السجل ، ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه.

فإن قال قائل: وكيف نطوي الصحيفة بالكتاب إن كان السجل صحيفة؟ قيل: ليس المعنى كذلك ، وإنما معناه: يوم نطوي السماء كطي السجل على ما فيه من الكتاب ، ثم جعل نطوي مصدرا ، فقيل ( كطي السجل للكتاب ) واللام في قوله للكتاب بمعنى على.

واختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار ، سوى أبي جعفر القارئ ( يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ ) بالنون ، وقرأ ذلك أبو جعفر ( يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ ) بالتاء وضمها ، على وجه ما لم يُسمِّ فاعله.

والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قراء الأمصار ، بالنون ، لإجماع الحجة من القراء عليه وشذوذ ما خالفه . وأما السَّجَلُ فإنه في قراءة جميعهم بتشديد اللام ، وأما الكتاب ، فإن قراء أهل المدينة وبعض أهل الكوفة والبصرة قرءوه بالتوحيد، كطي السجل للكتاب، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ( للكتِّبِ ) على الجماع.

وأولى القراءتين عندنا في ذلك بالصواب: قراءة من قرأه على التوحيد للكتاب ، لما ذكرنا من معناه ، فإن المراد منه: كطي السجل على ما فيه مكتوب ، فلا وجه إذ كان ذلك معناه لجميع الكتب إلا وجه تتبعه من معروف كلام العرب ، وعند قوله ( كَطَيِّ السَّجَلِ ) انقضاء الخبر عن صلة قوله لا يَخْرُجُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ ، ثم ابتداء الخبر عما الله فاعل بخلقه يومئذ فقال تعالى ذكره ( كما بدأنا أول خلق نعيده ).

فالكاف التي في قوله ( كما ) من صلة نعيد ، تقدّمت قبلها ، ومعنى الكلام: نعيد الخلق عُراة حفاة عُزْلا يوم القيامة ، كما بدأناهم أول مرّة في حال خلقناهم في بطون أممّاتهم ، على اختلاف من أهل التأويل < 545-18 > في تأويل ذلك.

وبالذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ، وبه الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلذلك اخترت القول به على غيره.

ذكر من قال ذلك والأثر الذي جاء فيه: حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى -وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أَوَّلَ خَلْقٍ تُعِيدُهُ ) قال: حفاة عُراة عُزْلا.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال: ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( أول خلق نعيده ) قال: حفاة غلغا ، قال ابن جريج أخبرني

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

إبراهيم بن ميسرة ، أنه سمع مجاهدا يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لإحدى نسائه: " يَا تُوتَى حُفَاةٌ عُرَاةٌ غُلْفَا ، فَاسْتَبْرَثَ بِكُمْ دِرْعَهَا ، وَقَالَتْ وَآ سَوَأْتَاهُ " قال ابن جريح: أخبرت أنها عائشة قالت: يا نبي الله ، لا يحتشم الناس بعضهم بعضا؟ قال: " لَكُلِّ أَمْرِي يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ " .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، قال: ثنا المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يُحْشَرُ النَّاسُ حُفَاةً عُرَاةً عُرْلًا فَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ " ثم قرأ ( كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعُدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا إسحاق بن يوسف ، قال : ثنا سفيان ، عن المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال: " وقام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة ، فذكره نحوه " .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن المغيرة بن النعمان النخعي ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال: " قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكره نحوه " .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن شعبة ، قال : ثنا المغيرة بن النعمان النخعي ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، نحوه .

حدثنا عيسى بن يوسف بن الطباع أبو يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن > 18- 546 < عمرو بن دينار ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال: " إنكم مُلأفُو اللّهِ مُشَاةً عُرْلًا " .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن عائشة ، قالت: " دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي عجوز من بني عامر ، فقال: مَنْ هَذِهِ الْعَجُوزُ يَا عَائِشَةُ؟ فقلت: إحدى خالاتي ، فقالت: ادع الله أن يدخلني الجنة ، فقال: إِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا الْعَجْزَةُ ، قالت: فَأَخَذَ الْعَجُوزُ مَا أَخَذَهَا ، فقال: إِنَّ اللَّهَ يُنْشِئُهُنَّ خَلْقًا غَيْرَ خَلْقِهِنَّ ، ثم قال: يُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُلْفَا ، فقالت: حاش لله من ذلك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بَلَى إِنَّ اللَّهَ قَالَ: ( كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعُدًّا عَلَيْنَا ) ... إلى آخر الآية ، فَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ " .

حدثني محمد بن عمارة الأسدي ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عطاء ، عن عقبة بن عامر الجهني ، قال: يجمع الناس في صعيد واحد ينفذهم البصر ، وبسمعهم الداعي ، حفاة عراة ، كما خلقوا أول يوم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال: ثنا عباد بن العوام ، عن هلال بن حبان ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

عليه وسلم قال: " يحشر الناس يوم القيامة حُفاة عراة مشاة غرلا قلت: يا أبا عبد الله ما الغرل؟ قال: الغلف ، فقال بعض أزواجه: يا رسول الله ، أينظر بعضنا إلى بعض إلى عورته؟ فقال لِكُلِّ امْرِئٍ يَوْمَئِذٍ ما يَشْغَلُهُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى عَوْرَةِ أَخِيهِ" ، قال هلال: قال سعيد بن جبير وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ قال: كيوم ولدته أمه ، يردُّ عليه كل شيء انتقص منه مثل يوم وُلد.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: كما كنا ولا شيء غيرنا قبل أن نخلق شيئا ، كذلك نهلك الأشياء فنعيدها فانية ، حتى لا يكون شيء سوانا.

ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن سعد ، قال: ثني أبي ، قال: ثني عمي ، قال: ثني أبي ، عن ابن عباس ( كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ) . . . الآية ، قال: نهلك كل شيء كما كان أول مرة. وقوله ( وَعَدَّا عَلَيْنَا ) > 18-547 يقول: وعدناكم ذلك وعدا حقا علينا أن نوفي بما وعدنا ، إنا كنا فاعلي ما وعدناكم من ذلك أيها الناس ، لأنه قد سبق في حكمنا وقضائنا أن نفعله ، على يقين بأن ذلك كائن ، واستعدوا وتأهبوا.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (105)

اختلف أهل التأويل في المعنيِّ بالزُّبور والذكر في هذا الموضع ، فقال بعضهم: عُني بالزُّبور: كتب الأنبياء كلها التي أنزلها الله عليهم ، وعُني بالذكر: أم الكتاب التي عنده في السماء.

ذكر من قال ذلك: حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرمليّ ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، قال: سألت سعيدا ، عن قول الله ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ) قال: الذكر: الذي في السماء.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ ) قال: قرأها الأعمش: (الزُّبُر) قال: الزبور ، والتوراة ، والإنجيل ، والقرآن ، ( مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ) قال: الذكر الذي في السماء.

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( الزُّبُورِ ) قال: الكتاب ، ( مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ) قال: أم الكتاب عند الله.

\* حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال: ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، قوله ( الزبور ) قال: الكتاب ، ( بعد الذكر ) قال: أم الكتاب عند الله.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ ) قال: الزبور: الكتب التي أنزلت على الأنبياء ، والذكر: أم الكتاب الذي تكتب فيه الأشياء قبل ذلك.

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن سعيد ، في قوله > 548-18 < ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ) قال: كتبنا في القرآن من بعد التوراة.

وقال آخرون: بل عني بالزبور: الكتب التي أنزلها الله على مَنْ بعد موسى من الأنبياء ، وبالذكر: التوراة.

\*ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن سعد ، قال: ثني أبي ، قال: ثني عمي ، قال: ثني أبي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ) ... الآية ، قال: الذكر: التوراة ، والزبور: الكتب.

حدثنا عن الحسين ، قال: سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال: سمعت الضحاک يقول ، في قوله ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ) ... الآية ، قال: الذكر: التوراة ، ويعني بالزبور من بعد التوراة: الكتب.

وقال آخرون: بل عني بالزبور زبور داود ، وبالذكر توراة موسى صلى الله عليهما.

ذكر من قال ذلك: حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عامر أنه قال في هذه الآية ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ) قال: زبور داود ، من بعد الذكر: ذكر موسى التوراة.

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن داود ، عن الشعبي ، أنه قال في هذه الآية ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ) قال: في زبور داود ، من بعد ذكر موسى.

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب في ذلك ما قاله سعيد بن جبير ومجاهد ومن قال بقولهما في ذلك ، من أن معناه: ولقد كتبنا في الكتب من بعد أم الكتاب الذي كتب الله كل ما هو كائن فيه قبل خلق السماوات والأرض ، وذلك أن الزبور هو الكتاب ، يقال منه: زبرت الكتاب ودبرته (1) : إذا كتبه ، وأن كل كتاب أنزله الله إلى نبيٍّ من أنبيائه ، فهو ذكر . فإذا كان ذلك كذلك ، فإن في إدخاله الألف واللام في الذكر ، الدلالة البيّنة أنه معنيٌّ به ذكر بعينه معلوم عند المخاطبين بالآية ، ولو كان ذلك غير أم الكتاب التي ذكرنا لم تكن التوراة > 549-18 < بأولى من أن تكون المعنية بذلك من صحف إبراهيم ، فقد كان قبل زبور داود.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فتأويل الكلام إذن ، إذ كان ذلك كما وصفنا: ولقد قضينا ، فأثبتنا قضاءنا في الكتب من بعد أم الكتاب ، أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ، يعني بذلك: أن أرض الجنة يرثها عبادي العاملون بطاعته ، المنتهون إلى أمره ونهيه من عباده ، دون العاملين بمعصيته منهم المؤثرين طاعة الشيطان على طاعته.

ذكر من قال ذلك: حدثنا محمد بن عبد الله الهلالي ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى القنّات ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قوله ( أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ) قال: أرض الجنة.

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال: ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس قوله ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ) قال: أخبر سبحانه في التوراة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون السماوات والأرض ، أن يورث أمة محمد صلى الله عليه وسلم الأرض، ويُدخلهم الجنة ، وهم الصالحون.

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير في قوله ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ) قال: كتبنا في القرآن بعد التوراة ، والأرض أرض الجنة.

حدثني عليّ بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ( أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ) قال: الأرض الجنة.

حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرمليّ ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، قال: سألت سعيدا عن قول الله ( أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ) قال: أرض الجنة.

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( أَنَّ الْأَرْضَ ) قال: الجنة ، ( يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال: ثني حجاج ، عن ابن جريج ، > 18- 550 < عن مجاهد ، مثله.

حدثني يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، في قوله ( أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ) قال: الجنة ، وقرأ قول الله جل ثناؤه وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَبَّوْا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَسَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ قال: فالجنة مبتدؤها في الأرض ثم تذهب درجات علوا ، والنار مبتدؤها في الأرض ، وبينهما حجاب سور ما يدرى أحد ما ذاك السور ، وقرأ

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

بَابُ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ قَالَ: ودرجها تذهب سفلا في الأرض ، ودرج الجنة تذهب علوا في السماوات.

حدثنا محمد بن عوف ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا صفوان ، سألت عامر بن عبد الله أبا اليمان: هل لأنفس المؤمنين مجتمع (2) ؟ قال: فقال: إن الأرض التي يقول الله ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ) قال: هي الأرض التي تجتمع إليها أرواح المؤمنين حتى يكون البعث.

وقال آخرون: هي الأرض يورثها الله المؤمنين في الدنيا.

وقال آخرون: عني بذلك بنو إسرائيل ، وذلك أن الله وعدهم ذلك فوفى لهم به.

واستشهد لقوله ذلك بقوله الله وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَقَدْ ذَكَرْنَا قَوْلَ مَنْ قَالَ ( أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ) أنها أرض الأمم الكافرة ، ترثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو قول ابن عباس الذي روى عنه علي بن أبي طلحة.

القول في تأويل قوله تعالى : إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ (106) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (107)

يقول تعالى ذكره: إن في هذا القرآن الذي أنزلناه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لبلاغا لمن عبد الله بما فيه من الفرائض التي فرضها الله إلى رضوانه ، وإدراك الطلبة عنده

< 18-551 >

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك: حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن الجريري ، عن أبي الورد بن ثمامة ، عن أبي محمد الحضرمي ، قال : ثنا كعب في هذا المسجد ، قال: والذي نفس كعب بيده ، إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين ، إنهم لأهل، أو أصحاب الصلوات الخمس ، سماهم الله عابدين.

حدثنا الحسين بن يزيد الطحان ، قال : ثنا ابن علية ، عن سعيد بن إياس الجريري ، عن أبي الورد عن كعب ، في قوله ( إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ) قال: صوم شهر رمضان ، وصلاة الخمس ، قال: هي ملء اليدين والبحر عبادة.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن الحسين ، عن  
الجريري ، قال: قال كعب الأحبار ( إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ) : لأمة  
محمد.

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال: ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن  
عباس ، قوله ( إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ) يقول: عاملين.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال: ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله  
إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ قال: يقولون في هذه السورة لبلاغا.

ويقول آخرون: في القرآن تنزيل لفرائض الصلوات الخمس ، من أداها كان  
بلاغا لقوم عابدين ، قال: عاملين.

حدثنا يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، في قوله ( إِنَّ فِي هَذَا  
لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ) قال: إن في هذا لمنفعة وعلما لقوم عابدين ، ذاك  
البلاغ.

وقوله ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى  
الله عليه وسلم: وما أرسلناك يا محمد إلى خلقنا إلا رحمة لمن أرسلناك إليه  
من خلقي.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى هذه الآية ، أجمع العالم الذي أرسل إليهم  
محمد أريد بها مؤمنهم وكافرهم؟ أم أريد بها أهل الإيمان خاصة دون أهل  
الكفر؟ < 552-18 > فقال بعضهم: عني بها جميع العالم المؤمن والكافر.

ذكر من قال ذلك: حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا إسحاق بن يوسف  
الأزرق ، عن المسعودي ، عن رجل يقال له سعيد ، عن سعيد بن جبير ،  
عن ابن عباس ، في قول الله في كتابه ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ )  
قال: من آمن بالله واليوم الآخر كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة ، ومن لم  
يؤمن بالله ورسوله ، عوفي مما أصاب الأمم من الخسف والقذف.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن  
المسعودي ، عن أبي سعيد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في  
قوله ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ) قال: تمت الرحمة لمن آمن به في  
الدنيا والآخرة ، ومن لم يؤمن به عوفي مما أصاب الأمم قبل.

وقال آخرون: بل أريد بها أهل الإيمان دون أهل الكفر.

\*ذكر من قال ذلك: حدثني يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد  
، في قوله ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ) قال: العالمون: من آمن به  
وصدقه ، قال وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لِّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ قال: فهو لهؤلاء

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فتنة ولهؤلاء رحمة ، وقد جاء الأمر مجملا رحمة للعالمين ، والعالمون ههنا: من آمن به وصدقته وأطاعه.

وأولى القولين في ذلك بالصواب .القول الذي رُوِيَ عن ابن عباس ، وهو أن الله أرسل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع العالم ، مؤمنهم وكافرهم . فاما مؤمنهم فإن الله هداه به ، وأدخله بالإيمان به ، وبالعامل بما جاء من عند الله الجنة. وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذبة رسلها من قبله.

القول في تأويل قوله تعالى : قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أُنْتُمْ مُسْلِمُونَ (108)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد: ما يوحى إلي ربي إلا الله لا إله لكم يجوز أن يُعبد إلا إله واحد ، لا تصلح العبادة إلا له ، < 553-18 > ولا ينبغي ذلك لغيره.

يقول: فهل أنتم مدعون له أيها المشركون العابدون الأوثان والأصنام بالخضوع لذلك ، ومبتدئون من عبادة ما دونه من الهتكم؟.

القول في تأويل قوله تعالى : فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ (109)

يقول تعالى ذكره: فإن أدبر هؤلاء المشركون يا محمد عن الإقرار بالإيمان ، بأن لا إله لهم إلا إله واحد ، فأعرضوا عنه ، وأبوا الإجابة إليه ، فقل لهم ( قد آذنتكم على سواء ) يقول: أعلمهم أنك وهم على علم من أن بعضكم لبعض حرب ، لا صلح بينكم ولا سلم.

وإنما عني بذلك قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش.

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال: ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ) فإن تولوا ، يعنى قريشا.

وقوله ( وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ) يقول تعالى ذكره لنبيه: قل وما أدري متى الوقت الذي يحل بكم عقاب الله الذي وعدكم ، فينتقم به منكم ، أقرب نزوله بكم أم بعيد؟

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال: ثني حجاج ، عن ابن جريج ( وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ) قال: الأجل.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى: **إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ** (110) **وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ** (111)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء المشركين ، **< 554-18 >** إن الله يعلم الجهر الذي يجهرون به من القول ، ويعلم ما تخفونه فلا تجهرون به ، سواء عنده خفيه وظاهره وسره وعلانيته ، إنه لا يخفى عليه منه شيء ، فإن آخر عنكم عقابه على ما تخفون من الشرك به أو تجهرون به ، فما أدري ما السبب الذي من أجله يؤخر ذلك عنكم؟ لعل تأخيره ذلك عنكم مع وعده إياكم لفتنة يريد بها بكم ، ولتتمتعوا بحياتكم إلى أجل قد جعله لكم تبلغونه ، ثم ينزل بكم حينئذ نقمته.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال: ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ( **وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ** ) يقول: لعل ما أقرب لكم من العذاب والساعة ، أن يؤخر عنكم لمدتكم ، ومتاع إلى حين ، فيصير قولي ذلك لكم فتنة.

القول في تأويل قوله تعالى: **قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ** (112)

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد: يا رب افصل بيني وبين من كذبني من مشركي قومي وكفر بك ، وعبد غيرك ، بإحلال عذابك ونقمته بهم ، وذلك هو الحق الذي أمر الله تعالى نبيه أن يسأل ربه الحكم به ، وهو نظير قوله **جَلَّ ثَنَاؤُهُ رَبُّنَا أَفْتَحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ**

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال: ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال: قال ابن عباس ( **قال رب احكم بالحق** ) قال: لا يحكم بالحق إلا الله ، ولكن إنما استعجل بذلك في الدنيا ، يسأل ربه على قومه.

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة: أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان إذا شهد قتالا قال ( **رب احكم بالحق** ) .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار ( **قُلْ رَبِّ احْكُم** ) بكسر الباء ، ووصل الألف ألف احكم ، على وجه الدعاء والمسألة ، **< 555 >** سوى أبي جعفر ، فإنه ضم الباء من الرب ، على وجه نداء المفرد ، وغير الضحاك بن مزاحم ، فإنه روي عنه أنه كان يقرأ ذلك: ( **رَبِّي احْكُم** ) على



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وجه الخبر بأن الله أحكم بالحق من كل حاكم ، فيثبت الياء في الرب ،  
ويهمز الألف من أحكم ، ويرفع أحكم على أنه خبر للرب تبارك وتعالى:

والصواب من القراءة عندنا في ذلك: وصل الباء من الرب وكسرهما باحكم ،  
وترك قطع الألف من احكم، على ما عليه قراء الأمصار ، لإجماع الحجة من  
القراء عليه وشذوذ ما خالفه . وأما الضحاك فإن في القراءة التي ذكرت عنه  
زيادة حرف على خط المصاحف ، ولا ينبغي أن يزداد ذلك فيها ، مع صحة  
معنى القراءة بترك زيادته ، وقد زعم بعضهم أن معنى قوله ( رب احكم  
بالحق ) قل: رب احكم بحكمك الحق ، ثم حذف الحكم الذي الحق نعت له،  
وأقيم الحق مقامه ، ولذلك وجه ، غير أن الذي قلناه أوضح وأشبه بما قاله  
أهل التأويل ، فلذلك اخترناه.

وقوله ( وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ) يقول جل ثناؤه: وقل يا  
محمد: وربنا الذي يرحم عباده ويعمهم بنعمته ، الذي أستعينه عليكم فيما  
تقولون وتصفون من قولكم لي فيما أتيتكم به من عند الله هل هذا إلا  
بشر مثلكم أفتأثون السحرة وأنتم تبصرون . وقولكم بل افتراه بل هو شاعر  
وفي كذبكم على الله جل ثناؤه وقيلكم اتخذ الرحمن ولدا فإنه هين عليه  
تغيير ذلك، وفصل ما بيني وبينكم بتعجيل العقوبة لكم على ما تصفون من  
ذلك .

آخر تفسير سورة الأنبياء عليهم السلام

< 18-556 >

الهوامش:

- (1) ( في اللسان : ذبر ) : الذبر : الكتابة ، مثل الزبر . ذبر الكتاب يذبره  
( كنصره ) ويذبره ( كيضره ) ذبرا ، وذبره ( بالتضعيف ) كلاهما : كتبه ، نقطه  
. وقيل : قرأه قراءة خفيفة ، بلغة هذيل .
- (2) الأصل : هل لأنفس المؤمنين مجتمع ؟ والصواب : ما أثبتناه . < 18-557 >

<

تفسير سورة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى : يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ  
شَيْءٌ عَظِيمٌ (1) يَوْمَ تَرُوتُهَا تَدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ  
حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (2)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: يا أيها الناس احذروا عقاب ربكم بطاعته فأطيعوه ولا تعصوه، فإن عقابه لمن عاقبه يوم القيامة شديد.

ثم وصف جل ثناؤه هول أشراف ذلك اليوم وبدوه، فقال: (إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ).

واختلف أهل العلم في وقت كون الزلزلة التي وصفها جل ثناؤه بالشدة، فقال بعضهم: هي كائنة في الدنيا قبل يوم القيامة.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، في قوله (إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) قال: قبل الساعة.

حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال: ثنا محمد بن الصلت، قال: ثنا أبو كدينة، عن عطاء، عن عامر (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) قال: هذا في الدنيا قبل يوم القيامة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج في قوله (إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ) فقال: زلزلتها: أشرافها. الآيات (يَوْمَ تَرُوتُهَا تَدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى).

< 18-558 >

حدثنا ابن حميد: ثنا جرير، عن عطاء، عن عامر (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) قال: هذا في الدنيا من آيات الساعة.

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو ما قال هؤلاء خبر في إسناده نظر (1)، وذلك ما: حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن إسماعيل بن رافع المدني، عن يزيد بن أبي زياد، عن رجل من الأنصار، عن محمد بن كعب القرظي، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَمَّا قَرَعَ اللَّهُ مِنَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، خَلَقَ الصُّورَ فَأَعْطَاهُ إِسْرَافِيلَ، فَهَوَّ وَاضِعُهُ عَلَى فِيهِ، شَاخِصٌ بِبَصَرِهِ إِلَى الْعَرْشِ، يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الصُّورُ؟ قَالَ: وَكَيْفَ هُوَ؟ قَالَ: قَرْنٌ عَظِيمٌ يُنْفَخُ فِيهِ ثَلَاثُ نَفَخَاتٍ: الْأُولَى: نَفْحَةُ الْقَرَعِ، وَالثَّانِيَةُ: نَفْحَةُ الصَّعْقِ، وَالثَّالِثَةُ: نَفْحَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. يَأْمُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِسْرَافِيلَ بِالنَّفْحَةِ الْأُولَى، فَيَقُولُ: انْفُخْ نَفْحَةَ الْقَرَعِ، فَيَفْرِغُ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَيَأْمُرُهُ اللَّهُ فَيُدِيمُهَا وَيُطَوِّلُهَا، فَلَا يَفْتَرُ، وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ وَمَا يَنْتَظِرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ قَوَاقٍ فَيَسِيرُ اللَّهُ الْجِبَالَ فَتَكُونُ سَرَابًا، وَتُرْجُ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا رَجًّا، وَهِيَ

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ \* تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ \* قُلُوبٌ بَيُومِئِذٍ وَاجِفَةٌ  
فَتَكُونُ الْأَرْضُ كَالسَّفِينَةِ الْمُوقِفَةِ فِي الْبَحْرِ تَضْرِبُهَا الْأَمْوَاجُ نُكْفًا بِأَهْلِهَا، أَوْ  
كَالْقَنْدِيلِ الْمُعَلَّقِ بِالْعَرْشِ تَرْجُحُهُ الْأَرْوَاحُ فَتَمِيدُ النَّاسُ عَلَى ظَهْرِهَا، فَتَذْهَلُ  
الْمَرَاضِعُ، وَتَصَعُّ الْحَوَامِلُ، وَتَشِيْبُ الْوِلْدَانُ، وَتَطِيرُ الشَّيَاطِينُ هَارِبَةً حَتَّى تَأْتِيَ  
الْأَفْطَارَ، فَتَلْقَاهَا الْمَلَائِكَةُ فَتَضْرِبُ وُجُوهَهَا، فَتَرْجِعُ وَيُؤَلِّي النَّاسُ مُذِيرِينَ يُنَادِي  
بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ النَّادِ \* يَوْمَ تُؤَلَوْنَ مُذِيرِينَ مَا لَكُمْ  
مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ، فَبَيِّنَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ،  
إِذْ تَصَدَّعَتِ الْأَرْضُ مِنْ قَطْرِ إِلَى قَطْرِ، فَرَأَوْا أَمْرًا عَظِيمًا، وَأَخَذَهُمْ لِيْلِكَ مِنْ  
الْكَرْبِ مَا اللَّهُ أَعْلَمُ بِهِ، ثُمَّ تَطَرَّوْا إِلَى السَّمَاءِ قَائِدًا هِيَ كَالْمِهْلِ، ثُمَّ حُسِيفَ  
سَمْسُهَا وَحُسِيفَ قَمَرُهَا وَاسْتَرَّتْ > 18-559 < نُجُومُهَا، ثُمَّ كُشِطَتْ عَنْهُمْ. قَالَ  
رسول الله صلى الله عليه وسلم: وَالْأَمْوَاطُ لَا يَعْلَمُونَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ  
أَبُو هُرَيْرَةَ: فَمَنْ اسْتَنْبَى اللَّهُ حِينَ يَقُولُ قَفَزَعٌ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي  
الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ قَالَ: أُولَئِكَ الشُّهَدَاءُ، وَإِنَّمَا يَصِلُ الْقَرْعُ إِلَى الْأَحْيَاءِ ،  
أُولَئِكَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ، وَقَاهُمْ اللَّهُ قَرْعَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَأَمْتَهُمْ، وَهُوَ  
عَذَابٌ لِلَّهِ يَبْعَثُهُ عَلَى شَرَارِ خَلْقِهِ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ  
إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ) ... إِلَى قَوْلِهِ ( وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ) .

وهذا القول الذي ذكرناه عن علقمة والشعبي ومن ذكرنا ذلك عنه، قول لولا  
مجيء الصحاح من الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلافه،  
ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بمعاني وحي الله وتنزيله.

والصواب من القول في ذلك ما صح به الخبر عنه.

\*ذكر الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا: حدثني أحمد بن  
المقدام، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت أبي يحدث عن قتادة، عن  
صاحب له حدثه، عن عمران بن حصين، قال: بينما رسول الله صلى الله عليه  
وسلم في بعض مغازبه وقد فاوت السير بأصحابه، إذ نادى رسول الله صلى  
الله عليه وسلم بهذه الآية ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ  
عَظِيمٌ ) . قال: فحنوا المِطِيَّ، حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قال " هَلْ تَذَرُونَ أَيَّ يَوْمٍ ذَلِكَ؟ قالوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: ذَلِكَ يَوْمَ  
يُنَادَى آدَمُ، يُنَادِيهِ رَبُّهُ: اْبْعَثْ بَعَثَ النَّارِ، مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ  
إِلَى النَّارِ ، قال: فأبلس القوم، فما وضح منهم ضاحك، فقال النبي صلى الله  
عليه وسلم: أَلَا أَعْمَلُوا وَأَبْشَرُوا، فَإِنَّ مَعَكُمْ خَلِيقَتَيْنِ مَا كَانَتْ فِي قَوْمٍ إِلَّا  
كَتَرْتَاهُ، فَمَنْ هَلَكَ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَمَنْ هَلَكَ مِنْ بَنِي إِبْلِيسَ وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ.  
قال: أبشروا، مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّامَةِ فِي جَنْبِ الْبَعِيرِ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي  
جَنَاحِ الدَّابَّةِ ."

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا يحيى بن سعيد، قال: ثنا هشام بن أبي > 18-  
560 < عبد الله، عن قتادة، عن الحسن، عن عمران بن حصين، عن النبي  
صلى الله عليه وسلم. وحدثنا ابن بشار، قال: ثنا معاذ بن هشام، قال: ثنا أبي،

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وحدثنا ابن أبي عدي، عن هشام جميعا، عن قتادة، عن الحسن، عن عمران بن حصين، عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا محمد بن بشر، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن العلاء بن زياد عن عمران، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بنحوه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا عوف، عن الحسن، قال: " بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قفل من غزوة العُسرة، ومعه أصحابه، بعد ما شارف المدينة، قرأ ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ رَبَّكَ السَّاعَةَ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا ... الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أَتَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ دَأَكُمُ ؟ قيل: الله ورسوله أعلم. فذكر نحوه، إلا أنه زاد: وَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ رَسُولًا إِلَّا كَانَ بَيْنَهُمَا قَتْرَةٌ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ، فَهُمْ أَهْلُ النَّارِ وَهَؤُلَاءِ بَيْنَ ظَهْرَانِي خَلِيقَتَيْنِ لَا يَعَادُهُمَا أَحَدٌ مِنَ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا كَثُرُوا، وَهُمْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ، وَهُمْ أَهْلُ النَّارِ، وَتَكْمُلُ الْعِدَّةُ مِنَ الْمُتَأَفِّقِينَ ".

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن جده، عن الأعمش، عن أبي صالح عن أبي سعيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يُقَالُ لِأَدَمَ: أَخْرَجَ بَعَثَ النَّارَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَمَا بَعَثَ النَّارَ؟ فَيَقُولُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ. فَعِنْدَ ذَلِكَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا ، وَبَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ . قال: فُلْنَا قَائِلِينَ النَّاجِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَتَيْتُمْوَا، فَإِنَّ وَاحِدًا مِنْكُمْ وَأَلْفًا مِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ . ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا وَحَمَدْنَا اللَّهَ. ثُمَّ قَالَ: " إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا وَحَمَدْنَا اللَّهَ. ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنَّمَا مَثَلُكُمْ فِي النَّاسِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثُّورِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ السُّودَاءِ فِي الثُّورِ الْأَبْيَضِ ".

< 18-561 >

حدثنا أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يَقُولُ اللَّهُ لِأَدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " ثم ذكر نحوه.

حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي، قال: ثنا يحيى بن عيسى، عن الأعمش، عن أبي صالح عن أبي سعيد، قال: " ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الحشر، قال: يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا أَدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْحَيْرُ بِيَدَيْكَ فَيَقُولُ: ابْعَثْ بَعَثًا إِلَى النَّارِ ". ثم ذكر نحوه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن أنس قال: " نزلت ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ رَبَّكَ السَّاعَةَ شَيْءٌ عَظِيمٌ ) ... حتى إلى ( عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ) ... الآية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مسير، فرجع بها صوته، حتى تاب إليه أصحابه، فقال: " أَتَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

هَذَا؟ هَذَا يَوْمَ يَقُولُ اللَّهُ لَأَدَمَ: يَا آدَمُ فَمَ قَابَعَتْ بَعَثَ النَّارَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ! " فكبر ذلك علي المسلمين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، قَوْلِ الَّذِي تَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّامَةِ فِي جَنْبِ الْعَبِيرِ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي زِرَاعِ الدَّابَّةِ، وَإِنَّ مَعَكُمْ لَخَلِيقَتَيْنِ مَا كَانَتْمَا فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا كَثْرَتَاهُ: يَأْجُوحُ وَمَأْجُوحُ، وَمَنْ هَلَكَ مِنْ كَفَرَةِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ".

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال ابن ثور، عن معمر، عن إسحاق، عن عمرو بن ميمون، قال: دخلت على ابن مسعود بيت المال، فقال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْنَا نَعَمْ، قَالَ: أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْنَا نَعَمْ، قَالَ: أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا سَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَسَاحِيزُكُمْ عَنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَإِنَّ قَلَّةَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْكُفَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي النَّوْرِ الْأَبْيَضِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي النَّوْرِ الْأَسْوَدِ ".

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله > 18-562 < ( إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ) قال: هذا يوم القيامة.

والزلزلة مصدر من قول القائل: زلزلت بفلان الأرض أزلزلها زلزلة وزلزالا بكسر الزاي من الزلزال، كما قال الله إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وكذلك المصدر من كل سليم من الأفعال إذا جاءت على فعلان فبكسر أوله، مثل وسوس وسوسة ووسواسا، فإذا كان اسما كان بفتح أوله الزلزال والوسواس، وهو ما وسوس إلى الإنسان، كما قال الشاعر:

يَعْرِفُ الْجَاهِلُ الْمُضَلَّلُ أَنَّ الدَّ

هُرَّ فِيهِ التَّكْرَأُ وَالزَّلْزَالُ (2)

وقوله تعالى ( يَوْمَ تَرَوْهَا ) يقول جل ثناؤه: يوم ترون أيها الناس زلزلة الساعة تذهل من عظمها كل مرضعة مولود عما أرضعت، ويعني بقوله ( تَذْهَلُ ) تنسى وتترك من شدة كربها، يقال: ذهلت عن كذا أذهل عنه ذهولا وذهلت أيضا، وهي قليلة، والفصيح: الفتح في الهاء، فأما في المستقبل فالهاء مفتوحة في اللغتين، لم يسمع غير ذلك، ومنه قول الشاعر:

صَحَا قَلْبُهُ يَا عَزَّ أَوْ كَادَ يَذْهَلُ (3)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فأما إذا أريد أن الهول أنساه وسلاه، قلت: أذهله هذا الأمر عن كذا يُذهله إذْهالا. وفي إثبات الهاء في قوله (كُلُّ مُرْضِعَةٍ) اختلاف بين أهل العربية وكان بعض نحويي الكوفيين يقول: إذا أثبتت الهاء في المرضعة فإنما يراد أم الصبي المرضع، وإذا أسقطت فإنه يراد المرأة التي معها صبيّ ترضعه، لأنه أريد الفعل بها. قالوا: ولو أريد بها الصفة فيما يرى لقال مُرْضِع. قال: وكذلك كل مُفْعِل أو فاعل يكون للأشئ ولا يكون للذكر، فهو بغير هاء، نحو: مُقْرَب، ومُوقِر، ومُشْدَن، وحامل، وحائض. (4)

قال أبو جعفر: وهذا القول عندي أولى بالصواب في ذلك، لأن العرب من شأنها إسقاط هاء التانيث من كل فاعل ومفعل إذا وصفوا المؤنث به، ولو لم يكن للمذكر فيه حظ، فإذا أرادوا الخبر عنها أنها ستفعله ولم تفعله، أثبتوا هاء التانيث ليفرقوا بين الصفة والفعل. منه قول الأعشى فيما هو واقع ولم يكن وقع قبل:

أيا جارتا بيني فأئك طالقة

كذاك أُمُورُ الناسِ غادٍ وطارقة (5)

وأما فيما هو صفة، نحو قول امرئ القيس:

< 18-564 >

فمثلك حُبلى قد طرقت ومُرضِع

فألهيئها عن ذي تَمائمٍ مُحول (6)

وربما أثبتوا الهاء في الحالتين وربما أسقطوهما فيهما، غير أن الفصح من كلامهم ما وصفت.

فتأويل الكلام إذن: يوم ترون أيتها الناس زلزلة الساعة، تنسى وتترك كل والدة مولود ترضع ولدها عما أرضعت.

كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (يَوْمَ تَرُوتُهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ) قال: تترك ولدها للكرب الذي نزل بها.

حدثنا القايسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي بكر، عن الحسن (تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ) قال: ذهلت عن أولادها بغير فطام (وَتَصَعُّ

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمَلَهَا ( قال: ألقت الحوامل ما في بطونها لغير تمام، ( وَتَصَعُّ كَلِّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمَلَهَا ) يقول: وتسقط كل حامل من شدة كرب ذلك حملها.

وقوله ( وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى ) قرأت قرءاء الأمصار ( وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى ) على وجه الخطاب للواحد، كأنه قال: وترى يا محمد الناس حينئذ سُكَارَى وما هم بسُكَارَى. وقد رُوِيَ عن أبي رُزْعة بن عمرو بن جرير < 565-18 > ( وَتَرَى النَّاسَ ) بضم التاء ونصب الناس، من قول القائل: أَرَيْتَ تُرَى، التي تطلب الاسم والفعل (7)، كظنِّ وأخواتها.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قرءاء الأمصار، لإجماع الحجة من القرءاء.

واختلف القرءاء في قراءة قوله ( سُكَارَى ) فقرأ ذلك عامة قرءاء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة ( سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ) . وقرأته عامة قرءاء أهل الكوفة ( وَتَرَى النَّاسَ سَكَرَى وَمَا هُمْ بِسَكَرَى ) .

والصواب من القول في ذلك عندنا، أنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار، متقاربتا المعنى، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب الصواب، ومعنى الكلام: وترى الناس يا محمد من عظيم ما نزل بهم من الكرب وشدته سُكَارَى من الفرع وما هم بسُكَارَى من شرب الخمر.

وينحو الذي قلنا في ذلك : قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك: حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي بكر، عن الحسن ( وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى ) من الخوف ( وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ) من الشراب.

قال ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله ( وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ) قال: ما هم بسُكَارَى من الشراب، ( وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ) .

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ) قال: ما شربوا خمرا يقول تعالى ذكره: ( وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ) يقول تعالى ذكره: ولكنهم صاروا سُكَارَى من خوف عذاب الله عند معاينتهم ما عاينوا من كرب ذلك وعظيم هوله، مع علمهم بشدة عذاب الله.

القول في تأويل قوله تعالى : وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ (3)



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ذكر أن هذه الآية نزلت في النصر بن الحارث.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج ( وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ) قال: النصر بن الحارث (8). ويعني بقوله ( مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ) من يخاصم في الله، فيزعم أن الله غير قادر على إحياء من قد بلي وصار ترابا، بغير علم يعلمه، بل بجهل منه بما يقول. (وَيَتَّبِعُ ) في قوله ذلك وجداله في الله بغير علم ( كُلُّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ) .

القول في تأويل قوله تعالى : كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (4)

يقول تعالى ذكره: قضي على الشيطان، فمعنى (كُتِبَ) ههنا قُضِيَ، والهاء التي في قوله عليه من ذكر الشيطان.

كما حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر عن قتادة ( كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ ) قال: كُتِبَ على الشيطان، أنه من اتبع الشيطان من خلق الله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله ( كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ ) قال: الشيطان اتبعه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ( أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ ) ، قال: اتبعه.

وقوله ( فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ ) يقول: فإن الشيطان يضلّه، يعني: يضل من تولاّه. والهاء التي في " يضلّه عائدة على " من " التي في قوله ( مَنْ تَوَلَّاهُ ) وتأويل الكلام: قضي على الشيطان أنه يضل أتباعه ولا يهديهم إلى الحق.

وقوله ( وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ) يقول: وَيَسُوقُ مَنِ اتَّبَعَهُ إِلَى عَذَابِ جَهَنَّمَ الموقدة، وسياقه إياه إليه بدعائه إلى طاعته ومعصية < 567-18 > الرحمن، فذلك هدايته من تبعه إلى عذاب جهنم.

القول في تأويل قوله تعالى : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ اللَّيْلِ فَانظُرُوا حَلْفَتَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْقَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُصْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَعَيْرٍ مُّخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّكُمْ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَسَاءٌ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِنَبْلُغُنَّ أَشَدَّكُمْ

وهذا احتجاج من الله على الذي أخبر عنه من الناس أنه يجادل في الله بغير علم، اتبعا منه للشيطان المرید ، وتنبه له على موضع خطأ قوله، وإنكاره

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ما أنكر من قدرة ربه. قال: يا أيها الناس إن كنتم في شكٍّ من قدرتنا على بعثكم من قبوركم بعد مماتكم وبلاككم استعظاما منكم لذلك، فإن في ابتدائنا خلق أبيكم آدم صلى الله عليه وسلم من تراب ثم إنشائناكم من نطفة آدم ، ثم تصريفناكم أحوالا حالا بعد حال، من نطفة إلى علقة، ثم من علقة إلى مضغة، لكم معتبرا ومتعظا تعتبرون به، فتعلمون أن من قدر على ذلك فغير متعذر عليه إعادتكم بعد فنائكم كما كنتم أحياء قبل الفناء.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله مخلقة وغير مخلقة، فقال بعضهم: هي من صفة النطفة. قال: ومعنى ذلك: فإننا خلقناكم من تراب، ثم من نطفة مخلقة وغير مخلقة قالوا: فأما المخلقة فما كان خلقا سَوِيًّا وأما غير مخلقة، فما دفعته الأرحام ، من النطفة ، وألقته قبل أن يكون خلقا.

ذكر من قال ذلك: حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو معاوية، عن داود بن أبي هند، عن عامر، عن علقمة، عن عبد الله، قال: إذا وقعت النطفة في الرحم، بعث الله ملكا فقال: يا ربِّ مخلقة ، أو غير مخلقة؟ فإن قال: غير مخلقة، مجَّتها الأرحام دما، وإن قال: مخلقة، قال: يا ربِّ فما صفة هذه النطفة ، أذكر أم أنثى؟ ما رزقها ما أجلها؟ أشقيِّ أو سعيد؟ قال: فيقال له: < 568-18 > انطلق إلى أم الكتاب فاستنسخ منه صفة هذه النطفة! قال: فينطلق الملك فينسخها فلا تزال معه حتى يأتي على آخر صفتها.

وقال آخرون: معنى ذلك: تامة وغير تامة.

ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا أبو هلال، عن قتادة في قول الله ( مُخَلَّقَةٍ وَعَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ) قال: تامة وغير تامة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن قتادة ( مُخَلَّقَةٍ وَعَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ) فذكر مثله.

وقال آخرون: معنى ذلك المضغة مصوِّرة إنسانا وغير مصوِّرة، فإذا صورت فهي مخلقة وإذا لم تصوِّر فهي غير مخلقة.

ذكر من قال ذلك: ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد في قوله ( مُخَلَّقَةٍ ) قال: السَّقَطُ، ( مُخَلَّقَةٍ وَعَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ).

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله ( مُخَلَّقَةٍ وَعَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ) قال: السَّقَطُ، مخلوق وغير مخلوق.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، بنحوه.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عامر أنه قال في النطفة والمضغة إذا نكست في الخلق الرابع، كانت نسمة مخلقة، وإذا قذفتها قبل ذلك فهي غير مخلقة.

قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن جهاد بن أبي سلمة، عن داود بن أبي هند، عن أبي العالية (مُخَلَّقَةٍ وَعَيْرٍ مُخَلَّقَةٍ) قال: السقط.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: المخلقة المصورة خلقا تاما، وغير مخلقة: السقط قبل تمام خلقه، لأن المخلقة وغير المخلقة من نعت المضغة والنطفة بعد مصيرها مضغة، لم يبق لها حتى تصير خلقا سويا إلا > 569-18 < التصوير، وذلك هو المراد بقوله (مُخَلَّقَةٍ وَعَيْرٍ مُخَلَّقَةٍ) خلقا سويا، وغير مخلقة بأن تلقيه الأم مضغة ولا تصوّر ولا ينفخ فيها الروح.

وقوله (لِنُبَيِّنَ لَكُمْ) يقول تعالى ذكره: جعلنا المضغة منها المخلقة التامة ومنها السقط غير التام، لنبين لكم قدرتنا على ما نشاء ونعرفكم ابتداءنا خلقكم.

وقوله (وَتُقَرَّرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) يقول تعالى ذكره: من كنا كتبنا له بقاء وحياة إلى أمد وغاية، فإننا نقرّه في رحم أمه إلى وقته الذي جعلنا له أن يمكث في رحمها، فلا تسقطه، ولا يخرج منها حتى يبلغ أجله، فإذا بلغ وقت خروجه من رحمها أدنا له بالخروج منها، فيخرج.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (وَتُقَرَّرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) قال: التمام.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وَتُقَرَّرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) قال: الأجل المسمى: إقامته في الرحم حتى يخرج.

وقوله (ثُمَّ تُخْرِجُكُمْ طِفْلًا) يقول تعالى ذكره: ثم نخرجكم من أرحام أمهاتكم إذا بلغت الأجل الذي قدرته لخروجكم منها طفلا صغارا ووحيد الطفل، وهو صفة للجميع، لأنه مصدر مثل عدل وزور.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله ( ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ) يقول: ثم لتبلغوا كمال عقولكم ونهاية قواكم بعمركم.

وقد ذكرت اختلاف المختلفين في الأشد، والصواب من القول فيه عندنا بشواهد مما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضوع.

"5"

< 18-570 >

القول في تأويل قوله تعالى: وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ

يقول تعالى ذكره: ومنكم أيها الناس من يتوفى قبل أن يبلغ أشده فيموت، ومنكم من يُنْسَأُ في أجله فيعمر حتى يهرم، فيردُّ من بعد انتهاء شبابه وبلوغه غاية أشده، إلى أردل عمره، وذلك الهرم، حتى يعود كهيئته في حال صباه لا يعقل من بعد عقله الأول شيئاً.

ومعنى الكلام: ومنكم من يرد إلى أردل العمر بعد بلوغه أشده ( لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ ) كان يعلمه ( شَيْئًا ) .

وقوله ( وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ) يقول تعالى ذكره: وترى الأرض يا محمد يابسة دارسة الآثار من النبات والزرع، وأصل الهمود: الدروس والدثور، ويقال منه: همدت الأرض تهمد هُموداً؛ ومنه قول الأعشى ميمون بن قيس:

قَالَتُ قُتَيْلَةً مَا لِجِسْمِكَ شَاجِبَا

وَأَرَى ثِيَابَكَ بِالْيَابِ هُمَدًا (9)

والهُمْدُ: جمع هامد، كما الركع جمع راع.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك: حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، في قوله ( وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ) قال: لا نبات فيها.

< 18-571 >

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله ( فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ ) يقول تعالى ذكره: فإذا نحن أنزلنا على هذه الأرض الهامدة التي لا نبات فيها ، المطر من السماء اهتزت يقول: تحركت بالنبات، (وَرَبَّتْ) يقول: وأضعفت النبات بمجيء الغيث.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ( اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ) قال: عُرف الغيث في ربوها.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة ( اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ) قال: حسنت، وعرف الغيث في ربوها.

وكان بعضهم يقول: معنى ذلك: فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت، ويوجه المعنى إلى الزرع، وإن كان الكلام مخرجه على الخبر عن الأرض، وقرأت قراء الأمصار ( وَرَبَّتْ ) بمعنى: الربو، الذي هو النماء والزيادة.

وكان أبو جعفر القارئ يقرأ ذلك (وَرَبَّتْ) بالهمز.

حدثت عن الفراء، عن أبي عبد الله التميمي عنه، وذلك غلط، لأنه لا وجه للرب ههنا، وإنما يقال: ربا بالهمز بمعنى حرس من الربيثة، ولا معنى للحراسة في هذا الموضع، والصحيح من القراءة ما عليه قراء الأمصار.

وقوله ( وَأُتْبِتُّ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهَيْجٍ ) يقول جل ثناؤه: وأنبئت هذه الأرض الهامدة بذلك الغيث من كل نوع بهيج، يعني بالبهيج ، البهيج، وهو الحسن.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك: حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ( وَأُتْبِتُّ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهَيْجٍ ) قال: حسن.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

الهوامش:

- (1) لعل المراد بأن في إسناده نظرا : أن فيه رجلين مجهولين من الأنصار .
- (2) البيت شاهد على أن المصدر الرباعي المضعف إذا جاء على " فعلا " فهو بكسر الفاء ، فإذا فتحت الفاء فهو اسم للمصدر ، وليس بمصدر ، كما في البيت . قال في ( اللسان : زلل ) : والزلزلة والزلال ( بالفتح ) : تحريك الشيء ، وقد زلزه زلزلة وزلالا ( بكسر الزاي في الثاني ) وقد قالوا : إن

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الفعلال ( بالفتح ) والزلال ( بالكسر ) مطرد في جميع مصادر المضاعف .  
والاسم الزلال ( بالفتح ) . وليس في الكلام فعلال ، بفتح الفاء إلا في  
المضعف نحو الصلصال والزلال . وقال أبو إسحاق والزلال بالكسر : المصدر  
، والزلال ، بالفتح : الاسم ، وكذلك الوسواس : المصدر ، والوسواس الاسم  
أه .  
(3) هذا مطلع قصيدة لكثير بن عبد الرحمن الخزاعي المشهور ( بكثير عزة )  
في مدح عبد الملك بن مروان ، ومصرعه الثاني \* وأضحى يريد الصرم أو  
يتبدل \*

( ديوانه طبع الجزائر 2 : 28 ) قال شارحه : قوله " صحا قلبه " : قال في  
الاقتصاب : قال ابن قتيبة : وأصحت السماء العاذلة وصحا من السكر . أما  
السماء فلا يقال فيها إلا أصحت بالألف وأما السكر فلا يقال فيه إلا صحا  
بغير ألف وأما الإفاقة من الحب فلم أسمع فيه إلا صحا بغير الألف ، كالسكر  
. وهو شاهد على الفعل تذهل في ماضيه لغتان فتح الهاء وكسرها ، والأولى  
أفصح اللغتين . وقال في ( اللسان : ذهل ) : وفي التنزيل العزيز : " يوم تذهل  
كل مرضعة " أي تسلو عن ولدها . ابن سيده : ذهل الشيء وذهل عنه وذهله  
وذهل الكسر يذهل فيهما ذهلا وذهولا : تركه على عمد أو غفل عنه أو نسيه  
لشغل . وقيل : الذهل : السلو والطيب النفس عن الإلف . وقد أذهله الأمر ،  
وذهله عنه . أه .

(4) يتأمل في هذا المقام ويراجع اللسان فإنه أبسط .  
(5) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة ، من قصيدة له قالها لامرأته الهزانية  
( ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ، ص 263 ) والرواية فيه :  
يا جرتي . قال شارحه : الجارة هنا : زوجته . بيني : أي فارقي . غاد وطارقة  
: ذكر ( غاد ) علي إرادة الجمع ، وأنت ( طارقة ) على إرادة الجماعة .  
والغادي : الذي يأتي عدوه في الصباح . والطارق الذي يطرق ، أي يأتي ليلا .  
وأنشده صاحب ( اللسان : طلق ) قال ابن الأعرابي : طلقت ( بضم اللام )  
من الطلاق : أجود ، وطلقت بفتح اللام - جائز . وكلهم يقول : امرأة طالق ،  
بغير هاء . وأما قول الأعشى \* أيا جارتا بيني فإنك طالقه \*

فإن الليث قال : أراد : طالقة غدا . قال غيره قال طالقة على الفعل ، لأنها  
يقال لها قد طلقت ، فبنى النعت على الفعل ، وطلاق المرأة : بينونتها عن  
زوجها . وامرأة طالق من نسوة طلق ، وطلالقة من نسوة طوالق وأنشد قول  
الأعشى : \* أجارتنا بيني فإنك طالقه \*

... البيت .

(6) البيت من معلقة امرئ القيس بن حجر الكندي ( مختار الشعر الجاهلي ،  
بشرح مصطفى السقا ، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ص 25 ) قال  
شارحه : طرقت : أتيت . والتائم : عود تعلق على الطفل . ومحول : أي تم  
له حول ، يقال : أحول الصبي فهو محول ، ويروى : مغيل . وهو الذي ترضعه  
أمه وهي حلبي ؛ يقال : أغالت المرأة ولدها ، فهي مغيل ( بكسر الغين ) ،  
وأغليته فهي مغيل ، ( بسكون الغين وكسر الياء ) ؛ سقته الغيل ، وهو لبن

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الجبلى ، والولد : مغال ومغيل . والشاهد في البيت أن " مرضع " بدون هاء . هو من الأوصاف الخاصة بالنساء دون الرجال ، وهو لذلك مستعين عن الهاء التي تدخل في الصفات للتفرقة بين الذكر والمؤنث فأما قوله تعالى : " يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت " بالهاء في مرضعة ، وإنما يراد به المرأة التي معها صبي ترضعه ، فهي متلبسة بالفعل ، فالفعل مراد هنا ، والصفة حينئذ تجري على الفعل في التذكير والتأنيث ، يقال أرضعت أو ترضع الأم وليدها ، فهي مرضعة له . فأما الأنثى التي من شأنها أن تكون مرضعا ولم تتلبس بالفعل ، وإنما يقال لها مرضع بلا هاء تأنيث ، لأن هذا وصف خاص بالإناث فلا حاجة فيه إلى الهاء للفرق .

(7) لعل الصواب : الاسم والخبر . لأن ظن ورأى وأعلم تدخل على الجملة الاسمية من المبتدأ والخبر .

(8) كان النضر بن الحارث بن كلدة قد أخذ الطب والفلسفة مع أبيه في الحيرة .

(9) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة ( ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ، ص 227 ) . وهو من قصيدة قالها لكسرى حين أراد منهم رهائن ، لما أغار الحارث بن وعله على بعض السواد . والرواية فيه " سائنا " في موضع " شاحبا " . قال في تفسيره : سائئ : يسوء من رآه . وهمد الثوب تقطع من طول الطي ينظر إليه الناظر فيحسبه صحيحا ، فإذا مسه تناثر من البلى ، ومثله في ( اللسان : همد ) : ( وترى الأرض هامدة ) : أي جافة ذات تراب . وأرض هامدة : مقشعرة ، لا نبات فيها إلا اليابس المتحطم ، وقد أهملها القحط . أه . < 572-18 >

القول في تأويل قوله تعالى : ذَلِكَ يَأْتِيَنَّ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (7)

يعني تعالى ذكره بقوله: ذلك هذا الذي ذكرت لكم أيها الناس من بدئنا خلقكم في بطون أمهاتكم، ووصفنا أحوالكم قبل الميلاد وبعده، طفلا وكهلا وشيخا هرما وتنبيها لكم على فعلنا بالأرض الهامدة بما ننزل عليها من الغيث، لتؤمنوا وتصدقوا بأن ذلك الذي فعل ذلك الله الذي هو الحق لا شك فيه، وأن من سواه مما تعبدون من الأوثان والأصنام باطل لأنها لا تقدر على فعل شيء من ذلك، وتعلموا أن القدرة التي جعل بها هذه الأشياء العجيبة لا يتعذر عليها أن يحيي بها الموتى بعد فنائها ودروسها في التراب، وأن فاعل ذلك على كل ما أراد وشاء من شيء قادر لا يمتنع عليه شيء أراد، ولتوقنوا بذلك أن الساعة التي وعدتكم أن أبعث فيها الموتى من قبورهم جاثية لا محالة ( لا ريبَ فيها ) يقول: لا شك في مجيئها وحدثها، ( وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ) حينئذ من فيها من الأموات أحياء إلى موقف الحساب، فلا تشكوا في ذلك ، ولا تمتروا فيه.

القول في تأويل قوله تعالى : وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ يَغْيِرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ (8)



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره: ومن الناس من يخاصم في توحيده الله وإفراده بالألوهة بغير علم منه بما يخاصم به ( وَلَا هُدًى ) يقول: وبغير بيان معه لما يقول ولا برهان.

( وَلَا كِتَابٍ مُّثِيرٍ ) يقول: وبغير كتاب من الله أتاه لصحة ما يقول.

(منير) يقول ينير عن حجه. وإنما يقول ما يقول من الجهل ظنا منه وحسابنا، < 573-18 > وذكر أن عني بهذه الآية والتي بعدها النضر بن الحارث من بني عبد الدار.

القول في تأويل قوله تعالى : تَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (9) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ (10)

يقول تعالى ذكره: يجادل هذا الذي يجادل في الله بغير علم ( تَانِي عِطْفِهِ ) .

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي من أجله وصف بأنه يثني عطفه ، وما المراد من وصفه إياه بذلك، فقال بعضهم: وصفه بذلك لتكبره وتبخره، وذكر عن العرب أنها تقول: جاءني فلان ثاني عطفه: إذا جاء متبخرا من الكبر.

ذكر من قال ذلك: حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله ( تَانِي عِطْفِهِ ) يقول: مستكبرا في نفسه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لاو رقبتة.

ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ( تَانِي عِطْفِهِ ) قال: رقبتة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ( تَانِي عِطْفِهِ ) قال: لاو عنقه.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، مثله.

وقال آخرون: معنى ذلك أنه يعرض عما يدعى إليه فلا يسمع له.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: < 574-18 > ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ( تَائِي عِطْفِهِ ) يقول: يعرض عن ذكرى.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد ( تَائِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ) قال: لاويا رأسه، معرضا موليا، لا يريد أن يسمع ما قيل له، وقرأ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ - وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلى مُسْتَكْبِرًا . حدثنا القاسم - قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله ( تَائِي عِطْفِهِ ) قال: يعرض عن الحق.

قال أبو جعفر: وهذه الأقوال الثلاثة متقاربات المعنى، وذلك أن من كان ذا استكبار فمن شأنه الإعراض عما هو مستكبر عنه ولي عنقه عنه والإعراض.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله وصف هذا المخاصم في الله بغير علم أنه من كبره إذا دُعي إلى الله ، أعرض عن داعيه ، لوى عنقه عنه ولم يسمع ما يقال له استكبارا.

وقوله ( لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ) يقول تعالى ذكره: يجادل هذا المشرك في الله بغير علم معرضا عن الحق استكبارا، ليصد المؤمنين بالله عن دينهم الذي هداهم له ويستزلهم عنه، ( لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ) يقول جل ثناؤه: لهذا المجادل في الله بغير علم في الدنيا خزي ، وهو القتل والذل والمهانة بأيدي المؤمنين، فقتله الله بأيديهم يوم بدر.

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله ( فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ) قال: قتل يوم بدر.

وقوله ( وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ) يقول تعالى ذكره: ونحرقه يوم القيامة بالنار. وقوله ( ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ ) يقول جل ثناؤه: ويقال له إذا أذيق عذاب النار يوم القيامة: هذا العذاب الذي نذيقه اليوم بما قدمت يداك في الدنيا من الذنوب والآثام ، واكتسبته فيها من الإجمام ( وأن الله ليس بظلام للعبيد ) يقول: وفعلنا ذلك لأن الله ليس بظلام للعبيد ، فيعاقب بعض < 575-18 > عبيده على جُرم ، وهو يغفر (1) مثله من آخر غيره، أو يحمل ذنب مذنب على غير مذنب ، فيعاقبه به ويعفو عن صاحب الذنب ، ولكنه لا يعاقب أحدا إلا على جرمه ، ولا يعذب أحدا على ذنب يغفر مثله لآخر إلا بسبب استحق به منه مغفرته.

القول في تأويل قوله تعالى : وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (11)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يعني جلّ ذكره بقوله ( ومن الناس من يعبد الله على حرف ) أعرابا كانوا يقدمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم، مهاجرين من باديتهم، فإن نالوا رخاء من عيش بعد الهجرة والدخول في الإسلام أقاموا على الإسلام، وإلا ارتدّوا على أعقابهم، فقال الله ( ومن الناس من يعبد الله ) على شك، ( فإن أصابه خير اطمأن به ) وهو السعة من العيش وما يشبهه من أسباب الدنيا اطمأن به يقول: استقرّ بالإسلام وثبت عليه ( وإن أصابته فتنة ) وهو الضيق بالعيش وما يشبهه من أسباب الدنيا ( انقلب على وجهه ) يقول: ارتدّ فانقلب على وجهه الذي كان عليه من الكفر بالله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ( ومن الناس من يعبد الله على حرف ) ... إلى قوله ( انقلب على وجهه ) قال: الفتنة البلاء، كان أحدهم إذا قدم المدينة وهي أرض وبيئة، فإن صحّ بها جسمه، وتنجت فرسه مَهرا حسنا، وولدت امرأته غلاما رضي به واطمأن إليه وقال: ما أصبت منذ كنت على ديني هذا إلا خيرا، وإن أصابه وجع المدينة، وولدت امرأته > 18-576 جارية وتأخرت عنه الصدقة، أتاه الشيطان فقال: والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شرا، وذلك الفتنة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا عنبسة، عن أبي بكر، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد في قول الله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ) قال: على شك.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ( عَلَى حَرْفٍ ) قال: على شك (فإن أصابه خير) رخاء وعافية ( اطمأن به ) استقرّ ( وإن أصابته فتنة ) عذاب ومصيبة ( انقلب ) ارتد ( على وجهه ) كافرا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، بنحوه.

قال ابن جريج: كان ناس من قبائل العرب ومن حولهم من أهل القرى يقولون: تأتي محمدا صلى الله عليه وسلم، فإن صادفنا خيرا من معيشة الرزق ثبتنا معه، وإلا لحقنا بأهلنا.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ( من يعبد الله على حرف ) قال: شك. ( فإن أصابه خير ) يقول: أكثر ماله وكثرت ماشيته اطمأن وقال: لم يصبني في ديني هذا منذ دخلته إلا خير ( وإن أصابته فتنة ) يقول: وإن ذهب ماله، وذهبت ماشيته ( انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ) .

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، نحوه.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله (ومن الناس من يعبد الله على حرف) الآية، كان ناس من قبائل العرب ومن حول المدينة من القرى كانوا يقولون: نأتي محمدا صلى الله عليه وسلم فننظر في شأنه، فإن صادفنا خيرا ثبتنا معه، وإلا لحقنا بمنزلنا وأهلينا. وكانوا يأتونه فيقولون: نحن على دينك! فإن أصابوا معيشة وتنجوا < 577-18 > خيلهم وولدت نساؤهم الغلمان، اطمأنوا وقالوا: هذا دين صدق، وإن تأخر عنهم الرزق، وأزلقت خيولهم، وولدت نساؤهم البنات، قالوا: هذا دين سوء، فانقلبوا على وجوههم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة) قال: هذا المنافق، إن صلحت له دنياه أقام على العبادة، وإن فسدت عليه دنياه وتغيرت انقلب، ولا يقيم على العبادة إلا لما صلح من دنياه. وإذا أصابته شدة أو فتنة أو اختبار أو ضيق، ترك دينه ورجع إلى الكفر.

وقوله (خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ) يقول: عَنِ هذا الذي وصف جل ثناؤه صفته دنياه، لأنه لم يظفر بحاجته منها بما كان من عبادته الله على الشك، ووضع في تجارته فلم يربح والآخرة: يقول: وخسر الآخرة، فإنه معدب فيها بنار الله الموقدة. وقوله (ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) يقول: وخسارته الدنيا والآخرة هي الخسران: يعني الهلاك المبين: يقول: يبين لمن فكر فيه وتدبره أنه قد خسر الدنيا والآخرة.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته قراء الأمصار جميعا غير حميد الأعرج (خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ) على وجه المضى. وقرأه حميد الأعرج (خاسِرًا) نصبا على الحال على مثال فاعل.

القول في تأويل قوله تعالى: يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَآ لَا يَنْفَعُهُ وَوَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (12)

يقول تعالى ذكره: وإن أصابت هذا الذي يعبد الله على حرف فتنة، ارتد عن دين الله، يدعو من دون الله آلهة لا تصرّه إن لم يعبدها في الدنيا ولا تنفعه في الآخرة إن عبدها (ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ) يقول: ارتداده ذلك داعيا من دون الله هذه الآلهة هو الأخذ على غير استقامة، والذهاب عن دين الله ذهابا بعيدا.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَبْعُهُ ) يكفر بعد إيمانه ( ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ) .

القول في تأويل قوله تعالى : يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْئَسَ الْمَوْلَى وَلَيْئَسَ الْعَشِيرُ (13)

يقول تعالى ذكره: يدعو هذا المنقلب على وجهه من أن أصابته فتنة آلهة لضرتها في الآخرة له أقرب وأسرع إليه من نفعها. وذكر أن ابن مسعود كان يقرؤه يدعو مَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ.

واختلف أهل العربية في موضع " من " ، فكان بعض نحويي البصرة يقول: موضعه نصب يَدْعُو، ويقول: معناه: يدعو لآلهة ضرتها أقرب من نفعها، ويقول: هو شاذُّ لأنه لم يوجد في الكلام: يَدْعُو لزيدا. وكان بعض نحويي الكوفة يقول: اللام من صلة " ما " بعد " مَنْ "، كان معنى الكلام عنده: يدعو من لَضَرِّهِ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ. وحكي عن العرب سماعا منها عندي لَمَّا غَيْرُهُ خَيْرٌ مِنْهُ، بمعنى: عندي ما لغيره خير منه، وأعطيتك لما غيره خير منه، بمعنى: ما لغيره خير منه. وقال: جازر في كلِّ ما لم يتبين فيه الإعراب الاعتراض باللام دون الاسم.

وقال آخرون منهم: جازر أن يكون معنى ذلك: هو الضلال البعيد يدعو، فيكون يدعو صلة الضلال البعيد، وتضم في يدعو الهاء ثم تستأنف الكلام باللام، فتقول لمن ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ: لبئس المولى، كقولك في الكلام في مذهب الجراء: لَمَّا فَعَلْتَ لَهُوَ خَيْرٌ لَكَ. فعلى هذا القول " من " في موضع رفع بالهاء في قوله ، ضَرَّهُ ، ، لأن مَنْ إذا كانت جزاء فإنما يعربها ما بعدها، واللام الثانية في لبئس المولى جواب اللام الأولى، وهذا القول الآخر على مذهب العربية أصح، والأول إلى مذهب أهل التأويل أقرب.

وقوله ( لَيْئَسَ الْمَوْلَى ) ، يقول: لبئس ابن العم هذا الذي يعبد الله على > 579-18 < حرف.

( وَلَيْئَسَ الْعَشِيرُ ) يقول: ولبئس الخليط المعاصر والصاحب: هو كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( وَلَيْئَسَ الْعَشِيرُ ) قال: العشير: هو المعاصر الصاحب.

وقد قيل: عني بالمولى في هذا الموضع: الولي الناصر.

وكان مجاهد يقول: عني بقوله ( لَيْئَسَ الْمَوْلَى وَلَيْئَسَ الْعَشِيرُ ) الوثن.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله ( وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ) قال: الوثن.

القول في تأويل قوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (14)

يقول تعالى ذكره: إن الله يدخل الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله في الدنيا، وانتهوا عما نهاهم عنه فيها جنات يعني يساتين ( تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ) يقول: تجري الأنهار من تحت أشجارها ( إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ) فيعطي ما شاء من كرامته أهل طاعته، وما شاء من الهوان أهل معصيته.

القول في تأويل قوله تعالى : مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ (15)

اختلف أهل التأويل في المعنى بالهاء التي في قوله: ( أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ ) .

< 18-580 >

فقال بعضهم: عني بها نبي الله صلى الله عليه وسلم، فتأويله على قول بعض قائل ذلك: من كان من الناس يحسب أن لن ينصر الله محمدا في الدنيا والآخرة، فليمدد بحبل، وهو السبب إلى السماء: يعني سماء البيت، وهو سقفه، ثم ليقطع السبب بعد الاختناق به، فلينظر هل يذهبن اختناقه ذلك، وقطعه السبب بعد الاختناق ما يغيظ، يقول: هل يذهبن ذلك ما يجد في صدره من الغيظ.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا نصر بن علي، قال: ثنا أبي، قال: ثنا خالد بن قيس، عن قتادة: من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ولا دينه ولا كتابه، ( فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ ) يقول: بحبل إلى سماء البيت فليختنق به ( فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ( مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) قال: من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم، ( فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ ) يقول: بحبل إلى سماء البيت، ( ثُمَّ لِيَقْطَعْ ) يقول: ثم ليختنق ثم لينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال أخبرنا معمر، عن قتادة، بنحوه.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون ممن قال: الهاء في ينصره من ذكر اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم السماء التي ذكرت في هذا الموضع، هي السماء المعروفة.

قالوا: معنى الكلام ما حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) فقرأ حتى بلغ ( هَلْ يُدْهَبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ) قال: من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم، ويكابد هذا الأمر ليقطعه عنه ومنه: فليقطع ذلك من أصله من حيث يأتيه، فإن أصله في السماء، فليمدد بسبب إلى السماء، ثم ليقطع عن النبي صلى الله عليه وسلم الوحي الذي يأتيه من الله، فإنه لا يكابده حتى يقطع أصله عنه، فكابد ذلك حتى قطع أصله عنه. ( قَلَيْتَظُرُ هَلْ يُدْهَبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ) ما دخلهم من ذلك، وغاظهم الله به من نصرة النبي > 581-18 < صلى الله عليه وسلم، وما ينزل عليه. وقال آخرون ممن قال " الهاء " التي في قوله: ( يَنْصُرُهُ ) من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم; معنى النصر هاهنا الرزق، فعلى قول هؤلاء تأويل الكلام: من كان يظن أن لن يرزق الله محمدا في الدنيا، ولن يعطيه. وذكروا سماعا من العرب: من ينصرني نصره الله، بمعنى: من يعطيني أعطاه الله، وحكوا أيضا سماعا منهم: نصر المطر أرض كذا: إذا جادها وأحياها.

واستشهد لذلك بيت الفقعسي:

وَإِنَّكَ لَا تُعْطِي أَمْرًا فَوْقَ حَظِّهِ

وَلَا تَمْلِكُ الشَّقَّ الَّذِي الْعَيْثُ نَاصِرُهُ (2)

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو كريب، قال: ثنا ابن عطية، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن التميمي، قال: قلت لابن عباس: رأيت قوله ( مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُدْهَبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ) قال: من كان يظن أن لن ينصر الله محمدا، فليربط حبلًا في سقف ثم ليختنق به حتى يموت.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام عن عنبسة، عن أبي إسحاق الهمداني، عن التميمي، قال: سألت ابن عباس، عن قوله: ( مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ ) قال: أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة، ( فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ) والسبب: الجبل، والسماء: سقف البيت، فليعلق حبلًا في سماء البيت ثم ليختنق ( قَلَيْتَظُرُ هَلْ يُدْهَبَنَّ كَيْدُهُ ) هذا الذي صنع ما يجد من الغيظ.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو بن مطرف، عن أبي < 582-18 > إسحاق، عن رجل من بني تميم، عن ابن عباس، مثله.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن التميمي، عن ابن عباس: ( مَنْ كَانَ يَطْرُقُ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ) قال: سماء البيت.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت التميمي، يقول: سألت ابن عباس، فذكر مثله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ( مَنْ كَانَ يَطْرُقُ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) ... إلى قوله: ( مَا يَغِيظُ ) قال: السماء التي أمر الله أن يمد إليها بسبب سقف البيت أمر أن يمد إليه بحبل فيختنق به، قال: فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيط إذا اختنق إن خشي أن لا ينصره الله!

وقال آخرون: الهاء في ينصره من ذكر " مَنْ " وقالوا: معنى الكلام: من كان يطرُق أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة، فليمدد بسبب إلى سماء البيت ثم ليختنق، فلينظر هل يذهبن فعله ذلك ما يغيط، أنه لا يرزق!

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث (3)، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، في قول الله ( أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ ) قال: يرزقه الله. ( فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ ) قال: بحبل ( إِلَى السَّمَاءِ ) سماء ما فوقك ( ثُمَّ لِيَقْطَعْ ) ليختنق، هل يذهبن كيده ذلك خنقه أن لا يرزق.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني ججاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، في قوله ( مَنْ كَانَ يَطْرُقُ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ ) يرزقه الله ( فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ) قال: بحبل إلى السماء.

قال ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، قال: ( إِلَى السَّمَاءِ ) إلى سماء البيت. قال ابن جريج: وقال مجاهد: ( ثُمَّ لِيَقْطَعْ ) قال: ليختنق، وذلك كيده ( مَا يَغِيظُ ) قال: ذلك خنقه أن لا يرزقه الله.

< 18-583 >

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ( فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ ) يعني: بحبل ( إِلَى السَّمَاءِ ) يعني: سماء البيت.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عطية، قال: أخبرنا أبو رجاء، قال: سئل عكرمة عن قوله: ( فَلَيَمْدُدْ سَبَبًا إِلَى السَّمَاءِ ) قال: سماء البيت. ( ثُمَّ لَيَقْطَعُ ) قال: يخنق.

وأولى ذلك بالصواب عندي في تأويل ذلك قول من قال: الهاء من ذكر نبي الله صلى الله عليه وسلم ودينه وذلك أن الله تعالى ذكره، ذكر قومًا يعبدونه على حرف وأنهم يطمئنون بالدين إن أصابوا خيرا في عبادتهم إياه، وأنهم يرتدون عن دينهم لشدة تصيبهم فيها، ثم أتبع ذلك هذه الآية، فمعلوم أنه إنما أتبعه إياها تويخا لهم على ارتدادهم عن الدين، أو على شكهم فيه نفاقهم، استبطاء منهم السعة في العيش، أو السبوع في الرزق. وإذا كان الواجب أن يكون ذلك عقيب الخبر عن نفاقهم، فمعنى الكلام إذن، إذ كان كذلك: من كان يحسب أن لن يرزق الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته في الدنيا، فيوسع عليهم من فضله فيها، ويرزقهم في الآخرة من سني عطاياه وكرامته، استبطاء منه فعل الله ذلك به وبهم، فليمدد بحبل إلى سماء فوقه: إما سقف بيت، أو غيره مما يعلق به السبب من فوقه، ثم يخنق إذا اغتاط من بعض ما قضى الله، فاستعجل انكشاف ذلك عنه، فلينظر هل يذهب كيده اختناقه كذلك ما يغيظ، فإن لم يذهب ذلك غيظه؛ حتى يأتي الله بالفرج من عنده فيذهب، فكذلك استعجاله نصر الله محمدا ودينه لن يُؤخَّر ما قضى الله له من ذلك عن ميقاته، ولا يعجل قبل حينه، وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في أسد وغطفان، تباطئوا عن الإسلام، وقالوا: نخاف أن لا ينصر محمد صلى الله عليه وسلم، فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود فلا يمروننا ولا يُرووننا، فقال الله تبارك وتعالى لهم: من استعجل من الله نصر محمد، فليمدد بسبب إلى السماء فليخنق فلينظر استعجاله بذلك في نفسه، هل هو مُدْهِبٌ غيظه؟ فكذلك استعجاله من الله نصر محمد غير مقدّم نصره قبل حينه.

< 18-584 >

واختلف أهل العربية في " ما " التي في قوله: ( مَا يَغِيظُ ) فقال بعض نحويي البصرة هي بمعنى الذي، وقال: معنى الكلام: هل يذهب كيده الذي يغيظه، قال: وحذفت الهاء لأنها صلة الذي، لأنه إذا صار جميعا اسما واحدا كان الحذف أخف. وقال غيره: بل هو مصدر لا حاجة به إلى الهاء، هل يذهب كيده غيظه.

الهوامش:

- (1) في الأصل يعفو : وفي العبارة ارتباك ، توضيحه في آخر كلامه .
- (2) البيت للفقعسي ، كما قال المؤلف . والشاهد فيه قوله " الغيث ناصره " . قال في ( اللسان : نصر ) قال أبو حنيفة الدينوري الناصر والناصره : ما جاء من مكان بعيد إلى الوادي ، فنصر السيول . ونصر البلاد ينصرها أتاها .

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

عن ابن الأعرابي ، ونصرت أرض بني فلان أي أتيها ، ونصر الغيث الأرض  
نصرا : أغاثها وسقاها وأنبثها . قال :

من كان أخطأه الربيع فإنما

نصر الحجاز بغيث عبد الواحد

ونصر الغيث البلد : إذا أعانه على الخصب والنبات . وقال أبو عبيدة : نصرت  
البلاد : إذا مطرت فهي منصوره : أي ممطورة . ونصر القوم : إذا أغاثوا .  
وفي الحديث . " إن هذه السحابة تنصر أرض بني كعب " أي تمطرهم .  
(3) في السند اختصار لعله من الناسخ .  
القول في تأويل قوله تعالى : **وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي  
مَنْ يُرِيدُ** (16)

وقوله: ( **وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ** ) يقول تعالى ذكره: وكما بيّنت لكم حُججي  
على من جحد قدرتي على إحياء من مات من الخلق بعد فناءه، فأوضحتهَا  
أيها الناس، كذلك أنزلنا إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هذا القرآن  
آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ، يعني دلالات واضحات، يهدين من أراد الله هدايته إلى الحقِّ ( **وَأَنَّ  
اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ** ) يقول جل ثناؤه: ولأن الله يوفق للصواب ولسبيل الحقِّ  
من أراد، أنزل هذا القرآن آيات بَيِّنَاتٍ، فإن في موضع نصب.

القول في تأويل قوله تعالى : **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ  
وَالنَّصَارِيَّ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ  
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** (17)

يقول تعالى ذكره: إن الفصل بين هؤلاء المنافقين الذين يعبدون الله على  
حرف، والذين أشركوا بالله فعبدوا الأوثان والأصنام، والذين هادوا، وهم اليهود  
والصابئين والنصارى والمجوس الذي عظموا النيران وخدموها، وبين الذين آمنوا  
بالله ورسله إلى الله، وسيفصل بينهم يوم القيامة بعدل من القضاء وفصله  
بينهم إدخاله النار الأحزاب كلهم والجنة المؤمنين به وبرسله، فذلك هو الفصل  
من الله بينهم.

وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق،  
قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ( **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا  
وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارِيَّ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا** ) قال: الصابئون: قوم يعبدون  
الملائكة، ويصلون للقبلة، ويقرءون الزبور. والمجوس: يعبدون الشمس والقمر  
< 585-18 > والذين أشركوا: يعبدون الأوثان. والأديان ستة: خمسة  
للشيطان، وواحد للرحمن. وأدخلت " إن " في خبر " إن " الأولى لما ذكرت  
من المعنى، وأن الكلام بمعنى الجزاء، كأنه قيل: من كان على دين من هذه

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الأديان، ففصل ما بينه وبين من خالفه على الله والعرب تدخل أحيانا في خبر " إن " إذا كان خبر الاسم الأول في اسم مضاف إلى ذكره، فتقول: إن عبد الله إن الخير عنده لكثير، كما قال الشاعر.

إِنَّ الْخَلِيفَةَ إِنْ لَلَّهَ سَرَبَلَهُ

سِرْبَالَ مُلْكٍ بِهِ تُرْجَى الْخَوَاتِيمُ (1)

وكان الفراء يقول: من قال هذا لم يقل: إنك إنك قائم، ولا إن إياك إنه قائم، لأن الاسمين قد اختلفا، فحسن رفض الأول، وجعل الثاني كأنه هو المبتدأ، فحسن للاختلاف وقبح للاتفاق.

وقوله: ( إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ) يقول: إن الله على كل شيء من أعمال هؤلاء الأصناف الذين ذكرهم الله جل ثناؤه، وغير ذلك من الأشياء كلها شهيد لا يخفى عنه شيء من ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ

< 18-586 >

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم:

ألم تر يا محمد بقلبك، فتعلم أن الله يسجد له من في السماوات من الملائكة، ومن في الأرض من الخلق من الجن وغيرهم، والشمس والقمر والنجوم في السماء، والجبال، والشجر، والدواب في الأرض، وسجود ذلك ظلاله حين تطلع عليه الشمس، وحين تزول، إذا تحول ظل كل شيء فهو سجوده.

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ ) قال: ظلال هذا كله.

وأما سجود الشمس والقمر والنجوم، فإنه كما حدثنا به ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديٍّ ومحمد بن جعفر، قالوا ثنا عوف، قال: سمعت أبا العالية الرياحي يقول: ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر، إلا يقع لله ساجدا حين يغيب، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له، فيأخذ ذات اليمين، وزاد محمد: حتى يرجع إلى مطلعته.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله: ( وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ) يقول: ويسجد كثير من بني آدم، وهم المؤمنون بالله.

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ( وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ) قال: المؤمنون. وقوله: ( وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ) يقول تعالى ذكره: وكثير من بني آدم حق عليه عذاب الله، فوجب عليه بكفره به، وهو مع ذلك يسجد لله ظله.

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ( وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ) وهو يسجد مع ظله، فعلى هذا التأويل الذي ذكرناه عن مجاهد، وقع قوله ( وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ) بالعطف على قوله ( وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ) ويكون داخلا في عداد من وصفه الله بالسجود له، ويكون قوله ( حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ) من صلة كثير، ولو كان " الكثير الثاني " من لم يدخل في عداد من وصف بالسجود كان مرفوعا بالعائد من ذكره في قوله: ( حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ) وكان معنى الكلام حينئذ: وكثير أبى السجود، لأن > 587-18 < قوله ( حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ) يدل على معصية الله وإبائه السجود، فاستحق بذلك العذاب.

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (18)

يقول تعالى ذكره: ومن يهينه الله من خلقه فيسقيه، ( فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ ) بالسعادة يسعده بها، لأن الأمور كلها بيد الله، يوفق من يشاء لطاعته، ويخذل من يشاء، ويثقي من أراد، ويسعد من أحب.

وقوله: ( إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ) يقول تعالى ذكره: إن الله يفعل في خلقه ما يشاء من إهانة من أراد إهنته، وإكرام من أراد كرامته، لأن الخلق خلقه والأمر أمره، لا يُسألُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ . وقد ذكر عن بعضهم أنه قرأه ( فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ ) بمعنى: فما له من إكرام، وذلك قراءة لا أستجيز القراءة بها لإجماع الحجة من القراء على خلافه.

القول في تأويل قوله تعالى : هَذَانِ حَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (19) يُضْهِرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (20) وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ (21) كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (22)

اختلف أهل التأويل في المعنى بهذين الخصمين اللذين ذكرهما الله، فقال بعضهم: أحد الفريقين: أهل الإيمان، والفريق الآخر: عبدة الأوثان من مشركي قريش الذين تبارزوا يوم بدر.

\* ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا < 588-18 > أبو هاشم عن أبي مجلز، عن قيس بن عباد قال: سمعت أبا ذر يُقسم قَسَمًا أن هذه الآية ( هَذَانِ حَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ) نزلت في الذين بارزوا يوم بدر: حمزة وعليّ وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة، قال: وقال عليّ: إني لأول، أو من أول من يجثو للخصومة يوم القيامة بين يدي الله تبارك وتعالى.

حدثنا عليّ بن سهل، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن أبي هاشم، عن أبي مجلز، عن قيس بن عباد، قال: سمعت أبا ذرّ يقسم بالله قسما: لنزلت هذه الآية في ستة من قريش حمزة بن عبد المطلب وعليّ بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة ( هَذَانِ حَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ) . . . إلى آخر الآية إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... إلى آخر الآية.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي هاشم، عن أبي مجلز، عن قيس بن عباد، قال: سمعت أبا ذرّ يقسم، ثم ذكر نحوه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن محبوب، قال: ثنا سفيان، عن منصور بن المعتمر، عن هلال بن يساف، قال: نزلت هذه الآية في الذين تبارزوا يوم بدر ( هَذَانِ حَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ) .

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة بن الفضل، قال: ثنا محمد بن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار، قال: نزلت هؤلاء الآيات: ( هَذَانِ حَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ) في الذين تبارزوا يوم بدر: حمزة، وعلي، وعبيدة بن الحارث، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة. إلى قوله وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ .

قال: ثنا جرير، عن منصور، عن أبي هاشم، عن أبي مجلز، عن قيس بن عباد، قال: والله لأنزلت هذه الآية: ( هَذَانِ حَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ) في الذين خرج بعضهم إلى بعض يوم بدر: حمزة، وعليّ، وعبيدة رحمة الله عليهم، وشيبة، وعتبة، والوليد بن عتبة.

وقال آخرون: ممن قال أحد الفريقين فريق الإيمان، بل الفريق الآخر أهل > 589-18 < الكتاب.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ( هَذَانِ حَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ) قال: هم أهل الكتاب، قالوا للمؤمنين: نحن أولى بالله، وأقدم منكم كتابا، ونبينا قبل نبيكم،

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال المؤمنون: نحن أحقّ بالله، آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم، وآمنا بنبينا، وبما أنزل الله من كتاب، فأنتم تعرفون كتابنا ونبينا، ثم تركتموه وكفرتم به حسداً. وكان ذلك خصومتهم في ربهم.

وقال آخرون منهم: بل الفريق الآخر الكفار كلهم من أيّ ملة كانوا.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: ثنا أبو تَمِيْلَةَ، عن أبي حمزة، عن جابر، عن مجاهد وعطاء بن أبي رباح، وأبي قزعة، عن الحسين، قال: هم الكافرون والمؤمنون اختصموا في ربهم.

قال ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، عن مجاهد: مثل الكافر والمؤمن. قال ابن جُرَيْج: خصومتهم التي اختصموا في ربهم، خصومتهم في الدنيا من أهل كل دين، يرون أنهم أولى بالله من غيرهم.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، قال: كان عاصم والكلبي يقولان جميعاً في ( هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ) قال: أهل الشرك والإسلام حين اختصموا أيهم أفضل، قال: جعل الشرك ملة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ( هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ) قال: مثل المؤمن والكافر اختصامهما في البعث.

وقال آخرون: الخصمان اللذان ذكرهما الله في هذه الآية: الجنة والنار.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو تَمِيْلَةَ، عن أبي حمزة، عن جابر، عن عكرمة في ( هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ) قال: هما الجنة والنار اختصمتا، فقالت النار: خلقتني الله لعقوبته وقالت الجنة: < 590-18 > خلقتني الله لرحمته، فقد قصّ الله عليك من خبرهما ما تسمع.

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، وأشبهها بتأويل الآية، قول من قال: عني بالخصمين جميع الكفار من أيّ أصناف الكفر كانوا وجميع المؤمنين، وإنما قلت ذلك أولى بالصواب، لأنه تعالى ذكره ذكر قبل ذلك صنفين من خلقه: أحدهما أهل طاعة له بالسجود له، والآخر: أهل معصية له، قد حقّ عليه العذاب، فقال: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ثم قال: وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ، ثم أتبع ذلك صفة الصنفين كليهما وما هو فاعل بهما، فقال: ( قَالِيزِينَ كَفَرُوا



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ تَارٍ ( وقال الله إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ; فكان بيننا بذلك أن ما بين ذلك خبر عنهما.

فإن قال قائل: فما أنت قائل فيما روي عن أبي ذرٍّ إنَّ ذلك نزل في الذين بارزوا يوم بدر؟ قيل: ذلك إن شاء الله كما روي عنه، ولكن الآية قد تنزل بسبب من الأسباب، ثم تكون عامة في كل ما كان نظير ذلك السبب، وهذه من تلك، وذلك أن الذين تبارزوا إنما كان أحد الفريقين أهل شرك وكفر بالله، والآخر أهل إيمان بالله وطاعة له، فكل كافر في حكم فريق الشرك منهما في أنه لأهل الإيمان خصم، وكذلك كل مؤمن في حكم فريق الإيمان منهما في أنه لأهل الشرك خصم.

فتأويل الكلام: هذان خصمان اختصموا في دين ربهم، واختصامهم في ذلك معادة كل فريق منهما الفريق الآخر ومحاربتة إياه على دينه.

وقوله: ( قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا فُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ تَارٍ ) يقول تعالى ذكره: فأما الكافر بالله منهما فإنه يقطع له قميص من نحاس من نار.

كما حدثنا إلقاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ( قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا فُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ تَارٍ ) قال: الكافر قطع له ثياب من نار، والمؤمن يدخله الله جنات تجري من تحتها الأنهار.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، في قوله: > 591-18 ( قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا فُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ تَارٍ ) قال: ثياب من نحاس، وليس شيء من الآية أحمى وأشد حرًا منه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: الكفار قطع لهم ثياب من نار، والمؤمن يدخل جنات تجري من تحتها الأنهار. وقوله: ( يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ) يقول: يصب على رؤوسهم ماء مغلّى.

كما حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، قال: ثنا ابن المبارك، عن سعيد بن زيد، عن أبي السمح، عن ابن جحيرة، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: > 592-18 ( إِنَّ الْحَمِيمَ لَيُصَبُّ عَلَى رُءُوسِهِمْ، فَيَنْفُذُ الْجُمُجَمَةَ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ، فَيَسَلَّتْ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَدَمَيْهِ، وَهِيَ الصَّهْرُ، ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ ).

حدثني محمد بن المثنى، قال: ثنا يعمر بن بشر، قال: ثنا ابن المبارك، قال: أخبرنا سعيد بن زيد، عن أبي السمح، عن ابن جحيرة، عن أبي هريرة، عن

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

النبى صلى الله عليه وسلم بمثله، إلا أنه قال: " فَيَنْفُذُ الْجُمُجَمَةَ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ فَيَسْلُتُ (2) مَا فِي جَوْفِهِ".

وكان بعضهم يزعم أن قوله ( وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ) من المؤخر الذي معناه التقديم، ويقول: وجه الكلام: فالذين كفروا قطعوا لهم ثياب من نار، ولهم مقامع من حديد يصب من فوق رؤوسهم الحديد ويقول: إنما وجب أن يكون ذلك كذلك، لأن الملك يضربه بالمقمع من الحديد حتى يثقب رأسه، ثم يصب فيه الحديد الذي انتهى حره فيقطع بطنه. والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ذكرنا، يدل على خلاف ما قال هذا القائل، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أن الحديد إذا صب على رؤوسهم نفذ الجمجمة حتى يخلص إلى أجوافهم، وبذلك جاء تأويل أهل التأويل، ولو كانت المقامع قد تثقب رؤوسهم قبل صب الحديد عليها، لم يكن لقوله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ الْحَمِيمَ يَنْفُذُ الْجُمُجَمَةَ " معنى: ولكن الأمر في ذلك بخلاف ما قال هذا القائل.

وقوله: ( يُضَهَّرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ) يقول: يذاب بالحميم الذي يصب من فوق رؤوسهم ما في بطونهم من الشحوم، وتشوى جلودهم منه فتساقط، والصهر: هو الإذابة، يقال منه: صهرت الآلية بالنار: إذا أذبتها أصهرها صهرا؛ ومنه قول الشاعر.

تَرَوِي لَقَى أَلْقِي فِي صَفْصَفٍ

تَضَهَّرُهُ الشَّمْسُ وَلَا يَنْصَهَرُ (3)

ومنه قول الراجز:

شَكَ السَّافِيْدِ الشَّوَاءَ الْمُصْطَهَّرُ (4)

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ( يُضَهَّرُ بِهِ ) قال: يُذَابُ إِذَابَةً.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، عن مجاهد، مثله. قال ابن جُرَيْج (يُضَهَّرُ بِهِ) قال: ما قطع لهم من العذاب.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: (يُضَهَّرُ بِهِ مَا فِي بَطُونِهِمْ) قال: يُذَابُ بِهِ مَا فِي بَطُونِهِمْ.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

< 18-593 >

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: (قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا فُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِنْ تَارٍ) .. إلى قوله: (يُضَهَّرُ بِهِ مَا فِي بَطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ) يقول: يسقون ما إذا دخل بطونهم أذابها والجلود مع البطون.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر وهارون بن عنتر، عن سعيد بن جبير، قال: قال هارون: إذا عام أهل النار، وقال جعفر: إذا جاع أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم، فيأكلون منها، فاختلست جلود وجوههم، فلو أن مارًا مرّ بهم يعرفهم، يعرف جلود وجوههم فيها، ثم يصبّ عليهم العطش، فيستغيثوا، فيغاثوا بماء كالمهل، وهو الذي قد انتهى حرّه، فإذا أدنوه من أفواههم انشوى من حرّه لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود و (يُضَهَّرُ بِهِ مَا فِي بَطُونِهِمْ) يعني أمعاءهم، وتساقط جلودهم، ثم يضربون بمقامع من حديد، فيسقط كل عضو على حاله، يدعون بالويل والثبور. وقوله: (وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ) تضرب رعوّسهم بها الخزنة إذا أرادوا الخروج من النار حتى ترجعهم إليها. وقوله: (كَلِمًا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا) يقول: كلما أراد هؤلاء الكفار الذين وصف الله صفتهم الخروج من النار مما نالهم من الغم والكرب، ردّوا إليها.

كما حدثنا مجاهد بن موسى، قال: ثنا جعفر بن عون، قال: أخبرنا الأعمش، عن أبي طيبان، قال: النار سوداء مظلمة، لا يضيء لهبها ولا جمرها، ثم قرأ: (كَلِمًا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا) وقد ذكر أنهم يحاولون الخروج من النار حين تحبش جهنم فتلقي من فيها إلى أعلى أبوابها، فيريدون الخروج فتعيدهم الخزان فيها بالمقامع، ويقولون لهم إذا ضربوهم بالمقامع: (دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ). وعني بقوله: (وَدُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) ويقال لهم دوقوا عذاب النار، وقيل عذاب الحريق والمعنى: المحرق، كما قيل: العذاب الأليم، بمعنى: المؤلم.

< 18-594 >

القول في تأويل قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (23)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره: وأما الذين آمنوا بالله ورسوله فأطاعوهما بما أمرهم الله به من صالح الأعمال، فإن الله يُدخلهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار، فيحلبهم فيها من أساور من ذهب ولؤلؤًا.

واختلفت القراء في قراءة قوله: ( وَلَوْلُؤَا ) فقراءته عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل الكوفة نصبا مع التي في الملائكة، بمعنى: يحلون فيها أساور من ذهب ولؤلؤًا، عطفًا باللؤلؤ على موضع الأساور، لأن الأساور وإن كانت مخفوضة من أجل دخول من فيها، فإنها بمعنى النصب، قالوا: وهي تعدّ في خط المصحف بالألف، فذلك دليل على صحة القراءة بالنصب فيه. وقرأت ذلك عامة قراء العراق والمصرين: ( وَلَوْلُؤِي ) خفصا عطفًا على إعراب الأساور الظاهر.

واختلف الذي قرءوا ذلك في وجه إثبات الألف فيه، فكان أبو عمرو بن العلاء فيما ذكر لي عنه يقول: أثبتت فيه كما أثبتت في قالوا: و كالوا. وكان الكسائي يقول: أثبتوها فيه للهمزة، لأن الهمزة حرف من الحروف.

والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء، متفقتا المعنى، صحيحتا المخرج في العربية، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وقوله: ( وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ) يقول: ولبوسهم التي تلي أبشارهم فيها ثياب حرير.

الهوامش:

(1) البيت لجرير ( ديوانه طبعة الصاوي ، ص 527 ) وهو من قصيدة يمدح بها بعض بني مروان وفي روايته : " يكفي " في موضع " إن " الأولى . وتزجى ، في موضع تزجى . قال شارح شواهد الكشاف : خاتم الشيء : عاقبته . وتزجى أي تساق خواتيم الإمارة ، والخاتم بفتح التاء وكسرهما ، يقال أزجيت الإبل أي سقتها . والبيت شاهد عند قوله تعالى : ( إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين . . . . إنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ ) أدخلت إن على كل واحد من جزأي الجملة ، لزيادة التأكيد . وحسن دخول إن الثانية على الجملة الواقعة خبرا ، طول الفصل بينهما بالمعاطيف . والمؤلف ساق البيت شاهدا على أنه نظير ما في الآية من دخول إن الثانية على جملة الخبر إذا كان فيه ضمير . ويجوز في البيت وجه آخر ، وهو أن تكون جملة إن الله سربله سربال ملك ، جملة معترضة بين اسم إن وخبرها ، ولا يجوز ذلك في الآية ، قاله أبو حيان ، ونقله عن شارح شواهد الكشاف . أه . والسربال : القميص والدرع . والمراد هنا الأول .

(2) يسلت في جوفه من باب نصر : أي يقطعه ويستأصله .

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(3) البيت لابن أحمر يصف فرخ قطة ( اللسان : صهر ) قال : وصهرته الشمس تصهره صهرا ، وصهرته : اشتد وقعها عليه وحرها حتى ألم دماغه ، وانصهر هو ، قال ابن أحمر يصف فرخ قطة . . . البيت ؛ أي تذيبه الشمس ، فيصير على ذلك . وتروي تسوق إليه الماء ، أي تصير له كالرواية ؛ يقال : رويت أهلي وعليهم ربا : أتيتهم بالماء . والصهر : إذابة الشحم ، صهر الشحم يصهره صهرا : أذابه . وفي التنزيل : يُصَهَّرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ أَي يَذَابُ . واصطهره : أذابه وأكله . أه . واللقى : كل شيء مطروح متروك كاللقطة . والصفصف : أرض ملساء مستوية ، كما في اللسان . أه .

(4) البيت للعجاج بن رؤبة الراجز المشهور ( اللسان : صهر ) قال الأزهري : الصهر إذابة الشحم ، والصهارة : ما ذاب منه وكذلك الاصطهار في إذابة ، أو أكل صهارته . وقال العجاج : ( شك السفايف . . . البيت ) . والبيت شاهد مثل الذي قبله علي أن الصهر معناه الإذابة . القول في تأويل قوله تعالى :  
وَهُدُّوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُّوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ (24)

قوله: ( وَهُدُّوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ) يقول تعالى ذكره: وهداهم ربهم في الدنيا إلى شهادة أن لا إله إلا الله.

كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ابن زيد، في قوله: ( وَهُدُّوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ) قال: هدوا إلى الكلام الطيب: لا إله > 595-18 < إلا الله، والله أكبر، والحمد لله ؛ قال الله: إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ .

حدثنا عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: ( وَهُدُّوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ) قال: ألهموا.

وقوله: ( وَهُدُّوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ) يقول جل ثناؤه: وهداهم ربهم في الدنيا إلى طريق الربِّ الحميد، وطريقه: دينه دين الإسلام الذي شرعه لخلقه وأمرهم أن يسلكوه؛ والحميد: فعيل، صرّف من مفعول إليه، ومعناه: أنه محمود عند أوليائه من خلقه، ثم صرّف من محمود إلى حميد.

القول في تأويل قوله تعالى : إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمِ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (25)

يقول تعالى ذكره: إن الذين جحدوا توحيد الله، وكذبوا رسله وأنكروا ما جاءهم به من عند ربهم ( وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ) يقول: ويمنعون الناس عن دين الله أن يدخلوا فيه، وعن المسجد الحرام الذي جعله الله للناس الذين آمنوا به كافة لم يخصص منها بعضا دون بعض؛ ( سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ) يقول: معتدل في الواجب عليه من تعظيم حرمة المسجد الحرام، وقضاء نسكه به، والنزول فيه حيث شاء العاكف فيه، وهو المقيم به؛ والباد: وهو المنتاب إليه من غيره.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: سواء العاكف فيه وهو المقيم فيه؛ والباد، في أنه ليس أحدهما بأحقّ بالمنزل فيه من الآخر.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن يزيد بن أبي زياد، عن ابن سابط، قال: كان الحجاج إذا قدموا مكة < 596-18 > لم يكن أحد من أهل مكة بأحقّ بمنزله منهم، وكان الرجل إذا وجد سعة نزل. ففشا فيهم السرقة، وكل إنسان يسرق من ناحيته، فاصطنع رجل بابا، فأرسل إليه عمر: أتخذت بابا من حجاج بيت الله؟ فقال: لا إنما جعلته ليحرز متاعهم، وهو قوله: ( سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ) قال: الباد فيه كالمقيم، ليس أحد أحقّ بمنزله من أحد إلا أن يكون أحد سبق إلى منزل.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي حصين، قال: قلت لسعيد بن جبير: أعتكف بمكة، قال: أنت عاكف. وقرأ: ( سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ) .

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام عن عنبسة، عن ذكره، عن أبي صالح: ( سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ) العاكف: أهله، والباد: المنتاب في المنزل سواء.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ( سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ) يقول: ينزل أهل مكة وغيرهم في المسجد الحرام.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ) قال: العاكف فيه: المقيم بمكة؛ والباد: الذي يأتيه هم فيه سواء في البيوت.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: ( سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ) سواء فيه أهله وغير أهله.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: ( سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ) قال: أهل مكة وغيرهم في المنازل سواء.

وقال آخرون في ذلك نحو الذي قلنا فيه.

\* ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، < 597-18 > عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ ) قال: الساكن، ( والباد ) الجانب سواء حق الله عليهما فيه.

\* حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، عن مجاهد في قوله: ( سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ ) قال: الساكن ( والباد ) الجانب.

قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو تميلة، عن أبي حمزة، عن جابر، عن مجاهد وعطاء: ( سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ ) قالوا من أهله، ( والباد ) الذي يأتونه من غير أهله هما في حرمة سواء.

وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في ذلك، لأن الله تعالى ذكره، ذكر في أول الآية صدًّا من كفر به من أراد من المؤمنين قضاء نسكه في الحرم عن المسجد الحرام، فقال: ( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ) ثم ذكر جل ثناؤه صفة المسجد الحرام، فقال: ( الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ ) فأخبر جل ثناؤه أنه جعله للناس كلهم، فالكافرون به يمنعون من إرادته من المؤمنين به عنه، ثم قال: ( سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ) فكان معلوما أن خبره عن استواء العاكف فيه والباد، إنما هو في المعنى الذي ابتدأ الله الخبر عن الكفار أنهم صدوا عنه المؤمنين به، وذلك لا شك طوافهم وقضاء مناسكهم به والمقام، لا الخبر عن ملكهم إياه وغير ملكهم. وقيل: ( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ) فعطف ببيصدون وهو مستقبل على كفروا، وهو ماض، لأن الصدَّ بمعنى الصفة لهم والدوام. وإذا كان ذلك معنى الكلام، لم يكن إلا بلفظ الاسم أو الاستقبال، ولا يكون بلفظ الماضي. وإذا كان ذلك كذلك، فمعنى الكلام: إن الذين كفروا من صفتهم الصدُّ عن سبيل الله، وذلك نظير قول الله: الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ . وأما قوله: ( سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ ) فإن قرأ الأمصار على رفع " سواءً " بالعاكف، والعاكف به، وإعمال جعلناه في الهاء المتصلة به، واللام التي في قوله للناس، ثم استأنف الكلام بسواء، وكذلك تفعل العرب بسواء إذا جاءت بعد حرف قد تم الكلام به، فتقول: مررت برجل سواء عنده الخير والشر، وقد يجوز في ذلك الخفض، وإنما يختار الرفع في ذلك لأن سواء في مذهب واحد عندهم، فكانهم قالوا: مررت برجل واحد عنده الخير والشر. وأما من خفضه فإنه يوجهه إلى معتدل عنده الخير والشر، ومن قال ذلك في < 598-18 > سواء فاستأنف به، ورفع لم يقله في معتدل، لأن معتدل فعل مصرح، وسواء مصدر فأخراجهم إياه إلى الفعل كأخراجهم حسب في قولهم: مررت برجل حسبك من رجل إلى الفعل. وقد ذكر عن بعض القراء أنه قرأه نصبا على إعمال جعلناه فيه، وذلك وإن كان له وجه في العربية، فقراءة لا أستجيز القراءة بها لإجماع الحجة من القراء على خلافه.

وقوله: ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ) يقول تعالى ذكره: ومن يرد فيه إلحادا بظلم نذقه من عذاب أليم، وهو أن يميل في البيت



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الحرام بظلم، وأدخلت الباء في قوله بإلحاد، والمعنى فيه ما قلت، كما أدخلت في قوله: تَنْبُثُ بِالذُّهْنِ والمعنى: تنبت الدهن، كما قال الشاعر:

يَوَادِ يَمَانٍ يَنْبِتُ الشَّتَّ صَدْرُهُ

وَأَسْفَلُهُ بِالْمَرْخِ وَالشَّيْبَانِ (1)

والمعنى: وأسفله ينبت المرخ والشبهان؛ وكما قال أعشى بني ثعلبة:

صَمَيْتُ بِرِزْقِ عِيَالِنَا أُرْمَاخُنَا

بَيْنَ الْمَرَاجِلِ وَالصَّرِيحِ الْأَجْرِدِ (2)

< 18-599 >

بمعنى: ضمنت رزق عيالنا أرماخنا في قول بعض نحويي البصريين. وأما بعض نحويي الكوفيين فإنه كان يقول: أدخلت الباء فيه، لأن تأويله: ومن يرد بأن يلحد فيه بظلم. وكان يقول: دخول الباء في أن أسهل منه في "إلحاد" وما أشبهه، لأن أن تضمير الخوافض معها كثيرا، وتكون كالشرط، فاحتملت دخول الخافض وخروجه، لأن الإعراب لا يتبين فيها، وقال في المصادر: يتبين الرفع والخفض فيها، قال: وأنشدني أبو الجراح:

فَلَمَّا رَجَتْ بِالشُّرْبِ هَرَّ لَهَا الْعَصَا

شَحِيحٌ لَهُ عِنْدَ الْأَدَاءِ تَهِيمٌ (3)

وقال امرؤ القيس:

أَلَا هَلْ أَتَاهَا وَالْحَوَادِثُ جَمَّةُ

بَأَنَّ أَمْرًا الْقَيْسِ بَنَ تَمْلِكَ بَيَّقَرَا (4)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال: فأدخل الباء على أن وهي في موضع رفع كما أدخلها على إلحاد، وهو في موضع نصب، قال: وقد أدخلوا الباء على ما إذا أرادوا بها المصدر، كما قال الشاعر:

< 18-600 >  
أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَبَاءُ تَنَّمِي

بِمَا لَأَقْتُ لَبُونُ بَنِي زِيَادِ (5)

وقال: وهو في " ما " أقل منه في " أن "، لأن " أن " أقلّ شبيها بالأسماء من " ما ". قال: وسمعت أعرابيا من ربيعه، وسألته عن شيء، فقال: أرجو بذلك: يريد أرجو ذلك.

واختلف أهل التأويل في معنى الظلم الذي من أراد الإلحاد به في المسجد الحرام، أذاقه الله من العذاب الأليم، فقال بعضهم: ذلك هو الشرك بالله وعبادة غيره به: أي بالبيت.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظَلْمٍ ) يقول: بشرك.

حدثنا عليّ، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد، في قوله: ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظَلْمٍ ) هو أن يعبد فيه غير الله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظَلْمٍ ) قال: هو الشرك، من أشرك في بيت الله عدّبه الله.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر عن قتادة، مثله.

وقال آخرون: هو استحلال الحرام فيه أو ركوبه.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي ، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ ) < 601-18 > بِظَلْمٍ تُذْفَعُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ) يعني أن تستحلّ من الحرام ما حرّم الله عليك من لسان

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أو قتل، فتظلم من لا يظلمك، وتقتل من لا يقتلك، فإذا فعل ذلك فقد وجب له عذاب أليم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمُ ) قال: يعمل فيه عملا سيئا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا أبو كريب ونصر بن عبد الرحمن الأوديّ قالوا ثنا المحاربيّ، عن سفيان عن السّديّ، عن مرّة عن عبد الله، قال: ما من رجل يهّمّ بسيئة فتكتب عليه، ولو أن رجلا بعد أن بين همّ أن يقتل رجلا بهذا البيت، لأذاقه الله من العذاب الأليم.

حدثنا مجاهد بن موسى، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا شعبة، عن السّديّ، عن مرّة، عن عبد الله، قال مجاهد، قال يزيد، قال لنا شعبة، رفعه، وأنا لا أرفعه لك في قول الله: ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمُ نُذِقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ) قال: لو أن رجلا همّ فيه بسيئة وهو بعد أن أبين، لأذاقه الله عذابا أليما.

حدثنا الفضل بن الصباح، قال: ثنا محمد بن فضيل، عن أبيه، عن الضحاك بن مزاحم، في قوله: ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمُ ) قال: إن الرجل ليهم بالخطيئة بمكة وهو في بلد آخر ولم يعملها، فتكتب عليه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله: ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمُ نُذِقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ) قال: الإلحاد: الظلم في الحرم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك الظلم: استحلال الحرم متعمدا.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: ( بِالْحَادِ يَظْلَمُ ) قال: الذي يريد استحلاله متعمدا، ويقال الشرك.

< 18-602 >

وقال آخرون: بل ذلك احتكار الطعام بمكة.

\* ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني هارون بن إدريس الأصم، قال: ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن أشعث، عن حبيب بن أبي ثابت في قوله: ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظَلَمٍ تُذِفُهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ) قال: هم المحتكرون الطعام بمكة.

وقال آخرون: بل ذلك كل ما كان منها عنه من الفعل، حتى قول القائل: لا والله، وبلى والله.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن منصور، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو، قال: كان له فسطاطان: أحدهما في الحل، والآخر في الحرم، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل، فسئل عن ذلك، فقال: كنا نحدث أن من الإلحاد فيه أن يقول الرجل: كلا والله، وبلى والله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن أبي ربيعي، عن الأعمش، قال: كان عبد الله بن عمرو يقول: لا والله وبلى والله من الإلحاد فيه.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود وابن عباس، من أنه معني بالظلم في هذا الموضوع كل معصية لله، وذلك أن الله عم بقوله ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظَلَمٍ ) ولم يخصص به ظلم دون ظلم في خبر ولا عقل، فهو على عمومته. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: ومن يرد في المسجد الحرام بأن يميل بظلم، فيعصي الله فيه، نذقه يوم القيامة من عذاب موجه له. وقد ذكر عن بعض القراء أنه كان يقرأ ذلك ( وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ ) بفتح الياء بمعنى: ومن يرده بإلحاد من وردت المكان أردّه. وذلك قراءة لا تجوز القراءة عندي بها لخلافها ما عليه الحجة من القراء مجمعة مع بعدها من فصيح كلام العرب، وذلك أن يَرِدْ فعل واقع، يقال منه: وهو يَرِدْ مكان كذا أو بلدة كذا، ولا يقال: يَرِدْ في مكان كذا. وقد زعم بعض أهل المعرفة بكلام العرب، أن طَيِّبًا تقول: رغبت فيك، تريد: رغبت بك، وذكر أن بعضهم أنشده بيتا:

< 18-603 >

وَأُرْعَبُ فِيهَا عَنْ لَقِيْطٍ وَرَهْطِهِ

وَلَكَيْتِي عَنْ سَيْسِيسٍ لَسْتُ أُرْعَبُ (6)

بمعنى: وأرغب بها. فإن كان ذلك صحيحا كما ذكرنا، فإنه يجوز في الكلام، فأما القراءة به فغير جائزة لما وصفت.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (26)**

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، مُعَلِّمَهُ عَظِيمَ مَا رَكِبَ مِنْ قَوْمِهِ قَرِيبِشَ خَاصَةً دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ بِعِبَادَتِهِمْ فِي حَرَمِهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنِيبَاتِهِ وَتَطْهِيرِهِ مِنَ الْآفَاتِ وَالرِّيبِ وَالشَّرِكِ؛ وَاذْكَرَ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ ابْتَدَأْنَا هَذَا الْبَيْتَ الَّذِي يَعْبُدُ قَوْمُكَ فِيهِ غَيْرِي، إِذْ بَوَّأْنَا لَخَلِيلِنَا إِبْرَاهِيمَ، يَعْنِي بِقَوْلِهِ: بَوَّأْنَا؛ وَطَّأْنَا لَهُ مَكَانَ الْبَيْتِ.

كما حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور عن معمر، عن قتادة، قوله: ( **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ** ) قال: وضع الله البيت مع آدم صلى الله عليه وسلم حين أهبط آدم إلى الأرض وكان مهبطه بأرض الهند، وكان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض، فكانت الملائكة تهابه فنقص إلى ستين ذراعاً، وإن آدم لما فَعَدَّ أصوات الملائكة وتسبيحهم، شكى ذلك إلى الله، فقال الله: يا آدم إني قد أهبطت لك بيتاً يُطَافُ بِهِ كَمَا يُطَافُ حَوْلَ عَرْشِي، وَيُصَلَّى عِنْدَهُ كَمَا يُصَلَّى حَوْلَ عَرْشِي، فَانْطَلِقْ إِلَيْهِ! فَخَرَجَ إِلَيْهِ، وَمَدَّ لَهُ فِي خَطْوِهِ، فَكَانَ بَيْنَ كُلِّ خَطْوَتَيْنِ مَفَازَةٌ، فَلَمْ تَزَلْ تَلِكُ الْمَفَاوِزَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى أَتَى آدَمَ الْبَيْتَ، فَطَافَ بِهِ وَمِنْ بَعْدِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ.

< 18-604 >

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: لما عهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل أن يطهرا بيتي للطائفين، انطلق إبراهيم حتى أتى مكة، فقام هو وإسماعيل، وأخذوا المعاول، لا يدريان أين البيت، فبعث الله ريحاً يقال لها رِيحُ الْخَجُوجِ، لها جناحان ورأس في صورة حية، فكنست لها ما حول الكعبة عن أساس البيت الأول، واتبعها بالمعاول يحفران، حتى وضعا الأساس، فذلك حين يقول: ( **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ** ) .

ويعني بالبيت: الكعبة، ( **أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا** ) في عبادتك إياي ( **وَطَهَّرْ بَيْتِي** ) الذي بنيته من عبادة الأوثان.

كما حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي عن سفيان عن ليث، عن مجاهد، في قوله: ( **وَطَهَّرْ بَيْتِي** ) قال: من الشرك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، قال: من الآفات والريب.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: **طَهَّرَا بَيْتِي** قال: من الشرك وعبادة الأوثان.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله: ( لِلطَّائِفِينَ ) يعني للطائفين ، والقائمين بمعنى المصلين الذين هم قيام في صلاتهم.

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو ثَمِيلَةَ، عن أبي حمزة، عن جابر، عن عطاء في قوله ( وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ ) قال: القائمون في الصلاة.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: ( وَالْقَائِمِينَ ) قال: القائمون المصلون.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكْعَ السُّجُودَ ) قال: القائم والراكع والساجد هو المصلي، والطائف هو الذي يطوف به. وقوله: ( وَالرُّكْعَ السُّجُودَ ) يقول: والركع السجود في صلاتهم حول البيت.

< 18-605 >

القول في تأويل قوله تعالى : **وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَيَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (28) ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (29)**

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: عهدنا إليه أيضا أن أذن في الناس بالحج: يعني بقوله: (وَأَذِّنْ) أعلم وناد في الناس أن حجوا أيها الناس بيت الله الحرام (يَأْتُوكَ رِجَالًا) يقول: فإن الناس يأتون البيت الذي تأمرهم بحجه مشاة على أرجلهم (وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ) يقول: وركبانا على كل ضامر، وهي الإبل المهازلة (يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) يقول: تأتي هذه الضوامر من كل فج عميق: يقول: من كل طريق ومكان ومسلك بعيد. وقيل: يأتين. فجمع لأنه أريد بكل ضامر: النوق. ومعنى الكل: الجمع، فلذلك قيل: يأتين. وقد زعم الفراء أنه قليل في كلام العرب: مررت على كل رجل قائمين. قال: وهو صواب، وقول الله " وَعَلَى ضَامِرٍ يَأْتِينَ " ينبيء على صحة جوازه. وذكر أن إبراهيم صلوات الله عليه لما أمره الله بالتأذين بالحج، قام على مقامه فنادى: يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا بيته العتيق.

وقد اختلف في صفة تأذين إبراهيم بذلك. فقال بعضهم: نادى بذلك كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قيل له: (أَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) قال: رَبِّ وَمَا يَبْلُغُ صوتي؟ قال: أذن وعليّ البلاغ فنادى إبراهيم: أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فحجوا- قال: فسمعه ما بين السماء والأرض، أفلا ترى الناس يجيئون من أقصى الأرض يلبون.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 18-606 >

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا محمد بن فضيل بن غزوان الضمي، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما بنى إبراهيم البيت أوحى الله إليه، أن أدن في الناس بالحج، قال: فقال إبراهيم: ألا إن ربكم قد اتخذ بيتا، وأمركم أن تحجوه، فاستجاب له ما سمعه من شيء من حجر وشجر وأكمة أو تراب أو شيء: لبيك اللهم لبيك.

حدثنا ابن حميد قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا ابن واقد، عن أبي الزبير، عن مجاهد، عن ابن عباس: قوله: (وَأَدْنُ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) قال: قام إبراهيم خليل الله على الحجر، فنادى: يا أيها الناس كتب عليكم الحج، فاسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فأجابه من آمن من سبق في علم الله أن يحج إلى يوم القيامة: لبيك اللهم لبيك.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير: (وَأَدْنُ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا) قال: وقرت في قلب كل ذكر وأشي.

حدثني ابن حميد، قال: ثنا حكام عن عمرو، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، قال: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت، أوحى الله إليه، أن أدن في الناس بالحج، قال: فخرج فنادى في الناس: يا أيها الناس أن ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه، فلم يسمعه يومئذ من إنس، ولا جن، ولا شجر، ولا أكمة، ولا تراب، ولا جبل، ولا ماء، ولا شيء إلا قال: لبيك اللهم لبيك.

قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: قام إبراهيم على المقام حين أمر أن يؤذن في الناس بالحج.

حدثني القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، في قوله: (وَأَدْنُ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) قال: قام إبراهيم على مقامه، فقال: يا أيها الناس أجيئوا ربكم، فقالوا: لبيك اللهم لبيك، فمن حج اليوم فهو ممن أجاب إبراهيم يومئذ.

حدثنا ابن المثني، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن داود، عن عكرمة بن خالد المخزومي، قال: لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت، قام على المقام، فنادى نداء سمعه أهل الأرض: إن ربكم قد بنى لكم بيتا فحجوه، قال داود: > 607-18 < فأرجو من حج اليوم من إجابة إبراهيم عليه السلام. (7)

حدثني محمد بن سنان القزاز، قال: ثنا حجاج، قال: ثنا حماد، عن أبي عاصم العتوي، عن أبي الطفيل، قال: قال ابن عباس: هل تدري كيف كانت التلبية؟ قلت: وكيف كانت التلبية؟ قال: إن إبراهيم لما أمر أن يؤذن في الناس بالحج، خفضت له الجبال رءوسها، وزفعت القرى، فأذن في الناس.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، قوله: ( وَأَدْنُ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ) قال إبراهيم: كيف أقول يا رب؟ قال: قل: يا أيها الناس استجيبوا لربكم، قال: وقَّرت في قلب كل مؤمن.

وقال آخرون في ذلك، ما حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن سلمة، عن مجاهد، قال: قيل لإبراهيم: أدن في الناس بالحج، قال: يا رب كيف أقول؟ قال: قل لبيك اللهم لبيك. قال: فكانت أول التلبية.

وكان ابن عباس يقول: عني بالناس في هذا الموضع: أهل القبلة.

\*ذكر الرواية بذلك: حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ( وَأَدْنُ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ) يعني بالناس: أهل القبلة، ألم تسمع أنه قال: إِنَّ أَوْلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ... [إلى قوله: وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا [يقول: ومن دخله من الناس الذين أمر أن يؤذن فيهم، وكتب عليهم الحج، فإنه آمن، فعظموا حرمت الله تعالى، فإنها من تقوى القلوب.

وأما قوله: ( يَا تُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ صَامِرٍ ) فإن أهل التأويل قالوا فيه نحو قولنا.

\*حدثنا القاسم، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: ( يَا تُوكَ رِجَالًا ) قال: مشاة.

< 18-608 >

قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو معاوية عن الحجاج بن أرطاة، قال: قال ابن عباس: لم آسى على شيء فاتني إلا أن لا أكون حججت ماشيا، سمعت الله يقول: ( يَا تُوكَ رِجَالًا ).

قال: ثنا الحسين، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: حج إبراهيم وإسماعيل ماشيين.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن ابن عباس: ( يَا تُوكَ رِجَالًا ) قال: على أرجلهم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ( وَعَلَى كُلِّ صَامِرٍ ) قال: الإبل.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: ( وَعَلَى كُلِّ صَامِرٍ ) قال: الإبل.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي، قال: ثنا المحاربي، عن عمر بن ذر، قال: قال مجاهد: كانوا لا يركبون، فأنزل الله: (يَأْتُونَكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ) قال: فأمرهم بالزاد، ورخص لهم في الركوب والمتجر.

وقوله ( مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ) حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ( مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ) يعني: من مكان بعيد.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا ججاج، عن ابن جريح، قال: قال ابن عباس: ( مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ) قال: بعيد.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: ( فَجٍّ عَمِيقٍ ) قال: مكان بعيد.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة مثله.

وقوله: ( لِيَسْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ) اختلف أهل التأويل في معنى المنافع التي ذكرها الله في هذا الموضع فقال بعضهم: هي التجارة ومنافع الدنيا.

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا < 609-18 > عمرو بن عاصم، عن أبي رزين، عن ابن عباس: ( لِيَسْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ) قال: هي الأسواق.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو ثُمَيْلة، عن أبي حمزة، عن جابر بن الحكم، عن مجاهد عن ابن عباس، قال: تجارة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن عاصم بن بهدلة، عن أبي رزين، في قوله: ( لِيَسْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ) قال: أسواقهم.

قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن واقد، عن سعيد بن جبيرة: ( لِيَسْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ) قال: التجارة.

حدثنا عبد الحميد بن بيان، قال: أخبرنا إسحاق عن سفيان، عن واقد، عن سعيد بن جبيرة، مثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن واقد، عن سعيد، مثله.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا سنان، عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي رزين: ( لِيَسْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ) قال: الأسواق.

وقال آخرون: هي الأجر في الآخرة، والتجارة في الدنيا.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\*ذكر من قال ذلك:- حدثنا ابن بشار، وسوار بن عبد الله، قالوا ثنا يحيى بن سعيد، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ( لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ) قال: التجارة، وما يرضي الله من أمر الدنيا والآخرة.

حدثنا عبد الحميد بن بيان، قال: ثنا إسحاق، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا عبد الحميد بن بيان، قال: ثنا سفيان، قال: أخبرنا إسحاق، عن أبي بشر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ( لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ) قال: الأجر في الآخرة، والتجارة في الدنيا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، مثله.

< 18-610 >

وقال آخرون: بل هي العفو والمغفرة.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن جابر، عن أبي جعفر: ( لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ) قال: العفو.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني أبو ثُمَيْلة، عن أبي حمزة، عن جابر، قال: قال محمد بن عليّ: مغفرة.

وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: عني بذلك: ليشهدوا منافع لهم من العمل الذي يرضي الله والتجارة، وذلك أن الله عمّ لهم منافع جميع ما يشهد له الموسم، ويأتي له مكة أيام الموسم من منافع الدنيا والآخرة، ولم يخص من ذلك شيئا من منافعهم بخبر ولا عقل، فذلك على العموم في المنافع التي وصفت.

وقوله: ( وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ) يقول تعالى ذكره: وكفي يذكروا اسم الله على ما رزقهم من الهدايا والبُدن التي أهدوها من الإبل والبقر والغنم، في أيام معلومات، وهنّ أيام التشريق في قول بعض أهل التأويل. وفي قول بعضهم أيام العشر. وفي قول بعضهم: يوم النحر وأيام التشريق.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في ذلك بالروايات، وبيّنا الأولى بالصواب منها في سورة البقرة، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضوع، غير أنني أذكر بعض ذلك أيضا في هذا الموضوع.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ( وَبَدَّكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ) يعني أيام التشريق.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاک في قوله: ( أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ) يعني أيام التشريق، ( عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ) يعني البدن.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: ( فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ) قال: أيام العشر، والمعدودات: أيام التشريق.

< 18-611 >

وقوله: ( فَكُلُوا مِنْهَا ) يقول: كلوا من بهائم الأنعام التي ذكرت اسم الله عليها أيها الناس هنالك. وهذا الأمر من الله جل ثناؤه أمر إباحة لا أمر إيجاب، وذلك أنه لا خلاف بين جميع الحجة أن ذابح هديه أو بدنته هنالك، إن لم يأكل من هديه أو بدنته، أنه لم يضع له فرضا كان واحبا عليه، فكان معلوما بذلك أنه غير واجب.

\*ذكر الرواية عن بعض من قال ذلك من أهل العلم:- حدثنا سوار بن عبد الله، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن ابن جريج، عن عطاء، قوله: ( فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ) قال: كان لا يرى الأكل منها واجبا.

حدثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن مجاهد، أنه قال: هي رخصة: إن شاء أكل، وإن شاء لم يأكل، وهي كقوله: وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا قَائِدًا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ يعني قوله: فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ .

قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم، في قوله: ( فَكُلُوا مِنْهَا ) قال: هي رخصة، فإن شاء أكل وإن شاء لم يأكل.

قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حجاج، عن عطاء، في قوله: ( فَكُلُوا مِنْهَا ) قال: هي رخصة، فإن شاء لم يأكل وإن شاء لم يأكل.

حدثني علي بن سهل، قال: ثنا زيد، قال: ثنا سفيان، عن حصين، عن مجاهد، في قوله: ( فَكُلُوا مِنْهَا ) قال: إنما هي رخصة.

وقوله: ( وَأَطِعُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ) يقول:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأطعموا مما تذبحون أو تنحرون هنالك من بهيمة الأنعام من هديكم وبُدنكم البائس، وهو الذي به ضرّ الجوع والزمانة والحاجة، والفقير: الذي لا شيء له.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ( فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ) يعني: الرّمين الفقير.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن رجل، > 612-18  
< عن مجاهد: ( الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ) الذي يمد إليك يديه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ( الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ) قال: هو القانع.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عمر بن عطاء، عن عكرمة، قال: البائس: المضطر الذي عليه البؤس- والفقير: المتعفف.

قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ( الْبَائِسَ ) الذي يبسط يديه. وقوله: ( ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ) يقول: تعالى ذكره: ثم ليقضوا ما عليهم من مناسك حجهم: من حلق شعر، وأخذ شارب، ورمي جمرة، وطواف بالبيت.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن أبي الشوارب، قال: ثني يزيد، قال: أخبرنا الأشعث بن سوار، عن نافع، عن ابن عمر، أنه قال: ( ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ) قال: ما هم عليه في الحجّ.

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا يزيد، قال: ثني الأشعث، عن نافع، عن ابن عمر، قال: التفث: المناسك كلها.

قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا عبد الملك، عن عطاء، عن ابن عباس، أنه قال، في قوله: ( ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ) قال: التفث: حلق الرأس، وأخذ من الشاربين، وتنف الإبط، وحلق العانة، وقصّ الأظفار، والأخذ من العارضين، ورمي الجمار، والموقف بعرفة والمزدلفة.

حدثنا حميد، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا خالد، عن عكرمة، قال: التفث: الشعر والظفر.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني يعقوب, قال: ثنا ابن عليه, عن خالد, عن عكرمة, مثله.

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني أبو صخر, عن محمد بن كعب القرظي, أنه كان يقول في هذه الآية: ( ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفْتَهُمْ ) رمي الجمار, وذبح الذبيحة, وأخذ من الشاربين واللحية والأظفار, والطواف < 613-18 > بالبيت وبالصفا والمروة.

حدثنا محمد بن المثني, قال: ثنا محمد بن جعفر, قال: ثنا شعبة, عن الحكم, عن مجاهد أنه قال في هذه الآية: ( ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفْتَهُمْ ) قال: هو حلق الرأس, وذكر أشياء من الحجّ قال شعبة: لا أحفظها.

قال: ثنا ابن أبي عديّ, عن شعبة, عن الحكم, عن مجاهد, مثله.

حدثني محمد بن عمرو؛ قال: ثنا أبو عاصم, قال: ثنا عيسى, وحدثني الحارث, قال: ثنا الحسن, قال: ثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: ( ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفْتَهُمْ ) قال: حلق الرأس, وحلق العانة, وقصر الأظفار, وقصّ الشارب, ورمي الجمار, وقصّ اللحية.

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج, عن مجاهد, مثله. إلا أنه لم يقل في حديثه: وقصّ اللحية.

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي, قال: ثنا المحاربي, قال: سمعت رجلا يسأل ابن جُرَيْج, عن قوله: ( ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفْتَهُمْ ) قال: الأخذ من اللحية, ومن الشارب, وتقليم الأظفار, وتنف الإبط, وحلق العانة, ورمي الجمار.

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثنا هشيم, قال: أخبرنا منصور, عن الحسن, وأخبرنا جويبر, عن الضحاك أنهما قالا حلق الرأس.

حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ( ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفْتَهُمْ ) يعني: حلق الرأس.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: ثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: التفت: حلق الرأس, وتقليم الظفر.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: ( ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفْتَهُمْ ) يقول: نسكهم.

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ( ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفْتَهُمْ ) قال: التفت: حرمهم.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ( ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ) قال: يعني بالتفت: وضع إحرامهم من حلق الرأس، ولبس الثياب، وقصّ الأظفار ونحو ذلك.

< 18-614 >

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء بن السائب، قال: التفت: حلق الشعر، وقصّ الأظفار والأخذ من الشارب، وحلق العانة، وأمر الحجّ كله.

وقوله: ( وَلْيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ ) يقول: وليؤفوا الله بما نذروا من هدي وبدنة وغير ذلك.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ( وَلْيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ ) نحر ما نذروا من البدن.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى - وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ( وَلْيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ ) نذر الحجّ والهدي، وما نذر الإنسان من شيء يكون في الحجّ.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ( وَلْيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ ) قال: نذر الحجّ والهدي، وما نذر الإنسان على نفسه من شيء يكون في الحجّ.

وقوله: ( وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) يقول: وليطوّفوا ببيت الله الحرام.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ( الْعَتِيقِ ) في هذا الموضع، فقال بعضهم: قيل ذلك لبيت الله الحرام، لأن الله أعتقه من الجبابة أن يصلوا إلى تخريبه وهدمه.

\*ذكر من قال ذلك:- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، أن ابن الزبير، قال: إنما سمي البيت العتيق، لأن الله أعتقه من الجبابة.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن ابن الزبير، مثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: إنما سمي العتيق، لأنه أعتق من الجبابة.

< 18-615 >



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال: ثنا سفيان, قال: ثنا أبو هلال, عن قتادة: ( وَلَيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال: أَعْتِقَ من الجبارة.

حدثني محمد بن عمرو, قال: ثنا أبو عاصم, قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث, قال: ثنا الحسن, قال: ثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: ( الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال: أَعْتَقَهُ اللهُ من الجبارة, يعني الكعبة.

وقال آخرون: قيل له عتيق, لأنه لم يملكه أحد من الناس.

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن بشار, قال: ثنا مؤمل, قال: ثنا سفيان, عن عبيد, عن مجاهد, قال: إنما سمي البيت العتيق لأنه ليس لأحد فيه شيء.

وقال آخرون: سمي بذلك لقدمه.

\*ذكر من قال ذلك: حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ( الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال: العتيق: القديم, لأنه قديم, كما يقال: السيف العتيق, لأنه أول بيت وضع للناس بناه آدم, وهو أول من بناه, ثم بوأ الله موضعه لإبراهيم بعد الغرق, فبناه إبراهيم وإسماعيل.

قال أبو جعفر: ولكل هذه الأقوال التي ذكرناها عن ذكرناها عنه في قوله: ( الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) وجه صحيح, غير أن الذي قاله ابن زيد أغلب معانيه عليه في الظاهر. غير أن الذي روي عن ابن الزبير أولى بالصحة, إن كان ما: حدثني به محمد بن سهل البخاري, قال: ثنا عبد الله بن صالح, قال: أخبرني الليث, عن عبد الرحمن بن خالد بن مسافر, عن الزهري, عن محمد بن عروة, عن عبد الله بن الزبير, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّمَا سُمِّيَ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ لِأَنَّ اللَّهَ أَعْتَقَهُ مِنَ الْجَبَايِرَةِ فَلَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِ قَطُّ صَحِيحًا ".

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال الزهري: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إِنَّمَا سُمِّيَ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ لِأَنَّ اللَّهَ أَعْتَقَهُ " ثم ذكر مثله.

وعني بالطواف الذي أمر جل ثناؤه حاج بيته العتيق به في هذه الآية طواف الإفاضة الذي يُطَافُ به بعد التعريف, إما يوم النحر وإما بعده, لا خلاف > 18-616 < بين أهل التأويل في ذلك.

\*ذكر الرواية عن بعض من قال ذلك: حدثنا عمرو بن سعيد القرشي, قال: ثنا الأنصاري, عن أشعث, عن الحسن: ( وَلَيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال: طواف الزيارة.

حدثنا ابن عبيد الأعلى, قال: ثنا خالد, قال: ثنا الأشعث, أن الحسن قال في قوله: ( وَلَيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال: الطواف الواجب.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ( وَلَيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) يعني: زيارة البيت.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن حجاج وعبد الملك، عن عطاء، في قوله: ( وَلَيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال: طواف يوم النحر.

حدثني أبو عبد الرحمن البرقي، قال: ثنا عمرو بن أبي سلمة، قال: سألت زهيراً عن قول الله: ( وَلَيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال: طواف الوداع.

واختلف القراء في قراءة هذه الحروف، فقرأ ذلك عامة قراء الكوفة " ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفْتَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلَيَطُوفُوا " بتسكين اللام في كل ذلك طلب التخفيف، كما فعلوا في هو إذا كانت قبله واو، فقالوا " وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ " فسكنوا الهاء، وكذلك يفعلون في لام الأمر إذا كان قبلها حرف من حروف النسق كالواو والفاء وثم. وكذلك قرأت عامة قراء أهل البصرة، غير أن أبا عمرو بن العلاء كان يكسر اللام من قوله: ( ثُمَّ لَيَقْضُوا ) خاصة من أجل أن الوقوف على ثم دون ليقضوا حسن، وغير جائز الوقوف على الواو والفاء، وهذا الذي اعتلّ به أبو عمرو لقراءته علة حسنة من جهة القياس، غير أن أكثر القراء على تسكينها.

وأولى الأقوال بالصواب في ذلك عندي، أن التسكين في لام " ليقضوا " والكسر قراءتان مشهورتان، ولغتان سائرتان، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب. غير أن الكسر فيها خاصة أقيس، لما ذكرنا لأبي عمرو من العلة، لأن من قرأ " وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ " فهو بتسكين الهاء مع الواو والفاء، وبحركتها في قوله: ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ فذلك الواجب عليه أن يفعل < 617-18 > في قوله: " ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفْتَهُمْ " فيحرك اللام إلى الكسر مع " ثم " وإن سكنها في قوله: ( وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ). وقد ذكر عن أبي عبد الرحمن السلمي والحسن البصري تحريكها مع " ثم " والواو، وهي لغة مشهورة، غير أن أكثر القراء مع الواو والفاء على تسكينها، وهي أشهر اللغتين في العرب وأفصحها، فالقراءة بها أعجب إليّ من كسرها.

القول في تأويل قوله تعالى: ( ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ حَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَجَلْتُ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُنَلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (30) )

يقول تعالى ذكره بقوله ( ذَلِكَ ) هذا الذي أمر به من قضاء التفث والوفاء بالذور، والطواف بالبيت العتيق، هو الفرض الواجب عليكم يا أيها الناس في حركم ( وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ حَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ) يقول: ومن يجتنب ما أمره الله باجتنابه في حال إحرامه تعظيماً منه لحدود الله أن يواقعها وحرمه أن يستحلها، فهو خير له عند ربه في الآخرة.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

كما حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثنا حجاج, عن ابن جريج, قال: قال مجاهد, في قوله: ( ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ ) قال: الحُرْمَةُ: مكة والحجَّ والعُمْرة, وما نهى الله عنه من معاصيه كلها.

حدثني محمد بن عمرو, قال: ثنا أبو عاصم, قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث, قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ( وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ ) قال: الحرمات: المَشْعَرُ الحرام, والبيت الحرام, والمسجد الحرام, والبلد الحرام, هؤلاء الحرمات.

وقوله: ( وَأُجِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ ) يقول جل ثناؤه: وأحلَّ الله لكم أيها الناس الأنعام أن تأكلوها إذا ذكيتموها, فلم يحرم عليكم منها بحيرة, ولا سائبة, < 618-18 > ولا وَصِيلَة, ولا حاما, ولا ما جعلتموه منها لآلهتكم ( إلا ما يُتْلَى عَلَيْكُمْ ) يقول: إلا ما يتلى عليكم في كتاب الله, وذلك: الميتة, والدم, ولحم الخنزير, وما أهلَّ لغير الله به, والمنخنقة, والموقوذة, والمتردية, والنطيحة, وما أكل السبع, وما دُبِحَ على النَّصَبِ, فإن ذلك كله رجس.

كما: حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: ثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة: ( إلا ما يُتْلَى عَلَيْكُمْ ) قال: إلا الميتة, وما لم يذكر اسم الله عليه.

حدثنا الحسن, قال: ثنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, مثله.

وقوله: ( فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ) يقول: فاتقوا عبادة الأوثان, وطاعة الشيطان في عبادتها فإنها رجس.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن سعد, قال: ثنا أبي, قال: ثنا عمي, قال: ثنا أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: ( فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ) يقول تعالى ذكره: فاجتنبوا طاعة الشيطان في عبادة الأوثان.

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثنا حجاج, عن ابن جريج في قوله: ( الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ) قال: عبادة الأوثان.

وقوله: ( وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ) يقول تعالى ذكره: واتقوا قول الكذب والفرية على الله بقولكم في الآلهة: مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُوا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى وقولكم للملائكة: هي بنات الله, ونحو ذلك من القول, فإن ذلك كذب وزور وشرك بالله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: قول الزور قال: الكذب.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

< 18-619 >

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: **وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ \* حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ** يعني: الافتراء على الله والتكذيب.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عاصم، عن وائل بن ربيعة، عن عبد الله، قال: تعدل شهادة الزور بالشرك. وقرأ: ( **وَاجْتَنِبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ** ).

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو بكر، عن عاصم، عن وائل بن ربيعة، قال: **عُدِلَتْ** شهادة الزور الشرك. ثم قرأ هذه الآية: ( **وَاجْتَنِبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ** ).

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو أسامة، قال: ثنا سفيان العصفري، عن أبيه، عن **خُرَيْمِ بْنِ فَاتِكٍ** قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **عُدِلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ بِالشَّرِكِ بِاللَّهِ**" ثم قرأ: ( **وَاجْتَنِبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ** ).

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن سفيان العصفري، عن فاتك بن فضالة، عن أيمن بن خريم، أن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيباً فقال: " **أَيُّهَا النَّاسُ عُدِلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ بِالشَّرِكِ بِاللَّهِ**" مرتين. ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( **وَاجْتَنِبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ** ).

ويجوز أن يكون مراداً به: اجتنبوا أن ترجسوا أنفسكم أيها الناس من الأوثان بعبادتكم إياها.

فإن قائل قائل: وهل من الأوثان ما ليس برجس حتى قيل: فاجتنبوا الرجس منها؟ قيل: كلها رجس. وليس المعنى ما ذهبت إليه في ذلك، وإنما معنى الكلام: فاجتنبوا الرجس الذي يكون من الأوثان أي عبادتها، فالذي أمر جل ثناؤه بقوله: ( **وَاجْتَنِبُوا الرَّجْسَ** ) منها اتقاء عبادتها، وتلك العبادة هي الرجس، على ما قاله ابن عباس ومن ذكرنا قوله قبل.

# جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الهوامش:

(1) البيت للأحول البشكري ، واسمه يعلى قاله في ( اللسان : شبه ) نقله عن أبي عبيدة . وقد مر هذا الشاهد على مثل ما استشهد به المؤلف هنا ، عند قوله تعالى : " وهزي إليك بجدع النخلة " ( 16 : 72 ) ووفينا الكلام في رواياته وتخرجه ، فراجعه ثمة .

(2) هذا البيت ينسب لأعشى بنى قيس بن ثعلبة ، ولم أجد في ديوانه قصيدة دالية مكسورة من بحر الكامل ، ووجدت البيت في دالية منصوبة باختلاف في رواية وهذا هو البيت مع البيتين قبله :

جَعَلَ الْإِلَهَ طَعَامَنَا فِي مَالِنَا

رِزْقًا تَصَمَّمَتْ لَنَا لَنْ يَنْفَدَا

مِثْلَ الْهَضَابِ جَرَّازَةً لَسْيُوفِنَا

فَإِذَا تُرَاعُ فَإِنَّهَا لَنْ تُطْرَدَا

صَمَمَتْ لَنَا أَعْجَازُهُنَّ قُدُورَنَا

وَصُرُوعُهُنَّ لَنَا الصَّرِيحَ الْأَجْرَدَا

ومعنى الأبيات : جعل الله طعامنا في الإبل ، نرحلها حيث نشاء رزقا لا ينفد . وهي ضخمة كالهضاب نعقرها بسيوفنا للضيغان ، لا يطردها مروع أو مغير ، وقد ضمننت أعجازها لنا قدورنا أن تفرغ ، لسمنها وكثرة لحمها ، وضمننت ضروعها لنا اللبن خالصا صافيا . ( انظر الديوان ، طبع القاهرة ، ص 230 بشرح الدكتور محمد حسين ) . وفي اللسان رواية أخرى للبيت ، مع نسبته للأعشى ( في : جرد ) قال : ألبن وجر لا رعوة قال الأعشى :

صَمَمَتْ لَنَا أَعْجَازُهُ أُرْمَاخُنَا

مِلءَ الْمَرَاجِلِ وَالصَّرِيحَ الْأَجْرَدَا

وعلى هاتين الروایتين لا شاهد في البيت ؛ لأن المؤلف إنما ساقه شاهدا على زيادة الباء في قوله " برزق " ولا باء زائدة في هاتين الروایتين . وقد جعل الباء في قوله ( برزق ) نظير الباء التي في الآية : وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمِ أَي عَلَى تَقْدِيرٍ وَمَنْ يَرِدُ فِيهِ إِحَادًا يَظْلَمُ .

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (3) هذا البيت من شواهد الفراء تلميذ الكسائي وهما زعيما نحاة أهل الكوفة وهو مما أنشده إياه أبو الجراح أحد الأعراب الذين كان يأخذ عنهم اللغة ( انظره في معاني القرآن للفراء ، الورقة 10 من مصورة الجامعة ) . والنهيم كما في ( اللسان : نهيم ) : صوت كأنه زحير . وقيل صوت فوق الزئير . والنهيم صوت وتوعد وزجر . والضمير في لها : لعله راجع إلى الإبل التي أرادت الشرب ، حتى إذا كادت تبلغ الماء ، هز لها العصا ، وردها عنه ، رجل له صوت شديد منكر . والشاهد في البيت أن الباء الزائدة في قوله ( بالشرب ) داخلة على مصدر صريح ، وأن الفراء يرى أن دخولها على المصدر المؤول بأن أو بما والفعل ، أحسن من دخولها على المصدر الصريح . وقال الفراء : قوله " ومن يرد بأن يلحد فيه بالإلحاد بظلم " دخلت الباء في الإلحاد ، لأن تأويله : ومن يرد بأن يلحد فيه بظلم ، ودخول الباء في " أن " أسهل منه في الإلحاد ، وما أشبهه ، لأن " أن " تضمنر الخفوض معها كثيرا ( يريد حروف الخفض ) فاحتملت دخول الخافض وخروجه ، لأن الإعراب لا يتبين فيها ، وقل في المصادر ( أي الصريحة ) لتبين الخفض والرفع فيها ؛ أنشدني أبو الجراح : " فلما رجت بالشرب هز لها العصا " . . . . البيت .
- (4) البيت لامرئ القيس بن حجر ( العقد الثمين لأولاد ص 130 ) وليس في رواية الأعلام الشنتمري لديوان امرئ القيس . والبيت شاهد كالذي قبله على أن الباء في قوله ( بأن ) زائدة في المصدر المؤول المرفوع وهي أحسن منها في المصدر الصريح لخفاء الإعراب معها . وهو من شواهد الفراء في معاني القرآن ، ساقه مع الشاهد الذي قبله ( انظر معاني القرآن للفراء ، الورقة 310 ) قال : أدخل الباء على ( أن ) وهي في موضع رفع كما أدخلها على الإلحاد بظلم ، وهو في موضع نصب .
- (5) البيت لقيس بن زهير العبسي كما في ( النوادر لأبي زيد الأنصاري ، ص 203 ) ولم تحذف الياء في قوله ( يأتيك ) للجازم ، للضرورة . والبيت من شواهد الفراء في ( معاني القرآن ، ص 310 ) على أنهم قد يدخلون الحرف الزائد على المصدر المؤول بما وما بعدها . قال : وقد أدخلوها على ( ما ) إذا أرادوا ( أن ) أقل شيئا بالأسماء من ( ما ) . وسمعت أعرابيا من ربيعة وسألته عن شيء ، فقال : أرجو بذلك ، يريد : أرجو ذلك .
- (6) البيت سبق الاستشهاد به على مثل ما استشهد به المؤلف هنا ، في ( 13 : 189 ) وهو من شواهد الفراء في معاني القرآن ، الورقة 161 ، والورقة 310 من مصورة الجامعة ( على أن من العرب من يجعل ) ( في ) في موضع الباء ، فيقول أدخلك الله بالجنة ، يريد : في الجنة . قال الفراء في ( ص 310 ) : وقد يجوز في لغة الطائيين : لأنهم يقولون : رغبت فيك ، يريدون : رغبت بك . أنشدني بعضهم : " وأرغب فيها عن لقيط " . . . . البيت . يعني بنته . أه .
- (7) كذا وردت هذه العبارة الأخيرة في الأصل ، ولعل أصلها : فأرجو أن كل من حج اليوم ، فحجه من إجابة إبراهيم .

< 18-620 >

القول في تأويل قوله تعالى : حُتِّفَاءَ لِلَّهِ عَيَّرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطُّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ( 31

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره: اجتنبوا أيها الناس عبادة الأوثان، وقول الشرك، مستقيمين لله على إخلاص التوحيد له، وإفراد الطاعة والعبادة له خالصا دون الأوثان والأصنام، غير مشركين به شيئا من دونه، فإنه من يُشرك بالله شيئا من دونه، فمثله في بعده من الهدى وإصابة الحقِّ وهلاكه وذهابه عن ربه، مثل من خرَّ من السماء فتخطفه الطير فهلك، أو هوت به الريح في مكان سحيق، يعني من بعيد، من قولهم: أبعده الله وأسحقه، وفيه لغتان: أسحقته الريح وسحقته، ومنه قيل للنخلة الطويلة: نخلة سحوق؛ ومنه قول الشاعر:

كَاتَتْ لَنَا جَارَةٌ فَأَزَعَجَهَا

قَادُورَةٌ تَسْحَقُ النَّوَى قُدَمَا (1)

وَبُرُوى: تسحق: يقول: فهكذا مثل المشرك بالله في بُعده من ربه ومن إصابه الحقُّ، كُبُعد هذا الواقع من السماء إلى الأرض، أو كهلاك من اختطفته الطير منهم في الهواء.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ( فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ ) قال: هذا مِثْلُ ضربه الله لمن أشرك بالله في بعده من الهدى وهلاكه ( فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهَوَّى بِهِ > 18-621 < الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ).

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ( فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ) قال: بعيد.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

وقيل: ( فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ ) وقد قيل قبله: ( فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ ) وخرَّ فعل ماضٍ، وتخطفه مستقبل، فعطف بالمستقبل على الماضي، كما فعل ذلك في قوله: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وقد بيَّنت ذلك هناك.

القول في تأويل قوله تعالى : دَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمُ لَلَّهِ قَاتَّهَا مِنْ تَفْوَى الْقُلُوبِ (32)



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره: هذا الذي ذكرت لكم أيها الناس وأمرتكم به من اجتناب الرجس من الأوثان واجتناب قول الزور، حنفاء لله، وتعظيم شعائر الله، وهو استحسان البُدن واستسمانها وأداء مناسك الحجِّ على ما أمر الله جل ثناؤه، من تقوى قلوبكم.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا أبو كريب، قال: ثنا إسماعيل بن إبراهيم، قال: ثنا محمد بن زياد، عن محمد بن أبي ليلى، عن الحكم، عن مِقْسَم، عن ابن عباس، في قوله: ( وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ) قال: استعظامها، واستحسانها، واستسمانها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد، في قوله: ( وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ ) قال: الاستسمان والاستعظام.

< 18-622 >

وبه عن عنبسة، عن ليث، عن مجاهد، مثله، إلا أنه قال: والاستحسان.

حدثنا عبد الحميد بن بيان الواسطي، قال: أخبرنا إسحاق، عن أبي بشر، وحدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ ) قال: استعظام البدن، واستسمانها، واستحسانها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا محمد بن المثني، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا داود بن أبي هند، عن محمد بن أبي موسى، قال: الوقوف بعرفة من شعائر الله، وجمع (2) من شعائر الله، ورمي الجمار من شعائر الله، والبُدن من شعائر الله، ومن يعظمها فإنها من شعائر الله في قوله: ( وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ ) فمن يعظمها فإنها من تقوى القلوب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ ) قال: الشعائر: الجمار، والصفة والمروة من شعائر الله، والمشعر الحرام والمزدلفة، قال: والشعائر تدخل في الحرم، هي شعائر، وهي حرم.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن تعظيم شعائره، وهي ما حملة أعلاماً لخلقه فيما تعبدهم به من مناسك حجهم، من الأماكن التي أمرهم بأداء ما افترض عليهم منها عندها والأعمال التي

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ألزّمهم عملها في حجهم: من تقوى قلوبهم; لم يخصص من ذلك شيئاً، فتعظيم كل ذلك من تقوى القلوب، كما قال جل ثناؤه; وحق على عباده المؤمنين به تعظيم جميع ذلك. وقال: ( فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ) وَأَنْتَ وَلَمْ يَقُلْ: فَإِنَّهُ، لِأَنَّهُ أَرِيدُ بِذَلِكَ: فَإِنَّ تِلْكَ التَّعْظِيمَةَ مَعَ اجْتِنَابِ الرَّجْسِ مِنَ الْأَوْثَانِ مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ . وَعَنَى بِقَوْلِهِ: ( فَإِنَّهَا مِنْ < 623-18 > تَقْوَى الْقُلُوبِ ) فَإِنَّهَا مِنْ وَجَلِ الْقُلُوبِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَحَقِيقَةَ مَعْرِفَتِهَا بِعَظَمَتِهِ وَإِخْلَاصِ تَوْحِيدِهِ.

القول في تأويل قوله تعالى : لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَىٰ الْيَتِّ الْعَتِيقِ (33)

اختلف أهل التأويل في معنى المنافع التي ذكر الله في هذه الآية وأخبر عباده أنها إلى أجل مسمى، على نحو اختلافهم في معنى الشعائر التي ذكرها جل ثناؤه في قوله: وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ فقال الذين قالوا عنى بالشعائر البدن. معنى ذلك: لكم أيها الناس في البدن منافع. ثم اختلف أيضا الذين قالوا هذه المقالة في الحال التي لهم فيها منافع، وفي الأجل الذي قال عز ذكره: ( إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ) فقال بعضهم: الحال التي أخبر الله جل ثناؤه أن لهم فيها منافع، هي الحال التي لم يوجبها صاحبها ولم يسمها بدنة ولم يقلدها. قالوا: ومنافعها في هذه الحال: شرب ألبانها، وركوب طهورها، وما يرزقهم الله من نتاجها وأولادها. قالوا: والأجل المسمى الذي أخبر جل ثناؤه أن ذلك لعباده المؤمنين منها إليه، هو إلى إيجابهم إياها، فإذا أوجبوها بطل ذلك ولم يكن لهم من ذلك شيء.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يحيى بن عيسى، عن ابن أبي ليلى، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس في: ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ) قال: ما لم يسم بدنا.

حدثنا عبد الحميد بن بيان، قال: أخبرنا إسحاق بن يوسف، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ) قال: الركوب واللبن والولد، فإذا سميت بدنة أو هديا ذهب كله.

حدثنا محمد بن المثني، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، في هذه الآية: ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ) قال: لكم في ظهورها وألبانها وأوبارها، حتى تصير بدنا.

قال: ثنا ابن عدي، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، بمثله.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن ابن أبي نجيح، وليث عن مجاهد: ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) قال: في أشعارها وأوبارها وألبانها قبل أن تسميها بدنة.

قال: ثنا هارون بن المغيرة، عن عنبسة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) قال: في البدن لحومها وألبانها وأشعارها وأوبارها وأصوافها قبل أن تسمى هديا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله، وزاد فيه: وهي الأجل المسمى.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حجاج، عن عطاء أنه قال في قوله: ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال: منافع في ألبانها وظهورها وأوبارها (إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى) إلى أن تقلد.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا جوير، عن الضحاك، مثل ذلك.

حدثني يعقوب، قال: قال ابن عليه: سمعت ابن أبي نجيح يقول في قوله: ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) قال: إلى أن تُوجِبَهَا بَدَنَةً.

قال: ثنا ابن عليه، عن ابن أبي نجيح، عن قتادة: ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) يقول: في ظهورها وألبانها، فإذا قلدت فمحلها إلى البيت العتيق.

وقال آخرون ممن قال الشعائر البدن في قوله: وَمَنْ يُعْظِمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ والهاء في قوله: ( لَكُمْ فِيهَا ) من ذكر الشعائر، ومعنى قوله: ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ) لكم في الشعائر التي تعظمونها لله منافع بعد اتخاذكموها لله بدنا أو هدايا، بأن تركبوا ظهورها إذا احتجتم إلى ذلك، وتشرّبوا ألبانها إن اضطررتم إليها. قالوا: والأجل المسمى الذي قال جل ثناؤه: ( إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) إلى أن تنحر.

\*ذكر من قال ذلك:- حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، < 625-18 > عن ابن أبي نجيح، عن عطاء: ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) قال: هو ركوب البدن، وشرب لبنها إن احتاج.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال عطاء بن أبي رباح في قوله: ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) قال: إلى أن تنحر، قال: له أن يحملها عليها المعني والمنقطع به من الضرورة، كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بالبدنة إذا احتاج إليها سيدها أن يحمل عليها

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ويركب عند منهوكه. قلت لعطاء: ما؟ قال: الرجل الراجل، والمنقطع به، والمتبع وأن نتجت، أن يحمل عليها ولدها، ولا يشرب من لبنها إلا فضلا عن ولدها، فإن كان في لبنها فضل فليشرب من أهداهل ومن لم يهدها. وأما الذين قالوا: معنى الشعائر في قوله: وَمَنْ يُعْظَمُ شَعَائِرَ اللَّهِ . شعائر الحج، وهي الأماكن التي يُنسك عندها لله، فإنهم اختلفوا أيضا في معنى المنافع التي قال الله: ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ) فقال بعضهم: معنى ذلك: لكم في هذه الشعائر التي تعظمونها منافع بتجارتكم عندها وبيعكم وشرائكم بحضرتها وتسوقكم. والأجل المسمى: الخروج من الشعائر إلى غيرها ومن المواضع التي ينسك عندها إلى ما سواها في قول بعضهم.

حدثني الحسن بن عليّ الصُّدائي، قال: ثنا أبو أسامة عن سليمان الضبي، عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي رزين، عن ابن عباس، في قوله: ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ) قال: أسواقهم، فإنه لم يذكر منافع إلا للدنيا.

حدثني محمد بن المثنى، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا داود بن أبي هند، عن محمد بن أبي موسى، قوله: ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) قال: والأجل المسمى: الخروج منه إلى غيره.

وقال آخرون منهم: المنافع التي ذكرها الله في هذا الموضع: العمل لله بما أمر من مناسك الحج. قالوا: والأجل المسمى: هو انقضاء أيام الحج التي يُنسك لله فيهنّ.

\*ذكر من قال ذلك:- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) فقرأ قول الله: وَمَنْ يُعْظَمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ لَكُمْ > 18- 626 < في تلك الشعائر منافع إلى أجل مسمى، إذا ذهب تلك الأيام لم تر أحدا يأتي عرفة يقف فيها يبتغي الأجر، ولا المزدلفة، ولا رمي الجمار، وقد ضربوا من البلدان لهذه الأيام التي فيها المنافع، وإنما منافعها إلى تلك الأيام، وهي الأجل المسمى، ثم محلها حين تنقضي تلك الأيام إلى البيت العتيق.

قال أبو جعفر: وقد دللنا قبل على أن قول الله تعالى ذكره: وَمَنْ يُعْظَمُ شَعَائِرَ اللَّهِ معنى به: كل ما كان من عمل أو مكان جعله الله علما لمناسك حج خلقه، إذ لم يخصص من ذلك جلا ثناؤه شيئا في خبر ولا عقل. وإذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن معنى قوله: ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) في هذه الشعائر منافع إلى أجل مسمى، فما كان من هذه الشعائر بدنا وهديا، فمنافعها لكم من حين تملكون إلى أن أوجبتموها هدايا وبدنا، وما كان منها أماكن ينسك لله عندها، فمنافعها التجارة لله عندها والعمل بما أمر به إلى الشخوص عنها، وما كان منها أوقاتا بأن يُطاع الله فيها بعمل أعمال الحج وبطلب المعاش فيها بالتجارة، إلى أن يطاف بالبيت في بعض، أو يوافي الحرم في بعض ويخرج عن الحرم في بعض.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال اختلف الذين ذكرنا اختلافهم في تأويل قوله: ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) في تأويل قوله: ( ثُمَّ مَجَلَّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) فقال الذين قالوا عني بالشعائر في هذا الموضع: البُذُنْ معنى ذلك ثم محل البدن إلى أن تبلغ مكة، وهي التي بها البيت العتيق.

\*ذكر من قال ذلك: حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: أخبرنا هشيم، قال: أخبرنا حجاج، عن عطاء: ( ثُمَّ مَجَلَّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) إلى مكة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ( ثُمَّ مَجَلَّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) يعني محل البدن حين تسمى إلى البيت العتيق.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريح، عن مجاهد، قال: ( ثُمَّ مَجَلَّهَا ) حين تسمى هدبا (إلى البيت العتيق)، قال: < 527-18 > الكعبة أعتقها من الجبابرة. فوجه هؤلاء تأويل ذلك إلى سمي منحر البدن والهدايا التي أوجبتموها إلى أرض الحرم، وقالوا: عني بالبيت العتيق أرض الحرم كلها. وقالوا: وذلك قوله: فَلَا يَفْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ والمراد: الحرم كله.

وقال آخرون: معنى ذلك: ثم محلكم أيها الناس من مناسك حركم إلى البيت العتيق أن تطوفوا به يوم النحر بعد قضائكم ما أوجبه الله عليكم في حركم.

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا داود بن أبي هند، عن محمد بن أبي موسى: ( ثُمَّ مَجَلَّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال: محل هذه الشعائر كلها الطواف بالبيت.

وقال آخرون: معنى ذلك: ثم محل منافع أيام الحج إلى البيت العتيق بانقضائها.

\*ذكر من قال ذلك: - حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( ثُمَّ مَجَلَّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) حين تنقضي تلك الأيام، أيام الحج إلى البيت العتيق.

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ثم محل الشعائر التي لكم فيها منافع إلى أجل مسمى إلى البيت العتيق، فما كان من ذلك هديا أو بدنا فبموفاته الحرم في الحرم، وما كان من نسك فالطواف بالبيت.

وقد بينا الصواب في ذلك من القول عندنا في معنى الشعائر.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسِكًا لِيذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ )

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره: ( وَلِكُلِّ أُمَّةٍ ) ولكل جماعة سلف فيكم من أهل الإيمان بالله أيها الناس، جعلنا ذبحا يُهْرَبُونَ دمه ( لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ < 628-18 > بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ) بذلك لأن من البهائم ما ليس من الأنعام، كالخيل والبغال والحمير. وقيل: إنما قيل للبهائم بهائم لأنها لا تتكلم.

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: ( جَعَلْنَا مَنَسْكَ ) قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ( وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسْكَ ) قال: إهراق الدماء ( لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا ).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

وقوله: ( قَالَهُكُمْ إِلَهُ وَاجِدٌ ) يقول تعالى ذكره: فاجتنبوا الرجس من الأوثان، واجتنبوا قول الزور، فالهكم إليه واحد لا شريك له، فإياه فاعبدوا وله أخلصوا الألوهة. وقوله: ( قَلَهُ أَسْلِمُوا ) يقول: فلا الهكم فاضعوا بالطاعة، وله فذلوا بالإقرار بالعبودية. وقوله: ( وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ) يقول تعالى ذكره: وبشر يا محمد الخاضعين لله بالطاعة، المذعنين له بالعبودية، المنيين إليه بالتوبة. وقد بينا معنى الإخبات بشواهد في ما مضى من كتابنا هذا.

وقد اختلف أهل التأويل في المراد به في هذا الموضع، فقال بعضهم: أريد به: وبشر المطمئنين إلى الله.

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ( وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ) قال: المطمئنين.

حدثني أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ( وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ) المطمئنين إلى الله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى. وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ) قال: المطمئنين.

حدثنا الحسن، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ( وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ) قال: المتواضعين.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون في ذلك بما: حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا محمد بن مسلم، عن عثمان بن عبد الله بن أوس، عن عمرو بن أوس، قال: المختون: الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا.

حدثني محمد بن عثمان الواسطي، قال: ثنا حفص، بن عمر، قال: ثنا محمد بن مسلم الطائفي، قال: ثنا عثمان بن عبد الله بن أوس، عن عمرو بن أوس مثله.

القول في تأويل قوله تعالى : الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (35)

فهذا من نعت المختين; يقول تعالى ذكره لنيه محمد صلى الله عليه وسلم: وبشر يا محمد المختين الذين تخشع قلوبهم لذكر الله وتخضع من خشيته وجلا من عقابه وخوفا من سخطه.

كما: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ( الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ) قال: لا تقسو قلوبهم. (والصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ ) من شدة في أمر الله، ونالهم من مكروه في جنبه ( وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ ) المفروضة ( وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ) من الأموال ( يُنْفِقُونَ ) في الواجب عليهم إنفاقها فيه، في زكاة ونفقة عيال ومن وجبت عليه نفقته وفي سبيل الله.

القول في تأويل قوله تعالى : وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا حَبِيرٌ فَادْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (36)

< 18-630 >

يقول تعالى ذكره: والبدن وهي جمع بدنة، وقد يقال لواحدها: بدن، وإذا قيل بدن احتمل أن يكون جمعا وواحدا، يدل على أنه قد يقال ذلك للواحد قول الراجز:

عَلَيَّ حِينَ تَمْلِكُ الْأُمُورَا

صَوْمَ شُهُورٍ وَجَبَتْ نُدُورَا

وَخَلَقَ رَاسِي وَافِيَا مَصْفُورَا

وَبَدَنَا مُدَّرَعَا مُؤْفُورَا (3)



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

والبدن: هو الضخم من كل شيء، ولذلك قيل لامرئ القيس بن النعمان صاحب الخورنق، والسدير البدن: لضخمه واسترخاء لحمه، فإنه يقال: قد بدّن تدينا. فمعنى الكلام. والإبل العظام الأجسام الضخام، جعلناها لكم أيها الناس من شعائر الله: يقول: من أعلام أمر الله الذي أمركم به في مناسك حجكم إذا قلدتموها وجللتموها وأشعرتموها، علم بذلك وشعر أنكم فعلتم ذلك من الإبل والبقر.

كما: حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، عن ابن جريج، قال: قال عطاء: ( والبدن جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ) قال: البقرة والبعير.

< 18-631 >

وقوله: ( لَكُمْ فِيهَا حَيْرٌ ) يقول: لكم في البدن خير، وذلك الخير هو الأجر في الآخرة بنحرها والصدقة بها، وفي الدنيا: الركوب إذا احتاج إلى ركوبها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى - وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ( لَكُمْ فِيهَا حَيْرٌ ) قال: أجر ومنافع في البدن.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال. حدثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم: ( لَكُمْ فِيهَا حَيْرٌ ) قال: اللبن والركوب إذا احتاج.

حدثنا عبد الحميد بن بيان، قال: أخبرنا إسحاق، عن شريك، عن منصور، عن إبراهيم: ( لَكُمْ فِيهَا حَيْرٌ ) قال: إذا اضطرت إلى بدنتك ركبتها وشربت لبنها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم: ( لَكُمْ فِيهَا حَيْرٌ ) من احتاج إلى ظهر البدنة ركب، ومن احتاج إلى لبنها شرب.

وقوله: ( فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافً ) يقول تعالى ذكره: فاذكروا اسم الله على البدن عند تحركم إياها صوافً.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار ( فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافً ) بمعنى مصطفة، واحدها: صافة، وقد صفت بين أيديها. وروي عن الحسن ومجاهد وزيد بن أسلم وجماعة آخر معهم، أنهم قرءوا ذلك. " صَوَافِي " بالياء منصوبة، بمعنى: خالصة لله لا شريك له فيها صافية له.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقرأ بعضهم ذلك: " صَوَافٍ " بإسقاط الياء وتنوين الحرف, على مثال: عوار وعواد. وروي عن ابن مسعود أنه قرأه: " صَوَافِنٌ " بمعنى: معقولة.

والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأه بتشديد الفاء > 18-  
632 < ونصبها, لإجماع الحجة من القراء عليه بالمعنى الذي ذكرناه لمن قرأه كذلك.

\*ذكر من تأوله بتأويل من قرأه بتشديد الفاء ونصبها:- حدثنا أبو كريب, قال: ثنا جابر بن نوح, عن الأعمش, عن أبي ظبيان, عن ابن عباس, في قوله: ( فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ ) قال: الله أكبر الله أكبر, اللهم منك ولك. صواف: قياما على ثلاث أرجل. فقيل لابن عباس: ما نضع بجلودها؟ قال: تصدقوا بها, واستمتعوا بها.

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم, قال: ثنا أيوب بن سويد, قال: ثنا سفیان, عن الأعمش, عن أبي ظبيان, عن ابن عباس, في قوله: ( صَوَافٍ ) قال: قائمة, قال: يقول: الله أكبر, لا إله إلا الله, اللهم منك ولك.

حدثني محمد بن المثنى, قال: ثنا ابن أبي عدي, عن شعبة, عن سليمان, عن أبي ظبيان, عن ابن عباس: ( فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ ) قال: قياما على ثلاث قوائم معقولة باسم الله, اللهم أكبر, اللهم منك ولك.

حدثني يعقوب, قال: ثنا هشيم, قال: أخبرنا حصين, عن مجاهد, عن ابن عباس, في قوله: ( صَوَافٍ ) قال: معقولة إحدى يديها, قال: قائمة على ثلاث قوائم.

حدثني علي, قال: ثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن علي, عن ابن عباس, في قوله: ( فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ ) يقول: قياما.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: ( فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ ) والصواف: أن تعقل قائمة واحدة, وتصفها على ثلاث فتنحرها كذلك.

حدثنا يعقوب, قال: ثنا هشيم, قال: أخبرنا يعلى بن عطاء, قال: أخبرنا بجير بن سالم, قال: رأيت ابن عمر وهو ينحر بدنته, قال: فقال: ( صَوَافٍ ) كما قال الله, قال: فنحرها وهي قائمة معقولة إحدى يديها.

حدثنا أبو كريب, قال: ثنا ابن إدريس, قال: أخبرنا ليث, عن مجاهد, قال: الصَّوَّافُ: إذا عقلت رجلها وقامت على ثلاث.

> 18-633 <

قال: ثنا ليث, عن مجاهد, في قوله: ( فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ ) قال: صواف بين أوظافها.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى - وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (صَوَافٍ) قال: قيام صواف على ثلاث قوائم.

- حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، عن مجاهد: ( فَادُّكُّرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ ) قال: بين وظائفها قياما.

حدثنا ابن البرقي، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: أخبرنا يحيى بن أيوب، عن خالد بن يزيد، عن ابن أبي هلال، عن نافع، عن عبد الله: أنه كان ينحر البُدن وهي قائمة مستقبله البيت تصفُّ أيديها بالقيود، قال: هي التي ذكر الله: ( فَادُّكُّرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ ).

حدثنا ابن حميد، قال: ثني جرير، عن منصور، عن رجل، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس، قال: قلت له: قول الله ( فَادُّكُّرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ ) قال: إذا أردت أن تنحر البدنة فانحرها، وقل: الله أكبر، لا إله إلا الله، اللهم منك ولك، ثم سم ثم انحرها. قلت: فأقول ذلك للأضحية، قال: وللأضحية.

\*ذكر من تأوله بتأويل من قرأه: " صَوَافِيَّ " بالياء: حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، عن الحسن أنه قال: " فَادُّكُّرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافِيَّ " قال: مخلصين.

قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: قال الحسن: " صَوَافِيَّ ": خالصة.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، قال: قال الحسن: " صَوَافِيَّ ": خالصة لله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن قيس بن مسلم، عن شقيق الضبي: " فَادُّكُّرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافِيَّ " قال: خالصة.

قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا أيمن بن نابل، قال: سألت طاوسا عن قوله: " فَادُّكُّرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافِيَّ " قال: خالصة.

< 18-634 >

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: " فَادُّكُّرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافِيَّ " قال: خالصة ليس فيها شريك كما كان المشركون يفعلون، يجعلون لله ولألهتهم صوافي صافية لله تعالى.

\*ذكر من تأوله بتأويل من قرأه " صَوَافِيَّ ": حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: في حرف ابن مسعود: " فَادُّكُّرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافِيَّ ": أي معقلة قياما.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: في حرف ابن مسعود: " فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافِنَ " قال: أي معقولة قياما.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، قال: من قرأها " صَوَافِنَ " قال: معقولة. قال: ومن قرأها: (صَوَافٍ) قال: تصف بين يديها.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: " فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافِنَ " يعني صوافن، والبدنة إذا نحرت عقلت يد واحدة، فكانت على ثلاث، وكذلك تنحرت.

قال أبو جعفر: وقد تقدم بيان أولى هذه الأقوال بتأويل قوله: (صَوَافٍ) وهي المصطفة بين أيديها المعقولة إحدى قوائمها.

وقوله: ( قَائِدًا وَجَبَّتْ جُنُوبُهَا ) يقول: فإذا سقطت فوقع جنوبها إلى الأرض بعد النحر، ( فَكَلُّوا مِنْهَا ) وهو من قولهم: قد وجبت الشمس: إذا غابت فسقطت للتغيب، ومنه قول أوس بن حجر:

أَلَمْ تُكْسَفِ الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ

وَالْكَوَاكِبُ لِلْجَبَلِ الْوَّاجِبِ (4)

< 18-635 >

يعني بالواجب: الواقع.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:- حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ( قَائِدًا وَجَبَّتْ جُنُوبُهَا ) سقطت إلى الأرض.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، في قوله: ( قَائِدًا وَجَبَّتْ جُنُوبُهَا ) قال: إذا فرغت ونجرت.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني محمد بن عمارة، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد: ( فَإِذَا وَجَبَتْ ) نحرت.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ( فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ) قال: إذا نحرت.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ) قال: فإذا ماتت.

وقوله: ( فَكُلُوا مِنْهَا ) وهذا مخرجه مخرج الأمر ومعناه الإباحة والإطلاق؛ يقول الله: فإذا نحرت فسقطت ميتة بعد النحر فقد حل لكم أكلها، وليس بأمر إيجاب.

وكان إبراهيم النخعي يقول في ذلك ما:- حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، قال: المشركون كانوا لا يأكلون من ذبائحهم، فرخص للمسلمين، فأكلوا منها، فمن شاء أكل ومن شاء لم يأكل.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن حصين، عن مجاهد، قال: إن شاء أكل وإن شاء لم يأكل، فهي بمنزلة: وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا .

< 18-636 >

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ( فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) يقول: يأكل منها ويطعم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا يونس، عن الحسن، وأخبرنا مغيرة، عن إبراهيم، وأخبرنا حجاج، عن عطاء. وأخبرنا حصين، عن مجاهد، في قوله: ( فَكُلُوا مِنْهَا ) قال: إن شاء أكل وإن شاء لم يأكل، قال مجاهد: هي رخصة، هي كقوله: فَإِذَا قُضِيََتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ومثل قوله: وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ، وقوله: ( وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) يقول: فاطعموا منها القانع.

واختلف أهل التأويل في المعنى بالقانع والمعتّر، فقال بعضهم: القانع الذي يقنع بما أعطي أو بما عنده ولا يسأل، والمعتّر: الذي يتعرّض لك أن تطعمه من اللحم ولا يسأل.

ذكر من قال ذلك:- حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ( وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) قال: القانع: المستغني بما أعطيته وهو في بيته، والمعتّر: الذي يتعرّض لك ويلم بك أن تطعمه من اللحم ولا يسأل. وهؤلاء الذين أمر أن يطعموا من البُدن.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني يعقوب, قال: ثنا ابن عليه, عن ليث, عن مجاهد, قال: القانع: جارك الذي يقنع بما أعطيته, والمعتّر: الذي يتعرض لك ولا يسألك.

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني أبو صخر, عن القرظي أنه كان يقول في هذه الآية: ( وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) القانع: الذي يقنع بالشيء اليسير يرضى به, والمعتّر: الذي يمرّ بجانبك لا يسأل شيئاً; فذلك المعتّر.

وقال آخرون: القانع: الذي يقنع بما عنده ولا يسأل; والمعتّر: الذي يعتريك فيسألك.

ذكر من قال ذلك: حدثني عليّ, قال: ثنا أبو صالح, قال: ثني  $< 637-18 >$  معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: ( الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) يقول: القانع المتعفف; (والمعتّر) يقول: السائل.

حدثنا ابن أبي الشوارب, قال: ثنا عبد الواحد, قال: ثنا خصيف, قال: سمعت مجاهداً يقول: القانع: أهل مكة; والمعتّر: الذي يعتريك فيسألك.

حدثني أبو السائب, قال: ثنا عطاء, عن خصيف, عن مجاهد مثله.

حدثنا ابن بشار, قال: ثنا مسلم بن إبراهيم, قال: ثني كعب بن فروخ, قال: سمعت قتادة يحدث, عن عكرمة, في قوله: ( الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) قال: القانع: الذي يقعد في بيته, والمعتّر: الذي يسأل.

حدثنا ابن بشار, قال: ثنا عبد الأعلى, قال: ثنا سعيد, عن قتادة, قال: القانع: المتعفف الجالس في بيته; والمعتّر: الذي يعتريك فيسألك.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: ثنا ابن ثور, عن معمر, عن ابن أبي نجیح, عن مجاهد, قال: القانع: والمعتّر, قال: القانع: الطامع بما قبلك ولا يسألك; والمعتّر: الذي يعتريك ويسألك.

حدثني نصر بن عبد الرحمن, قال: ثنا المحاربي, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد وإبراهيم قالا القانع: الجالس في بيته; والمعتّر: الذي يسألك.

حدثنا ابن بشار, قال: ثنا عبد الأعلى, قال: ثنا سعيد, عن قتادة في القانع والمعتّر, قال: القانع: الذي يقنع بما في يديه; والمعتّر: الذي يعتريك, ولكليهما عليك حقّ يا ابن آدم.

حدثنا ابن حميد, قال: ثنا جرير, عن منصور, عن مجاهد: ( فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) قال: القانع الذي يجلس في بيته. والمعتّر: الذي يعتريك.

وقال آخرون: القانع: هو السائل, والمعتّر: هو الذي يعتريك ولا يسأل.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن بشار, قال: ثنا عبد الأعلى, قال: ثنا يونس, عن الحسن, قال: القانع: الذي يقنع إليك ويسألك; والمعتز: > 638-18 < الذي يتعز لك ولا يسألك.

حدثنا ابن المثنى, قال: ثنا محمد بن جعفر, قال: ثنا شعبة, عن منصور بن زاذان, عن الحسن, في هذه الآية: ( وَأَطِعُوا الْقَانَعَ وَالْمُعْتَرَّ ) قال: القانع: الذي يقنع, والمعتز: الذي يعتربك. قال: وقال الكلبي: القانع: الذي يسألك; والمعتز: الذي يعتربك, يتعز ولا يسألك.

حدثني نصر عبد الرحمن الأودي, قال: ثنا المحاربي, عن سفيان, عن يونس, عن الحسن, في قوله: ( وَأَطِعُوا الْقَانَعَ وَالْمُعْتَرَّ ) قال: القانع: الذي يسألك, والمعتز: الذي يتعز لك.

حدثنا أبو كريب, قال: ثنا ابن إدريس, عن أبيه, قال: قال سعيد بن جبيرة: القانع: السائل.

حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسي, قال: ثنا غالب, قال: ثنا شريك, عن فرات القزاز, عن سعيد بن جبيرة, في قوله: (القانع) قال هو السائل, ثم قال. أما سمعت قول الشماخ.

لَمَالُ الْمَرْءِ يُضْلِحُهُ فَيُغْنِي

مَفَاقرُهُ أَعْفُ مِنَ الْقُنُوعِ (5)

قال: من السؤال.

حدثني يعقوب, قال: ثنا ابن عليه, قال: أخبرنا يونس, عن الحسن, أنه قال في قوله: ( وَأَطِعُوا الْقَانَعَ وَالْمُعْتَرَّ ) قال: القانع: الذي يقنع إليك ويسألك, والمعتز: الذي يريك نفسه ويتعز لك ولا يسألك.

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثنا هشام, قال: أخبرنا منصور > 639-18 < ويونس, عن الحسن. قال: القانع: السائل, والمعتز: الذي يتعز ولا يسأل.

حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني عبد الله بن عياش, قال: قال زيد بن أسلم: القانع: الذي يسأل الناس.

وقال آخرون: القانع: الجار, والمعتز: الذي يعتربك من الناس.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\*ذكر من قال ذلك:- حدثنا أبو كريب, قال: ثنا ابن إدريس, قال: سمعت ليثا, عن مجاهد, قال: القانع: جارك وإن كان غنيا, والمعتّر: الذي يعتريك.

حدثنا ابن حميد, قال: ثنا حكام, عن عنبسة, عن ابن أبي نجيح, قال: قال مجاهد, في قوله: ( وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) قال: القانع: جارك الغني, والمعتّر: من اعتراك من الناس.

حدثني يعقوب, قال: ثنا هشيم, قال: أخبرنا مغيرة, عن إبراهيم, في قوله: ( وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) أنه قال: أحدهما السائل, والآخر الجار.

وقال آخرون: القانع: الطوّاف, والمعتّر: الصديق الزائر.

\*ذكر من قال ذلك:- حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم, قال: ثنا أبي وشعيب بن الليث, عن الليث, عن خالد بن يزيد, عن ابن أبي هلال, قال: قال زيد بن أسلم, في قول الله تعالى: ( الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) فالقانع: المسكين الذي يطوف, والمعتّر: الصديق والضعيف الذي يزور.

وقال آخرون: القانع: الطامع, والمعتّر: الذي يعتّر بالبدن.

\*ذكر من قال ذلك:- حدثني محمد بن عمرو, قال: ثنا أبو عاصم, قال: ثنا عيسى- وحدثني الحارث, قال: ثنا الحسن, قال: ثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: (القانع) قال: الطامع; والمعتّر: من يعتّر بالبدن من غني أو فقير.

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثنا حجاج, عن ابن جريج, قال: أخبرني عمر بن عطاء, عن عكرمة, قال: القانع: الطامع.

< 18-640 >

وقال آخرون: القانع: هو المسكين, والمعتّر: الذي يتعرّض للحم.

\*ذكر من قال ذلك:- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ( وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) قال: القانع: المسكين, والمعتّر: الذي يعتّر القوم للحمهم وليس بمسكين, ولا تكون له ذبيحة, يجيء إلى القوم من أجل لحمهم, والبائس الفقير: هو القانع.

وقال آخرون بما:- حدثنا به ابن بشار, قال: ثنا عبد الرحمن, قال: ثنا سفيان, عن فرات, عن سعيد بن جبير, قال: القانع: الذي يقنع, والمعتّر: الذي يعتريك.

حدثنا ابن بشار, قال: ثنا عبد الرحمن, قال: ثنا سفيان, عن يونس, عن الحسن بمثله.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال: ثنا سفيان, عن منصور, عن إبراهيم ومجاهد: ( الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) القانع: الجالس في بيته, والمعتّر: الذي يتعرّض لك.

وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: عني بالقانع: السائل; لأنه لو كان المعنيّ بالقانع في هذا الموضع , المكتفي بما عنده والمستغني به لقل: وأطعموا القانع والسائل, ولم يقل: وأطعموا القانع والمعتّر. وفي إتباع ذلك قوله: والمعتّر, الدليل الواضح على أن القانع معنيّ به السائل, من قولهم: قنع فلان إلى فلان, بمعنى سأله وخضع إليه, فهو يقنع قنوعاً; ومنه قول لبيد:

وَأَعْطَانِي الْمَوْلَى عَلَى حِينٍ فَفَرِهِ

إِذَا قَالَ أَبْصِرْ حَلَّتِي وَقُنُوعِي (6)

وأما القانع الذي هو بمعنى المكتفي, فإنه من قنعت بكسر النون أقنع قناعة وقنعا وقنعانا. وأما المعتّر: فإنه الذي يأتيك معتراً بك لتعطيه وتطعمه.

وقوله: ( كَذَلِكَ سَخَّرْنَاَهَا لَكُمْ ) يقول هكذا سخرنا البدن لكم أيها الناس. يقول: لتشكروني على تسخيرها لكم.

< 18-641 >

القول في تأويل قوله تعالى : لَنْ يَتَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَكِنْ يَتَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (37)

يقول تعالى ذكره: [لم يصل إلى الله لحوم بدنكم ولا دماؤها, ولكن يناله اتقاؤكم إياه أن اتقيتموه فيها فأردتم بها وجهه, وعملتكم فيها بما ندبكم إليه وأمركم به في أمرها وعظمتكم بها حرماته.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:- حدثنا ابن بشار, قال: ثنا يحيى, عن سفيان, عن منصور, عن إبراهيم, في قول الله: ( لَنْ يَتَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَكِنْ يَتَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ) قال: ما أريد به وجه الله.

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ( لَنْ يَتَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَكِنْ يَتَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ) قال: إن اتقيت الله في هذه البدن, وعملت فيها لله, وطلبت ما قال الله تعظيماً لشعائر الله ولحرمات الله, فإنه قال: وَمَنْ يُعْظِمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ قَالَ وَمَنْ يُعْظِمُ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ قَالَ: وجعلته طيباً, فذلك الذي يتقبل

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الله. فأما اللحوم والدماء، فمن أين تنال الله؟ وقوله: ( كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ ) يقول: هكذا سخر لكم البدن. يقول: ( لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ) يقول: كي تعظموا الله على ما هداكم، يعني على توفيقه إياكم لدينه وللنفسك في حكم.

كما:- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ( لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ) قال: على ذبحها في تلك الأيام ( وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ) يقول: وبشر يا محمد الذين أطاعوا الله فأحسنوا في طاعتهم إياه في الدنيا بالجنة في الآخرة.

القول في تأويل قوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (38)

< 18-642 >

يقول تعالى ذكره: إن الله يدفع غائلة المشركين عن الذين آمنوا بالله وبرسوله، إن الله لا يحب كل خَوَّانٍ يخون الله فيخالف أمره ونهيه ويعصيه ويطيع الشيطان (كَفُورٍ) يقول: جحود لنعمه عنده، لا يعرف لمنعمها حقه فيشكره عليها. وقيل: إنه عنى بذلك دفع الله كفار قريش عن من كان بين أظهرهم من المؤمنين قبل هجرتهم.

الهوامش:

(1) البيت مما أنشده الأزهري في تهذيبه ، ونقله عن صاحبه ( اللسان : سحق  
( قال : السحق في العدو فوق المشي ودون الحضر ، وأنشده الأزهري : " كانت لنا جارة . . . البيت " . والقاذورة من الإبل : التي تبرك ناحية منها  
وتستبعد وتنافرها عند الحلب . وتسحق : تجد في سيرها . والنوى : التحول من  
مكان إلى مكان ، أو الوجه الذي ينوبه المسافر من قرب أو من بعد . وقدا  
: لا تعرج ولا تنثني . يريد أن جارتها نأت عنه بناقة تجد في سيرها ، ولا تعرج  
على شيء . والبيت شاهد على أن السحق معناه السير الجاد فوق المشي  
ودون العدو .

(2) جمع : هي المزدلفة .

(3) هذه أربعة أبيات من مشطور الرجز رواها المؤلف عن الفراء في معاني  
القرآن في هذا الوضع من التفسير ، وأنشدها قبل ذلك ثلاثة منها في ( 7 :  
120 ) عند تفسير قوله تعالى : ( فأخران يقومان مقامهما من الذين استحق  
عليهم الأوليان ) في سورة المائدة . مع اختلاف في بعض الألفاظ عن روايته  
لها هنا ، وهي :

عَلَيَّ حِينَ تَمْلِكُ الْأُمُورَا

# جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

صَوْمَ شُهُورٍ وَجَبَتْ نُذُورًا

وَبَادِنَا مُقَلَّدًا مَنُحُورًا

ولفظه ( بادنا ) على هذه الرواية ، قد تكون صحيحة ، يريد جملا سميها جسيما . كما في ( اللسان : بدن ) ، يقال : رجل بادن ، والأنثى بادن وبادنة والجمع : بدن ( بضم فسكون ) ، وبدن ( بالضم وتشديد الدال المفتوحة ) . وقد تكون ( بادنا ) محرفة عن بدن ( بالتحريك ) ، بدليل تخريج المؤلف له بقوله " والبدن " ( بضم فسكون ) جمع بدنة ( بالتحريك ) ، وقد يقال لواحدها : بدن ( بالتحريك ) ، يدل عليه قول الراجز . " وبدنا مدرعا موفورا " . أه .

ويؤيده أيضًا قول أبي البقاء العكبري في إعراب القرآن : البدن ( بضم فسكون ) : وجمع بدن ، ( بالتحريك ) وواحدته : بدنة مثل خشب ( بضم فسكون ) وخشب ( بالتحريك ) ويقال هو جمع بدنة ، مثل ثمرة وثمر ( الأخير بضم فسكون ) ، ويقرأ بضم الدال . والبدنة كما في ( اللسان : بدن ) بالهاء : لعظمتها وسميتها . أه . يقول الراجز : أوجبت على نفسي إذا ملكت الأمور بقاء المخاطب أن أصوم شهورا ، وأن أحلق رأسي ، وأن أنحر بدنا أي جملا ضحما .

(4) البيت لأوس بن حجر كما قال المؤلف . والجيل هنا : يريد به رجلا عظيما ، والواجب الذي مات . قال في ( اللسان / وجب ) ووجب الرجل وجبا : مات ، قال قيس بن الخطيم يصف حربا وقعت بين الأوس والخزرج في يوم بعث وأن مقدم بني عوف وأميرهم لج في المحاربة ، ونهى بني عوف عن السلم حتى كان أول قتيل :

أطاعت بنو عوف أميرا نهاهم

عن السلم حتى كان أول واجب

وبيت أوس بن حجر شاهد على أن قوله تعالى : ( فإذا وجبت جنوبها ) معناه : فإذا سقطت فوجعت جنوبها على الأرض بعد النحر ، فكلوا منها . أه . (5) البيت للشماخ بن ضرار ( لسان العرب : قنع ) قال : وفي التنزيل : وَأَطَعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ، فالقانع الذي يسأل والمعتر : الذي يتعرض ولا يسأل . قال الشماخ : " لمال المرء . . . البيت " يعني من مسألة الناس . وقال ابن السكيت ومن العرب : من يجيز القنوع : بمعنى القناعة ، وكلام العرب الجيد : هو الأول . ويروى : " من الكنوع " والكنوع : التقبض والتصاغر . وقيل القانع : السائل ، وقيل : المتعفف وكل يصلح ، والرجل : قانع وقنيع . وقال الفراء : هو الذي يسألك فما أعطيته قبله . وقيل : القنوع : الطمع . والفعل : قنع بالفتح يقنع قنوعا : ذل السؤال . وقيل : سأل . ومفارقة : وجوه فقره ، وقيل

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

: جمع فقر على غير قياس كالمشابه والملاح . ويجوز أن تكون جمع مفقرة مصدر أفقره ، أو جمع مفقر ( اسم فاعل ) .  
(6) البيت للبيد كما قال المؤلف ، ولم أجده في ديوانه طبعة ليدن سنة 1891 . والخلة بالفتح : الحاجة والفقر . وقال اللحياني : خلة به شديدة : أي خاصة . والقنوع : السؤال ، وقد شرحناه وبيناه في الشاهد الذي قبله القول في تأويل قوله تعالى : **أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ تَصْرِيهِمْ لَقَدِيرٌ (39)**

يقول تعالى ذكره: أذن الله للمؤمنين الذين يقاتلون المشركين في سبيله بأن المشركين ظلموهم بقتالهم.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة: (أَذِنَ) بضم الألف، (يُقَاتِلُونَ) بفتح التاء بترك تسمية الفاعل في أذِنَ وَيُقَاتِلُونَ جميعًا. وقرأ ذلك بعض الكوفيين وعامة قراء البصرة: (أَذِنَ) بترك تسمية الفاعل، و " يُقَاتِلُونَ " بكسر التاء، بمعنى يقاتل المأذون لهم في القتال المشركين. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وبعض المكيين: " أذِنَ " بفتح الألف، بمعنى: أذن الله، و " يُقَاتِلُونَ " بكسر التاء، بمعنى: إن الذين أذن الله لهم بالقتال يقاتلون المشركين. وهذه القراءات الثلاث متقاربات المعنى؛ لأن الذين قرءوا أذِنَ على وجه ما لم يسم فاعله يرجع معناه في التأويل إلى معنى قراءة من قرأه على وجه ما سمي فاعله- وإن من قرأ يُقَاتِلُونَ، وَيُقَاتِلُونَ بالكسر أو الفتح، فقريب معنى أحدهما من معنى الآخر- وذلك أن من قاتل إنسانا فالذي قاتله له مقاتل، وكل واحد منهما مقاتل. فإذا كان ذلك كذلك فبأية هذه القراءات قرأ القارئ فمصيب الصواب.

غير أن أحب ذلك إليّ أن أقرأ به: **أَذِنَ** بفتح الألف، بمعنى: أذن الله، لقرب ذلك من قوله: ( **إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ** ) أذن الله في الذين لا يحبهم للذين يقاتلونهم بقتالهم، فيردُّ أذِنَ على قوله: ( **إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ** ) > 643-18 < وكذلك أحب القراءات إليّ في يُقَاتِلُونَ كسر التاء، بمعنى: الذين يقاتلون من قد أخبر الله عنهم أنه لا يحبهم، فيكون الكلام متصلا معنى بعضه ببعض.

وقد اختلف في الذين عُنيوا بالإذن لهم بهذه الآية في القتال، فقال بعضهم: عني به: نبي الله وأصحابه.

\*ذكر من قال ذلك:- حدثني محمد بن سعيد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ( **أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ تَصْرِيهِمْ لَقَدِيرٌ** ) يعني محمدا وأصحابه إذا أخرجوا من مكة إلى المدينة؛ يقول الله: ( **وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ تَصْرِيهِمْ لَقَدِيرٌ** ) وقد فعل.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، قال: لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

مكة، قال رجل: أخرجوا نبيهم، فنزلت: (أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأْتَهُمْ ظُلْمًا) الآية الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَغَيْرِ حَقِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ.

حدثنا يحيى بن داود الواسطي، قال: ثنا إسحاق بن يوسف، عن سفيان، عن الأعمش، عن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن  $< 644-18 >$  عباس، قال: لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم، إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكنَّ- قال ابن عباس: فأنزل الله: (أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأْتَهُمْ ظُلْمًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ تَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) قال أبو بكر: فعرفت أنه سيكون قتال. وهي أول آية نزلت. قال ابن داود: قال ابن إسحاق: كانوا يقرءون: (أَذِنَ) ونحن نقراء: "أَذِنَ".

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا إسحاق، عن سفيان، عن الأعمش، عن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر نحوه، إلا أنه قال: فقال أبو بكر: قد علمت أنه يكون قتال. وإلى هذا الموضع انتهى حديثه، ولم يزد عليه.

حدثني محمد بن خلف العسقلاني، قال: ثنا محمد بن يوسف، قال: ثنا قيس بن الربيع، عن الأعمش، عن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة، قال أبو بكر: إنا لله وإنا إليه راجعون، أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله ليهلكنَّ جميعاً! فلما نزلت: (أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأْتَهُمْ ظُلْمًا) إلى قوله: الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَغَيْرِ حَقِّ عَرَفَ أَبُو بَكْرٍ أَنَّهُ سَيَكُونُ قِتَالٌ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في  $< 645-18 >$  قوله: (أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأْتَهُمْ ظُلْمًا) قال: أذن لهم في قتالهم بعد ما عفا عنهم عشر سنين. وقرأ: الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَغَيْرِ حَقِّ وَقَالَ: هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول، في قوله: الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَغَيْرِ حَقِّ . (1)

وقال آخرون: بل عني بهذه الآية قوم بأعيانهم كانوا خرجوا من دار الحرب يريدون الهجرة، فمنعوا من ذلك.

\*ذكر من قال ذلك:- حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى- وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: (أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأْتَهُمْ ظُلْمًا) قال: أناس مؤمنون خرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة، فكانوا يمنعون، فأذن الله للمؤمنين بقتال الكفار، فقاتلوهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، في قوله: (أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأْتَهُمْ ظُلْمًا) قال: ناس من المؤمنين خرجوا

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

مهاجرين من مكة إلى المدينة، وكانوا يمنعون، فأدركهم الكفار، فأذن للمؤمنين بقتال الكفار فقاتلوهم. قال ابن جرير: يقول: أول قتال أذن الله به للمؤمنين.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: في حرف ابن مسعود: "أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" قال قتادة: وهي أول آية نزلت في القتال، فأذن لهم أن يقاتلوا.

حدثنا الحسين، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، في قوله: (أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا) قال: هي أول آية أنزلت في القتال، فأذن لهم من أجل أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانوا استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل الكفار إذا أذوهم واشتدوا عليهم بمكة قبل الهجرة غيلة سرًا؛ فأنزل الله في ذلك: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ) فَلَمَّا هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة، أطلق لهم قتلهم وقتالهم، فقال: (أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا). وهذا قول ذكر عن الضحاك بن مزاحم من وجه غير ثبت.

وقوله: (وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ تَصْرِيهِمْ لَقَدِيرٌ) يقول جل ثناؤه: وإن الله على نصر المؤمنين الذين يقاتلون في سبيل الله لقادر، وقد نصرهم فأعزهم ورفعهم وأهلك عدوهم وأذلهم بأيديهم.

القول في تأويل قوله تعالى: الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَّيْتُمْ صَوَامِعَ وَبِيَعٍ وَصَلَوَاتٍ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيُنْظِرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَبْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40)

يقول تعالى ذكره: أذن للذين يقاتلون (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ) فالذين الثانية رد على الذين الأولى. وعنى بالمخرجين من دورهم: المؤمنين الذين أخرجهم كفار قريش من مكة. وكان إخراجهم إياهم من دورهم وتعذيبهم بعضهم على الإيمان بالله ورسوله، وسبهم بعضهم بالسنتهم ووعيدهم إياهم، حتى اضطروهم إلى الخروج عنهم. وكان فعلهم ذلك بهم بغير حق، لأنهم كانوا على باطل والمؤمنون على الحق، فلذلك قال جل ثناؤه: (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ) < 646-18 >

وقوله: (إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ) يقول تعالى ذكره: لم يخرجوا من ديارهم إلا بقولهم: ربنا الله وحده لا شريك له! فإن في موضع خفض ردًا على الباء في قوله: (بِغَيْرِ حَقٍّ)، وقد يجوز أن تكون في موضع نصب على وجه الاستثناء.

وقوله: (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ) اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: ولولا دفع الله المشركين بالمسلمين.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، قوله: ( وَلَوْلا دَفَعُ اللهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ) دفع المشركين بالمسلمين.

وقال آخرون: معنى ذلك: ولولا القتال والجهاد في سبيل الله.

\*ذكر من قال ذلك: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَلَوْلا دَفَعُ اللهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ) قال لولا القتال والجهاد.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولولا دفع الله بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بعدهم من التابعين.

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا إبراهيم بن سعيد، قال: ثنا يعقوب بن إبراهيم، عن سيف بن عمرو، عن أبي روق، عن ثابت بن عوسجة الحضرمي، قال: حدثني سبعة وعشرون من أصحاب عليّ وعبد الله منهم لاحق بن الأقرم، والعيزار بن جرول، وعطية القرظي، أن عليا رضي الله عنه قال: إنما أنزلت هذه الآية في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( وَلَوْلا دَفَعُ اللهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ) لولا دفاع الله بأصحاب محمد عن التابعين ( لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ ).

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لولا أن الله يدفع بمن أوجب قبول شهادته في الحقوق تكون لبعض الناس على بعض عن لا يجوز شهادته وغيره، فأحيا بذلك مال هذا ويوقى بسبب هذا إراقة دم هذا، وتركوا المظالم من أجله، لتظالم الناس فهدمت صوامع.

< 18-647 >

\*ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ( وَلَوْلا دَفَعُ اللهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ) يقول: دفع بعضهم بعضا في الشهادة، وفي الحق، وفيما يكون من قبل هذا. يقول: لولاهم لأهلكت هذه الصوامع وما ذكر معها.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه لولا دفاعه الناس بعضهم ببعض، لهدم ما ذكر، من دفعه تعالى ذكره بعضهم ببعض، وكفه المشركين بالمسلمين عن ذلك؛ ومنه كفه ببعضهم التظالم، كالسلطان الذي كفه به رعيته عن التظالم بينهم؛ ومنه كفه لمن أجاز شهادته بينهم ببعضهم عن الذهاب بحق من له قبله حق، ونحو ذلك. وكل ذلك دفع منه الناس بعضهم عن بعض، لولا ذلك لتظالموا، فهدم القاهرون صوامع المقهورين ويبيعهم وما سمى جل ثناؤه. ولم يضع الله تعالى دلالة في عقل على أنه عنى من ذلك بعضا دون بعض، ولا جاء بأن ذلك كذلك خبر يجب التسليم له، فذلك على الظاهر والعموم على ما قد بينته قبل لعموم ظاهر ذلك جميع ما ذكرنا.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله: ( لَهْدَمْتُ صَوَامِعُ ) اختلف أهل التأويل في المعنيّ بالصوامع, فقال بعضهم: عني بها صوامع الرهبان.

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا محمد بن المثنى, قال: ثنا عبد الوهاب, قال: ثنا داود, عن ربيع في هذه الآية: ( لَهْدَمْتُ صَوَامِعُ ) قال: صوامع الرهبان.

حدثني محمد بن عمرو, قال: ثنا أبو عاصم, قال: ثنا عيسى; وحدثني الحارث, قال: ثنا الحسن, قال: ثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: ( لَهْدَمْتُ صَوَامِعُ ) قال: صوامع الرهبان.

- حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: ( لَهْدَمْتُ صَوَامِعُ ) قال: صوامع الرهبان.

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ( لَهْدَمْتُ صَوَامِعُ ) قال: صوامع الرهبان.

< 18-648 >

حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ, يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاک يقول: في قوله: ( لَهْدَمْتُ صَوَامِعُ ) وهي صوامع الصغار بينونها (2) وقال آخرون: بل هي صوامع الصابئين.

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: ثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة: (صَوَامِعُ) قال: هي للصابئين.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, مثله.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: (لَهْدَمْتُ). فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة: " لَهْدِمْتُ ". خفيفة. وقرأته عامة قرّاء أهل الكوفة والبصرة: (لَهْدَمْتُ) بالتحديد بمعنى تكرير الهدم فيها مرّة بعد مرّة. والتشديد في ذلك أعجب القراءتين إليّ. لأن ذلك من أفعال أهل الكفر بذلك.

وأما قوله (وَيَبِّعُ) فإنه يعني بها: بيع النصارى.

وقد اختلف أهل التأويل في ذلك, فقال بعضهم مثل الذي قلنا في ذلك.

\*ذكر من قال ذلك:- حدثني محمد بن المثنى, قال: ثنا عبد الأعلى, قال: ثنا داود, عن ربيع: (وَيَبِّعُ) قال: بيع النصارى.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: ثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: (وَيَبِّعُ) للنصارى.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, مثله.

خُدث عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول: البيع: بيع النصارى.

وقال آخرون: عني بالبيع في هذا الموضوع: كنائس اليهود.

< 18-649 >

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا محمد بن عمرو, قال: ثنا أبو عاصم, قال: ثنا عيسى; وحدثني الحارث. قال: ثنا الحسن, قال: ثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: (وَبَيْعٌ) قال: وكنائس.

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج, عن مجاهد, مثله.

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: (وَبَيْعٌ) قال: البيع للكنائس.

قوله: (وَصَلَوَاتٌ) اختلف أهل التأويل في معناه, فقال بعضهم: عني بالصلوات الكنائس.

\*ذكر من قال ذلك: - حدثنا محمد سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: (وَصَلَوَاتٌ) قال: يعني بالصلوات الكنائس.

خُدث عن الحسن, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: (وَصَلَوَاتٌ) كنائس اليهود, ويسمون الكنيسة صلوتا.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: ثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة: (وَصَلَوَاتٌ) كنائس اليهود.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, مثله.

وقال آخرون: عني بالصلوات مساجد الصابئين.

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن المثنى, قال: ثنا عبد الأعلى, قال: ثنا داود, قال: سألت أبا العالية عن الصلوات. قال: هي مساجد الصابئين.

قال: ثنا عبد الوهاب, قال: ثنا داود, عن رفيع, نحوه.

وقال آخرون: هي مساجد للمسلمين ولأهل الكتاب بالطرق.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\*ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، < 650-18 > عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( وَصَلَوَاتُ ) قال: مساجد لأهل الكتاب ولأهل الإسلام بالطرق.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، نحوه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَصَلَوَاتُ ) قال: الصلوات صلوات أهل الإسلام، تنقطع إذا دخل العدو عليهم، انقطعت العبادة، والمساجد تهدم، كما صنع بختنصر.

وقوله: ( وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ) اختلف في المساجد التي أريدت بهذا القول، فقال بعضهم: أريد بذلك مساجد المسلمين.

\*ذكر من قال ذلك:- حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا داود، عن رفيع، قوله: ( وَمَسَاجِدُ ) قال: مساجد المسلمين.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، قال: ثنا معمر، عن قتادة: ( وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ) قال: المساجد: مساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتاده، نحوه.

وقال آخرون: عني بقوله: ( وَمَسَاجِدُ ) الصوامع والبيع والصلوات.

\* ذكر من قال ذلك:- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ( وَمَسَاجِدُ ) يقول في كل هذا يذكر اسم الله كثيرا، ولم يخص المساجد.

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: الصلوات لا تهدم، ولكن حمله على فعل آخر، كأنه قال: وتركت صلوات. وقال بعضهم: إنما يعني: مواضع الصلوات. وقال بعضهم: إنما هي صلوات، وهي كنائس اليهود، تدعى بالعبرانية: صلوتا.

وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: لهدمت صوامع الرهبان وبيع النصارى، وصلوات اليهود، وهي كنائسهم، ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيرا.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وإنما قلنا هذا القول أولى بتأويل ذلك؛ لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب المستفيض فيهم، وما خالفه من القول وإن كان له وجه فغير مستعمل فيما وجهه إليه من وجهه إليه.

وقوله: ( وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ) يقول تعالى ذكره: وليعيننَّ الله من يقاتل في سبيله، لتكون كلمته العليا على عدوه؛ فنصر الله عبده: معونته إياه، ونصر العبد ربه: جهاده في سبيله، لتكون كلمته العليا.

وقوله: ( إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ) يقول تعالى ذكره: إن الله لقويٌّ على نصر من جاهد في سبيله من أهل ولايته وطاعته، عزيز في ملكه، يقول: منيع في سلطانه، لا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب.

القول في تأويل قوله تعالى : الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (41)

يقول تعالى ذكره: أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة. والذين ههنا ردُّ على الذين يقاتلون.

ويعني بقوله: ( إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ ) إن وطنا لهم في البلاد، فقهروا المشركين وغلبوهم عليها، وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. يقول: إن نصرناهم على أعدائهم وقهروا مشركي مكة، أطاعوا الله، فأقاموا الصلاة بحدودها، وأتوا الزكاة: يقول: وأعطوا زكاة أموالهم من جعلها الله له ( وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ) يقول: ودعوا الناس إلى توحيد الله والعمل بطاعته وما يعرفه أهل الإيمان بالله ( وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ) يقول: ونهوا عن الشرك بالله، والعمل بمعاصيه، الذي ينكره أهل الحق والإيمان بالله ( وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ) يقول: ولله آخر أمور الخلق، يعني: أن إليه مصيرها في الثواب عليها، والعقاب في الدار الآخرة.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

< 18-652 >

\*ذكر من قال ذلك: حدثني الحارث، قال: ثنا الحسين الأشيب، قال: ثنا أبو جعفر عيسى بن ميهان، الذي يقال له الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالبة، في قوله: ( الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ) قال: كان أمرهم بالمعروف أنهم دعوا إلى الإخلاص لله وحده لا شريك له؛ ونهيههم عن المنكر أنهم نهوا عن عبادة الأوثان وعبادة الشيطان. قال: فمن دعا إلى الله من الناس كلهم فقد أمر بالمعروف، ومن نهى عن عبادة الأوثان وعبادة الشيطان فقد نهى عن المنكر.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : **وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَيمُودُ (42) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (43) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ تَكْوِيرِ (44)**

يقول تعالى ذكره مسليا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عما يناله من أذى المشركين بالله، وحاضا له على الصبر على ما يلحقه منهم من السبِّ والتكذيب: **وَإِنْ يُكَذِّبُكَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمَشْرُكُونَ بِاللَّهِ عَلَى مَا أَتَيْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ، وَمَا تَعْدَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ عَلَى كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ، فَذَلِكَ سَنَةٌ إِخْوَانُهُمْ مِنَ الْأُمَّمِ الْخَالِيَةِ الْمَكْذُوبَةِ رَسُلِ اللَّهِ الْمَشْرُكَةِ بِاللَّهِ وَمَنْهَاجُهُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ، فَلَا يَصْدُنْكَ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْعَذَابَ الْمُهِينِ مِنْ وَرَائِهِمْ وَنَصْرِي إِيَّاكَ وَأَتْبَاعِكَ عَلَيْهِمْ أَتَيْتُهُمْ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ، كَمَا أَتَى عَذَابِي عَلَى أَسْلَافِهِمْ مِنَ الْأُمَّمِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ بَعْدَ الْإِمْهَالِ إِلَى بُلُوغِ الْأَجَالِ. فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ يَعْنِي مُشْرِكِي قَرِيشٍ; قَوْمِ نُوحٍ، وَقَوْمِ عَادٍ وَثَمُودٍ، وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ، وَقَوْمِ لُوطٍ، وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ، وَهُمْ قَوْمٌ شَعِيبٌ. يَقُولُ: كَذَبَ كُلُّ هَؤُلَاءِ رَسُلَهُمْ. وَكَذَّبَ مُوسَى، فَقِيلَ: وَكَذَّبَ مُوسَى، وَلَمْ يَقُلْ: وَقَوْمِ مُوسَى، لِأَنَّ قَوْمَ مُوسَى بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَكَانَتْ قَدْ اسْتَجَابَتْ لَهُ وَلَمْ تَكْذِبْهُ، <653-18> وَإِنَّمَا كَذَّبَهُ فَرَعُونَ وَقَوْمَهُ مِنَ الْقِبْطِ.**

وقد قيل: إنما قيل ذلك كذلك لأنه ولد فيهم كما ولد في أهل مكة.

وقوله: ( **فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ** ) يقول: فأمهلت لأهل الكفر بالله من هذه الأمم، فلم أعاجلهم بالنقمة والعذاب ( **ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ** ) يقول: ثم أحللت بهم العقاب بعد الإملاء ( **فَكَيْفَ كَانَ تَكْوِيرِ** )

يقول: فانظر يا محمد كيف كان تغييرى ما كان بهم من نعمة وتنكري لهم عما كنت عليه من الإحسان إليهم، ألم أيدلهم بالكثرة قلة وبالحياء موتا وهلاكاً وبالعمارة خراباً؟ يقول: فكذلك فعلى بمكذبيك من قريش، وإن أمليت لهم إلى آجالهم، فإنني منجزك وعدي فيهم كما أنجزت غيرك من رسلي وعدي في أممهم، فأهلكناهم وأنجيتهم من بين أظهرهم.

القول في تأويل قوله تعالى : **فَكَأَيُّنَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبُرُّ مُعْطَلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ (45)**

يقول تعالى ذكره: **وكم يا محمد من قرية أهلكت أهلها وهم ظالمون**; يقول: وهم يعبدون غير من ينبغي أن يُعبد، ويعصون من لا ينبغي لهم أن يعصوه. وقوله: ( **فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا** ) يقول: فباد أهلها وخلت، وخوت من سكانها، فخربت وتداعت، وتساقطت على عروشها؛ يعني على بنائها وسقوفها.

كما: حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا أبو خالد، عن جوير، عن الضحاك: ( **فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا** ) قال: خواؤها: خرابها، وعروشها: سقوفها.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: (خاوية) قال: خربة ليس فيها أحد.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

وقوله: ( وَيَبْرُ مُعْطَلَةٌ ) يقول تعالى: فكأين من قرية أهلكناها، ومن بئر عطلناها، بإفناء أهلها وهلاك واديها، فاندفنت وتعطلت، فلا واردة لها ولا < 654-18 > شارية منها(و) من ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) رفيع بالصخور والجص، قد خلا من سكانه، بما أذقنا أهله من عذابنا بسوء فعالهم، فبادوا وبقي قصورهم المشيدة خالية منهم. والبئر والقصر مخفوضان بالعطف على القرية. كان بعض نحوبي الكوفة يقول: هما معطوفان على العروش بالعطف عليها خفضا، وإن لم يحسن فيهما، على أن العروش أعالي البيوت، والبئر في الأرض، وكذلك القصر، لأن القرية لم تخو على القصر، ولكنه أتبع بعضه بعضا كما قال: وَحُورٌ عَيْنٌ \* كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ فمعنى الكلام على ما قال هذا الذي ذكرنا قوله في ذلك: فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة، فهي خاوية على عروشها، ولها بئر معطلة وقصر مشيد؛ ولكن لما لم يكن مع البئر رافع ولا عامل فيها، أتبعها في الإعراب العروش، والمعنى ما وصفت.

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ( وَيَبْرُ مُعْطَلَةٌ ) قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس: ( وَيَبْرُ مُعْطَلَةٌ ) قال: التي قد تُرِكَت. وقال غيره: لا أهل لها.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: ( وَيَبْرُ مُعْطَلَةٌ ) قال: عطلها أهلها، تركوها.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ( وَيَبْرُ مُعْطَلَةٌ ) قال: لا أهل لها.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) فقال بعضهم: معناه: وقصر مجصص.

\*ذكر من قال ذلك:- حدثني مطر بن محمد الضبي، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا سفيان، عن هلال بن خباب عن عكرمة، في قوله: ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) قال: مجصص.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يحيى بن يمان، عن سفيان، عن هلال بن < 655-18 > خباب، عن عكرمة، مثله.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسي، قال: ثنا غالب بن فائد، قال: ثنا سفيان، عن هلال بن خباب عن عكرمة، مثله.

حدثني الحسين بن محمد العنقزي، قال: ثنا أبي، عن أسباط، عن السدي، عن عكرمة، في قوله: ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) قال: مجصص.

حدثني مطر بن محمد، قال: ثنا كثير بن هشام. قال. حدثنا جعفر بن برقان، قال: كنت أمشي مع عكرمة، فرأى حائطاً أجراً مصهرج، فوضع يده عليه وقال: هذا المشيد الذي قال الله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا عباد بن العوام، عن هلال بن خباب، عن عكرمة: ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) قال: المجصص. قال عكرمة: والجص بالمدينة يسمى الشيد.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) قال: بالقصة أو الفضة.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) قال: بالقصة يعني بالجص.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا الحسن، أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن جريج، عن عطاء، في قوله: ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) قال: مجصص.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن الثوري، عن هلال بن خباب، عن سعيد بن جبير، في قوله: ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) قال: مجصص، هكذا هو في كتابي عن سعيد بن جبير.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وقصر رفيع طويل.

< 18-656 >

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) قال: كان أهله شيدوه وحصنوه، فهلكوا وتركوه.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاک يقول, في قوله: ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) يقول: طويل.

وأولى القولين في ذلك بالصواب: قول من قال: عني بالمشيد المجصص, وذلك أن الشيد في كلام العرب هو الجصُّ بعينه; ومنه قول الراجز:

كَحَبَّةِ الْمَاءِ بَيْنَ الطَّيِّ وَالسَّيِّدِ (3)

فالمشيد: إنما هو مفعول من السَّيِّدِ; ومنه قول امرئ القيس:

وَيَمَاءٍ لَمْ يَنْزُكْ بِهَا جِدْعٌ تَحَلَّهْ

وَلَا أُطْمَأِ إِلَّا مَشِيدًا بِجَنْدَلِ (4)

< 18-657 >

يعني بذلك: إلا بالبناء بالشيد والجدل. وقد يجوز أن يكون معنياً بالمشيد: المرفوع بناؤه بالشيد, فيكون الذين قالوا: عني بالمشيد الطويل نحواً بذلك إلى هذا التأويل; ومنه قول عدي بن زيد:

شَادَهُ مَرَمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْ

سَا فَللطَيْرِ فِي دُرَاهُ وَكُورِ (5)

وقد تأوله بعض أهل العلم بلغات العرب بمعنى المزين بالشيد من شدته أشيده. إذا زينته به, وذلك شبيهه بمعنى من قال: مجصص.

القول في تأويل قوله تعالى: أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونْ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46)

يقول تعالى ذكره: أفلم يسيروا هؤلاء المكذِّبون بآيات الله والجاحدون قدرته في البلاد, فينظروا إلى مصارع ضربائهم من مكذِّبي رسل الله الذين خلوا من قبلهم, كعاد وثمود وقوم لوط وشعيب, وأوطانهم ومساكنهم, فیتفكروا فيها ويعتبروا بها ويعلموا بتدبيرهم أمرها وأمر أهلها, سنة الله فيمن كفر وعبد

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

غيره وكذب رسله، فنيبوا من عتوهم وكفرهم، ويكون لهم إذا تدبروا ذلك واعتبروا به وأنابوا إلى الحق ( قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ) حجج الله على خلقه وقدرته على ما بينا ( أَوْ أَدَانُ يَسْمَعُونَ بِهَا ) يقول: أو أذان تصغي لسماع الحق فتعي < 658-18 > ذلك وتميز بينه وبين الباطل. وقوله: ( فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ) يقول: فإنها لا تعمي أبصارهم أن يبصروا بها الأشخاص وبروها، بل يبصرون ذلك بأبصارهم؛ ولكن تعمي قلوبهم التي في صدورهم عن أنصار الحق ومعرفته.

والهاء في قوله: ( فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ) هاء عماد، كقول القائل: إنه عبد الله قائم.

وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: " فَإِنَّهُ لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ". وقيل: ( وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ) والقلوب لا تكون إلا في الصدور، توكيدا للكلام، كما قيل: يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ .

الهوامش:

(1) لعله اختصره إن لم يكن سقط منه شيء من الناسخ ، والأصل : هم والني وأصحابه ، أو نحو ذلك .

(2) لعله وهي الصوامع الصغار : أي المعابد الصغار . الخ .

(3) هذا عجز بيت من البسيط ، وليس من الرجز . وقال في اللسان : وحب الماء بالكسر ، وحيه وحيابه بالفتح : طرائقه والطي : الحجارة تبني بها جدار البئر . والشيد ، بكسر الشين : كل ما طلي به الحائط من جص أو بلاط ، وبالفتح : المصدر تقول شاده يشيده شيذا : جصه ، وبناء مشيد : معمول بالشيد .

(4) البيت لامرئ القيس يصف السيل في معلقته المشهورة ( مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبي ، ص 33 ) قال شارحه : تيماء : مدينة . والأطم : البيت المسطح ، ويروي " ولا أجما " ، وهو بمعنى الأطم . يقول : لم يدع السيل بيتا مينا بحصى وحجارة إلا هدمه إلا المشيد بجندل فإنه سلم لقوته .

وفي ( اللسان : شيد ) : وبناء مشيد : معمول بالشيد . وكل ما أحكم من البناء فقد شيد ، وتشيد البناء إحكامه ورفع ، والمشيد : المبنى بالشيد وأنشد : " شاده مرمرا . . . البيت " . قال أبو عبيدة : البناء : المشيد ( بالتشديد ) : المطول . والمفهوم من نصوص اللغويين من بيت امرئ القيس ومن بيت عدي بن زيد الآتي بعد هذا ، أن البناء المشيد بالتخفيف : هو المطول الذاهب في السماء ، أو هو المحكم القوي . فيكون للمشيد إذن معنيان : الأول هو المطلي بالجص ونحوه لتزيينه . والثاني هو المبنى بالجص ونحوه مع الصخور أو المرمر . الخ .

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(5) البيت لعدي بن زيد العبادي . وقد أنشده في ( اللسان : شيد ) ولم ينسبه وقال المشيد : المبنى بالتشيد . أه . يريد أنه أحكم بناؤه وأحكم بالتشيد مع المرمر ، وهو نوع من الرخام صلب . والكلس قال في ( اللسان : كلس ) : مثل الصاروج يبنى به . وقيل الكلس : ما طلي به حائط أو باطن قصر ، شبه الجص من غير آجر ؛ قال عدي بن يزيد العبادي ( وذكر أربعة أبيات منها بيت الشاهد ، وهو آخرها ) ثم قال : والتكليس التمليس ، فإذا طلى ثخيناً فهو المقرمد . والشاهد في بيت عدي هذا كما بيناه في بيت امرئ القيس قبله أن قوله " شاده مرمرًا " يفهم منه الإحكام والتقوية ورفع البناء ، ولا يفهم منه الطلاء الخارجي بالشيء . وهو ما قاله المؤلف . والذرا بضم الذال : جمع ذروة ، وهي أعلى الشيء . والوكور : جمع وكر وهو عش الطائر ، أي أن صاحب ذلك القصر المعروف بالحضر ، رفع بناءه بالشيء والمرمر ، ثم كلسه وملسه بالجص أو بالكلس ، وإن الطير قد اتخذت وكورها في أعلاه

القول في تأويل قوله تعالى : وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (47)

يقول تعالى ذكره: ويستعجلونك يا محمد مشركو قومك بما تعدهم من عذاب الله على شركهم به وتكذيبهم إياك فيما أتيتهم به من عند الله في الدنيا، ولن يخلف الله وعده الذي وعده فيهم من إحلال عذابه ونقمته بهم في عاجل الدنيا. ففعل ذلك، ووفى لهم بما وعدهم، فقتلهم يوم بدر.

واختلف أهل التأويل في اليوم الذي قال جل ثناؤه: ( وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ) أي يوم هو؟ فقال بعضهم: هو من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض.

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس: ( وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ) قال: من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، في قوله: ( وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ )... الآية، قال: هي مثل قوله في ( الم تَنْزِيلُ ) سواء، هو هو الآية.

وقال آخرون: بل هو من أيام الآخرة.

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: مقدار الحساب يوم القيامة ألف < 659-18 > سنة

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علي، قال: ثنا سعيد الجريري، عن أبي نضرة عن سمير بن نهار، قال: قال أبو هريرة: يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

بمقدار نصف يوم. قلت: وما نصف يوم؟ قال: أو ما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قال: ( وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ).

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن مجاهد: ( وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ ) قال: من أيام الآخرة.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن سماك، عن عكرمة، أنه قال في هذه الآية: ( وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ) قال: هذه أيام الآخرة. وفي قوله: ثُمَّ يَعْزُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ قال: يوم القيامة، وقرأ: إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَرَأَاهُ قَرِيبًا

وقد اختلف في وجه صرف الكلام من الخبر عن استعجال الذين استعجلوا العذاب إلى الخبر عن طول اليوم عند الله، فيقال بعضهم: إن القوم استعجلوا العذاب في الدنيا، فأنزل الله: ( وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ) في أن ينزل ما وعدهم من العذاب في الدنيا. وإن يوما عند ربك من عذابهم في الدنيا والآخرة كالف سنة مما تعدون في الدنيا.

وقال آخرون: قيل ذلك كذلك إعلاما من الله مستعجليه العذاب أنه لا يعجل، ولكنه يمهل إلى أجل أجله، وأن البطيء عندهم قريب عنده، فقال لهم: مقدار اليوم عندي ألف سنة مما تعدون أتم أيها القوم من أيامكم، وهو عندي بطيء وهو عندي قريب.

وقال آخرون: معنى ذلك: وإن يوما من الثقل وما يخاف كالف سنة.

والقول الثاني عندي أشبه بالحق في ذلك؛ وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن استعجال المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعذاب، ثم أخبر عن مبلغ قدر اليوم عنده، ثم أتبع ذلك قوله: وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَأَخْبَرَ عَنْ إِمْلَائِهِ أَهْلَ الْقَرْيَةِ الظالمة، تركه معاجلتهم بالعذاب، فبين بذلك أنه عنى بقوله: ( وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ) نفي العجلة عن نفسه، < 660-18 > ووصفها بالأناة والانتظار، وإذ كان ذلك كذلك، كان تأويل الكلام: وإن يوما من الأيام التي عند الله يوم القيامة، يوم واحد كالف سنة من عددكم، وليس ذلك عنده ببعيد، وهو عندكم بعيد، فلذلك لا يعجل بعقوبة من أراد عقوبته حتى يبلغ غاية مدته.

القول في تأويل قوله تعالى : وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ (48)

يقول تعالى ذكره: ( وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا ) يقول: أمهلتهم وأخرت عذابهم، وهم بالله مشركون، ولأمره مخالفون، وذلك كان ظلمهم الذي وصفهم الله به جل ثناؤه، فلم أعجل بعذابهم، ( ثُمَّ أَخَذْتُهَا ) يقول: ثم أخذتها بالعذاب،

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فَعَذَّبْتَهَا فِي الدُّنْيَا بِإِحْلَالِ عِقَابِنَا بِهِمْ، ( وَآلِيَّ الْمَصِيْرُ ) يقول: وَإِلَىٰ مَصِيْرِهِمْ أَيْضًا بَعْدَ هَلَاكِهِمْ، فَيَلْقَوْنَ مِنَ الْعَذَابِ حَيْثُ مَا لَا انْقِطَاعَ لَهُ؛ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذَكَرَهُ: فَكَذَلِكَ حَالُ مُسْتَعْجِلِيكَ بِالْعَذَابِ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ، وَإِنْ أَمَلَيْتَ لَهُمْ إِلَىٰ آجَالِهِمُ الَّتِي أَجَلْتَهَا لَهُمْ، فَإِنِّي أَخْذُهُمْ بِالْعَذَابِ، فَقَاتِلْهُمْ بِالسَّيْفِ، ثُمَّ إِلَيَّ مَصِيْرُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَمَوْجِعُهُمْ إِذْ عِقَابِي عَلَىٰ مَا قَدَّمُوا مِنْ آثَامِهِمْ.

القول في تأويل قوله تعالى : قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا آتَا لَكُمْ تَذِيْرٌ مُّبِيْنٌ (49)  
قَالِذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيْمٌ (50) وَالذِيْنَ سَعَوْا فِي  
آيَاتِنَا مُعَاجِزِيْنَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيْمِ (51)

يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لمشركي قومك الذين يجادلونك في الله بغير علم، اتباعا منهم لكل شيطان مرید: ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا آتَا لَكُمْ تَذِيْرٌ مُّبِيْنٌ ) أنذركم عقاب الله أن ينزل بكم في الدنيا، وعذابه < 661-18 > في الآخرة أن تصلوه مبين: يقول: آيين لكم إنذاري ذلك وأظهره، لتنبؤوا من شرككم وتحذروا ما أنذركم من ذلك، لا أملك لكم غير ذلك، فأما تعجيل العقاب وتأخيره الذي تستعجلونني به، فإلى الله ليس ذلك إلي، ولا أقدر عليه؛ ثم وصف نذارته وبشارته، ولم يجر للبشارة ذكر، ولما ذكرت النذارة على عمل علم أن البشارة على خلافه، فقال: والذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات منكم أيها الناس ومن غيركم ( لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ) يقول: لهم من الله ستر ذنوبهم التي سلفت منهم في الدنيا عليهم في الآخرة ( وَرِزْقٌ كَرِيْمٌ ) يقول: ورزق حسن في الجنة.

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، قال: قال ابن جريج، قوله: ( قَالِذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيْمٌ ) قال: الجنة.

وقوله: ( وَالذِيْنَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِيْنَ ) يقول: والذين عملوا في حجبتنا فصدوا عن اتباع رسولنا، والإقرار بكتابتنا الذي أنزلناه، وقال في آياتنا فأدخلت فيه في كما يقال: سعى فلان في أمر فلان.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ( مُعَاجِزِيْنَ ) فقال بعضهم: معناه: مشاقين.

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا حجاج، عن عثمان بن عطاء، عن أبيه، عن ابن عباس، أنه قرأها: (معاجزين) في كل القرآن، يعني بألف، وقال: مشاقين.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهم ظنوا أنهم يعجزون الله فلا يقدر عليهم.

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: ( فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِيْنَ ) قال: كذبوا بآيات الله فظنوا أنهم يعجزون الله، ولن يعجزوه.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

وهذان الوجهان من التأويل في ذلك على قراءة من قرأه: ( فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ ) بالألف، وهي قراءة عامة قرّاء المدينة والكوفة. وأما بعض قرّاء أهل < 662-18 > مكة والبصرة، فإنه قرأه: " مُعَجِّزِينَ " بتشديد الجيم بغير ألف، بمعنى أنهم عجزوا الناس وثبطوهم عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والإيمان بالقرآن.

\*ذكر من قال ذلك كذلك من قراءته: حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: " مُعَجِّزِينَ " قال: مبطنين يبطنون الناس عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء، متقاربتا المعنى؛ وذلك أن من عجز عن آيات الله، فقد عاجز الله، ومن معاجزة الله التعجيز عن آيات الله، والعمل بمعاصيه وخلاف أمره، وكان من صفة القوم الذين أنزل الله هذه الآيات فيهم أنهم كانوا يبطنون الناس عن الإيمان بالله، واتباع رسوله، ويغالبون رسول الله صلى الله عليه وسلم، يحسبون أنهم يعجزونه ويغلبونه، وقد ضمن الله له نصره عليهم، فكان ذلك معاجزتهم الله. فإذا كان ذلك كذلك، فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب الصواب في ذلك.

وأما المعاجزة فإنها المفاعلة من العجز، ومعناه: مغالبة اثنين، أحدهما صاحبه أيهما يعجزه فيغلبه الآخر ويقهره.

وأما التعجيز: فإنه التضعيف وهو التفعيل من العجز. وقوله: ( أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ) يقول: هؤلاء الذين هذه صفتهم هم سكان جهنم يوم القيامة وأهلها الذين هم أهلها.

القول في تأويل قوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (52)

< 18-663 >

قيل: إن السبب الذي من أجله أنزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن الشيطان كان ألقى على لسانه في بعض ما يتلوه مما أنزل الله عليه من القرآن ما لم ينزله الله عليه، فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم واغتمَّ به، فسلاه الله مما به من ذلك بهذه الآيات.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن أبي معشر، عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس قالا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناد من أندية قريش كثير أهله، فتمنى يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء فينفروا عنه، فأنزل الله عليه: **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ \* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ** فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا بلغ: **أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ \* وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ** ألقى عليه الشيطان كلمتين: تلك الغرانقة العلى، وإن شفاعتهن لترجى، فتكلم بها. ثم مضى فقرأ السورة كلها. فسجد في آخر السورة، وسجد القوم جميعا معه، ورفع الوليد بن المغيرة ترابا إلى جبهته فسجد عليه، وكان شيئا كبيرا لا يقدر على السجود. فرضوا بما تكلم به وقالوا: قد عرفنا أن الله يحيي ويميت، وهو الذي يخلق ويرزق، ولكن ألهتنا هذه تشفع لنا عنده، إذ جعلت لها نصيبا، فنحن معك، قالا فلما أمسى أتاه جبرائيل عليه السلام، فعرض عليه السورة؛ فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه قال: **مَا جِئْتُكُ بِهَاتَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفْتَرَيْتُ عَلَى اللَّهِ، وَقُلْتُ عَلَى اللَّهِ مَا لَمْ يَقُلْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لَيُفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ ...** إلى قوله: **ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا** . فما زال مغموماً مهموماً حتى نزلت عليه: **( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ )**. قال: فسمع من كان من المهاجرين بأرض الحبشة أن أهل مكة قد أسلموا كلهم، فرجعوا إلى عشائريهم وقالوا: هم أحب إلينا، فوجدوا القوم قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن زياد المدني، عن محمد بن كعب القرظي قال: لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم > 664-18 < تولي قومه عنه، وشق عليه ما يرى من مبادئهم ما جاءهم به من عند الله، تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب به بينه وبين قومه. وكان يسره، مع حبه وحرصه عليهم، أن يلين له بعض ما غلظ عليه من أمرهم، حين جدت بذلك نفسه، وتمنى وأحبه، فأنزل الله: **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ \* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ** فلما انتهى إلى قول الله: **أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ \* وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ** ألقى الشيطان على لسانه، لما كان يحدث به نفسه ويتمنى أن يأتي به قومه، تلك الغرائيق العلى، وإن شفاعتهن ترتضى، فلما سمعت قريش ذلك فرحوا وسرّهم، وأعجبهم ما ذكر به ألهمهم، فأصاخوا له، والمؤمنون مصدقون نبينهم فيما جاءهم به عن ربهم، ولا يهتمونه على خطأ ولا وهم ولا زلل؛ فلما انتهى إلى السجدة منها وختم السورة سجد فيها، فسجد المسلمون بسجود نبينهم تصديقا لما جاء به واتباعا لأمره، وسجد من في المسجد من المشركين، من قريش وغيرهم لما سمعوا من ذكر ألهمهم، فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد إلا الوليد بن المغيرة، فإنه كان شيئا كبيرا فلم يستطع، فأخذ بيده حفنة من البطحاء فسجد عليها. ثم تفرّق الناس من المسجد، وخرجت قريش وقد سرّهم ما سمعوا من ذكر ألهمهم، يقولون: قد ذكر محمد ألهمنا بأحسن الذكر، وقد زعم فيما يتلو أنها الغرائيق

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

العلی، وأن شفاعتهم ترتضى، وبلغت السجدة من بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل: أسلمت قريش. فنهضت منهم رجال، وتخلف آخرون. وأتى جبرائيل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد ماذا صنعت؟ لقد تلوت على الناس ما لم أتك به عن الله، وقلت ما لم يُقل لك، فجزن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك، وخاف من الله خوفا كبيرا، فأنزل الله تبارك وتعالى عليه وكان به رجوما يعزبه ويخفض عليه الأمر، ويخبره أنه لم يكن قبله رسول ولا نبيّ تمنى كما تمنى ولا حبّ كما أحبّ إلا والشيطان قد ألقى في أمنيه، كما ألقى على لسانه صلى الله عليه وسلم، فينسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته، أي فأتت بعض الأنبياء والرسل، فأنزل الله: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيهِ) ... الآية، فأذهب الله عن نبيه الحزن، وأمنه من الذي كان يخاف، ونسخ ما ألقى الشيطان على لسانه من ذكر الهتهم، أنها الغرائق العلى، وأن شفاعتهم ترتضى. يقول < 665-18 > الله حين ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، إلى قوله: وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ، أي فكيف تمنع شفاعة الهتهم عنده؛ فلما جاءه من الله ما نسخ ما كان الشيطان ألقى على لسان نبيه، قالت قريش: ندم محمد على ما كان من منزلة الهتهم عند الله، فغير ذلك وجاء بغيره، وكان ذلك الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسوله قد وقعا في فم كل مشرك، فازدادوا شرا إلى ما كانوا عليه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، قال: سمعت داود، عن أبي العالية، قال: قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما جلساؤك عبد بني فلان ومولى بني فلان، فلو ذكرت آلهتنا بشيء جالسناك، فإنه يأتيك أشرف العرب فإذا رأوا جلساءك أشرف قومك كان أرغب لهم فيك، قال: فألقى الشيطان في أمنيه، فنزلت هذه الآية: أَقْرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى \* وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى قال: فأجرى الشيطان على لسانه: تلك الغرائق العلى، وشفاعتهم ترجى، مثلهن لا يُنسى؛ قال: فسجد النبي حين قرأها، وسجد معه المسلمون والمشركون؛ فلما علم الذي أجرى على لسانه، كبر ذلك عليه، فأنزل الله ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيهِ ) ... إلى قوله: ( وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ) .

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا أبو الوليد، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن داود بن أبي هند، عن أبي العالية قال: قالت قريش: يا محمد إنما يجالسك الفقراء والمساكين وضعفاء الناس، فلو ذكرت آلهتنا بخير لجالسناك فإن الناس يأتونك من الآفاق، فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة النجم؛ فلما انتهى على هذه الآية أَقْرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى \* وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى فألقى الشيطان على لسانه: وهي الغرائق العلى، وشفاعتهم ترجى؛ فلما فرغ منها سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم و المسلمون والمشركون، إلا أبا أحيحة سعيد بن العاص، أخذ كفا من تراب وسجد عليه؛ وقال: قد أن لابن أبي كبشة أن يذكر آلهتنا بخير حتى بلغ الذين بالحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين أن قريشا قد أسلمت، فاشتد على رسول الله

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

صلى الله عليه وسلم ما ألقى الشيطان علي لسانه، فأنزل الله ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلَقَى الشَّيْطَانَ فِي أُمْنِيَّتِهِ )... إلى آخر < 666-18 > الآية.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، قال: لما نزلت هذه الآية: أَقْرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ قَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: تلك الغرائيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى. فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال المشركون: أنه لم يذكر ألهتكم قبل اليوم بخير، فسجد المشركون معه، فأنزل الله: ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلَقَى الشَّيْطَانَ فِي أُمْنِيَّتِهِ )... إلى قوله: عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ .

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنى عبد الصمد، قال: ثنا شعبة، قال: ثنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت: أَقْرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ثم ذكر نحوه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنى أبي، قال: ثنى عمي، قال: أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلَقَى الشَّيْطَانَ فِي أُمْنِيَّتِهِ ) إلى قوله: ( وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ) وذلك أن نبي الله صلى الله عليه وسلم بينما هو يصلي، إذ نزلت عليه قصة آلهة العرب، فجعل يتلوها؛ فسمعه المشركون فقالوا: إنا نسمعه يذكر ألهتنا بخير، فدنوا منه، فبينما هو يتلوها وهو يقول: أَقْرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ \* وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ أَلَقَى الشَّيْطَانَ: إن تلك الغرائيق العلى، منها الشفاعة ترتجى. فجعل يتلوها، فنزل جبرائيل عليه السلام فينسخها، ثم قال له: ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلَقَى الشَّيْطَانَ فِي أُمْنِيَّتِهِ ) إلى قوله: ( وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ) .

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ( وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي )... الآية؛ أن نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة، أنزل الله عليه في آلهة العرب، فجعل يتلو اللات والعزى ويكثر ترديدها. فسمع أهل مكة نبي الله يذكر ألهتهم، ففرحوا بذلك، وذنوا يستمعون، فألقى الشيطان في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم: تلك الغرائيق العلى، منها الشفاعة ترتجى، فقرأها النبي > 667-18 < صلى الله عليه وسلم كذلك، فأنزل الله عليه: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا إِلَى اللَّهِ عَلِيمٌ حَكِيمٌ .

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، أنه سئل عن قوله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ )... الآية، قال ابن شهاب: ثنى أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قرأ عليهم: وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ ، فلما بلغ أَقْرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ \* وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ قال: إن شفاعتهن ترتجى. وسها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقى المشركون الذين في قلوبهم مرض، فسلموا

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

عليه، وفرحوا بذلك، فقال لهم: إنما ذلك من الشيطان. فأنزل الله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ... حتى بلغ: فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ).

فتأويل الكلام: ولم يرسل يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم، ولا نبيٍّ محدث ليس بمرسل، إلا إذا تمنى.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله تمنى في هذا الموضع، وقد ذكرت قول جماعة ممن قال: ذلك التمني من النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثه نفسه من محبته، مقارنة قومه في ذكر آلهتهم ببعض ما يحبون، ومن قال ذلك محبة منه في بعض الأحوال أن لا تذكر بسوء.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إذا قرأ وتلا أو حدّث.

\*ذكر من قال ذلك: حدثني عليٌّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليٍّ، عن ابن عباس، قوله: (إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ) يقول: إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: (إِذَا تَمَنَّى) قال: إذا قال.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

< 18-668 >

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: (إِذَا تَمَنَّى) يعني بالتمني: التلاوة والقراءة.

وهذا القول أشبه بتأويل الكلام، بدلالة قوله: (فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ) على ذلك؛ لأن الآيات التي أخبر الله جل ثناؤه أنه يحكمها، لا شك أنها آيات تنزله، فمعلوم أن الذي ألقى فيه الشيطان هو ما أخبر الله تعالى ذكره أنه نسخ ذلك منه وأبطله، ثم أحكمه بنسخه ذلك منه.

فتأويل الكلام إذن: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيٍّ إلا إذا تلا كتاب الله، وقرأ، أو حدّث وتكلم، ألقى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه، أو في حديثه الذي حدث وتكلم (فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ) يقول تعالى: فيذهب الله ما يلقى الشيطان من ذلك على لسان نبيه وببطله.

كما حدثني عليٌّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليٍّ، عن ابن عباس: (فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ) فيبطل الله ما ألقى الشيطان.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ( فَيَنْسُخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ) نسخ جبريل بأمر الله ما ألقى الشيطان على لسان النبي صلى الله عليه وسلم, وأحكم الله آياته.

وقوله: ( ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ) يقول:

ثم يخلص الله آيات كتابه من الباطل الذي ألقى الشيطان على لسان نبيه ( وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ) بما يحدث في خلقه من حدث, لا يخفى عليه منه شيء (حَكِيمٌ) في تدبيره إياهم وصرفه لهم فيما شاء وأحب.

القول في تأويل قوله تعالى : لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (53)

يقول تعالى ذكره: فينسخ الله ما يلقي الشيطان, ثم يحكم الله آياته, كي يجعل ما يلقي الشيطان في أمانة نبيه من الباطل, كقول النبي صلى الله عليه < 669-18 > وسلم: تلك الغرائق العلى, وإن شفاعتهن لترتجى فتنة يقول: اختبارا يختبر به الذين في قلوبهم مرض من النفاق, وذلك الشك في صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقيقة ما يخبرهم به.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: ثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمنى أن لا يعيب الله آلهة المشركين, فألقى الشيطان في أمنيته, فقال: إن الآلهة التي تدعى أن شفاعتها لترتجى وإنها للغرائق العلى. فنسخ الله ذلك, وأحكم الله آياته: أَقْرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنْ سُلْطَانٍ قَالَ قَتَادَةُ: لَمَّا ألقى الشيطان ما ألقى, قال المشركون: قد ذكر الله آلهتهم بخير, ففرحوا بذلك, فذكر قوله: ( لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ).

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, بنحوه.

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثنا حجاج, عن ابن جريج, في قوله: ( لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ) يقول: وللذين قست (1) قلوبهم عن الإيمان بالله, فلا تلين ولا ترعوي, وهم المشركون بالله.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثنا حجاج, عن ابن جريج: ( وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ) قال: المشركون.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله: ( وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ) يقول تعالى ذكره: وإن مشركي قومك يا محمد لفي خلاف الله في أمره، بعيد من الحق.

< 18-670 >

القول في تأويل قوله تعالى: **وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** (54)

يقول تعالى ذكره: وكى يعلم أهل العلم بالله أن الذي أنزله الله من آياته التي أحكمها لرسوله، ونسخ ما ألقى الشيطان فيه، أنه الحق من عند ربك يا محمد. يقول: فيصدقوا به. يقول: فتخضع للقرآن قلوبهم، وتدعن بالتصديق به والإقرار بما فيه.

وإن الله لمرشد الذين آمنوا بالله ورسوله إلى الحق القاصد والحق الواضح، بنسخ ما ألقى الشيطان في أمانة رسوله، فلا يضربهم كيد الشيطان، وإلقاءه الباطل على لسان نبيهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:- حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ( **وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ** ) قال: يعني القرآن.

القول في تأويل قوله تعالى: **وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ** (55)

يقول تعالى ذكره: ولا يزال الذين كفرا بالله في شك.

ثم اختلف أهل التأويل في الهاء التي في قوله: منه من ذكر ما هي؟ فقال بعضهم: هي من ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم: تلك الغرائيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى.

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير: ( **وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ** ) < 18-671 > من قوله: تلك الغرائيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( **وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ** ) قال: مما جاء به إبليس لا يخرج من قلوبهم زادهم ضلالة.

وقال آخرون: بل هي من ذكر سجود النبي صلى الله عليه وسلم في النجم.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الصمد، قال: ثنا شعبة، قال: ثنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير: ( وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ ) قال: في مرية من سجودك.

وقال آخرون: بل هي من ذكر القرآن.

\*ذكر من قال ذلك: - حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح: ( وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ ) قال: من القرآن.

وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: هي كناية من ذكر القرآن الذي أحكم الله آياته وذلك أن ذلك من ذكر قوله: وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ أَقْرَبَ مِنْهُ مِنْ ذِكْرِ قَوْلِهِ: فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ وَالْهَاءُ مِنْ قَوْلِهِ " أَنَّهُ " مِنْ ذِكْرِ الْقُرْآنِ، فَالْحَاقُ الْهَاءُ فِي قَوْلِهِ: ( فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ ) بِالْهَاءِ مِنْ قَوْلِهِ: أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ أَوْلَى مِنْ إِحْقَاقِهَا بِمَا الَّتِي فِي قَوْلِهِ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ مَعَ بَعْدِ مَا بَيْنَهُمَا.

وقوله: ( حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ ) يقول: لا يزال هؤلاء الكفار في شك من أمر هذا القرآن إلى أن تأتيهم الساعة (بَعَثَةً) وهي ساعة حشر الناس لموقف الحساب بغتة، يقول: فجأة.

واختلف أهل التأويل في هذا اليوم أي يوم هو؟ فقال بعضهم: هو يوم القيامة.

\*ذكر من قال ذلك: حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: ثنا شيخ من أهل خراسان من الأزدي يكنى أبا ساسان، قال: سألت الضحاك، عن قوله: ( عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ) قال: عذاب يوم لا ليلة بعده.

< 18-672 >

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو تميلة، عن أبي حمزة، عن جابر، عن عكرمة. أن يوم القيامة لا ليلة له.

وقال آخرون: بل عني به يوم بدر. وقالوا: إنما قيل له يوم عقيم، أنهم لم ينظروا إلى الليل، فكان لهم عقيما.

\*ذكر من قال ذلك: حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، عن ليث، عن مجاهد، قال: ( عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ) يوم بدر.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح: ( أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ) قال ابن جريح: يوم ليس فيه ليلة، لم ينظروا إلى الليل. قال مجاهد: عذاب يوم عظيم.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال: ثنا الحسين, قال: ثنا أبو ثُمَيْلة, عن أبي حمزة, عن جابر, قال: قال مجاهد:  
يوم بدر.

حدثني أبو السائب, قال: ثنا أبو إدريس, قال: أخبرنا الأعمش, عن رجل, عن  
سعيد بن جبير, في قوله: ( عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ) قال: يوم بدر.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: ثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قوله: ( عَذَابٌ  
يَوْمٍ عَقِيمٍ ) قال: هو يوم بدر. ذكره عن أبي بن كعب.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة,  
في قوله: ( عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ) قال: هو يوم بدر. عن أبي بن كعب.

وهذا القول الثاني أولى بتأويل الآية, لأنه لا وجه لأن يقال: لا يزالون في  
مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة, أو تأتيهم الساعة; وذلك أن الساعة هي  
يوم القيامة, فإن كان اليوم العقيم أيضا هو يوم القيامة فإنما معناه ما قلنا  
من تكرير ذكر الساعة مرّتين باختلاف الألفاظ, وذلك ما لا معنى له. فإذا كان  
ذلك كذلك, فأولى التأويلين به أصحهما معنى وأشبههما بالمعروف في الخطاب,  
وهو ما ذكرنا. في معناه.

فتأويل الكلام إذن: ولا يزال الذين كفروا في مرية منه, حتى تأتيهم الساعة  
بغتة فيصيروا إلى العذاب العقيم, أو يأتيهم عذاب يوم عقيم له, فلا > 18-  
673 < ينظرون فيه إلى الليل ولا يؤخروا فيه إلى المساء, لكنهم يقتلون قبل  
المساء.

الهوامش:

(1) قوله: " وللذين قست " : عطف على مفهوم من السياق , أي للذين في  
قلوبهم مرض , والذين قست قلوبهم . القول في تأويل قوله تعالى : الْمُلْكُ  
يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (56)  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا قَالُوا لَيْسَ لَنَا بِهِ حَقٌّ وَلَا نَسَبُ آلِهَاتٍ لَهُمْ كَدَّابُّ هُنَّ جِوَارِحُ الْمُحَلَّلِينَ أَلَا يَأْتِيهِمْ نِسَابُ آلِهَاتِهِمْ كُلَّ يَوْمٍ فِي حُجْرٍ أُولَئِكَ سَاءَ لِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (57)

يقول تعالى ذكره: السلطان والمُلْكُ إذا جاءت الساعة لله وحده لا شريك له  
ولا ينارعه يومئذ منازع, وقد كان في الدنيا ملوك يُدعون بهذا الاسم ولا أحد  
يومئذ يدعى ملكا سواه ( يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ) يقول: يفصل بين خلقه المشركين به  
والمؤمنين؛ فالذين آمنوا بهذا القرآن, وبمن أنزله, ومن جاء به, وعملوا بما فيه  
من حلاله وحرامه وحدوده وفرائضه في جنات النعيم يومئذ, والذين كفروا  
بالله ورسوله, وكذبوا بآيات كتابه وتنزله, وقالوا: ليس ذلك من عند الله, إنما  
هو إفك افتراه محمد وأعانه عليه قوم آخرون, ( قَالُوا لَيْسَ لَنَا بِهِ حَقٌّ وَلَا نَسَبُ آلِهَاتِهِمْ كُلَّ يَوْمٍ فِي حُجْرٍ أُولَئِكَ سَاءَ لِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ )

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول: فالذين هذه صفتهم لهم عند الله يوم القيامة عذاب مهين، يعني عذاب مذل في جهنم.

القول في تأويل قوله تعالى : **وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (58)**

يقول تعالى ذكره: والذين فارقوا أوطانهم وعشائيرهم فتركوا ذلك في رضا الله وطاعته وجهاد أعدائه ثم قتلوا أو ماتوا وهم كذلك، ليرزقنهم الله يوم القيامة في جناته رزقا حسنا. يعني بالحسن: الكريم وإنما يعني بالرزق الحسن: الثواب الجزيل ( **وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** ) يقول: وإن الله لهو خير من بسط فضله على أهل طاعته وأكرمهم. وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في حكم من مات في سبيل الله، فقال < 674-18 > بعضهم: سواء المقتول منهم والميت.

وقال آخرون: المقتول أفضل. فأنزل الله هذه الآية على نبيه صلى الله عليه وسلم، يعلمهم استواء أمر الميت في سبيله والمقتول فيها في الثواب عنده.

وقد حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عبد الرحمن بن شريح، عن سلامان بن عامر قال: كان فضالة برودس أميرا على الأرباع، فخرج بجنارتي رجلين، أحدهما قتيل والآخر متوفى؛ فرأى ميل الناس مع جنازة القتيل إلى حفرتيه، فقال: أراكم أيها الناس تميلون مع القتيل وتفضلونه على أخيه المتوفى؟ فقالوا: هذا القتيل في سبيل الله. فقال فوالذي نفسي بيده ما أبالي من أي حفرتيهما بُعثت! اقرءوا قول الله تعالى: ( **وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا** )... إلى قوله: **وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ** .

القول في تأويل قوله تعالى : **لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (59)**

يقول تعالى ذكره: ليدخلن الله المقتول في سبيله من المهاجرين والميت منهم ( **مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ** ) وذلك المدخل هو الجنة ( **وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ** ) بمن يهاجر في سبيله ممن يخرج من داره طلب الغنيمة أو عرض من عروض الدنيا.

( **حَلِيمٌ** ) عن عصاة خلقه، بتركه معاجلتهم بالعقوبة والعذاب.

القول في تأويل قوله تعالى : **ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيُصْرَفَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ (60)**

يعني تعالى ذكره بقوله: ( **ذَلِكَ** ) لهذا لهؤلاء الذين هاجروا في سبيل الله، ثم قُتلوا أو ماتوا، ولهم مع ذلك أيضا أن الله يعدهم النصر على المشركين الذين بغوا عليهم فأخرجوهم من ديارهم.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ( ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ) قال: هم المشركون بَعَوْا على النبي صلى > 18-675 < الله عليه وسلم، فوعده الله أن ينصره، وقال في القصص أيضا. وكان بعضهم يزعم أن هذه الآية نزلت في قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقتنا من المحرم، وكان المسلمون يكرهون القتال يومئذ في الأشهر الحرم، فسأل المسلمون المشركين أن يكفوا عن قتالهم من أجل حرمة الشهر، فأبى المشركون ذلك، وقتلوهم فبعوا عليهم، وثبت المسلمون لهم فتصروا عليهم، فأنزل الله هذه الآية: ( ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ ) بأن بدئ بالقتال وهو له كاره، ( لَيَنْصُرَهُ اللَّهُ ).

وقوله: ( إِنَّ اللَّهَ لَعَفُؤٌ غَفُورٌ ) يقول تعالى ذكره: إن الله لذو عفو وصفح لمن انتصر ممن ظلمه من بعد ما ظلمه الظالم بحق، غفور لما فعل بآدائه بالظلم مثل الذي فعل به غير معاقبه عليه.

القول في تأويل قوله تعالى: ( ذَلِكَ يَأْتِيَنَّ اللَّهُ يَوْمَ اللَّيْلِ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ) (61)

يعني تعالى ذكره بقوله: ( ذلك ) هذا النصر الذي أنصره على من بغى عليه على الباغي، لأنني القادر على ما أشاء. فمن قدرته أن الله يولج الليل في النهار يقول: يدخل ما ينقص من ساعات الليل في ساعات النهار، فما نقص من هذا زاد في هذا. ( وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ) ويدخل ما انتقص من ساعات النهار في ساعات الليل، فما نقص من طول هذا زاد في طول هذا، وبالقدرة التي تفعل ذلك ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه على الذين بغوا عليهم فأخرجوهم من ديارهم وأموالهم ( وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ) يقول: وفعل ذلك أيضا بأنه ذو سمع لما يقولون من قول: لا يخفى عليه منه شيء، بصير بما يعملون، لا يغيب عنه منه شيء، كل ذلك معه بمرأى ومسمع، وهو الحافظ لكل ذلك، حتى يجازي جميعهم على ما قالوا وعملوا من قول وعمل جزاءه.

القول في تأويل قوله تعالى: ( ذَلِكَ يَأْتِيَنَّ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ) (62)

> 18-676 <

يعني تعالى ذكره بقوله ( ذلك ) هذا الفعل الذي فعلت من إيلاحي الليل في النهار، وإيلاحي النهار في الليل، لأنني أنا الحق الذي لا مثل لي ولا شريك ولا ند، وأن الذي يدعوه هؤلاء المشركون إليها من دونه هو الباطل الذي لا يقدر على صنعة شيء، بل هو المصنوع، يقول لهم تعالى ذكره: أفتركون أيها الجهال عبادة من منه النفع وبيده الضر وهو القادر على كل شيء وكل شيء دونه، وتعبدون الباطل الذي لا تنفعكم عبادته. وقوله: ( وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ) يعني بقوله: ( العلي ) ذو العلو على كل شيء، هو فوق كل شيء وكل شيء دونه. ( الكبير ) يعني العظيم، الذي كل شيء دونه ولا شيء أعظم منه.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وكان ابن جريج يقول في قوله: ( وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ) ما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، في قوله: ( وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ) قال: الشيطان.

واختلفت القراء في قراءة قوله: ( وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ) فقرأته عامة قراء العراق والحجاز: " تَدْعُونَ " بالتاء على وجه الخطاب; وقرأته عامة قراء العراق غير عاصم بالياء على وجه الخبر، والياء أعجب القراءتين إليّ، لأن ابتداء الخبر على وجه الخطاب.

القول في تأويل قوله تعالى : أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (63)

يقول تعالى ذكره: ( أَلَمْ تَرَ ) يا محمد ( أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ) يعني مطرا ( فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ) بما ينبت فيها من النبات ( إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ ) باستخراج النبات من الأرض بذلك الماء وغير ذلك من ابتداء ما شاء أن يبتدعه ( خَبِيرٌ ) بما يحدث عن ذلك النبات من الحب، وبه قال: ( فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ ) فرفع، وقد تقدمه قوله: ( أَلَمْ تَرَ ) وإنما قيل ذلك لأن معنى الكلام الخبر، كأنه قيل: اعلم يا محمد أن الله ينزل من السماء ماء فتصبح الأرض; < 677-18 > ونظير ذلك قول الشاعر:

أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبَّ الْقَدِيمَ فَيَنْطِقُ

وَهَلْ تُخْبِرُنَا الْيَوْمَ بَيِّدَاءَ سَمَلَقُ (1)

لأن معناه: قد سألته فنطق.

القول في تأويل قوله تعالى : لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَنِيِّ الْحَمِيدُ (64)

يقول تعالى ذكره: له مُلْكُ ما في السموات وما في الأرض من شيء هم عبده ومماليكه وخلقه، لا شريك له في ذلك، ولا في شيء منه، وإن الله هو الغني عن كل ما في السموات وما في الأرض من خلقه وهم المحتاجون إليه، الحميد عند عباده في إفضاله عليهم وأياديه عندهم.

الهوامش:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(1) البيت مطلع قصيدة لجميل بن معمر العذري (خزانة الأدب الكبرى للبغدادى 3 : 602) وهو شاهد عند النحاة ، على أن ما بعد الفاء قد يبقى على رفعه قليلا ، وهو مستأنف . قال : وأنشد سيبويه هذا البيت وقال : لم يجعل الأول سبب الآخر ، ولكنه جعله ينطلق على كل حال ، كأنه قال : وهو مما ينطق . وقال أبو جعفر النحاس : عن أبي إسحاق ، قال : إنه تقرير ، معناه إنك سألته ، فيقبح النصب . قلت : أي لأن الاستفهام قبله ليس محضا ، وإنما هو للتقرير ، فيشبه الخبر ، وهو نحو ما قال المؤلف : معناه : قد سألته فنطق . ورواية البيت في الخزانة : " القواء " في موضع القديم ، وهو الذي خلا ممن يسكنه . ورفع الفعل ينطق نظير الفعل تصيح في قوله تعالى : ( ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة ) . القول في تأويل قوله تعالى : **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (65)**

يقول تعالى ذكره: ألم تر أن الله سخر لكم أيها الناس ما في الأرض من الدوابِّ والبهائم، فذلك كله لكم تصرفونه فيما أردتم من حوائجكم ( **وَالْفُلْكَ > 678-18 < تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ** ) يقول: وسخر لكم السفن تجري في البحر بأمره، يعني بقدرته، وتذليله إياها لكم كذلك.

واختلفت القراء في قراءة قوله: ( **وَالْفُلْكَ تَجْرِي** ) فقرأته عامة قراء الأمصار: ( **وَالْفُلْكَ** ) نصبا، بمعنى سخر لكم ما في الأرض، والفلك عطف على " ما " ، وعلى تكرير " أن " وأن الفلك تجري. ورؤي عن الأعرج أنه قرأ ذلك رفعاً على الابتداء والنصب هو القراءة عندنا في ذلك لإجماع الحجة من القراء عليه ( **وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ** ) يقول: ويمسك السماء بقدرته كي لا تقع على الأرض إلا بإذنه. ومعنى قوله: ( **أَنْ تَقَعَ** ) أن لا تقع.

( **إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ** ) بمعنى: أنه بهم لذو رافة ورحمة، فمن رأفته بهم ورحمته لهم أمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وسخر لكم ما وصف في هذه الآية تفضلا منه عليكم بذلك.

القول في تأويل قوله تعالى : **وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ** **الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ (66) لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ تَاسِبُوهُ فَلَا يُتَارَعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ** **وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ (67)**

يقول تعالى ذكره: والله الذي أنعم عليكم هذه النعم، هو الذي جعل لكم أجساما أحياء بحياة أحدثها فيكم، ولم تكونوا شيئا، ثم هو يميتكم من بعد حياتكم فيفنيكم عند مجيء آجالكم، ثم يحييكم بعد مماتكم عند بعثكم لقيام الساعة ( **إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ** ) يقول: إن ابن آدم لجحود لنعم الله التي أنعم بها عليه من حسن خلقه إياه، وتسخير له ما سخر مما في الأرض والبر والبحر، وتركه إهلاكه بأمساكه السماء أن تقع على الأرض بعبادته غيره من الآلهة والأنداد، وتركه إفراده بالعبادة وإخلاص التوحيد له.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله: ( لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا ) يقول: لكل جماعة قوم هي خلت من > 18-679 < قبلك، جعلنا مألفا يألفونه ومكانا يعتادونه لعبادتي فيه، وقضاء فرائضي، وعملا يلزمونه. وأصل المنسك في كلام العرب الموضع المعتاد الذي يعتاده الرجل ويألفه لخير أو شر؛ يقال: إن لفلان منسكا يعتاده: يراد مكانا يغشاه ويألفه لخير أو شر. وإنما سميت مناسك الحج بذلك، لتردد الناس إلى الأماكن التي تعمل فيها أعمال الحج والعمرة. وفيه لغتان: " مَنْسِكٌ " بكسر السين وفتح الميم، وذلك من لغة أهل الحجاز، و " مَنْسَكٌ " بفتح الميم والسين جميعا، وذلك من لغة أسد. وقد قرئ باللغتين جميعا.

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: ( لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا ) أي المناسك عنى به؟ فقال بعضهم: عنى به: عيدهم الذي يعتادونه.

\*ذكر من قال ذلك: حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ( لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا هُمْ تَأْسِكُوهُ ) يقول: عيدا.

وقال آخرون: عنى به: ذبح يذبحونه، ودم يهريقونه.

\*ذكر من قال ذلك: حدثني أبو كريّب، قال: ثنا ابن يمان، قال: ثنا ابن جريج، عن مجاهد، في قوله: ( لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا هُمْ تَأْسِكُوهُ ) قال: إراقة الدم بمكة.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( هُمْ تَأْسِكُوهُ ) قال: إهراق دماء الهدي.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: ( مَنْسَكًا ) قال: ذبحا وحجا.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: عنى بذلك إراقة الدم أيام النحر يميني، لأن المناسك التي كان المشركون جادلوا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت إراقة الدم في هذه الأيام، على أنهم قد كانوا جادلوه في إراقة الدماء التي هي دماء ذبائح الأنعام بما قد أخبر الله عنهم في سورة الأنعام. غير أن تلك لم تكن مناسك، فأما التي هي مناسك فإنما هي هدايا أو ضحايا. ولذلك > 18-680 < قلنا: عنى بالمنسك في هذا الموضع الذبح الذي هو بالصفة التي وصفنا.

وقوله: ( فلا ينازعك في الأمر ) يقول تعالى ذكره: فلا ينازعك هؤلاء المشركون بالله يا محمد في ذبحك ومنسكك بقولهم: أتأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون الميتة التي قتلها الله؟ فأنت أولى بالحقّ منهم، لأنك محقّ وهم مبطلون.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: ( فَلَا يُتَارَعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ) قال: الذبح.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: ثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة: ( فَلَا يُتَارَعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ) فلا تتحام لحمك.

وقوله: ( وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ) يقول تعالى ذكره: وادع يا محمد منازعيك من المشركين بالله في نسكك وذبحك إلى اتباع أمر ربك في ذلك بأن لا يأكلوا إلا ما ذبحوه بعد اتباعك وبعد التصديق بما جنتهم به من عند الله, وتجنبوا الذبح للآلهة والأوثان وتبرءوا منها, إنك لعلی طريق مستقيم غير زائل عن محجة الحق والصواب في نسكك الذي جعله لك ولأمتك ربك, وهم الضلال على قصد السبيل, لمخالفتهم أمر الله في ذبائهم وعبادتهم الآلهة.

القول في تأويل قوله تعالى : وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (68)  
اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (69)

يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم: وإن جادلك يا محمد هؤلاء المشركون بالله في نسكك, فقل: الله أعلم بما تعملون ونعمل.

كما: حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: ( وَإِنْ جَادَلُوكَ ) قال: قول أهل الشرك: أما ما ذبح الله بيمينه ( قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ) لنا أعمالنا ولكم أعمالكم, < 681-18 > وقوله: ( اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ) يقول تعالى ذكره: والله يقضي بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه من أمر دينكم تختلفون, فتعلمون حينئذ أيها المشركون المحق من المبطل.

القول في تأويل قوله تعالى : أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ دَلِيلَ فِي كِتَابٍ إِنَّ دَلِيلَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (70)

يقول تعالى ذكره: ألم تعلم يا محمد أن الله يعلم كل ما في السموات السبع والأرضين السبع, لا يخفى عليه من ذلك شيء, وهو حاكم بين خلقه يوم القيامة, على علم منه بجميع ما عملوه في الدنيا, فمجازي المحسن منهم بإحسانه والمسيء بإساءته ( إِنَّ دَلِيلَ فِي كِتَابٍ ) يقول تعالى ذكره: إن علمه بذلك في كتاب, وهو أم الكتاب الذي كتب فيه ربنا جل ثناؤه قبل أن يخلق خلقه ما هو كائن إلى يوم القيامة ( إِنَّ دَلِيلَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ).



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا ميسر بن إسماعيل الحلبي، عن الأوزاعي، عن عبدة بن أبي لبابة، قال: علم الله ما هو خالق وما الخلق عاملون، ثم كتبه، ثم قال لنبیه: ( أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا ميسر، عن أرطاة بن المنذر، قال: سمعت ضمرة بن حبيب يقول: إن الله كان على عرشه على الماء، وخلق السموات والأرض بالحق، وخلق القلم فكتب به ما هو كائن من خلقه، ثم إن ذلك الكتاب سبح الله ومجده ألف عام، قبل أن يبدأ شيئاً من الخلق.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا معتمر بن سليمان، عن أبيه، عن سيار، عن ابن عباس، أنه سأل كعب الأحرار عن أم الكتاب، فقال: علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون، فقال لعلمه: كن كتاباً.

وكان ابن جريج يقول في قوله: ( إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ) قال: قوله: اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ .

< 18-682 >

وإنما اخترنا القول الذي قلنا في ذلك، لأن قوله: ( إِنَّ ذَلِكَ ) إلى قوله: ( أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ) أقرب منه إلى قوله: اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ فكان إلحاق ذلك بما هو أقرب إليه أولى منه بما بعد.

وقوله: ( إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ) اختلف في ذلك، فقال بعضهم: معناه: إن الحكم بين المختلفين في الدنيا يوم القيامة على الله يسير.

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج: ( إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ) قال: حكمه يوم القيامة، ثم قال بين ذلك: ( أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ).

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أن كتاب القلم الذي أمره الله أن يكتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن على الله يسير يعني هين. وهذا القول الثاني أولى بتأويل ذلك، وذلك أن قوله: ( إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ )... إلى قوله: ( إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ) أقرب وهو له مجاور، ومن قوله: اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ متباعد مع دخول قوله: ( أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ) بينهما، فالحاقه بما هو أقرب أولى ما وجد للكلام، وهو كذلك مخرج في التأويل صحيح.

القول في تأويل قوله تعالى: وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لِيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ تَصِيرٍ (71)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره: وبعيد هؤلاء المشركون بالله من دونه ما لم ينزل به جل ثناؤه لهم حجة من السماء في كتاب من كتبه التي أنزلها إلى رسله، بأنها آلهة تصلح عبادتها، فيعبدها بأن الله أذن لهم في عبادتها، وما ليس لهم به علم أنها آلهة < 683-18 > وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ يقول: وما للكافرين بالله الذين يعبدون هذه الأوثان من ناصر ينصرهم يوم القيامة، فينقذهم من عذاب الله ويدفع عنهم عقابه إذا أراد عقابهم.

القول في تأويل قوله تعالى: وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَاتَّبِعُكُمْ يَسِّرٌ مِنْ دَلِكُمْ النَّارُ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسَّرَ الْمَصِيرَ (72)

يقول تعالى ذكره: وإذا تلى على مشركي قريش العابدين من دون الله ما لم ينزل به سلطانا (آياتنا) يعني: آيات القرآن (بيِّنَاتٍ) يقول: واضحات حججها وأدلتها فيما أنزلت فيه (تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ) يقول: تتبين في وجوههم ما ينكره أهل الإيمان بالله من غيرها، لسماعهم بالقرآن.

وقوله: (يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا) يقول: يكادون يبطلشون بالذين يتلون عليهم آيات كتاب الله من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، لشدة تكبرهم أن يسمعوا القرآن ويتلى عليهم.

وينحو ما قلنا في تأويل قوله (يَسْطُونَ) قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك: حدثني علي، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: (يَكَادُونَ يَسْطُونَ) يقول: يبطلشون.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: (يَكَادُونَ يَسْطُونَ) يقول: يقعون بمن ذكرهم.

حدثنا محمد بن عمار، قال: ثنا عبد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد: (يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا) < 18-684 > قال: يكادون يقعون بهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: (يَكَادُونَ يَسْطُونَ) قال: يبطلشون كفار قريش.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: (يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا) يقول:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يكادون يأخذونهم بأيديهم أخذا. وقوله: ( قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِبَشَرٍ مِّنْ دَلِكُمْ ) يقول:  
أفأنبئكم أيها المشركون بأكره إليكم من هؤلاء الذين تتكبرهون قراءتهم القرآن  
عليكم، هي (النار) وعدها الله الذين كفروا. وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقول:  
إن المشركين قالوا: والله إن محمدا وأصحابه لشراً خلق الله! فقال الله لهم:  
قل أفأنبئكم أيها القائلون هذا القول بشر من محمد صلى الله عليه وسلم،  
أنتم أيها المشركون الذين وعدهم الله النار. ورفعت النار على الابتداء، ولأنها  
معرفة لا تصلح أن ينعت بها الشر وهو نكرة، كما يقال: مررت برجلين: أخوك  
وأبوك، ولو كانت مخفوضة كان جائزا؛ وكذلك لو كان نصبا للعائد من ذكرها  
في وعدها وأنت تنوي بها الاتصال بما قبلها، يقول تعالى ذكره: فهؤلاء هم  
أشرار الخلق لا محمد وأصحابه.

وقوله: ( وَيُنَسِّئَ الْمَصِيرُ ) يقول: ونس المكان الذي يصير إليه هؤلاء المشركون  
بالله يوم القيامة.

القول في تأويل قوله تعالى : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ قَاسَمِعُوا لَهُ إِنَّ  
الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ  
الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ < 685-18 > الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (73) مَا  
قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (74)

يقول تعالى ذكره: يا أيها الناس جعل لله مثل وذكر. ومعنى ضرب في هذا  
الموضع: جعل من قولهم: ضرب السلطان على الناس البعث، بمعنى: جعل  
عليهم. وضرب الجزية على النصارى، بمعنى جعل ذلك عليهم؛ والمثل: الشبه،  
يقول جل ثناؤه: جعل لي شبه أيها الناس، يعني بالشبه والمثل: الآلهة، يقول:  
جعل لي المشركون والأصنام شبيها، فعبدوها معي، وأشركوها في عبادتي.  
فاستمعوا له: يقول: فاستمعوا حال ما مثله وجعلوه لي في عبادتهم إياه شبيها  
وصفته ( إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا ) يقول: إن جميع ما  
تعبدون من دون الله من الآلهة والأصنام لو جمعت لم يخلقوا ذبابا في صغره  
وقلته، لأنها لا تقدر على ذلك ولا تطيقه، ولو اجتمع لخلقه جميعها. والذباب  
واحد، وجمعه في القلة أذبة وفي الكثير ذبان غراب، يجمع في القلة أغربة،  
وفي الكثرة غربان.

وقوله: ( وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا ) يقول: وإن يسلب الآلهة والأوثان الذباب  
شيئا مما عليها من طيب وما أشبهه من شيء لا يستنقذوه منه: يقول: لا  
تقدر الآلهة أن تستنقذ ذلك منه.

واختلف في معنى قوله: ( ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ) فقال بعضهم: عني  
بالطالب: الآلهة، وبالمطلوب: الذباب.

\*ذكر من قال ذلك: حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: حجج، عن ابن جريج،  
قال ابن عباس، في قوله: ( ضَعُفَ الطَّالِبُ ) قال: ألتهم ( وَالْمَطْلُوبُ ) :  
الذباب.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وكان بعضهم يقول: معنى ذلك: ( صَعَفَ الطَّالِبُ ) من بني آدم إلى الصنم حاجته، ( وَالْمَطْلُوبُ ) إليه الصنم أن يعطي سائله من بني آدم ما سأل، يقول: ضعف عن ذلك وعجز.

والصواب من القول في ذلك عندنا ما ذكرته عن ابن عباس من أن معناه: > 686-18 < وعجز الطالب وهو الآلهة أن تستنقذ من الذباب ما سلبها إياه، وهو الطيب وما أشبهه؛ والمطلوب: الذباب.

وإنما قلت هذا القول أولى بتأويل ذلك، لأن ذلك في سياق الخبر عن الآلهة والذباب، فإن يكون ذلك خيرا عما هو به متصل أشبه من أن يكون خيرا، عما هو عنه منقطع، وإنما أخبر جل ثناؤه عن الآلهة بما أخبر به عنها في هذه الآية من ضعفها ومهانتها، تقريبا منه بذلك عبدها من مشركي قريش، يقول تعالى ذكره: كيف يجعل مثل في العبادة وبشرك فيها معي ما لا قدرة له على خلق ذباب، وإن أخذ له الذباب فسلبه شيئا عليه لم يقدر أن يمتنع منه ولا ينتصر، وأنا الخالق ما في السماوات والأرض ومالك جميع ذلك والمحيي من أردت، والمميت ما أردت ومن أردت، إن فاعل ذلك لا شك أنه في غاية الجهل.

وقوله ( مَا قَدَّرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ) يقول: ما عظم هؤلاء الذين جعلوا الآلهة لله شريكا في العبادة حق عظمتهم حين أشركوا به غيره، فلم يخلصوا له العبادة ولا عرفوه حق معرفته من قولهم: ما عرفت لفلان قدره إذا خاطبوا بذلك من قَصَّر بحقه، وهم يريدون تعظيمه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله ( يَسْأَلُهُمُ الدِّيبَابُ شَيْئًا ) ... إلى آخر الآية، قال: هذا مثل ضربه الله لألهتهم، وقرأ ( صَعَفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ \* مَا قَدَّرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ) حين يعبدون مع الله ما لا ينتصف من الذباب ولا يمتنع منه.

وقوله ( إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ ) يقول: إن الله لقويٌّ على خلق ما يشاء من صغير ما يشاء من خلقه وكبيره عزيز: يقول: منيع في ملكه لا يقدر شيء دونه أن يسلبه من ملكه شيئا، وليس كآلهتكم أيها المشركون الذين تدعون من دونه الذين لا يقدر على خلق ذباب، ولا على الامتناع من الذباب، إذا استلبها شيئا ضعفا ومهانة.

> 18-687 <

القول في تأويل قوله تعالى : اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (75)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره: الله يختار من الملائكة رسلا كجبرئيل وميكائيل اللذين كانا يرسلهما إلى أنبيائه، ومن شاء من عباده ومن الناس، كأنبيائه الذين أرسلهم إلى عباده من بني آدم. ومعنى الكلام: الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس أيضا رسلا وقد قيل: إنما أنزلت هذه الآية لما قال المشركون: أنزل عليه الذكر من بيننا، فقال الله لهم: ذلك إلي وبيدي دون خلقي، أختار من شئت منهم للرسالة.

وقوله ( إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ) يقول: إن الله سميع لما يقول المشركون في محمد صلى الله عليه وسلم، وما جاء به من عند ربه، بصير بمن يختاره لرسالته من خلقه.

القول في تأويل قوله تعالى : يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (76)

يقول تعالى ذكره: الله يعلم ما كان بين أيدي ملائكته ورسله، من قبل أن يخلقهم وما خلفهم، يقول: ويعلم ما هو كائن بعد فنائهم ( وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ )

يقول: إلى الله في الآخرة تصير إليه أمور الدنيا، وإليه تعود كما كان منه البدء.

القول في تأويل قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (77)

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله (ارْكَعُوا) لله في > 18- 688 < صلاتكم (واسْجُدُوا) له فيها (وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ) يقول: وذلوا لربكم، واخضعوا له بالطاعة، الذي أمركم ربكم بفعله (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) يقول: لتفلحوا بذلك، فتدركوا به طلباتكم عند ربكم.

القول في تأويل قوله تعالى : وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ) فقال بعضهم: معناه، وجاهدوا المشركين في سبيل الله حق جهاده.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني سليمان بن بلال، عن ثور بن زيد، عن عبد الله بن عباس، في قوله ( وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ) كما

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

جاهدتم أول مرة، فقال عمر من أمر بالجهاد، قال: قبيلتان من قريش مخزوم وعبد شمس، فقال عمر، صدقت.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لا تخافوا في الله لومة لائم، قالوا: وذلك هو حقّ الجهاد.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس، في قوله ( وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ) لا تخافوا في الله لومة لائم.

وقال آخرون: معنى ذلك: اعملوا بالحقّ، حقّ عمله، وهذا قول ذكره عن الضحاك بعض من في روايته نظر.

والصواب من القول في ذلك، قول من قال: عُني به الجهاد في سبيل الله، لأن المعروف من الجهاد ذلك، وهو الأغلب على قول القائل: جاهدت > 18- 689 < في الله، وحقّ الجهاد: هو استفراغ الطاقة فيه. قوله (هُوَ اجْتَبَاكُمْ) يقول: هو اختاركم لدينه، واصطفاكم لحرب أعدائه والجهاد في سبيله.

وقال ابن زيد في ذلك، ما حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله (هُوَ اجْتَبَاكُمْ) قال: هو هداكم.

وقوله ( وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ) يقول تعالى ذكره: وما جعل عليكم ربكم في الدين الذي تعبدكم به من ضيق، لا مخرج لكم مما ابتليتكم به فيه، بل وسّع عليكم، فجعل التوبة من بعض مخرجا، والكفارة من بعض، والقصاص من بعض، فلا ذنب يذنب المؤمن إلا وله منه في دين الإسلام مخرج.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني ابن زيد، عن ابن شهاب، قال: سأل عبد الملك بن مروان عليّ بن عبد الله بن عباس عن هذه الآية ( وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ) فقال عليّ بن عبد الله: الحرج: الضيق، فجعل الله الكفارات مخرجا من ذلك، سمعت ابن عباس يقول ذلك.

قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني سفيان بن عيينة، عن عبيد الله بن أبي يزيد، قال: سمعت ابن عباس يسأل عن ( وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ )

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال: ما هاهنا من هذيل أحد فقال رجل: نعم قال: ما تعدّون الحرجة فيكم؟  
قال: الشيء الضيق، قال ابن عباس، فهو كذلك.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن ابن عيينة، عن عبيد الله  
بن أبي يزيد، قال: سمعت ابن عباس، وذكر نحوه، إلا أنه قال: فقال ابن عباس:  
أهاهنا أحد من هذيل فقال رجل: أنا، فقال أيضا: ما تعدّون الحرج، وسائر  
الحديث مثله.

حدثني عمران بن بكر الكلاعي، قال: ثنا يحيى بن صالح، قال: ثنا يحيى بن  
حمزة، عن الحكم بن عبد الله، قال: سمعت القاسم بن محمد يحدث، عن  
عائشة، قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ( وَمَا >  
690-18 < جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ) قال هُوَ الضيق.

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا أبو خلدة، قال: قال لي  
أبو العالية: أتدري ما الحرج؟ قلت: لا أدري، قال: الضيق، وقرأ هذه الآية ( وَمَا  
جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ).

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا حماد بن سعدة، عن عوف، عن الحسن، في  
قوله ( وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ) قال: من ضيق.

حدثنا عمرو بن بندق، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن أبي خلدة، قال: قال لي  
أبو العالية: هل تدري ما الحرج؟ قلت: لا قال: الضيق، إن الله لم يضيق عليكم،  
لم يجعل عليكم في الدين من حرج.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، عن ابن عون، عن القاسم أنه تلا هذه الآية  
( وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ) قال: تدرّون ما الحرج؟ قال: الضيق.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن يونس بن أبي إسحاق، عن  
أبيه، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، قال: إذا تعاجم شيء من القرآن  
فانظروا في الشعر، فإن الشعر عربي، ثم دعا ابن عباس أعرابيا، فقال: ما  
الحرج؟ قال: الضيق. قال: صدقت.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ( فِي الدِّينِ مِنْ  
حَرَجٍ ) قال: من ضيق.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

وقال آخرون: معنى ذلك ( وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ) من ضيق  
في أوقات فروضكم إذا التبست عليكم، ولكنه قد وسع عليكم حتى تيقنوا  
محلها.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن عثمان بن بشار، عن ابن عباس، في قوله ( وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ) قال: هذا في هلال شهر رمضان إذا شك فيه الناس، وفي الحج إذا < 691-18 > شكوا في الهلال، وفي الفطر والأضحى إذا التبس عليهم وأشباهه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ما جعل في الإسلام من ضيق، بل وسعه.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ( وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ) يقول: ما جعل عليكم في الإسلام من ضيق، هو واسع، وهو مثل قوله في الأنعام فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا يَقُولُ: من أراد أن يضلّه يضيق عليه صدره حتى يجعل عليه الإسلام ضيقًا، والإسلام واسع.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله ( وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ) يقول: من ضيق، يقول: جعل الدين واسعاً ولم يجعله ضيقاً. وقوله ( مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ) نصب ملة بمعنى: وما جعل عليكم في الدين من حرج، بل وسعه، كملة أبيكم، فلما لم يجعل فيها الكاف اتصلت بالفعل الذي قبلها فنصبت، وقد يحتمل نصبها أن تكون على وجه الأمر بها، لأن الكلام قبله أمر، فكأنه قيل: اركعوا واسجدوا والزموا ملة أبيكم إبراهيم. وقوله ( هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا ) يقول تعالى ذكره: سماكم يا معشر من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم المسلمين من قبل.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ( هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ ) يقول الله سماكم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عطاء بن ابن أبي رباح، أنه سمع ابن عباس يقول: الله سماكم المسلمين من قبل.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، وحدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق جميعاً؛ عن معمر، عن قتادة (هُوَ < 692-18 > سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ ) قال: الله سماكم المسلمين من قبل.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ ) قال: الله سماكم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، عن مجاهد، مثله.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول، في قوله (هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ) يقول: الله سماكم المسلمين.

وقال آخرون: بل معنا: إبراهيم سماكم المسلمين؛ وقالوا هو كناية من ذكر إبراهيم صلى الله عليه وسلم:

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد (هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ ) قال: ألا ترى قول إبراهيم **وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ** قال: هذا قول إبراهيم (هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ ) ولم يذكر الله بالإسلام والإيمان غير هذه الأمة، ذُكرت بالإيمان والإسلام جميعاً، ولم نسمع بأمة ذُكرت إلا بالإيمان ، ولا وجه لما قال ابن زيد من ذلك، لأنه معلوم أن إبراهيم لم يسمّ أمة محمد مسلمين في القرآن، لأن القرآن أنزل من بعده بدهر طويل، وقد قال الله تعالى ذكره (هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا ) ولكن الذي سماها مسلمين من قبل نزول القرآن، وفي القرآن، الله الذي لم يزل ولا يزال. وأما قوله (مِنْ قَبْلُ) فإن معناه: من قبل نزول هذا القرآن في الكتب التي نزلت قبله، وفي هذا يقول: وفي هذا الكتاب.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ) وفي هذا < 693-18 > القرآن.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريح، قال مجاهد (مِنْ قَبْلُ) قال: في الكتب كلها والذكر (وفي هَذَا) يعني القرآن، وقوله (لِيَكُونَ

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ) يقول تعالى ذكره اجتباكم الله وسماكم أيها المؤمنون بالله وآياته من أمة محمد صلى الله عليه وسلم مسلمين، ليكون محمد رسول الله شهيدا عليكم يوم القيامة، بأنه قد بلغكم ما أرسل به إليكم، وتكونوا أنتم شهداء حينئذ على الرسل أجمعين، أنهم قد بلغوا أمهم ما أرسلوا به إليهم.

وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ( هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ ) قال: اللم سماكم المسلمين من قبل ( وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ) بأنه بلغكم ( وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ) أن رسلهم قد بلغتهم. وبه عن قتادة، قال: أعطيت هذه الأمة ما لم يعطه إلا نبي، كان يقال للنبي: اذهب فليس عليك حرج، وقال الله ( وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ) وكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم: أنت شهيد على قومك، وقال الله لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ) وكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم: سل تعطه، وقال الله ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ .

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: أعطيت هذه الأمة ثلاثا لم يعطها إلا نبي، كان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم: اذهب فليس عليك حرج، فقال الله ( وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ) قال: وكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم: أنت شهيد على قومك، وقال الله لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ) وكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم: سل تعطه، وقال الله ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ .

القول في تأويل قوله تعالى : فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (78)

< 18-694 >

يعني تعالى ذكره بقوله ( فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ) يقول: فأدوا الصلاة المفروضة لله عليكم بحدودها، وآتوا الزكاة الواجبة عليكم في أموالكم ( وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ ) يقول: وثقوا بالله، وتوكلوا عليه في أموركم ( فَنِعْمَ الْمَوْلَى ) يقول: نعم الولي الله لمن فعل ذلك منكم، فأقام الصلاة، وآتى الزكاة، وجاهد في سبيل الله حق جهاده، واعتصم به ( وَنِعْمَ النَّصِيرُ ) يقول: ونعم الناصر هو له على من بغاه بسوء. تفسير سورة المؤمنون

< 19-7 >

بسم الله الرحمن الرحيم

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3)

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ) قد أدرك الذين صدّقوا الله ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ، وأقروا بما جاءهم به من عند الله، وعملوا بما دعاهم إليه مما سمى في هذه الآيات، الخلود في جنّات ربهم وفازوا بطلبتهم لديه.

كما حدثنا الحسين بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ) ثم قال: قال كعب: لم يخلق الله بيده إلا ثلاثة: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده، ثم قال لها: تكلمي! فقالت: ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ) لما علمت فيها من الكرامة.

حدثنا سهل بن موسى الرازي، قال: ثنا يحيى بن الضريس، عن عمرو بن أبي قيس، عن عبد العزيز بن رفيع، عن مجاهد، قال: لما غرس الله تبارك وتعالى الجنة، نظر إليها فقال: ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ).

قال: ثنا حفص بن عمر، عن أبي خلدة، عن أبي العالية، قال: لما خلق الله الجنة قال: ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ) فأنزل به قرآنا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جبير، عن عطاء، عن مسيرة، قال: " لم يخلق الله شيئاً بيده غير أربعة أشياء: خلق آدم بيده، وكتب الألواح بيده، والتوراة بيده، وغرس عدناً بيده، ثم قال: ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ )".

وقوله: ( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) يقول تعالى ذكره: الذين هم في صلّاتهم إذا قاموا فيها خاشعون، وخشوعهم فيها تذللهم لله فيها بطاعته، وقيامهم فيها بما أمرهم بالقيام به فيها. وقيل إنها نزلت من أجل أن القوم كانوا يرفعون أبصارهم فيها إلى السماء قبل نزولها، فنُهِوا بهذه الآية عن ذلك.

< 19-8 >

\*ذكر الرواية بذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت خالدًا، عن محمد بن سيرين، قال: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى نظر إلى السماء، فأنزلت هذه الآية: ( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) قال: فجعل بعد ذلك وجهه حيث يسجد ".

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا هارون بن المغيرة عن أبي جعفر، عن الحجاج الصّواف، عن ابن سيرين، قال: " كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم في الصلاة إلى السماء، حتى نزلت: ( قَدْ أَفْلَحَ

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الْمُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ( فقالوا: بعد ذلك برءوسهم هكذا

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عليه، قال: أخبرنا أيوب، عن محمد، قال: "نبئت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء، فنزلت آية، إن لم تكن (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) فلا أدري آية آية هي، قال: فطأطأ. قال: وقال محمد: وكانوا يقولون: لا يجاوز بصره مصلاه، فإن كان قد استعاد النظر فليغمض.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا هشيم، عن ابن عون، عن محمد نحوه.

واختلف أهل التأويل في الذي عنى به في هذا الموضع من الخشوع، فقال بعضهم: عنى به سكون الأطراف في الصلاة.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد: (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) قال: السكون فيها.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري: (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) قال: سكون المرء في صلاته.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، مثله.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن الثوري، عن أبي سفيان الشيباني، عن رجل، عن علي، قال: سئل عن قوله: (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) قال: لا تلتفت في صلاتك.

حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرملي، قال: قال ضمرة بن ربيعة، عن أبي شؤذب، عن الحسن، في قوله: (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) قال: كان خشوعهم في قلوبهم، < 9-19 > فغضوا بذلك البصر وخفضوا به الجناح.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم، في قوله: (خَاشِعُونَ) قال: الخشوع في القلب، وقال: ساكنون.

قال: ثنا الحسن، قال: ثنا خالد بن عبد الله، عن المسعودي، عن أبي سنان، عن رجل من قومه، عن علي رضي الله عنه قال: الخشوع في القلب، وأن ثلثين للمراء المسلم كَتَفَكَ، ولا تلتفت.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جُرَيْج، قال: قال عطاء بن أبي رباح، في قوله: (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) قال: التخشع في الصلاة. وقال لي غير عطاء: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة نظر عن يمينه ويساره ووجاهه، حتى نزلت: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) فما رُئي بعد ذلك ينظر إلا إلى الأرض.

وقال آخرون: عنى به الخوف في هذا الموضع.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن: (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) قال: خائفون.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، في قوله: (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) قال الحسن: خائفون. وقال قتادة: الخشوع في القلب.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس في قوله: (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) يقول: خائفون ساكنون.

وقد بينا فيما مضى قبل من كتابنا أن الخشوع التذلل والخضوع بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وإذ كان ذلك كذلك، ولم يكن الله تعالى ذكره دلّ على أن مراده من ذلك معنى دون معنى في عقل ولا خبر، كان معلوماً أن معنى مراده من ذلك العموم. وإذ كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام ما وصفت من قبل، من أنه: والذين هم في صلاتهم متذللون لله بإدامة ما ألزمهم من فرضه وعبادته، وإذا تذلل لله فيها العبد رُويت ذلة خضوعه في سكون أطرافه وشغله بفرضه وتركه ما أمر بتركه فيها.

وقوله: (وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) يقول تعالى ذكره: والذين هم عن < 10-19 > الباطل وما يكرهه الله من خلقه معرضون.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: (وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) يقول: الباطل.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن: (عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) قال: عن المعاصي.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الحسن، مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ) قال: النبي صلى الله عليه وسلم، ومن معه من صحابته، ممن أمن به واتبعه وصدقه كانوا " عن اللغو معرضون " .

القول في تأويل قوله تعالى : ( وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ) (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7)

يقول تعالى ذكره: والذين هم لزكاة أموالهم التي فرضها الله عليهم فيها مؤدّون، وفعلهم الذي وصفوا به هو أداؤها. وقوله: ( وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ \* إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ ) يقول: والذين هم لفروج أنفسهم وعنى بالفروج في هذا الموضع: فروج الرجال، وذلك أقبالهم. ( حَافِظُونَ ) يحفظونها من أعمالها في شيء من الفروج. ( إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ ) يقول: إلا من أزواجهم اللاتي أحلهن الله للرجال بالنكاح. ( أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ) يعني بذلك: إماءهم. و " ما " التي في قوله: ( أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ) محل خفض، عطفًا على الأزواج. ( فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ) يقول: فإن من لم يحفظ فرجه عن زوجته، وملك يمينه، وحفظه عن غيره من الخلق، فإنه غير مُؤَبَّحٍ على ذلك، ولا مذموم، ولا هو بفعله ذلك راكب ذنبا يلام عليه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

< 19-11 >

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ( وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ \* إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ) يقول: رضي الله لهم إتيانهم أزواجهم، وما ملكت أيمانهم.

وقوله: ( فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ ) يقول: فمن التمس لفرجه منكم سوى زوجته، وملك يمينه، ( فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ) يقول: فهم العادون حدود الله، المجاوزون ما أحل الله لهم إلى ما حرم عليهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: نهاهم الله نهيا شديدا، فقال: ( فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ) فسمى الزاني من العادين.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ) قال: الذين يتعدون الحلال إلى الحرام.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جبرير، عن عطاء، عن أبي عبد الرحمن، في قوله: ( فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ) قال: من زنى فهو عاد.

القول في تأويل قوله تعالى: ( وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (8) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (9) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (10) )

يقول تعالى ذكره: ( وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَاتِهِمْ ) التي ائتمنوا عليها ( وَعَهْدِهِمْ ) وهو عقودهم التي عاقدوا الناس ( رَاعُونَ ) يقول: حافظون لا يضيعون، ولكنهم يوفون بذلك كله.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار إلا ابن كثير: ( وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَاتِهِمْ ) على الجمع. وقرأ ذلك ابن كثير: " لِأَمَاتِهِمْ " على الواحدة.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا: ( لِأَمَاتِهِمْ ) لإجماع الحجة من القراء عليها.

وقوله: ( وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ) يقول: والذين هم على أوقات صلاتهم < 12-19 > يحافظون، فلا يضيعونها ولا يشتغلون عنها حتى تفوتهم، ولكنهم يراعونها حتى يؤديها فيها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق: ( وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ) قال: على وقتها.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق ( وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ) على ميقاتها.

حدثنا ابن عبد الرحمن البرقي، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: أخبرنا يحيى بن أيوب، قال: أخبرنا ابن رَجْر، عن الأعمش، عن مسلم بن صبيح. قال: ( وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ) قال: أقام الصلاة لوقتها.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: بل معنى ذلك: على صلواتهم دائمون.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جريب، عن منصور، عن إبراهيم: ( عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ) قال: دائمون، قال: يعني بها المكتوبة.

وقوله: ( أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ) يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه صفتهم في الدنيا، هم الوارثون يوم القيامة منازل أهل النار من الجنة.

وينحو الذي قلنا في ذلك، روي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتأوله أهل التأويل.

\*ذكر الرواية بذلك:

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ مَنزِلَانِ مَنزِلٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنزِلٌ فِي النَّارِ، وَإِنْ مَاتَ وَدَخَلَ النَّارَ وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنزِلَهُ " فذلك قوله: ( أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ).

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، في قوله، ( أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ) قال: يرثون مساكنهم، ومساكن إخوانهم التي أعدت لهم لو أطاعوا الله.

< 19-13 >

حدثني ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الأعمش، عن أبي هريرة، ( أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ) قال: يرثون مساكنهم، ومساكن إخوانهم الذين أعدت لهم لو أطاعوا الله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: الوارثون الجنة أورثتموها، والجنة التي نورث من عبادنا هن سواء، قال ابن جريج: قال مجاهد: يرث الذي من أهل الجنة أهله وأهل غيره، ومنزل الذين من أهل النار، هم يرثون أهل النار، فلهم منزلان في الجنة وأهلان، وذلك أنه منزل في الجنة، ومنزل في النار، فأما المؤمن قِيَّيْنِي منزله الذي في الجنة، ويهدم منزله في النار. وأما الكافر فيهدم منزله الذي في الجنة. ويبنى منزله الذي في النار. قال ابن جريج: عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، أنه قال مثل ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى : الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (11)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره: (الَّذِينَ يَرِثُونَ) البستان ذا الكرم، وهو الفردوس عند العرب. وكان مجاهد يقول: هو بالرومية. حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، في قوله: (الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ) قال: الفردوس: بستان بالرومية.

قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: عدن حديقة في الجنة، قصرها فيها عدن، خلقها بيده، تفتح كل فجر فينظر فيها، ثم يقول: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، قال: هي الفردوس أيضا تلك الحديقة، قال مجاهد: غرسها الله بيده، فلما بلغت قال: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ثم أمر بها تغلق، فلا ينظر فيها خلق ولا ملك مقرب، ثم تفتح كل سحر، فينظر فيها فيقول: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ثم تغلق إلى مثلها.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: قتل حارثة بن سُراقه يوم بدر، فقالت أمه: يا رسول الله، إن كان ابني من أهل الجنة؛ لم أبك عليه، وإن كان من أهل النار؛ بالغت في البكاء. قال: "يا أمَّ حارِثَةَ، إِنَّهَا جَنَّتَانِ فِي جَنَّةٍ، وَإِنَّ ابْنَكَ قَدْ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ".

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة، عن كعب قال: خلق الله بيده جنة الفردوس، غرسها بيده. ثم قال: تكلمي، قالت: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ .

< 19-14 >

قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن حسام بن مصك، عن قتادة أيضا، مثله. غير أنه قال: تكلمي، قالت: طوبى للمتقين.

قال: ثنا الحسين، قال: ثنا محمد بن يزيد، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي داود نفع، قال: لما خلقها الله، قال لها: تزيني؛ فترينت، ثم قال لها: تكلمي؛ فقالت: طوبى لمن رضيت عنه.

وقوله: (هُم فِيهَا خَالِدُونَ) يعني ماكتون فيها، يقول: هؤلاء الذين يرثون الفردوس خالدون، يعني ماكتون فيها أبدًا، لا يتحولون عنها.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12)

يقول تعالى ذكره: ( وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ) أسلناه منه، فالسلالة: هي المستلة من كل تربة، ولذلك كان آدم خلق من تربة أخذت من أديم الأرض.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل على اختلاف منهم في المعنى  
بالإنسان في هذا الموضوع، فقال بعضهم: عنى به آدم.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: ( مِنْ طِينٍ )  
قال: استلَّ آدم من الطين.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ( مِنْ  
سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ) قال: استلَّ آدم من طين، وحُلقت ذرّيته من ماء مهين.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولقد خلقنا ولد آدم، وهو الإنسان الذي ذكر في  
هذا الموضوع، من سلالة، وهي النطفة التي استلت من ظهر الفحل من طين،  
وهو آدم الذي خُلِق من طين.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المنهال  
بن عمرو، عن أبي يحيى، عن ابن عباس: ( مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ) قال: صفوة  
الماء.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث،  
قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في  
قول الله: ( مِنْ > 15-19 < سُلَالَةٍ ) من منيِّ آدم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين. قال: ثني حجاج، عن ابن جُرّيج، عن مجاهد،  
مثله.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: ولقد خلقنا ابن آدم من  
سُلالة آدم، وهي صفة مائه، وادم هو الطين؛ لأنه خُلِق منه.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية؛ لدلالة قوله: ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْقَةً فِي قَرَارٍ  
مَكِينٍ على أن ذلك كذلك؛ لأنه معلوم أنه لم يصر في قرار مكين إلا بعد  
خلقه في صلب الفحل، ومن بعد تحوُّله من صلبه صار في قرار مكين؛  
والعرب تسمي ولد الرجل ونطفته: سليله وسلالته. لأنهما مسلولان منه، ومن  
السُّلالة قول بعضهم:

حَمَلْتُ بِهِ عَصَبَ الْأَدِيمِ عَصَنَفَرًا

سُلَالَةٌ قَرَجٍ كَانَ غَيْرَ حَصِينٍ (1)

# جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقول الآخر:

وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا مُهْرَةً عَرَبِيَّةً

سُلَالَةً أَفْرَاسٍ تَجَلِّهَا بَعْلُ (2)

فمن قال: سلالة جمعها سلالات، وربما جمعوها سلائل، وليس بالكثير. لأن السلائل جمع للسليل، ومنه قول بعضهم:

إِذَا أُتِيَتْ مِنْهَا الْمَهَارَى تَشَابَهَتْ

عَلَى الْقَوْدِ إِلَّا بِالْأُتُوفِ سَلَائِلُهُ (3)

< 19-16 >

وقول الراجز:

يَقْذِفَنَّ فِي أَسْلَابِهَا بِالسَّلَائِلِ (4)

القول في تأويل قوله تعالى : ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14)

يعني تعالى ذكره بقوله: ( ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ) ثم جعلنا الإنسان الذي جعلناه من سلالة من طين نطفة في قرار مكين، وهو حيث استقرت فيه نطفة الرجل من رحم المرأة، ووصفه بأنه مكين؛ لأنه مكن لذلك، وهياً له ليستقر فيه إلى بلوغ أمره الذي جعله له قراراً. وقوله: ( ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ) يقول: ثم صيرنا النطفة التي جعلناها في قرار مكين علقه، وهي القطعة من الدم، ( فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ) يقول: فجعلنا ذلك الدم مضغاً، وهي القطعة من اللحم.

وقوله: ( فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا ) يقول: فجعلنا تلك المضغة اللحم عظاماً. وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق سوى

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

عاصم: ( فَخَلَقْنَا الْمُصَوِّغَةَ عِظَامًا ) على الجمع، وكان عاصم وعبد الله يقرآن ذلك: ( عَظْمًا ) في الحرفين على التوحيد جميعا.

< 19-17 >

والقراءة التي نختار في ذلك الجمع؛ لإجماع الحجة من القراء عليه.

وقوله: ( فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ) يقول: فألبسنا العظام لحما. وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: ( ثُمَّ خَلَقْنَا الْمُصَوِّغَةَ عَظْمًا ) وعصبا، فكسوناها لحما. وقوله: ( ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ) يقول: ثم أنشأنا هذا الإنسان خلقا آخر. وهذه الهاء التي في: ( أَنْشَأْنَاهُ ) عائدة على الإنسان في قوله: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ قَدْ يَجُوز أن تكون من ذكر العظم والنطفة والمضغة، جعل ذلك كله كالشيء الواحد. ف قيل: ثم أنشأنا ذلك خلقا آخر.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ( ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ) فقال بعضهم: إنشأوه إياه خلقا آخر: نفخه الروح فيه؛ فيصير حينئذ إنسانا، وكان قبل ذلك صورة.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حجاج، عن عطاء، عن ابن عباس في قوله: ( ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ) قال: نفخ فيه الروح .

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا هشيم عن الحجاج بن أرطاة، عن عطاء، عن ابن عباس، بمثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: ( ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ) قال: الروح.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سيفيان، عن عبد الرحمن بن الأصبهاني، عن عكرمة، في قوله: ( ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ) قال: نفخ فيه الروح .

حدثنا ابن بشار وابن المثني، قالوا: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سلمة، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي: ( ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ) قال: نفخ فيه الروح.

قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سيفيان، عن منصور، عن مجاهد، بمثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، في قوله: ( ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ) قال: نفخ فيه الروح، فهو الخلق الآخر الذي ذكر.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حُدثت عن الحسين، قال: سمعتُ أبا معاذٍ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ( ثُمَّ أَنْشَأَتْهُ خَلْقًا ) يعني الروح تنفخ فيه بعد الخلق.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( ثُمَّ أَنْشَأَتْهُ < 18-19 > خَلْقًا آخَرَ ) قال: الروح الذي جعله فيه. وقال آخرون: إنشأؤه خلقا آخر، تصريفه إياه في الأحوال بعد الولادة في الطفولة والكهولة، والاعتداء، ونبات الشعر والسنن، ونحو ذلك من أحوال الأحياء في الدنيا.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ( ثُمَّ أَنْشَأَتْهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ) يقول: خرج من بطن أمه بعد ما خلق، فكان من بدء خلقه الآخر أن استهل، ثم كان من خلقه أن دُلَّ على ثدي أمه، ثم كان من خلقه أن علم كيف يبسط رجله إلى أن قعد، إلى أن حبا، إلى أن قام على رجله، إلى أن مشى، إلى أن فطم، فعلم كيف يشرب ويأكل من الطعام، إلى أن بلغ الحلم، إلى أن بلغ أن يتقلب في البلاد.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ( ثُمَّ أَنْشَأَتْهُ خَلْقًا آخَرَ ) قال: يقول بعضهم: هو نبات الشعر، وبعضهم يقول: هو نفخ الروح.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذٍ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك: ( ثُمَّ أَنْشَأَتْهُ خَلْقًا آخَرَ ) قال: يقال الخلق الآخر بعد خروجه من بطن أمه بسنه وشعره.

وقال آخرون: بل عنى بإنشائه خلقا آخر: سؤى شبابه.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( ثُمَّ أَنْشَأَتْهُ خَلْقًا آخَرَ ) قال: حين استوى شبابه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: قال مجاهد: حين استوى به الشباب.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بذلك نفخ الروح فيه، وذلك أنه بنفخ الروح فيه يتحول خلقا آخر إنسانا، وكان قبل ذلك بالأحوال



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

التي وصفه الله أنه كان بها، من نطفة وعلقة ومضغة وعظم وبنفخ الروح فيه، يتحوّل عن تلك المعاني كلها إلى معنى الإنسانية، كما تحوّل أبوه آدم بنفخ الروح في الطينة التي خلق منها إنسانا، وخلقاً آخر غير الطين الذي خلق منه.

وقوله: ( فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال < 19-19 > بعضهم: معناه فتبارك الله أحسن الصانعين.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن ليث، عن مجاهد: ( فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ) قال: يصنعون ويصنع الله، والله خير الصانعين.

وقال آخرون: إنما قيل: ( فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ) لأن عيسى ابن مريم كان يخلق، فأخبر جل ثناؤه عن نفسه أنه يخلق أحسن مما كان يخلق.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، قال: قال ابن جريج، في قوله: ( فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ) قال: عيسى ابن مريم يخلق.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول مجاهد؛ لأن العرب تسمى كل صانع خالقا، ومنه قول زهير:

ولأنت تفري ما خلقت وبغ

ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي (5)

ويروى:

ولأنت تخلق ما فريت وبغ

ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي

القول في تأويل قوله تعالى : ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (15) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (16)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره: ثم إنكم أيها الناس من بعد إنشائكم خلقا آخر وتصييرناكم إنسانا سويا ميتون وعائدون ترابا كما كنتم، ثم إنكم بعد موتكم وعودكم رفاتا باليا، مبعوثون من التراب خلقا جديدا، كما بدأناكم أول مرة. وإنما قيل: (ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ)؛ لأنه خبر عن حال لهم يحدث لم يكن. وكذلك تقول العرب لمن لم يموت: هو مائت وميت عن قليل، ولا يقولون لمن قد مات مائت، وكذلك هو طمع فيما عندك إذا وصف < 19-20 > بالطمع، فإذا أخبر عنه أنه سيفعل ولم يفعل قيل: هو طامع فيما عندك غدا، وكذلك ذلك في كل ما كان نظيرا لما ذكرناه.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَقَدْ خَلَقْنَا قَوَّكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ (17)

يقول تعالى ذكره: ولقد خلقنا فوقكم أيها الناس سبع سموات، بعضهن فوق بعض، والعرب تسمي كل شيء فوق شيء طريقة. وإنما قيل للسموات السبع سبع طرائق؛ لأن بعضهن فوق بعض، فكل سماء منهن طريقة.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله: ( وَلَقَدْ خَلَقْنَا قَوَّكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ ) قال: الطرائق: السموات.

وقوله: ( وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ) يقول: وما كنا في خلقنا السموات السبع فوقكم، عن خلقنا الذي تحتها غافلين، بل كنا لهم حافظين من أن تسقط عليهم فتهلكهم.

الهوامش:

(1) البيت لحسان بن ثابت (اللسان: سلل) وفيه: فجاءت في موضع حملت. وهو شاهد على أن السلالة بمعنى نطفة الإنسان، وسلالة الشيء: ما استل من. واستشهد به المؤلف على أن العرب تسمي ولد الرجل ونطفته: سلالة. وفي اللسان: وقال الفراء: السلالة الذي سل من كل تربة. وقال أبو الهيثم: السلالة: ما سل من صلب الرجل وترائب المرأة، كما يسلم الشيء سلا. والسليل: الولد حين يخرج من بطن أمه، لأنه خلق من السلالة. وعن عكرمة أنه قال في السلالة: إنه الماء يسلم من الظهر سلا. وعصب الأديم: غليظ الجلد، ولعله يريد وصفه بالشدة والقسوة. ولم أجد هذا التعبير في معجم اللغة، ووجدته في حاشية جانبية على نسخة مصورة من مجاز القرآن محفوظة بمكتبة جامعة

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القاهرة، رقمها 26059 عند تفسير قوله تعالى: { ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين }.

(2) البيت لهند بنت النعمان (اللسان: سلل). وروايته: "وما هند إلا مهرة". وهو شاهد على أن السليل الولد، والأشئ سلية، قال أبو عمرو: السلية بنت الرجل من صلبه. وتجللها: علاها. والمراد بالبغل هنا: الرجل الشبيه بالبغل والبغل مذموم عند العرب. وفي اللسان: سلل: قال ابن بري: وذكر بعضهم أنها تصحيف، وأن صوابه "نغل" بالنون، وهو الخسيس من الناس والدواب، لأن البغل لا ينسل. وقال ابن شميل: يقال للإنسان أول ما تضعه أمه: سليل. والليل والسلية: المهر والمهرة.

(3) لم أجد هذا البيت في معاني القرآن للفراء ولا في مجاز القرآن لأبي عبيدة، ولا في شواهد معاجم اللغة. وهو شاهد على أن السلائل جمع سلالة، وقد شرحنا معناها في الشاهدين السابقين بما أغنى عن تكراره هنا.

(4) كذا ورد هذا الشطر في الأصول محرّفًا وحسبه المؤلف من الرجز، ويلوح لي أن هذا جزء من بيت للنابغة الذبياني نسخه بعض النساخ في بعض الكتب، ولم يفتن له المؤلف. وبيت النابغة من البحر الطويل، وهو من قصيدة له يصف الخيل في وقعة عمرو بن الحارث الأصغر الغساني ببني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، قال فيها:

وَقَدْ خِفْتُ حَتَّى مَا تَزِيدُ مَخَافَتِي

عَلَى وَعِلي فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلِ

مَخَافَةَ عَمْرٍو أَنْ تَكُونَ جِيَادُهُ

يُقَدِّنَ إِلَيْنَا بَيْنَ حَافٍ وَتَاعِلِ

إِذَا اسْتَعَجَلُوهَا عَنْ سَجِيَّةٍ مَشِيهَا

تَتَلَعُ فِي أَعْنَاقِهَا بِالْجَحَافِلِ

وَيَقْدِفَنَ بِالْأَوْلَادِ فِي كُلِّ مَنَزِلِ

تَشْحَطُ فِي أَسْلَائِهَا كَالْوَصَائِلِ

وهذا البيت الأخير هو محل الشاهد في بحثنا وليس فيه شاهد للمؤلف على السلائل جمع السلالة، لأنها لم تذكر في البيت ولا في القصيدة كلها. وأصل تشحط: تتشطح، أي تضطرب يريد أولاد الخيل. والسلى: الجلدة التي يكون فيها الولد من الإنسان أو الحيوان إذا ولد. الوصائل الثياب الحمر المخططة. والمراد أن الأسلاب كانت موشحة بالدم، وانظر البيت في (اللسان: شحط) وفي

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

المخصص. لابن سيده ( 1 : 17 ) ومختار الشعر الجاهلي بشرح مصطفى السقا ( طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بالقاهرة ص 211 ).

(5) البيت لزهير بن أبي سلمى يمدح رجلا (اللسان: خلق) يقول: أنت إذا قدرت أمرا قطعته وأمضيته، وغيرك يقدر ما لا يقطعه، لأنه ليس بماض العزم وأنت مضاء على ما عزمت عليه. والخلق: التقدير، يقال: خلق الأديم يخلقه خلقًا: قدره لما يريد قبل القطع، وقاسه ليقطع منه مزادة أو قرية أو خفا. ولذلك سمت العرب كل صانع كالنجار والخياط ونحوهما خالقًا، لأنه يقيس الخشب ويقدره على ما يريد له. والفري: القطع بعد التقدير، وقد يكون قبله، بأن يقطع قطعة من جلد أو ثوب قطعًا مقارنًا، ثم يصلحها ويسويها بالحساب والتقدير، على ما يريد له ولذلك جاءت رواية أخرى في البيت: ولأنت تخلق ما فريت... إلخ.

القول في تأويل قوله تعالى : وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (18)

يقول تعالى ذكره: وأنزلنا من السماء ما في الأرض من ماء فأسكناه فيها.

كما: حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ( وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ) ماء هو من السماء.

وقوله: ( وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ) يقول جل ثناؤه: وإنا على الماء الذي أسكناه في الأرض لقادرون أن نذهب به ، فتهلكوا أيها الناس عطشا ، وتخرب أرضوكم، فلا تنبت زرعًا ولا غرسًا، وتهلك مواشيكم، يقول: فمن نعمتي عليكم تركي ذلك لكم في الأرض جاريًا.

القول في تأويل قوله تعالي: فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (19)

يقول تعالى ذكره: فأحدثنا لكم بالماء الذي أنزلناه من السماء بساتين من نخيل وأعناب > 19-21 < ( لَكُمْ فِيهَا ) يقول: لكم في الجنات فواكه كثيرة. ( وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ) يقول: ومن الفواكه تأكلون، وقد يجوز أن تكون الهاء والألف من ذكر الجنات، ويحتمل أن تكون من ذكر النخيل والأعناب. وخصّ جل ثناؤه الجنات التي ذكرها في هذا الموضع، فوصفها بأنها من نخيل وأعناب ، دون وصفها بسائر ثمار الأرض؛ لأن هذين النوعين من الثمار كانا هما أعظم ثمار الحجاز وما قرب منها، فكانت النخيل لأهل المدينة، والأعناب لأهل الطائف، فذكر القوم بما يعرفون من نعمة الله عليهم، بما أنعم به عليهم من ثمارها.

القول في تأويل قوله تعالى : وَسَجَّرَهُ تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيِّئًا تَبَّتْ بِالدُّهْنِ وَصِنِغٍ لِلْأَكْلِينَ (20)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره: وأنشأنا لكم أيضا شجرة تخرج من طور سيناء وشجرة منصوبة عطفًا على الجنات ويعني بها: شجرة الزيتون.

وقوله: ( تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ ) يقول: تخرج من جبل ينبت الأشجار.

وقد بيّنت معنى الطور فيما مضى بشواهد، واختلاف المختلفين بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وأما قوله: ( سَيْنَاءَ ) فإن القراء اختلفت في قراءته، فقراءته عامة قرّاء المدينة والبصرة: ( سيناء ) بكسر السين. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: ( سَيْنَاءَ ) بفتح السين، وهما جميعًا مجمعون على مدّها.

والصواب من القول في ذلك، أنهما قراءتان معروفتان في قراءة الأمصار، بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

واختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه: المبارك، كأن معنى الكلام عنده: وشجرة تخرج من جبل مبارك.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعًا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ( طُورِ سَيْنَاءَ ) قال: المبارك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، عن مجاهد، مثله.

< 19-22 >

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ( وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ ) قال: هو جبل بالشام مبارك.

وقال آخرون: معناه: حسن.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ( طُورِ سَيْنَاءَ ) قال: هو جبل حسن.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حُدثت عن الحسين، قال: سمعتُ أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ( مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ ) الطور: الجبل بالنبطية، وسيناء، حسنة بالنبطية.

وقال آخرون: هو اسم جبل معروف.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، في قوله: ( مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ ) قال: الجبل الذي نودي منه موسى صلى الله عليه وسلم.

حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( طُورِ سَيْنَاءَ ) قال: هو جبل الطور الذي بالشام، جبل بيت المقدس، قال: ممدود، هو بين مصر وبين أيلة.

وقال آخرون: معناه: أنه جبل ذو شجر.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن عمن قاله.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن سيناء اسم أضيف إليه الطور يعرف به، كما قيل: جبلا طيئ، فأضيفا إلى طيئ، ولو كان القول في ذلك كما قال من قال: معناه: جبل مبارك، أو كما قال من قال: معناه حسن، لكان الطور منوَّنا، وكان قوله سيناء من نعته، على أن سيناء بمعنى: مبارك وحسن، غير معروف في كلام العرب، فيجعل ذلك من نعت الجبل، ولكن القول في ذلك إن شاء الله كما قال ابن عباس، من أنه جبل عرف بذلك، وأنه الجبل الذي نودي منه موسى صلى الله عليه وسلم، وهو مع ذلك مبارك، لا أن معنى سيناء: معنى مبارك.

< 19-23 >

وقوله: ( تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ ) اختلفت القراء في قراءة قوله: ( تَنْبُتُ ) فقرأته عامة قراء الأمصار: ( تَنْبُتُ ) بفتح التاء، بمعنى: تنبت هذه الشجرة بثمر الدهن، وقراه بعض قراء البصرة: ( تَنْبُتُ ) بضم التاء، بمعنى تنبت الدهن، تخرجه. وذكر أنها في قراءة عبد الله: ( تُخْرُجُ الدُّهْنَ ) وقالوا: الباء في هذا الموضع زائدة كما قيل: أخذت ثوبه، وأخذت بثوبه، وكما قال الراجز:

تَحْنُ بَنُو جَعْدَةَ أَرْبَابُ الْقَلَجِ

تَصْرِبُ بِالْبَيْضِ وَتَرْجُو بِالْفَرَجِ (1)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

بمعنى: ونرجو الفرج. والقول عندي في ذلك أنهما لغتان: نبت، وأنبت؛ ومن أنبت قول زهير:

رَأَيْتَ ذَوِي الْحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ

قَطِينًا لَهُمْ حَتَّى إِذَا أُنْبِتَ الْبَقْلُ (2)

وبروي: نبت، وهو كقوله: فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ و " فاسر "، غير أن ذلك وإن كان > 24-19 < كذلك، فإن القراءة التي لا أختار غيرها في ذلك قراءة من قرأ: ( تَنْبُتُ ) بفتح التاء؛ لإجماع الحجة من القراء عليها. ومعنى ذلك: تَنْبُتُ هذه الشجرة بثمر الدهن.

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ( تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ ) قال: بثمره.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

والدهن الذي هو من ثمره الزيت، كما حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ( تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ ) يقول: هو الزيت يوكل، ويدهن به.

وقوله: ( وَصِغٌ لِلآكِلِينَ ) يقول: تنبت بالدهن وبصغ للآكلين، يصطبغ بالزيت الذين يأكلونه.

كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله ( وَصِغٌ لِلآكِلِينَ ) قال: هذا الزيتون صبغ للآكلين، يأتدمون به، وبصطبغون به.

قال أبو جعفر: فالصغ عطف على الدهن.

القول في تأويل قوله تعالى : وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسَقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (21) وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (22)



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره: ( وَإِنَّ لَكُمْ ) أيها الناس ( فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ) تعتبرون بها، فتعرفون بها أيادي الله عندكم، وقدرته علي ما يشاء، وأنه الذي لا يمتنع عليه شيء أراده ولا يعجزه شيء شاءه ( نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا ) من اللبن الخارج من بين الفرت والدم، ( وَلَكُمْ ) مع ذلك

( فِيهَا ) يعني في الأنعام ( مَتَاعٌ كَثِيرٌ ) وذلك كالإبل التي يُحمل عليها، ويُركب ظهرها، ويُشرب دُرَّها، ( وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ) يعني من لحومها تأكلون. وقوله: ( وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ) يقول: وعلى الأنعام، وعلى السفن تحملون على هذه في البر، وعلى هذه في البحر.

< 19-25 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (23)

يقول تعالى ذكره: ( وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ) داعيهم إلى طاعتنا وتوحيدينا، والبراءة من كل معبود سوانا، ( فَقَالَ ) لهم نوح ( يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ) يقول: قال لهم: ذلوا يا قوم لله بالطاعة ( مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ) يقول: ما لكم من معبود يجوز لكم أن تعبدوه غيره، ( أَفَلَا تَتَّقُونَ ) يقول: أفلا تخشون بعبادتكم غيره عقابه أن يحل بكم.

القول في تأويل قوله تعالى : فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ (24)

يقول تعالى ذكره: فقالت جماعة أشرف قوم نوح، الذين جحدوا توحيد الله، وكذبوه لقومهم: ما نوح أيها القوم إلا بشر مثلكم، إنما هو إنسان مثلكم وكبعضكم ( يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ) يقول: يريد أن يصير له الفضل عليكم، فيكون متبوعاً وأنتم له تبع ( وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً ) يقول: ولو شاء الله أن لا نعبد شيئاً سواه؛ لأنزل ملائكة، يقول: لأرسل بالدعاء إلى ما يدعوكم إليه نوح ملائكة تؤدّي إليكم رسالته. وقوله: ( مَا سَمِعْنَا بِهَذَا ) الذي يدعونا إليه نوح، من أنه لا إله لنا غير الله في القرون الماضية، وهي أبائهم الأولون.

القول في تأويل قوله تعالى : إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ (25) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَدَّبُونِ (26) فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا قَادًا جَاءَ أُمَّرْتَا وَقَارَ النَّوْرِ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِفُونَ (27)

يعني تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملا الذين كفروا من قوم نوح: ( إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ < 19-26 > ) ما نوح إلا رجل به جنون. وقد يقال أيضاً للجن: جنة، فيتفق الاسم والمصدر، وهو من قوله: ( إِنَّ هُوَ ) كناية اسم نوح. وقوله: ( فترَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ ) يقول: فتلبثوا به، وتنظروا به حتى حين، يقول: إلى

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقت مَّا، ولم يَعْنُوا بذلك وقتا معلوما، إنما هو كقول القائل: دعه إلى يوم مَّا، أو إلى وقت مَّا، وقوله: ( قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ) يقول: قال نوح داعيا ربه ، مستنصرا به على قومه؛ لما طال أمره وأمرهم ، وتمادوا في غيهم: ( رَبِّ انصُرْنِي ) على قومي (بِمَا كَذَّبُونَ) يعني يتكذبون إياي، فيما بلغتهم من رسالتك ، ودعوتهم إليه من توحيدك. وقوله: ( فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلَّ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا ) يقول: فقلنا له حين استنصرتنا على كفرة قومه: اصنع الفلك، وهي السفينة؛ بأعيننا ، يقول: بمرأى منا، ومنظر، ووحينا ، يقول: وتعليمنا إياك صنعها، ( فَأَيَّامَ الْفُلِّ ) يقول: فإذا جاء أمرنا في قومك، بعدابهم وهلاكهم ( وَقَارَ النَّوْرُ ) .

وقد ذكرنا فيما مضى اختلاف المختلفين في صفة فور التنور. والصواب عندنا من القول فيه بشواهد، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

( قَاسِلُكُ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ) يقول: فادخل في الفلك واحمل. والهاء والألف في قوله: ( فِيهَا ) من ذكر الفلك ( مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ) يقال : سلكته في كذا، وأسلكته فيه، ومن سلكته قول الشاعر:

وَكُنْتُ لِرِزَارٍ حَصِيمًا لَمْ أُعْرِدْ

وَقَدْ سَلَكَوكَ فِي يَوْمٍ عَصِيبٍ (3)

وبعضهم يقول: أسلكت بالألف، ومنه قول الهذلي.

حتى إِذَا أَسَلَكَوهُمُ فِي فُتَايِدَةٍ

سَلَا كَمَا تَطْرُدُ الْجَمَالَ السُّرْدَا (4)

< 19-27 >

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ( قَاسِلُكُ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ) يقول لنوح: اجعل في السفينة من كل زوجين اثنين ( وَأَهْلَكَ ) وهم ولده ونساؤهم ( إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ) من الله بأنه هالك، فيمن يهلك من قومك ، فلا تحمله معك، وهو يام الذي غرق.

# جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ويعني بقوله: ( مِنْهُمْ ) من أهلك، والهاء والميم في قوله ( منهم ) من ذكر الأهل.

وقوله: ( وَلَا تُخَاطِبُنِي ) الآية، يقول: ولا تسألني في الذين كفروا بالله أن أنجيهم.

( إِنَّهُمْ مُعْرَفُونَ ) يقول: فإني قد حتمت عليهم أن أغرق جميعهم.

الهوامش:

(1) البيت لنابعة بني جعدة ( خزنة الأدب للبغدادي 4 : 160 ) والفلج في الأصل النهر الصغير ، والماء الجاري. والمراد في البيت : موضع في أعلى بلاد قيس . ويروى (نضرب بالسيف ) . والبيض : جمع أبيض ، وهو السيف . والبيت شاهد على زيادة الباء في قوله بالفرج ، أي ونرجو الفرج . وهي زائدة في المفعول به سماعًا . قال ابن عصفور في الضرائر : زيادة الباء هنا : ضرورة . وقال ابن السيد في شرح أدب الكاتب لابن قتيبة : إنما عدى الرجاء بالباء ، لأنه بمعنى الطمع يتعدى بالباء ، كقولك : طمعت بكذا . قال الشاعر:

طَمِعْتُ بِلَيْلَى أَنْ تَجُودَ وَإِنَّمَا

تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرَّجَالِ الْمَطَامِعِ

وبنو جعدة يروى بالرفع على أنه خبر نحن ، وبالنصب على الاختصاص ، والخبر : أرباب . ا . هـ .

(2) البيت في (اللسان نبت ) قال : ونبت البقل وأنبت بمعنى ، وأنشد لزهير بن أبي سلمى :

إِذَا السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ بِالنَّاسِ أَجَحَّتْ

وَنَالَ كِرَامَ النَّاسِ فِي الْحَجْرَةِ الْأَكْلُ

ثم قال : يعني بالشهباء البيضاء من الجذب ، لأنها تبيض بالثلج أو عدم النبت . والحجرة السنة الشديدة التي تحجر الناس في بيوتهم ، فينحروا كرائم إبلهم ليأكلوها . والقطين : الحشم، وسكان الدار. وأجحفت أضرت بهم ، وأهلكت أموالهم . قال : ونبت وأنبت : مثل قولهم مطرت السماء وأمطرت . وقال في

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قوله تعالى : {تنبت بالدهن} قرأ ابن كثير وأبو عمرو الحضرمي : {تنتت} بضم في التاء ، وكسر الباء . وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي وابن عامر : يفتح التاء . وقال الفراء : هما لغتان : نبتت الأرض وأنتت ، قال ابن سيده : أما تنتت ( بضم التاء) فذهب كثير من الناس إلى أن معناه : تنبت الدهن ، أي شجر الدهن ، أو حب الدهن ، وأن الباء فيه زائدة ، وكذلك قول عنتره " شربت بماء الدحرصين ... البيت " قالوا: أراد شربت ماء الدحرصين. قال : وهذا عند حذاق أصحابنا على غير وجه الزيادة ، وإنما تأويله والله أعلم : تنبت ما تنبته والدهن فيها ، كما تقول : خرج زيد بثيابه عليه؛ وركب الأمير بسيفه ، أي وسيفه معه . ا هـ .

(3) البيت لعدي بن زيد العبادي (انظر شرحنا له في ص 82 من الجزء الثاني عشر من هذا التفسير ، وقد استشهد به المؤلف هناك عند قوله تعالى { وقال هذا يوم عصيب} أي شديد واستشهد به هنا على أنه يقال : سلكته في كذا بمعنى أدخلته فيه وأسلكته فيه ، والبيت شاهد على الأول . قال في اللسان ( اللسان : سلك) والسلك ، بالفتح : مصدر سلكت الشيء في الشيء ، فانسلك أي أدخلته فيه فدخل . قال عدي بن زيد : " وكنت لزاز ..... " كما استشهد به المؤلف مرة أخرى في ( 14 : 9) من هذه الطبعة عند قوله تعالى : {كذلك نسلكه في قلوب المجرمين} فراجعه ثمة.

(4) البيت لعبد مناف بن ربح الهذلي ( اللسان: سلك). قال: وسلك المكان يسلكه سلكاً وسلوكاً ، وسلكه غيره ( بنصب غير ) وفيه ، وأسلكه إياه ، وفيه ، وعليه ( بمعنى أدخله فيه ) قال عبد مناف بن ربح الهذلي : " حتى إذا أسلكوهم ... البيت " . وقد سبق استشهد المؤلف بالبيت في ص 9 من الجزء الرابع عشر من هذه الطبعة ( عند قوله تعالى : { كذلك نسلكه في قلوب المجرمين } فراجعه ثمة .

القول في تأويل قوله تعالى : فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ  
فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَجَاءتَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (28)

يعني تعالى ذكره بقوله: ( فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ ) فإذا اعتدلت في السفينة أنت ومن معك ، ممن حملته معك من أهلك، راكبا فيها عاليا فوقها( فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَجَاءتَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) يعني من المشركين.

القول في تأويل قوله تعالى : وَقُلْ رَبِّ أُنزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (29) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (30)

يقول تعالى ذكره لنبه نوح عليه السلام: وقل إذا سلمك الله ، وأخرجك من الفلك ، فنزلت عنها: ( رَبِّ أُنزِلْنِي مُنْزَلاً ) من الأرض ( مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ ) من أنزل عباده المنازل.

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: مُنْزَلًا مُّبَارَكًا قال: لنوح حين نزل من السفينة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين. قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن > 19-28 < مجاهد، مثله.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار: رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا بضم الميم وفتح الزاي، بمعنى: أنزلني إنزالاً مباركاً. وقرأه عاصم مُنْزَلًا بفتح الميم وكسر الزاي. بمعنى: أنزلني مكاناً مباركاً وموضعا.

وقوله: ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ ) يقول تعالى ذكره: إن فيما فعلنا بقوم نوح يا محمد، من إهلاكناهم إذ كذبوا رسلنا، وجحدوا وحدانيتنا وعبدوا الآلهة والأصنام- لعبرا لقومك من مشركي قريش، وعظمت وحججا لنا، يستدلون بها على سنتنا في أمثالهم، فينزعروا عن كفرهم، ويرتدعوا عن تكذيبك، حذرا أن يصيبهم مثل الذي أصابهم من العذاب.

وقوله: ( وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ) يقول تعالى ذكره: وكنا مختبريهم بتذكيرنا إياهم بآياتنا، لننظر ما هم عاملون قبل نزول عقوبتنا بهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (31) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (32)

يقول تعالى ذكره: ثم أحدثنا من بعد مهلك قوم نوح، قرنا آخرين، فأرسلناهم ( فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ) داعيا لهم، ( أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ ) يا قوم، وأطيعوه دون الآلهة والأصنام، فإن العبادة لا تنبغي إلا له ( مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ) يقول: ما لكم من معبود يصلح أن تعبدوا سواه ( أَفَلَا تَتَّقُونَ ) أفلا تخافون عقاب الله بعبادتكم شيئا دونه، وهو الإله الذي لا إله لكم سواه.

القول في تأويل قوله تعالى: وَقَالَ الْمَلَأُ مِنَ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (33)

يقول تعالى ذكره: وقالت الأشراف من قوم الرسول الذي أرسلنا بعد نوح، وعنى بالرسول في هذا الموضع: صالحا، ويقومه: ثمود. ( الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ ) يقول: الذين جحدوا توحيد الله، وكذبوا بقاء الآخرة، يعني، كذبوا بقاء الله في الآخرة. وقوله: ( وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) يقول: ونعمناهم في حياتهم الدنيا بما وسعنا عليهم > 19-29 < من المعاش، وبسطنا لهم من الرزق، حتى بطروا وعتوا على ربهم، وكفروا، ومنه قول الراجز:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وَقَدْ أَرَانِي بِالذِّيَارِ مُتْرَفًا (1)

وقوله: ( مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ ) يقول: قالوا: بعث الله صالحا إلينا رسولا من بيننا، وخصه بالرسالة دوننا، وهو إنسان مثلنا ، يأكل مما نأكل منه من الطعام ، ويشرب مما نشرب، وكيف لم يرسل ملكا من عنده يبلغنا رسالته، قال: ( وَبَشْرٌ مِثْلُكُمْ ) معناه: مما تشربون منه، فحذف من الكلام " منه "؛ لأن معنى الكلام: ويشرب من شرابكم، وذلك أن العرب تقول: شربت من شرابك.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَئِن أَطَعْتُمْ بَشْرًا مِثْلُكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ ( 34 ) أَيْعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِنْكُمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ (35)

يقول تعالى ذكره ، مخبرا عن قيل الملائكة من قوم صالح لقومهم: ( وَلَئِن أَطَعْتُمْ بَشْرًا مِثْلُكُمْ ) فاتبعتموه ، وقبلتم ما يقول وصدقتموه. ( إِنَّكُمْ ) أيها القوم ( إِذَا لَخَاسِرُونَ ) يقول: قالوا: إنكم إذن لمغبونون حظوظكم من الشرف والرفعة في الدنيا، باتباعكم إياه.

قوله: ( أَيْعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِنْكُمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا ) الآية، يقول تعالى ذكره: قالوا لهم: أيعدكم صالح أنكم إذا متم وكنتم ترابا في قبوركم ، وعظاما قد ذهبت لحوم أجسادكم، وبقيت عظامها - أنكم مخرجون من قبوركم أحياء ، كما كنتم قبل مماتكم؟ وأعيدت ( أنكم ) مرتين، والمعنى: أيعدكم أنكم إذا متم ، وكنتم ترابا وعظاما - مخرجون مرة واحدة، لما فرق بين ( أنكم ) الأولى ، وبين غيرها بإذا، وكذلك تفعل العرب بكل اسم أوقعت عليه الظن وأخواته، ثم اعترضت بالجزاء دون خبره، فتكرر اسمه مرة وتحذفه أخرى، فتقول: أظن أنك إن جالستنا أنك محسن، فإن حذفنا أنك الأولى أو الثانية صلح، وإن أثبتهما صلح، وإن لم تعترض بينهما بشيء لم يجز خطأ أن يقال: أظن أنك أنك جالس، وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: ( أَيْعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِنْكُمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ ).

< 19-30 >

القول في تأويل قوله تعالى : هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (36) إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (37)

وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن قول الملائكة من ثمود أنهم قالوا: هيهات هيهات : أي بعيد ما توعدون أيه القوم، من أنكم بعد موتكم ومصيركم ترابا وعظاما مخرجون أحياء من قبوركم، يقولون: ذلك غير كائن.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

# جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ يقول: بعيد بعيد.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ قال: يعني البعث. والعرب تُدخل اللام مع هيهات في الاسم الذي يصحبها وتنزعها منه، تقول: هيهات لك هيهات، وهيهات ما تتبغي هيهات؛ وإذا أسقطت اللام رفعت الاسم بمعنى هيهات، كأنه قال: بعيد ما ينبغي لك؛ كما قال جرير:

فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ الْعَقِيقُ وَمَنْ بِهِ

وَهَيْهَاتَ خَلُّ بِالْعَقِيقِ تُوَصِّلُهُ (2)

كأنه قال: العقيق وأهله، وإنما أدخلت اللام مع هيهات في الاسم، لأنهم قالوا: هيهات أداة غير مأخوذة من فعل، فأدخلوا معها في الاسم اللام، كما أدخلوها مع هلم < 31-19 > لك، إذ لم تكن مأخوذة من فعل، فإذا قالوا: أقبل، لم يقولوا لك، لاحتمال الفعل ضمير الاسم.

واختلف أهل العربية في كيفية الوقف على هيهات، فكان الكسائي يختار الوقوف فيها بالهاء؛ لأنها منصوبة، وكان الفراء يختار الوقوف عليها بالتاء، ويقول: من العرب من يخفض التاء، فدلّ على أنها ليست بهاء التأنيث، فصارت بمنزلة دراك ونظار، وأما نصب التاء فيهما؛ فلأنهما أداتان، فصارتا بمنزلة خمسة عشر، وكان الفراء يقول: إن قيل: إن كل واحدة مستغنية بنفسها، يجوز الوقوف عليها، وإن نصبها كنصب قوله: ثم جلست؛ وبمنزلة قوله الشاعر.

مَاوِيَّ يَا رُبَّتِّمَا غَارَةَ

شَعْوَاءَ كَاللَّدَعَةِ بِالْمِيسَمِ (3)

قال: فنصب هيهات بمنزلة هذه الهاء التي في " ربت " لأنها دخلت على حرف، على ربّ وعلى ثم، وكانا أداتين، فلم تغيرهما عن أداتهما فنصبا.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

واختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته الأمصار غير أبي جعفر: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ بفتح التاء فيهما. وقرأ ذلك أبو جعفر: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ بكسر التاء فيهما. والفتح فيهما هو القراءة عندنا؛ لإجماع الحجة من القراء عليه.

وقوله: ( إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ) يقول: ما حياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها ( تَمُوتُ وَتَحْيَا ) يقول: تموت الأحياء منا فلا تحيا ، ويحدث آخرون منا فيولدون أحياء ( وَمَا تَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ) يقول: قالوا: وما نحن بمبعوثين بعد الممات.

كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ( إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا تَمُوتُ وَتَحْيَا وَمَا تَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ) قال: يقول ليس آخرة ولا بعث، يكفرون بالبعث، يقولون: إنما هي حياتنا هذه ثم نموت ولا نحيا، يموت هؤلاء ويحيا < 32-19 > هؤلاء، يقولون: إنما الناس كالزريع يحصد هذا ، وينبت هذا، يقولون: يموت هؤلاء ، ويأتي آخرون، وقرأ: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدَّبَكُم عَلَى رَجُلٍ يَتَّبِعُكُمْ إِذَا مُرِّفْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ وقرأ: لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ .

القول في تأويل قوله تعالى : إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا تَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (38) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (39) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ (40)

يقول تعالى ذكره: قالوا ما صالح إلا رجل اختلق على الله كذبا في قوله : مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وفي وعده إياكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون. وقوله: هُوَ من ذكر الرسول، وهو صالح. وَمَا تَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ يقول: وما نحن له بمصدقين فيما يقول : إنه لا إله لنا غير الله، وفيما يعدنا من البعث بعد الممات. وقوله: قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ يقول: قال صالح لما أيس من إيمان قومه بالله ، ومن تصديقهم إياه بقولهم : وَمَا تَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى هَؤُلَاءِ بِمَا كَذَّبُونِ يقول: بتكذيبهم إياي فيما دعوتهم إليه من الحق، فاستغاث صلوات الله عليه بربه من أذاهم إياه ، وتكذيبهم له، فقال الله له مجيبا في مسأله إياه ما سأله: عن قليل يا صالح ليصبحن مكذوبك من قومك على تكذيبهم إياك نادمين، وذلك حين تنزل بهم فتننا فلا ينفعهم الندم.

القول في تأويل قوله تعالى : فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُنَاءً فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (41)

يقول تعالى ذكره: فانتقمنا منهم، فأرسلنا عليهم الصيحة، فأخذتهم بالحق، وذلك أن الله عاقبهم باستحقاقهم العقاب منه بكفرهم به ، وتكذيبهم رسوله ( فَجَعَلْنَاهُمْ غُنَاءً ) يقول: فصيرناهم بمنزلة الغناء، وهو ما ارتفع على السيل ونحوه، كما لا ينتفع به في شيء وإنما هذا مثل، والمعنى: فأهلكناهم فجعلناهم كالشيء الذي لا منفعة فيه.

# جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ( فَجَعَلْنَاهُمْ عُتَاءً قَبْعَدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) يقول: جعلوا كالشيء < 33-19 > الميت البالي من الشجر.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ( عُتَاءٌ ) كالرميم الهامد، الذي يحتمل السيل.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ( فَجَعَلْنَاهُمْ عُتَاءً ) قال: كالرميم الهامد الذي يحتمل السيل.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: ( فَجَعَلْنَاهُمْ عُتَاءً ) قال: هو الشيء البالي.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( فَجَعَلْنَاهُمْ عُتَاءً ) قال: هذا مثل ضربه الله.

وقوله: ( قَبْعَدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) يقول: فأبعد الله القوم الكافرين بهلاكهم؛ إذ كفروا بربهم، وعصوا رسله، وظلموا أنفسهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: أولئك ثمود، يعني قوله: ( فَجَعَلْنَاهُمْ عُتَاءً قَبْعَدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ).

القول في تأويل قوله تعالى: **ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ (42)**

يقول تعالى ذكره: ثم أحدثنا من بعد هلاك ثمود قوما آخرين.

الهوامش:

(1) البيت للعجاج (أراجيز العرب للسيد محمد توفيق البكري ص 19) قال في شرحه له: وقد أراني أي قد كنت أرني. والمترف من الترف، وهو النعيم والرفه. وفي (اللسان: ترف): والمترف: المتنعم المتوسع في ملاذ

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الدنيا وشهوتها . ورجل مترف ، ومترف كمعظم : موسع عليه . وترف الرجل وأترفه : دله وملكه . وقوله تعالى { إلا قال مترفوها } : أي أولوا الترف وأراد رؤساءها وقادة الشر منها .  
(2) البيت لجرير بن عطية الخطفي ( لسان العرب : هيه) . والرواية فيه : "العقيق وأهله " وفي الديوان (طبعة الصاوي ص 479) .

فَأَيْهَاتِ أَيِهَاتِ الْعَقِيقُ وَمَنْ يَه

وَأَيْهَاتِ وَصَلُّ بِالْعَقِيقِ تُوَاصِلُهُ

وهو من قصيدة يجيب بها الفرزدق . والعقيق : واد لبنى كلاب ، نقله البكري في معجم ما استعجم ، عن عمارة بن عقيل ، وهيئات وأيهات : كلمة معناها البعد ، وقيل هيئات كلمة تبعيد قال جرير : " فهيهات ... " البيت . والتاء مفتوحة مثل كيف ، وأصلها هاء ، وناس يكسرونها على كل حال ، قال حميد الأرقط يصف إبلا قطعت بلادًا حتى صارت في القفار :

هَيْهَاتَ مَنْ مُصَبِّحُهَا هَيْهَاتِ

هَيْهَاتَ حَجْرٌ مِنْ صُنَيْبَاتِ

وقال الفراء : نصب هيهات بمنزلة نصب ربة وثمة ، وأنشد :

مَاوِيَّ يَا رُبَّتَمَا عَارَةَ

شَعْوَاءَ كَاللَّذَعَّةِ بِالْمَيْسَمِ

(3) البيت في ( اللسان : هيه، رب ) قال في الثاني : الفرق بين ربما ورب أن رب لا يليها غير الاسم ، وأما ربما فإنه زيدت (ما) مع (رب) ليليها الفعل ، تقول رب رجل جاءني ، وربما جاءني زيد ، وكذلك ربتما ، وأنشد ابن الأعرابي " ماوي... " إلخ وقال الكسائي : أظنهم امتنعوا من جزم الباء ( أي تسكين باء رب ) لكثرة دخول التاء فيها في قولهم : ربت رجل . يريد أن تاء التأنيث لا يكون ما قبلها إلا مفتوحًا أو في نية الفتح ، فلما كانت تاء التأنيث تدخلها كثيرًا امتنعوا من إسكان ما قبل هاء التأنيث ، وأثروا النصب ( يعني بالنصب الفتح) . ا هـ . وقال في شعا : أشعى القوم الغارة إشعاء أشعلوها ، وغارة شعواء . فاشية متفرقة وأنشد ابن الأعرابي : " ماوي .... البيت : والميسم : المكواة . أو الشيء الذي يوسم به الدواب ، والجمع : مواسم وميلسم القول في تأويل قوله تعالى : مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (43)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله: ( مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا ) يقول: ما يتقدم هلاك أمة من تلك الأمم التي أنشأناها بعد ثمود قبل الأجل الذي أجلنا لهلاكها، ولا يستأخر هلاكها عن الأجل الذي أجلنا لهلاكها ، والوقت الذي وقتنا لفنائها، ولكنها تهلك لمجيئه. وهذا وعيد من الله لمشركي قوم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وإعلام منه لهم أن تأخيره في آجالهم ، مع كفرهم به وتكذيبهم رسوله، ليلبغوا الأجل الذي أجل لهم ، فيحل بهم نعمته، كسنته فيمن قبلهم من الأمم السالفة.

القول في تأويل قوله تعالى : **ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ كُلًّا مَّا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولَهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا > 19-34 < لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (44)**

يقول تعالى ذكره: ( **ثُمَّ أَرْسَلْنَا** ) إلى الأمم التي أنشأنا بعد ثمود ( **رُسُلَنَا تَتْرَى** ) (يعني: يتبع بعضها بعضا، وبعضها في أثر بعض، وهي من المواترة، وهي اسم لجمع مثل شيء، لا يقال: جاءني فلان تتري، كما لا يقال: جاءني فلان مواترة، وهي تنون ولا تنون، وفيها الياء، فمن لم ينونها ( **فَعَلَى** ) من وترت ومن قال: " **تترا** " يوهم أن الياء أصلية ، كما قيل: **مِعْرَى** بالياء، **وَمَعْرَا** ، وبهمى بهما ، ونحو ذلك، فأجريت أحيانا وترك إجراؤها أحيانا، فمن جعلها ( **فعلى** ) وقف عليها أشار إلى الكسر، ومن جعلها ألف إعراب لم يشر؛ لأن ألف الإعراب لا تكسر، لا يقال: رأيت زيذا، فيشار فيه إلى الكسر.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ( **ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى** ) يقول: يتبع بعضها بعضا.

حدثنا محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ( **ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى** ) يقول: بعضها على أثر بعض.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ( **تَتْرَى** ) قال: اتباع بعضها بعضا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ( **ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى** ) قال: يتبع بعضها بعضا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ( **ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى** ) قال: بعضهم على أثر بعض، يتبع بعضهم بعضا.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

واختلفت قراء الأمصار في قراءة ذلك، فقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة ، وبعض أهل المدينة ، وبعض أهل البصرة ( تَتْرًا ) بالتنوين. وكان بعض أهل مكة، وبعض أهل المدينة، وعامة قراء الكوفة يقرءونه: ( تَتْرَى ) بإرسال الياء على مثال ( قَعْلَى )، والقول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان، ولغتان معروفتان في كلام العرب ، بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، غير أبي مع ذلك أختار القراءة بغير تنوين؛ لأنه أفصح < 35-19 > اللغتين وأشهرهما.

وقوله: ( كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ ) يقول: كلما جاء أمة من تلك الأمم ، التي أنشأناها بعد ثمود ، رسولها الذي نرسله إليهم، كذبوه فيما جاءهم به من الحق من عندنا. وقوله: ( فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا ) يقول: فأتبعنا بعض تلك الأمم بعضا بالهلاك ، فأهلكنا بعضهم في إثر بعض. وقوله: ( وَجَعَلْنَاَهُمْ أَحَادِيثَ ) للناس ، ومثلا يتحدث بهم في الناس، والأحاديث في هذا الموضع جمع أحداثة، لأن المعنى ما وصفت من أنهم جعلوا للناس مثلا يتحدث بهم، وقد يجوز أن يكون جمع حديث، وإنما قيل: ( وَجَعَلْنَاَهُمْ أَحَادِيثَ ) لأنهم جعلوا حديثا ، ومثلا يتمثل بهم في الشر، ولا يقال في الخير: جعلته حديثا ، ولا أحداثة. وقوله: ( فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ) يقول: فأبعد الله قوما لا يؤمنون بالله، ولا يصدقون برسوله.

القول في تأويل قوله تعالى : ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (45) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِيهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (46)

يقول تعالى ذكره: ثم أرسلنا بعد الرسل الذين وصف صفتهم قبل هذه الآية، موسى وأخاه هارون إلى فرعون وأشراف قومه من القبط ( بآياتنا ) يقول: بحجنا ( فَاسْتَكْبَرُوا ) عن اتباعها، والإيمان بما جاءهم به من عند الله ( وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ) يقول: وكانوا قوما عالين على أهل ناحيتهم ، ومن في بلادهم من بنى إسرائيل وغيرهم بالظلم، قاهرين لهم.

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، وقوله: ( وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ) قال: علوا على رسلهم ، وعصوا ربهم، ذلك علوهم، وقرأ: تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ الْآيَةُ.

القول في تأويل قوله تعالى : فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (47) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ (48)

يقول تعالى ذكره: فقال فرعون وملؤه: ( أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ) فنتبعهما ( وَقَوْمُهُمَا ) من بني إسرائيل ( لَنَا عَابِدُونَ ) يعنون : أنهم لهم مطيعون متذللون، يأترون < 36-19 > لأمرهم، ويدينون لهم، والعرب تسمى كل من دان لملك : عابدا له. ومن ذلك قيل لأهل الحيرة: العباد؛ لأنهم كانوا أهل طاعة لملوك العجم.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: قال فرعون: ( أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ) .. الآية، نذهب نرفعهم فوقنا ونكون تحتهم، ونحن اليوم فوقهم وهم تحتنا، كيف ن صنع ذلك، وذلك حين أتوهم بالرسالة، وقرأ: وَتَكُونُ لَكُمْ أَلْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ قال: العلوُّ في الأرض.

وقوله: ( فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ) يقول: فكذب فرعون وملؤه موسى وهارون، فكانوا ممن أهلكهم الله كما أهلك من قبلهم من الأمم بتكذيبها رسلها.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (49) وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (50)

يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا موسى التوراة ليهتدي بها قومه من بني إسرائيل، ويعملوا بما فيها، ( وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ) يقول: وجعلنا ابن مريم وأمه حجة لنا على من كان بينهم، وعلى قدرتنا على إنشاء الأجسام من غير أصل، كما أنشأنا خلق عيسى من غير أب.

كما حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرازق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ( وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ) قال: ولدته من غير أب هو له، ولذلك وحدت الآية، وقد ذكر مريم وابنها.

وقوله ( وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ) يقول: وضممناهما وصيرناهما إلى ربوة، يقال: أوى فلان إلى موضع كذا، فهو يأوي إليه، إذا صار إليه؛ وعلى مثال أفلته فهو يُؤويه. وقوله ( إِلَى رَبْوَةٍ ) يعني: إلى مكان مرتفع من الأرض على ما حوله، ولذلك قيل للرجل ، يكون في رفعة من قومه ، وعزٍّ وشرف وعدد: هو في ربوة من قومه، وفيها لغتان: ضمّ الراء وكسرها إذا أريد بها الاسم، وإذا أريد بها الفعلة من المصدر قيل : < 37-19 > رَبَا رَبْوَةً.

واختلف أهل التأويل في المكان الذي وصفه الله بهذه الصفة ، وآوى إليه مريم وابنها، فقال بعضهم: هو الرَّمْلة من فلسطين.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن المثني، قال: ثنا صفوان بن عيسى، قال: ثنا بشر بن رافع، قال: ثنا ابن عمّ لأبي هريرة، يقال له : أبو عبد الله، قال: قال لنا أبو

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

هريرة: الزموا هذه الرملة من فلسطين، فإنها الربوة التي قال الله: ( وَأَوْيْتَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ دَاتٍ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ).

حدثني عصام بن رواد بن الجراح، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عباد أبو عتبة الخواص، قال: ثنا يحيى بن أبي عمرو الشيباني، عن ابن وعلّة، عن كريب قال: ما أدري ما حدثنا مُرّة البهزيّ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر أن الربوة : هي الرملة.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن بشر بن رافع، عن أبي عبد الله ابن عمّ أبي هريرة، قال: سمعت أبا هريرة يقول في قول الله: (إِلَى رَبْوَةٍ دَاتٍ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ) قال: هي الرملة من فلسطين.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا صفوان، قال: ثنا بشر بن رافع، قال: ثنا أبو عبد الله ابن عمّ أبي هريرة، قال: قال لنا أبو هريرة: الزموا هذه الرملة التي بفلسطين، فإنها الربوة التي قال الله: ( وَأَوْيْتَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ دَاتٍ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ).

وقال آخرون: هي دمشق.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا أحمد بن الوليد القرشي، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب أنه قال في هذه الآية: ( وَأَوْيْتَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ دَاتٍ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ) قال: زعموا أنها دمشق.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: بلغني، عن ابن المسيب أنه قال : دمشق.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، مثله.

< 19-38 >

حدثني يحيى بن عثمان بن صالح السهمي، قال: ثنا ابن بكير، قال: ثنا الليث بن سعد، قال: ثنا عبد الله بن لهيعة، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب في قوله: ( وَأَوْيْتَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ دَاتٍ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ) قال: إلى ربوة من رُبَا مصر قال: وليس الرُّبَا إلا في مصر، والماء حين يُرْسَل تكون الرُّبَا عليها القرى، لولا الرُّبَا لغرقت تلك القرى.

وقال آخرون: هي بيت المقدس.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: هو بيت المقدس.

قال ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة قال: كان كعب يقول: بيت المقدس أقرب إلى السماء بثمانية عشر ميلاً.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن كعب، مثله.

وأولى هذه الأقوال بتأويل ذلك: أنها مكان مرتفع ذو استواء، وماء ظاهر، وليس كذلك صفة الرملة؛ لأن الرملة لا ماء بها مَعِين، والله تعالى ذكَّره وصف هذه الربوة بأنها ذات قرار ومَعِين.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ( وَأَوْيْتَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ) قال: الربوة: المستوية.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( إِلَى رَبْوَةٍ ) قال: مستوية.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، عن مجاهد، مثله.

وقوله: ( ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ) يقول تعالى ذكره: من صفة الربوة التي آوينا إليها مريم وابنها عيسى، أنها أرض منبسطة وساحة، وذات ماء ظاهر، لغير الباطن، جار.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن > 39-19 أبيه، عن ابن عباس: ( وَمَعِينٍ ) قال: المعين: الماء الجاري، وهو النهر الذي قال الله: قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا .

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني محمد بن عمارة الأسدي، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد، في قوله: ( دَاتٍ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ) قال: المعين: الماء.

حدثني محمد بن عمارة الأسدي، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: معين، قال: ماء.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال: ثنا محمد بن الصَّلْت، قال: ثنا شريك، عن سالم، عن سعيد، في قوله: ( دَاتٍ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ) قال: المكان المستوي، والمعِين: الماء الظاهر.

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ( وَمَعِينٍ ) : هو الماء الظاهر.

وقال آخرون: عنى بالقرار الثمار.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: ( دَاتٍ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ) هي ذات ثمار، وهي بيت المقدس.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

قال أبو جعفر: وهذا القول الذي قاله قتادة في معنى: ( دَاتٍ قَرَارٍ ) وإن لم يكن أراد بقوله: إنها إنما وصفت بأنها ذات قرار لما فيها من الثمار، ومن أجل ذلك، يستقرّ فيها ساكنوها، فلا وجه له نعرفه. وأما ( مَعِينٍ ) فإنه مفعول من عَنَتْه فأنا أعينه، وهو مُعِين، وقد يجوز أن يكون فعلا من مَعَنَ يمعن فهو معين من الماعون، ومنه قول عبيد بن الأبرص:

وَاهِيَةٌ أَوْ مَعِينٌ مُمَعِنٌ

أَوْ هَضْبَةٌ دُونَهَا لُهَوْبٌ (1)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا  
إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (51)

يقول تعالى ذكره: وقلنا ليعيسى: يا أيها الرسل كلوا من الحلال الذي طيبه الله لكم دون الحرام، ( وَاعْمَلُوا صَالِحًا ) تقول في الكلام للرجل الواحد: أيها القوم كفوا عتاً أذاكم، وكما قال: الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ ، وهو رجل واحد.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني ابن عبد الأعلى بن واصل، قال: ثني عبيد بن إسحاق الضبيّ العطار، عن حفص بن عمر الفزاريّ، عن أبي إسحاق السبيعيّ، عن عمرو بن شرحبيل: ( يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ) قال: كان عيسى ابن مريم يأكل من غزل أمه.

وقوله: ( إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ) يقول: إني بأعمالكم ذو علم، لا يخفى عليّ منها شيء، وأنا مجازيكم بجمعها، وموفيكم أجوركم وثوابكم عليها، فخذوا في صالحات الأعمال واجتهدوا.

القول في تأويل قوله تعالى : وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ  
(52)

اختلفت القراء في قراءة قوله: ( وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ) ، فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة ( وَأَنَّ ) بالفتح، بمعنى: إني بما تعملون عليم، وأن هذه أمتكم أمة واحدة، فعلى هذا التأويل (أن) في موضع خفض، عطف بها على (ما) من قوله: بِمَا تَعْمَلُونَ ، وقد يحتمل أن تكون في موضع نصب إذا قرئ ذلك كذلك. ويكون < 41-19 > معنى الكلام حينئذ: واعلموا أن هذه، ويكون نصبها بفعل مضمر. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين بالكسر: ( وَإِنَّ ) هذه على الاستئناف، والكسر في ذلك عندي على الابتداء هو الصواب؛ لأن الخبر من الله عن قيله ليعيسى: يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ مبتدأ، فقوله: ( وَإِنَّ هَذِهِ ) مردود عليه عطفاً به عليه، فكان معنى الكلام: وقلنا ليعيسى: يا أيها الرسل كلوا من الطيبات، وقلنا: وإن هذه أمتكم أمة واحدة. وقيل: إن الأمة الذي في هذا الموضع: الدّين والملة.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، في قوله: ( وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ) قال: الملة والدين.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله: ( وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ) يقول: وأنا مولاكم فاتقون بطاعتي تأمنوا عقابي ، ونصبت أمة واحدة على الحال. ودُكر عن بعضهم أنه قرأ ذلك رفعا. وكان بعض نحويي البصرة يقول: رَفَعَ ذلك إذا رفع على الخبر، ويجعل أمتكم نصبا على البذل من هذه. وأما نحويو الكوفة فيأبون ذلك إلا في ضرورة شعر، وقالوا: لا يقال: مررت بهذا غلامكم؛ لأن هذا لا تتبعه إلا الألف واللام والأجناس، لأن " هذا " إشارة إلى عدد، فالحاجة في ذلك إلى تبين المراد من المشار إليه أي الأجناس هو، وقالوا: وإذا قيل: هذه أمتكم أمة واحدة، والأمة غائبة ، وهذه حاضرة، قالوا: فغير جائز أن يبين عن الحاضر بالغائب، قالوا: فلذلك لم يجز: إن هذا زيد قائم، من أجل أن هذا محتاج إلى الجنس لا إلى المعرفة.

القول في تأويل قوله تعالى : فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ قَرِحُونَ (53)

اختلفت القراء في قراءة قوله: ( زُبْرًا ) فقرأته عامة قراء المدينة والعراق: ( زُبْرًا ) بمعنى جمع الزبور. فتأويل الكلام على قراءة هؤلاء: فتفرَّق القوم الذين أمرهم الله من أمة الرسول عيسى بالاجتماع على الدين الواحد والملة الواحدة، دينهم الذي أمرهم الله بلزومه ( زُبْرًا ) كتبا، فدان كل فريق منهم بكتاب غير الكتاب الذين دان به الفريق الآخر، كاليهود الذين زعموا أنهم دانوا بحكم التوراة ، وكذبوا بحكم الإنجيل والقرآن، وكالنصارى الذين دانوا بالإنجيل بزعمهم ، وكذبوا بحكم الفرقان.

< 19-42 >

\* ذكر من تأول ذلك كذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ( زُبْرًا ) قال: كتبا.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ( بَيْنَهُمْ زُبْرًا ) قال: كتب الله فرقوها قطعاً.

\* - حدثنا القايم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ( فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْرًا ) قال مجاهد: كتبهم فرقوها قطعاً.

وقال آخرون من أهل هذه القراءة: إنما معنى الكلام: فتفرقوا دينهم بينهم كتبا أحدثوها يحتجون فيها لمذهبهم.

\* ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْرًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ قَرِحُونَ ) قال: هذا ما اختلفوا فيه من الأديان والكتب، كلُّ معجبون برأيهم، ليس أهل هواء إلا وهم معجبون برأيهم وهواهم وصاحبهم الذي اخترق ذلك لهم. وقرأ ذلك عامة قراء الشام ( فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْرًا ) بضم الزاي وفتح الباء، بمعنى: فتفرقوا أمرهم بينهم قطعاً كزبر الحديد، وذلك القطع منها واحدها زبرة، من قول الله: أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ فصار بعضهم يهودا ، وبعضهم نصارى.

والقراءة التي نختار في ذلك قراءة من قرأه بضم الزاي والباء؛ لإجماع أهل التأويل في تأويل ذلك على أنه مراد به الكتب، فذلك يبين عن صحة ما اخترنا في ذلك؛ لأن الزبر هي الكتب، يقال منه: زبرت الكتاب: إذ كتبه.

فتأويل الكلام: فتفرق الذين أمرهم الله بلزوم دينه من الأمم دينهم بينهم كتباً كما بينا قبل.

وقوله: ( كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ قَرِحُونَ ) يقول: كل فريق من تلك الأمم ، بما اختاروه لأنفسهم من الدين والكتب ، فرحون معجبون به، لا يرون أن الحق سواه.

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني > 43-19 < الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء ، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ( كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ قَرِحُونَ ) : قطعة وهؤلاء هم أهل الكتاب.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ( كُلُّ حِزْبٍ ) قطعة أهل الكتاب.

القول في تأويل قوله تعالى : قَدَرَهُمْ فِي عَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ (54) أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ (55) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ (56)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم: فدع يا محمد هؤلاء الذين تقطعوا أمرهم بينهم زبراً، ( فِي عَمَرَتِهِمْ ) في ضلالتهم وغيرهم ( حَتَّىٰ حِينٍ ) ، يعني : إلى أجل سيأتيهم عند مجيئه عذابي.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ( قَدَرَهُمْ فِي عَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ) قال: في ضلالهم.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( فَذَرَهُمْ فِي عَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ) قال: العَمْرَة: العَمْر.

وقوله: ( أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُطَمِّدُهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ ) يقول تعالى ذكره: أيحسب هؤلاء الأحزاب الذين فرقوا دينهم زبرا، أن الذي نعطيهم في عاجل الدنيا من مال وبنين ( نُسَارِعُ لَهُمْ ) يقول: نسابق لهم في خيرات الآخرة، ونبادر لهم فيها. و " ما " من قوله: ( أَنَّمَا نُطَمِّدُهُمْ بِهِ ) نصب؛ لأنها بمعنى الذي ( بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ) يقول تعالى ذكره تكذيبا لهم: ما ذلك كذلك، بل لا يعلمون أن إمدادي إياهم بما أمدهم به من ذلك إنما هو إمداء واستدراج لهم.

ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، < 44-19 > قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ( أَنَّمَا نُطَمِّدُهُمْ ) قال: نعطيهم، ( نَسَارِعُ لَهُمْ )، قال: نزيدهم في الخير، نملي لهم، قال: هذا لقريش.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثني محمد بن عمر بن علي، قال: ثني أشعث بن عبد الله، قال: ثنا شعبة، عن خالد الحذاء، قال: قلت لعبد الرحمن بن أبي بكرة قول الله: ( نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ) قال: يسارع لهم في الخيرات، وكان عبد الرحمن بن أبي بكرة وجه بقراءته ذلك، إلى أن تأويله: يسارع لهم إمدادنا إياهم بالمال والبنين في الخيرات.

القول في تأويل قوله تعالى : إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (57) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (58) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (59)

يعني تعالى ذكره: ( إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ) إن الذين هم من خشيتهم وخوفهم من عذاب الله مشفقون، فهم من خشيتهم من ذلك دائبون في طاعته جادون في طلب مرضاته ( وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ) يقول: والذين هم بآيات كتابه وحججه مصدقون ( وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ) يقول: والذين يخلصون لربهم عبادتهم، فلا يجعلون له فيها لغيره شركا لوثن ، ولا لصنم، ولا يُراءون بها أحدا من خلقه، ولكنهم يجعلون أعمالهم لوجهه خالصا، وإياه يقصدون بالطاعة والعبادة دون كل شيء سواه.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الهوامش:

(1) البيت لعبيد بن الأبرص من قصيدته البائية المطولة ( اللسان : معن )  
واستشهد به المؤلف ، عند قوله تعالى: { وأوتيناها إلى ربوة ذات قرار  
ومعين } . وقال في اللسان : قال الفراء : ذات قرار : أرض منبسطة . ومعين  
الماء : الظاهر الجاري . قال : ولك أن تجعل المعين مفعولا من العيون ،  
( واختاره المؤلف ) ، ولك أن تجعله فعلا من الماعون ، يكون أصله المعن .  
والمعين: الماء السائل ، وقيل الجاري على وجه الأرض ، وقيل العذب الغزير ،  
وكل ذلك من السهولة. والمعن: الماء الظاهر . واللهوب : جمع لهب ( بكسر  
اللام) الفرجة والهواء بين الجبلين . وفي المحكم : مهراة ما بين كل جبلين .  
وقيل : هو الصدع في الجبل ، عن اللحياني . وقيل : هو الشعب الصغير في  
الجبل . وقيل : وجه من الجبل كالحائط لا يستطيع ارتقاؤه . ا هـ . القول في  
تأويل قوله تعالى : **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ إِلَىٰ رَبِّهِمْ  
رَاجِعُونَ** (60) **أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْحَيٰرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ** (61)

يعني تعالى ذكره بقوله: ( **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا** ) والذين يعطون أهل سُهْمَانِ  
الصدقة ما فرض الله لهم في أموالهم. ( **مَا آتَوْا** ) يعني: ما أعطوهم إياه من  
صدقة، ويؤدّون حقوق الله عليهم في أموالهم إلى أهلها ( **وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ** )  
يقول: خائفة من أنهم إلى ربهم راجعون، فلا ينجيهم ما فعلوا من ذلك من  
عذاب الله، فهم خائفون من المرجع إلى الله < 45-19 > لذلك، كما قال  
الحسن: إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي عمير، عن  
رجل، عن ابن عمر: ( **يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ** ) قال: الزكاة.

حدثني محمد بن عمار، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال أخبرنا إسرائيل،  
عن أبي يحيى، عن مجاهد: ( **وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ** ) قال: المؤمن ينفق ماله وقلبه  
وَجِلٌ.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي الأشهب، عن  
الحسن، قال: ( **يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ** ) قال: يعملون ما عملوا من  
أعمال البر، وهم يخافون ألا ينجيهم ذلك من عذاب ربهم.

حدثنا القاسم، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: ( **يُؤْتُونَ  
مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ** ) قال: المؤمن ينفق ماله ويتصدق ، وقلبه وجل أنه إلى  
ربه راجع.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَيْبَةَ، عن يونس، عن الحسن أنه كان يقول: إن المؤمنين جمع إحسانا وشفقة، وإن المنافق جمع إساءة وأمنا، ثم تلا الحسن: **إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ إِلَى ( وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ إِلَهُ إِلَهُ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ )** وقال المنافق: إنما أوتيته على علم عندي.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين بن واقد، عن يزيد، عن عكرمة: **( يُؤْتُونَ مَا آتَوْا )** قال: يُعْطُونَ مَا أُعْطُوا. **( وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ )** يقول: خائفة.

حدثنا خلاد بن أسلم، قال: ثنا النضر بن شميل، قال: أخبرنا إسرائيل، قال: أخبرنا سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، في قوله: **( وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ )** قال: يفعلون ما يفعلون وهم يعلمون أنهم صائرون إلى الموت، وهي من المبشرات.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: **( يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ )** قال: يعطون ما أعطوا ويعملون ما عملوا من خير، وقلوبهم وجلة خائفة.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

< 19-46 >

حدثنا عليّ، قال: ثني معاوية، عن ابن عباس، قوله: **( وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ )** يقول: يعملون خائفين.

قال: حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **( وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ )** قال: يعطون ما أعطوا ؛ فرقا من الله ووجلا من الله.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: **( يُؤْتُونَ مَا آتَوْا )** ينفقون ما أنفقوا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: **( يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ )** قال: يعطون ما أعطوا وينفقون ما أنفقوا ويتصدقون بما تصدقوا وقلوبهم وجلة؛ اتقاء لسخط الله والنار. وعلى هذه القراءة، أعني على **( وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا )** قراءة الأمصار، وبه رسوم مصاحفهم وبه نقرا؛ لإجماع الحجة من القراء عليه ، ووفاه خط مصاحف المسلمين.

وروي عن عائشة رضي الله عنها في ذلك، ما حدثناه أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا عليّ بن ثابت. عن طلحة بن عمرو، عن أبي خلف، قال: دخلت مع عبيد بن عمير على عائشة، فسألها عبيد، كيف نقرا هذا الحرف

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

( وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا ) ؟ فقالت: ( يَأْتُونَ مَا آتَوْا ). وكأنها تأولت في ذلك :  
والذين يفعلون ما يفعلون من الخيرات وهم وجلون من الله .

كالذي حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمر بن قيس، عن  
عبد الرحمن بن سعيد بن وهب الهمداني، عن أبي حازم، عن أبي هريرة،  
قال: قالت عائشة: " يا رسول الله ( وَالَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ) هو  
الذي يذنب الذنب وهو وجل منه؟ فقال: لا وَلَكِنْ مَنْ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ  
وَهُوَ وَجِلٌ .

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، عن مالك بن مغول، عن عبد الرحمن  
بن سعيد بن وهب، أن عائشة قالت: " قلت: يا رسول الله ( الَّذِينَ يَأْتُونَ مَا  
آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ) أ هم الذين يُذنبون وهم مُشْفِقُونَ (1) ! ويصومون وهم  
مشفقون؟ < 47-19 >

حدثنا أبو كريب، قال، ثنا ابن إدريس، قال: ثنا ليث، عن مغيث، عن رجل من  
أهل مكة، عن عائشة، قالت: قلت: يا رسول الله ( الَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا  
وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ) قال: فذكر مثل هذا.

حدثنا سفيان بن وكيع، قال، ثنا أبي، عن مالك بن مغول، عن عبد الرحمن  
بن سعيد، عن عائشة أنها قالت: " يا رسول الله ( الَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا  
وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ) أ هو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: لا يائتة أبي  
بكر، أو يائتة الصديق، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ وَيَخَافُ أَنْ لَا يُقْبَلَ  
مِنْهُ " .

حدثنا القاسم، قال، ثنا الحسين، قال: ثني جدير، عن ليث بن أبي سليم،  
وهشيم عن العوام بن حوشب ، جميعا عن عائشة أنها قالت: سألت رسول  
الله صلى الله عليه وسلم فقال: " يائتة أبي بكر ، أو يائتة الصديق، هُمُ الَّذِينَ  
يُصَلُّونَ ، وَيَقْرَأُونَ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ مِنْهُمْ " . و أن من قوله: ( أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ  
رَاجِعُونَ ) في موضع نصب؛ لأن معنى الكلام: ( وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ) من أنهم، فلما  
حذفت (من) اتصل الكلام قبلها فنصبت، وكان بعضهم يقول: هو في موضع  
خفض، وإن لم يكن الخافض ظاهرا.

وقوله: ( أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ) يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه  
الصفات صفاتهم، يبادرون في الأعمال الصالحة ، ويطلبون الزلفة عند الله  
بطاعته.

كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( أُولَئِكَ  
يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ) .

قال: والخيرات: المخافة والوجل والإيمان، والكف عن الشرك بالله، فذلك  
المسابقة إلى هذه الخيرات،

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قوله: ( وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ) كان بعضهم يقول: معناه سبقت لهم من الله السعادة، فذلك سبقهم الخيرات التي يعملونها.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال، ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ( وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ) يقول: سبقت لهم السعادة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ) ، فتلك الخيرات.

وكان بعضهم يتأول ذلك بمعنى: وهم إليها سابقون. وتأوله آخرون: وهم من أجلها سابقون.

< 19-48 >

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب القول الذي قاله ابن عباس، من أنه سبقت لهم من الله السعادة قبل مسارعتهم في الخيرات، ولما سبق لهم من ذلك سارعوا فيها.

وإنما قلت ذلك أولى التأويلين بالكلام؛ لأن ذلك أظهر معنييه، وأنه لا حاجة بنا إذا وجهنا تأويل الكلام إلى ذلك، إلى تحويل معنى " اللام " التي في قوله: ( لَهَا سَابِقُونَ ) إلى غير معناها الأغلب عليها.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (62)

يقول تعالى ذكره: ولا نكلف نفسا إلا ما يسعها ويصلح لها من العبادة؛ ولذلك كلفناها ما كلفناها من معرفة وحدانية الله، وشرعنا لها ما شرعنا من الشرائع.

( وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ ) يقول: وعندنا كتاب أعمال الخلق بما عملوا من خير وشر، ينطق بالحق ( وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ) يقول: يبين بالصدق عما عملوا من عمل في الدنيا، لا زيادة عليه ولا نقصان، ونحن موفو جميعهم أجورهم، المحسن منهم بإحسانه والمسيء بإساءته ( وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ) يقول: وهم لا يظلمون، بأن يزداد على سيئات المسيء منهم ما لم يعمله فيعاقب على غير جُزْمه، وينقص المحسن عما عمل من إحسانه فينقص عَمَّا له من الثواب.

القول في تأويل قوله تعالى : بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي عَمْرٍةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (63)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما يحسب هؤلاء المشركون، من أن إمدادناهم بما نمدهم به من مال وبنين، بخير نسوقه بذلك إليهم والرضا منا عنهم، ولكن قلوبهم في غمرة عمى عن هذا القرآن. وعنى بالغمرة: ما غمر قلوبهم فغطاها عن فهم ما أودع الله كتابه من المواعظ والعبير والحجج. وعنى بقوله: ( مِنْ هَذَا ) من القرآن.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( فِي غَمْرَةٍ < 49-19 > مِنْ هَذَا ) قال: في عمى من هذا القرآن.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، في قوله: ( فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا ) قال: من القرآن.

وقوله: ( وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ) يقول تعالى ذكره: ولهؤلاء الكفار أعمال لا يرضأها الله من المعاصي. ( مِنْ دُونِ ذَلِكَ ) يقول: من دون أعمال أهل الإيمان بالله، وأهل التقوى والخشية له.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسية، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد: ( وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ) قال: الخطايا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ ) قال: الحق.

حدثنا علي بن سهل، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ( وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ ) قال: خطايا من دون ذلك الحق.

قال ثنا حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، في قوله: ( وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ ) .. الآية، قال: أعمال دُونِ الحق.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: ذكر الله الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة، ثم

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال للكفار: ( بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي عَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ) قال: من دون الأعمال التي منها قوله: مِنْ حَسْبِهِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ والذين، والذين.

حدثني القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا عيسى بن يونس، عن العلاء بن عبد الكريم، عن مجاهد، قال: أعمال لا بد لهم من أن يعملوها.

حدثنا علي بن سهل، قال: ثنا زيد بن أبي الزرقاء، عن حماد بن سلمة، عن حميد، قال: سألت الحسن عن قول الله: ( وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ) قال: أعمال لم يعملوها سيعملونها.

< 19-50 >

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ) قال: لم يكن له بد من أن يستوفي بقية عمله، ويصلى به.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن الثوري، عن العلاء بن عبد الكريم، عن مجاهد، في قوله: ( وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ) قال: أعمال لا بد لهم من أن يعملوها.

حدثنا عمرو، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن العلاء بن عبد الكريم، عن مجاهد، في قول الله تبارك وتعالى: ( وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ ) قال: أعمال لا بد لهم من أن يعملوها.

القول في تأويل قوله تعالى : حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجَارُونَ (64) لَا تَجَارُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصَرُونَ (65)

يقول تعالى ذكره: ولهؤلاء الكفار من قريش أعمال من دون ذلك هم لها عاملون، إلى أن يؤخذ أهل النعمة والبطر منهم بالعذاب. كما:

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ( إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ ) ، قال: المترفون: العظماء. ( إِذَا هُمْ يَجَارُونَ ) يقول: فإذا أخذناهم به جاروا، يقول: ضجوا واستغاثوا مما حل بهم من عذابنا، ولعل الجوار: رفع الصوت، كما يجار الثور؛ ومنه قول الأعشى:

بِرَاوِحٍ مِنْ صَلَوَاتِ الْمَلِي

كِ طَوْرًا سَجُودًا وَطَوْرًا جَوَارًا (2)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: ( إِذَا هُمْ يَجْأُرُونَ ) يقول: يستغيثون.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى وعبد الرحمن، قالا ثنا سفيان، عن علقمة بن قرد، عن مجاهد، في قوله: ( حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأُرُونَ ) قال: بالسيوف يوم بدر.

< 19-51 >

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس، في قوله: ( إِذَا هُمْ يَجْأُرُونَ ) قال: يجزعون.

قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج: ( حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ ) قال: عذاب يوم بدر. ( إِذَا هُمْ يَجْأُرُونَ ) قال: الذين بمكة.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ( حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ ) يعني أهل بدر، أخذهم الله بالعذاب يوم بدر.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت ابن زيد يقول في قوله: ( إِذَا هُمْ يَجْأُرُونَ ) قال: يجزعون.

وقوله: ( لَا تَجْأُرُوا الْيَوْمَ ) يقول: لا تضجوا وتستغيثوا اليوم وقد نزل بكم العذاب الذي لا يدفع عن الذين ظلموا أنفسهم، فإن ضجيجكم غير نافعكم ولا دافع عنكم شيئاً مما قد نزل بكم من سخط الله. ( إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصَرُونَ ) يقول: إنكم من عذابنا الذي قد حل بكم لا تستنقذون، ولا يخلصكم منه شيء.

وينحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس: ( لَا تَجْأُرُوا الْيَوْمَ ) لا تجزعوا اليوم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا الربيع بن أنس: ( لَا تَجْأُرُوا الْيَوْمَ ) لا تجزعوا الآن حين نزل بكم العذاب، إنه لا ينفعكم، فلو كان هذا الجزع قبل نفعكم.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ  
أَعْقَابِكُمْ تَنْكِبُونَ (66) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (67)

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش: لا تضجوا اليوم وقد نزل بكم  
سخط الله وعذابه، بما كسبت أيديكم واستوجبتموه بكفركم آيات ربكم. (قَدْ  
كَانَتْ آيَاتِي تُنلَىٰ عَلَيْكُمْ ) يعني: آيات كتاب الله، يقول: كانت آيات كتابي تقرأ  
عليكم > 52-19 < فتكذبون بها وترجعون مولين عنها إذا سمعتموها، كراهية  
منكم لسماعها. وكذلك يقال لكل من رجع من حيث جاء: نكص فلان على  
عقبه.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد  
( فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِبُونَ ) قال: تستأخرون.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس،  
قوله: ( فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِبُونَ ) يقول: تدبرون.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه،  
عن ابن عباس، قوله: ( قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ  
تَنْكِبُونَ ) يعني أهل مكة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث،  
قال: ثنا الحسن. قال: ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في  
قول الله: (تَنْكِبُونَ) قال: تستأخرون.

وقوله: ( مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ) يقول: مستكبرين بحرم الله، يقولون: لا يظهر علينا فيه  
أحد، لأننا أهل الحرم.

وينحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه،  
عن ابن عباس، في قوله: ( مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ) يقول: مستكبرين بحرم البيت أنه  
لا يظهر علينا فيه أحد.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ( مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ) قال: بمكة البلد.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، عن مجاهد، نحوه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا هوزة، قال: ثنا عوف، عن الحسن: ( مُسْتَكْبِرِينَ > 53-19 < بِهِ ) قال: مستكبرين بحرمي.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، عن سفيان، عن حصين، عن سعيد بن جبیر، في قوله: ( مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ) بالحرم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: ( مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ) قال: مستكبرين بالحرم.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، مثله.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ( مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ) قال: بالحرم.

وقوله: ( سَامِرًا ) يقول: تَسْمُرُونَ بالليل. ووجد قوله: ( سَامِرًا ) وهو بمعنى السَّمَار؛ لأنه وضع موضع الوقت. ومعنى الكلام: وتهجرون ليلاً فوضع السامر موضع الليل، فوجد لذلك. وقد كان بعض البصريين يقول: وجد ومعناه الجمع، كما قيل: طفل في موضع أطفال. ومما يبين عن صحة ما قلنا في أنه وضع موضع الوقت فوجد لذلك، قول الشاعر.

مِنْ دُونِهِمْ إِنْ جِئْتُهُمْ سَمَرًا

عَرَفُ الْقِيَانِ وَمَجْلِسُ عَمْرٍ (3)

فقال: سمرًا؛ لأن معناه: إن جئتهم ليلاً وهم يسمرون، وكذلك قوله: ( سَامِرًا ).

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ( سَامِرًا ) يقول: يَسْمُرُونَ حول البيت.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (سَامِرًا) قال: مجلسًا بالليل.

< 19-54 >

حدثني القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، عن مجاهد: (سَامِرًا) قال: مجالس.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا سفيان، عن حصين، عن سعيد بن جبير: (سَامِرًا) قال: تَسْمُرُونَ بالليل.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: (سَامِرًا) قال: كانوا يسمرون ليلتهم ويلعبون: يتكلمون بالشعر والكهانة وبما لا يدرون.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: (سَامِرًا) قال: يعني سَمَرَ الليل.

وقال بعضهم في ذلك ما حدثنا به ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: (سَامِرًا) يقول: سامرا من أهل الحرم أمنا لا يخاف، كانوا يقولون: نحن أهل الحرم، لا يخافون.

حدثنا الحسن، قال، أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة: (سَامِرًا) يقول: سامرًا من أهل مكة أمنا لا يخاف، قال: كانوا يقولون: نحن أهل الحرم لا نخاف.

وقوله: (تَهْجُرُونَ) اختلفت القراء في قراءته، فقرأته عامة قراء الأمصار: (تَهْجُرُونَ) بفتح التاء وضم الجيم. ولقراءة من قرأ ذلك كذلك وجهان من المعنى: أحدهما أن يكون عنى أنه وصفهم بالإعراض عن القرآن أو البيت، أو رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفضه. والآخر: أن يكون عنى أنهم يقولون شيئاً من القول كما يهجر الرجل في منامه، وذلك إذا هذى؛ فكأنه وصفهم بأنهم يقولون في القرآن ما لا معنى له من القول، وذلك أن يقولوا فيه باطلاً من القول الذي لا يضره. وقد جاء بكلا القولين التأويل من أهل التأويل.

ذكر من قال: كانوا يعرضون عن ذكر الله والحق ويهجرونه:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: (تَهْجُرُونَ) قال: يهجرون ذكر الله والحق.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الصمد، قال: ثنا شعبة، عن السدي، عن أبي صالح، في قوله: (سَامِرًا تَهْجُرُونَ) قال: السب.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ذكر من قال: كانوا يقولون الباطل والسيئ من القول في القرآن.

< 19-55 >

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا سفيان، عن حصين، عن سعيد بن جبير: ( تَهْجُرُونَ ) قال: يهجرون في الباطل.

قال: ثنا يحيى، عن سفيان، عن حصين، عن سعيد بن جبير: ( سَامِرًا تَهْجُرُونَ ) قال: يسمرون بالليل يخوضون في الباطل.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء ، جميعًا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ( تَهْجُرُونَ ) قال: بالقول السيئ في القرآن.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( تَهْجُرُونَ ) قال: الْهَدْيَانِ؛ الذي يتكلم بما لا يريد، ولا يعقل كالمریض الذي يتكلم بما لا يدري. قال: كان أبي يقرؤها: ( سَامِرًا تَهْجُرُونَ ). وقرأ ذلك آخرون: ( سَامِرًا تَهْجُرُونَ ) بضم التاء وكسر الجيم. وممن قرأ ذلك كذلك من قراء الأمصار: نافع بن أبي نعيم، بمعنى: يفحشون في المنطق، ويقولون الخنا، من قولهم: أهرج الرجل: إذا أفحش في القول. وذكر أنهم كانوا يسبون رسول الله صلى الله عليه وسلم.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: ( تَهْجُرُونَ ) قال: تقولون هجرا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبد المؤمن، عن أبي نهيك، عن عكرمة، أنه قرأ: ( سَامِرًا تَهْجُرُونَ )؛ أي تسبون.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا هودة، قال: ثنا عون، عن الحسن، في قوله: ( سَامِرًا تَهْجُرُونَ ) رسولي.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: قال الحسن: ( تَهْجُرُونَ ) رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة: ( تَهْجُرُونَ ) يقول: يقولون سوءا.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 19-56 >

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، قال: قال الحسن: ( تُهْجِرُونَ ) كتاب الله ورسوله.

خُدث عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ( تُهْجِرُونَ ) يقول: يقولون المنكر والخنا من القول، كذلك هجر القول.

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندنا القراءة التي عليها قرأ الأمصار، وهي فتح التاء وضم الجيم، لإجماع الحجة من القراء.

القول في تأويل قوله تعالى : أَقَلَمَ يَدَبِّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأُولِينَ (68) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (69) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَكَانَتْهُمْ لِحَقِّ كَارِهُِونَ (70)

يقول تعالى ذكره: أفلم يتدبر هؤلاء المشركون تنزيل الله وكلامه، فيعلموا ما فيه من العبر، ويعرفوا حجج الله التي احتج بها عليه فيه؟ (أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأُولِينَ)؟ يقول: أم جاءهم أمر ما لم يأت من قبلهم من أسلافهم، فاستكبروا ذلك وأعرضوا، فقد جاءت الرسل من قبلهم، وأنزلت معهم الكتب. وقد يحتمل أن تكون " أم " في هذا الموضع بمعنى: بل، فيكون تأويل الكلام: أفلم يدبروا القول؟ بل جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين، فتركوا لذلك التدبر وأعرضوا عنه، إذ لم يكن فيمن سلف من آبائهم ذلك، وقد ذكر عن ابن عباس في نحو هذا القول.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: ( أَقَلَمَ يَدَبِّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأُولِينَ ) قال: لعمرى لقد جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين، ولكن أو لم يأتهم ما لم يأت آباءهم الأولين.

وقوله: ( أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ ) يقول تعالى ذكره: أم لم يعرف هؤلاء المكذَّبون محمدًا، وأنه من أهل الصدق والأمانة فهم له منكرون، يقول: فينكروا قوله، أو لم يعرفوه بالصدق، ويحتجوا بأنهم لا يعرفونه. يقول جل ثناؤه: فكيف يكذبونه وهم يعرفونه فيهم بالصدق والأمانة؟! ( أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ) يقول: أيقولون بمحمد جنون، < 19-57 > فهو يتكلم بما لا معنى له ولا يفهم ولا يدري ما يقول؟! ( بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ )

يقول تعالى ذكره: فإن يقولوا ذلك فكذبهم في قيلهم ذلك واضح بين، وذلك أن المجنون يهذي فيأتي من الكلام بما لا معنى له، ولا يعقل ولا يفهم، والذي جاءهم به محمد هو الحكمة التي لا أحكم منها والحق الذي لا تخفى صحته على ذي فطرة صحيحة، فكيف يجوز أن يقال: هو كلام مجنون؟

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله: ( وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ) يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء الكفرة أنهم لم يعرفوا محمدا بالصدق ولا أن محمدا عندهم مجنون، بل قد علموه صادقا محقا فيما يقول وفيما يدعوهم إليه، ولكن أكثرهم للإذعان للحق كارهون ولأتباع محمد ساخطون؛ حسدا منهم له وبغيا عليه واستكبارا في الأرض.

القول في تأويل قوله تعالى : **وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنِ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (71)**

يقول تعالى ذكره: ولو عمل الربّ تعالى ذكره بما يهوى هؤلاء المشركون وأجرى التدبير على مشيئتهم وإرادتهم وترك الحق الذي هم له كارهون، لفسدت السموات والأرض ومن فيهن؛ وذلك أنهم لا يعرفون عواقب الأمور والصحيح من التدبير والفاسد، فلو كانت الأمور جارية على مشيئتهم وأهوائهم مع إيثار أكثرهم الباطل على الحق، لم تقرّ السموات والأرض ومن فيهن من خلق الله، لأن ذلك قام بالحق.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثني، قال: ثنا عبد الصمد، قال: ثنا شعبة، قال: ثنا السدي، عن أبي صالح: ( **وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ** ) قال: الله.

قال: ثنا أبو معاوية، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح: ( **وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ** ) قال: الحقّ: هو الله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ( **وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ** ) قال: الحق: الله.

وقوله: ( **بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنِ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ** ) اختلف أهل التأويل > 58-19 < في تأويل الذكر في هذا الموضع، فقال بعضهم: هو بيان الحقّ لهم بما أنزل على رجل منهم من هذا القرآن.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ( **بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ** ) يقول: بيّنا لهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: بل أتيناهم بشرفهم؛ وذلك أن هذا القرآن كان شرفا لهم، لأنه نزل على رجل منهم، فأعرضوا عنه وكفروا به. وقالوا: ذلك

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

نظير قوله **وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ** وهذان القولان متقاربا المعنى؛ وذلك أن الله جل ثناؤه أنزل هذا القرآن بيانا بين فيه ما خلقه إليه الحاجة من أمر دينهم، وهو مع ذلك ذكر لرسوله صلى الله عليه وسلم وقومه وشرف لهم.

القول في تأويل قوله تعالى : **أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجٌ رَبُّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (72) وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (73)**

يقول تعالى ذكره: أم تسأل هؤلاء المشركين يا محمد من قومك خراجا، يعني أجرا على ما جنتهم به من عند الله من النصيحة والحق؛ (فَخَرَّاجٌ رَبُّكَ خَيْرٌ) فأجر ربك على نفاذك لأمره، وابتغاء مرضاته خير لك من ذلك، ولم يسألهم صلى الله عليه وسلم على ما أتاهم به من عند الله أجرا، قال لهم كما قال الله له، وأمره بقبيله لهم: **قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** وإنما معنى الكلام: أم تسألهم على ما جنتهم به أجرا، فنكصوا على أعقابهم إذا تلوته عليهم، مستكبرين بالحرم، فخراج ربك خير.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن: ( **أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجٌ رَبُّكَ خَيْرٌ** ) قال: أجرا.

حدثنا الحسن، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر عن الحسن، مثله.

وأصل الخراج والخرج: مصدران لا يجمعان.

وقوله: ( **وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** ) يقول: والله خير من أعطى عوضا على عمل > 59-19 < ورزق رزقا.

وقوله: ( **وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ) يقول تعالى ذكره: وإنك يا محمد لتدعو هؤلاء المشركين من قومك إلى دين الإسلام، وهو الطريق القاصد والصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

القول في تأويل قوله تعالى : **وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاكِبُونَ (74)**

يقول تعالى ذكره: والذين لا يصدقون بالبعث بعد الممات، وقيام الساعة، ومجازاة الله عباده في الدار الآخرة؛ ( **عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاكِبُونَ** ) يقول: عن محجة الحق وقصد السبيل، وذلك دين الله الذي ارتضاه لعباده؛ لعادلون، يقال منه: قد نكب فلان عن كذا: إذا عدل عنه، ونكب عنه: أي عدل عنه.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وينحو قولنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس في قوله: (عَنِ الصَّرَاطِ لَتَأْكُبُونَ) قال: العادلون.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: (وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصَّرَاطِ لَتَأْكُبُونَ) يقول: عن الحقّ عادلون.

الهوامش:

- (1) لعل فيه سقطاً ، والأصل : قال : " لا " ولكن الذين يصلون وهم مشفقون ، ويصومون .... " إلخ ، كما يتضح من حديث عائشة الآتي بعد .
- (2) البيت للأعشى ( ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص 53 ) وهو من قصيدة يمدح بها الأعشى قيس بن معد يكرب . ويراوح بين العلمين : يتداول هذا مرة ، وهذا مرة . والجوار : مصدر جار إلى الله . إذا تضرع ورفع صوته . يقول : إن ممدوح مع ما وصف به من كرم وقوة ووفاء ، تقيُّ يراقب ربه ، ويتضرع إليه ويجار في صلواته . واستشهد به المؤلف على أن الجوار : رفع الصوت كما يجار الثور .
- (3) البيت لابن أحمـر الباهلي : ( اللسان : سمر ) قال : قال ابن أحمـر - وجعل السمر ليلا - : " من دونهم ... " البيت أراد جنتهم ليلا ، وبهذا المعنى أورده المؤلف . والشطر الثاني من البيت في رواية اللسان مختلف عنه في رواية المؤلف ، ففي اللسان " حي حلال لملم عكر " . والحي الحلال : يريد الجماعة النازلين على الماء أو نحوه . ولملم : كثير مجتمع . وكذلك العكر . والمجلس الغمر : الجماعة الكثيرة يجتمعون للحديث والسمر . القول في تأويل قوله تعالى : وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ( 75 )

وقوله: ( وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ ) يقول تعالى: ولو رحمنا هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة، ورفعنا عنهم ما بهم من القحط والجذب وضُرّ الجوع والهزال؛ (لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ) يعني في عتوهم وجرأتهم على ربهم. (يَعْمَهُونَ) يعني: يترددون.

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، في قوله: ( وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ ) قال: الجوع.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَاثُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (76)

< 19-60 >

يقول تعالى ذكره: ولقد أخذنا هؤلاء المشركين بعدابنا، وأنزلنا بهم بأسنا، وسخطنا وضيقتنا عليهم معايشهم، وأجدبنا بلادهم، وقتلنا سراتهم بالسيف. (فَمَا اسْتَكَاثُوا لِرَبِّهِمْ ) يقول: فما خضعوا لربهم فينقادوا لأمره ونهيه، وينيبوا إلى طاعته ( وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ) يقول: وما يتذللون له.

وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخذ الله قريشا بسني الجذب، إذ دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ذكر الخبر في ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا أبو تميلة، عن الحسن، عن يزيد، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: جاء أبو سفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد، أنشدك الله والرحم، فقد أكلنا العلهز! يعني الوبر والدم، فأنزل الله: ( وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَاثُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ).

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبد المؤمن، عن علياء بن أحمد، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن ابن أثال الحنفي، لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو أسير، فخلى سبيله، فلحق بمكة، فجال بين أهل مكة وبين الميرة من اليمامة، حتى أكلت قريش العلهز، فجاء أبو سفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: أليس تزعم أنك بُعثت رحمة للعالمين؟ فقال: " بلى! " فقال: قد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع! فأنزل الله: ( وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ ... ) الآية.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: أخبرنا عمرو، قال: قال الحسن: إذا أصاب الناس من قبل الشيطان بلاء، فإنما هي نقمة، فلا تستقبلوا نقمة الله بالجمية، ولكن استقبلوها بالاستغفار، وتضرعوا إلى الله، وقرأ هذه الآية: ( وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَاثُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ( وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ ) قال: الجوع والجذب. ( فَمَا اسْتَكَاثُوا لِرَبِّهِمْ ) فَصَبَرُوا ( وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ).

القول في تأويل قوله تعالى : حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (77)

< 19-61 >

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: حتى إذا فتحنا عليهم باب القتال، فقتلوا يوم بدر.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني إسحاق بن شاهين، قال: ثنا خالد بن عبد الله، عن داود بن أبي هند، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، في قوله: ( حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ) قد مضى، كان يوم بدر.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج: ( حتى إذا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ) قال: يوم بدر.

وقال آخرون: معناه: حتى إذا فتحنا عليهم باب المجاعة والضر، وهو الباب ذو العذاب الشديد.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ) قال: لكفار قريش الجوع، وما قبلها من القصة لهم أيضاً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، بنحوه، إلا أنه قال: وما قبلها أيضاً.

وهذا القول الذي قاله مجاهد: أولى بتأويل الآية، لصحة الخبر الذي ذكرناه قبل عن ابن عباس، أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة المجاعة التي أصابت قريشاً؛ بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم، وأمر ثمامة بن أثال، وذلك لا شك أنه كان بعد وقعة بدر.

وقوله: ( إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ) يقول: إذا هؤلاء المشركون فيما فتحنا عليهم من العذاب حزني نادمون على ما سلف منهم، في تكذيبهم بآيات الله، في حين لا ينفعهم الندم والحزن.

القول في تأويل قوله تعالى: وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ < 62-19 >  
وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (78)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره: والله الذي أحدث لكم أيها المكذبون بالبعث بعد الممات السمع الذي تسمعون به، والأبصار التي تبصرون بها، والأفئدة التي تفقهون بها، فكيف يتعدّر على من أنشأ ذلك ابتداءً إعادته بعد عدمه وفقده، وهو الذي يوجد ذلك كله إذا شاء ويفنيه إذا أراد (قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) يقول: تشكرون أيها المكذبون خير الله من عطائكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً.

القول في تأويل قوله تعالى : وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ( 79 )

يقول تعالى ذكره: والله الذي خلقكم في الأرض وإليه تُحشرون من بعد مماتكم، ثم تبعثون من قبوركم إلى موقف الحساب.

القول في تأويل قوله تعالى : وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (80)

يقول تعالى ذكره: والله الذي يحيي خلقه يقول: يجعلهم أحياء بعد أن كانوا نطفاً أمواتاً، ينفخ الروح فيها بعد التراب التي تأتي عليها ، ( وَبِمِيتٍ ) يقول: ويميتهم بعد أن أحياهم ( وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ) يقول: وهو الذي جعل الليل والنهار مختلفين، كما يقال في الكلام: لك الممّ والفضل، بمعنى: إنك ممّ وتفضل. وقوله: ( أَفَلَا تَعْقِلُونَ ) يقول: أفلا تعقلون أيها الناس، أن الذي فعل هذه الأفعال ابتداءً من غير أصل، لا يمتنع عليه إحياء الأموات بعد فنائهم، وإنشاء ما شاء إعدامه بعد إنشائه.

القول في تأويل قوله تعالى : بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ (81) قَالُوا أَيُّدَا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَيُّنَّا لَمَبْعُوثُونَ (82)

يقول تعالى ذكره: ما اعتبر هؤلاء المشركون بآيات الله، ولا تدبروا ما احتجّ عليهم من الحجج والدلالة على قدرته، على فعل كل ما يشاء، ولكن قالوا مثل ما قال أسلافهم من الأمم المكذبة رسلها قبلهم: ( قَالُوا أَيُّدَا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا ) يقول: أيُّدَا مِثْنَا وَعِدْنَا تُرَابًا قَدْ بَلِيتَ أَجْسَامُنَا، وبراَت عِظَامُنَا مِنْ لِحْمَانَا ( أَيُّنَّا لَمَبْعُوثُونَ ) < 63-19 > يقول: إنا لمبعوثون من قبورنا أحياء، كهيتنا قبل الممات؟ إن هذا لشيء غير كائن.

القول في تأويل قوله تعالى : لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (83)

يقول تعالى ذكره: قالوا: لقد وعدنا هذا الوعد الذي تعدنا يا محمد، ووعد آباءنا من قبلنا قومٌ ذكروا أنهم لله رسل من قبلك ، فلم يره حقيقة (إِنْ هَذَا) يقول: ما هذا الذي تعدنا من البعث بعد الممات (إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) يقول: ما سطره الأولون في كتبهم من الأحاديث والأخبار، التي لا صحة لها ولا حقيقة.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ( 84 ) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَقَلًا تَذَكَّرُونَ (85)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المكذّبين بالآخرة من قومك: لمن ملك الأرض ومن فيها من الخلق، إن كنتم تعلمون من مالِكها؟ ثم أعلمه أنهم سيقروّن بأنها لله ملكا، دون سائر الأشياء غيره ( أَقَلًا تَذَكَّرُونَ ) يقول: فقل لهم إذا أجابوك بذلك كذلك أفلا تذكرون، فتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداء فهو قادر على إحيائهم بعد مماتهم وإعادتهم خلقا سويا بعد فنائهم.

القول في تأويل قوله تعالى : قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (86) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَقَلًا تَتَّقُونَ (87)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهم يا محمد: من ربّ السماوات السبع، وربّ العرش المحيط بذلك؟ سيقولون: ذلك كله لله، وهو ربه، فقل لهم: أفلا تتقون عقابه على كفركم به وتكذيبكم خبره وخبر رسوله؟

وقد اختلفت القراء في قراءة قوله: ( سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ) فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق والشام: ( سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ) سوى أبي عمرو، فإنه خالفهم فقرأه: " سَيَقُولُونَ اللَّهُ " في هذا الموضع، وفي الآخر الذي بعده إتباعا لخط المصحف، فإن ذلك كذلك في مصاحف الأمصار، إلا في مصحف أهل البصرة، فإنه في الموضعين بالألف، فقرأوا < 64-19 > بالألف كلها إتباعا لخط مصحفهم، فأما الذين قرءوه بالألف فلا مؤنة في قراءتهم ذلك كذلك؛ لأنهم أجروا الجواب على الابتداء، وردّوا مرفوعا على مرفوع، وذلك أن معنى الكلام على قراءتهم: قل من رب السماوات السبع، ورب العرش العظيم، سيقولون ربّ ذلك الله، فلا مؤنة في قراءة ذلك كذلك. وأما الذين قرءوا ذلك في هذا، والذي يليه بغير ألف، فإنهم قالوا: معنى قوله: قل من رب السماوات: لمن السماوات؟ لمن ملك ذلك؟ فجعل الجواب على المعنى، فقيل: لله؛ لأن المسألة عن ملك ذلك لمن هو؟ قالوا: وذلك نظير قول قائل لرجل: مَنْ مولاك؟ فيجيب المجيب عن معنى ما سئل، فيقول: أنا لفلان؛ لأنه مفهوم لذلك من الجواب ما هو مفهوم بقوله: مولاي فلان. وكان بعضهم يذكر أن بعض بني عامر أنشده:

وَأَعْلَمُ أَنِّي سَأَكُونُ رَمَسًا

إِذَا سَارَ النَّوَاجِعُ لَا يَسِيرُ

فقال السائلون لمن حفرتم؟

# جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فقال المخبرون لهم وزيرٌ (1)

فأجاب المخفوض بمرفوع؛ لأن معنى الكلام: فقال السائلون: من الميت؟ فقال المخبرون: الميت وزير. فأجابوا عن المعنى دون اللفظ.

والصواب من القراءة في ذلك أنهما قراءتان قد قرأ بهما علماء من القراء، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، غير أنني مع ذلك أختار قراءة جميع ذلك بغير ألف؛ لإجماع خطوط مصاحف الأمصار على ذلك، سوى خط مصحف أهل البصرة.

القول في تأويل قوله تعالى : قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ > 19-65 <  
وَهُوَ يُحْيِيهِ وَلَا يُجَارُّ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (88) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى  
تُسْحَرُونَ (89)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد: من بيده خزائن كل شيء؟

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله (مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ) قال: خزائن كل شيء.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن مجاهد، في قول الله: (قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ) قال: خزائن كل شيء.

وقوله (وَهُوَ يُحْيِيهِ) من أراد ممن قصده بسوء، (وَلَا يُجَارُّ عَلَيْهِ) يقول: ولا أحد يمتنع ممن أراده هو بسوء، فيدفع عنه عذابه وعقابه (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) من ذلك صفته، فإنهم يقولون: إن ملكوت كل شيء والقدرة على الأشياء كلها لله، فقل لهم يا محمد: (فَأَنَّى تُسْحَرُونَ) يقولون: فمن أي وجه تصرفون عن التصديق بآيات الله، والإقرار بأخباره وأخبار رسوله، والإيمان بأن الله القادر على كل ما يشاء، وعلى بعثكم أحياء بعد مماتكم، مع علمكم بما تقولون من عظيم سلطانه وقدرته؟!

وكان ابن عباس فيما ذكر عنه يقول في معنى قوله (تُسْحَرُونَ) ما حدثني به علي، قال: ثنا عبد الله قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: (فَأَنَّى تُسْحَرُونَ) يقول: تكذبون.

وقد بينت فيما مضى السحر: أنه تخيل الشيء إلى الناظر أنه على خلاف ما هو به من هيئته، فذلك معنى قوله: (فَأَنَّى تُسْحَرُونَ) إنما معناه: فمن أي

# جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وجه يخيل إليكم الكذب حقا: والفاسد صحيحا، فتصرفون عن الإقرار بالحق الذي يدعوكم إليه رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم.

الهوامش:

(1) البيتان مما أنشده الفراء عن بعض بني عامر ، في كتابه ( معاني القرآن ) الورقة 216 من مصورة الجامعة رقم 24059 قال الفراء : وقوله { قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله { هذه مسألة فيها ؛ لأنه قد استفهم بلام ، فرجعت في خبر المستفهم . وأما الأخريان ، فإن أهل المدينة وعامة أهل الكوفة يقرءونها كقراءة أبي كذلك : لله ، لله ، لله ، ثلاثه . وأهل البصرة يقرءون الآخرين : الله ، الله ، وهو في العربية أبين ، لأنه مردود مرفوع ؛ ألا ترى أن قوله : { قل من رب السماوات { مرفوع ، لا خفض فيه ، فجرى جوابه على مبتدأ به ، وكذلك هي في قراءة عبد الله . والعلة في إدخال اللام في الآخرين في قول أبي وأصحابه : أنك لو قلت لرجل : من مولاك ؟ فقال : أنا لفلان ، كفاك من أن يقول : مولاي فلان ، فلما كان المعنيان واحداً ، جرى ذلك في كلامهم ؛ أنشدني بعض بني عامر " وأعلم أنني سأكون رمسا ... " البيتين . فرفع ، أراد : الميت وزير . و النواجع : جمع ناجعة ، وهي الجماعة تترك منازلها في طلب الكلا القول في تأويل قوله تعالى : بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (90) مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ (91) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (92)

< 19-66 >

يقول: ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون بالله، من أن الملائكة بنات الله، وأن الآلهة والأصنام آلهة دون الله ( بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ ) اليقين، وهو الدين الذي ابتعث الله به نبيه صلى الله عليه وسلم ، وذلك الإسلام، ولا يُعْبَدُ شَيْءٌ سِوَى اللَّهِ؛ لأنه لا إله غيره ( وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ) يقول: وإن المشركين لكاذبون فيما يضيفون إلى الله، وينحلونه من الولد والشريك ، وقوله: ( مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ ) يقول تعالى ذكره: ما لله من ولد، ولا كان معه في القديم، ولا حين ابتدئ الأشياء من تصلح عبادته، ولو كان معه في القديم أو عند خلقه الأشياء من تصلح عبادته ( مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ ) يقول: إذن لا اعتزل كل إله منهم ( بِمَا خَلَقَ ) من شيء، فانفرد به، ولتغالبا، فلعلنا بعضهم على بعض، وغلب القوي منهم الضعيف؛ لأن القوي لا يرضى أن يعلوه ضعيف، والضعيف لا يصلح أن يكون إلها، فسبحان الله ما أبلغها من حجة وأوجزها، لمن عقل وتدبر. وقوله: ( إِذَا لَدَّهَبَ ) جواب لمحذوف، وهو: لو كان معه إله، إذن لذهب كل إله بما خلق، اجترئ بدلالة ما ذكر عليه عنه. وقوله: ( سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ) يقول تعالى ذكره: تنزيها لله عما يصفه به هؤلاء المشركون من أن له ولدا، وعما قالوه من أن له شريكا، أو أن معه في القدم إلها يُعْبَدُ تبارك وتعالى.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله: (عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) يقول تعالى ذكره: هو عالم ما غاب عن خلقه من الأشياء، فلم يَرَوْهُ ولم يشاهدوه، وما رآوه وشاهدوه، إنما هذا من الله خبر عن هؤلاء الذين قالوا من المشركين: اتخذ الله ولداً وعبدوا من دونه آلهة، أنهم فيما يقولون ويفعلون مبطلون مخطئون، فإنهم يقولون ما يقولون من قول في ذلك عن غير علم، بل عن جهل منهم به، وإن العالم بقديم الأمور وبحديثها، وشاهدها وغائبها عنهم الله الذي لا يخفى عليه شيء، فخبيره هو الحق دون خبرهم وقال: (عَالِمِ الْغَيْبِ) فرفع على الابتداء، بمعنى: هو عالم الغيب، ولذلك دخلت الفاء في قوله: (فَتَعَالَى) كما يقال: مررت بأخيك المحسن فأحسنت إليه، فترفع المحسن إذا جعلت فأحسنت إليه بالفاء؛ لأن معنى الكلام إذا كان كذلك: مررت بأخيك هو المحسن، فأحسنت إليه. ولو جعل الكلام بالواو فقليل: وأحسنت إليه، لم يكن وجه الكلام في المحسن إلا الخفض على النعت للأخ، ولذلك لو جاء (فَتَعَالَى) بالواو كان وجه الكلام في (عَالِمِ الْغَيْبِ) الخفض على الاتباع لإعراب اسم الله، وكان يكون معنى الكلام: سبحان الله عالم الغيب والشهادة < 67-19 > وتعالى! فيكون قوله (وَتَعَالَى) حينئذ معطوفاً على سبحان الله، وقد يجوز الخفض مع الفاء؛ لأن العرب قد تبدأ الكلام بالفاء، كابتدائها بالواو، وبالخفض كأن يقرأ: (عَالِمِ الْغَيْبِ) في هذا الموضع أبو عمرو، وعلى خلافه في ذلك قراءة الأمصار.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا الرفع لمعنيين: أحدهما: إجماع الحجة من القراء عليه، والثاني: صحته في العربية.

وقوله: (فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول تعالى ذكره: فارتفع الله وعلا عن شرك هؤلاء المشركين، ووصفهم إياه بما يصفون.

القول في تأويل قوله تعالى: قُلْ رَبِّ إِمَّا يُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ (93) رَبِّ قَلَّا تَجْعَلَنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (94) وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا تَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ (95)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد: رَبِّ إِنْ تُرِيدُنِي فِي هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ مَا تَعِدُهُمْ مِنْ عَذَابِكَ، فَلَا تَهْلِكُنِي بِمَا تَهْلِكُهُمْ بِهِ، وَنَجِّنِي مِنْ عَذَابِكَ وَسَخَطِكَ، فَلَا تَجْعَلَنِي فِي الْقَوْمِ الْمَشْرِكِينَ، وَلَكِنْ اجْعَلَنِي مِمَّنْ رَضِيتَ عَنْهُ مِنْ أَوْلِيَائِكَ.

وقوله: (قَلَّا تَجْعَلَنِي) جواب لقوله: (إِمَّا يُرِيدُنِي) اعترض بينهما بالنداء، ولو لم يكن قبله جزاء لم يجر ذلك في الكلام، لا يقال: يا زيد فقم، ولا يا رب فاغفر؛ لأن النداء مستأنف، وكذلك الأمر بعده مستأنف، لا تدخله الفاء والواو، إلا أن يكون جواباً لكلام قبله.

وقوله: (وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا تَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ) يقول تعالى ذكره: وإنا يا محمد على أن نريك في هؤلاء المشركين ما نعدهم من تعجيل العذاب لهم،



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

لقادرون، فلا يَحْزُنُكَ تَكْذِيبُهُمْ إِيَّاكَ بِمَا نَعَدُهُمْ بِهِ، وَإِنَّمَا نُؤَخِّرُ ذَلِكَ لِيَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجْلَهُ.

القول في تأويل قوله تعالى : اذْفَعُ بِالنَّارِ هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ يَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (96) وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (97) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (98)

يقول تعالى ذكره لنبيه: اذفع يا محمد بالخلعة التي هي أحسن، وذلك الإغضاء والصفح عن جهلة المشركين والصبر على أذاهم، وذلك أمره إياه قبل أمره بحربهم، < 68-19 > وعن بالسيئة: أذى المشركين إياه وتكذيبهم له فيما أتاهم به من عند الله، يقول له تعالى ذكره: اصبر على ما تلقى منهم في ذات الله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ( اذْفَعُ بِالنَّارِ هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ) قال: أعرض عن أذاهم إياك.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن عبد الكريم الجزري، عن مجاهد: ( اذْفَعُ بِالنَّارِ هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ) قال: هو السلام، تُسَلَّمُ عليه إذا لقيته.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن عبد الكريم، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا هوزة، قال: ثنا عوف، عن الحسن، في قوله: ( اذْفَعُ بِالنَّارِ هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ) قال: والله لا يصيبها صاحبها حتى يكظم غيظا، وصفح عما يكره.

وقوله: ( يَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ) يقول تعالى ذكره: نحن أعلم بما يصفون الله به، وينحلونه من الأكاذيب والفرية عليه، وبما يقولون فيك من سوء، ونحن مجازوهم على جميع ذلك، فلا يحزنك ما تسمع منهم من قبيح القول.

وقوله: ( وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وقل يا محمد: رَبِّ اسْتَجِرْ بِكَ مِنْ خَنْقِ (1) الشياطين وهمزاتها، والهَمْزُ: هو العَمْزُ، ومن ذلك قيل للهمز في الكلام: هَمْزَةٌ، والهَمْزَاتُ جمع همزة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرني ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: (وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ) قال: همزات الشياطين: حَنَقَهُمُ النَّاسَ، فَذَلِكَ هَمَزَاتُهُمْ.

< 19-69 >

وقوله: ( وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ) يقول: وقل أستجير بك رب أن يحضرون في أموري.

كالذي حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ) في شيء من أمري.

القول في تأويل قوله تعالى : حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْحٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (100)

يقول تعالى ذكره: حتى إذا جاء أحد هؤلاء المشركين الموت، وعين نزول أمر الله به، قال:- لعظيم ما يعاين مما يَقدِّم عليه من عذاب الله تندما على ما فات، وتلهفا على ما فرط فيه قبل ذلك، من طاعة الله ومسألته للإقالة:- ( رَبِّ ارْجِعُونِ ) إلى الدنيا فردوني إليها، ( لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا ) يقول: كي أعمل صالحا فيما تركت قبل اليوم من العمل فضيعته، وفرطت فيه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي معشر، قال: كان محمد بن كعب القرظي يقرأ علينا: ( حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ) قال محمد: إلى أي شيء يريد؟ إلى أي شيء يرغب؟ أجمع المال، أو عَرَسَ الْغِرَاسِ، أو بَنِي بُنْيَانِ، أو شق أنهار؟ : ( لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ) يقول الجبار: كلا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ( رَبِّ ارْجِعُونِ ) قال: هذه في الحياة الدنيا، ألا تراه يقول: ( حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ ) قال: حين تنقطع الدنيا، ويعاين الآخرة، قبل أن يذوق الموت.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة: " إِذَا عَايَنَ الْمُؤْمِنُ الْمَلَائِكَةَ قَالُوا: نُرْجِعُكَ

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

إلى الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: إِلَى دَارِ الْهُمُومِ وَالْإِحْزَانِ؟ فَيَقُولُ: بَلْ قَدَّمَانِي إِلَى اللَّهِ،  
وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَقَالُ: تُرْجِعْكَ؟ فَيَقُولُ: (لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ) ... الآية.

< 19-70 >

حُدِّثَ عَنِ الْحُسَيْنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ: أَخْبَرْنَا عُبَيْدٌ، قَالَ: سَمِعْتُ  
الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: ( حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ )  
يعني أهل الشرك، وقيل: رَبِّ ارْجِعُونِ، فابتدأ الكلام بخطاب الله تعالى، ثم  
قيل: ارْجِعُونِ فصار إلى خطاب الجماعة، والله تعالى ذكره واحد. وإنما فعل  
ذلك كذلك؛ لأن مسألة القوم الرد إلى الدنيا إنما كانت منهم للملائكة الذين  
يقبضون روحهم، كما ذكر ابن جريج أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله.  
وإنما ابتدئ الكلام بخطاب الله جل ثناؤه، لأنهم استغاثوا به، ثم رجعوا إلى  
مسألة الملائكة الرجوع والرد إلى الدنيا.

وكان بعض نحوي الكوفة يقول: قيل ذلك كذلك؛ لأنه مما جرى على وصف  
الله نفسه من قوله: وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا فِي غير مكان من  
القرآن، فجرى هذا على ذلك.

قوله: ( كَلَّا ) يقول تعالى ذكره: ليس الأمر على ما قال هذا المشرك، لن  
يُرجع إلى الدنيا، ولن يعاد إليها ( كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ) يقول: هذه الكلمة،  
وهو قوله: ( رَبِّ ارْجِعُونِ ) كلمة هو قائلها يقول: هذا المشرك هو قائلها.

كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( كَلَّا  
إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ) لا بد له أن يقولها يقول ( وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ ) يقول:  
ومن أمامهم حاجز يحجز بينهم وبين الرجوع، يعني: إلى يوم يبعثون من  
قبورهم، وذلك يوم القيامة، والبرزخ والحاجز والمُهَلَّة متقاربات في المعنى.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه،  
عن ابن عباس: ( وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ) يقول: أجل إلى حين.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد، في  
قوله: ( وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ ) قال: ما بعد الموت.

حدثني أبو حميد الجُمَاصي أحمد بن المغيرة، قال: ثنا أبو حَيَّوَة شريح بن يزيد،  
قال: ثنا أرطاة، عن أبي يوسف قال: خرجت مع أبي أمامة في جنازة، فلما  
وُضِعَتْ فِي لِحْدِهَا، قَالَ أَبُو أَمَامَةَ: هَذَا بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ.

< 19-71 >

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا مطر، عن مجاهد، قوله: ( وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ) قال: ما بين الموت إلى البعث.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ( بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ) قال: حجاب بين الميت والرجوع إلى الدنيا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ( وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ) قال: برزخ بقية الدنيا.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ) قال: البرزخ ما بين الموت إلى البعث.

حُدِّثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول: البرزخ: ما بين الدنيا والآخرة.

القول في تأويل قوله تعالى : فَإِذَا تَفِيحَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (101)

اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: ( فَإِذَا تَفِيحَ فِي الصُّورِ ) من النفختين أَيُّهُمَا عُنِيَ بِهَا، فقال بعضهم: عُنِيَ بِهَا النَّفْحَةُ الْأُولَى.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام بن سلم، قال: ثنا عمرو بن مطرف، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، أن رجلا أتى ابن عباس فقال: سمعت الله يقول: ( فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ ) .. الآية، وقال في آية أخرى: وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ فقال: أما قوله: ( فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ) فذلك في النفخة الأولى، فلا يبقى على الأرض شيء ( فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ) وأما قوله: وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ فإنهم لما دخلوا الجنة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن السدي، في قوله: ( فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ) قال: في النفخة الأولى.

حدثنا عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ( فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ) فذلك حين ينفخ في الصور، فلا حي يبقى إلا الله وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ فذلك إذا بُعِثُوا فِي النّفخة الثانية.

قال أبو جعفر: فمعنى ذلك على هذا التأويل: فإذا نفخ في الصور، فصعق مَنْ في السماوات وَمَنْ في الأرض إلا مَنْ شاء الله، فلا أنساب بينهم يومئذ يتواصلون بها، ولا يتساءلون، ولا يتزاورون، فيتساءلون عن أحوالهم وأنسابهم.

وقال آخرون: بل عُنِيَ بذلك النفخة الثانية.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن فضيل، عن هارون بن أبي وكيع، قال: سمعت زاذان يقول: أتيت ابن مسعود، وقد اجتمع الناس إليه في داره، فلم أقدر على مجلس، فقلت: يا أبا عبد الرحمن، من أجل أي رجل من العجم تَحْقِرُنِي؟ قال: ادْنُ! قال: فدنوت، فلم يكن بيني وبينه جليس، فقال: يُوَخِّذُ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة على رعوس الأولين والآخرين، قال: وينادي مناد: ألا إن هذا فلان ابن فلان، فمن كان له حق قبله فليأت إلى حقه، قال: فتفرح المرأة يومئذ أن يكون لها حق على ابنها، أو على أبيها، أو على أخيها، أو على زوجها ( فلا أنساب بينهم يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا عيسى بن يونس، عن هارون بن عنترة، عن زاذان، قال: سمعت ابن مسعود يقول: يُوَخِّذُ العبد أو الأمة يوم القيامة، فينصب على رعوس الأولين والآخرين، ثم ينادي مناد، ثم ذكر نحوه، وزاد فيه: فيقول الربّ تبارك وتعالى للعبد: أعط هؤلاء حقوقهم، فيقول: أي ربّ، فَنِيَتِ الدنيا، فمن أين أعطيتهم؟ فيقول للملائكة: خذوا من أعماله الصالحة وأعطوا لكل إنسان بقدر طلبته، فإن كان له فضلٌ مثقال حبةٍ من خردل ضاعفها الله له حتى يدخله بها الجنة، ثم تلا ابن مسعود إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا وَإِنْ كَانَ عبداً شقيفاً، قالت الملائكة: ربنا، فنيت حسناته وبقي طالبون كثير، فيقول: خذوا من أعمالهم السيئة فأضيفوها إلى سيئاته، وُضُّكُوا له صَكًا إلى النار.

< 19-73 >

قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج: ( فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ) قال: لا يسأل أحد يومئذ بنسب شيئاً، ولا يتساءلون، ولا يمت إليه برحم.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني محمد بن كثير، عن حفص بن المغيرة، عن قتادة، قال: ليس شيء أبغض إلى الإنسان يوم القيامة من أن يرى من يعافه، مخافة أن يذوب له عليه شيء، ثم قرأ **يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ \* وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ \* وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ \* لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ .**

قال: ثنا الحسن، قال: ثنا الحكم بن سنان، عن سدوس صاحب السائري، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، نَادَى مُنَادٍ مِنْ أَهْلِ الْعَرْشِ: يَا أَهْلَ التَّطَالُمِ تَدَارَكُوا مَظَالِمَكُمْ، وَادْخُلُوا الْجَنَّةَ.**"

القول في تأويل قوله تعالى: **فَمَنْ تَقَلَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (102) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (103) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (104)**

يقول تعالى ذكره: ( **فَمَنْ تَقَلَّتْ مَوَازِينُهُ** ) موازين حسناته، وخفت موازين سيئاته ( **فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ) يعني: الخالدون في جنات النعيم ( **وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ** ) يقول ومن خفت موازين حسناته فرجحت بها موازين سيئاته ( **فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ** ) يقول: غبنوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله ( **فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ** ) يقول: هم في نار جهنم.

وقوله: ( **تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ** ) يقول: **تَسْفَعُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ.**

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: ( **تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ** ) قال: تنفح ( **وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ** ) والكلوح: أن تتقلص الشفتان عن الأسنان، حتى تبدو الأسنان، كما قال الأعشى:

**وَلَهُ الْمُفْدَمُ لَا مِثْلَ لَهُ**

**سَاعَةَ الشُّدْقِ عَنِ النَّابِ كَلَحَ (2)**

< 19-74 >

فتأويل الكلام: **يَسْفَعُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ** فتحرقها، وهم فيها متقلصو الشفاه عن الأسنان؛ من إحراق النار وجوههم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ( وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ) يقول: عابسون.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى وعبد الرحمن، قالا ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، في قوله: ( وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ) قال: ألم تر إلى الرأس المشيط قد بدت أسنانه، وقلّصت شفتاه .

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص عن عبد الله، قرأ هذه الآية ( تَلَفَّحُ وُجُوهُهُمْ النَّارُ ) . الآية، قال: ألم تر إلى الرأس المشيط بالنار، وقد قلّصت شفتاه وبدت أسنانه .

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ( وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ) قال: ألم تر إلى الغنم إذا مست النار وجوهها كيف هي؟ .

الهوامش:

(1) في غريب القرآن للراغب الأصفهاني : ( همز ) : " الهمز كالعصر " وهو مناسب لقول المؤلف : خنق الشياطين ؛ لأن الخنق هو عصر الرقبة وضغطها لينقطع النفس

(2) البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة ( ديوانه ص 241 بشرح الدكتور محمد حسين ، طبع القاهرة ) . والرمية فيه في الحرب " إذا " في موضع " لا مثل له " . والمقدم بضم الميم مصدر بمعنى الإقدام . وكلج = الشدق : كشر عن الأنياب في عبوس .

يمدح إياس بن قبيصة الطائي ، بأن من صفاته الإقدام في الحرب حين تكره الأبطال النزال ، وتكشر أشداقهم عن أنيابهم ، كرها للحرب ، واستشهد به المؤلف هنا على أن معنى الكلوح تقلص الشفتين عن الأسنان حتى تبدو الأسنان

القول في تأويل قوله تعالى : أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ (105) قَالُوا رَبَّنَا عَلَبْتُ عَلَيْنَا شِفْوَتْنَا وَكُنَّا قَوْمًا صَالِينَ (106)

يقول تعالى ذكره: يقال لهم ( أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ) يعني آيات القرآن تتلى عليكم في الدنيا ( فَكُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ ) وترك ذكر يقال؛ لدلالة الكلام عليه ( قَالُوا رَبَّنَا عَلَبْتُ عَلَيْنَا شِفْوَتْنَا ) .

اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة: ( عَلَبْتُ عَلَيْنَا شِفْوَتْنَا ) بكسر الشين، وبغير ألف، وقراءته عامة قراء أهل الكوفة: < 75-19 > " شَفَاوُنَا " بفتح الشين والألف.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان، وقرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وتأويل الكلام: قالوا: ربنا غلبت علينا ما سبق لنا في سابق علمك وخط لنا في أم الكتاب.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد، قوله: (عَلَبْتُ عَلَيْنَا شِفْوَتَنَا) قال: التي كتبت علينا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: (عَلَبْتُ عَلَيْنَا شِفْوَتَنَا) التي كتبت علينا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

وقال، قال ابن جريج: بلغنا أن أهل النار نادوا حَزَنَةً جهنم: أَنْ اذْعُوا رَبَّكُمْ يُحَقِّفُ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ فلم يجيبوهم ما شاء الله فلما أجابوهم بعد حين قالوا: فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ قال: ثم نادوا مالكا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ فسكت عنهم مالك خازن جهنم، أربعين سنة ثم أجابهم فقال: إِنَّكُمْ مَيَّاكُونَ ثم نادى الأشقياء ربهم، فقالوا: رَبَّنَا عَلَبْتُ عَلَيْنَا شِفْوَتَنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ \* رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ فسكت عنهم مثل مقدار الدنيا، ثم أجابهم بعد ذلك تبارك وتعالى أَحْسَنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ

قال (1) ثني حجاج، عن أبي بكر بن عبد الله، قال: ينادي أهل النار أهل الجنة فلا يجيبونهم ما شاء الله، ثم يقال: أجيبوهم، وقد قطع الرحم والرحمة، فيقول أهل الجنة: يا أهل النار، عليكم غضب الله، يا أهل النار، عليكم لعنة الله، يا أهل النار، لا لبيكم ولا سَعْدَيْكُمْ، ماذا تقولون؟ فيقولون: ألم نك في الدنيا آباءكم وأبناءكم وإخوانكم وعشيرتكم، فيقولون: بلى، فيقولون: أفيصُّوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ > 76-19 <

قال (2) ثني حجاج عن أبي معشر، عن محمد بن كعب القرظي، قال: ثني عبدة المروزي، عن عبد الله بن المبارك، عن عمرو بن أبي ليلى، قال: سمعت محمد بن كعب، زاد أحدهما على صاحبه: قال محمد بن كعب: بلغني،

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أو ذكر لي، أن أهل النار استغاثوا بالخرقة، ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب، فردوا عليهم ما قال الله، فلما أيسوا نادوا: يا مالك، وهو عليهم، وله مجلس في وسطها، وجسور تمر عليها ملائكة العذاب، فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها، فقالوا: يا مالك ليقتض علينا ربك، سألوا الموت، فمكث لا يجيبهم ثمانين ألف سنة من سني الآخرة، أو كما قال، ثم انحط إليهم، فقال: إنكم ما كنون فلما سمعوا ذلك قالوا: فاصبروا، فعمل الصبر ينفعنا، كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله، قال: فاصبروا، فطال صبرهم، فنادوا سواً علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من مغيص أي منجي. فقام إبليس عند ذلك فخطبهم، فقال: إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطانٍ فلما سمعوا مقالته، مَقَتُوا أنفسهم، قال: فتودوا لَمَقْتُ الله أكبر من مَقَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ \* قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا بِالْآيَةِ، قال: فيجيبهم الله دَلِكُمْ يَا اللَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا قَالِحُكُمْ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ قال: فيقولون: ما أيسنا بعد؛ قال: ثم دعوا مرة أخرى، فيقولون: رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ قال: فيقول الرب تبارك وتعالى: وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا يَقول الرب: لو شئت لهديت الناس جميعا، فلم يختلف منهم أحد وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ \* فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا يَقول: بما تركتم أن تعملوا ليومكم هذا إِنَّا نَسِينَاكُمْ أَي تركناكم وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ قال: فيقولون: ما أيسنا بعد، قال: فيدعون مرة أخرى: رَبَّنَا أَخْرِتْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ دَعْوَتِكَ وَتَبِعَ الرَّسُلَ قال: فيقال لهم: أَوْلَمْ تَكُونُوا أَفْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّن رَّوَالٍ \* وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ... الآية، قال: فيقولون: ما أيسنا بعد ثم قالوا مرة أخرى: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قال: فيقول: أَوْلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ > 77-19 < التَّذِيرُ إلى: تصير، ثم مكث عنهم ما شاء الله، ثم ناداهم: ( أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُنلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ ) فلما سمعوا ذلك قالوا: الآن يرحمنا، فقالوا عند ذلك: ( رَبَّنَا عَلَبْتُ عَلَيْنَا شِفْوَتْنَا ) أي: الكتاب الذي كتب علينا وَكُنَّا قَوْمًا صَالِحِينَ \* رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا الآية، فقال عند ذلك: احْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ قال: فلا يتكلمون فيها أبدا، فانقطع عند ذلك الدعاء والرجاء منهم. وأقبل بعضهم ينبح في وجه بعض، فأطبقت عليهم. قال عبد الله بن المبارك في حديثه: فحدثني الأزهر بن أبي الأزهر أنه قال: فذلك قوله: هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ \* وَلَا يُؤدِّنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي بكر بن عبد الله، أنه قال: فوالذي أنزل القرآن على محمد، والتوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، ما تكلم أهل النار كلمة بعدها إلا الشهيق والرقيق في الخلد أبدا، ليس له نفاذ.

قال: ثني حجاج، عن أبي معشر، قال: كنا في جنازة ومعنا أبو جعفر القارئ، فجلسنا، فتحنى أبو جعفر، فبكى، فقيل له: ما يبكيك يا أبا جعفر؟ قال: أخبرني زيد بن أسلم أن أهل النار لا يتنفسون.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله: ( وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ) يقول: كنا قوما ضللنا عن سبيل الرشاد، وقصد الحق.

القول في تأويل قوله تعالى : رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (107)  
قَالَ أَحْسَنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (108)

يقول تعالى ذكره، مخبراً عن قيل الذين خفت موازين صالح أعمالهم يوم القيامة في جهنم: ربنا أخرجنا من النار، فإن عدنا لما تكره منا من عمل، فإننا ظالمون.

وقوله: ( قَالَ أَحْسَنُوا فِيهَا ) يقول تعالى ذكره: قال الرب لهم جل ثناؤهم مجيباً ( أَحْسَنُوا فِيهَا ) أي: اقعّدوا في النار، يقال منه: حَسَأَتْ فلانا أَحْسَأُوهُ حَسِئاً وَحُسُوءاً، وَحَسِيءٌ هو يَحْسَأُ، وما كان خاسئاً، ولقد حَسِيءٌ، ( وَلَا تُكَلِّمُونِ ) فعند ذلك آيس المساكين من الفرج، ولقد كانوا ظالمين فيه.

كما حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، قال: ثنا أبو الزعراء، عن عبد الله، في قصة ذكرها في الشفاعة، قال: فإذا أراد الله ألا يُخْرَجَ منها، يعني من النار أحداً، غير وجوههم وألوانهم، فيجيء الرجل < 78-19 > من المؤمنين فيشفع فيهم، فيقول: يا رب، فيقول: من عرف أحداً فليخرجه؛ قال: فيجيء الرجل فينظر فلا يعرف أحداً، فيقول: يا فلان يا فلان، فيقول: ما أعرفك. فعند ذلك يقولون: ( رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ) فيقول ( أَحْسَنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ) فإذا قالوا ذلك؛ انطبقت عليهم جهنم فلا يخرج منها بشر.

حدثنا تميم بن المنتصر، قال: أخبرنا إسحاق، عن شريك، عن الأعمش، عن عمرو بن مَرْة، عن شهر بن حوشب، عن معدي كرب، عن أبي الدرداء، قال: يرسل أو يصب على أهل النار الجوع، فيعدل ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون، فيغاثون بالضرع، الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، فلا يغني ذلك عنهم شيئاً فيستغيثون، فيغاثون بطعام ذي عُصَّة، فإذا أكلوه تشب في حلوقهم، فيذكرون أنهم كانوا في الدنيا يحدرون الغصة بالماء، فيستغيثون، فيرفع إليهم الحميم في كلاب الحديد، فإذا انتهى إلى وجوههم شوى وجوههم، فإذا شربوه قطع أمعاءهم، قال: فينادون مالكا: لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ، قال: فيتركهم ألف سنة، ثم يجيهم: إِنَّكُمْ مَأْكُونُونَ ، قال: فينادون خزنة جهنم: ( اذْعُوا رَبِّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ \* قَالُوا أَوْ لَمْ تَك تَأْتِكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ، قال: فيقولون ما نجد أحداً خيراً لنا من ربنا ) ، فينادون ربهم ( رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ) قال: فيقول الله: ( أَحْسَنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ) قال: فعند ذلك يتسوا من كل خير، فيدعون بالويل والشهيق والتبور.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني محمد بن عُمارة الأسديّ، قال: ثنا عاصم بن يوسف اليربوعي، قال: ثنا قُطبة بن عبد العزيز الأسديّ، عن الأعمش، عن شمر بن عطية، عن شهر بن حوشب، عن أمّ الدرداء، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يُلْقَى عَلَى أَهْلِ النَّارِ الْجُوعُ... " ثم ذكر نحوًا منه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب القمي، عن هارون بن عنترة، عن عمرو بن مرّة، قال: يرى أهل النار في كل سبعين عاما ساق مالك، خازن النار، فيقولون: يَا مَالِكُ لَيْقُضَ عَلَيْنَا رَبُّكَ فَيَجِيبُهُمْ بِكَلِمَةٍ، ثم لا يرونها سبعين عاما فيستغيثون بِالْحَزْنَةِ، فيقولون لهم: ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ فَيَجِيبُونَهُمْ أَوْ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ... الآية. فيقولون: ادعوا ربكم، فليس أحد أرحم < 79-19 > من ربكم، فيقولون: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ( قال: فيجيبهم: ( اِحْسِنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ) فعند ذلك يباسون من كل خير، وبأخذون في الشهيق والويل والتبور.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ( اِحْسِنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ) قال: بلغني أنهم ينادون مالكا فيقولون: لَيْقُضَ عَلَيْنَا رَبُّكَ فيسكت عنهم قدر أربعين سنة، ثم يقول: إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ قَال: ثم ينادون ربهم، فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين، ثم يقول: ( اِحْسِنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ) قال: فيباين القوم فلا يتكلمون بعدها كلمة، وكان إنما هو الزفير والشهيق، قال قتادة: صوت الكافر في النار مثل صوت الحمار، أو له زفير، وآخره شهيق.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

حدثنا الحسن، قال: ثنا عبد الله بن عيسى، قال: أخبرني زياد الخراسانيّ، قال: أسنده إلى بعض أهل العلم، فنسبته، في قوله: ( اِحْسِنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ) قال: فيسكتون، قال: فلا يسمع فيها حس إلا كطين الطست.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ( اِحْسِنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ) هذا قول الرحمن عز وجل، حين انقطع كلامهم منه.

القول في تأويل قوله تعالى : إِنَّهُ كَانَ قَرِيْقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (109)

يقول تعالى ذكره: ( إِنَّهُ ) وهذه الهاء في قوله " إنه " هي الهاء التي يسميها أهل العربية المجهولة، وقد بينت معناها فيما مضى قبل. ومعنى دخولها في الكلام، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ( كَانَ قَرِيْقٌ مِّنْ عِبَادِي ) يقول: كانت جماعة من عبادي، وهم أهل الإيمان بالله، يقولون في الدنيا: ( رَبَّنَا آمَنَّا ) بك وبرسلك، وما جاءوا به من عندك ( فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ) وأنت خير من رحم أهل البلاء، فلا تعذبنا بعذابك.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (110) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمْ < 80-19 > الْقَائِرُونَ (111)

يقول تعالى ذكره: فاتخذتم أيها القائلون لربكم رَبِّيًّا عَلَيَّتْ عَلَيْنَا شِفْوَتَنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ فِي الدُّنْيَا، القائلين فيها: رَبَّنَا أَمَّا قَاعِفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ حَيْرُ الرَّاحِمِينَ سُخْرِيًّا. والهاء والميم في قوله: ( فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ ) من ذكر الفريق.

واختلفت القراء في قراءة قوله: ( سِخْرِيًّا ) فقرأه بعض قراء الحجاز وبعض أهل البصرة والكوفة ( فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا ) بكسر السين، ويتأولون في كسرها أن معنى ذلك الهزاء، ويقولون: إنها إذا ضُمت فمعنى الكلمة: السُّخْرَةُ والاستعباد. فمعنى الكلام على مذهب هؤلاء: فاتخذتم أهل الإيمان بي في الدنيا هُزُؤًا ولعبًا، تهزءون بهم، حتى أنسواكم ذكري. وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة: ( فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا ) بضم السين، وقالوا: معنى الكلمة في الضم والكسر واحد. وحكى بعضهم عن العرب سماعًا لِحَيٍّ وَلَجِيٍّ، وِدْرِيٍّ، وَدُرِيٍّ، منسوب إلى الدرِّ، وكذلك كِرْسِيٍّ وَكِرْسِيٍّ؛ وقالوا ذلك من قيلهم كذلك، نظير قولهم في جمع العصا: العَصِيَّ بكسر العين، والعَصِيَّ بضمها؛ قالوا: وإنما اخترنا الضم في السُّخْرِيٍّ؛ لأنه أفصح اللغتين.

والصواب من القول في ذلك، أنهما قراءتان مشهورتان، ولغتان معروفتان بمعنى واحد، قد قرأ بكلِّ واحدة منهما علماء من القراء، فبأيتهما قرأ القارئ ذلك فمصيب، وليس يُعرف من فرق بين معنى ذلك إذا كسرت السين وإذا ضمت؛ لما ذكرت من الرواية عن سمع من العرب ما حَكَيْت عنه.

ذكر الرواية به عن بعض من فَرَّق في ذلك بين معناه مكسورة سینه ومضمومة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد ( فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا ) قال: هما مختلفتان: سِخْرِيًّا، وَسُخْرِيًّا، يقول الله: وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا قال: هذا سِخْرِيًّا: يُسَخَّرُونَهُمْ، وَالْآخَرُونَ: الَّذِينَ يَسْتَهْزِئُونَ بِهِمْ هُمْ سُخْرِيًّا، فَتلك سِخْرِيًّا يُسَخَّرُونَهُمْ عِنْدَكَ، فَسَخَّرَكَ رَفَعَكَ فَوْقَهُ، وَالْآخَرُونَ: اسْتَهْزَؤُوا بِأَهْلِ الْإِسْلَامِ هِيَ: سُخْرِيًّا يَسَخَّرُونَ مِنْهُمْ. فهما مختلفتان. وقرأ قول الله: وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسَخَّرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسَخَّرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسَخَّرُونَ وقال: يسخرون منهم كما سخر قوم نوح بنوح، اتخذوهم سُخْرِيًّا: اتخذوهم هُزُؤًا، لم يزالوا يستهزئون بهم.

< 19-81 >

وقوله: ( حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمُ ذِكْرِي ) يقول: لم يزل استهزاؤكم بهم، أنساكم ذلك من فعلكم بهم ذكري، فألهاكم عنه ( وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ) .

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( حَتَّىٰ أَنسَوَكُمُ ذِكْرِي ) قال: أنسى هؤلاء الله استهزأؤهم بهم، وضحكهم بهم، وقرأ: **إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَصْحَكُونَ** حتى بلغ: **إِنَّ هَؤُلَاءِ لَصَالُونَ** . وقوله: ( **إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا** ) يقول تعالى ذكره: **إِنِّي أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِاللَّهِ الْمُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ، جَزَيْتَ الَّذِينَ اتَّخَذْتُمُوهُمْ فِي الدُّنْيَا سُخْرِيًّا مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِي، وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ الْيَوْمَ، بِمَا صَبَرُوا عَلَيَّ مَا كَانُوا يَلْقَوْنَ بَيْنَكُمْ مِنْ أَدَىٰ سُخْرِيَّتِكُمْ وَضَحْكِكُمْ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا (أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ) .**

اختلفت القراء في قراءة: " **إِنَّهُمْ** " فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة، وبعض أهل الكوفة: ( " **أَنَّهُمْ** " بفتح الألف من " **أَنَّهُمْ** " بمعنى: جزيتهم هذا ، فإن في قراءة هؤلاء في موضع نصب، بوقوع قوله جزيتهم عليها؛ لأن معنى الكلام عندهم: **إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ الْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ؛** وقد يحتمل النصب من وجه آخر، وهو أن يكون موجهاً معناه: إلى **أَنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا؛** لأنهم هم الفائزون بما صبروا في الدنيا، على ما لقوا في ذات الله، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: " **إِنِّي** " بكسر الألف منها، بمعنى الابتداء، وقالوا: ذلك ابتداء من الله مدحهم.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ بكسر الألف؛ لأن قوله: " **جَزَيْتُهُمْ** "، قد عمل في الهاء والميم، والجزاء إنما يعمل في منصوبين، وإذا عمل في الهاء والميم لم يكن له العمل في " **أَنْ** " فيصير عاملاً في ثلاثة إلا أن ينوي به التكرير، فيكون نصب " **أَنْ** " حينئذ بفعل مضمرة، لا بقوله: **جَزَيْتُهُمْ** ، وإن هي نصبت بإضمار لام، لم يكن له أيضاً كبير معنى؛ لأن جزاء الله عباده المؤمنين بالجنة، إنما هو على ما سلف من صالح أعمالهم في الدنيا، وجزاؤه إياهم، وذلك في الآخرة هو الفوز، فلا معنى لأن **يَشْرُطَ** لهم الفوز بالأعمال ثم يخبر أنهم إنما فازوا، لأنهم هم الفائزون.

فتأويل الكلام إذ كان الصواب من القراءة ما ذكرنا: **إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ الْجَنَّةَ بِمَا صَبَرُوا فِي الدُّنْيَا عَلَيَّ أَذَاكُمْ بِهَا فِي أَنَّهُمُ الْيَوْمَ هُمُ الْفَائِزُونَ بِالنَّعِيمِ الدَّائِمِ وَالْكَرَامَةِ الْبَاقِيَةِ أَبَدًا؛** بما عملوا من صالحات الأعمال في الدنيا، ولقوا في طلب رضي من المكاره فيها.

< 19-82 >

القول في تأويل قوله تعالى : **قَالَ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (112)**  
**قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِيْنَ (113)**

اختلفت القراء في قراءة قوله: ( **كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ** ) وفي قوله: ( **لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ** ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة على وجه الخبر: ( **قَالَ كَمْ لَبِئْتُمْ** ) ، وكذلك قوله: ( **قَالَ إِنَّ لَبِئْتُمْ** ) .  
وجه هؤلاء تأويل الكلام إلى أن الله قال لهؤلاء الأشقياء من أهل النار وهم في النار: ( **كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ** ) ؟ وأنهم أجابوا الله فقالوا: ( **لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ** ) ، فنسي الأشقياء؛ لعظيم ما هم فيه من البلاء والعذاب



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

مدة مكثهم التي كانت في الدنيا، وَقَصَّرَ عندهم أمد مكثهم الذي كان فيها؛ لما حلَّ بهم من نعمة الله، حتى حسبوا أنهم لم يكونوا مكثوا فيها إلا يوماً أو بعض يوم. ولعلَّ بعضهم كان قد مكث فيها الزمان الطويل، والسنين الكثيرة.

وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة على وجه الأمر لهم بالقول، كأنه قال لهم: قولوا كم لبثتم في الأرض؟ وأخرج الكلام مخرج الأمر للواحد، والمعنى به الجماعة، إذ كان مفهوماً معناه، وإنما اختار هذه القراءة من اختارها من أهل الكوفة؛ لأن ذلك في مصاحفهم: "قُلْ" بغير ألف، وفي غير مصاحفهم بالألف.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ ذلك: (قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ) على وجه الخبر، لأن وجه الكلام لو كان ذلك أمراً، أن يكون قولوا علي وجه الخطاب للجمع؛ لأن الخطاب فيما قبل ذلك وبعده، جرى لجماعة أهل النار، فالذي هو أولى أن يكون كذلك قوله قولوا لو كان الكلام جاء على وجه الأمر، وإن كان الآخر جائزاً، أعني التوحيد، لما بيّنت من العلة لقارئ ذلك كذلك، وجاء الكلام بالتوحيد في قراءة جميع القراء، كان معلوماً أن قراءة ذلك على وجه الخبر عن الواحد أشبه، إذ كان ذلك هو الفصح المعروف من كلام العرب، فإذا كان ذلك ذلك، فتأويل الكلام: قال الله كم لبثتم في الدنيا من عدد سنين؟ قالوا مجيبين له: لبثنا فيها يوماً أو بعض يوم، فاسأل العاديين، لأننا لا ندري، قد نسينا ذلك.

واختلف أهل التأويل في المعنى بالعاديين، فقال بعضهم: هم الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم، وَيُحْصُونَ عليهم ساعاتهم.

< 19-83 >

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: (فَاسْأَلِ الْعَادِّيْنَ) قال: الملائكة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

وقال آخرون: بل هم الحُساب.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: (فَاسْأَلِ الْعَادِّيْنَ) قال: فاسأل الحُساب.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا الحسين بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: ( فَاسْأَلِ الْعَادِيْنَ ) قال: فاسأل أهل الحساب.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يقال كما قال الله جل ثناؤه: ( فَاسْأَلِ الْعَادِيْنَ ) وهم الذين يَعُدُّون عدد الشهور والسنين وغير ذلك، وجائز أن يكونوا الملائكة، وجائز أن يكونوا بني آدم وغيرهم، ولا حجة بأيّ ذلك من أيّ ثبتت صحتها، فغير جائز توجيه معنى ذلك إلى بعض العاديين دون بعض.

القول في تأويل قوله تعالى : قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ( 114 )  
( 114 ) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ( 115 )

اختلفت القراء في قراءة قوله: ( قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ) اختلفهم في قراءة قوله: قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ والقول عندنا في ذلك في هذا الموضع، نحو القول الذي بيناه قبل في قوله: كَمْ لَبِثْتُمْ وتأويل الكلام على قراءتنا: قال الله لهم: ما لبثتم في الأرض إلا قليلا يسيرا، لو أنكم كنتم تعلمون قدر لبثكم فيها.

وقوله: ( أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ) يقول تعالى ذكره: أفحسبتم أيها الأشقياء أنا إنما خلقناكم إذ خلقناكم، لعبا وباطلا وأنكم إلى ربكم بعد مماتكم لا تصيرون أحياء، فتجزون بما كنتم في الدنيا تعملون؟ .

< 19-84 >

وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه بعض قراء المدينة والبصرة والكوفة: ( لَا تُرْجَعُونَ ) بصمّ التاء: لَا تُرْجَعُونَ، وقالوا: إنما هو من مَرَجِ الآخرة، لا من الرجوع إلى الدنيا، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة " لَا تَرْجَعُونَ " وقالوا: سواء في ذلك مرجع الآخرة، والرجوع إلى الدنيا.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إنهما قراءتان متقاربتا المعنى؛ لأن من رده الله إلى الآخرة من الدنيا بعد فئانه، فقد رجع إليها، وأن من رجع إليها، فبردّ الله إياه إليها رجع. وهما مع ذلك قراءتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وينحو الذي قلنا في معنى قوله: ( أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ) قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ( أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ) قال: باطلا.

القول في تأويل قوله تعالى : فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ( 116 )

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره: فتعالى الله الملك الحق عما يصفه به هؤلاء المشركون، من أن له شريكا، وعما يضيفون إليه من اتخاذ البنات ( لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ) يقول: لا معبود تنبغي له العبادة إلا الله الملك الحق ( رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ) والربُّ: مرفوع بالردِّ على الحقِّ، ومعنى الكلام: فتعالى الله الملك الحقُّ، رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ، لا إله إلا هو.

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (117)

يقول تعالى ذكره: ومن يدع مع المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له معبودا آخر، لا حجة له بما يقول، ويعمل من ذلك ولا بينة.

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ) قال: بينة.

< 19-85 >

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ( لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ) قال: حجة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد، في قوله: ( لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ) قال: لا حجة.

وقوله: ( فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ) يقول: فإنما حساب عمله السيئ عند ربه وهو مُؤَقَّبٌ جزاءه إذا قدم عليه ( إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ) يقول: إنه لا ينجح أهل الكفر بالله عنده ولا يدركون الخلود والبقاء في النعيم.

القول في تأويل قوله تعالى : وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (118)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وقل يا محمد: ربِّ استر عليّ ذنوبي بعفوك عنها، وارحمني بقبول توبتك، وتركك عقابي على ما اجترمت ( وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ) يقول: وقل يا ربِّ خير من رحم ذا ذنب، فقبل توبته، ولم يعاقبه على ذنبه.

آخر تفسير سورة المؤمنون

# جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الهوامش:

(1) لعل القائل هنا أيضًا : هو القاسم ، راوي الحديث بالإسناد السابق على هذا

(2) لعل القائل هنا أيضًا : هو القاسم ، راوي الحديث بالإسناد السابق على هذا < 86-19 > < 87-19 >

تفسير سورة النور  
< 19-88 > < 19-89 >

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى : سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (1)

قال أبو جعفر: يعني بقوله تعالى ذكره: ( سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا ) وهذه السورة أنزلناها. وإنما قلنا معنى ذلك كذلك؛ لأن العرب لا تكاد تبتدئ بالانكرات قبل أخبارها إذا لم تكن جوابا، لأنها توصل كما يوصل الذي، ثم يخبر عنها بخبر سوى الصلة، فيستقيح الابتداء بها قبل الخبر إذا لم تكن موصولة، إذ كان يصير خبرها إذا ابتدئ بها كالصلة لها، ويصير السامع خبرها كالمتوقع خبرها، بعد إذ كان الخبر عنها بعدها، كالصلة لها، وإذا ابتدئ بالخبر عنها قبلها، لم يدخل الشك على سامع الكلام في مراد المتكلم. وقد بيننا فيما مضى قبل، أن السورة وصف لما ارتفع بشواهد، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

وأما قوله: ( وَفَرَضْنَاهَا ) فإن القراء اختلفت في قراءته، فقرأه بعض قراء الحجاز والبصرة: " وَفَرَضْنَاهَا " ويتأولونه: وفصلناها ونزلنا فيها فرائض مختلفة. وكذلك كان مجاهد يقرؤه ويتأوله.

حدثني أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا ابن مهدي، عن عبد الوارث بن سعيد، عن حميد، عن مجاهد، أنه كان يقرؤها: " وَفَرَضْنَاهَا " يعني بالتشديد.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعًا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: " وَفَرَضْنَاهَا " قال: الأمر بالحلال، والنهي عن الحرام.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله. وقد يحتمل ذلك إذا قرئ بالتشديد وجها غير الذي ذكرنا عن مجاهد، < 90-19 > وهو أن يوجه إلى أن معناه: وفرضناها عليكم وعلى من بعدكم من الناس إلى قيام الساعة. وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة والشام ( وَفَرَضْنَاهَا ) بتخفيف الراء، بمعنى: أوجبنا ما فيها من الأحكام عليكم، وألزمناكموه وبيننا ذلك لكم.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

والصواب من القول في ذلك، أنهما قراءتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. وذلك أن الله قد فصلها، وأنزل فيها ضروبًا من الأحكام، وأمر فيها ونهى، وفرض على عباده فيها فرائض، ففيها المعنيان كلاهما: التفريض، والفرض، فلذلك قلنا بأية القراءتين قرأ القارئ فمصيب الصواب.

\*ذكر من تأوّل ذلك بمعنى الفرض، والبيان من أهل التأويل.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ( وَفَرَضْنَاهَا ) يقول: بيّناها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا ) قال: فرضناها لهذا الذي يتلوها مما فرض فيها، وقرأ فيها: ( آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ).

وقوله: ( وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ) يقول تعالى ذكره: وأنزلنا في هذه السورة علامات ودلالات على الحقّ بينات، يعني واضحات لمن تأملها وفكر فيها بعقل أنها من عند الله، فإنها الحقّ المبين، وإنها تهدي إلى الصراط المستقيم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ( وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ) قال: الحلال والحرام والحدود ( لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ) يقول: لتتذكروا بهذه الآيات البينات التي أنزلناها.

القول في تأويل قوله تعالى : الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدُ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (2)

يقول تعالى ذكره: من زنى من الرجال أو زنت من النساء، وهو حرّ بكر غير محصن بزوجه، فاجلدوه ضربا مئة جلدة، عقوبة لما صنع وأتى من معصية الله. ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) يقول تعالى ذكره: لا تأخذكم بالزاني والزانية أيها المؤمنون رافة، < 91-19 > وهي رقة الرحمة في دين الله، يعني في طاعة الله فيما أمركم به من إقامة الحد عليهما على ما ألزمكم به.

واختلف أهل التأويل في المنهية عنه المؤمنون من أخذ الرافة بهما، فقال بعضهم: هو ترك إقامة حدّ الله عليهما، فأما إذا أقيم عليهما الحد فلم تأخذهم بهما رافة في دين الله.

\*ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا يحيى بن أبي زائدة، عن نافع، عن ابن عمر، عن ابن أبي مليكة، عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر، قال: جلد ابن عمر جارية له أحدثت، فجلد رجلها، قال نافع: وحسبت أنه قال: وظهرها، فقلت: ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) فقال: وأخذتني بها رافة؟ إن الله لم يأمرني أن أقتلها.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، عن ابن جريج، قال: سمعت عبد الله بن أبي مليكة يقول: ثنا عبيد الله بن عبد الله بن عمر، أن عبد الله بن عمر حدّ جارية له، فقال للجالد، وأشار إلى رجلها، وإلى أسفلها، قلت: فأين قول الله: ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال: أفأقتلها؟ .

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) فقال: أن تقيم الحدّ.

حدثنا إلقاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال: لا تضيعوا حدود الله.

قال ابن جريج: وقال مجاهد: ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ ) : لا تضيعوا الحدود في أن تقيموها، وقالها عطاء بن أبي رباح.

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا عبد الملك وحجاج، عن عطاء ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال: يقام حد الله ولا يعطل، وليس بالقتل.

حدثنا ابن المثني، قال: ثنا محمد بن فضيل، عن داود، عن سعيد بن جبیر، قال: الجلد.

حدثني عبيد بن إسماعيل الهباري، قال: ثنا محمد بن فضيل، عن المغيرة، عن إبراهيم، في قوله: ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال: الضرب.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، قال: سمعت عمران، قال: قلت > 92-19 < لأبي مجلز: ( الرَّائِيَةُ وَالرَّائِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا )... إلى قوله: ( وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ) إنا لنرحمهم أن يجلد الرجل حدًا، أو تقطع يده قال: إنما ذلك أنه ليس للسلطان إذا رفعوا إليه أن يدعهم رحمة لهم حتى يقيم الحدّ.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، في قوله: ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال: لا تقام الحدود.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ ) فتدعوها من حدود الله التي أمر بها وافترضها عليهما.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران، أنه سأل سليمان بن يسار، عن قول الله: ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) أي في الحدود أو في العقوبة؟ قال: ذلك فيهما جميعاً.

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الأملي، قال: ثنا يحيى بن زكريا، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء في قوله: ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال: أن يقام حد الله ولا يعطل، وليس بالقتل.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء، عن عامر في قوله: ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال: الضرب الشديد.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ ) فتخففوا الضرب عنهما، ولكن أوجعهما ضرباً.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا يحيى بن أبي بكر، قال: ثنا أبو جعفر، عن قتادة، عن الحسن وسعيد بن المسيب: ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال: الجلد الشديد.

قال: ثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن حماد، قال: يحذ القاذف والشارب وعليهما ثياهما. وأما الزاني فتخلع ثيابه. وتلا هذه الآية: ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) فقلت لحما: أهدا في الحكم؟ قال: في الحكم والجلد.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، قال: يجتهد في حد الزاني والفرية، ويخفف في حد الشرب. وقال قتادة: يخفف في < 93-19 > الشراب، ويجتهد في الزاني.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ولا تأخذكم بهما رافة في إقامة حد الله عليهما الذي افترض عليكم إقامته عليهما.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب، لدلالة قول الله بعده: " في دين الله "، يعني في طاعة الله التي أمركم بها. ومعلوم أن دين الله الذي أمر به في الزانيين: إقامة الحد عليهما، على ما أمر من جلد كل واحد منهما مئة جلدة، مع أن الشدة في الضرب لا حد لها يوقف عليه، وكل ضرب أوجع فهو شديد، وليس للذي يوجع في الشدة حد لا زيادة فيه فيؤمر به. وغير جائز وصفه جل ثناؤه بأنه أمر بما لا سبيل للمأمور به إلى معرفته، وإذا كان ذلك كذلك، فالذي للمأمورين إلى معرفته السبيل، هو عدد الجلد على ما أمر به، وذلك هو إقامة الحد على ما قلنا. وللعرب في الرافة لغتان: الرافة بتسكين الهمزة، والرافة بمدّها، كالسامة والسامة، والكأبة والكأبة. وكان الرافة المرة الواحدة، والرافة المصدر، كما قيل: ضؤل ضالة مثل فعل فعالة، وقبح قباحة.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله: ( إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ) يقول: إن كنتم تصدقون بالله ربكم وبالْيَوْمِ الْآخِرِ، وأنكم فيه مبعوثون لحشر القيامة، وللثواب والعقاب، فإن من كان بذلك مصدقاً، فإنه لا يخالف الله في أمره ونهيه؛ خوف عقابه على معاصيه. وقوله: ( وَلَيْسَ لَهُمْ عَذَابُهُمْ طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) يقول تعالى ذكره: وليحضر جلد الزانيين البكرين وحدهما إذا أقيم عليهما طائفة من المؤمنين. والعرب تسمي الواحد فما زاد: طائفة. ( مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) يقول: من أهل الإيمان بالله ورسوله.

وقد اختلف أهل التأويل في مبلغ عدد الطائفة الذي أمر الله بشهود عذاب الزانيين البكرين، فقال بعضهم: أقله واحد.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: الطائفة: رجل.

حدثنا علي بن سهل بن موسى بن إسحاق الكنانيّ وابن القوّاس، قالا ثنا يحيى بن عيسى، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ( وَلَيْسَ لَهُمْ عَذَابُهُمْ طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال: الطائفة رجل. قال عليّ: فما فوق ذلك؛ وقال ابن القوّاس: < 94-19 > فأكثر من ذلك.

حدثنا عليّ، قال: ثنا زيد، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: الطائفة: رجل.

حدثنا يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، قال: قال ابن أبي نجيح: ( وَلَيْسَ لَهُمْ عَذَابُهُمْ طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال مجاهد: أقله رجل.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو بشر، عن مجاهد، في قوله: ( وَلَيْسَ لَهُمْ عَذَابُهُمْ طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال: الطائفة: الواحد إلى الألف.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن مجاهد في هذه الآية: ( وَلَيْسَ لَهُمْ عَذَابُهُمْ طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال: الطائفة واحد إلى الألف . وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ افْتَلَوْا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا .

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا وهب بن جرير، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن مجاهد، قال: الطائفة: الرجل الواحد إلى الألف، قال: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ افْتَلَوْا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا إنما كانا رجلين.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: سمعت عيسى بن يونس، يقول: ثنا النعمان بن ثابت، عن حماد وإبراهيم قالا الطائفة: رجل.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ( وَلَيْشْهَدُ عَدَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال: الطائفة: رجل واحد فما فوقه.

وقال آخرون: أقله في هذا الموضع رجلان.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علي، قال: ثنا ابن أبي نجيح، في قوله: ( وَلَيْشْهَدُ عَدَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال: قال عطاء: أقله رجلان.

حدثني القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عمر بن عطاء، عن عكرمة قال: ليحضر رجلان فصاعدا.

وقال آخرون: أقل ذلك ثلاثة فصاعدا.

< 19-95 >

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا عيسى بن يونس، عن ابن أبي ذئب، عن الزهري، قال: الطائفة: الثلاثة فصاعدا.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ( وَلَيْشْهَدُ عَدَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال: نفر من المسلمين.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا حفص بن غياث، قال: ثنا أشعث، عن أبيه، قال: أتيت أبا برزة الأسلمي في حاجة، وقد أخرج جارية إلى باب الدار، وقد زنت، فدعا رجلا فقال: اضربها خمسين! فدعا جماعة، ثم قرأ: ( وَلَيْشْهَدُ عَدَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ).

حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا يحيى، عن أشعث، عن أبيه، أن أبا برزة أمر ابنه أن يضرب جارية له ولدت من الزنا ضربا غير مبرح، قال: فألقى عليها ثوبا وعنده قوم، وقرأ: ( وَلَيْشْهَدُ عَدَابَهُمَا )... الآية.

وقال آخرون: بل أقل ذلك أربعة.

\*ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَلَيْشَهْدُ عَدَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال: فقال: الطائفة التي يجب بها الحدُّ أربعة.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: أقل ما ينبغي حضور ذلك من عدد المسلمين: الواحد فصاعداً؛ وذلك أن الله عمّ بقوله: ( وَلَيْشَهْدُ عَدَابَهُمَا طَائِفَةٌ ) والطائفة: قد تقع عند العرب على الواحد فصاعداً.

فإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن الله تعالى ذكره وضع دلالة على أن مراده من ذلك خاص من العدد، كان معلوماً أن حضور ما وقع عليه أدنى اسم الطائفة ذلك المحضر مخرج مقيم الحدِّ مما، أمره الله به بقوله: ( وَلَيْشَهْدُ عَدَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) غير أنني وإن كان الأمر على ما وصفت، أستحب أن لا يقصر بعدد من يحضر ذلك الموضع عن أربعة أنفس عدد من تقبل شهادته على الزنا؛ لأن ذلك إذا كان كذلك، فلا خلاف بين الجمع أنه قد أدى المقيم الحدِّ ما عليه في ذلك، وهم فيما دون ذلك مختلفون.

< 19-96 >

القول في تأويل قوله تعالى : الرَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (3)

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: نزلت هذه الآية في بعض من استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح نسوة كنَّ معروفات بالزنا من أهل الشرك، وكن أصحاب رايات ، يكرين أنفسهنَّ، فأنزل الله تحريمهن على المؤمنين، فقال: الزاني من المؤمنين لا يتزوج إلا زانية أو مشركة، لأنهن كذلك؛ والزانية من أولئك البغايا لا ينكحها إلا زان من المؤمنين أو المشركين أو مشرك مثلها، لأنهن كن مشركات.

( وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ) فحرم الله نكاحهن في قول أهل هذه المقالة بهذه الآية.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، قال: ثني الحضرمي، عن القاسم بن محمد، عن عبد الله بن عمرو: أن رجلاً من المسلمين استأذن نبي الله في امرأة يقال لها أم مهزول، كانت تسافح الرجل وتشتري له أن تنفق عليه، وأنه استأذن فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم وذكر له أمرها، قال: فقرأ نبي الله صلى الله عليه وسلم: ( وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) أو قال: فأنزلت ( الرَّانِيَةُ ).

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثني هشيم، عن التيمي، عن القاسم بن محمد، عن عبد الله بن عمرو في قوله: ( الرَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) قال: كنَّ نساء معلومات، قال: فكان

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الرجل من فقراء المسلمين يتزوج المرأة منهم لتنفق عليه، فنهاهم الله عن ذلك.

قال: أخبرنا سليمان التيمي، عن سعيد بن المسيب، قال: كنّ نساء موارد بالمدينة.

حدثنا أحمد بن المقدم، قال: ثنا المعتمر، قال: سمعت أبي، قال: ثنا قتادة، عن سعيد بن المسيب في هذه الآية: ( وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) قال: نزلت في نساء موارد كنّ بالمدينة.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عمرو بن عاصم الكلابي، قال: ثنا معتمر، عن أبيه، عن قتادة، عن سعيد، بنحوه.

< 19-97 >

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن رجل، عن عمرو بن سعيد قال: كان لمرثد صديقة في الجاهلية يقال لها عناق، وكان رجلا شديدا، وكان يقال له دلدل، وكان يأتي مكة فيحمل ضعفة المسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقي صديقه، فدعته إلى نفسها، فقال: إن الله قد حرّم الزنا، فقالت: أتى تبرز، فخشى أن تشيع عليه، فرجع إلى المدينة، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، كانت لي صديقة في الجاهلية، فهل ترى لي نكاحها؟ قال: فأنزل الله: ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) قال: كنّ نساء معلومات يدعون: ألقليات. (1)

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن إبراهيم بن مهاجر، قال: سمعت مجاهدا يقول في هذه الآية: ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) قال: كن بغايا في الجاهلية.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، عن عبد الملك، عن ابن أبي عمير، عن مجاهد، نحوه من حديث ابن المثنى، إلا أنه قال: كانت امرأة منهم يقال لها: أم مهزول، يعني في قوله: ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) قال: فكنّ نساء معلومات، قال: فكان الرجل من فقراء المسلمين يتزوج المرأة منهم لتنفق عليه، فنهاهم الله عن ذلك. هذا في حديث التيمي.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً ) قال: رجال كانوا يريدون الزنا بنساء زوان بغايا متعالمات، كنّ في الجاهلية، فقبل لهم هذا حرام، فأرادوا نكاحهن، فحرّم الله عليهم نكاحهن.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جُرَيْج، عن مجاهد، بنحوه، إلا أنه قال: بغايا معلّات، كنّ كذلك في الجاهلية.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن هشام بن عروة، عن أبيه وإسماعيل بن > 98-19 < أبي خالد، عن الشعبي وابن أبي ذئب، عن شعبة، عن ابن عباس، قال: كنّ بغايا في الجاهلية، على أبوابهنّ رايات مثل رايات البيطار يعرفن بها.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن قيس بن سعد، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، قال: نساء بغايا متعلّات، حرّم الله نكاحهن، لا ينكهنّ إلا زان من المؤمنين، أو مشرك من المشركين.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: (الرّانِي لا يَنْكِحُ إِلا رانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالرّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إِلا رانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرَّمَ ذلِكَ عَلى الْمُؤْمِنِينَ ) قال: كانت بيوت تسمى المّواخير في الجاهلية، وكانوا يؤاخذون فيها فتياتهن، وكانت بيوتنا معلومة للزنا، لا يدخل عليهنّ ولا يأتينّ إلا زان من أهل القبلة أو مشرك من أهل الأوثان، فحرّم الله ذلك على المؤمنين.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن ابن جُرَيْج، عن عطاء، في قوله: (الرّانِي لا يَنْكِحُ إِلا رانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالرّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إِلا رانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) قال: بغايا متعلّات كن في الجاهلية، بغيّ آل فلان وبغيّ آل فلان، فإنزل الله: (الرّانِي لا يَنْكِحُ إِلا رانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالرّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إِلا رانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرَّمَ ذلِكَ عَلى الْمُؤْمِنِينَ ) فحكم الله بذلك من أمر الجاهلية على الإسلام. فقال له سليمان بن موسى: أبلغك ذلك عن ابن عباس؟ فقال: نعم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جُرَيْج، قال: سمعت عطاء بن أبي رباح يقول في ذلك: كن بغايا متعلّات، بغيّ آل فلان وبغيّ آل فلان، وكنّ زواني مشركات، فقال: (الرّانِي لا يَنْكِحُ إِلا رانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالرّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إِلا رانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرَّمَ ذلِكَ عَلى الْمُؤْمِنِينَ ) قال: أحكم الله من أمر الجاهلية بهذا. قيل له: أبلغك هذا عن ابن عباس؟ قال: نعم.

قال ابن جريج: وقال عكرمة: إنه كان يسمّي تسعا بعد صواحب الرايات، وكنّ أكثر من ذلك، ولكن هؤلاء أصحاب الرايات: أم مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي، وأم غُليط جارية صفوان بن أمية، وحنة القبطية جارية العاصي بن وائل، ومّرية جارية مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار، وحلالة جارية سهيل بن عمرو، وأمّ سويد جارية عمرو بن عثمان المخزومي، وسريفة جارية زمعة بن الأسود، وفرسة > 99-19 < جارية هشام بن ربيعة بن حبيب بن حذيفة بن جبل بن مالك بن عامر بن لُؤيّ، وقريبا جارية هلال بن أنس بن جابر بن نمر بن غالب بن فهر.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، وقال الزهري وقتادة، قالوا: كان في الجاهلية بغايا معلوم ذلك منهن، فأراد ناس من المسلمين نكاحهن، فأنزل الله: (الرَّانِي لَا يَنْكُحُ إِلَّا رَانِيَةً أَوْ مَشْرِكَةً وَالرَّانِيَةُ لَا يَنْكُحُهَا إِلَّا رَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ) ... الآية.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، وقاله الزهري وقتادة، قالوا: كانوا في الجاهلية بغايا، ثم ذكر نحوه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن ابن أبي نجيح، عن القاسم بن أبي بزة: كان الرجل ينكح الزانية في الجاهلية التي قد علم ذلك منها يتخذها مأكلة، فأراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الجهة، فنهاها عن ذلك.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن ابن أبي نجيح، قال: قال القاسم بن أبي بزة، فذكر نحوه.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا سليمان التيمي، عن سعيد بن المسيب، قال: كن نساء موارِدَ بالمدينة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان، عن سعيد بن جبيرة: أن نساء في الجاهلية كن يؤاجرن أنفسهن، وكان الرجل إنما ينكح إحداهن يريد أن يصيب منها عَرَضًا، فنهاها عن ذلك، ونزل: (الرَّانِي لَا يَنْكُحُ إِلَّا رَانِيَةً أَوْ مَشْرِكَةً وَالرَّانِيَةُ لَا يَنْكُحُهَا إِلَّا رَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ) ومنهن امرأة يقال لها: أم مهزول.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، عن إسماعيل، عن الشعبي، في قوله: (الرَّانِي لَا يَنْكُحُ إِلَّا رَانِيَةً أَوْ مَشْرِكَةً وَالرَّانِيَةُ لَا يَنْكُحُهَا إِلَّا رَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ) قال: كن نساء يكرين أنفسهن في الجاهلية.

وقال آخرون: معنى ذلك: الزاني لا يزني إلا بزانية أو مشركة، والزانية لا يزني بها إلا زان أو مشرك. قالوا: ومعنى النكاح في هذا الموضع: الجماع.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن حُصَيْن، عن عكرمة، عن ابن عباس، < 19-100 > في قول الله: (الرَّانِي لَا يَنْكُحُ إِلَّا رَانِيَةً أَوْ مَشْرِكَةً) قال: لا يزني إلا بزانية أو مشركة.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبیر أنه قال في هذه الآية: ( وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) قال: لا يزني الزاني إلا بزانية مثله أو مشركة.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن ابن شُبْرُمة، عن سعيد بن جبیر وعكرمة في قوله: ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) قالوا هو الوطاء.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد، عن معمر، قال: قال سعيد بن جبیر ومجاهد: ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) قالوا هو الوطاء.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي عن سلمة بن نبيب، عن الضحاك بن مزاحم وشعبة، عن يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبیر، قوله: ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) قالوا لا يزني الزاني حين يزني إلا بزانية مثله أو مشركة، ولا تزني مشركة إلا بمثلها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) قال: هؤلاء بغايا كنّ في الجاهلية، والنكاح في كتاب الله الإصّابة، لا يصيبها إلا زان أو مشرك، لا يحرم الزنا، ولا تصيب هي إلا مثلها.

قال: وكان ابن عباس يقول: بغايا كنّ في الجاهلية.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن قيس بن سعد، عن سعيد بن جبیر، قال: إذا زنى بها فهو زان.

حدثنا عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) قال: الزاني من أهل القبلة لا يزني إلا بزانية مثله أو مشركة، قال: والزانية من أهل القبلة لا تزني إلا بزانية مثلها من أهل القبلة أو مشرك من غير أهل القبلة. ثم قال: ( وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ).

وقال آخرون: كان هذا حكم الله في كلّ زان وزانية، حتى نسخه بقوله: وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ ، فأحل نكاح كلّ مسلمة وإنكاح كل مسلم.

< 19-101 >

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، في قوله: ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكَةٌ )

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ( قال: يرون الآية التي بعدها نسختها: وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ قال: فهن من أيامى المسلمين.

حدثنا القاسم، قال ثنا الحسين قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) قال: نسختها التي بعدها: وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وقال: إنهن من أيامى المسلمين.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: وذكر عن يحيى، عن ابن المسيب، قال: نسختها: وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ .

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، قال: نسختها قوله: وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى .

حدثني يونس، قال: أخبرنا أنس بن عياض، عن يحيى، قال: ذكر عند سعيد بن المسيب: ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) قال: فسمعتة يقول: إنها قد نسختها التي بعدها، ثم قرأها سعيد، قال: يقول الله: ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) ثم يقول الله: وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ فهن من أيامى المسلمين.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: عنى بالنكاح في هذا الموضع الوطاء، وأن الآية نزلت في البغايا المشركات ذوات الرايات؛ وذلك لقيام الحجة على أن الزانية من المسلمات حرام على كل مشرك، وأن الزاني من المسلمين حرام عليه كل مشركة من عبدة الأوثان، فمعلوم إذ كان ذلك كذلك، أنه لم يُعْنِ بالآية أن الزاني من المؤمنين لا يعقد عقد نكاح على عفيفة من المسلمات، ولا ينكح إلا بزانية أو مشركة، وإذ كان ذلك كذلك، فبين أن معنى الآية: الزاني لا يزني إلا بزانية لا تستحل الزنا أو بمشركة تستحله.

وقوله: ( وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ) يقول: وحرم الزنا على المؤمنين بالله ورسوله، وذلك هو النكاح الذي قال جل ثناؤه: ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً )

< 19-102 >

القول في تأويل قوله تعالى: وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (4)

يقول تعالى ذكره: والذين يشتمون العفاف من حرائر المسلمين، فيرمونهن بالزنا، ثم لم يأتوا على ما رموهن به من ذلك بأربعة شهداء عدول يشهدون، عليهن أنهن رأوهن يفعلن ذلك، فاجلدوا الذين رموهن بذلك ثمانين جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا، وأولئك هم الذين خالفوا أمر الله وخرجوا من طاعته ففسقوا عنها.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وذكر أن هذه الآية إنما نزلت في الذين رموا عائشة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم بما رموها به من الإفك.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو السائب وإبراهيم بن سعيد، قالا ثنا ابن فضيل، عن خفيف، قال: قلت لسعيد بن جبيرة: الزنا أشدُّ، أو قذف المحصنة؟ قال: لا بل الزنا. قلت: إن الله يقول: ( وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ) قال: إنما هذا في حديث عائشة خاصة.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ( وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ يَأْتُوا بَارْبَعَةَ شَهَادَةٍ )... الآية في نساء المسلمين.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ) قال: الكاذبون.

القول في تأويل قوله تعالى : (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (5))

اختلف أهل التأويل في الذي استثنى منه قوله: (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا) فقال بعضهم: استثنى من قوله: وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ وقالوا: إذا تاب القاذف قبلت شهادته وزال عنه اسم الفسق، حُدِّ فِيهِ أَوْ لَمْ يَحُدِّ.

< 19-103 >

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا أحمد بن حماد الدُّولابي، قال: ثني سفيان، عن الزهري، عن سعيد بن شفاء الله، أن عمر قال لأبي بكر: إن تبت قبلت شهادتك، أو رَدَّيْتْ شهادتك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب: أن عمر بن الخطاب ضرب أبا بكر وشبل بن معبد ونافع بن الحارث بن كَلْدَةَ حَدَّهْم. وقال لهم: من أكذب نفسه أجزت شهادته فيما استقبل، ومن لم يفعل لم أجز شهادته، فأكذب شبل نفسه ونافع، وأبى أبو بكر أن يفعل. قال الزهري: هو والله سنة، فاحفظوه.

حدثنا ابن أبي الشوارب، قال: ثنا يزيد بن زُرَّيع، قال: ثنا داود، عن الشعبي، قال: إذا تاب، يعني: القاذف، ولم يعلم منه إلا خير، جازت شهادته.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا عمران بن موسى، قال: ثنا عبد الوارث، قال: ثنا داود، عن الشعبي، قال: على الإمام أن يستتيب القاذف بعد الجلد، فإن تاب وأونس منه خير جازت شهادته، وإن لم يتب فهو خلع لا تجوز شهادته.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الوارث، قال: ثنا داود، عن عامر، أنه قال في القاذف: إذا تاب وعلم منه خير، إن شهادته جائزة، وإن لم يتب فهو خلع لا تجوز شهادته، وتوبته إكذابه نفسه.

قال: ثنا ابن أبي عدي، عن داود، عن الشعبي، نحوه.

حدثنا أبو كريب وأبو السائب، قالا ثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا داود بن أبي هند، عن الشعبي، قال في القاذف: إذا تاب وأكذب نفسه، فُبلت شهادته، وإلا كان خليعا لا شهادة له؛ لأن الله يقول: لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ... إلى آخر الآية.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا داود بن أبي هند، عن الشعبي أنه كان يقول في شهادة القاذف: إذا رجع عن قوله حين يُضرب، أو أكذب نفسه، فُبلت شهادته.

قال: ثنا هشيم، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي أنه كان يقول: يقبل الله توبته، وتردّون شهادته؛ وكان يقبل شهادته إذا تاب.

قال: أخبرنا إسماعيل عن الشعبي أنه كان يقول في القاذف: إذا شهد قبل أن يُضرب < 104-19 > الحدّ، فُبلت شهادته.

قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا عبدة، عن إبراهيم وإسماعيل بن سالم، عن الشعبي، أنهما قالا في القاذف: إذا شهد قبل أن يُجلد فشهادته جائزة.

حدثني يعقوب، قال: قال أبو بشر، يعني ابن عُلّية، سمعت ابن أبي نجيح يقول: القاذف إذا تاب تجوز شهادته، وقال: كنا نقوله. فقيل له: من؟ قال: قال عطاء وطاووس ومجاهد.

حدثنا ابن بشار، وابن المثنى، قالا ثنا محمد بن خالد بن عثمة، قال: ثنا سعيد بن بشير، عن قتادة، عن عمر بن طلحة، عن عبد الله، قال: إذا تاب القاذف جلد، وجازت شهادته. قال أبو موسى: هكذا قال ابن أبي عثمة.

حدثنا ابن بشار وابن المثنى، قالا ثنا ابن أبي عثمة، قال: ثنا سعيد بن بشير، عن قتادة، عن سليمان بن يسار والشعبي قالا إذا تاب القاذف عند الجلد جازت شهادته.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد، عن قتادة أن عمر بن عبد الله بن أبي طلحة جلد رجلا في قذف، فقال: أكذب نفسك حتى تجوز شهادتك.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي الهيثم، قال: سمعت إبراهيم والشعبي يتذاكران شهادة القاذف، فقال الشعبي لإبراهيم: لم لا تقبل شهادته؟ فقال: لأنني لا أدري تاب أم لا.

قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا عبد الله بن المبارك، عن مجالد، عن الشعبي، عن مسروق، قال: تُقبل شهادته إذا تاب.

قال: ثنا عبد الله بن المبارك، عن يعقوب بن القعقاع، عن محمد بن زيد، عن سعيد بن جبير، مثله.

قال: ثنا عبد الله بن المبارك، عن ابن جريج، عن عمران بن موسى، قال: شهدت عمر بن عبد العزيز أجاز شهادة القاذف ومعه رجل.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، قال: قال الشعبي: إذا تاب جازت شهادته، قال ابن المثنى. قال: عندي، يعني في القذف.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا مسعر، عن عمران بن عمير: أن عبد الله بن عتبة كان يجيز شهادة القاذف إذا تاب.

< 19-105 >

حدثني يعقوب، قال: ثني هشيم، عن جوبير، عن الضحاك، قال: إذا تاب وأصلح قبلت شهادته، يعني القاذف.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن ابن المسيب، قال: تقبل شهادة القاذف إذا تاب.

حدثنا الحسن، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، عن ابن المسيب، مثله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد، عن معمر، قال: قال الزُّهري: إذا حدّ القاذف، فإنه ينبغي للإمام أن يستتبه، فإن تاب قبلت شهادته، وإلا لم تقبل، قال: كذلك فعل عمر بن الخطاب بالذين شهدوا على المغيرة بن شعبة، فتابوا إلا أبا بكر، فكان لا تقبل شهادته.

وقال آخرون: الاستثناء في ذلك من قوله: وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ .

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأما قوله: وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا فقد وصل بالأبد ولا يجوز قبولها أبدا.  
\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن أبي الشوارب، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا أشعث بن سوار، قال: ثنا الشعبي، قال: كان شريح يجيز شهادة صاحب كل عمل إذا تاب إلا القاذف، فإن توبته فيما بينه وبين ربه، ولا نجيز شهادته.

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا أشعث بن سوار، قال: ثنا الشعبي، عن شريح بنحوه، غير أنه قال: صاحب كل حد إذا كان عدلا يوم شهد.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية عن الأعمش. عن إبراهيم، عن شريح، قال: كان لا يجيز شهادة القاذف، ويقول: توبته فيما بينه وبين ربه.

حدثنا أبو كريب وأبو السائب، قالوا ثنا ابن إدريس، عن مطرف، عن أبي عثمان، عن شريح في القاذف: يقبل الله توبته، ولا أقبل شهادته.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا أشعث، عن الشعبي، قال: أتاه خصمان، فجاء أحدهما بشاهد أقطع، فقال الخصم: ألا ترى ما به؟ قال: قد أراه. قال: فسأل القوم، فأثنوا عليه خيرا، فقال شريح: نجيز شهادة كل صاحب حد، إذا كان يوم شهد عدلا إلا القاذف، فإن توبته فيما بينه وبين ربه.

< 19-106 >

حدثنا أبو السائب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا أشعث، عن الشعبي، قال: جاء خصمان إلى شريح، فجاء أحدهما بيينة، فجاء بشاهد أقطع، فقال الخصم: ألا ترى إلى ما به؟ فقال شريح: قد رأيتاه، وقد سألتنا القوم فأثنوا خيرا، ثم ذكر سائر الحديث، نحو حديث أبي كريب.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا الشيباني، عن الشعبي، عن شريح أنه كان يقول: لا تقبل له شهادة أبدا، توبته فيما بينه وبين ربه، يعني القاذف.

قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا الأشعث، عن الشعبي، بأن ربابا قطع رجلا في قطع الطريق، قال: فقطع يده ورجله. قال: ثم تاب وأصلح، فشهد عند شريح، فأجاز شهادته، قال: فقال المشهود عليه: أتجيز شهادته علي وهو أقطع؟ قال: فقال شريح: كل صاحب حد إذا أقيم عليه ثم تاب وأصلح؛ فشهادته جائزة إلا القاذف.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا أبو الوليد، قال: ثنا شعبة، قال: أخبرني المغيرة، قال: سمعت إبراهيم يحدث عن شريح، قال: قضاء من الله لا تقبل شهادته أبدا، توبته فيما بينه وبين ربه، قال أبو موسى: يعني القاذف.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم، قال: قال شريح: لا يقبل الله شهادته أبدا.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا أبو الوليد، قال: ثنا حماد، عن قتادة، عن سعيد ابن المسيب، قال: لا تجوز شهادة القاذف، توبته فيما بينه وبين الله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، أنه قال: القاذف توبته فيما بينه وبين الله، وشهادته لا تُقبل.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا أبو الوليد، قال: ثنا حماد، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، قال: لا تجوز شهادة القاذف، توبته فيما بينه وبين الله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، أنه قال: القاذف توبته فيما بينه وبين الله، وشهادته لا تُقبل.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، عن إبراهيم أنه قال في الرجل يجلد الحدّ، قال: لا تجوز شهادته أبدا.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم: أنه كان لا يقبل < 107-19 > له شهادة أبدا، وتوبته فيما بينه وبين الله، يعني القاذف.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا معتمر بن سليمان، عن حجاج، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: " لا تجوز شهادة مَحْدُودٍ فِي الْإِسْلَامِ".

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن: وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا قال: كان يقول: لا تقبل شهادة القاذف أبدا، إنما توبته فيما بينه وبين الله. وكان شريح يقول: لا تقبل شهادته.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ثم قال: فمن تاب وأصلح فشهادته في كتاب الله تقبل.

والصواب من القول في ذلك عندنا: أن الاستثناء من المعنيين جميعا، أعني من قوله: وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ومن قوله: وَأُولَئِكَ هُمُ الْقَاسِيُونَ وذلك أنه لا خلاف بين الجميع أن ذلك كذلك، إذا لم يحدّ في القذف حتى تاب، إما بأن يرفع إلى السلطان بعفو المقدوفة عنه، وإما بأن ماتت قبل المطالبة بحدّها، ولم يكن لها طالب يطلب بحدّها، فإذا كان ذلك كذلك وحدث منه توبة صحت له بها العدالة.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فإذ كان من الجميع إجماعاً، ولم يكن الله تعالى ذكره شرط في كتابه أن لا تقبل شهادته أبداً بعد الحدّ في رميه، بل نهى عن قبول شهادته في الحال التي أوجب عليه فيها الحدّ، وسماه فيها فاسقاً، كان معلوماً بذلك أنّ إقامة الحدّ عليه في رميه، لا تحدث في شهادته مع التوبة من ذنبه، ما لم يكن حادثاً فيها قبل إقامته عليه، بل توبته بعد إقامة الحدّ عليه من ذنبه أخرى أن تكون شهادته معها أجوز منها قبل إقامته عليه؛ لأن الحدّ يزيد المحدود عليه تطهيراً من جرمه الذي استحقّ عليه الحدّ.

فإن قال قائل: فهل يجوز أن يكون الاستثناء من قوله: فَاجْلِدُوهُمْ تَمَائِينَ جَلْدَةً فتكون التوبة مسقطاً عنه الحد، كما كانت لشهادته عندك قبل الحد وبعده مجيزة، ولاسم الفسق عنه مزيلة؟ قيل: ذلك غير جائز عندنا، وذلك أن الحدّ حقّ عندنا للمقدوفة، كالقصاص الذي يجب لها من جنابة يجنيها عليها مما فيه القصاص، ولا خلاف بين الجميع أن توبته من ذلك لا ترضع عنه الواجب لها من القصاص منه، فكذلك توبته من القذف لا ترضع عنه الواجب لها من الحدّ، لأن ذلك حقّ لها، إن شاءت عفته، < 108-19 > وإن شاءت طالبت به، فتوبة العبد من ذنبه إنما ترضع عن العبد الأسماء الذميمة، والصفات القبيحة، فأما حقوق الأدميين التي أوجبها الله لبعضهم على بعض في كل الأحوال فلا تزول بها ولا تبطل.

واختلف أهل العلم في صفة توبة القاذف التي تقبل معها شهادته، فقال بعضهم: هو إكذابه نفسه فيه. وقد ذكرنا بعض قائلتي ذلك فيما مضى قبل، ونحن نذكر بعض ما حضرنا ذكره مما لم نذكره قبل.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا حفص، عن ليث، عن طاووس، قال: توبة القاذف أن يكذب نفسه.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، قال: رأيت رجلاً ضرب حدّاً في قذف بالمدينة، فلما فرغ من ضربه تناول توبه، ثم قال: أستغفر الله وأتوب إليه من قذف المحصنات، قال: فلقيت أبا الزناد، فذكرت ذلك له، قال: فقال: إن الأمر عندنا هاهنا أنه إذا قال ذلك حين يفرغ من ضربه، ولم نعلم منه إلا خيراً فُبلت شهادته.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْقَاسِقُونَ \* إلا الَّذِينَ تَابُوا ... الآية، قال: من اعترف وأقرّ على نفسه علانية أنه قال البهتان، وتاب إلى الله توبة نصوحاً، والنصوح: أن لا يعودوا، وإقراره واعترافه عند الحدّ حين يؤخذ بالجلد، فقد تاب، والله غفور رحيم.

وقال آخرون: توبته من ذلك صلاح حاله، وندمه على ما فرط منه من ذلك، والاستغفار منه، وتركه العود في مثل ذلك من الجرم، وذلك قول جماعة من التابعين وغيرهم، وقد ذكرنا بعض قائلته فيما مضى، وهو قول مالك بن أنس.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وهذا القول أولى القولين في ذلك بالصواب؛ لأن الله تعالى ذكره جعل توبة كل ذي ذنب من أهل الإيمان تركه العود منه، والندم على ما سلف منه، واستغفار ربه منه، فيما كان من ذنب بين العبد وبينه، دون ما كان من حقوق عباده ومظالمهم بينهم، والقاذف إذا أقيم عليه فيه الحدّ، أو عُفي عنه، فلم يبق عليه إلا توبته من جرمة بينه وبين ربه، < 109-19 > فسبيل توبته منه سبيل توبته من سائر أجرامه، فإذا كان الصحيح في ذلك من القول ما وصفنا، فتأويل الكلام: وأولئك هم الفاسقون، إلا الذين تابوا من جرمهم الذي اجترموه بقذفهم المحصنات من بعد اجترامهموه ( فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ) يقول: سائر على ذنوبهم بعفوه لهم عنها، رحيم بهم بعد التوبة أن يعذبهم عليها، فاقبلوا شهادتهم ولا تسموهم فسقة، بل سموهم بأسمائهم التي هي لهم في حال توبتهم.

القول في تأويل قوله تعالى: وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَرْوَاحَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (6) وَالْحَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (7)

يقول تعالى ذكره: ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ ) من الرجال ( أَرْوَاحَهُمْ ) بالفاحشة، فيقذفونها بالزنا، ( وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ ) يشهدون لهم بصحة ما رموهن به من الفاحشة، ( فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ) .

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة: " أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ " نصباً، ولنصيبهم ذلك وجهان: أحدهما: أن تكون الشهادة في قوله: ( فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ ) مرفوعة بمضمر قبلها، وتكون " الأربع " منصوباً بمعنى الشهادة، فيكون تأويل الكلام حينئذ: فعلى أحدهم أن يشهد أربع شهادات بالله. والوجه الثاني: أن تكون الشهادة مرفوعة بقوله: ( إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ) و " الأربع " منصوبة بوقوع الشهادة عليها، كما يقال: شهادتي ألف مرة إنك لرجل سؤء، وذلك أن العرب ترفع الإيمان بأجوبتها، فتقول: حلف صادق لأقومن، وشهادة عمرو ليقعدن. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين: ( أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ ) برفع " الأربع "، ويجعلونها للشهادة مرافعة، وكأنهم وجهوا تأويل الكلام: فالذي يلزم من الشهادة، أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين.

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ: " فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ " بنصب أربع، بوقوع " الشهادة " عليها، و " الشهادة " مرفوعة حينئذ على ما وصفت من الوجهين قبل. وأحب وجهيهما إليّ أن تكون به مرفوعة بالجواب، وذلك قوله: ( إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ) وذلك أن معنى الكلام: ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَرْوَاحَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ) تقوم مقام الشهداء الأربعة في دفع الحدّ عنه. فترك ذكر: تقوم مقام الشهداء الأربعة، اكتفاء بمعرفة السامعين بما ذكر من الكلام، فصار مرافع " الشهادة " ما وصفت.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وبعني بقوله: ( فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ) : فحلف أحدهم أربع أيمان بالله، من قول القائل: أشهد بالله إنه لمن الصادقين فيما يرمى زوجته به من الفاحشة. (وَالْحَامِسَةُ) يقول: والشهادة الخامسة، ( أَنْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ ) يقول: إن لعنة الله له واجبة وعليه حالة، إن كان فيما رماها به من الفاحشة من الكاذبين.

وينحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالت به جماعة من أهل التأويل.

ذكر الرواية بذلك، وذكر السبب الذي فيه أنزلت هذه الآية:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عُلَيَّة، قال: ثنا أيوب، عن عكرمة، قال: لما نزلتِ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً قال سعد بن عباد: الله إن أنا رأيت لكاع متفخذا رجل فقلت بما رأيت إن في ظهري ثمانين إلى ما أجمع أربعة قد ذهب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى مَا يَقُولُ سَيِّدُكُمْ؟ ". قالوا: يا رسول الله لا تلمه، وذكروا من غيرته، فما تزوج امرأة قط إلا بكرا، ولا طلق امرأة قط فرجع فيها أحد منا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي إِلَّا ذَاكَ " فقال: صدق الله ورسوله . قال : فلم يلبثوا أن جاء ابن عم له فرمى امرأته ، فشق ذلك على المسلمين، فقال: لا والله، لا يجعل في ظهري ثمانين أبدا، لقد نظرت حتى أيقنت، ولقد استسمعت حتى استشفيت، قال: فأنزل الله القرآن باللعان، ف قيل له: احلف! فحلف، قال: قفوه عند الخامسة، فإنها موجبة، فقال: لا يدخله الله النار بهذا أبدا، كما درأ عنه جلد ثمانين، لقد نظرت حتى أيقنت، ولقد استسمعت حتى استشفيت فحلف، ثم قيل: احلفي، فحلفت، ثم قال: قفوها عند الخامسة، فإنها موجبة، ف قيل لها: إنها موجبة، فتلكأت ساعة، ثم قالت: لا أخزي قومي، فحلفت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِنْ جَاءَتْ بِهِ كَذًا وَكَذَا فَهَوَ لِرَوْجِهَا، وَإِنْ جَاءَتْ بِهِ كَذًا وَكَذَا فَهَوَ لِلَّذِي قِيلَ فِيهِ مَا قِيلَ، قَالَ: فجاءت به غلاما كأنه جمل أورق، فكان بعد أميرا بمصر لا يُعرف نسبه، أو لا يُدْرَى من أبوه ".

< 19-111 >

حدثنا خلاد بن أسلم، قال: أخبرنا النضر بن شميل، قال: أخبرنا عباد، قال: سمعت عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية: وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْقَاسِيُونَ قال سعد بن عباد: لهكذا أنزلت يا رسول الله؟ لو أتيت لكاع قد تفخذا رجل لم يكن لي أن أهيجه ولا أحركه حتى أتى بأربعة شهداء، فوالله ما كنت لأتبي بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَمَا تَسْمَعُونَ إِلَى مَا يَقُولُ سَيِّدُكُمْ؟ " قالوا: لا تلمه فإنه رجل عيُور، ما تزوج فينا قط إلا عذراء

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ولا طلق امرأة له فاجترأ رجل منا أن يتزوَّجها؛ قال سعد: يا رسول الله،  
بأبي وأمي، والله إني لأعرف أنها من الله، وأنها حقٌّ، ولكن عجبت لو وجدت  
لكاع، قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه ولا أحرکه حتى آتي بأربعة  
شهداء، والله لا آتي بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته، فوالله ما لبثوا إلا  
يسيرا حتى جاء هلال بن أمية من حديقة له فرأى بعينه، وسمع بأذنيه،  
فأمسك حتى أصبح، فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم،  
وهو جالس مع أصحابه، فقال: يا رسول الله إني جئت أهلي عشاء، فوجدت  
رجلا مع أهلي، رأيت بعيني وسمعت بأذني، فكره رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ما أتاه به وثقل عليه جدا، حتى عُرف ذلك في وجهه، فقال هلال:  
والله يا رسول الله إني لأرى الكراهة في وجهك مما أتيتك به، والله يعلم  
أنبي صادق، وما قلت إلا حقا، فإني لأرجو أن يجعل الله فرجا، قال: واجتمعت  
الأنصار، فقالوا: ابتلينا بما قال سعد، أيجلد هلال بن أمية، وتبطل شهادته في  
المسلمين؟ فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه، فإنه لكذلك يريد  
أن يأمر بضربه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع أصحابه، إذ  
نزل عليه الوحي، فأمسك أصحابه عن كلامه حين عرفوا أن الوحي قد نزل  
حتى فرغ، فأنزل الله: ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا  
أَنْفُسُهُمْ )... إلى: أَنْ عَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ فقال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم: " أُنشِرْ يا هلالُ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ فَرَجًا " فقال:  
قد كنت أرجو ذلك من الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أُرْسِلُوا  
إليها! " فجاءت، فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لها،  
فكذبت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا  
كاذب، فَهَلْ مِنْكُمْ تَائِبٌ؟ " فقال هلال: < 112-19 > يا رسول الله، بأبي  
وأمي لقد صدقتُ، وما قلت إلا حقا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:  
" لَاعْتُوا بَيْنَهُمَا! " قيل لهلال: يا هلال اشهد، فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن  
الصادقين، فقيل له عند الخامسة: يا هلال اتق الله، فإن عذاب الله أشدُّ من  
عذاب الناس، إنها الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال هلال: والله لا  
يعذبني الله عليها، كما لم يجلدني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم،  
فشهد الخامسة: ( أَنْ لَعَنَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ) ثم قيل لها:  
اشهدي، فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين، فقيل لها عند  
الخامسة: اتقي الله، فإن عذاب الله أشدُّ من عذاب الناس، وإن هذه الموجبة  
التي توجب عليك العذاب، فتلكأت ساعة، ثم قالت: والله لا أفصح قومي،  
فشهدت الخامسة: أَنْ عَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ففرَّق بينهما  
رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقضى أن الولد لها، ولا يُدعى لأب، ولا  
يُرمى ولدها.

حدثني أحمد بن محمد الطوسي، قال: ثنا أبو أحمد الحسين بن محمد، قال:  
ثنا جرير بن حازم، عن أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: " لما قذف  
هلال بن أمية امرأته، قيل له: والله ليجلدنك رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ثمانين جلدة، قال: الله أعدل من ذلك أن يضربني ضربة وقد علم أنني قد  
رأيت حتى استيقنت، وسمعت حتى استثبتت، لا والله لا يضربني أبدا، فنزلت

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

آية الملائكة، فدعا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت الآية، فقال: " الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب؟ فقال هلال: والله إني لصادق. فقال له: " احلف بالله الذي لا إله إلا هو: إني لصادق " يقول ذلك أربع مرّات فإن كنتُ كاذباً فعليّ لعنة الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " قُفُوهُ عِنْدَ الْخَامِسَةِ، فَإِنَّهَا مُوجِبَةٌ " ، فحلف، ثم قالت أربعا: والله الذي لا إله إلا هو إنه لمن الكاذبين، فإن كان صادقا فعليها غضب الله، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " قُفُوها عِنْدَ الْخَامِسَةِ، فَإِنَّهَا مُوجِبَةٌ " ، فتردّدت وهمت بالاعتراف، ثم قالت: لا أفصح قومي.

حدثنا أبو كريب وأبو هشام الرفاعي، قالا ثنا عبدة، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: كنا ليلة الجمعة في المسجد، فدخل رجل فقال: لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا فقتله قتلتموه، وإن تكلم جلدتموه، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله آية اللعان، ثم جاء الرجل بعد، فقذف امرأته، فلاعن < 113-19 > رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما، فقال: " عَسَى أَنْ تَجِيءَ بِهِ أَسْوَدَ جَعْدًا، فَجاءت به أسود جعدا " .

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير بن عبد الحميد، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن سعيد بن جبيرة قال: سألت ابن عمر، فقلت: يا أبا عبد الرحمن، أيفرق بين المتلاعنين؟ فقال: نعم، سبحان الله، إن أول من سأل عن ذلك فلان، أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله، فقال: رأيت لو أن أحدا رأى صاحبه على فاحشة، كيف يصنع؟ فلم يجبه في ذلك شيئا، قال: فاتاه بعد ذلك فقال: إن الذي سألت عنه قد ابتليت به، فأنزل الله هذه الآية في سورة النور، فدعا الرجل فوعظه وذكره، وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، قال: والذي بعثك بالحق، لقد رأيت وما كذبتُ عليها، قال: ودعا المرأة فوعظها، وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فقالت: والذي بعثك بالحق إنه لكاذب، وما رأيت شيئا؛ قال: فبدأ الرجل، فشهد أربع شهادات بالله: إنه لمن الصادقين، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين؛ ثم إن المرأة شهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين، والخامسة أن عَصَبَ الله عليها إن كان من الصادقين وفرق بينهما.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن داود، عن عامر، قال: لما أنزل: وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً قال عاصم بن عدي: إن أنا رأيت فتكلمت جلدت ثمانين، وإن أنا سكت سكت على الغيظ، قال: فكان ذلك شقاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فأنزلت هذه الآية: ( وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ ) قال: فما لبثوا إلا جمعة، حتى كان بين رجل من قومه وبين امرأته، فلاعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما.

حدثني علي، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ( وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ )... الآية،

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

والخامسة: أن يقال له: إن عليك لعنة الله إن كنت من الكاذبين. وإن أقرت المرأة بقوله رُجمت، وإن أنكرت شهدت أربع شهادات بالله: إنه لمن الكاذبين، والخامسة أن يقال لها: غضب الله عليك إن كان من الصادقين، فيدراً عنها العذاب، ويفرق بينهما، فلا يجتمعان أبداً، ويُلحق الولد بأمه.

< 19-114 >

حدثنا القايم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، عن عكرمة، قوله: ( وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ ) قال: هلال بن أمية: والذي رميت به شريك بن سحماء، والذي استفتى عاصم بن عديّ.

قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، قال: أخبرني الزهريّ عن الملاعنة والسنة فيها، عن حديث سهل بن سعد أن رجلاً من الأنصار جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال: رأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أيقّله فتقتلونه؟ أم كيف يفعل؟ فأنزل الله في شأنه ما ذكر من أمر المتلاعنين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " قَدْ قَضَى اللَّهُ فِيكَ وَفِي امْرَأَتِكَ، فتلاعنا وأنا شاهد " ثم فارقها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت السنة بعدها أن يفرّق بين المتلاعنين، وكانت حاملاً، فأنكره، فكان ابنها يُدعى إلى أمه، ثم جرت السنة أن ابنها يرثها، وترث ما فرض الله لها.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ( وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ )... إلى قوله: ( إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ) قال: إذا شهد الرجل خمس شهادات، فقد برئ كل واحد من الآخر، وعِدَّتْهَا إن كانت حاملاً أن تضع حملها، ولا يجلد واحد منهما، وإن لم تحلف أقيم عليها الحدّ والرجم.

القول في تأويل قوله تعالى: ( وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (8) وَالْحَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (9) )

يعني جلّ ذكره بقوله: ( وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ ) : ويدفع عنها الحدّ.

واختلف أهل العلم في العذاب الذي عناه الله في هذا الموضع أنه يدرؤه عنها شهاداتها الأربع، فقال بعضهم: بنحو الذي قلنا في ذلك، من أن الحدّ جلد مئة إن كانت بكراً، أو الرجم إن كانت ثيباً قد أحصنت.

وقال آخرون: بل ذلك الحبس، وقالوا: الذي يجب عليها إن هي لم تشهد الشهادات الأربع بعد شهادات الزوج الأربع، والتعانه: الحبس دون الحدّ.

وإنما قلنا: الواجب عليها إذا هي امتنعت من الالتعان بعد التعان الزوج الحدّ الذي < 115-19 > وصفنا، قياساً على إجماع الجميع على أن الحدّ إذا زال عن الزوج بالشهادات الأربع على تصديقه فيما رماها به، أن الحدّ عليها

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

واجب، فجعل الله أيمانه الأربع، والتعانه في الخامسة مخرجا له من الحدّ الذي يجب لها برميها إياها، كما جعل الشهداء الأربعة مخرجا له منه في ذلك وزائلا به عنه الحدّ، فكذلك الواجب أن يكون بزوال الحدّ عنه بذلك واجبا عليها حدّها، كما كان بزواله عنه بالشهود واجبا عليها، لا فرق بين ذلك، وقد استقصينا العلل في ذلك في باب اللعان من كتابنا المسمى [لطيف القول في شرائع الإسلام]، فأغنى عن إعادته في هذا الموضوع.

وقوله: ( أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ) يقول: ويدفع عنها العذاب أن تحلف بالله أربع أيمان: أن زوجها الذي رماها بما رماها به من الفاحشة، لمن الكاذبين فيما رماها من الزنا، وقوله: ( وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا )... الآية، يقول: والشهادة الخامسة: أن غضب الله عليها إن كان زوجها فيما رماها به من الزنا من الصادقين. ورفع قوله: ( وَالْخَامِسَةَ ) في كلتا الآيتين، بأن التي تليها.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (10)

يقول تعالى ذكره: ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته بكم، وأنه عوّاد على خلقه بلطفه وطوله، حكيم في تدبيره إياهم، وسياسته لهم، لعاجلكم بالعقوبة على معاصيكم وفضح أهل الذنوب منكم بذنوبهم، ولكنه ستر عليكم ذنوبكم وترك فضيحتكم بها عاجلا رحمة منه بكم، وتفصلا عليكم، فاشكروا نعمه وانتهوا عن التقدّم عما عنه نهاكم من معاصيه، وترك الجواب في ذلك، اكتفاء بمعرفة السامع المراد منه.

الهوامش:

(1) كذا جاءت هذه الكلمة في الأصول . ولعل أصلها : القلقيات ، نسبة إلى القلق ، وهو ضرب من القلائد المنطومة باللؤلؤ ، كن يلبسه يستهوين به الرجال . أو نسبة إلى القلق ، لكثرة اضطرابهن وتحركهن . ( انظر التاج : قلق )

القول في تأويل قوله تعالى : إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (11)

يقول تعالى ذكره: إن الذين جاءوا بالكذب والبهتان ( عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ) يقول: جماعة منكم أيها الناس. ( لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ) يقول: لا تظنوا ما جاءوا به من الإفك شرّا لكم عند الله وعند الناس، بل ذلك خير لكم عنده وعند < 116-19 > المؤمنين، وذلك أن الله يجعل ذلك كفارة للمرمي به ويظهر براءته مما رمي به، ويجعل له منه مخرجا. وقيل: إن الذي

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

عنى الله بقوله: ( إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ) : جماعة، منهم حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاة، وحمنة بنت جحش. كما حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا أبان العطار، قال: ثنا هشام بن عروة، عن عروة: أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان: كتبت إليّ تسألني في الذين جاءوا بالإفك، وهم كما قال الله: ( إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ) وأنه لم يسمّ منهم أحد إلا حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاة، وحمنة بنت جحش، وهو يقال في آخرين لا علم لي بهم؛ غير أنهم عصبة كما قال الله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ( جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ) هم أصحاب عائشة، قال ابن جريج: قال ابن عباس: قوله: ( جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ )... الآية، الذين افتروا على عائشة: عبد الله بن أبيّ، وهو الذي تولى كبره، وحسان بن ثابت، ومسطح، وحمنة بنت جحش.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ( الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ) الذين قالوا لعائشة الإفك والبهتان.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ) لا تحسبوه سراً لكم بل هو خير لكم ) قال: الشر لكم بالإفك الذي قالوا، الذي تكلموا به، كان سراً لهم، وكان فيهم من لم يقله، إنما سمعه، فعاتبهم الله، فقال أول شيء: ( إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ) لا تحسبوه سراً لكم بل هو خير لكم ) ثم قال: ( وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ).

وقوله: ( لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ) يقول: لكل امرئ من الذين جاءوا بالإفك جزاء ما اجترم من الإثم، بمجيئه بما جاء به، من الأولى عبد الله.

وقوله: ( وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ ) يقول: والذي تحمل معظم ذلك الإثم والإفك منهم هو الذي بدأ بالخوض فيه.

كما حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ( وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ ) يقول: الذي بدأ بذلك.

< 19-117 >

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ) قال: أصحاب عائشة عبد الله بن أبيّ ابن سلول، ومسطح، وحسان.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: له من الله عذاب عظيم يوم القيامة.

وقد اختلفت القراء في قراءة قوله: ( كِبْرُهُ ) فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار: ( كِبْرُهُ ) بكسر الكاف، سوى حميد الأعرج، فإنه كان يقرؤه " كُبْرُهُ " بمعنى: والذي تحمل أكبره.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب: القراءة التي عليها عوام القراء، وهي كسر الكاف، لإجماع الحجة من القراء عليها، وأن الكبر بالكسر: مصدر الكبير من الأمور، وأن الكبر بضم الكاف إنما هو من الولاء والنسب من قولهم: هو كبير قومه، والكبر في هذا الموضع: هو ما وصفناه من معظم الإثم والإفك. فإذا كان ذلك كذلك، فالكسر في كاهه هو الكلام الفصيح دون ضمها، وإن كان لضمها وجه مفهوم.

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: ( وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ ) الآية، فقال بعضهم: هو حسان بن ثابت.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن قزعة، قال: ثنا مسلمة بن علقمة، قال: ثنا داود، عن عامر، أن عائشة قالت: ما سمعت بشيء أحسن من شعر حسان، وما تمثلت به إلا رجوت له الجنة، قوله لأبي سفيان:

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ

وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ

فإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي

لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ

أَتَشْتُمُّهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفٍّ

فَشَرُّكُمْ لِخَيْرِكُمْمَا الْفِدَاءُ

لساني صارم لا عيب فيه

وبخري لا تُكدره الدلاء (1)



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ف قيل: يا أم المؤمنين، أليس هذا لغوا؟ قالت: لا إنما اللغو ما قيل عند النساء. قيل: أليس الله يقول: ( وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) قالت: أليس قد أصابه عذاب عظيم، أليس قد ذهب بصره، وكُفِعَ بالسيف (2) .

قال: ثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: كنت عند عائشة، فدخل حسان بن ثابت، فأمرت، فألقي له وسادة؛ فلما خرج قلت لعائشة: ما تصنعين بهذا، وقد قال الله ما قال؟ فقالت: قال الله: ( وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) وقد ذهب بصره، ولعل الله يجعل ذلك العذاب العظيم: ذهاب بصره.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن أبي عدي، عن شعبة، عن سليمان، عن أبي الضحى، عن مسروق، قال: دخل حسان بن ثابت على عائشة، فشبب بآيات له، فقال:

وتصبح عَزَّتِي مِنْ لُحُومِ الْعَوَافِلِ (3)

فقالت عائشة: أما إنك لست كذلك، فقلت: تدعين هذا الرجل يدخل عليك، وقد أنزل الله فيه: ( وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ ) الآية؟ فقالت: وأي عذاب أشد من العمى، وقالت: إنه كان يدفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حدثني محمد بن عثمان الواسطي، قال: ثنا جعفر بن عون، عن المُعَلَّى بن عرفان، عن محمد بن عبد الله بن جحش، قال: تفاخرت عائشة وزينب، قال: < 119-19 > فقالت زينب: أنا التي نزل تزويجي من السماء قال: وقالت عائشة: أنا التي نزل عذري في كتابه حين حملني ابن المعطل على الراحلة، فقالت لها زينب: يا عائشة، ما قلت حين ركبتيها، قالت: قلت: حسبي الله ونعم الوكيل، قالت: قلت كلمة المؤمنين.

وقال آخرون: هو عبد الله بن أبي سلول.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: كان الذين تكلموا فيه: المنافق عبد الله بن أبي سلول، وكان يستوشيه ويجمعه، وهو الذي تولى كبره، ومسطح، وحسان بن ثابت.

حدثنا سفيان، قال: ثنا محمد بن بشر، قال: ثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، عن علقمة بن وقاص وغيره أيضا، قالوا: قالت عائشة: كان الذي تولى كبره: الذي يجمعهم في بيته، عبد الله بن أبي ابن سلول.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن ابن شهاب، قال: ثني عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وعلقمة بن وقاص، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة، قالت: كان الذي تولى كبره: عبد الله بن أبي.

حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: ( إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا ) الآية، الذين افتروا على عائشة: عبد الله بن أبي، وهو الذي تولى كبره، وحسان، ومسطح، وحمنة بنت جحش.

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا أبان العطار، قال: ثنا هشام بن عروة في الذين جاءوا بالإفك، يزعمون أنه كان كِبْرُ ذلك عبد الله بن أبي ابن سلول، أحد بني عوف بن الخزرج، وأخبرت أنه كان يحدث به عنهم، فيقره ويسمعه ويستوشيه.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: أما الذي تولى كبره منهم، فعبد الله بن أبي ابن سلول الخبيث، هو الذي ابتدأ هذا الكلام، وقال: امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت، ثم جاء يقود بها.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، < 120-19 > قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: والذي تولى كبره هو عبد الله بن أبي ابن سلول، وهو بدأه.

وأولى القولين في ذلك بالصواب: قول من قال: الذي تولى كبره من عصبة الإفك، كان عبد الله بن أبي، وذلك أنه لا خلاف بين أهل العلم بالسير، أن الذي بدأ بذكر الإفك، وكان يجمع أهله ويحدثهم، عبد الله بن أبي ابن سلول، وفعله ذلك على ما وصفت كان توليه كبر ذلك الأمر.

وكان سبب مجيء أهل الإفك، ما حدثنا به ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب، ثني عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وعلقمة بن وقاص، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن حديث عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله، وكلهم حدثني طائفة من حديثها، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض، وأثبت اقتصاصا، وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة، وبعض حديثهم يصدق بعضا:

زعموا أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها. قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزاة غزاها، فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك بعد ما أنزل الحجاب، وأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه فسرنا، حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وسلم من غزوه وقفل إلى المدينة، آذن ليلة بالرحيل، فقامت حين آذنا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأنني، أقبلت إلى الرحل، فلمست صدري، فإذا عقد لي من جَزَع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي، فحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي، فاحتملوا هودجي، فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب، وهم يحسبون أنني فيه، قالت: وكانت النساء إذ ذاك خفافاً لم يُهَبِّلَهُنَّ ولم يَعْسَهِنَّ اللحم، إنما يأكلن العُلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعد ما استمرَّ الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب، فتيممت منزلي الذي كنت فيه، وظننت أن القوم سيفقدوني ويرجعون إليّ، فيينا أنا جالسة في منزلي، غلبتني عيني، < 121-19 > فنمت حتى أصبحت. وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش، فأدلى فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني، فعرفني حين رأني، وكان يراني قبل أن يضرب الحجاب عليّ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، والله ما تكلمت بكلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته، فوطئ على يديها، فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة، حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك في شأنني، وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي ابن سلول، فقدمنا المدينة، فاشتكيت شهراً، والناس يفيضون في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك، وهو يرينني في وجعي أنني لا أعرف من رسول الله اللطيف الذي كنت أرى منه حين أشتكى، إنما يدخل فيسلم ثم يقول: " كيف تيكم؟ " فذلك يرينني، ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نقهت، فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع، وهو متبرّزنا، ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه (4) وكنا تتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، فانطلقت أنا وأم مسطح، وهي ابنة أبي رهم بن عبد المطلب بن عبد مناف، وأمها ابنة صخر بن عامر، خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب، فأقبلت أنا وابنة أبي رهم قبل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت! أتسبين رجلاً قد شهد بدراً؟ فقالت: أي هنتاه، أولم تسمعي ما قال؟ قلت: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً على مرضي، فلما رجعت إلى منزلي، ودخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: " كيف تيكم؟ " فقلت: أتأذن لي أن أتى أبوي؟ قال: " نعم "، قالت: وأنا (5) حينئذ أريد أن أستثبت الخبر من قِبَلهما، فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجئت أبوي، فقلت لأمي: أي أمته، ماذا يتحدث الناس؟ فقالت: أي بنية، هوّني عليك، فوالله < 122-19 > لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر، إلا أكثرن عليها. قالت: قلت: سبحان الله، أو قد تحدّث الناس بهذا وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: نعم، فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت، فدخل عليّ أبو بكر وأنا أبكي، فقال لأمي: ما يبكيها؟ قالت: لم تكن علمت ما قيل لها، فأكبّ يبكي، فبكى ساعة، ثم قال: اسكتي يا بنية، فبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم بكيت ليلي المقبل لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

بنوم، ثم بكيت ليلتي المقبلة، لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، حتى ظن أبوي أن البكاء سيفلق كبدي.

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد، حين استلبت الوحي، يستشيرهما في فراق أهله قالت: فأما أسامة، فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي في نفسه من الود فقال: يا رسول الله، هم أهلك، ولا نعلم إلا خيرا. وأما علي فقال: لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك، يعني: بريرة، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة، فقال: "هَلْ رَأَيْتَ مِنْ شَيْءٍ يَرِيْبُكَ مِنْ عَائِشَةَ؟" قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق، ما رأيت عليها أمرا قط أغمصه عليها، أكثر من أنها حديثة السن، تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله، فقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهل، ثم قال: "مَنْ يَعْذُرُنِي مِمَّنْ قَدْ بَلَغَنِي آدَاهُ فِي أَهْلِي؟" يعني عبد الله بن أبي سلول، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر أيضا: "يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي آدَاهُ فِي أَهْلِي؟ قَوْلَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي" فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: أنا أعذرک منه يا رسول الله، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرک؛ فقام سعد بن عبادة، فقال، وهو سيد الخزرج، وكان رجلا صالحا، ولكن احتملته الحمية، فقال: أي سعد بن معاذ لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بن حضير، وهو ابن عمه سعد بن معاذ، فقال لسعد بن عبادة: كذبت، لعمر الله لنقتلنه، فإنک منافق تجادل عن المنافقين، فثار الحيان الأوس والخزرج، حتى هموا أن يقتلوا، ورسول الله < 123-19 > صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا، ثم أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في بيت أبوي، فبينا هما جالسان عندي وأنا أبكي، استأذنت علي امرأة من الأنصار، فأذنت لها، فجلست تبكي معي؛ قالت: فبينا نحن على ذلك، دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جلس عندي، ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل، وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني بشيء، قالت: فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس، ثم قال: "أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ كَدًا وَكَدًا، فَإِنْ كُنْتَ بَرِيئَةً فَسَيِّرُوكَ اللهُ، وَإِنْ كُنْتَ أَلَمَّتْ بِدَنْبٍ، فَاسْتَعْفِرِي اللهُ، وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِدَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ". فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته، قلص دمعي، حتى ما أحسن منه دمعة، قلت لأبي: أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت لأمي: أجيبني عني رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن: إني والله قد عرفت أن قد سمعتم بهذا، حتى استقر في أنفسكم، حتى كدتم أن تصدقوا به، فإن قلت لكم: إني بريئة والله يعلم أنني بريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بامر، والله يعلم أنني بريئة لتصدقني، وإني والله ما

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أجد لي ولكم مثلا إلا كما قال أبو يوسف (6) فَصَبَّرَ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ثم توليت واضطجعت على فراشي، وأنا والله أعلم أنني بريئة، وأن الله سيبرئني ببراءتي، ولكني والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يُتلى، ولشأنني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يُتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام رؤيا يبرئني الله بها، قالت: والله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه، ولا خرج من البيت أحد حتى أنزل الله على نبيه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي، حتى إنه ليتحدّر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشتاتي، من ثقل القول الذي أنزل عليه، قالت: فلما سُرِّي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك، كان أول كلمة تكلم بها > 124-19 < أن قال: " أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَرَّأكَ! " فقالت لي أُمِّي، قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله، هو الذي أنزل براءتي. فأنزل الله: ( إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ) عشر آيات، فأنزل هذه الآيات براءة لي. قالت: فقال أبو بكر، وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره: والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة، قالت: فأنزل الله: وَلَا يَأْتِلْ أَوْلُو الْفُصْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ حَتَّى بَلَغَ: عَفْوُ رَجِيمٌ فقال أبو بكر: إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: لا أنزعها منه أبدا.

قالت عائشة: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش عن أمري، وما رأيت، وما سمعت، فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، والله ما رأيت إلا خيرا، قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني، فعصمها الله بالورع، وطفقت أختها حمنة تحارب، فهلكت فيمن هلك.

قال الزهري بن شهاب: هذا الذي انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الزهري، وعن علقمة بن وقاص الليثي، عن سعيد بن المسيب، وعن عروة بن الزبير، وعن عبيد الله بن عتبة بن مسعود، قال الزهري: كلُّ قد حدثني بعض هذا الحديث، وبعض القوم كان له أوعى من بعض. قال: وقد جمعت لك كل الذي قد حدثني.

وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة؛ قال: وثني محمد بن إسحاق، قال: ثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عائشة قال: وثني عبد الله بن بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة قالت: وكل قد اجتمع في حديثه قصة خبر عائشة عن نفسها، حين قال أهل الإفك فيها ما قالوا، وكله قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعا، ويحدث بعضهم ما لم يحدث بعض، وكل كان عنها ثقة، وكل قد حدث عنها ما سمع.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه، فأيتها خرج سهمها خرج بها معه، فلما كانت غزاة بني المصطلق، أقرع بين نسائه، كما كان يصنع، فخرج سهمي عليهن، فخرج بي رسول الله صلى الله عليه وسلم معه، قالت: وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق، لم يهيجهن اللحم فيثقلن؛ < 125-19 > قالت: وكنت إذا رحل بعيري جلسيت في هودجي، ثم يأتي القوم الذين يرحلون بي بعيري ويحملوني، فيأخذون بأسفل الهودج يرفعونه فيضعونه على ظهر البعير، فينطلقون به؛ قالت: فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك، وجه قافلا حتى إذا كان قريبا من المدينة، نزل منزلا فبات بعض الليل، ثم أذن في الناس بالرحيل. فلما ارتحل الناس، خرجت لبعض حاجتي وفي عنقي عقد لي من جزع طقار، فلما فرغت انسلت من عنقي وما أدري؛ فلما رجعت إلى الرحل ذهبت أتمسه في عنقي فلم أجده، وقد أخذ الناس في الرحيل، قالت: فرجعت عودي إلى بدئي، إلى المكان الذي ذهبت إليه، فالتمسته حتى وجدته، وجاء القوم خلافي الذين كانوا يرحلون بي البعير.

ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الأعلى، عن ابن ثور.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: لما ذكر من شأني الذي ذكر وما علمت به، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا وما علمت فتشهد فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: "إِنَّمَا بَعْدُ أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي أَنَا فِي أَهْلِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي سُوءًا قَطُّ، وَأَبْتُهُمْ بِمَنْ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ سُوءًا قَطُّ، وَلَا دَخَلَ بَيْتِي قَطُّ إِلَّا وَأَنَا حَاضِرٌ، وَلَا أُغِيثُ فِي سَفَرٍ إِلَّا عَابَ مَعِيَ" فقام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله، نرى أن نضرب أعناقهم، فقام رجل من الخزرج، وكانت أم حسان بن ثابت من رهط ذلك الرجل، فقال: كذبت، أما والله لو كانوا من الأوس ما أحببت أن تضرب أعناقهم حتى كاد أن يكون بين الأوس والخزرج في المسجد شر، وما علمت به، فلما كان مساء ذلك اليوم، خرجت لبعض حاجتي ومعني أم مسطح، فقالت: تعس مسطح، فقلت علام تسيين ابنك فسكتت، ثم عثرت الثانية، فقالت: تعس مسطح، قلت: علام تسيين ابنك؟ فسكتت، ثم عثرت الثالثة، فقالت: تعس مسطح فانتهرتها وقلت: علام تسيين ابنك؟ قالت: والله ما أسبه إلا فيك، قلت: في أي شأني، فبقرت (7) لي الحديث، فقلت: وقد كان هذا؟ قالت: نعم والله، قالت: فرجعت إلى بيتي فكان الذي خرجت له لم أخرج له، ولا أجد منه قليلا ولا كثيرا، ووعكت، فقلت: يا رسول الله، أرسلني إلى بيت أبي، فأرسل معي الغلام، فدخلت الدار فإذا أنا بأمي أم رومان، قالت: ما جاء بك يا بنية؟ فأخبرتها، فقالت: خفصي عليك الشان، < 126-19 > فإنه والله ما كانت امرأة جميلة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا حسدنها وقلن فيها، قلت: وقد علم بها أبي؟ قالت: نعم. قلت: ورسول الله؟ قالت: نعم، فاستعبرت وبكيت، فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ، فنزل فقال لأمي: ما شأنها؟ قالت: بلغها الذي ذكر من أمرها، ففاضت عيناه، فقال: أقسمت عليك إلا رجعت إلى بيتك.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فرجعت ، فأصبح أبواي عندي، فلم يزالا عندي حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ بعد العصر، وقد اكتنفتني أبواي، عن يميني، وعن شمالي، فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: "أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ، إِنْ كُنْتِ قَارِفَتِ سُوءًا أَوْ أَلَمَّتِ قَتُوبِي إِلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ" وقد جاءت امرأة من الأنصار وهي جالسة، فقلت: ألا تستحي من هذه المرأة أن تقول شيئا؟ فقلت لأبي: أجيء، فقال: أقول ماذا؟ قلت لأمي: أجيء، فقالت: أقول ماذا؟ فلما لم يجيباه تشهدت، فحمدت الله وأثنت عليه بما هو أهله، ثم قلت: أما بعد، فوالله لئن قلت لكم إني لم أفعل، والله يعلم إني لصادقة ما ذا بنافعي عندكم، لقد تكلم به وأشربته قلوبكم، وإن قلت إني قد فعلت، والله يعلم أنني لم أفعل، لتقولنّ قد باءت به على نفسها، وأيم الله، ما أجد لي ولكم مثلا إلا كما قال أبو يوسف وما أحفظ اسمه: فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ وأنزل الله على رسوله ساعتئذ، فرفع عنه، وإني لأتبين السرور في وجهه، وهو يمسح جبينه يقول: "أُبَشِّرِي يَا عَائِشَةُ، فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ بَرَاءَتَكَ" فكنت أشد ما كنت غضبا، فقال لي أبواي: قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمده ولا أحمدا، لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه، ولكنني أحمد الله الذي أنزل براءتي. ولقد جاء رسول الله بيتي، فسأل الجارية عني، فقالت: والله ما أعلم عليها عيبا، إلا أنها كانت تنام حتى كانت تدخل الشاة فتأكل حصيرها أو عجينها، فانتهرها بعض أصحابه، وقال لها: اصدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال عروة: فعتب على من قاله، فقال: لا والله ما أعلم عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر، وبلغ ذلك الرجل الذي قيل له، فقال: سبحان الله ما كشفت كنف أنثى قط، فقتل شهيدا في سبيل الله، قالت عائشة: فأما زينب بنت جحش فعصمها الله بدینها، فلم تقل إلا خيرا، وأما حمنة أختها، فهلكت فيمن هلك، وكان الذين تكلموا فيه: المنافق عبد الله بن أبي سلول، وكان يستوشيه ويجمعه، وهو الذي تولى كبره، < 127-19 > ومسطحا، وحسان بن ثابت، فحلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحا بنافعة، فأنزل الله: وَلَا يَأْتِلْ أَوْلُو الْقَصْلِ مِنْكُمْ وَالسَّيِّعَةَ . يعني أبا بكر، أَنْ يُؤْتُوا أَوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ يعني: مسطحا ألا تُجِبُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ قال أبو بكر: بلى والله، إنا لنحب أن يغفر الله لنا، وعاد أبو بكر لمسطح بما كان يصنع به.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا محمد بن بشر، قال: ثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، عن علقمة بن وقاص وغيره أيضا، قال: خرجت عائشة تريد المذهب (8) ومعها أم مسطح، وكان مسطح بن أثاثة ممن قال ما قال، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس قبل ذلك، فقال: "كَيْفَ تَرَوْنَ فِيمَنْ يُؤْذِنِي فِي أَهْلِي وَيَجْمَعُ فِي بَيْتِهِ مَنْ يُؤْذِنِي؟" فقال سعد بن معاذ: أي رسول الله، إن كان منا معشر الأوس جلدنا رأسه، وإن كان من إخواننا من الخزرج، أمرتنا فأطعنناك، فقال سعد بن عباد: يا بن معاذ، والله ما بك نصرة رسول الله، ولكنها قد كانت ضغائن في الجاهلية، وإحن لم تحلل لنا من صدوركم بعد، فقال ابن معاذ: الله أعلم ما أردت،



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فقام أسيد بن حضير فقال: يا بن عبادة، إن سعدا ليس شديدا، ولكنك تجادل عن المنافقين، وتدفع عنهم، وكثر اللغط في الحيين في المسجد، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على المنبر، فما زال النبي صلى الله عليه وسلم يومئ بيده إلى الناس هاهنا وهاهنا، حتى هدا الصوت.

وقالت عائشة: كان الذي تولى كبره، والذي يجمعهم في بيته، عبد الله بن أبي ابن سلول، قالت: فخرجت إلى المذهب ومعى أم مسطح، فعثرت، فقالت: تعس مسطح، فقلت: غفر الله لك، أتقولين هذا لابنك ولصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت ذلك مرتين، وما شعرت بالذي كان، فحدثت، فذهب عني الذي خرجت له، حتى ما أجد منه شيئا،

ورجعت على أبوي: أبي بكر، وأم رومان فقلت: أما اتقيتما الله في وما وصلتما رحمي؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال، وتحدث الناس بالذي تحدثوا به ولم تعلماني، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: أي بنية، والله لقلما أحب رجل قط امرأته إلا قالوا لها نحو الذي قالوا لك، أي بنية ارجعي إلى بيتك حتى نأتيك فيه، فرجعت وارتكبني صالب من حمى، فجاء أبوي < 128-19 > فدخلا وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس على سريري وجاهي، فقالا أي بنية، إن كنت صنعت ما قال الناس فاستغفري الله، وإن لم تكوني صنعتيه فأخبري رسول الله بعذرک، قلت: ما أجد لي ولكم إلا كآبي يوسف قَصَبْرُ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ قالت: فالتمست اسم يعقوب فما قدرت، أو فلم أقدر عليه، فشخص بصر رسول الله إلى السقف، وكان إذا نزل عليه وجد قال الله: إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا فوالذي هو أكرمه، وأنزل عليه الكتاب ما زال يضحك حتى إني لأنظر إلى نواجذه سرورا، ثم مسح عن وجهه، فقال: "يا عائشة أبشري، قد أنزل الله عُدْرَكَ" قلت: بحمد الله لا بحمدك، ولا بحمد أصحابك، قال الله: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ) ... حتى بلغ وَلَا يَأْتِلُ أَوْلُو الْقُصْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةَ وكان أبوه بكر حلف أن لا ينفع مسطحا بنافعة، وكان بينهما رحم، فلما أنزلت: وَلَا يَأْتِلُ أَوْلُو الْقُصْلِ مِنْكُمْ ... حتى بلغ: وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ قال أبو بكر: بلى، أي رب، فعاد إلي الذي كان لمسطح إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ... حتى بلغ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ قالت عائشة: والله ما كنت أرجو أن ينزل في كتاب ولا أطمع به، ولكن أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا تذهب ما في نفسه، قالت: وسأل الجارية الحبشية فقالت: والله لعائشة أطيب من طيب الذهب، وما بها عيب إلا أنها ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل عجينها، ولئن كانت صنعت ما قال الناس ليخبرنك الله، قال: فعجب الناس من فقهاها.

القول في تأويل قوله تعالى: لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (12)

وهذا عتاب من الله تعالى ذكره أهل الإيمان به فيما وقع في أنفسهم من إرجاف من أرجف في أمر عائشة بما أرجف به، يقول لهم تعالى ذكره: هلا

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أيها الناس إذ سمعتم ما قال أهل الإفك في عائشة ظن المؤمنون منكم والمؤمنات بأنفسهم خيرا: يقول: ظننتم بمن قرف بذلك منكم خيرا، ولم تظنوا به أنه أتى الفاحشة، وقال بأنفسهم، لأن أهل الإسلام كلهم بمنزلة نفس واحدة، لأنهم أهل ملة واحدة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

< 19-129 >

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن أبيه، عن بعض رجال بني النجار، أن أبا أيوب خالد بن زيد، قالت له امرأته أم أيوب: أما تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك، قال: فلما نزل القرآن، ذكر الله من قال في الفاحشة ما قال من أهل الإفك: إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ وَذَلِكَ حَسَانٌ وَأَصْحَابَهُ الَّذِينَ قَالُوا مَا قَالُوا، ثم قال: (لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ...) الآية: أي كما قال أبو أيوب وصاحبه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: (لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا) ما هذا الخير ظن المؤمن يفجر فجر لم يكن ليفجر بأمه، وأن الأم لم تكن لتفجر بابنها، إن أراد أن يفجر فجر بغير أمه،

يقول: إنما كابت عائشة أما، والمؤمنون بنون لها، محرّما عليها، وقرأ: لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ ... الآية.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: (ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا) قال لهم خيرا، ألا ترى أنه يقول: وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ . يقول: بعضكم بعضا، وسلموا على أنفسكم، قال: يسلم بعضكم على بعض.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا هودبة، قال: ثنا عوف عن الحسن، في قوله: (لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا) يعني بذلك المؤمنين والمؤمنات.

وقوله: (وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ) يقول: وقال المؤمنون والمؤمنات: هذا الذي سمعناه من القوم الذي رمي به عائشة من الفاحشة كذب وإثم، يبين لمن عقل وفكر فيه أنه كذب وإثم وبهتان.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

كما حدثنا ابن بشار، قال: ثنا هود، قال: أخبرنا عوف عن الحسن: ( وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ) قالوا: إن هذا لا ينبغي أن يتكلم به إلا من أقام عليه أربعة من الشهود، وأقيم عليه حدُّ الزنا.

القول في تأويل قوله تعالى : لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ < 130-19 > فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (13)

يقول تعالى ذكره: هلا جاء هؤلاء العصبة الذين جاءوا بالإفك، ورموا عائشة بالبهتان، بأربعة شهداء يشهدون على مقالتهم فيها وما رموها به،

فإذا لم يأتوا بالشهداء الأربعة على حقيقة ما رموها به ( فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ) يقول: فالعصبة الذين رموها بذلك عند الله هم الكاذبون فيما جاءوا به من الإفك.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَقْسَمْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (14)

يقول تعالى ذكره: ( وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ) أيها الخائضون في أمر عائشة، المُشْبِعُونَ فِيهَا الْكُذْبَ وَالْإِثْمَ، بتركه تعجيل عقوبتكم ( وَرَحْمَتُهُ ) إياكم لعفوه عنكم ( فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) بقبول توبتكم مما كان منكم في ذلك؛ ( لَمَسَّكُمْ فِيهَا ) خضتم فيه من أمرها عاجلا في الدنيا ( عَذَابٌ عَظِيمٌ ).

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ( وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ) هذا للذين تكلموا فنشروا ذلك الكلام، ( لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَقْسَمْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ).

القول في تأويل قوله تعالى : إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ يَا فَأُوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَخَسِبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (15)

يقول تعالى ذكره: لمستكم فيما أفضتم فيه من شأن عائشة عذاب عظيم، حين تلقونه بألسنتكم، و " إذ " من صلة قوله " لمستكم " ويعني بقوله: ( تَلَقَّوْنَهُ ) تتلقون الإفك الذي جاءت به العصبة من أهل الإفك، فتقبلونه، وبرويه بعضكم عن بعض يقال: تلقيت هذا الكلام عن فلان، بمعنى أخذته منه، وقيل ذلك؛ لأن الرجل منهم فيما دُكِرَ يلقى آخر، فيقول: أو ما بلغك كذا وكذا عن عائشة؟ ليُشبع عليها بذلك < 131-19 > الفاحشة. وذكر أنها في قراءة أبي: " إِذْ تَلَقَّوْنَهُ " بتاءين، وعليها قراءة الأمصار، غير أنهم قرءوها: ( تَلَقَّوْنَهُ ) بتاء واحدة؛ لأنها كذلك في مصاحفهم.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقد رُوي عن عائشة في ذلك، ما حدثني به محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا خالد بن نزار، عن نافع، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها كانت تقرأ هذه الآية: " إِذْ تَلَقُّوهُ بِاللَّسْتِكْمِ " تقول: إنما هو وَلَقِ الكَذِبَ، وتقول: إنما كانوا يلقون الكذب. قال ابن أبي مليكة: وهي أعلم بما فيها أنزلت، قال نافع: وسمعت بعض العرب (9) يقول: الليق: الكذب.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا نافع بن عمر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر الجمحي، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، أنها كانت تقرأ: " إِذْ تَلَقُّوهُ بِاللَّسْتِكْمِ " وهي أعلم بذلك وفيها أنزلت، قال ابن أبي مليكة: هو من وَلَقِ الكَذِبَ.

قال أبو جعفر: وكان عائشة وَجَّهت معنى ذلك بقراءتها " تَلَقُّوهُ " بكسر اللام وتخفيف القاف، إلى: إذ تستمرون في كذبكم عليها، وإفككم بالستكم، كما يقال: ولق فلان في السير فهو يَلِقُ: إذا استمر فيه; وكما قال الراجز:

إِنَّ الْجَلِيدَ رَلِقٌ وَزَمَلِقٌ

جاءت به عَسْنٌ مِنَ الشَّامِ تَلِقٌ

مُجَوِّعُ البَطْنِ كِلَابِيُّ الخُلُقِ (10)

وقد رُوي عن العرب في الوَلِقِ: الكذب: الألق، والإلق: بفتح الألف وكسرهما، ويقال في فعلت منه: أَلَقْتُ، فانا أَلِقُ، وقال بعضهم:

مَنْ لِي بِالْمُرَّرِ الِيلَامِقِ

صاحِبِ أَدْهَانٍ وَأَلِقِ أَلِقِ (11)

< 19-132 >

والقراءة التي لا أستجيز غيرها: ( إِذْ تَلَقُّوهُ ) على ما ذكرت من قراءة الأمصار، لإجماع الحجة من القراء عليها.

وبنحو الذي قلنا من التأويل في ذلك قال أهل التأويل.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّتْرِ كُمْ) قال: تَرُؤُونَهُ بَعْضُكُمْ عَنْ بَعْضٍ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ) قال: تَرُؤُونَهُ بَعْضُكُمْ عَنْ بَعْضٍ.

قوله: ( وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ) يقول تعالى ذكره: وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم من الأمر الذي تَرُؤُونَهُ، فتقولون: سمعنا أن عائشة فعلت كذا وكذا، ولا تعلمون حقيقة ذلك ولا صحته، ( وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا ) وتظنون أن قولكم ذلك وروايتكموه بالسننكم، وتلقيكموه بَعْضُكُمْ عَنْ بَعْضٍ هين سهل، لا إثم عليكم فيه ولا حرج، ( وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ) يقول: وتلقيكم ذلك كذلك وقولكموه بأفواهكم، عند الله عظيم من الأمر؛ لأنكم كنتم تؤذون به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحليلته.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (16)

يقول تعالى ذكره: ( وَلَوْلَا ) أيها الخائضون في الإفك الذي جاءت به عصبه منكم، ( إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ) ممن جاء به ( قُلْتُمْ ) ما يحل لنا أن نتكلم بهذا، وما ينبغي لنا أن نتفوه به ( سُبْحَانَكَ ) تنزيها لك يا ربِّ وبراءة إليك مما جاء به هؤلاء ( هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ) يقول: هذا القول بهتان عظيم.

< 19-133 >

القول في تأويل قوله تعالى : يَعْظُمُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (17) وَبَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (18)

يقول تعالى ذكره: يَذَكِّرُكُمْ اللَّهُ وَبِنَهَاكُم بِآيِ كِتَابِهِ، لئلا تعودوا لمثل فعلكم الذي فعلتموه في أمر عائشة من تلقيكم الإفك الذي روي عليها بالسننكم، وقولكم بأفواهكم ما ليس لكم به علم فيها أبدا ( إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ) يقول: إن كنتم تتعظون بعظات الله، وتاتمرون لأمره، وتنتهون عما نهاكم عنه.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَبَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ) قال: والذي هو خير لنا من هذا، أن الله أعلمنا

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

هذا لكيلا نفع فيه، لولا أن الله أعلمناه لهلكنا كما هلك القوم، أن يقول الرجل: أنا سمعته ولم أخترقه (12) ولم أتقوله، فكان خيرًا حين أعلمناه الله، لئلا ندخل في مثله أبداً، وهو عند الله عظيم وقوله: ( وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ) ويفضّل الله لكم حججه عليكم بأمره ونهيه، ليتبين المطيع له منكم من العاصي، والله عليم بكم وبأفعالكم، لا يخفى عليه شيء، وهو مجاز المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بإساءته، حكيم في تدبير خلقه، وتكليفه ما كلفهم من الأعمال وفرضه ما فرض عليهم من الأفعال.

القول في تأويل قوله تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ يُجِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** (19)

يقول تعالى ذكره: إن الذين يحبون أن يذيع الزنا في الذين صدّقوا بالله ورسوله ويظهر ذلك فيهم، ( لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) يقول: لهم عذاب وجيع في الدنيا، بالحدّ الذي جعله الله حدّاً لرامي المحصنات والمحصنين إذا رموهم بذلك، وفي الآخرة عذاب جهنم إن مات مصرّاً على ذلك غير تائب. كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن < 134-19 > مجاهد، قوله: ( يُجِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ ) قال: تظهر في شأن عائشة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( إِنَّ الَّذِينَ يُجِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) قال: الخبيث عبد الله بن أبي ابن سلول، المنافق، الذي أشاع على عائشة ما أشاع عليها من الفرية، ( لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ).

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ ) قال: تظهر؛ يتحدّث عن شأن عائشة.

وقوله: ( وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ) يقول تعالى ذكره: والله يعلم كذب الذين جاءوا بالإفك من صدقهم، وأنتم أيها الناس لا تعلمون ذلك، لأنكم لا تعلمون الغيب، وإنما يعلم ذلك علام الغيوب. يقول: فلا ترووا ما لا علم لكم به من الإفك على أهل الإيمان بالله، ولا سيما على حلائل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتهلكوا.

القول في تأويل قوله تعالى: **وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** (20)

يقول تعالى ذكره: ولولا أن تفضّل الله عليكم أيها الناس ورحمكم، وأن الله ذو رافة، ذو رحمة بخلقه لهلكتم فيما أفضتم فيه، وعاجلتكم من الله العقوبة. وترك ذكر الجواب لمعرفة السامع بالمراد من الكلام بعده، وهو قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ ... الآية.

# جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الهوامش:

(1) هذه الأبيات الأربعة لحسان بن ثابت الأنصاري ، شاعر الرسول -صلى الله عليه وسلم- ، يهجو بها أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب شاعر قريش قبل إسلامه . وهي من قصيدته التي مطلعها : " عفت ذات الأصابع فالجواء " . والأبيات قرب نهاية القصيدة ، وقبلها .

ألا أبلغ أبا سفيان عني

مغلغلة فقد برح الخفاء

= ( وانظر القصيدة في سيرة ابن هشام طبعة الحلبي ج 4 : 64 - 66 ) وقد استشهد بها المؤلف على أن حسان كان ممن خاض في حديث الإفك الذي رميت به أم المؤمنين عائشة المبرأة ، رضي الله عنها (2) كنع بالسيف : ضرب به حتى يبس جلده ( اللسان ) (3) هذا عجز بيت لحسان بن ثابت ، من أبيات له في مدح أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه بعد أن نزلت براءتها في سورة النور ، من الإفك الذي خاض فيه بعض الصحابة ، وكان حسان من أشدهم خوصاً فيه ، حتى إذا حصص الحق ، وظهرت براءة أم المؤمنين ندم حسان واعتذر ، وقال يمدحها في أبيات له . وصدر البيت \* حصان رزان ما تزن بريية \*

والحصان : العفيفة والرزان : الرزينة الثابتة التي لا يستخفها الطيش . وتزن ترمي وتتهم . والريية : التهمة والشك . وغرثى : جائعة ، يريد لا تغتاب النساء ، والغوافل : جمع غافلة ، وهي التي غفل قلبها عن الشر ( وانظر سيرة ابن هشام طبعة الحلبي 3 : 319 ، 320 )

(4) كذا رواه الإمام مسلم في صحيحه ( 17 : 106 ) بشرح النووي . وفي صحيح البخاري طبعة الحلبي ( 5 : 150 ) : البرية قبل الغائط ، في مكان : التنزه

(5) هذه رواية مسلم . وفي صحيح البخاري ( 5 : 150 ) : قالت : أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما قالت : فأذن .. إلخ

(6) لم تذكر أم المؤمنين رضي الله عنها اسم النبي يعقوب أبي يوسف عليهما السلام ، لأنها كانت جارية حديثة السن ، ولم تقرأ كثيراً من القرآن بعد

(7) بقرت لي الحديث : أخبرتني به مفصلاً

(8) المذهب : مكان التبرز في الخلاء

(9) لم نقف عليه فيما بأيدينا من كتب اللغة ، فلعله مصحف .

(10) هذه الأبيات ثلاثة من مشطور الرجز ، للقلاخ بن حزن المنقري نقلها صاحب ( اللسان : زلق ) . قال : رجل زلق و زملق مثال هديد و زمالق و



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

زملق (بتشديد الميم ) ، وهو الذي ينزل قبل أن يجامع . قال القلاخ بن حزن المنقري ... الأبيات : ثم قال : والجليد : هو الجليد الكلابي . التهذيب : والعرب تقول : زلق و زملق ، وهو الشكارز ، الذي ينزل إذا حدث المرأة من غير جماع . قال ويقال للخبث الطياش : زمل و زملوق و زمالق وفي ( اللسان : ولق ) . قال : وولق في سيره ولقا : أسرع . ونسب أبيات الشاهد للشماخ ، ولم أجدها في ديوان الشماخ المطبوع بمصر سنة 1327 . 1 هـ .

(11) هذان بيتان من الرجز أنشدها الأزهري عن بعضهم ( اللسان : ولق ) . وألق الكلام : متابعتة في سرعة . والألق : الاستمرار في الكذب وألق يألُق ألقا مثال ضرب يضرب ضربا . واليلامق : جمع يلمق ، وهو القباء ( فارسي معرب ) ... واستشهد المؤلف بالبيتين على أن بعضهم قرأ قوله تعالى : { إذ تلقونه بالسنتكم } بكسر اللام ، وتخفيف القاف ، على أنه بمعنى الاستمرار في الكذب

(12) اخترق الكذب : مثل اخترعه ، وافتعله ، وصنعه .  
القول في تأويل قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ (21)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، لا تسلكوا سبيل الشيطان وطرقه، ولا تقتفوا آثاره، بإشاعتكم الفاحشة في الذين آمنوا وإذاعتكموها فيهم وروايتكم ذلك عن من جاء به، فإن الشيطان يأمر بالفحشاء، وهي الزنا، والمنكر من القول.

وقد بيَّنا معنى الخطوات والفحشاء فيما مضى بشواهد، ذلك بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

< 19-135 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُرْكَي مِنَ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (21)

يقول تعالى ذكره: ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته لكم، ما تطهر منكم من أحد أبدا من دنس ذنوبه وشركه، ولكن الله يطهر من يشاء من خلقه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني عليٌّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليٍّ، عن ابن عباس، قوله: ( وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ) يقول: ما اهتدى منكم من الخلائق لشيء من الخير ينفع به نفسه، ولم يتق شيئا من الشرّ يدفعه عن نفسه.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَلاَ فَضْلُ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ) قال: ما زكى: ما أسلم ، وقال: كل شيء في القرآن من زكى أو تزكى، فهو الإسلام.

وقوله: ( وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ) يقول: والله سميع لما تقولون بأفواهكم، وتلقونه بالسننكم، وغير ذلك من كلامكم، عليم بذلك كله وبغيره من أموركم، محيط به، محصيه عليكم، ليجازيكم بكل ذلك.

إلقول في تأويل قوله تعالى: ( وَلا يَأْتِلِ أَوْلُو الْقَصَبِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أَوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ (22) )

يقول تعالى ذكره: ولا يحلف بالله ذوو الفضل منكم، يعني: ذوي التفضل والسعة، يقول: وذوو الجده.

واختلف القراء في قراءة قوله: ( ولا يأتل ) فقرأته عامة قراء الأمصار. ( ولا يأتل ) بمعنى: يفتعل من الآلية، وهي القسم بالله، سوى أبي جعفر وزيد بن أسلم، فإنه ذكر عنهما أنهما قرأ ذلك " ولا يتأل " بمعنى: يتفعل، من الآلية.

< 19-136 >

والصواب من القراءة في ذلك عندي، قراءة من قرأ: ( ولا يأتل ) بمعنى: يفتعل من الآلية، وذلك أن ذلك في خط المصحف كذلك، والقراءة الأخرى مخالفة خط المصحف، فاتباع المصحف مع قراءة جماعة القراء وصحة المقروء به أولى من خلاف ذلك كله، وإنما عني بذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه في حلفه بالله لا ينفق علي مسطح، فقال جل ثناؤه: ولا يحلف من كان ذا فضل من مال وسعة منكم أيها المؤمنون بالله ألا يعطوا ذوي قرباتهم، فيصلوا به أرحامهم، كمسطح، وهو ابن خالة أبي بكر ( والمسكين ) يقول: وذوي حلة الحاجة، وكان مسطح منهم؛ لأنه كان فقيراً محتاجاً ( وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ) وهم الذين هاجروا من ديارهم وأموالهم في جهاد أعداء الله، وكان مسطح منهم؛ لأنه كان ممن هاجر من مكة إلى المدينة، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر ( وَلِيَعْفُوا ) يقول: وليعفوا عما كان منهم إليهم من جرم، وذلك كجرم مسطح إلى أبي بكر في إشاعته على ابنته عائشة ما أشاع من الإفك ، ( وَلِيَصْفَحُوا ) يقول: وليتركوا عقوبتهم على ذلك، بحرمانهم ما كانوا يؤتونهم قبل ذلك، ولكن ليعودوا لهم إلى مثل الذي كانوا لهم عليه من الإفضال عليهم ، ( أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ) يقول: ألا تحبون أن يستر الله عليكم ذنوبكم بإفضالكم عليهم، فيترك عقوبتكم عليها ( وَاللَّهُ عَفُورٌ ) لذنوب من أطاعه واتبع أمره، ( رَحِيمٌ ) بهم أن يعذبهم مع اتباعهم أمره، وطاعتهم إياه على ما كان لهم من زلة وهفوة قد استغفروه منها، وتابوا إليه من فعلها.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الزهري، عن علقمة بن وقاص الليثي، وعن سعيد بن المسيب، وعن عروة بن الزبير، وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة، قال: وثني ابن إسحاق، قال: ثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عائشة، قال: وثني ابن إسحاق، قال: ثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة، قالت: لما نزل هذا، يعني قوله: **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ** في عائشة، وفيمن قال لها ما قال قال أبو بكر، وكان ينفق على مسطح لقرابته وحاجته: والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا، ولا أنفقه بنفع أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال، وأدخل عليها > 19- < 137 ما أدخل، قالت: فأنزل الله في ذلك ( **وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْقَصْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةَ** )... الآية. قالت: فقال أبو بكر: والله إنني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح نفقته التي كان يُنفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدا.

حدثني علي، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ( **وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْقَصْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةَ** ) يقول: لا تقسموا إلا تنفعوا أحدا.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ( **وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْقَصْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةَ** )... إلى آخر الآية، قال: كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رموا عائشة بالقبیح، وأفتسوا ذلك وتكلموا به، فأقسم ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيهم أبو بكر، ألا يتصدق على رجل تكلم بشيء من هذا ولا يصله، فقال: لا يُقسِم أولو الفضل منكم والسعة أن يصلوا أرحامهم، وأن يعطوهم من أموالهم كالذي كانوا يفعلون قبل ذلك. فأمر الله أن يُعقر لهم وأن يُعقى عنهم.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ( **وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْقَصْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةَ** ) : لما أنزل الله تعالى ذكره عذر عائشة من السماء، قال أبو بكر وآخرون من المسلمين، والله لا نصل رجلا منهم تكلم بشيء من شأن عائشة ولا ننفقه، فأنزل الله ( **وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْقَصْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةَ** ) يقول: ولا يحلف.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( **وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْقَصْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةَ** ) أن يُؤثوا أولي القرى ( قال: كان مسطح ذا قرابة. ( **وَالْمَسَاكِينَ** ) قال: كان مسكينا) والمهاجرين في سبيل الله ( كان بدريا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: (

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ) قال: أبو بكر حلف أن لا ينفع يتيما في حجره كان أشاع ذلك، فلما نزلت هذه الآية قال: بلى أنا أحب أن يغفر الله لي، فلاكونن ليتيمي خيرا ما كنت له قط.

القول في تأويل قوله تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ > 138-19 <  
الْعَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (23)

يقول تعالى ذكره: ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ ) بالفاحشة ( الْمُحْصَنَاتِ ) يعني العفيفات ( الْعَافِلَاتِ ) عن الفواحش ( الْمُؤْمِنَاتِ ) بالله ورسوله، وما جاء به من عند الله، ( لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) يقول: أبعادوا من رحمة الله في الدنيا والآخرة، ( وَلَهُمْ ) في الآخرة ( عَذَابٌ عَظِيمٌ ) وذلك عذاب جهنم.

واختلف أهل التأويل في المحصنات اللاتي هذا حكمهن، فقال بعضهم: إنما ذلك لعائشة خاصة، وحكم من الله فيها وفيمن رماها، دون سائر نساء أمة نبينا صلى الله عليه وسلم

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن أبي الشوارب، قال: ثنا عبد الواحد بن زياد، قال: ثنا خَصِيف، قال: قلت لسعيد بن جبير: الزنا أشدُّ أم قذف المحصنة؟ فقال: الزنا، فقلت: أليس الله يقول: ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ )... الآية؟ قال سعيد: إنما كان هذا لعائشة خاصة.

حدثنا أحمد بن عبدة الضبي، قال: ثنا أبو عوانة، عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، قال: قالت عائشة: رُميت بما رُميت به وأنا غافلة، فبلغني بعد ذلك، قالت: فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم عندي جالس، إذ أوحى إليه، وكان إذا أوحى إليه أخذه كهيئة السبات، وأنه أوحى إليه وهو جالس عندي، ثم استوى جالسا يمسح عن وجهه، وقال: يا عائشة أبشري، قالت: فقلت: بحمد الله لا بحمدك، فقرأ: ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْعَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ )... حتى بلغ: أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ .

وقال آخرون: بل ذلك لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة، دون سائر النساء غيرهن.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْعَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ )... الآية، أزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة.

< 19-139 >

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: نزلت هذه الآية في شأن عائشة، وعني بها كل من كان بالصفة التي وصف الله في هذه الآية، قالوا: فذلك حكم كل من رمى محصنة، لم تقارف سوءًا.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا علي بن سهل، قال: ثنا زيد، عن جعفر بن برقان، قال: سألت ميمونا، قلت: الذي ذكر الله: وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ... إلى قوله: إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ فجعل في هذه توبة، وقال في الأخرى: (إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ ...) إلى قوله: (لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) قال ميمون: أما الأولى فعسى أن تكون قد قارفت، وأما هذه، فهي التي لم تقارف شيئاً من ذلك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا العوام بن حوشب، عن شيخ من بني أسيد، عن ابن عباس، قال: فُسر سورة النور، فلما أتى على هذه الآية (إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ...) الآية، قال: هذا في شأن عائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وهي مبهمة، وليست لهم توبة، ثم قرأ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ... إلى قوله: إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ... الآية، قال: فجعل لهؤلاء توبة، ولم يجعل لمن قذف أولئك توبة، قال: فهم بعض القوم أن يقوم إليه فيقبل رأسه من حسن ما فُسر سورة النور.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: (إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) قال: هذا في عائشة، ومن صنع هذا اليوم في المسلمات، فله ما قال الله، ولكن عائشة كانت إمام ذلك.

وقال آخرون: نزلت هذه الآية في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، فكان ذلك كذلك حتى نزلت الآية التي في أول السورة فأوجب الجلد، وقبل التوبة.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: (إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ...) إلى: (عَذَابٌ عَظِيمٌ) يعني أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، رماهن أهل النفاق، فأوجب الله < 140-19 > لهم اللعنة والغضب وباءوا بسخط من الله، وكان ذلك في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، ثم نزل بعد ذلك: وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ... إلى قوله: فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ فأنزل الله الجلد والتوبة، فالتوبة تُقبل، والشهادة ترد.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأولى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: نزلت هذه الآية في شأن عائشة، والحكم بها عامٌ في كلِّ من كان بالصفة التي وصفه الله بها فيها.

وإنما قلنا ذلك أولى تأويلاته بالصواب؛ لأن الله عمَّ بقوله: ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْعَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ) كلَّ محصنة غافلة مؤمنة، رمأها رام بالفاحشة، من غير أن يخصَّ بذلك بعضاً دون بعض، فكلُّ رام محصنة بالصفة التي ذكر الله جلَّ ثناؤه في هذه الآية فملعون في الدنيا والآخرة، وله عذاب عظيم، إلا أن يتوب من ذنبه ذلك قبل وفاته، فإن الله دلَّ باستثنائه بقوله: إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا على أن ذلك حكم رامي كل محصنة، بأيِّ صفة كانت المحصنة المؤمنة المرمية، وعلى أن قوله: ( لَعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) معناه: لهم ذلك إن هلكوا ولم يتوبوا.

القول في تأويل قوله تعالى : يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (24)

يقول تعالى ذكره: ولهم عذاب عظيم ( يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ ) فالיום الذي في قوله: ( يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ ) من صلة قوله: وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ وَعُنِي بقوله: ( يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ ) يوم القيامة، وذلك حين يجحد أحدهم ما اكتسب في الدنيا من الذنوب، عند تقرير الله إياه بها فيختم الله على أفواههم، وتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون.

فإن قال قائل: وكيف تشهد عليهم ألسنتهم حين يختم على أفواههم؟ قيل: عني بذلك أن السنة بعضهم تشهد على بعض، لا أن ألسنتهم تنطق وقد ختم على الأفواه.

وقد حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا عمرو، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ عُرِفَ الْكَافِرُ بِعَمَلِهِ، فَجَحَدَ وَخَاصَمَ، فَيُقَالُ لَهُ: هَؤُلَاءِ جِيرَانُكَ يَشْهَدُونَ عَلَيْكَ، فَيَقُولُ: كَذَبُوا، فَيَقُولُ: أَهْلُكَ وَعَشِيرَتُكَ، فَيَقُولُ: كَذَبُوا، فَيَقُولُ: أَتَخْلِفُونَ؟ > 141-19 < فَيَخْلِفُونَ، ثُمَّ يُضْمِتُهُمُ اللَّهُ، وَتَشْهَدُ أَلْسِنُهُمْ ثُمَّ يُدْخِلُهُمُ النَّارَ."

القول في تأويل قوله تعالى : يَوْمَئِذٍ يُؤَقِّبِهِمُ اللَّهُ رِيَّتَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (25)

يقول تعالى ذكره: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ يوفيهم الله حسابهم وجزاءهم الحقَّ على أعمالهم.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

والدين في هذا الموضوع: الحساب والجزاء، كما حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: (يَوْمَئِذٍ يُؤْفِقُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ) يقول: حسابهم.

واختلفت القراء في قراءة قوله: (الْحَقُّ) فقرأته عامة قراء الأمصار. (دِينَهُمُ الْحَقُّ) نصبا على النعت للدين، كأنه قال: يوفيههم الله ثواب أعمالهم حقا، ثم أدخل في الحقّ الألف واللام، فنصب بما نصب به الدين. وذكر عن مجاهد أنه قرأ ذلك: "يُؤْفِقُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقُّ" برفع الحقّ على أنه من نعت الله.

حدثنا بذلك أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا يزيد، عن جرير بن حازم، عن حميد، عن مجاهد، أنه قرأها "الحق" بالرفع. قال جرير: وقرأتها في مصحف أبي بن كعب "يُؤْفِقُهُمُ اللَّهُ الْحَقُّ دِينَهُمْ".

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار، وهو نصب الحقّ على اتباعه إعراب الدين؛ لإجماع الحجة عليه.

وقوله: (وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ) يقول: ويعلمون يومئذ أن الله هو الحق الذي يبين لهم حقائق ما كان يعدهم في الدنيا من العذاب، ويزول حينئذ الشك فيه عن أهل النفاق، الذين كانوا فيما كان يعدهم في الدنيا يمترون.

القول في تأويل قوله تعالى: **الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** (26)

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول، والطيبات من القول < 142-19 > للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من القول.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: (الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ) يقول: الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول.

وقوله: (وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ) يقول: الطيبات من القول للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من القول، نزلت في الذين قالوا في زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ما قالوا من البهتان، ويقال: الخبيثات للخبيثين: الأعمال الخبيثة تكون للخبيثين؛ والطيبات من الأعمال تكون للطيبين.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد، الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس، والطيبات من الكلام للطيبين من الناس.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، مثله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجیح، في قول الله: ( الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ) قال: الطيبات: القول الطيب، يخرج من الكافر والمؤمن فهو للمؤمن، والخبيثات: القول الخبيث يخرج من المؤمن والكافر فهو للكافر ( أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ) وذلك أنه برأ كليهما مما ليس بحق من الكلام.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، في قوله: ( الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ) يقول: الخبيثات والطيبات: القول السيئ والحسن، للمؤمنين الحسن وللکافرين السيئ ( أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ) وذلك بأنه ما قال الكافرون من كلمة طيبة فهي للمؤمنين، وما قال المؤمنون من كلمة خبيثة فهي للکافرين، كل بريء مما ليس بحق من الكلام.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن ابن أبي نجیح، عن < 143-19 > مجاهد: ( الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ) قال: الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس، والخبيثون من الناس للخبيثات من الكلام.

حدثنا الحسن قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجیح عن مجاهد، مثله.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ( الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ )... الآية، يقول: الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول، والطيبات من القول للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من القول، فهذا في الكلام، وهم الذين قالوا لعائشة ما قالوا، هم الخبيثون، والطيبون هم المبرءون مما قال الخبيثون.

حدثنا أبو زرعة، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا سلمة، يعني ابن نبيط الأشجعي، عن الضحاك: ( الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ) قال: الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس، والطيبات من الكلام للطيبين من الناس.

قال: ثنا قبيصة، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجیح وعثمان بن الأسود، عن مجاهد: ( الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ) قال: الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس، والخبيثون من الناس

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

للخبيثات من القول، والطيبات من القول للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من القول.

قال: ثنا سفيان عن خصيف، عن سعيد بن جبير، قال: ( الْحَبِيثَاتُ لِلْحَبِيثِينَ وَالْحَبِيثُونَ لِلْحَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ) قال: الخبيثات من القول للخبيثين من الناس، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول، والطيبات من القول للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من القول.

قال: ثنا محمد بن بكر بن مقدم، قال: أخبرنا يحيى بن سعيد، عن عبد الملك، يعني ابن أبي سليمان، عن القاسم بن أبي بزة، عن سعيد بن جبير، عن مجاهد: ( وَالْحَبِيثُونَ لِلْحَبِيثَاتِ ) قال: الخبيثات من القول للخبيثين من الناس.

قال: ثنا عباس بن الوليد النرسي، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ( الْحَبِيثَاتُ لِلْحَبِيثِينَ وَالْحَبِيثُونَ لِلْحَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ) يقول: الخبيثات من القول والعمل للخبيثين من الناس، والخبيثون من الناس للخبيثات < 144-19 > من القول والعمل.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن طلحة بن عمرو، عن عطاء، قال: الطيبات للطيبين، والطيبون للطيبات، قال: الطيبات من القول للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من القول، والخبيثات من القول للخبيثين من الناس، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ( الْحَبِيثَاتُ لِلْحَبِيثِينَ وَالْحَبِيثُونَ لِلْحَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ) قال: نزلت في عائشة حين رماها المنافق بالبهتان والفرية، فبرأها الله من ذلك. وكان عبد الله بن أبي هو خبيث، وكان هو أولى بأن تكون له الخبيثة ويكون لها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبا، وكان أولى أن تكون له الطيبة، وكانت عائشة الطيبة، وكان أولى أن يكون لها الطيب ( أَوْلَيْكَ مُبْرَأُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ) قال: ها هنا برئت عائشة ( لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ).

وأولى هذه الأقوال في تأويل الآية قول من قال: عنى بالخبيثات: الخبيثات من القول، وذلك قبيحه وسيئه للخبيثين من الرجال والنساء، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول، هم بها أولى؛ لأنهم أهلها. والطيبات من القول، وذلك

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حسنه وجميله للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من القول؛  
لأنهم أهلها وأحقُّ بها.

وإنما قلنا هذا القول أولى بتأويل الآية؛ لأن الآيات قبل ذلك إنما جاءت بتوبيخ  
الله للقائلين في عائشة الإفك، والرامين المحصنات الغافلات المؤمنات،  
وإخبارهم ما خصهم به على إفكهم، فكان ختم الخبر عن أولى الفريقين  
بالإفك من الرامي والمرمي به، أشبه من الخبر عن غيرهم.

وقوله: ( أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ ) يقول: الطيبون من الناس مبرِّءون من خبيثات القول،  
إن قالوها فإن الله يصفح لهم عنها، ويغفرها لهم، وإن قيلت فيهم؛ ضرت  
قائلها ولم تضرهم، كما لو قال الطيب من القول الخبيث من الناس لم ينفعه  
الله به، لأن الله لا يتقبله، < 145-19 > ولو قيلت له لضرته؛ لأنه يلحقه  
عارها في الدنيا، وذلك في الآخرة.

كما حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن ابن أبي  
نجيح، عن مجاهد: ( أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ) فمن كان طيباً فهو مبرأ من  
كل قول خبيث، يقول يغفره الله، ومن كان خبيثاً فهو مبرأ من كل قول  
صالح، فإنه يرده الله عليه لا يقبله منه، وقد قيل: عُني بقوله: ( أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ  
مِمَّا يَقُولُونَ ) عائشة وصفوان بن المعطل الذي رميت به، فعلى هذا القول  
قيل " أُولَئِكَ " فجمع، والمراد ذاك، كما قيل: ( وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً ) والمراد أخوان.

وقوله: ( لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ) يقول لهؤلاء الطيبين من الناس مغفرة من الله لذنوبهم،  
والخبيث من القول إن كان منهم ( وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ) يقول: ولهم أيضاً مع المغفرة  
عطية من الله كريمة، وذلك الجنة، وما أعدَّ لهم فيها من الكرامة.

كما حدثنا أبو زرعة، قال: ثنا العباس بن الوليد النرسي، قال: ثنا يزيد بن  
زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ( لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ) : مغفرة لذنوبهم  
ورزق كريم في الجنة.

القول في تأويل قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ  
حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (27)

اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم: تأويله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا  
بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأذنوا.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير،  
عن ابن عباس، أنه كان يقرأ: " لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا  
وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا " قال: وإنما " تستأذنوا " وهم من الكتاب.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في هذه الآية ( لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ) وقال: إنما هي خطأ من الكاتب حتى تستأذنوا وتسلموا.

< 19-146 >

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا وهب بن جرير، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، بمثله. غير أنه قال: إنما هي حتى تستأذنوا، ولكنها سقطت من الكاتب.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن عطية، قال: ثنا معاذ بن سليمان، عن جعفر بن إياس، عن سعيد، عن ابن عباس ( حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ) قال: أخطأ الكاتب، وكان ابن عباس يقرأ " حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا " وكان يقرأها على قراءة أبي بن كعب.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش أنه كان يقرأها: " حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا " قال سفيان: وبلغني أن ابن عباس كان يقرأها: " حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا " وقال: إنها خطأ من الكاتب.

حدثنا محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ) قال: الاستئناس: الاستئذان.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم، قال: في مصحف ابن مسعود: " حَتَّى تُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا وَتَسْتَأْذِنُوا ".

قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا جعفر بن إياس، عن سعيد، عن ابن عباس أنه كان يقرأها: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا وَتَسْتَأْذِنُوا " قال: وإنما تستأنسوا وهم من الكتاب.

قال: ثنا هشيم، قال مغيرة، قال مجاهد: جاء ابن عمر من حاجة وقد آذاه الرمضاء، فأتى فسطاط امرأة من قريش، فقال: السلام عليكم، أدخل؟ فقالت: ادخل بسلام، فأعاد فأعادت، وهو يراوح بين قدميه، قال: قلبي ادخل، قالت: ادخل فدخل.

قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا منصور، عن ابن سيرين، وأخبرنا يونس بن عبيد، عن عمرو بن سعيد الثقفي، أن رجلاً استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ألع أو ألعج؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأمة له يقال لها روضة: " قُومِي إِلَى هَذَا فَكَلِمِيهِ، فَإِنَّهُ لَا يُحْسِنُ يَسْتَأْذِنُ، فَقُولِي لَهُ يَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَدْخُلْ؟ " فسمعها الرجل، فقالها، فقال: " أَدْخُلْ ".

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 19-147 >

حدثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جُرَيْج، قال: قال ابن عباس، قوله: ( حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا ) قال: الاستئذان، ثم نسخ واستثنى: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ .

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا أبو حمزة، عن المغيرة، عن إبراهيم، قوله: ( لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ) قال: حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا.

حدثنا الحسين بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: ( حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا ) قال: حتى تستأذنوا وتسلموا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا أشعث بن سوار، عن كردوس، عن ابن مسعود، قال: عليكم أن تستأذنوا على أمهاتكم وأخواتكم، قال أشعث، عن عدي بن ثابت: أن امرأة من الأنصار، قالت: يا رسول الله، إني أكون في منزلي على الحال التي لا أحب أن يراني أحد عليها، والد ولا ولد، وأنه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي، وأنا على تلك الحال؟ قال: فهزلت: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا )... الآية.

وقال آخرون: معنى ذلك: حتى تؤنسوا أهل البيت بالتنحج والتنخم وما أشبهه، حتى يعلموا أنكم تريدون الدخول عليهم.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد، في قوله: ( لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ) قال: حتى تتنحجوا وتنخموا.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ( حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا ) قال: حتى تجرّسوا وتسلموا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جُرَيْج، عن مجاهد، قوله: ( حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا ) قال: تتنحجوا وتنخموا.

< 19-148 >

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، قال: سمعت عطاء بن أبي رباح يخبر عن ابن عباس، قال: ثلاث آيات قد جدهنَّ الناس، قال الله: **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُمُ** قال: ويقولون: إنَّ أكرمهم عند الله أعظمهم شأنًا، قال: والإذن كله قد جده الناس، فقلت له: أستأذن على أخواتي، أيتام في حجري، معي في بيت واحد؟ قال: نعم (1) فرددت على من حضرني، فابى، قال: **أَتَحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عَرِيَانَةً؟** قلت: لا قال: فاستأذن، فراجعته أيضا، قال: **أَتَحِبُّ أَنْ تَطِيعَ اللَّهَ؟** قلت: نعم، قال: فاستأذن، فقال لي سعيد بن جبيرة: **إِنَّكَ لَتَرُدُّ عَلَيْهِ، قُلْتَ: أَرَدْتُ أَنْ يَرْخَصَ لِي.**

قال ابن جُرَيْج: وأخبرني ابن طاووس، عن أبيه قال: ما من امرأة أكره إليَّ أن أرى، كأنه يقول: عريتها أو عريانة، من ذات محرم، قال: وكان يشدد في ذلك.

قال ابن جُرَيْج، وقال عطاء بن أبي رباح: وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا، فواجب على الناس أجمعين إذا احتموا أن يستأذنوا على من كان من الناس، قلت لعطاء: أوجب على الرجل أن يستأذن على أمه، ومن وراءها من ذات قرابته؟ قال: نعم، قلت: أبرَّ وجب؟ قال قوله: **وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا .**

قال ابن جُرَيْج: وأخبرني ابن زياد: أن صفوان مولى لبني زهرة، أخبره عن عطاء بن يسار: أن رجلا قال للنبيِّ صلى الله عليه وسلم: **أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي؟** قال: **"نَعَمْ"**، قال: إنها ليس لها خادم غيري، فأستأذن عليها كلما دخلت؟ قال: **"أُتَحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُرْيَانَةً؟"** قال الرجل: لا. قال: **"فَأَسْتَأْذِنُ عَلَيْهَا"**.

قال ابن جُرَيْج عن الزهري: قال: سمعت هزيل بن سُرحبيل الأودي الأعمى، أنه سمع ابن مسعود يقول: عليكم الإذن على أمهاتكم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، قال: قلت لعطاء: **أَيَسْتَأْذِنُ الرَّجُلُ عَلَى امْرَأَتِهِ؟** قال: لا.

حدثنا الحسين، قال: ثنا محمد بن حازم، عن الأعمش، عن عمرو بن مَرَّة، عن يحيى بن الجزار، عن ابن أخي زينب امرأة ابن مسعود، عن زينب قالت: كان عبد الله إذا جاء من حاجة فأنتهى إلى الباب، تنحنح ويزق كراهة أن يهجم منا على أمر يكرهه.

< 19-149 >

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله ( **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا** ) قال: الاستئناس: التنحنح والتجرس، حتى يعرفوا أن قد جاءهم أحد، قال: **والتجرس: كلامه وتنحنحه.**

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الاستئناس: الاستفعال من الأُنس، وهو أن يستأذن أهل البيت في الدخول عليهم، مخبراً بذلك من فيه، وهل فيه أحد؟ وليؤذنه أنه داخل عليهم، فليأنس إلى إذنه في ذلك، ويأنسوا إلى استئذانه إياهم.

وقد حكى عن العرب سماعاً: اذهب فاستأنس، هل ترى أحداً في الدار؟  
بمعنى: انظر هل ترى فيها أحداً؟

فتأويل الكلام إذن إذا كان ذلك معناه: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تسلموا وتستأذنوا، وذلك أن يقول أحدكم: السلام عليكم، أدخل؟ وهو من المقدم الذي معناه التأخير، إنما هو حتى تسلموا وتستأذنوا، كما ذكرنا من الرواية، عن ابن عباس.

وقوله: ( دَلِكُمْ حَيْزٌ لَكُمْ ) يقول: استئناسكم وتسليمكم على أهل البيت الذي تريدون دخوله، فإن دخولكموه خير لكم، لأنكم لا تدرون أنكم إذا دخلتموه غير إذن، على ماذا تهجمون؟ على ما يسوءكم أو يسركم؟ وأنتم إذا دخلتم بإذن، لم تدخلوا على ما تكرهون، وإذيتهم بذلك أيضاً حق الله عليكم في الاستئذان والسلام. وقوله: ( لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ) يقول: لتذكروا بفعلكم ذلك أوامر الله عليكم، واللازم لكم من طاعته، فتطيعوه.

الهوامش:

(1) في ابن كثير: فرددت عليه ليرخص لي ، فأبى ، فلعله تصحيف عنه.  
القول في تأويل قوله تعالى : فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ  
(28)

يقول تعالى ذكره: فإن لم تجدوا في البيوت التي تستأذنون فيها أحداً، يأذن لكم بالدخول إليها، فلا تدخلوها، لأنها ليست لكم، فلا يحل لكم دخولها إلا بإذن أربابها، فإن أذن لكم أربابها أن تدخلوها فادخلوها ( وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ) يقول: وإن قال لكم أهل البيوت التي تستأذنون فيها: ارجعوا فلا تدخلوها، وارجعوا عنها ولا < 150-19 > تدخلوها؛ ( هُوَ أَزْكَى لَكُمْ ) يقول: رجوعكم عنها إذا قيل لكم ارجعوا، ولم يؤذن لكم بالدخول فيها، أظهر لكم عند الله. وقوله: ( هُوَ ) كناية من اسم الفعل (1) أعني من قوله: ( فارْجِعُوا ). وقوله: ( وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ) يقول جل ثناؤه: والله بما تعملون من رجوعكم بعد استئذانكم في بيوت غيركم إذا قيل لكم ارجعوا، وترك رجوعكم عنها وطاعتكم الله فيما أمركم ونهاكم في ذلك وغيره من أمره ونهيه- ذو علم محيط بذلك كله، محص جميعه عليكم، حتى يجازيكم على جميع ذلك.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وكان مجاهد يقول في تأويل ذلك ما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ( فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا ) قال: إن لم يكن لكم فيها متاع، فلا تدخلوها إلا بإذن ( وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارجِعُوا فَارجِعُوا ).

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

قال: ثنا الحسن، قال: ثنا هاشم بن القاسم المزني، عن قتادة، قال: قال رجل من المهاجرين: لقد طلبت عمري كله هذه الآية، فما أدركتها، أن أستأذن على بعض إخواني، فيقول لي ارجع، فأرجع وأنا مغتبط، لقوله ( وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارجِعُوا فَارجِعُوا هُوَ أَرْجَى لَكُمْ ) وهذا القول الذي قاله مجاهد في تأويل قوله: ( فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا ) بمعنى: إن لم يكن لكم فيها متاع، قول بعيد من مفهوم كلام العرب؛ لأن العرب لا تكاد تقول: ليس بمكان كذا أحد، إلا وهي تعني ليس بها أحد من بني آدم.

وأما الأمتعة وسائر الأشياء غير بني آدم، ومن كان سبيله سبيلهم، فلا تقول ذلك فيها.

القول في تأويل قوله تعالى : لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (29)

< 19-151 >

يقول تعالى ذكره: ليس عليكم أيها الناس إثم وجرح أن تدخلوا بيوتا لا ساكن بها بغير استئذان.

ثم اختلفوا في ذلك أي البيوت عنى، فقال بعضهم: عنى بها الخانات والبيوت المبنية بالطرق التي ليس بها سكان معروفون، وإنما بنيت لமாّة الطريق والسابلة، لياؤوا إليها، ويؤوا إليها أمتعتهم.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حجاج، عن سالم المكي، عن محمد ابن الحنفية، في قوله: ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ ) قال: هي الخانات التي تكون في الطرق.

حدثني عباس بن محمد، قال: ثنا مسلم، قال: ثنا عمر بن فروخ، قال: سمعت قتادة يقول: ( بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ ) قال: هي الخانات تكون لأهل الأسفار.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن أبي زائدة، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) قال: كانوا يضعون في بيوت في طرق المدينة متاعا وأقتابا، فَرُحِّصَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ( بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ ) قال: هي البيوت التي ينزلها السفر، لا يسكنها أحد.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ ) قال: كانوا يصنعون، أو يضعون بطريق المدينة أقتابا وأمتعة في بيوت ليس فيها أحد، فأحلَّ لهم أن يدخلوها بغير إذن.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله. إلا أنه قال: كانوا يضعون بطريق المدينة، بغير شك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله، غير أنه قال: كانوا يضعون بطريق المدينة أقتابا وأمتعة.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ( أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ ) هي البيوت التي ليس لها < 152-19 > أهل، وهي البيوت التي تكون بالطرق والخربة ( فِيهَا مَتَاعٌ ) منفعة للمسافر في الشتاء والصيف، يأوي إليها.

وقال آخرون: هي بيوت مكة.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام بن سلم، عن سعيد بن سائق، عن الحجاج بن أرقطاة، عن سالم بن محمد ابن الحنفية في: ( بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ ) قال: هي بيوت مكة.

وقال آخرون: هي البيوت الخربة والمتاع الذي قال الله فيها لكم قضاء الحاجة، من الخلاء والبول فيها.

\*ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، قال: سمعت عطاء يقول ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) قال: الخلاء والبول.

حدثني محمد بن عمار، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا حسن بن عيسى بن زيد، عن أبيه، في هذه الآية ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) قال: التخلي في الخراب.

وقال آخرون: بل عنى بذلك بيوت التجار التي فيها أمتعة الناس.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) قال: بيوت التجار، ليس عليكم جناح أن تدخلوها بغير إذن، الجوانيت التي بالقيساريات والأسواق، وقرأ ( فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) متاع للناس، ولبنى آدم.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله عمّ بقوله: ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) كل بيت لا ساكن به لنا فيه متاع ندخله بغير إذن؛ لأن الإذن إنما يكون ليؤنس المأذون عليه قبل الدخول، أو ليأذن للداخل إن كان له مالكا، أو كان فيه ساكنا. فأما إن كان لا مالك له فيحتاج إلى إذنه لدخوله < 153-19 > ولا ساكن فيه فيحتاج الداخل إلى إيناسه والتسليم عليه، لئلا يهجم على ما لا يحب رؤيته منه، فلا معنى للاستئذان فيه. فإذا كان ذلك، فلا وجه لتخصيص بعض ذلك دون بعض، فكل بيت لا مالك له، ولا ساكن، من بيت مبني ببعض الطرق للمارة والسابلة؛ ليأووا إليه، أو بيت خراب، قد باد أهله ولا ساكن فيه، حيث كان ذلك، فإن لمن أراد دخوله أن يدخل بغير استئذان، لمتاع له يؤويه إليه، أو للاستمتاع به لقضاء حقه من بول أو غائط أو غير ذلك وأما بيوت التجار، فإنه ليس لأحد دخولها إلا بإذن أربابها وسكانها.

فإن ظنَّ طائرٌ أن التاجر إذا فتح دكانه وقعد للناس، فقد أذن لمن أراد الدخول عليه في دخوله، فإن الأمر في ذلك بخلاف ما ظنَّ، وذلك أنه ليس لأحد دخول ملك غيره بغير ضرورة ألجأته إليه، أو بغير سبب أباح له دخوله إلا بإذن ربه، لا سيما إذا كان فيه متاع، فإن كان التاجر قد عرف منه أن فتحه حانوته إذن منه لمن أراد دخوله في الدخول، فذلك بعد راجع إلى ما قلنا من أنه لم يدخله من دخله إلا بإذنه. وإذا كان ذلك كذلك، لم يكن من معنى قوله: ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) في شيء، وذلك أن التي وضع الله عنا الجناح في دخولها بغير إذن من البيوت، هي ما لم يكن مسكونا، إذ حانوت التاجر لا سبيل إلى دخوله إلا بإذنه، وهو مع ذلك مسكون، فتبين أنه مما عنى الله من هذه الآية بمعزل.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال جماعة من أهل التأويل: هذه الآية مستثناة من قوله: لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا .

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْجٍ، قال: قال ابن عباس: لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ثم نسخ واستثنى فقال: ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ).

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، عن الحسين، عن يزيد، عن عكرمة حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا ... الآية، فنسخ من ذلك، واستثنى فقال: ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ).

وليس في قوله: ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) دلالة على أنه استثناء من قوله: لا تَدْخُلُوا < 154-19 > بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا ; لأن قوله: لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا حكم من الله في البيوت التي لها سكان وأرباب. وقوله: ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُوتَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) حكم منه في البيوت التي لا سكان لها، ولا أرباب معروفون، فكل واحد من الحكمين حكم في معنى غير معنى الآخر، وإنما يستثنى الشيء من الشيء إذا كان من جنسه أو نوعه في الفعل أو النفس، فأما إذا لم يكن كذلك، فلا معنى لاستثنائه منه. وقوله: ( وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ) يقول تعالى ذكره: والله يعلم ما تظهرون أيها الناس بالسنتكم من الاستئذان إذا استأذنتم على أهل البيوت المسكونة ( وَمَا تَكْتُمُونَ ) يقول: وما تضمرونه في صدوركم عند فعلكم ذلك ما الذي تقصدون به إطاعة الله، والانتهاة إلى أمره، أم غير ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى : قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30)

يقول تعالى ذكره لبيبه محمد صلى الله عليه وسلم: ( قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ ) بالله وبك يا محمد ( يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ) يقول: يكفوا من نظرهم إلى ما يشتهون النظر إليه، مما قد نهاهم الله عن النظر إليه ( وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ) أن يراها من لا يحل له رؤيتها، بليس ما يسترها عن أبصارهم ( ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ) يقول: فإن غضها من النظر عما لا يحل النظر إليه، وحفظ الفرج عن أن يظهر لأبصار الناظرين؛ أظهر لهم عند الله وأفضل ( إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ) يقول: إن الله ذو خبرة بما تصنعون أيها الناس فيما أمركم به من غض أبصاركم عما أمركم بالغض عنه، وحفظ فروجكم عن إظهارها لمن نهاكم عن إظهارها له.

وينحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني علي بن سهل الرملي، قال: ثنا حجاج، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية في قوله: ( قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ) قال: كل فرج دُكِرَ حِفْظُهُ في القرآن فهو من الزنا إلا هذه وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ فإنه يعني الستر.

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، < 155-19 > قوله: ( قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ قال: يعضوا أبصارهم عما يكره الله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ) قال: يعض من بصره: أن ينظر إلى ما لا يحل له، إذا رأى ما لا يحل له عض من بصره لا ينظر إليه، ولا يستطيع أحد أن يعض بصره كله، إنما قال الله: ( قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ) .

القول في تأويل قوله تعالى : وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ (31)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم ( وَقُلْ ) يا محمد ( لِلْمُؤْمِنَاتِ ) من أمتك ( يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ) عما يكره الله النظر إليه مما نهاكم عن النظر إليه ( وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ) يقول: ويحفظن فروجهن عن أن يراها من لا يحل له رؤيتها، بلبس ما يسترها عن أبصارهم.

وقوله: ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ) يقول تعالى ذكره: ولا يُظْهَرْنَ للناس الذين ليسوا لهن بمحرم زينتتهن، وهما زينتتان: إحداهما: ما خفي وذلك كالخلخال والسوارين والقرطين والقلائد،

والأخرى: ما ظهر منها، وذلك مختلف في المعنى منه بهذه الآية، فكان بعضهم يقول: زينة الثياب الظاهرة.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا هارون بن المغيرة، عن الحجاج، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود، قال: الزينة زينتتان: فالظاهرة منها الثياب، وما خفي: الخَلْخَالان والقرطان والسواران.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني الثوري، عن أبي إسحاق > 156-19 < الهمداني، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، أنه قال: ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) : قال: هي الثياب.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، قال: ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال: الثياب.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، مثله.

قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن مالك بن الحارث، عن عبد الرحمن بن زيد، عن عبد الله، مثله.

قال: ثنا سفيان، عن علقمة، عن إبراهيم، في قوله: ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) : قال: الثياب.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علي، قال: أخبرنا بعض أصحابنا، إما يونس، وإما غيره، عن الحسن، في قوله: ( إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال: الثياب.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله ( إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال: الثياب.

قال أبو إسحاق: ألا ترى أنه قال: خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ .

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: ثنا محمد بن الفضل، عن الأعمش، عن مالك بن الحارث، عن عبد الرحمن بن زيد، عن ابن مسعود ( إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال: هو الرداء.

وقال آخرون: الظاهر من الزينة التي أبيض لها أن تبديه: الكحل، والخاتم، والسواران، والوجه.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا مروان، قال: ثنا مسلم الملائني، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس: ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال: الكحل والخاتم.

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الأملي، قال: ثنا مروان، عن مسلم الملائني، عن سعيد بن جبیر، مثله. ولم يذكر ابن عباس.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا هارون، عن أبي عبد الله نهشل، عن الضحاك، عن < 157-19 > ابن عباس، قال: الظاهر منها: الكحل والكحل والخدان.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن عبد الله بن مسلم بن هرمز، عن سعيد بن جبير، في قوله: ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال: الوجه والكف.

حدثنا عمرو بن عبد الحميد، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن عبد الله بن مسلم بن هرمز المكي، عن سعيد بن جبير، مثله.

حدثني علي بن سهل، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: ثنا أبو عمرو، عن عطاء في قول الله ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال: الكفان والوجه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن سعيد، عن قتادة قال: الكحل، والسوران، والخاتم.

حدثني علي، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال: والزينة الظاهرة: الوجه، وكحل العين، وخضاب الكف، والخاتم، فهذه تظهر في بيتها لمن دخل من الناس عليها.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال: المسكتان والخاتم والكحل، قال قتادة: وبلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر، أن تخرج يدها إلا إلى هاهنا ". وقبض نصف الذراع.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن رجل، عن المسور بن مخرمة، في قوله: ( إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال: القليلين، والخاتم، والكحل، يعني السوار.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس، قوله: ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال: الخاتم والمسكة.

قال ابن جريج، وقالت عائشة: القلْبُ والفتحة، قالت عائشة: دَخَلْتُ عَلَيَّ ابنة أخي لأمي عبد الله بن الطفيل مُرَبَّنَةً، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم، فأعرض، فقالت عائشة: يا رسول الله إنها ابنة أخي وجارية، فقال: " إذا عرقت المرأة (2) لم < 158-19 > يحل لها أن تظهر إلا وجهها، وإلا ما دون هذا "، وقبض على ذراع نفسه، فترك بين قبضته وبين الكف مثل قبضة أخرى. وأشار به أبو علي.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال ابن جُرَيْج، وقال مجاهد قوله: (إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) قال: الكحل والخضاب والخاتم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عاصم، عن عامر: (إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) قال الكحل، والخضاب، والثياب.

حدثني يونس، قال أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) من الزينة: الكحل، والخضاب، والخاتم، هكذا كانوا يقولون وهذا يراه الناس.

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي، قال: ثنا عمر بن أبي سلمة، قال: سئل الأوزاعي عن (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) قال: الكفين والوجه.

حدثنا عمرو بن بندق، قال: ثنا مروان، عن جُوَيْر، عن الضحاک في قوله: (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ) قال الكف والوجه.

وقال آخرون: عنى به الوجه والثياب.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، قال: قال يونس (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) قال الحسن: الوجه والثياب.

حدثنا ابن بشار، قال ثنا ابن أبي عدي، وعبد الأعلى، عن سعيد، عن قتادة، عن الحسن، في قوله: (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) قال: الوجه والثياب.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: عنى بذلك الوجه والكفان، يدخل في ذلك إذا كان كذلك: الكحل، والخاتم، والسوار، والخضاب.

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالتأويل؛ لإجماع الجميع على أن على كلِّ مصل أن يستر عورته في صلاته، وأن للمرأة أن تكشف وجهها وكفيها في صلاتها، وأن عليها أن تستر ما عدا ذلك من بدنها، إلا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أباح لها أن تبديه من ذراعها إلى قدر النصف. فإذا كان ذلك من جميعهم إجماعاً، كان معلوماً بذلك أن لها أن تبدي من بدنها > 159-19 < ما لم يكن عورة، كما ذلك للرجال؛ لأن ما لم يكن عورة فغير حرام إظهاره؛ وإذا كان لها إظهار ذلك، كان معلوماً أنه مما استثناه الله تعالى ذكره، بقوله: (إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) لأن كل ذلك ظاهر منها.

\*\*\*

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله: ( وَلَيَصْرِبَنَ بِخُمْرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ) يقول تعالى ذكره: وليلقين خُمُرهنَّ، وهي جمع خمار، على جيوبهنَّ، ليسترنن بذلك شعورهنَّ وأعناقهنَّ وفُرْطَهِنَّ.

حدثنا ابن وكيع، قال ثنا زيد بن حباب، عن إبراهيم بن نافع، قال: ثنا الحسن بن مسلم بن يناق، عن صفية بنت شيبة، عن عائشة، قالت: لما نزلت هذه الآية: ( وَلَيَصْرِبَنَ بِخُمْرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ) قال شققن البُرْد مما يلي الحواشي، فاختمرن به.

حدثني يونس، قال أخبرنا ابن وهب، أن قره بن عبد الرحمن، أخبره، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: يرحم الله النساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله: ( وَلَيَصْرِبَنَ بِخُمْرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ) شققن أكثف مروطهنَّ، فاختمرن به.

وقوله: ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ) يقول تعالى ذكره: ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ) التي هي غير ظاهرة، بل الخفية منها، وذلك الخلخال والقرط والدملج، وما أمرت بتغطيته بخمارها من فوق الجيب، وما وراء ما أبيع لها كشفه، وإبرازه في الصلاة وللأجنبيين من الناس، والذراعين إلى فوق ذلك، إلا لبعولتهنَّ.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن طلحة بن مصرف، عن إبراهيم: ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ ) قال: هذه ما فوق الذراع.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن منصور، قال: سمعت رجلا يحدث عن طلحة، عن إبراهيم، قال في هذه الآية ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ ) قال: ما فوق الجيب، قال شعبة: كتب به منصور إليّ، وقرأته عليه.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، في قوله: ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ) قال: تبدي لهؤلاء الرأس.

< 19-160 >

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قال ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ )... إلى قوله: عَوْرَاتِ النِّسَاءِ قال: الزينة التي يبدينها لهؤلاء: قرطاهما، وقلادتها، وسوارها، فأما خلخالها ومعضداها ونحرها وشعرها، فإنه لا تبديه إلا لزوجها.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جُرَيْج، قال: ابن مسعود، في قوله: ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ) قال: الطوق والقرطين، يقول الله تعالى ذكره: قل للمؤمنات ألحرائر: لا يظهرن هذه الزينة الخفية التي ليست بالظاهرة إلا لبعولتهن، وهم أزواجهن، واحدهم بعل، أو لآبائهن، أو لآباء بعولتهن: يقول أو لآباء أزواجهن، أو لآبائهن، أو لأبنائهن، أو لبني إخوانهن، أو لبني إخوانهن، ويعني بقوله: أو لإخوانهن أو لأخواتهن، أو لبني إخوانهن، أو لبني أخواتهن، أو نسائهن. قيل: عني بذلك نساء المسلمين.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، قوله: ( أَوْ نِسَائِهِنَّ ) قال: بلغني أنهن نساء المسلمين، لا يحلّ لمسلمة أن ترى مشركة عربتها، إلا أن تكون أمة لها، فذلك قوله: ( أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ).

قال: ثني الحسين، قال: ثني عيسى بن يونس، عن هشام بن الغازي، عن عيادة بن نسيب: أنه كره أن تقبل النصرانية المسلمة، أو ترى عورتها، ويتأول: ( أَوْ نِسَائِهِنَّ ).

قال: ثنا عيسى بن يونس، عن هشام، عن عيادة، قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي عُبَيْدة بن الجراح رحمة الله عليهما: أما بعد، فقد بلغني أن نساء يدخلن الحمامات، ومعهن نساء أهل الكتاب، فامنع ذلك، وحلّ دونه. قال: ثم إن أبا عُبَيْدة قام في ذلك المقام مبتهلاً اللهم أيما امرأة تدخل الحمام من غير علة ولا سقم، تريد البياض لوجهها، فسود وجهها يوم تبيض الوجوه.

وقول: ( أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال: بعضهم: أو مَمَالِيكُهُنَّ، فإنه لا بأس عليها أن تظهر لهم من زينتها ما تظهره لهؤلاء.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، قال: > 19- 161 < أخبرني عمرو بن دينار، عن مخلد التميمي، أنه قال، في قوله: ( أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ) قال: في القراءة الأولى: أيما نكم.

وقال: آخرون: بل معنى ذلك: أو ما ملكت أيماهن من إماء المشركين، كما قد ذكرنا عن ابن جُرَيْج قبل من أنه لما قال: ( أَوْ نِسَائِهِنَّ ) عني بهن النساء المسلمات دون المشركات، ثم قال: أو ما ملكت أيماهن من الإماء المشركات.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : **أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضُرُّنَّ يَأْزُجُلَهُنَّ لِيُعَلِّمَنَّ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (31)**

يقول تعالى ذكره: والذين يتبعونكم لطعام يأكلونه عندكم، ممن لا أرب له في النساء من الرجال، ولا حاجة به إليهن، ولا يريدهن.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ( **أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ** ) قال: كان الرجل يتبع الرجل في الزمان الأول لا يغار عليه ولا ترهب المرأة أن تضع خمارها عنده، وهو الأحمق الذي لا حاجة له في النساء.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ( **أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ** ) فهذا الرجل يتبع القوم، وهو مغفل في عقله، لا يكثر للنساء، ولا يشتهيهن، فالزينة التي تبديها لهؤلاء: قرطاهن وقلادتهن وسواراهن، وأما خلخالها ومعضداتها ونحرها وشعرها، فإنها لا تبديه إلا لزوجها.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ( **أَوِ التَّابِعِينَ** ) قال: هو التابع يتبعك يصيب من طعامك.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا إسماعيل بن عليه، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد ( **أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ** ) قال: الذي يريد الطعام، < 162-19 > ولا يريد النساء.

قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، مثله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: ( **أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ** ) الذين لا يهمهم إلا بطونهم، ولا يخافون على النساء.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا إسماعيل بن موسى السديّ، قال: ثنا شريك، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: ( **غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ** ) قال: الأبله.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت ليثا، عن مجاهد، قوله: ( غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ ) قال: هو الأبله، الذي لا يعرف شيئاً من النساء.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَيَّة، قال: ثنا ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ( غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ) الذي لا أرب له بالنساء، مثل فلان.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن عطية، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق عمن حدثه، عن ابن عباس: ( غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ ) قال: هو الذي لا تستحي منه النساء.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جبر، عن مغيرة، عن الشعبي: ( غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ ) قال: من تبع الرجل وحشمه، الذي لم يبلغ أربه أن يطلع على عورة النساء.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة، عن المغيرة، عن الشعبي ( غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ ) قال: الذي لا أرب له في النساء.

قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، قال: المعتوه.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري في قوله: ( أَوِ التَّائِبِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ) قال: هو الأحمق، الذي لا همة له بالنساء ولا أرب.

وبه عن معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه، في قوله: ( غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ) يقول: الأحمق، الذي ليست له همة في النساء.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: > 19- 163 < قال ابن عباس: الذي لا حاجة له في النساء.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال: ابن زيد، في قوله: ( أَوِ التَّائِبِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ) قال: هو الذي يتبع القوم، حتى كأنه كان منهم ونشأ فيهم، وليس يتبعهم لإربة نسائهم، وليس له في نسائهم إربة. وإنما يتبعهم لإرفاقهم إياه.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: كان رجل يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث، فكانوا يعدونه من غير أولي الإربة، فدخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم يوماً وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة، فقال: إنها إذا أقبلت عليه وسلم بأربع، وإذا أدبرت أدبرت بثمان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا أرى هَذَا يَعْلَمُ مَا هَاهُنَا، لا يَدْخُلَنَّ هَذَا عَلَيْكُمْ " فحجبه.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري، قال: ثنا حفص بن عمر العدني، قال: ثنا الحكم بن أبان، عن عكرمة في قوله: ( أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ ) قال: هو المخنث الذي لا يقوم زبه.

واختلف القراء في قوله: ( غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ ) فقرأ ذلك بعض أهل الشام، وبعض أهل المدينة والكوفة " غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ " بنصب غير ، ولنصب غير، هاهنا وجهان: أحدهما على القطع من التابعين، لأن التابعين معرفة وغير نكرة، والآخر على الاستثناء، وتوجيه غير إلى معنى " إلا "، فكأنه قيل: إلا. وقرأ غير من ذكرت بخفض " غَيْرٍ " على أنها نعت للتابعين، وجاز نعت " التابعين " ب " غير " و " التابعون " معرفة وغير نكرة، لأن " التابعين " معرفة غير مؤقتة. فتأويل الكلام على هذه القراءة: أو الذين هذه صفتهم.

والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان متقاربتا المعنى مستفيضة القراءة بهما في الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، غير أن الخفض في " غير " أقوى في العربية، فالقراءة به أعجب إليّ والإربة: الفعلة من الأرب، مثل الجلسة من الجلوس، والمشية من المشي، وهي الحاجة، يقال: لا أرب لي فيك: لا حاجة لي فيك، وكذا أربت لكذا وكذا إذا: احتجت إليه، فأنا أرب له أربا. فأما الأربة بضم الألف: فالعقدة.

وقوله: ( أَوِ الطُّفُلَ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ) يقول تعالى ذكره: أو الطفل الذين لم يكشفوا عن عورات النساء بجماعهن فيظهرن عليهن لصغرهم.

< 19-164 >

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ) قال: لم يدروا ما ثم، من الصغر قبل الحلم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

وقوله: ( وَلَا يَصْرَبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ) يقول تعالى ذكره: ولا يجعلن في أرجلهن من الحلي ما إذا مشين أو حركنهن، علم الناس الذين مشين بينهم ما يخفين من ذلك.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، قال: زعم حضرمي أن امرأة اتخذت برتين (3) من فضة، واتخذت جزعا، فمّرت على قوم، فضربت برجلها، فوقع الخلال على الجزع، فصوّت، فأنزل الله ( وَلَا يَصْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ).

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن السدي، عن أبي مالك ( وَلَا يَصْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ) قال: كان في أرجلهم خرز، فكنّ إذا مررن بالمجالس حرّكن أرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهنّ.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: ( وَلَا يَصْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ ) فهو أن تقرع الخلل بالآخر عند الرجال، ويكون في رجلها خلاخل، فتحرّكهنّ عند الرجال، فهي الله سبحانه وتعالى عن ذلك؛ لأنه من عمل الشيطان.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: ( وَلَا يَصْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ) قال: هو الخلل، لا تضرب امرأة < 165-19 > برجلها ليسمع صوت خلخالها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَلَا يَصْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ) قال: الأجراس من حليهنّ، يجعلنها في أرجلهنّ في مكان الخلاخل، فنهاهن الله أن يضربن بأرجلهنّ لتسمع تلك الأجراس.

وقوله: ( وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ) يقول تعالى ذكره: وارجعوا أيها المؤمنون إلى طاعة الله فيما أمركم ونهاكم من غضّ البصر، وحفظ الفرج، وترك دخول بيوت غير بيوتكم، من غير استئذان ولا تسليم، وغير ذلك من أمره ونهيه؛ ( لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ) يقول: لتفلحوا وتدرکوا طلباتكم لديه، إذا أنتم أطعتموه فيما أمركم ونهاكم.

الهوامش:

- (1) يريد باسم الفعل : المصدر ؛ لأنه اسم الحدث ، ولا يريد ما اصطلح النحاة علي تسميته اسم فعل كصه وأف.
- (2) عرکت الجارية تعرک (كتنصر) عرکًا وعراکًا وعروکًا : حاضت : فهي عارک ، وأعرکت فهي معرک .



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(3) مثنى برة ، بتخفيف الراء ، وهي كل حلقة من سوار وقرط وخلخال وما أشبهها . قال: \* وقععن الخلاخل والبرينا \*

وفي الأصل : "مرتين" بدون نقط . وانظر (اللسان : برا) . القول في تأويل قوله تعالى : **وَأُنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (32)**

يقول تعالى ذكره: وزوّجوا أيها المؤمنون من لا زوج له، من أحرار رجالكم ونسائكم، ومن أهل الصلاح من عبيدكم ومماليككم. والأيامى: جمع أيم، وإنما جمع الأيم أيامى؛ لأنها فعيلة في المعنى، فجمعت كذلك كما جمعت اليتيمة: يتامى؛ ومنه قول جميل:

أَحَبُّ الْأَيَامَىٰ إِذْ بُتِيَتْهُ أَيْمٌ

وَأُحِبِّتُ لَمَّا أَنْ عَنَيْتِ الْعَوَانِيَا (1)

ولو جمعت أيامم كان صوابا، والأيم يوصف به الذكر والأنثى، يقال: رجل أيم، وامرأة أيم وأيممة: إذا لم يكن لها زوج؛ ومنه قول الشاعر:

فإِنْ تَنكِحِي أَكْخَ وَإِنْ تَتَأَيَّمِي

وَإِنْ كُنْتُ أَفْتَىٰ مِنْكُمْ أَتَأَيَّمُ (2)

< 19-166 >

(إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ ) يقول: إن يكن هؤلاء الذين تُنكِحُونَهُمْ من أيامى رجالكم ونسائكم وعبيدكم وإمائكم أهل فاقة وفقر، فإن الله يغنيهم من فضله، فلا يمنعكم فقرهم من إنكاحهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ( **وَأُنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ** ) قال: أمر الله سبحانه بالنكاح، ورعّبهم فيه، وأمرهم أن يزوّجوا أحرارهم وعبيدهم، ووعدهم في ذلك الغنى، فقال: ( **إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ** ).

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا حسن أبو الحسن، وكان إسماعيل بن صبيح مولى هذا، قال: سمعت القاسم بن الوليد، عن عبد الله بن مسعود، قال: التمسوا الغنى في النكاح، يقول الله: ( إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ).

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ ) قال: أيامى النساء: اللاتي ليس لهن أزواج.

وقوله: ( وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ) يقول جل ثناؤه: والله واسع الفضل جواد بعطاياه، فزوّجوا إماءكم، فإن الله واسع يوسع عليهم من فضله، إن كانوا فقراء. عليم: يقول: هو ذو علم بالفقير منهم والغني، لا يخفى عليه حال خلقه في شيء وتدبيرهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ( وَلَيْسَتَّعْفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتُغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ (33) )

يقول تعالى ذكره: ( وَلَيْسَتَّعْفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ ) ما ينكحون به النساء عن إتيان ما حرّم الله عليهم من الفواحش، حتى يغنيهم الله من سعة فضله، ويوسّع عليهم من رزقه.

< 19-167 >

وقوله: ( وَالَّذِينَ يَبْتُغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) يقول جل ثناؤه: والذين يلبتسون المكاتب منكم من ممالئكم ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) ، واختلف أهل العلم في وجه مكاتبته الرجل عبده، الذي قد علم فيه خيرا، وهل قوله: ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) على وجه الفرض، أم هو على وجه الندب؟ فقال بعضهم: فرض على الرجل أن يكتب عبده الذي قد علم فيه خيرا، إذا سأله العبد ذلك.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: قلت لعطاء: أوجب عليّ إذا علمت مالا أن أكتبه؟ قال: ما أراه إلا واجبا، وقالها عمرو بن دينار، قال: قلت لعطاء: أتأثّر عن أحد؟ قال: لا.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا محمد بن بكر، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك أن سيرين أراد أن يكتبه، فتلكأ عليه، فقال له عمر: لتكاتبته.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قال: لا ينبغي لرجل إذا كان عنده المملوك الصالح، الذي له المال يريد أن يكتب، ألا يكتبه.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: ذلك غير واجب على السيد، وإنما قوله: ( فَكَاتِبُوهُمْ ) ندب من الله سادة العبيد إلى كتابة من عُلِمَ فيه منهم خير، لا إيجاب.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال مالك بن أنس: الأمر عندنا أن ليس على سيد العبد أن يكتبه إذا سأله ذلك، ولم أسمع بأحد من الأئمة أكره أحدا على أن يكتب عبده، وقد سمعت بعض أهل العلم إذا سُئِلَ عن ذلك، فقول له: إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) يتلو هاتين الآيتين وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَاتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ وَأَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ قَالِ مَالِكُ: فَإِنَّمَا ذَلِكَ أَمْرُ أَدْنِ اللَّهِ فِيهِ لِلنَّاسِ، وَلَيْسَ بِوَجِبٍ عَلَى النَّاسِ وَلَا يَلْزِمُ أَحَدًا. وقال الثوري: إذا أراد العبد من سيده أن يكتبه، فإن شاء السيد أن يكتبه كاتبه، ولا يجبر السيد على ذلك.

حدثني بذلك عليّ عن زيد، عنه، وحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، > 19-178 < قال: قال ابن زيد في قوله: ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال: ليس بواجب عليه أن يكتبه، إنما هذا أمر أدن الله فيه، ودليل.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: واجب على سيد العبد أن يكتبه إذا علم فيه خيرا، وسأله العبد الكتابة، وذلك أن ظاهر قوله: ( فَكَاتِبُوهُمْ ) ظاهر أمر، وأمر الله فرض الانتهاء إليه، ما لم يكن دليل من كتاب أو سنة، على أنه ندب، لما قد بينا من العلة في كتابنا المسمى " البيان عن أصول الأحكام ".

وأما الخير الذي أمر الله تعالى ذكره عباده بكتابة عبيدهم إذا علموه فيهم، فهو القدرة على الاحتراف والكسب لأداء ما كوتبوا عليه.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عبد الكريم الجزري، عن نافع، عن ابن عمر أنه كره أن يكتب مملوكه إذا لم تكن له حرفة، قال: تطعمني أوساخ الناس.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) يقول: إن علمتم لهم حيلة، ولا تلقوا مؤنتهم على المسلمين.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا أشهب، قال: سئل مالك بن أنس، عن قوله: ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) فقال: إنه ليقال: الخير القوة على الأداء.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني ابن زيد، عن أبيه قول الله: ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال: الخير: القوة على ذلك.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إن علمتم فيهم صدقا ووفاء وأداء.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلية، قال: أخبرنا يونس، عن الحسن، في قوله: ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال: صدقا ووفاء وأداء وأمانة.

قال: ثنا ابن عُلية، قال: ثنا عبد الله، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد وطاووس، أنهما قالا في قوله: ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قالا مالا وأمانة.

< 19-169 >

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، قال: ثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح: ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال: أداء وأمانة.

حدثنا محمد بن المثني، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن المغيرة، قال: كان إبراهيم يقول في هذه الآية ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال: صدقا ووفاء، أو أحدهما.

حدثنا أبو بكر، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء، في قوله ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال: أداء ومالا.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: قال عمرو بن دينار: أحسبه كل ذلك المال والصلاح.

حدثني علي بن سهل، قال: ثنا زيد، قال: ثنا سفيان: ( إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) يعني: صدقا ووفاء وأمانة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال: إن علمت فيه خيرا لنفسك، يؤدّي إليك ويصدقك ما حدثك؛ فكاتبه.

وقال آخرون بل معنى ذلك: إن علمتم لهم مالا.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) يقول: إن علمتم لهم مالا.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، قال: قال ابن عباس ( إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال: مالا.

حدثنا ابن بشار وابن المثنى، قالا ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد: ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال: مالا.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، مثله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ( إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال: لهم مالا فكاتبوهم.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

< 19-170 >

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، عن مجاهد: ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال: إن علمتم لهم مالا كائنة أخلاقهم وأديانهم ما كانت.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن منصور، عن زاذان، عن عطاء بن أبي رباح: ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال: مالا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو بشر، عن مجاهد، قال: إن علمتم عندهم مالا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني محمد بن عمرو اليافعي، عن ابن جُرَيْج، أن عطاء بن أبي رباح، كان يقول: ما نراه إلا المال، يعني قوله: ( إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال: ثم تلا كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا .

وأولى هذه الأقوال في معنى ذلك عندي قول من قال: معناه فكاتبوهم إن علمتم فيهم قوة على الاحتراف والاكْتِسَاب، ووفاء بما أوجب على نفسه وألزمها وصدق لهجة. وذلك أن هذه المعاني هي الأسباب التي بمولى العبد الحاجة إليها إذا كاتب عبده مما يكون في العبد.

فأما المال وإن كان من الخير، فإنه لا يكون في العبد وإنما يكون عنده أو له لا فيه، والله إنما أوجب علينا مكاتبة العبد إذا علمنا فيه خيرا، لا إذا علمنا عنده أو له، فلذلك لم نقل: إن الخير في هذا الموضع معنيٌّ به المال.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله: ( وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) يقول تعالى ذكره: وأعطوهم من مال الله الذي أعطاكم.

ثم اختلف أهل التأويل في الأمور بإعطائه من مال الله الذي أعطاه، من هو؟ وفي المال، أي الأموال هو؟ فقال: بعضهم: الذي أمر الله بإعطاء المكاتب من مال الله: هو مولى العبد المكاتب، ومال الله الذي أمر بإعطائه منه هو مال الكتابة، والقدر الذي أمر أن يعطيه منه الربع.

وقال آخرون: بل ما شاء من ذلك المولى.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني عمرو بن عليّ، قال: ثنا عمران بن عيينة، قال: ثنا عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن عليّ في قول الله: ( وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) قال: ربع المكاتبه.

< 19-171 >

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن عليّ، في قوله الله: ( وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) قال: ربع الكتابة يحطها عنه.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عليه، عن ليث بن عبد الأعلى، عن أبي عبد الرحمن، عن عليّ رضي الله عنه، في قول الله: ( وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) قال: الربع من أول نجومه.

قال: أخبرنا ابن عليه، قال عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن عليّ، في قوله: ( وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) قال: الربع من مكاتبته.

حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، قال: ثنا محمد بن عبيد، قال: ثنا عبد الملك بن أبي سليمان، عن عبد الملك بن أعين، قال: كاتب أبو عبد الرحمن غلاما في أربعة آلاف درهم، ثم وضع له الربع، ثم قال: لولا أنني رأيت عليا، رضوان الله عليه كاتب غلاما له، ثم وضع له الربع، ما وضعت لك شيئا.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن عبد الأعلى، عن أبي عبد الرحمن السلمي: أنه كاتب غلاما له على ألف ومئتين، فترك الربع وأشهدني، فقال لي: كان صديقك يفعل هذا، يعني عليا رضوان الله عليه يتأول ( وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ).

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عبد الملك، قال: ثنا فضالة بن أبي أمية، عن أبيه، قال: كاتبني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فاستقرض لي من حفصة مئتي درهم. قلت: ألا تجعلها في مكاتبتني؟ قال: إني لا أدري أدرك ذلك أم لا.

قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، بلغني أنه كاتبه على مئة أوقية، قال: ثنا سفيان، عن عبد الملك، قال: ذكرت ذلك لعكرمة، فقال: هو قول الله: ( وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ).

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قول الله ( وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) يقول: ضعوا عنهم من مكاتبتهم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ( وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) يقول: ضعوا عنهم مما قاطعتموهم عليه.

< 19-172 >

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء، في قوله: ( وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) قال: مما أخرج الله لكم منهم.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا ابن إدريس، عن ليث، عن مجاهد: ( وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) قال: آتهم مما في يدك.

حدثني الحسين بن عمرو العنقزي، قال: ثنا أبي، عن أسباط، عن السدي، عن أبيه، قال: كاتبني زينب بنت قيس، بن مخزومة من بني المطلب بن عبد مناف على عشرة آلاف، فتركت لي ألفا وكانت زينب قد صلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القبليتين جميعا.

حدثنا مجاهد بن موسى، قال: ثنا يزيد، قال: أخبرنا ابن مسعود الجريري، عن أبي نصر، عن أبي سعيد، مولى أبي أسيد، قال: كاتبني أبو أسيد، على ثنتي عشرة مئة، فجئته بها، فأخذ منها ألفا، وردّ عليّ مئتين.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا هارون بن المغيرة، عن عنبسة، عن سالم الأبطس، عن سعيد بن جبير، قال: كان ابن عمر إذا كاتبه لم يضع عنه شيئا من أول نجومه؛ مخافة أن يعجز فترجع إليه صدقته، ولكنه إذا كان في آخر مكاتبته وضع عنه ما أحبّ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني مخزومة، عن أبيه، عن نافع، قال: كاتب عبد الله بن عمر غلامًا له يقال له: شرف، على خمسة وثلاثين



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ألف درهم، فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف ولم يذكر نافع أنه أعطاه شيئاً غير الذي وضع له.

قال أخبرنا ابن وهب، قال: قال مالك: سمعت بعض أهل العلم يقول: إن ذلك أن يكتب الرجل غلامه، ثم يضع عنه من آخر كتابته شيئاً مسمى، قال مالك: وذلك أحسن ما سمعت، وعلى ذلك أهل العلم، وعمل الناس عندنا.

حدثني عليّ، قال: ثنا زيد، قال: ثنا سفيان: أحبّ إليّ أن يعطيه الربع، أو أقلّ منه شيئاً، وليس بواجب، وأن يفعل ذلك حسن.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جبر، عن عطاء، عن عبد الله بن حبيب أبي عبد الرحمن السلمى، عن عليّ رضي الله عنه ( وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) قال: هو ربع المكاتب.

وقال آخرون: بل ذلك حصّ من الله أهل الأموال على أن يعطوهم سهمهم، الذي جعله لهم من الصدقات المفروضة لهم في أموالهم، بقوله: إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَةَ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ قال: فالرقاب التي جعل فيها < 173-19 > أحد سهمان الصدقة الثمانية هم المكاتبون، قال: وإياه عنى جلّ ثأؤه بقوله: ( وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) : أي سهمهم من الصدقة.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن ابن زيد، عن أبيه، قوله: ( وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) قال: يحث الله عليه يعطونه.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليّ، قال: أخبرنا يونس، عن الحسن ( وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) قال: حثّ الناس عليه، مولاه وغيره.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جبر، عن مغيرة، عن حماد، عن إبراهيم في قوله: ( وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) قال: يعطي مكاتبه وغيره حثّ الناس عليه.

حدثني يعقوب قال: ثنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم أنه قال في قوله: ( وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) قال: أمر مولاه والناس جميعاً أن يعينوه.

حدثنا ابن المثني، قال: ثنا محمد، قال: ثنا شعبة، عن مغيرة، عن إبراهيم ( وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) قال: أمر المسلمين أن يعطوهم مما آتاهم الله.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني ابن زيد، عن أبيه ( وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) قال: ذلك في الزكاة على الولاية، يعطونهم من الزكاة، يقول الله وَفِي الرِّقَابِ .

قال: ثني ابن زيد، عن أبيه ( وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) قال: الفيء والصدقات. وقرأ قول الله: إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ، وقرأ حتى بلغ: وَفِي الرِّقَابِ فأمر الله أن يوفوها منه، فليس ذلك من الكتابة، قال: وكان أبي يقول: ما له وللكتابة؟! هو من مال الله الذي فرض له فيه نصيبا.

وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي القول الثاني، وهو قول من قال: عنى به إبتاءهم سهمهم من الصدقة المفروضة.

وإنما قلنا ذلك أولى القولين، لأن قوله: ( وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) أمر من الله تعالى ذكره بإبتاء المكاتبين من ماله الذي أتى أهل الأموال، وأمر الله فرض على عباده الانتهاء إليه، ما لم يخبرهم أن مراده النذب، لما قد بينا في غير موضع من كتابنا، فإذا كان ذلك ولم يكن أخبرنا في كتابه، ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم < 174-19 > أنه نذب، ففرض واجب. وإذا كان ذلك كذلك، وكانت الحجة قد قامت أن لا حق لأحد في مال أحد غيره من المسلمين، إلا ما أوجبه الله لأهل سهمان الصدقة في أموال الأغنياء منهم، وكانت الكتابة التي يقتضيها سيد المكاتب من مكاتبه مالا من مال سيد المكاتب، فيفاد أن الحق الذي أوجب الله له على المؤمنين أن يؤتوه من أموالهم، هو ما فرض على الأغنياء في أموالهم له من الصدقة المفروضة، إذ كان لا حق في أموالهم لأحد سواها.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَا يُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتِغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهَنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ عَفْوٌ رَحِيمٌ (33)

يقول تعالى ذكره: زوّجوا الصالحين من عبادكم وإمائكم ولا تكرهوا إماءكم على البغاء، وهو الزنا ( إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ) يقول: إن أردن تعففا عن الزنا.

( لِيَبْتِغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) يقول: لتلتمسوا بإكراهكم إياهن على الزنا عرض الحياة الدنيا وذلك ما تعرض لهم إليه الحاجة من رباشها وزينتها وأموالها، ( وَمَنْ يُكْرِهَنَّ ) يقول: ومن يكره فتياته على البغاء، فإن الله من بعد إكراهه إياهن على ذلك، لهن ( عَفْوٌ رَحِيمٌ ) ، ووزر ما كان من ذلك عليهم دونهن.

وذكر أن هذه الآية أنزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول، حين أكره أمته مسيكة على الزنا.

\*ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا الحسن بن الصباح، قال: ثنا حجاج بن محمد، عن ابن جُرَيْج، قال: أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: جاءت مسيكة لبعض الأنصار فقالت: إن سيدي يكرهني على الزنا، فنزلت في ذلك: ( وَلَا تُكْرَهُوا قَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ).

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن الأعمش، عن أبي سفيان عن جابر قال: كانت جارية لعبد الله بن أبي ابن سلول، يقال لها مسيكة، فأجرها أو أكرهها " الطبري بشك " فأتت النبي صلى الله عليه وسلم، فشكت ذلك إليه، فأنزل الله ( وَلَا تُكْرَهُوا قَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتَلُوهُنَّ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) يعني بهنّ.

< 19-175 >

حدثنا أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس، قال: ثنا عشر، قال: ثنا حصين، عن الشعبي، في قوله: ( وَلَا تُكْرَهُوا قَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ) قال: رجل كانت له جارية تفجر، فلما أسلمت نزلت هذه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جُرَيْج، قال: أخبرني أبو الزبير، عن جابر، قال: جاءت جارية لبعض الأنصار، فقالت: إن سيدي أكرهني على البغاء، فأنزل الله في ذلك ( وَلَا تُكْرَهُوا قَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ) قال ابن جُرَيْج: وأخبرني عمرو بن دينار، عن عكرمة قال: أمة لعبد الله بن أبي، أمرها فنزت، فجاءت ببرد، فقال لها: ارجعي فازني، قالت: والله لا أفعل، إن يك هذا خيرا فقد استكثرت منه، وإن يك شرًا فقد أن لي أن أدعه. قال ابن جُرَيْج، وقال مجاهد نحو ذلك، وزاد قال: البغاء الزنا، ( وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) قال: للمكرهات على الزنا، وفيها نزلت هذه الآية.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري أن رجلا من قريش أسر يوم بدر، وكان عبد الله بن أبي أسره، وكان لعبد الله جارية يقال: لها معاذة، فكان القرشيّ الأسير يريدّها على نفسها، وكانت مسلمة، فكانت تمتنع منه لإسلامها، وكان ابن أبي يكرهها على ذلك، ويضربها رجاء أن تحمل للقرشيّ، فيطلب فداء ولده، فقال الله: ( وَلَا تُكْرَهُوا قَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ) قال الزهري: ( وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) يقول: غفور لهنّ ما أكرهنّ عليه.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، أنه كان يقرأ: فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ لهنّ غفور رحيم .

حدثنا عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ( وَلَا تُكْرَهُوا قَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ) يقول: ولا تكرهوا إماءكم على الزنا، فإن فعلتم فإن الله سبحانه لهنّ غفور رحيم، وإثمهنّ على من أكرهنّ.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ( وَلَا تُكْرَهُوا قَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِعَاءِ ) ... إلى آخر الآية، قال: كانوا في الجاهلية يكرهون إماءهم على الزنا، يأخذون أجورهن، فقال الله: لا تكرهوهن على الزنا من أجل المنالة في الدنيا، ( وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) < 176-19 > لهن يعني إذا أكرهن.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ( وَلَا تُكْرَهُوا قَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِعَاءِ ) على الزنا، قال: عبد الله بن أبي ابن سلول أمر أمة له بالزنا، فجاءته بدينار أو ببرد " شك أبو عاصم " فأعطته، فقال: ارجعي فازني بأخر، فقالت: والله ما أنا براجعة، فإله غفور رحيم للمكرهات على الزنا، ففي هذا أنزلت هذه الآية.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، نحوه. إلا أنه قال في حديثه: أمر أمة له بالزنا، فزنت فجاءته ببرد فأعطته، فلم يشك.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ( وَلَا تُكْرَهُوا قَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِعَاءِ ) يقول: على الزنا ( فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) يقول: غفور لهن، للمكرهات على الزنا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) قال: غفور رحيم لهن حين أكرهن وفسرن على ذلك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جابر، عن منصور، عن مجاهد، قال: كانوا يأمرؤن ولائدهم يباغين يفعلن ذلك، فيصبن، فيأتينهم بكسيهن، فكانت لعبد الله بن أبي ابن سلول جارية، فكانت تباغي. فكرهت وحلفت أن لا تفعله، فأكرهها أهلها، فانطلقت فباغت ببرد أخضر، فأنتهم به، فأنزل الله تبارك وتعالى: ( وَلَا تُكْرَهُوا قَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِعَاءِ ) ... الآية.

القول في تأويل قوله تعالى: ( وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ) (34)

يقول تعالى ذكره: ولقد أنزلنا إليكم أيها الناس دلالات وعلامات مبينات: يقول مفصلات الحق من الباطل، وموضحات ذلك.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة، وبعض الكوفيين والبصريين " مُبَيِّنَاتٍ " بفتح الياء: بمعنى مفصلات، وأن الله فصلهن وبينهن لعباده، فهن مفصلات مبينات. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: ( مُبَيِّنَاتٍ ) بكسر

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الياء، بمعنى أن الآيات هن تبين < 177-19 > الحق والصواب للناس وتهديهم إلى الحق.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان، وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء، متقاربتا المعنى، وذلك أن الله إذ فضلها وبيَّن لها صارت مبينة بنفسها الحق لمن التمسه من قبلها، وإذا بيَّنت ذلك لمن التمسه من قبلها، فبين الله ذلك فيها، فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب، في قراءته الصواب.

وقوله: ( وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ) من الأمم، ( وَمَوْعِظَةً ) لمن اتقى الله، فخاف عقابه وخشي عذابه.

القول في تأويل قوله تعالى : اللَّهُ نُورٌ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي رُجَاةٍ الرَّجَاةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا يَسْرِقِيَّةٍ وَلَا عَرَبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارُ نُورٍ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَبَصُرْتُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (35)

يعني تعالى ذكره بقوله: ( اللَّهُ نُورٌ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ) هادي من في السماوات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون، وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم فيه نحو الذي قلنا.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ( اللَّهُ نُورٌ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ) يقول: الله سبحانه هادي أهل السماوات والأرض.

حدثني سليمان بن عمر بن خلدة الرقي، قال: ثنا وهب بن راشد، عن فرقد، عن أنس بن مالك، قال: إن إلهي يقول: نوري هُداي.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: الله مدبر السماوات والأرض.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: قال مجاهد وابن عباس في قوله: ( اللَّهُ نُورٌ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ) : يدبر الأمر فيهما، نجومهما وشمسهما وقمرهما.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 19-178 >

وقال آخرون: بل عنى بذلك النور الضياء. وقالوا: معنى ذلك: ضياء السموات والأرض.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عبد الأعلى بن واصل، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: ثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، في قول الله: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) قال: فبدأ بنور نفسه، فذكره، ثم ذكر نور المؤمن.

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك؛ لأنه عقيب قوله: وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ فكان ذلك بأن يكون خبراً عن موقع يقع تنزيهه من خلقه. ومن مدح ما ابتداء بذكر مدحه، أولى وأشبه، ما لم يأت ما يدل على انقضاء الخبر عنه من غيره. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: ولقد أنزلنا إليكم أيها الناس آيات مبيّنات الحق من الباطل وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ فهديناكم بها، وبيّنا لكم معالم دينكم بها، لأنني هادي أهل السموات وأهل الأرض، وترك وصل الكلام باللام، وابتداء الخبر عن هداية خلقه ابتداء، وفيه المعنى الذي ذكرت، استغناء بدلالة الكلام عليه من ذكره، ثم ابتداء في الخبر عن مثل هدايته خلقه بالآيات المبيّنات التي أنزلها إليهم، فقال: (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ) يقول: مثل ما أنار من الحق بهذا التنزيل في بيانه كمشكاة.

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بالهاء في قوله: (مَثَلُ نُورِهِ) علام هي عائدة، ومن ذكر ما هي؟ فقال بعضهم: هي من ذكر المؤمن. وقالوا: معنى الكلام: مثل نور المؤمن الذي في قلبه من الإيمان والقرآن مثل مشكاة.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا عبد الأعلى بن واصل، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، في قول الله: (مَثَلُ نُورِهِ) قال: ذكر نور المؤمن فقال: مثل نوره، يقول مثل نور المؤمن. قال: وكان أبي يقرؤها: كذلك مثل المؤمن، قال: هو المؤمن قد جعل الإيمان والقرآن في صدره.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن أبي جعفر الرازي، > 179-19 < عن أبي العالية، عن أبي بن كعب (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ) قال: بدأ بنور نفسه فذكره، ثم قال: (مَثَلُ نُورِهِ) يقول: مثل نور من آمن به، قال: وكذلك كان يقرأ أبي، قال: هو عبد جعل الله القرآن والإيمان في صدره.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير ( مَثَلُ نُورِهِ ) قال: مثل نور المؤمن.

حدثني علي بن الحسن الأزدي، قال: ثنا يحيى بن اليمان، عن أبي سنان، عن ثابت، عن الضحاك في قوله: ( مَثَلُ نُورِهِ ) قال: نور المؤمن.

وقال آخرون: بل عُنِيَ بالنور: محمد صلى الله عليه وسلم ، وقالوا: الهاء التي في قوله: ( مَثَلُ نُورِهِ ) عائدة على اسم الله.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب القمي، عن حفص، عن شمر قال: جاء ابن عباس إلى كعب الأحمار، فقال له: حدثني عن قول الله عز وجل: ( اللَّهُ نُورٌ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ) ... الآية؟ فقال كعب: الله نور السماوات والأرض، مثل نوره مثل محمد صلى الله عليه وسلم كمشكاة.

حدثني علي بن الحسن الأزدي، قال: ثنا يحيى بن اليمان، عن أشعث، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير في قوله: ( مَثَلُ نُورِهِ ) قال: محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال آخرون: بل عني بذلك: هدي الله وبيانه، وهو القرآن، قالوا: والهاء من ذكر الله. قالوا: ومعنى الكلام: الله هادي أهل السماوات والأرض بآياته المبينات، وهي النور الذي استنار به السماوات والأرض مثل هداه وآياته التي هدى بها خلقه، ووعظهم بها في قلوب المؤمنين كمشكاة.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس ( مَثَلُ نُورِهِ ) مثل هداه في قلب المؤمن.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: ( مَثَلُ نُورِهِ ) قال: مثل هذا القرآن في القلب كمشكاة.

< 19-180 >

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( مَثَلُ نُورِهِ ) : نور القرآن الذي أنزل على رسوله وعباده، هذا مثل القرآن ( كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ).



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عبد الله بن عياش، قال: قال زيد بن أسلم في قول الله تبارك وتعالى: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ) ونوره الذي ذكر القرآن، ومثله الذي ضرب له.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: مثل نور الله، وقالوا: يعني بالنور: الطاعة.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ) : وذلك أن اليهود قالوا لمحمد: كيف يخلص نور الله من دون السماء؟ فضرب الله مثل ذلك لنوره، فقال: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ) قال: وهو مثل ضربه الله لطاعته، فسمى طاعته نورا، ثم سماها أنوارا شتى.

وقوله: (كَمِشْكَاةٍ) اختلف أهل التأويل في معنى المشكاة والمصباح، وما المراد بذلك، وبالزجاجة، فقال بعضهم: المشكاة كل كوة لا منفذ لها، وقالوا: هذا مثل ضربه الله لقلب محمد صلى الله عليه وسلم.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن حفص، عن شمر، قال: جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار، فقال له: حدثني عن قول الله: (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ) ، قال: المشكاة وهي الكوة، ضربها الله مثلا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، المشكاة (فيها مصباح) المصباح قلبه (في زجاجة) الزجاجة صدره (الزجاجة كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دَرِّيٌّ) شبه صدر النبي صلى الله عليه وسلم بالكوكب الدرّي، ثم رجع المصباح إلى قلبه فقال: (يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ) لم تمسها شمس المشرق ولا شمس المغرب، (يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ) يكاد محمد يبين للناس، وإن لم يتكلم أنه نبي، كما يكاد ذلك الزيت يضيء (وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ).

حدثني علي، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن علي، عن ابن عباس > 181-19 < قوله: (كَمِشْكَاةٍ) يقول: موضع الفتيلة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: (الله نور السماوات والأرض) إلى (كَمِشْكَاةٍ) قال: المشكاة: كوة البيت.

وقال آخرون عنى بالمشكاة: صدر المؤمن، وبالمصباح: القرآن والإيمان، وبالزجاجة: قلبه.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عبد الأعلى بن واصل، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب ( مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ) قال: مثل المؤمن، قد جعل الإيمان والقرآن في صدره كمشكاة، قال: المشكاة: صدره ( فِيهَا مِصْبَاحٌ ) قال: والمصباح القرآن والإيمان الذي جعل في صدره ( الْمِصْبَاحُ فِي رُجَاةٍ ) قال: والرجاة: قلبه ( الرَّجَاةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دَرِّيٌّ يُوقَدُ ) قال: فمثل ما أستنار فيه القرآن والإيمان كأنه كوكب دري، يقول: مضيء ( يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ) والشجرة المباركة أصله المباركة الإخلاص لله وحده وعبادته، لا شريك له ( لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا عَزِيَّةٌ ) قال: فمثل مثل شجرة التفّ بها الشجر، فهي خضراء ناعمة، لا تصيبها الشمس على أي حال كانت، لا إذا طلعت ولا إذا غربت، وكذلك هذا المؤمن قد أجير من أن يصيبه شيء من الغير، وقد ابتلي بها فثبته الله فيها، فهو بين أربع خلال: إن أعطي شكر، وإن ابتلي صبر، وإن حكم عدل، وإن قال صدق، فهو في سائر النّاس كالرجل الحيّ يمشي في قبور الأموات، قال: ( نُورٌ عَلَى نُورٍ ) فهو يتقلب في خمسة من النور: فكلامه نور، وعمله نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره إلى النور يوم القيامة في الجنة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا يحيى بن اليمان، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، قال: المشكاة: صدر المؤمن ( فِيهَا مِصْبَاحٌ ) قال: القرآن.

قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، نحو حديث عبد الأعلى، عن عبيد الله.

< 19-182 >

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس ( مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ ) قال: مثل هداه في قلب المؤمن، كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار، فإذا مسته النار ازداد ضوءاً على ضوء، كذلك يكون قلب المؤمن، يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاء العلم ازداد هدى على هدى، ونورا على نور، كما قال إبراهيم صلوات الله عليه قبل أن تجيئه المعرفة: ( قَالَ هَذَا رَبِّي ) حين رأى الكوكب من غير أن يخبره أحد أن له ربا، فلما أخبره الله أنه ربه ازداد هدى على هدى.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ( اللَّهُ نُورٌ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ) وذلك أن اليهود قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم: كيف يخلص نور الله من دون السماء؟ فضرب الله مثل ذلك لنوره، فقال: ( اللَّهُ نُورٌ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ) والمشكاة: كوة (3) البيت فيها مصباح، ( الْمِصْبَاحُ فِي رُجَاةٍ الرَّجَاةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دَرِّيٌّ ) والمصباح:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

السراج يكون في الزجاج، وهو مثل ضربه الله لطاعته، فسمى طاعته نورا وسماها أنواعا شتى.

قوله: (يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ) قال: هي شجرة لا يفيء عليها ظلٌ شرق ولا ظلٌ غرب، ضاحية، ذلك أصفى للزيت (4) (يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ) قال معمر، وقال الحسن: ليست من شجر الدنيا، ليست شرقية ولا غربية.

وقال آخرون: هو مثل للمؤمن، غير أن المصباح وما فيه مثل لفؤاده، والمشكاة مثل لجوفه.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال مجاهد وابن عباس جميعا: المصباح وما فيه مثل فؤاد المؤمن وجوفه، المصباح: مثل الفؤاد، والكوة: مثل الجوف.

قال ابن جريج (كَمِشْكَاتٍ) : كوة غير نافذة. قال ابن جريج، وقال ابن عباس: < 183-19 > قوله: (نُورٌ عَلَى نُورٍ) يعني: إيمان المؤمن وعمله.

وقال آخرون: بل ذلك مثل للقرآن في قلب المؤمن.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ) قال: ككوة (فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي رُجَاةِ الرَّجَاةِ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ).

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ) نور القرآن الذي أنزل على رسوله وعباده، فهذا مثل القرآن (كَمِشْكَاتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ فِي رُجَاةٍ) فقرأ حتى بلغ: (مُبَارَكَةٍ) فهذا مثل القرآن يستضاء به في نوره ويعلمونه ويأخذون به، وهو كما هو لا ينقص فهذا مثل ضربه الله لنوره. وفي قوله: (يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ) قال: الضوء: إشراق ذلك الزيت، والمشكاة: التي فيها الفتيلة التي فيها المصباح، والقناديل تلك المصابيح.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن عياض في قوله: (كَمِشْكَاتٍ) قال: الكوة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا قره، عن عطية، في قوله: (كَمِشْكَاتٍ) قال: قال ابن عمر: المشكاة: الكوة.

# جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال: آخرون: المشكاة القنديل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ( كَمِشْكَاتٍ ) قال: القنديل، ثم العمود الذي فيه القنديل.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ( كَمِشْكَاتٍ ) الصفر الذي في جوف القنديل.

حدثني إسحاق بن شاهين، قال: ثنا خالد بن عبد الله، عن داود، عن رجل، عن مجاهد قال: المشكاة: القنديل.

وقال آخرون: المشكاة الحديد الذي يعلق به القنديل.

< 19-184 >

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثني، قال: ثنا محمد بن المفضل، قال: ثنا هشيم، قال: ثنا داود بن أبي هند، عن مجاهد، قال: المشكاة الحداث التي يعلق بها القنديل.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك مثل ضربه الله للقرآن في قلب أهل الإيمان به، فقال: مثل نور الله الذي أنار به لعباده سبيل الرشاد، الذي أنزله إليهم فأمنوا به وصدقوا بما فيه في قلوب المؤمنين مثل مشكاة، وهي عمود القنديل الذي فيه الفتيلة، وذلك هو نظير الكوة التي تكون في الحيطان التي لا منفذ لها، وإنما جعل ذلك العمود مشكاة؛ لأنه غير نافذ، وهو أجوف مفتوح الأعلى، فهو كالكوة التي في الحائط التي لا تنفذ، ثم قال: ( فِيهَا مِصْبَاحٌ ) وهو السراج، وجعل السراج وهو المصباح مثلاً لما في قلب المؤمن من القرآن والآيات المبينات، ثم قال: ( الْمِصْبَاحُ فِي رُجَاجَةٍ ) يعني: أن السراج الذي في المشكاة: في القنديل، وهو الزجاج، وذلك مثل للقرآن، يقول: القرآن الذي في قلب المؤمن الذي أنار الله قلبه في صدره، ثم مثل الصدر في خلوصه من الكفر بالله والشك فيه، واستنارته بنور القرآن، واستضاءته بآيات ربه المبينات، ومواعظه فيها بالكوكب الدرّي، فقال: ( الرُّجَاجَةُ ) وذلك صدر المؤمن الذي فيه قلبه ( كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ).

واختلفت القراء في قراءة قوله: ( دُرِّيٌّ )، فقرأته عامة قراء الحجاز: ( دُرِّيٌّ ) بضم الدال وترك الهمزة، وقرأ بعض قراء البصرة والكوفة: " دِرِّيء " بكسر الدال وهمزة، وقرأ بعض قراء الكوفة " دُرِّيء " بضم الدال وهمزة، وكان الذين ضموا داله وتركوا الهمزة وجهوا معناه إلى ما قاله أهل التفسير الذي

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ذكرنا عنهم من أن الزجاج في صفائها وحسنها كالدرّ، وأنها منسوبة إليه لذلك من نعتها وصفتها، ووجه الذين قرءوا ذلك بكسر داله وهمزة إلى أنه فعيل من درّيء الكوكب: أي دُفع ورجم به الشيطان من قوله: وَبَدْرًا عَنَّا الْعَدَابَ : أي يدفع، والعرب تسمي الكواكب العظام التي لا تعرف أسماءها الدراري بغير همز. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول: هي الدراري بالهمز، من يدرآن. وأما الذين قرءوه بضمّ داله وهمزه، فإن كانوا أرادوا به درّوء مثل سيوح وقدوس من درأت، ثم استقلوا كثرة الضمّات فيه، فصرفوا بعضها إلى الكسرة، فقالوا درّيء، كما قيل: وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتْيًا وهو فعول من عتوت عتوّا، < 185-19 > ثم حوّلت بعض ضماتها إلى الكسر، فقيل: عتّيّا، فهو مذهب، وإلا فلا أعرف لصحة قراءتهم ذلك كذلك وجهها، وذلك أنه لا يُعرف في كلام العرب فعيل، وقد كان بعض أهل العربية يقول: هو لحن.

والذي هو أولى القراءات عندي في ذلك بالصواب، قراءة من قرأ ( دَرِّيُّ ) بضمّ داله، وترك همزه، على النسبة إلى الدرّ، لأن أهل التأويل بتأويل ذلك جاءوا وقد ذكرنا أقوالهم في ذلك قبل، ففي ذلك مكتفى عن الاستشهاد على صحتها بغيره، فتأويل الكلام: الزجاج: وهي صدر المؤمن، كأنها: يعني كان الزجاج وذلك مثل لصدر المؤمن، كوكب: يقول في صفائها وضيائها وحسنها. وإنما يصف صدره بالنقاء من كل ريب وشك في أسباب الإيمان بالله وبعده من دنس المعاصي، كالكوكب الذي يُشبه الدرّ في الصفاء والضياء والحسن.

واختلفوا أيضا في قراءة قوله: " تَوْقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ " فقرأ ذلك بعض المكيين والمدنيين وبعض البصريين: " تَوْقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ " بالتاء وفتحها وتشديد القاف وفتح الدال، وكأنهم وجهوا معنى ذلك إلى توقد المصباح من شجرة مباركة. وقرأه بعض عامة قراء المدنيين ( يُوَقَّدُ ) بالياء وتخفيف القاف ورفع الدال، بمعنى: يوقد المصباح، موقده من شجرة، ثم لم يسمّ فاعله. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة " تَوْقَدُ " بضم التاء وتخفيف القاف ورفع الدال، بمعنى: يوقد الزجاج موقدها من شجرة مباركة (5) لما لم يسمّ فاعله، فقيل: توقد. وقرأه بعض أهل مكة " تَوْقَدُ " بفتح التاء وتشديد القاف وضم الدال، بمعنى: تتوقد الزجاج من شجرة، ثم أسقطت إحدى التائين اكتفاءً بالباقية من الذاهبة، وهذه القراءات متقاربات المعاني وإن اختلفت الألفاظ بها، وذلك أن الزجاج إذا وصفت بالتوقد، أو بأنها تَوْقَدُ، فمعلوم معنى ذلك، فإن المراد به تَوْقَدُ فيها المصباح، أو يوقد فيها المصباح، ولكن وجهوا الخبر إلى أن وصفها بذلك أقرب في الكلام منها، وفهم السامعين معناه. والمراد منه، فإذا كان ذلك كذلك، فبأيّ القراءات قرأ القارئ فمصيب، غير أن أعجب القراءات إليّ أن أقرأ بها في ذلك " تَوْقَدُ " بفتح التاء، وتشديد القاف وفتح الدال، بمعنى وصف المصباح بالتوقد؛ لأن التوقد والاتقاد لا شكّ أنهما من صفته دون الزجاج، < 186-19 > فمعنى الكلام إذن: كمشكاة فيها مصباح، المصباح من دهن شجرة مباركة، زيتونة، لا شرقية ولا غربية.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقد ذكرنا بعض ما رُوي عن بعضهم من الاختلاف في ذلك فيما قد مضى، ونذكر باقي ما حضرنا مما لم نذكره قبل، فقال بعضهم: إنما قيل لهذه الشجرة: لا شرقية ولا غربية: أي ليست شرقية وحدها حتى لا تصيبها الشمس إذا غربت، وإنما لها نصيبها من الشمس بالغداة ما دامت بالجانب الذي يلي الشرق، ثم لا يكون لها نصيب منها إذا مالت إلى جانب الغرب، ولا هي غربية وحدها، فتصيبها الشمس بالعشيّ إذا مالت إلى جانب الغرب، ولا تصيبها بالغداة، ولكنها شرقية غربية، تطلع عليه الشمس بالغداة، وتغرب عليها، فيصيبها حرّ الشمس بالغداة والعشيّ، قالوا: إذا كانت كذلك، كان أجود لزيّتها.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرمة، في قوله: (رَيْثُوتَيْهِ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ) قال: لا يسترها من الشمس جبل ولا واد، إذا طلعت وإذا غربت.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا حرمي بن عمار، قال: ثنا شعبة، قال: أخبرني عمار، عن عكرمة، في قوله: ( لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ) قال: الشجرة تكون في مكان لا يسترها من الشمس شيء، تطلع عليها، وتغرب عليها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج؛ قال: قال مجاهد وابن عباس ( لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ) قالوا هي التي بشقّ الجبل، التي يصيبها شروق الشمس وغروبها، إذا طلعت أصابتها، وإذا غربت أصابتها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك ليست شرقية ولا غربية.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال: ثني محمد بن الصلت، قال: ثنا أبو كدينة، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس ( لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ) قال: هي شجرة وسط الشجر، ليست من الشرق ولا من الغرب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( زيتونة لا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ) متيامنة الشام، لا شرقي ولا غربي.

< 19-187 >

وقال آخرون: ليست هذه الشجرة من شجر الدنيا.

\* ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا عوف، عن الحسن، في قول الله: ( لا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ ) قال: والله لو كانت في الأرض لكانت شرقية أو غربية، ولكنما هو مثل ضربه الله لنوره.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عثمان، يعني ابن الهيثم، قال: ثنا عوف، عن الحسن في قول الله: ( رَيْثُوتَةٌ لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ ) قال: لو كانت في الأرض هذه الزيتون كانت شرقية أو غربية، ولكن والله ما هي في الأرض، وإنما هو مثل ضربه الله لنوره.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا عوف، عن الحسن في قوله: ( رَيْثُوتَةٌ لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ ) قال: هذا مثل ضربه الله، ولو كانت هذه الشجرة في الدنيا لكانت إما شرقية وإما غربية.

وأولى هذه الأقوال بتأويل ذلك، قول من قال: إنها شرقية غربية، وقال: ومعنى الكلام: ليست شرقية تطلع عليها الشمس بالعشيّ دون الغداة، ولكن الشمس تشرق عليها وتغرب، فهي شرقية غربية.

وإنما قلنا ذلك أولى بمعنى الكلام؛ لأن الله إنما وصف الزيت الذي يوقد على هذا المصباح بالصفاء والجودة، فإذا كان شجرة شرقيا غربيا، كان زيته لا شك أجود وأصفى وأضوأ.

وقوله: ( يَكَادُ رَيْثُهَا يُضِيءُ ) يقول تعالى ذكره: يكاد زيت هذه الزيتون يضيء من صفائه وحسن ضيائه ( وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ) يقول: فكيف إذا مسته النار.

وإنما أريد بقوله: ( يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ) أن هذا القرآن من عند الله، وأنه كلامه، فجعل مثله ومثل كونه من عنده، مثل المصباح الذي يوقد من الشجرة المباركة، التي وصفها جل ثناؤه في هذه الآية. وعنى بقوله: ( يَكَادُ رَيْثُهَا يُضِيءُ ) : أن حجج الله تعالى ذكره على خلقه تكاد من بيانها ووضوحها تضيء لمن فكر فيها ونظر أو أعرض عنها ولها ( وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ) يقول: ولو لم يزلها الله بيانا ووضوحا بإنزاله هذا القرآن إليهم؛ منيها لهم على توحيدهم، فكيف إذا نههم به وذكرهم بآياته، فزادهم به حجة إلى حججه عليهم قبل ذلك، فذلك بيان من الله ونور على البيان، والنور الذي كان قد > 19- 188 < وضعه لهم ونصبه قبل نزوله.

وقوله: ( نُورٌ عَلَى نُورٍ ) يعني: النار على هذا الزيت الذي كاد يضيء ولو لم تمسسه النار.

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ( نور على نور ) قال: النار على الزيت.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: وهو عندي كما ذكرت مثل القرآن. ويعني بقوله: ( نُورٌ عَلَى نُورٍ ) هذا القرآن نور من عند الله، أنزله إلى خلقه يستضيئون به، ( عَلَى نُورٍ ) على الحجج والبيان الذي قد نصبه لهم قبل مجيء القرآن إنزاله إياه، مما يدلُّ على حقيقة وحدانيته، فذلك بيان من الله، ونور على البيان، والنور الذي كان وضعه لهم ونصبه قبل نزوله.

وذكر عن زيد بن أسلم في ذلك ما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عبد الله بن عياش، قال: قال زيد بن أسلم، في قوله: ( نُورٌ عَلَى نُورٍ ) يضيء بعضه بعضا، يعني القرآن.

وقوله: ( يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ) يقول تعالى ذكره: يوفق الله لاتباع نوره، وهو هذا القرآن، من يشاء من عباده. وقوله: ( وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ) يقول: ويمثل الله الأمثال والأشباه للناس، كما مثل لهم مثل هذا القرآن في قلب المؤمن بالمصباح في المشكاة، وسائر ما في هذه الآية من الأمثال.

( وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ) يقول والله يضرب الأمثال، وغيرها من الأشياء كلها، ذو علم.

الهوامش:

(1) البيت لجميل العذري صاحب ثبينة ، كما قال المؤلف ، وكما في (اللسان: غنا) . قال: والغانية : التي غنيت بالزوج، وقال جميل : " أحب الأيامي ... " البيت وغنيت المرأة بزوجه غنياً . أي : استغنت . والأيامي : جمع أيم ، وهي في الأصل : التي لا زوج لها بكرًا كانت أو ثيبًا ، مطلقة كانت أو متوفى عنها (اللسان) . وفي التنزيل العزيز : { وأنكحوا الأيامي منكم } : دخل فيه الذكر والأنثى ، والبكر والثيب . واستشهد به المؤلف على أن الأيم التي ليس لها

زوج  
(2) البيت أنشده صاحب (اللسان) في أيم ، قال: وتأيم الرجل زمانا ، وتأيمت المرأة : إذا مكثت أيامًا وزمانًا لا يتزوجان ، وأنشد ابن بري :

فإن تَكِحِّي أُنكِحُ وَإِنْ تَتَأَيَّمِي

يَدِ الدَّهْرِ مَا لَمْ تَكِحِّي أَتَأَيَّمِ

وفي رواية الشطر خلاف بين ما أنشده المؤلف وما أنشده ، ابن بري . والشاهد فيه عند المؤلف ، كما قدمناه في الشاهد الذي قبله وهو أن الأيم من الرجال أو النساء : من لا زوج له أو لها . والفعل منه أم يتيم ، وتأيم يتايم .

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(3) الكوة : بفتح الكاف ، والضم لغة (اللسان) .  
(4) في الأصل : الزيت ، بدون لام قبلها ، وأظنه ، محرّفًا ، عما أثبتناه .  
(5) لعل هنا سقطا في العبارة ، تقديره : " ثم بنى " كما يفهم من السياق .  
القول في تأويل قوله تعالى : ( فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا  
اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (36) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ  
ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ  
(37) لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ  
بِغَيْرِ حِسَابٍ (38)

يعني تعالى ذكره بقوله: ( فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ ) الله نور السماوات >  
189-19 < والأرض، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، في بيوت أذن الله أن  
ترفع.

كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: المشكاة التي  
فيها الفتيلة التي فيها المصباح، قال: المصباح في بيوت أذن الله أن ترفع.

قال أبو جعفر: قد يحتمل أن تكون " من " في صلة " توقد " ، فيكون المعنى:  
توقد من شجرة مباركة ذلك المصباح في بيوت أذن الله أن ترفع، وعنى  
بالببوت المساجد.

وقد اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم بالذي قلنا في ذلك.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، ونصر بن عبد الرحمن الأودي، قالوا ثنا حكام، عن إسماعيل  
بن أبي خالد، عن أبي صالح في قول الله: ( فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ )  
قال: المساجد.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس  
في قوله: ( فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ ) وهي المساجد تكرم، ونهى عن  
اللغو فيها.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه،  
عن ابن عباس، في قوله: ( فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ ) يعني: كل مسجد  
يصلي فيه، جامع أو غيره.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي  
نجيح، عن مجاهد في قوله: ( فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ ) قال: مساجد تبنى.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن  
مجاهد، مثله.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحسن، في قوله: ( فِي بُيُوتٍ أَدَانَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ) قال: في المساجد.

قال: أخبرنا معمر، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، قال: أدركت أصحاب رسول الله وهم يقولون: المساجد بيوت الله، وإنه حق على الله أن يكرم من زاره فيها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا ابن المبارك، عن سالم بن عمر في قوله: ( فِي بُيُوتٍ > 190-19 < أَدَانَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ) قال: هي المساجد.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ( فِي بُيُوتٍ أَدَانَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ) قال: المساجد.

وقال آخرون: عنى بذلك البيوت كلها.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، ونصر بن عبد الرحمن الأودي، قالا حدثنا حكام بن سلم، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عكرمة ( فِي بُيُوتٍ أَدَانَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ) قال: هي البيوت كلها.

إنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك؛ لدلالة قوله: ( يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ) على أنها بيوت بنيت للصلاة، فلذلك قلنا هي المساجد.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ( أَدَانَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ) فقال بعضهم: معناه: أذن الله أن تبنى.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ( أَدَانَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ) قال: تبنى.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، عن مجاهد، مثله.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: معناه: أذن الله أن تعظم.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحسن، في قوله: ( أذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ) يقول: أن تعظم لذكره.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، القول الذي قاله مجاهد، وهو أن معناه: أذن الله أن ترفع بناء، كما قال جل ثناؤه: وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وذلك أن ذلك هو الأغلب من معنى الرفع في البيوت والأبنية.

وقوله: ( وَبُذِّكِرَ فِيهَا اسْمُهُ ) يقول: وأذن لعباده أن يذكروا اسمه فيها. وقد قيل: < 191-19 > عني به أنه أذن لهم بتلاوة القرآن فيها.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قال: ثم قال: ( وَبُذِّكِرَ فِيهَا اسْمُهُ ) يقول: يتلى فيها كتابه. وهذا القول قريب المعنى مما قلناه في ذلك؛ لأن تلاوة كتاب الله من معاني ذكر الله، غير أن الذي قلنا به أظهر معنييه، فلذلك اخترنا القول به.

وقول: ( يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ) رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله .

اختلفت القراء في قراءة قوله: ( يُسَبِّحُ لَهُ ) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار ( يُسَبِّحُ لَهُ ) بضم الياء وكسر الباء، بمعنى يصلي له فيها رجال، ويجعل يسبح فعلا للرجال، وخبرا عنهم، وترفع به الرجال، سوى عاصم وابن عامر، فإنهما قرأا ذلك: " يُسَبِّحُ لَهُ " بضم الياء وفتح الباء، على ما لم يسم فاعله، ثم يرفعان الرجال بخير ثان مضمراً، كأنهما أرادا: يُسَبِّحُ اللهُ فِي الْبُيُوتِ الَّتِي أذِنَ اللهُ أَنْ تَرْفَعَ، فسبح له رجال، فرفعا الرجال بفعل مضمراً، والقراءة التي هي أولاهما بالصواب، قراءة من كسر الباء، وجعله خبراً للرجال وفعلاً لهم. وإنما كان الاختيار رفع الرجال بمضمراً من الفعل لو كان الخبر عن البيوت، لا يتم إلا بقوله: ( يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا )، فأما والخبر عنها دون ذلك تام، فلا وجه لتوجيه قوله: ( يُسَبِّحُ لَهُ ) إلى غيره أي (1) غير الخبر عن الرجال. وعني بقوله: ( يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ) يصلي له في هذه البيوت بالغدوات والعشيات رجال.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني عليّ بن الحسن الأزدي، قال: ثنا المعافى بن عمران، عن سفيان، عن عمار الدهني (2) عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كلُّ تسبيح في القرآن فهو صلاة.

حدثني عليّ، قال ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قال: ثم قال: (يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ) يقول: يصلي له فيها بالغداة والعشيّ، < 192-19 > يعني بالغدو: صلاة الغداة، ويعني بالأصال صلاة العصر وهما أوّل ما افترض الله من الصلاة، فأحبّ أن يذكرهما، ويذكر بهما عبادته.

حدثنا الحسين، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحسن (يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ رِجَالٌ) أذن الله أن تبنى، فيصلي فيها بالغدو والأصال.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول في قوله: (يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ) يعني الصلاة المفروضة.

وقوله: (رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ) يقول تعالى ذكره: لا يشغل هؤلاء الرجال الذين يصلون في هذه المساجد، التي أذن الله أن ترفع، عن ذكر الله فيها وإقام الصلاة - تجارة ولا بيع.

كما حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن سعيد بن أبي الحسن، عن رجل نسي اسمه في هذه الآية: (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ) ... إلى قوله: (وَالْأَبْصَارُ) قال: هم قوم في تجاراتهم ويوعهم؛ لا تلهيهم تجاراتهم، ولا يبيعهم عن ذكر الله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا جعفر بن سليمان، عن عمرو بن دينار، عن سالم بن عبد الله أنه نظر إلى قوم من السوق، قاموا وتركوا بياعاتهم إلى الصلاة، فقال: هؤلاء الذين ذكر الله في كتابه (لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ) ... الآية.

قال: ثنا الحسين، قال: ثنا هشيم، عن سيار، عن حدثه، عن ابن مسعود، نحو ذلك.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، عن سيار، قال: حدثت عن ابن مسعود أنه رأى قوما من أهل السوق حيث نودي بالصلاة، تركوا بياعاتهم، ونهضوا إلى الصلاة، فقال عبد الله: هؤلاء من الذين ذكر الله في كتابه (لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ).

وقال بعضهم: معنى ذلك: (لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ) عن صلاتهم المفروضة عليهم.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 19-193 >

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قال: ثم قال: ( رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ) يقول: عن الصلاة المكتوبة.

قوله: ( وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ) يقول: ولا يشغلهم ذلك أيضا عن إقام الصلاة بحدودها في أوقاتها.

وبنحو قولنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا محمد، قال: ثنا عوف، عن سعيد بن أبي الحسن، عن رجل نسي عوف اسمه في ( وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ) قال: يقومون للصلاة عند مواقيت الصلاة.

فإن قال قائل: أوليس قوله: ( وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ) مصدرا من قوله: أقمتم؟ قيل: بلى. فإن قال: أوليس المصدر منه إقامة، كالمصدر من أجرت إجارة؟ قيل: بلى. فإن قال: وكيف قال: ( وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ) أو تجيز أن نقول: أقمتم إقاما؟ قيل: ولكني أجزت أعجبتني إقام الصلاة. فإن قيل: وما وجه جواز ذلك؟ قيل: إن الحكم في أقمتم إذا جعل منه مصدر أن يقال: إقاموا، كما يقال: أقمتم فلانا إقعاما، وأعطيته إعطاء. ولكن العرب لما سكنت الواو من أقمتم فسقطت لاجتماعها، وهي ساكنة، والميم وهي ساكنة، بنوا المصدر على ذلك، إذ جاءت الواو ساكنة قيل ألف الإفعال وهي ساكنة، فسقطت الأولى منهما، فأبدلوا منها هاء في آخر الحرف كالتكثير للحرف، كما فعلوا ذلك في قولهم: وعدته عدة، ووزنته زنة، إذ ذهبت الواو من أوله، كثروه من آخره بالهاء؛ فلما أضيفت الإقامة إلى الصلاة، حذفوا الزيادة التي كانوا زادوها للتكثير وهي الهاء في آخرها؛ لأن الخافض وما خفض عندهم كالحرف الواحد، فاستغنوا بالمضاف إليه من الحرف الزائد، وقد قال بعضهم في نظير ذلك:

إِنَّ الْحَلِيظَ أَجْدُوا الْبَيْنَ فَانَجَرَدُوا

وَأَخْلَفُوا عَدَى الْأَمْرِ الَّذِي وَعَدُوا (3)

< 19-194 >

يريد: عدة الأمر. فأسقط الهاء من العدة لما أضافها، فكذلك ذلك في إقام الصلاة.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله ( وَإِيَّاءِ الزَّكَاةِ ) قيل: معناه وإخلاص الطاعة لله.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ، وقوله: وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ، وقوله: وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ، وقوله: وَحَتَّىٰ تَأْتُوا مِنَ اللَّذَّةِ وَالزَّكَاةِ ونحو هذا في القرآن، قال: يعني بالزكاة: طاعة الله والإخلاص، وقوله: ( يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ) يقول: يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب من هوله بين طمع بالنجاة، وحذر بالهلاك، والأبصار: أي ناحية يؤخذ بهم، أذات اليمين أم ذات الشمال، ومن أين يؤتون كتبهم، أمن قبل الأيمان، أو من قبل الشمال؟ وذلك يوم القيامة.

كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال عبد الله بن عياش، قال زيد بن أسلم في قول الله: ( فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ ) ... إلى قوله: ( تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ) : يوم القيامة.

وقوله: ( لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ) يقول: فعلوا ذلك، يعني أنهم لم تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأطاعوا ربهم؛ مخافة عذابه يوم القيامة، كي يشبههم الله يوم القيامة بأحسن أعمالهم التي عملوها في الدنيا، ويزيدهم على ثوابه إياهم على أحسن أعمالهم التي عملوها في الدنيا من فضله، فيفضل عليهم عن عنده بما أحب من كرامته لهم. وقوله: ( وَاللَّهُ يَزُكُّ مَنْ يَشَاءُ يَغَيِّرُ حِسَابَ ) يقول تعالى ذكره: يتفضل على من شاء وأراد من طوله وكرامته، مما لم يستحقه بعمله، ولم يبلغه بطاعته ( يَغَيِّرُ حِسَابَ ) ، يقول: بغير < 195-19 > محاسبة على ما بذل له وأعطاه.

القول في تأويل قوله تعالى : وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيعةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (39)

وهذا مثل ضربه الله لأعمال أهل الكفر به، فقال: والذين جحدوا توحيد ربهم وكذبوا بهذا القرآن، وبمن جاء به مَثَلُ أعمالهم التي عملوها ( كسرَاب ) يقول: مثل سراب، والسراب ما لصق بالأرض، وذلك يكون نصف النهار، وحين يشتد الحرّ والأل، ما كان كالماء بين السماء والأرض، وذلك يكون أوّل النهار، يرفع كلّ شيء ضحى. وقوله: ( بقية ) وهي جمع قاع، كالجيرة جمع جاب، والقاع: ما انبسط من الأرض واتسع، وفيه يكون السراب. وقوله: ( يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً ) يقول: يظن العطشان من الناس السراب ماءً ( حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ ) والهاء من ذكر السراب، والمعنى: حتى إذا جاء الظمان السراب ملتصقا ماءً، يستغيث به



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

من عطشه ( لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ) يقول: لم يجد السراب شيئًا، فكذلك الكافرون بالله من أعمالهم التي عملوها في غرور، يحسبون أنها منجيتهم عند الله من عذابه، كما حسب الظمان الذي رأى السراب فظنه ماء يُرويه من ظمئه، حتى إذا هلك وصار إلى الحاجة إلى عمله الذي كان يرى أنه نافعه عند الله، لم يجده ينفعه شيئًا؛ لأنه كان عمله على كفر بالله، ووجد الله، هذا الكافر عند هلاكه بالمرصاد، فوفاه يوم القيامة حساب أعماله التي عملها في الدنيا، وجازاه بها جزاءه الذي يستحقه عليه منه.

فإن قال قائل: وكيف قيل: ( حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ) فإن لم يكن السراب شيئًا، فعلام أدخلت الهاء في قوله: ( حَتَّى إِذَا جَاءَهُ ) ؟ قيل: إنه شيء يرى من بعيد كالضباب، الذي يرى كثيفًا من بعيد، والهباء، فإذا قرب منه المرء، رِقَّ وصار كالهواء. وقد يحتمل أن يكون معناه حتى إذا جاء موضع السراب؛ لم يجد السراب شيئًا، فاكتفى بذكر السراب من ذكر موضعه، ( وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ) يقول والله سريع حسابه؛ لأنه تعالى ذكره لا يحتاج إلى عقد أصابع، ولا حفظ بقلب، ولكنه عالم بذلك كله قبل أن يعمله العبد، ومن بعد ما عمله.

< 19-196 >

وبنحو الذي قلنا في معنى ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عبد الأعلى بن واصل، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، قال: ثم ضرب مثلًا آخر، فقال: ( وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ) قال: وكذلك الكافر يجيء يوم القيامة، وهو يحسب أن له عند الله خيرًا فلا يجد، فيدخله النار.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر الرازي، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، بنحوه.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ( أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ) يقول: الأرض المستوية.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ( وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ) ... إلى قوله: ( وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ) قال: هو مثل ضربه الله لرجل عطش فاشتد عطشه، فرأى سرايا فحسبه ماء، فطلبه وطلبه أنه قد قدر عليه، حتى أتاه، فلما أتاه لم يجده شيئًا، وقبض عند ذلك، يقول الكافر كذلك، يحسب أن عمله مغن عنه، أو نافعه شيئًا، ولا يكون آتيًا على شيء حتى يأتيه الموت،

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فإذا أتاه الموت لم يجد عمله أغنى عنه شيئاً، ولم ينفعه إلا كما نفع العطشان المشتد إلى السراب.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن. قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ( كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ ) قال: بقاع من الأرض، والسراب: عمله، زاد الحارث في حديثه عن الحسن: والسراب: عمل الكافر ( إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ) إتيانه إياه: موته، وفراقه الدنيا ( وَوَجَدَ اللَّهُ ) عند فراقه الدنيا، ( فَوْقَاهُ حِسَابَهُ ) .

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قَتَادَةَ، في قوله: ( كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ ) قال: بقية من الأرض ( يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً ) هو مثل ضربه الله لعمل الكافر، يقول: يحسب أنه في شيء، كما يحسب هذا السراب ماء ( حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ) وكذلك الكافر إذا مات لم يجد عمله شيئاً ( وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابَهُ ) .

< 19-197 >

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَالَّذِينَ كَفَرُوا ) ... إلى قوله: ( وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ ) قال: هذا مثل ضربه الله للذين كفروا ( أَعْمَالُهُمْ كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ ) قد رأى السراب، ووثق بنفسه أنه ماء، فلما جاءه لم يجده شيئاً، قال: وهؤلاء ظنوا أن أعمالهم صالحة، وأنهم سيرجعون منها إلى خير، فلم يرجعوا منها إلا كما رجع صاحب السراب، فهذا مثل ضربه الله جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه.

القول في تأويل قوله تعالى : **أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (40)**

وهذا مثل آخر ضربه الله لأعمال الكفار، يقول تعالى ذكره: ومثل أعمال هؤلاء الكفار، في أنها عملت على خطأ وفساد وضلالة وحيرة من عملها فيها، وعلى غير هدى، مثل ظلمات في بحر لُجِّيٍّ، ونسب البحر إلى اللجة وصفاً له بأنه عميق كثير الماء، ولجة البحر معظمه ( يَغْشَاهُ مَوْجٌ ) يقول: يغشى البحر موج ( مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ ) يقول: من فوق الموج موج آخر يغشاه، ( مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ) يقول: من فوق الموج الثاني الذي يغشى الموج الأول سحب، فجعل الظلمات مثلاً لأعمالهم، والبحر اللجِّيُّ مثلاً لقلب الكافر، يقول: عمل بنية قلب قد غمره الجهل، وتغشته الضلال والحيرة، كما يغشى هذا البحر اللجِّيُّ موج من فوقه موج من فوقه سحب، فكذلك قلب هذا الكافر الذي مثل عمله مثل هذه الظلمات، يغشاه الجهل بالله، بأن الله ختم عليه، فلا يعقل عن الله، وعلى سمعه، فلا يسمع مواعظ الله، وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر به حجج الله، فتلك ظلمات بعضها فوق بعض (4) .

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثنا أبي، > 19-198 < عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ( أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ) ... إلى قوله: ( مِنْ نُورٍ ) قال: يعني بالظلمات: الأعمال، وبالبحر اللجّي: قلب الإنسان، قال: يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحب، قال: ظلمات بعضها فوق بعض، يعني بذلك الغشاوة التي على القلب والسمع والبصر، وهو كقوله: حَتَّمَ اللَّهُ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ ... الآية، وكقوله: أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ... إلى قوله: أَفَلَا تَذَكَّرُونَ .

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ( أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ ) عميق، وهو مثل ضربه الله للكافر، يعمل في ضلالة وحيرة، قال: ( ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ) .

وروي عن أبي بن كعب ما حدثني عبد الأعلى بن واصل، قال: ثنا عبيد الله بن موسى قال: أخبرنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، في قوله: ( أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ ) ... الآية، قال: ضرب مثلا آخر للكافر، فقال: ( أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ ) ... الآية، قال: فهو يتقلب في خمس من الظلم: فكلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة إلى النار.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر الرازي، عن أبي الربيع، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، بنحوه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ( أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ ) ... إلى قوله: ( ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ) قال: شرّ بعضه فوق بعض.

وقوله: ( إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ) يقول: إذا أخرج الناظر يده في هذه الظلمات لم يكد يراها.

فإن قال لنا قائل: وكيف قيل: ( لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ) ، مع شدّة هذه الظلمة التي وصف، وقد علمت أن قول القائل: لم أكد أرى فلانا، إنما هو إثبات منه لنفسه رؤيته بعد جهد وشدّة، ومن دون الظلمات التي وصف في هذه الآية ما لا يرى الناظر يده إذا أخرجها فيه، فكيف فيها؟ قيل في ذلك أقوال نذكرها، ثم نخبر بالصواب من > 199-19 < ذلك، أحدها: أن يكون معنى الكلام: إذا أخرج يده راثيا لها لم يكد يراها: أي لم يعرف من أين يراها، فيكون من المقدّم الذي معناه التأخير، ويكون تأويل الكلام على ذلك: إذا أخرج يده لم يقرب أن يراها. والثاني: أن يكون معناه: إذا أخرج يده لم يرها (

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(5) ويكون قوله: ( لَمْ يَكَدْ ) في دخوله في الكلام نظير دخول الظنّ فيما هو يقين من الكلام، كقوله: وَطَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ ونحو ذلك. والثالث: أن يكون قد رآها بعد بطاء وجهه، كما يقول القائل لآخر: ما كدت أراك من الظلمة، وقد رآه، ولكن بعد إياس وشدة، وهذا القول الثالث أظهر معاني الكلمة من جهة ما تستعمل العرب أكاد في كلامها، والقول الآخر الذي قلنا إنه يتوجه إلى أنه بمعنى لم يرها، قول أوضح من جهة التفسير، وهو أخفى معانيه. وإنما حسُن ذلك في هذا الموضوع، أعني أن يقول: لم يكد يراها مع شدة الظلمة التي ذكر؛ لأن ذلك مثل لا خبر عن كائن كان. ( وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا ) يقول: من لم يرزقه الله إيمانا وهدى من الضلالة ومعرفة بكتابه، ( فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ) يقول فما له من إيمان وهدى ومعرفة بكتابه.

القول في تأويل قوله تعالى : أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَاقَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ( 41) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (42)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تنظر يا محمد بعين قلبك، فتعلم أن الله يصلي له من في السماوات والأرض من ملك وإنس وجر ( وَالطَّيْرِ صَاقَاتٍ ) في الهواء أيضا تسبح له ( كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ) (6) والتسبيح عندك صلاة، فيقال: قيل: إن الصلاة لنبى آدم، والتسبيح لغيرهم من الخلق، ولذلك فصل فيما بين ذلك.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

< 19-200 >

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَاقَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ) قال: والصلاة للإنسان، والتسبيح لما سوى ذلك من الخلق.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد قوله: ( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَاقَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ) قال: صلاته للناس، وتسبيحه عامة لكل شيء.

ويتوجه قوله: ( كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ) لوجوه: أحدها أن تكون الهاء التي في قوله: ( صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ) من ذكر كل، فيكون تأويل الكلام: كل مصل ومسيح منهم قد علم الله صلاته وتسبيحه، ويكون الكل حينئذ مرتفعا بالعائد من ذكره في قوله: ( كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ) وهو الهاء التي في الصلاة.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

والوجه الآخر: أن تكون الهاء في الصلاة والتسبيح أيضا للكل، ويكون الكل مرتفعا بالعائد من ذكره عليه في (عَلِمَ) ويكون (عَلِمَ) فعلا للكل، فيكون تأويل الكلام حينئذ: قد علم كل مصلٍّ ومسبحٍ منهم صلاة نفسه وتسبيحه، الذي كلفه والزمه.

والوجه الآخر: أن تكون الهاء في الصلاة والتسبيح من ذكر الله، والعلم للكل، فيكون تأويل الكلام حينئذ: قد علم كل مسبحٍ ومصلٍّ صلاة الله التي كلفه إياها، وتسبيحه، وأظهر هذه المعاني الثلاثة على هذا الكلام، المعنى الأول، وهو أن يكون المعنى: كل مصلٍّ منهم ومسبحٍ قد علم الله صلته وتسبيحه.

وقوله: (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) يقول تعالى ذكره: والله ذو علم بما يفعل كل مصلٍّ ومسبحٍ منهم، لا يخفى عليه شيء من أفعالهم، طاعتها ومعصيتها، محيط بذلك كله، وهو مجازيهم على ذلك كله.

وقوله: (وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) يقول جل ثناؤه: ولله سلطان السماوات والأرض وملكها دون كل من هو دونه من سلطان وملك، إياه فارهبوا أيها الناس، وإليه فارغبوا لا إلى غيره، فإن بيده خزائن السماوات والأرض، لا يخشى بعطاياكم منها فقرا (وَالِإِلَهَ الْمَصِيرُ) يقول: وأنتم إليه بعد وفاتكم، مصيركم ومعادكم، فيوفيككم < 201-19 > أجور أعمالكم التي عملتموها في الدنيا، فأحسنوا عبادته، واجتهدوا في طاعته، وقدموا لأنفسكم الصالحات من الأعمال.

الهوامش:

- (1) في الأصل : إلى غير. ولعله تحريف.
- (2) هو عمار بن معاوية الدهني بضم المهملة ، الكوفي ، وثقه أحمد مات سنة 133 ، ا هـ .
- (3) البيت للفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب وهو في (اللسان : وعد) قال : وقال الفراء : وعدت عدة ، ويحذفون الهاء إذا أضافوا وأنشد : " إن الخليط ... " البيت . وقال ابن الأنباري وغيره : الفراء يقول : عدة وعدى وأنشد : " و أخلفوك عدى .. " البيت . وقال : أراد : عدة الأمر ، فحذف الهاء عند الإضافة ، قال : ويكتب بالياء . وقال الجوهرى : والعدة الوعد ، والهاء عوض من الواو . والخليط : اسم لمن يخالطك بجوار أو قرابة أو عمل أو نحوه . وأجدوا البين : أسرعوا في الفراق ، واجتهدوا فيه . وانجردوا : أسرعوا وشمروا والشاهد في البيت عند المؤلف أن الهاء في عدة ونحوها تحذف منها عند الإضافة استغناء عنها بالمضاف إليه عن الحرف الزائد .
- (4) قال الشوكاني في فتح القدير ( 4 : 38 ) : ومن غرائب التفاسير : أنه سبحانه وتعالى أراد بالظلمات أعمال الكافر ، وبالبحر اللجى قلبه ، وبالموج :

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة . والسحاب : الرين والختم والطبع على قلبه . وهذا تفسير هو عن لغة العرب بمكان بعيد 1 هـ .  
(5) في فتح القدير للشوكاني ( طبعة الحلبي 4 : 38 ) قال الزجاج وأبو عبيدة : لم يرها ولم يكد . وقال الفراء : إن كاد زائدة ، وقال المحقق الرضي في شرحه لكافية ابن الحاجب ( 2 : 306 ) : إن نفي القرب من الفعل أبلغ في انتفاء ذلك الفعل ، من نفي الفعل نفسه ؛ فإن ما قربت من الضرب ، أكد في نفي الضرب من ما ضربت . أ هـ .

(6) يظهر أن في الكلام سقطاً . تقديره : فإن قيل : ما فائدة عطف " وتسبيحه " على صلواته .. إلخ . بدليل قوله : قيل . . . إلخ وهو جواب عن سؤال . القول في تأويل قوله تعالى : أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ يَرْدٍ قُيُصِبُ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ وَيُضْرَقُهُ عَن مِّنْ يَسَاءٍ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (43) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ (44)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ( أَلَمْ تَرَ ) يا محمد ( أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي ) يعني: يسوق ( سحاباً ) حيث يريد ( ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ) يقول: ثم يؤلف بين السحاب، وأضاف بين إلى السحاب، ولم يذكر مع غيره، وبين لا تكون مضافة إلا إلى جماعة أو اثنين؛ لأن السحاب في معنى جمع، واحده سحابة، كما يجمع النخلة: نخل، والتمر: تمر، فهو نظير قول قائل: جلس فلان بين النخل، وتاليف الله السحاب: جمعه بين متفرقها.

وقوله: ( ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا ) يقول: ثم يجعل السحاب الذي يزجيه، ويؤلف بعضه إلى بعض ركاما، يعني: متراكما بعضه على بعض.

وقد حدثنا عبد الحميد بن بيان، قال: أخبرنا خالد، قال: ثنا مطر، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عبيد بن عمير الليثي، قال: الرياح أربع: يبعث الله الريح الأولى فتقُمُّ الأرض قما، ثم يبعث الثانية فتنشئ سحابا، ثم يبعث الثالثة فتؤلف بينه فتجعله ركاما، ثم يبعث الرابعة فتمطره.

وقوله: ( فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ) يقول: فترى المطر يخرج من بين السحاب، وهو الودق، قال: الشاعر:

فَلَا مُرْتَةٌ وَدَقَّتْ وَدَقَّهَا

وَلَا أَرْضٌ أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا (1)

والهاء في قوله: ( مِنْ خِلَالِهِ ) من ذكر السحاب، والخلال: جمع خلل. وذكر عن ابن عباس وجماعة أنهم كانوا يقرءون ذلك: " مِنْ خَلِّهِ " .

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 19-202 >

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا حرمي بن عمار، قال: ثنا شعبة، قال: ثنا قتادة، عن الضحاك بن مزاحم أنه قرأ هذا الحرف: ( فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ) : " مِنْ خِلَالِهِ".

قال: ثنا شعبة، قال: أخبرني عمار، عن رجل، عن ابن عباس أنه قرأ هذا الحرف: ( فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ) : " من خَلِّه".

حدثنا أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا حجاج، عن هارون، قال: أخبرني عمار بن أبي حفصة، عن رجل، عن ابن عباس، أنه قرأها: " مِنْ خَلِّهِ" بفتح الخاء، من غير ألف.

قال هارون: فذكرت ذلك لأبي عمرو، فقال: إنها لحسنة، ولكن خلاله أعم.

وأما قرء الأمصار، فإنهم على القراءة الأخرى من خلاله ، وهي التي نختار لإجماع الحجة من القرء عليها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد، في قوله: ( فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ) قال: الودق: القطر، والخلال: السحاب.

وقوله: ( وَنُزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ) : قيل في ذلك قولان: أحدهما: أن معناه أن الله ينزل من السماء من جبال في السماء من برد مخلوقة هنالك خلقه، كأن الجبال على هذا القول هي من برد، كما يقال: جبال من طين. والقول الآخر: أن الله ينزل من السماء قدر جبال، وأمثال جبال من برد إلى الأرض، كما يقال: عندي بيتان تبن، والمعنى قدر بيتين من التبن، والبيتان ليسا من التبن.

وقوله: ( فَيَصِيبُ بِهٍ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ ) يقول: فيعدب بذلك الذي ينزل من السماء من جبال فيها من برد، من يشاء فيهلكه، أو يهلك به زروعهم وماله ( وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ ) من خلقه، يعني: عن زروعهم وأمواهم.

وقوله: ( يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ) يقول: يكاد شدة ضوء برق هذا السحاب يذهب بأبصار من لاقى بصره، والسنا مقصور، وهو ضوء البرق.

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس قوله: ( يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ ) قال: ضوء برقه.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ( يَكَاذُ سَنًا بَرْقِهِ ) يقول: لمعان البرق يذهب بالأبصار.

< 19-203 >

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( يَكَاذُ سَنًا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ) قال: سناه ضوء يذهب بالأبصار.

وقرأت قرءاء الأمصار ( يَكَاذُ سَنًا بَرْقِهِ يَذْهَبُ ) يفتح الياء من يذهب سوى أبي جعفر القارئ، فإنه قرأه بضم الياء " يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ".

والقراءة التي لا أختار غيرها هي فتحها؛ لإجماع الحجة من القرءاء عليها، وأن العرب إذا أدخلت الباء في مفعول ذهبت، لم يقولوا: إلا ذهبت به، دون أذهبت به، وإذا أدخلوا الألف في أذهبت لم يكادوا أن يدخلوا الباء في مفعوله، فيقولون: أذهبت به. وذهبت به.

وقوله: ( يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ) يقول: يعقب الله بين الليل والنهار ويصرفهما، إذا أذهب هذا جاء هذا، وإذا أذهب هذا جاء هذا ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ) يقول: إن في إنشاء الله السحاب، وإنزاله منه الودق، ومن السماء البرد، وفي تقلبه الليل والنهار لعبرة لمن اعتبر به، وعظة لمن اتعظ به. ممن له فهم وعقل؛ لأن ذلك ينبيء ويدل على أنه له مدبراً ومصرفاً ومقلبا لا يشبهه شيء.

القول في تأويل قوله تعالى : وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مِمَّنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (45)

اختلفت القرءاء في قراءة قوله: ( وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ) فقرأته عامة قرءاء الكوفة غير عاصم: " وَاللَّهُ خَالِقُ كُلِّ دَابَّةٍ " . وقرأته عامة قرءاء المدينة والبصرة وعاصم: ( وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ ) بنصب كل، وخلق على مثال فَعَلَ، وهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، وذلك أن الإضافة في قراءة من قرأ ذلك " خَالِقٌ " تدل على أن معنى ذلك المضي، فبايتهما قرأ القارئ فمصيب. وقوله: ( خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ) يعني: من نطفة، ( فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ) كالحيات وما أشبهها، وقيل: إنما قيل: ( فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ) والمشى لا يكون على البطن؛ لأن المشى إنما يكون لما له قوائم على التشبيه وأنه لما خالط ما له قوائم ما لا قوائم له جار، كما قال: ( وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ) كالطير، ( وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ) كالبهائم.

فإن قال قائل: فكيف قيل: ( فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي ) ، و " مَنْ " للناس، وكل هذه < 204-19 > الأجناس أو أكثرها لغيرهم؟ قيل: لأنه تفريق ما هو داخل في قوله: ( وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ ) وكان داخلا في ذلك الناس وغيرهم، ثم قال: ( فمنهم ) ، لاجتماع الناس والبهائم وغيرهم في ذلك واختلاطهم، فكفى عن

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

جميعهم كناية عن بني آدم، ثم فسره ب " مِنْ "، إذ كان قد كنى عنهم كناية بني آدم خاصة ( يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ) يقول: يحدث الله ما يشاء من الخلق ( إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) يقول: إن الله على إحداث ذلك وخلق ما يشاء من الأشياء غيره، ذو قدرة لا يتعذر عليه شيء أراد.

القول في تأويل قوله تعالى : لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (46)

يقول تعالى ذكره: لقد أنزلنا أيها الناس علامات واضحات دالات على طريق الحق وسبيل الرشاد ( وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) يقول: والله يرشد من يشاء من خلقه بتوفيقه، فيهديه إلى دين الإسلام، وهو الصراط المستقيم والطريق القاصد الذي لا اعوجاج فيه.

القول في تأويل قوله تعالى : وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (47) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ (48)

يقول تعالى ذكره: ويقول المنافقون: صدقنا بالله وبالرسول، وأطعنا الله وأطعنا الرسول ( ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ) يقول: ثم تدبر كل طائفة منهم من بعد ما قالوا هذا القول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتدعو إلى المحاكمة إلى غيره خصمها ( وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ) يقول: وليس قائلو هذه المقالة، يعني قوله: ( آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ) بالمؤمنين؛ لتركهم الاحتكام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإعراضهم عنه إذا دعوا إليه. وقوله: ( وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ) يقول: وإذا دعي هؤلاء المنافقون إلى كتاب الله وإلى رسوله ( لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ) فيما اختصموا فيه بحكم الله ( إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ) عن قبول الحق، والرضا بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

القول في تأويل قوله تعالى : وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ < 205-19 > مُدْعِينَ (49) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (50)

يقول تعالى ذكره: وإن يكن لهم الحق لهؤلاء الذين يدعون إلى الله ورسوله ليحكم بينهم فيأبون ويعرضون عن الإجابة إلى ذلك، قبل الذين يدعونهم إلى الله ورسوله - يأتوا إلى رسول الله مدعين، يقول: مدعين منقادين لحكمه، مقرين به طائعين غير مكرهين، يقال منه: قد أذعن فلان بحقه إذا أقر به طائعا غير مستكره وانقاد له وسلم.

وكان مجاهد فيما ذكر عنه يقول في ذلك ما حدثنا المقاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ( يَأْتُوا إِلَيْهِ مُدْعِينَ ) قال: سراعاً.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله: ( أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ) يقول تعالى ذكره: أفى قلوب هؤلاء الذين يعرضون إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم، شك في رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه لله رسول، فهم يمتنعون من الإجابة إلى حكمه والرضا به ( أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ ) إذا اجتكموا إلى حكم كتاب الله وحكم رسوله وقال: ( أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ ) والمعنى: أن يحيف رسول الله عليهم، فبدأ بالله تعالى ذكره تعظيماً لله، كما يقال: ما شاء الله ثم شئت، بمعنى شئت. ومما يدل على أن معنى ذلك كذلك قوله: وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ فَأَفرد الرسول بالحكم، ولم يقل: ليحكمما.

وقوله: ( بَلْ أَوْلَيْكَ هُمْ الظَّالِمُونَ ) يقول: ما خاف هؤلاء المعرضون عن حكم الله وحكم رسوله، إذ أعرضوا عن الإجابة إلى ذلك مما دعوا إليه، أن يحيف عليهم رسول الله، فيجور في حكمه عليهم، ولكنهم قوم أهل ظلم لأنفسهم بخلافهم أمر ربهم، ومعصيتهم الله فيما أمرهم من الرضا بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أحبوا وكرهوا، والتسليم له.

القول في تأويل قوله تعالى: **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (51)**

يقول تعالى ذكره: إنما كان ينبغي أن يكون قول المؤمنين إذا دعوا إلى حكم الله وإلى حكم رسوله، لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ وبين خصومهم، ( أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا ) ما قيل لنا < 206-19 > ( وأطعنا ) من دعانا إلى ذلك. ولم يُعْن ب ( كَانَ ) في هذا الموضع الخبر عن أمر قد مضى فيقضى، ولكنه تأنيب من الله الذي أنزلت هذه الآية بسببهم، وتأديب منه آخرين غيرهم. وقوله: ( وَأَوْلَيْكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ ) يقول تعالى ذكره: والذين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم وبين خصومهم ( أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ) المفلحون يقول: هم المنجحون المدركون طلباتهم، بفعلهم ذلك، المخلدون في جنات الله.

القول في تأويل قوله تعالى: **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخَشِيَ اللَّهَ وَبَنَّفَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْقَائِرُونَ (52)**

يقول تعالى ذكره: ( وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ) فيما أمره ونهاه، ويسلم لحكمهما له وعليه، ويخف عاقبة معصية الله وبخذه، ويتق عذاب الله بطاعته إياه في أمره ونهيه ( فأولئك ) يقول: فالذين يفعلون ذلك ( هُمُ الْقَائِرُونَ ) برضا الله عنهم يوم القيامة، وأمنهم من عذابه.

القول في تأويل قوله تعالى: **وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجْنَ قُلْ لَا تُفْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (53)**

يقول تعالى ذكره وحلف هؤلاء المعرضون عن حكم الله وحكم رسوله، إذ دعوا إليه ( بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ) يقول: أغلظ أيمانهم وأشدّها ( لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ ) يا

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

محمد بالخروج إلى جهاد عدوك وعدو المؤمنين ( لَيَخْرُجَنَّ قُلٌّ لَا تُفْسِمُوا ) لا تحلفوا، فإن هذه ( طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ ) منكم فيها التكذيب.

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ( قُلٌّ لَا تُفْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ ) قال: قد عرفت طاعتكم إلي أنكم تكذبون ( إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ) يقول: إن الله ذو خبرة بما تعملون من طاعتكم الله ورسوله، أو خلافكم أمرهما، أو غير ذلك من أموركم، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو مجازيكم بكل ذلك.

الهوامش:

(1) البيت لعامر بن جوين الطائي ( اللسان : ودق ) قال : الودق : المطر كله شديده و هينه وقد ودق يدق ودقا أي قطر ، قال عامر بن جوين الطائي " فلا مزنة " البيت والمزنة سحابة واستشهد المؤلف بالبيت على أن معنى الودق المطر القول في تأويل قوله تعالى : قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (54)

يقول تعالى ذكره: ( قل ) يا محمد لهؤلاء المقسمين بالله جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لِيُنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجَنَّ ، وغيرهم من أمتك ( أَطِيعُوا اللَّهَ ) أيها القوم فيما أمركم به، ونهاكم عنه ( وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ) فإن طاعته لله طاعة ( فَإِنْ تَوَلَّوْا ) يقول: فإن تعرضوا وتدبروا عما أمركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو نهاكم عنه، وتابوا أن تذعنوا لحكمه لكم وعليكم ( فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ ) يقول: فإنما عليه فعل ما أمر بفعله من تبليغ رسالة الله إليكم على ما كلفه من التبليغ ( وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ ) يقول: وعليكم أيها الناس أن تفعلوا ما ألزمتكم، وأوجب عليكم من اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم، والانتفاء إلى طاعته فيما أمركم ونهاكم.

وقلنا: إن قوله: ( فَإِنْ تَوَلَّوْا ) بمعنى فإن تتولوا، فإنه في موضع جزم؛ لأنه خطاب للذين أمر رسول الله بأن يقول لهم ( أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ) يدل على أن ذلك كذلك قوله: ( وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ ) ولو كان قوله: ( تولوا ) فعلا ماضيا علي وجه الخبر عن غيب لكان في موضع قوله: ( عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ ) .

وقوله: ( وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ) يقول تعالى ذكره: وإن تطيعوا - أيها الناس - رسول الله - فيما يأمركم وينهاكم - ترشدوا وتصيبوا الحق في أموركم ( وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ) يقول: وغير واجب على من أرسله الله إلى قوم برسالة إلا أن يبلغهم رسالته بلاغا يبين لهم ذلك البلاغ عما أراد الله به.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول فليس على محمد - أيها الناس - إلا أداء رسالة الله إليكم، وعليكم الطاعة، وإن أطعتموه (1) لحظوظ أنفسكم تصيبون، وإن عصيتموه بأنفسكم فتوبقون (2) .

القول في تأويل قوله تعالى : وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي > 19-208 < لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْقَاسِقُونَ (55)

يقول تعالى ذكره: ( وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْكُمْ ) أيها الناس، ( وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) يقول: وأطاعوا الله ورسوله فيما أمراه ونهياه ( لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ) يقول: ليورثنهم الله أرض المشركين من العرب والعجم، فيجعلهم ملوكها وساستها ( كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ) يقول: كما فعل من قبلهم ذلك بنبي إسرائيل، إذ أهلك الجابرة بالشام، وجعلهم ملوكها وسكانها ( وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ) يقول: وليوطنهم دينهم، يعني: ملتهم التي ارتضاها لهم، فأمرهم بها. وقيل: وعد الله الذين آمنوا، ثم تلقى ذلك بجواب اليمين بقوله: ( لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ) لأن الوعد قول يصلح فيه " أن "، وجواب اليمين كقوله: وعدتك أن أكرمك، ووعدتك لأكرمك.

واختلف القراء في قراءة قوله: ( كَمَا اسْتَخْلَفَ ) فقرأته عامة القراء ( كَمَا اسْتَخْلَفَ ) بفتح التاء واللام، بمعنى: كما استخلف الله الذين من قبلهم من الأمم. وقرأ ذلك عاصم " كَمَا اسْتَخْلَفَ " بضم التاء وكسر اللام، على مذهب ما لم يسم فاعله.

واختلفوا أيضا في قراءة قوله: ( وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ ) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار سوى عاصم ( وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ ) بتشديد الدال، بمعنى: وليغيرن حالهم عما هي عليه من الخوف إلى الأمن، والعرب تقول: قد بدل فلان إذا غيرت حاله، ولم يأت مكان غيره، وكذلك كل مغير عن حاله، فهو عندهم مبدل بالتشديد. وربما قيل بالتخفيف، وليس بالفصح، فأما إذا جعل مكان الشيء المبدل غيره، فذلك بالتخفيف أبدلته فهو مبدل. وذلك كقولهم: أبدل هذا الثوب: أي جعل مكانه آخر غيره، وقد يقال بالتشديد غير أن الفصح من الكلام ما وصفت. وكان عاصم يقرؤه " وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ " بتخفيف الدال.

والصواب من القراءة في ذلك التشديد، على المعنى الذي وصفت قبل، لإجماع الحجة من قراء الأمصار عليه، وأن ذاك تغيير حال الخوف إلى الأمن، وأرى عاصما ذهب إلى أن الأمن لما كان خلاف الخوف وجه المعنى إلى أنه ذهب بحال الخوف، وجاء بحال الأمن، فخفف ذلك.

ومن الدليل على ما قلنا، من أن التخفيف إنما هو ما كان في إبدال شيء مكان آخر، قول أبي النجم:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

عَزُّ الأَمِيرِ للأَمِيرِ المَبْدَلِ (3)

< 19-209 >

وقوله: ( يعبدونني ) يقول: يخضعون لي بالطاعة ويتذللون لأمرني ونهبي ( لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ) يقول: لا يشركون في عبادتهم إياي الأوثان والأصنام ولا شيئاً غيرها، بل يخلصون لي العبادة فيفردونها إليّ دون كل ما عبد من شيء غيري، ودُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل شكاية بعض أصحابه إليه في بعض الأوقات التي كانوا فيها من العدو في خوف شديد مما هم فيه من الرعب والخوف، وما يلقون بسبب ذلك من الأذى والمكروه.

\* ذكر الرواية بذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، قوله: ( وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) ... الآية، قال: فمكث النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين خائفا يدعو إلى الله سرّاً وعلانية، قال: ثم أمر بالهجرة إلى المدينة. قال: فمكث بها هو وأصحابه خائفون، يصبحون في السلاح، ويمسون فيه، فقال رجل: ما يأتي علينا يوم نأمن فيه، ونضع عنا السلاح، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا تَعْبُرُونَ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى يَجْلِسَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي الْمَلَأِ الْعَظِيمِ مُحْتَبِيًّا فِيهِ، لَيْسَ فِيهِ حَدِيدَةٌ ". (4) فأنزل الله هذه الآية ( وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ) ... إلى قوله: ( فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ ) " قال: يقول: من كفر بهذه النعمة ( قَآوَلَيْكَ هُمُ الْقَاسِفُونَ ) وليس يعني الكفر بالله. قال: فأظهره الله على جزيرة العرب فأمنوا، ثم تجبروا، فغير الله ما بهم، وكفروا بهذه النعمة، فأدخل الله عليهم الخوف الذي كان رفعه عنهم، قال أبو علي: يقتلهم عثمان بن عفان رضي الله عنه.

واختلف أهل التأويل في معنى الكفر الذي ذكره الله في قوله: ( فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ ) فقال أبو العالية (5) ما ذكرنا عنه من أنه كفر بالنعمة لا كفر بالله.

وَرُوِيَ عَنْ حُذَيْفَةَ فِي ذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا بِهِ ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، < 210-19 > عن حبيب بن أبي الشعثاء، قال: كنت جالسا مع حذيفة وعبد الله بن مسعود، فقال حذيفة: ذهب النفاق، وإنما كان النفاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما هو الكفر بعد الإيمان، قال: فضحك عبد الله، فقال: لم تقول ذلك؟ قال: علمت ذلك، قال: ( وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ) ... حتى بلغ آخرها.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ، قال: ثنا شعبة، عن أبي الشعثاء، قال: قعدت إلى ابن مسعود وحذيفة، فقال حذيفة: ذهب النفاق فلا نفاق، وإنما هو الكفر بعد الإيمان، فقال عبد الله: تعلم ما تقول؟ قال: فتلا هذه الآية **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ ...** حتى بلغ: **( قَاوَلِيْكَ هُمْ الْقَاسِقُونَ )** قال: فضحك عبد الله، قال: فلقيت أبا الشعثاء بعد ذلك بأيام، فقلت: من أي شيء ضحك عبد الله؟ قال: لا أدري، إن الرجل ربما ضحك من الشيء الذي يعجبه، وربما ضحك من الشيء الذي لا يعجبه، فمن أي شيء ضحك؟ لا أدري. والذي قاله أبو العالية من التأويل أشبه بتأويل الآية، وذلك أن الله وعد الإنعام على هذه الأمة بما أخبر في هذه الآية، أنه منعم به عليهم، ثم قال عقيب ذلك: فمن كفر هذه النعمة بعد ذلك **( قَاوَلِيْكَ هُمْ الْقَاسِقُونَ )**.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: **( يَعْْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا )** قال: تلك أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد **( أَمَّا يَعْْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا )** قال: لا يخافون غيري.

القول في تأويل قوله تعالى : **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (56) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ (57)**

يقول تعالى ذكره: **( وأقيموا أيها الناس الصلاة )** بحدودها، فلا تضيعوها، **( وآتوا الزكاة )** التي فرضها الله عليكم أهلها، وأطيعوا رسول ربكم فيما أمركم ونهاكم **( لعلكم تُرحمُونَ )** يقول: كي يرحمكم ربكم، فينجيكم من عذابه، وقوله: **( لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض )** يقول تعالى ذكره: لا تحسبن يا محمد، الذين كفروا بالله معجزيه في الأرض إذا أراد إهلاكهم **( وماواهم )** بعد هلاكهم **( النارُ وليسن المصيرُ )** < 211-19 > الذي يصيرون إليه ذلك المأوى. وقد كان بعضهم يقول: " لا يحسبن الذين كفروا " بالياء، وهو مذهب ضعيف عند أهل العربية؛ وذلك أن " تحسب " محتاج إلى منصوبين. وإذا قرئ " يحسبن " لم يكن واقعا إلا على منصوب واحد، غير أني أحسب أن قائله بالياء ظن أنه قد عمل في " معجزين " وأن منصوبه الثاني " في الأرض "، وذلك لا معنى له، إن كان ذلك قصد.

القول في تأويل قوله تعالى : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَصُومُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهيرةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (58)**



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: ( لَيْسَتْ أَدْنَىٰكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) فقال بعضهم: عني بذلك: الرجال دون النساء، ونهوا عن أن يدخلوا عليهم في هذه الأوقات الثلاثة، هؤلاء الذين سموا في هذه الآية إلا بإذن.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن ليث، عن نافع، عن ابن عمر، قوله: ( لَيْسَتْ أَدْنَىٰكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) قال: هي على الذكور دون الإناث.

وقال آخرون: بل عني به الرجال والنساء.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي حصين، عن أبي عبد الرحمن، في قوله: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَتْ أَدْنَىٰكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) قال: هي في الرجال والنساء، يستأذنون على كل حال، بالليل والنهار.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عني به الذكور والإناث؛ لأن الله عم بقوله: ( الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) جميع أملاك أيماننا، ولم يخص منهم ذكرا ولا أنثى فذلك على جميع من عمه ظاهر التنزيل.

< 19-212 >

فتأويل الكلام: يا أيُّها الذين صدقوا الله ورسوله، ليستأذنكم في الدخول عليكم عبيدكم وإماءكم، فلا يدخلوا عليكم إلا بإذن منكم لهم.

( وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ) يقول: والذين لم يحتلموا من أحراركم ( ثَلَاثَ مَرَّاتٍ )، يعني: ثلاث مرات في ثلاثة أوقات، من ساعات ليلكم ونهاركم.

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا جراح، عن ابن جريج، عن مجاهد، في قوله: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَتْ أَدْنَىٰكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) قال: عبيدكم المملوكون ( وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ) قال: لم يحتلموا من أحراركم.

قال ابن جريج: قال لي عطاء بن أبي رباح: فذلك على كل صغير وصغيرة أن يستأذن، كما قال ( ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَصْعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظُّهَيْرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ) قالوا: هي العتمة. قلت: فإذا وضعوا ثيابهم بعد العتمة استأذنوا عليهم حتى يصبحوا؟ قال: نعم. قلت لعطاء: هل استأذنهم إلا عند وضع الناس ثيابهم؟ قال: لا.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْجٍ، عن صالح بن كيسان وبعقوب بن عتبة وإسماعيل بن محمد، قالوا: لا استئذان على خدم الرجل عليه إلا في العورات الثلاث.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ( لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) يقول: إذا خلا الرجل بأهله بعد صلاة العشاء، فلا يدخل عليه خادم ولا صبيّ إلا بإذن حتى يصلي الغداة، فإذا خلا بأهله عند صلاة الظهر فمثل ذلك.

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني قرة بن عبد الرحمن، عن ابن شهاب، عن ثعلبة، عن أبي مالك القرظي: أنه سأل عبد الله بن سويد الحارثي - وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - عن الإذن في العورات الثلاث، فقال: إذا وضعت ثيابي من الظهر لم يلبح عليّ أحد من الخدم الذي بلغ الحلم، ولا أحد ممن لم يبلغ الحلم من الأحرار إلا بإذن.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، عن ابن جُرَيْجٍ، قال: سمعت عطاء يقول: قال ابن عباس: ثلاث آيات جدهنّ الناس: الإذن كله، وقال: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُمُ وقال الناس: أكرمكم أعظمكم بيتا، ونسيت الثالثة.

حدثني ابن أبي الشوارب، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا يونس، عن الحسن، < 213-19 > في هذه الآية ( لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) قال: كان الحسن يقول: إذا أبات الرجل خادمه معه فهو إذنه، وإن لم يبته معه استأذن في هذه الساعات.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى بن سعيد، قال: ثنا سفيان، قال: ثني موسى بن أبي عائشة، عن الشعبي في قوله: ( لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) قال: لم تُنسخ، قلت: إن الناس لا يعملون به ، قال: الله المستعان!

قال ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن موسى بن أبي عائشة، عن الشعبي، وسألته عن هذه الآية: ( لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) قلت: منسوخة هي؟ قال: لا والله ما نُسخت، قلت: إن الناس لا يعملون بها ، قال: الله المستعان!

قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جُبَيْر، قال: إن ناسا يقولون نسخت، ولكنها مما يتهاون الناس به.

قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جُبَيْر في هذه الآية ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) ... إلى آخر الآية، قال: لا يعمل بها اليوم.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنا حنظلة، أنه سمع القاسم بن محمد يسأل عن الإذن، فقال: يستأذن عند كل عورة، ثم هو طواف، يعني الرجل على أمه.

حدثنا محمد بن المثني، قال: ثنا عثمان بن عمر، قال: أخبرنا عبد العزيز بن أبي رواد، قال: أخبرني رجل من أهل الطائف، عن غيلان بن سُرحبيل، عن عبد الرحمن بن عوف، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا يَغْلِيَنَّكُمْ الْأَعْرَابُ عَلَى اسْمِ صَلَاتِكُمْ، قال الله: ( وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ) وَإِنَّمَا الْعَتَمَةُ عَتَمَةُ الْإِيلِ".

وقوله: ( ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ) اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة: ( ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ) برفع " الثلاث "، بمعنى الخبر عن هذه الأوقات التي ذكرت كأنه عندهم، قيل: هذه الأوقات الثلاثة التي أمرناكم بأن لا يدخل عليكم فيها من ذكرنا إلا بإذن، ثلاث عورات لكم، لأنكم تضعون فيها ثيابكم، وتخلون بأهلكم. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة " ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ " بنصب الثلاث على الرد على الثلاث الأولى. وكأن معنى الكلام عندهم: ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم، والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرّات، ثلاث عورات لكم.

< 19-214 >

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان متقاربتا المعنى، وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وقوله: ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ ) يقول تعالى ذكره: ( ليس عليكم ) معشر أرباب البيوت والمساکن، ( ولا عليهم ) يعني: ولا على الذين ملكت أيمانكم من الرجال والنساء، والذين لم يبلغوا الحلم من أولادكم الصغار، حرج ولا إثم بعدهنّ، يعني بعد العورات الثلاث، والهاء والنون في قوله: ( بعدهن ) عائدتان على " الثلاث " من قوله: ( ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ) وإنما يعني بذلك أنه لا حرج ولا جناح على الناس أن يدخل عليهم مما ليكهم البالغون، وصبيانهم الصغار بغير إذن بعد هذه الأوقات الثلاث اللاتي ذكرهنّ في قوله: ( مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَصْعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ).

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قال: ثم رخص لهم في الدخول فيما بين ذلك بغير إذن، يعني فيما بين صلاة الغداة إلى الظهر، وبعد الظهر إلى صلاة العشاء، أنه رخص لخدم الرجل والصبي أن يدخل عليه منزله بغير إذن، قال: وهو قوله: ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ) فأما من بلغ الحُلم فإنه لا يدخل على الرجل وأهله إلا بإذن على كل حال.

وقوله: ( طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ ) رفع الطَّوَّافُونَ بمضمر، وذلك هم . يقول: هؤلاء المماليك والصبيان الصغار هم طَوَّافُونَ عليكم أيها الناس، ويعني بالطَّوَّافِينَ: أنهم يدخلون ويخرجون على مواليتهم وأقربائهم في منازلهم غدوة وعشية بغير إذن يطوفون عليهم، بعضكم على بعض في غير الأوقات الثلاث التي أمرهم أن لا يدخلوا على ساداتهم وأقربائهم فيها إلا بإذن ( كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ ) يقول جل ثناؤه: كما بينت لكم أيها الناس أحكام الاستئذان في هذه الآية، كذلك يبين الله لكم جميع أعلامه وأدلته وشرائع دينه ( وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ) يقول: والله ذو علم بما يصلح عباده، حكيم في تدبيره إياهم، وغير ذلك من أموره.

الهوامش:

- (1) كأنه عل تقدير الفاء في جواب الشرط أي فلحظوظ إلخ
- (2) كان الأولى أن يقول : وإن عصيتموه فلأنفسكم توبقون
- (3) البيت من مشطور الرجز ، لأبي النجم العجلي الراجز ( اللسان : بدل ) قال : قال أبو العباس ( يعني ثعلبًا ) وحقيقته : أن التبديل تغيير الصورة إلى صورة أخرى ، والجوهرة بعينها ؛ والإبدال : تنحية الجوهرة ، واستئناف جوهرة أخرى . منه قول أبي النجم :

\* عزل الأمير للأمير المبدل \*

ألا ترى أنه نحى جسمًا ، وجعل مكانه جسمًا غيره ؟ .  
(4) في فتح القدير للشوكاني ( 4 : 47 ) ليست فيهم جديدة . ولعلها رواية

أخرى

(5) لعله أبو العالية ، راوي الحديث .  
المقول في تأويل قوله تعالى : وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ < 19-215 > عَلِيمٌ حَكِيمٌ (59)

يقول تعالى ذكره: إذا بلغ الصغار من أولادكم وأقربائكم، ويعني بقوله: ( منكم ) من أحراركم ( الحلم ) يعني الاحتلام، واحتلموا ( فليستأذنوا ) يقول: فلا يدخلوا عليكم في وقت من الأوقات إلا بإذن، لا في أوقات العورات الثلاث ولا في غيرها. وقوله: ( كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ) يقول: كما استأذن الكبار من ولد الرجل وأقربائه الأحرار، وخصَّ الله تعالى ذكره في هذه الآية الأطفال بالذكر، وتعريف حكمهم عباده في الاستئذان دون ذكر ما ملكت أيماننا، وقد

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

تقدّمت الآية التي قبلها بتعريفهم حكم الأطفال الأحرار والمماليك؛ لأن حكم ما ملكت أيمانكم في ذلك حكم واحد، سواء فيه حكم كبارهم وصغارهم في أن الإذن عليهم في الساعات الثلاث التي ذكرها الله في الآية التي قبل.

وينحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قال: أما من بلغ الحلم فإنه لا يدخل على الرجل وأهله، يعني من الصبيان الأحرار إلا بإذن عليّ كل حال، وهو قوله: (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلْمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال عطاء: (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلْمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا ) قال: واجب على الناس أجمعين أن يستأذنوا إذا احتلموا على من كان من الناس.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، عن ابن المسيب، قال: يستأذن الرجل على أمه؟ قال: إنما أنزلت (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلْمَ) فِي ذَلِكَ (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ) يقول: هكذا بين الله لكم آياته، أحكامه وشرائع دينه، كما بين لكم أمر هؤلاء الأطفال في الاستئذان بعد البلوغ ( وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ) يقول: والله عليم بما يصلح خلقه وغير ذلك من الأشياء، حكيم في تدبيره خلقه.

القول في تأويل قوله تعالى : وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (60)

يقول تعالى ذكره: واللواتي قد قعدن عن الولد من الكبر من النساء، فلا يحضن ولا يلدن، واحدتهن قاعد ( اللاتي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا ) يقول: اللاتي قد يئسن من البعولة، فلا يطمعن في الأزواج ( فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ ) يقول: فليس عليهن حرج ولا إثم أن يضعن ثيابهن، يعني جلابيبهن، وهي القناع الذي يكون فوق الخمار، والرداء الذي يكون فوق الثياب، لا حرج عليهن أن يضعن ذلك عند المحارم من الرجال، وغير المحارم من الغرباء غير متبرجات بزينة.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ( وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا ) وهي المرأة لا جناح عليها أن تجلس في بيتها بدرع وخمار، وتضع عنها الجلاب ما لم تتبرج لما يكره الله وهو قوله: ( فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ثُمَّ قَالَ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ ).

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول، في قوله: ( يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ ) يعني الجلاب، وهو القناع، وهذا للكبيرة التي قد قعدت عن الولد، فلا يضرها أن لا تجلب فوق الخمار. وأما كل امرأة مسلمة حرّة، فعليها إذا بلغت المحيض أن تدي الجلاب على الخمار، وقال الله في سورة الأحزاب يُدَيِّنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ ذَلِكَ أَدَّتِي أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وكان بالمدينة رجال من المنافقين إذا مرت بهم امرأة سيئة الهيئة والزي، حسب المنافقون أنها مزينة وأنها من بغيتهم، فكانوا يؤذون المؤمنات بالرفث ولا يعلمون الحرّة من الأمة، فأنزل الله في ذلك يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدَيِّنُ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ ذَلِكَ أَدَّتِي أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ يقول: إذا كان زيهن حسنا لم يطمع فيهن المنافقون.

حدثنا القايم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، في قوله: ( وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ ) التي قعدت من الولد وكبرت. قال ابن جريج: قال مجاهد: ( اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا ) قال: لا يُردنه ( فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ ) قال: جلابيهن.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ ) < 217-19 > اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ) قال: وضع الخمار، قال: التي لا ترجو نكاحا، التي قد بلغت أن لا يكون لها في الرجال حاجة. ولا للرجال فيها حاجة، فإذا بلغن ذلك وضعن الخمار. غير متبرجات بزينة، ثم قال: ( وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ ) كان أبي يقول هذا كله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى وعبد الرحمن، قالا ثنا سفيان، عن علقمة بن مرثد، عن ذرّ، عن أبي وائل، عن عبد الله، في قوله: ( فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ ) قال: الجلاب أو الرداء، شك سفيان.

قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن مالك بن الحارث، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله ( فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ ) قال: الرداء.

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن جده، عن الأعمش، عن مالك بن الحارث، عن عبد الرحمن بن يزيد، قال: قال عبد الله في هذه الآية ( فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ ) قال: هي الملحفة.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا محمد بن المثني، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، قال: سمعت أبا وائل قال: سمعت عبد الله يقول في هذه الآية ( فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ أَنْ يَصْعَنَ ثِيَابَهُنَّ ) قال: الجلاب.

حدثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة، قال: أخبرني الحكم، عن أبي وائل، عن عبد الله، مثله.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن الثوري، عن الأعمش، عن مالك بن الحارث عن عبد الرحمن بن يزيد، عن ابن مسعود، في قوله: ( أَنْ يَصْعَنَ ثِيَابَهُنَّ عَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ) قال: هو الرداء.

قال الحسن، قال: عبد الرزاق، قال الثوري: وأخبرني أبو حصين وسالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، قال: هو الرداء.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن الشعبي ( أَنْ يَصْعَنَ ثِيَابَهُنَّ عَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ) قال: تضع الجلاب المرأة التي قد عجزت ولم تزوج. قال الشعبي: فإن أبي بن كعب يقرأ " أَنْ يَصْعَنَ مِنْ ثِيَابِهِنَّ ".

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: قلت لابن أبي نجيح، قوله: ( فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ أَنْ يَصْعَنَ ثِيَابَهُنَّ عَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ) قال: الجلاب، قال يعقوب: < 218-19 > قال أبو يونس: قلت له: عن مجاهد؟ قال: نعم، في الدار والحجرة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى; وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ أَنْ يَصْعَنَ ثِيَابَهُنَّ ) قال: جلابيهن.

وقوله: ( عَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ) يقول: ليس عليهن جناح في وضع أرديتهن إذا لم يردن بوضع ذلك عنهن أن يبدن ما عليهن من الزينة للرجال. والتبرج: هو أن تظهر المرأة من محاسنها ما ينبغي لها أن تستره.

وقوله: ( وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ ) يقول: وإن تعفن عن جلابيهن وأرديتهن، فلبسنا خيرا لهن من أن يضعنها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى; وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ( وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ ) قال: أن يلبسن جلابيهن.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جبر، عن مغيرة، عن الشعبي ( وَأَنْ يَسْتَعْفِفَ خَيْرٌ لَهُنَّ ) قال: ترك ذلك، يعني: ترك وضع الثياب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَأَنْ يَسْتَعْفِفَ خَيْرٌ لَهُنَّ ) والاستعفاف: لبس الخمار على رأسها، كان أبي يقول هذا كله ( وَاللَّهُ سَمِيعٌ ) ما تنطقون بالسننكم ( عليم ) بما تضره صدوركم، فاتقوه أن تنطقوا بالسننكم ما قد نهاكم عن أن تنطقوا بها، أو تضرروا في صدوركم ما قد كرهه لكم، فتستوجبوا بذلك منه عقوبة.

القول في تأويل قوله تعالى : لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَوْيَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ < 219-19 > أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (61)

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في هذه الآية في المعنى الذي أنزلت فيه، فقال بعضهم: أنزلت هذه الآية ترخيصا للمسلمين في الأكل مع العميان والعرجان والمرضى وأهل الزمانة من طعامهم، من أجل أنهم كانوا قد امتنعوا من أن يأكلوا معهم من طعامهم، خشية أن يكونوا قد أتوا بأكلهم معهم من طعامهم شيئا مما نهاهم الله عنه بقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ .

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا يعقوب، قال: ثنا معاوية، عن علي، عن ابن عباس ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا ) من بيوتكم ... إلى قوله: ( أَوْ أَشْتَاتًا ) وذلك لما أنزل الله يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ فقال المسلمون: إن الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل، والطعام من أفضل الأموال، فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد، فكف الناس عن ذلك، فأنزل الله بعد ذلك ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ) ... إلى قوله: ( أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ ) .

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ) ... الآية، كان أهل المدينة قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم لا يخالطهم في طعامهم أعمى ولا مريض، فقال بعضهم: إنما كان بهم التقدر والتقرز. وقال بعضهم: المريض لا يستوفي الطعام، كما يستوفي الصحيح والأعرج المنحس، لا يستطيع المزاحمة على الطعام، والأعمى لا يبصر طيب الطعام، فأنزل الله ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ) .

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حرج في مؤاكلة المريض والأعمى والأعرج، فمعنى الكلام على تأويل هؤلاء: ليس عليكم أيها الناس في الأعمى حرج أن تأكلوا منه ومعه، ولا في الأعرج حرج، ولا في المريض حرج، ولا في أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم، فوجّهوا معنى " على " في هذا الموضع إلى معنى " في " .

وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية ترخيصة لأهل الزمانة في الأكل من بيوت من سمى الله في هذه الآية، لأن قوما كانوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لم يكن < 19-220 > عندهم في بيوتهم ما يطعمونهم، ذهبوا بهم إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم، أو بعض من سمى الله في هذه الآية، فكان أهل الزمانة يتخوفون من أن يطعموا ذلك الطعام، لأنه أطعمهم غير ملكه.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ( وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ ) قال: كان رجال زمني. قال ابن عمرو في حديثه: عميان وعرجان. وقال الحارث: عمي عرج أولوا حاجة، يستتبعهم رجال إلى بيوتهم، فإن لم يجدوا طعاما ذهبوا بهم إلى بيوت آبائهم، ومن عدّ منهم من البيوت، فكره ذلك المستتبعون، فأنزل الله في ذلك ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ) وأحلّ لهم الطعام حيث وجدوه.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: كان الرجل يذهب بالأعمى والمريض والأعرج إلى بيت أبيه، أو إلى بيت أخيه، أو عمه، أو خاله، أو خالته، فكان الزمني يتحرّجون من ذلك، يقولون: إنما يذهبون بنا إلى بيوت غيرهم، فنزلت هذه الآية رخصة لهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، نحو حديث ابن عمرو، عن أبي عاصم.

وقال آخرون: بل نزلت ترخيصة لأهل الزمانة الذين وصفهم الله في هذه الآية أن يأكلوا من بيوت من خلفهم في بيوته من الغزاة.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، قال: قلت للزهري، في قوله: ( لَيْسَ عَلَيْكَ جُنَاحٌ ) ما بال الأعمى ذكر هاهنا، والأعرج والمريض؟ فقال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله أن المسلمين كانوا إذا غزوا خلفوا زمانهم، وكانوا يدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم، يقولون: قد أحللتنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا، وكانوا يتحرّجون من ذلك، يقولون: لا ندخلها وهم عُيَّب، فأنزلت هذه الآية رخصة لهم.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: بل عنى بقوله: ( لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ ) في التخلف عن الجهاد في سبيل الله، قالوا: وقوله: ( وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ ) كلام منقطع عما قبله.

< 19-221 >

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ ) قال: هذا في الجهاد في سبيل الله، وفي قوله: ( وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ ) ... إلى قوله: ( أَوْ صَدِيقِكُمْ ) قال: هذا شيء قد انقطع، إنما كان هذا في الأول، لم يكن لهم أبواب، وكانت الستور مرخاة، وربما دخل الرجل البيت وليس فيه أحد، وربما وجد الطعام وهو جائع، فسوّغه الله أن يأكله. قال: وقد ذهب ذلك اليوم، البيوت اليوم فيها أهلها، وإذا خرجوا أغلقوها، فقد ذهب ذلك.

وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية ترخيصا للمسلمين الذين كانوا يتقون مؤاكلة أهل الزمانة في مؤاكلتهم إذا شاءوا ذلك.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن قيس بن مسلم، عن مفسم، في قوله: ( لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ ) قال: كانوا يتقون أن يأكلوا مع الأعمى والأعرج، فنزلت ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ).

واختلفوا أيضا في معنى قوله: ( أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَقَاتِحُهُ ) فقال بعضهم: عنى بذلك: وكيل الرجل وقيمته، أنه لا بأس عليه أن يأكل من ثمر ضيعته، ونحو ذلك.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله: ( أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَقَاتِحُهُ ) وهو الرجل يوكل الرجل بضيعته، فرخص الله له أن يأكل من ذلك الطعام والتمر ويشرب اللبن.

وقال آخرون: بل عنى بذلك: منزل الرجل نفسه أنه لا بأس عليه أن يأكل.

\* ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ( أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ ) يعني: بيت أحدهم، فإنه يملكه، والعبيد منهم مما ملكوا.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ( أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ ) مما تحبون يا ابن آدم.

< 19-222 >

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: ( أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ ) قال: خزائن لأنفسهم، ليست لغيرهم.

وأشبهه الأقوال التي ذكرنا في تأويل قوله: ( لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ ) ... إلى قوله: ( أَوْ صَدِيقِكُمْ ) القول الذي ذكرنا عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، وذلك أن أظهر معاني قوله: ( لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ ) أنه لا حرج على هؤلاء الذين سموا في هذه الآية أن يأكلوا من بيوت من ذكره الله فيها، على ما أباح لهم من الأكل منها؛ فإذا كان ذلك أظهر معانيه فتوجيه معناه إلى الأغلب الأعمى من معانيه أولى من توجيهه إلى الأنكر منها. فإذا كان ذلك كذلك؛ كان ما خالف من التأويل قول من قال: معناه: ليس في الأعمى والأعرج حرج أولى بالصواب. وكذلك أيضا الأغلب من تأويل قوله: ( وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ ) أنه بمعنى: ولا عليكم أيها الناس، ثم جمع هؤلاء والزمنى الذين ذكرهم قبل في الخطاب، فقال: أن تأكلوا من بيوت أنفسكم، وكذلك تفعل العرب إذا جمعت بين خبر الغائب والمخاطب غلبت المخاطب، فقالت: أنت وأخوك قمتما، وأنت وزيد جلستما، ولا تقول: أنت وأخوك جلسا، وكذلك قوله: ( وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ) والخبر عن الأعمى والأعرج والمريض غلب المخاطب، فقال: أن تأكلوا، ولم يقل: أن يأكلوا.

فإن قال قائل: فهذا الأكل من بيوتهم قد علمناه، كان لهم حلالا إذ كان ملكا لهم، أو كان أيضا حلالا لهم الأكل من مال غيرهم. قيل له: ليس الأمر في ذلك على ما توهمت، ولكنه كما ذكرناه عن عبيد الله بن عبد الله، أنهم كانوا إذا غابوا في مغازيهم، وتخلف أهل الزمانة منهم، دفع الغازي مفتاح مسكنه إلى المتخلف منهم، فأطلق له في الأكل مما يخلف في منزله من الطعام، فكان المتخلفون يتخوفون الأكل من ذلك وربه غائب، فأعلمه الله أنه لا حرج عليه في الأكل منه، وأذن لهم في أكله فإذا كان ذلك كذلك تبين أن لا معنى لقول من قال: إنما أنزلت هذه الآية من أجل كراهة المستتبع أكل طعام غير المستتبع، لأن ذلك لو كان كما قال من قال ذلك، لقليل: ليس عليكم حرج أن تأكلوا من طعام غير من أضافكم، أو من طعام آباء من دعاكم، ولم يقل: أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم، وكذلك لا وجه لقول من قال: معنى ذلك: ليس على الأعمى حرج في التخلف عن الجهاد في سبيل الله، لأن قوله: ( أَنْ تَأْكُلُوا ) خبر ليس، وأن في موضع نصب على أنها خبر لها، فهي متعلقة < 19-223 > بليس، فمعلوم بذلك أن معنى الكلام: ليس على الأعمى

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حرج أن يأكل من بيته، لا ما قاله الذين ذكرنا من أنه لا حرج عليه في التخلف عن الجهاد؛ فإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا، تبين أن معنى الكلام: لا ضيق على الأعمى، ولا على الأعرج، ولا على المريض، ولا عليكم أيها الناس أن تأكلوا من بيوت أنفسكم، أو من بيوت آبائكم، أو من بيوت أمهاتكم، أو من بيوت إخوانكم، أو من بيوت أخواتكم، أو من بيوت أعمامكم، أو من بيوت عماتكم، أو من بيوت أخوالكم، أو من بيوت خالاتكم، أو من البيوت التي ملكتم مفاتيحها، أو من بيوت صديقكم إذا أذنوا لكم في ذلك، عند مغيبهم ومشهدهم. والمفاتيح: الخزائن، واحدها: مفتاح إذا أريد به المصدر، وإذا كان من المفاتيح التي يفتح بها فهي مفتاح ومفتاح، وهي هاهنا على التأويل الذي اخترناه جمع مفتاح الذي يفتح به.

وكان قنادة يتأول في قوله: (أَوْ صَدِيقِكُمْ) ما حدثنا به الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قنادة (أَوْ صَدِيقِكُمْ) فلو أكلت من بيت صديقك من غير أمره، لم يكن بذلك بأس، قال معمر: قلت لقنادة: أو لا أشرب من هذا الخب؟ قال: أنت لي صديق.

وأما قوله: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: كان الغني من الناس يتخوف أن يأكل مع الفقير، فرخص لهم في الأكل معهم.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، قوله: (أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا) قال: كان الغني يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصديقه، فيدعوه إلى طعامه ليأكل معه، فيقول: والله إنني لأجرح أن أكل معك، والجرح: الحرج وأنا غني وأنت فقير، فأمروا أن يأكلوا جميعا أو أشتاتا.

وقال آخرون: بل عني بذلك حي من أحياء العرب، كانوا لا يأكل أحدهم وحده، ولا يأكل إلا مع غيره، فأذن الله لهم أن يأكل من شاء منهم وحده، ومن شاء منهم مع غيره.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قال: كانوا يأنفون ويتحرجون أن يأكل الرجل الطعام وحده، حتى يكون معه غيره، > 224-19 < فرخص الله لهم، فقال: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: كانت بنو كنانة يستحي الرجل منهم أن يأكل وحده، حتى نزلت هذه الآية.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول: كانوا لا يأكلون إلا جميعاً، ولا يأكلون متفرقين، وكان ذلك فيهم ديناً، فأنزل الله: ليس عليكم حرج في مؤاكلة المريض والأعمى، وليس عليكم حرج أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا) قال: كان من العرب من لا يأكل أبداً جميعاً، ومنهم من لا يأكل إلا جميعاً. فقال الله ذلك.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: نزلت (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا) في حيٍّ من العرب كان الرجل منهم لا يأكل طعامه وحده، كان يحمله بعض يوم حتى يجد من يأكله معه قال: وأحسب أنه ذكر أنهم من كنانة.

وقال آخرون: بل عُني بذلك قوم كانوا لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف إلا مع ضيفهم، فرخص لهم في أن يأكلوا كيف شاءوا.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو السائب، قال: ثنا حفص، عن عمران بن سليمان، عن أبي صالح وعكرمة، قالوا كانت الأنصار إذا نزل بهم الضيف لا يأكلون حتى يأكل الضيف معهم، فرخص لهم، قال الله: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا).

وأولِي الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله وضع الحرج عن المسلمين أن يأكلوا جميعاً معاً إذا شاءوا، أو أشتاتاً متفرقين إذا أرادوا، وجائز أن يكون ذلك نزل بسبب من كان يتخوف من الأغنياء الأكل مع الفقير، وجائز أن يكون نزل بسبب القوم الذين ذكر أنهم كانوا لا يطعمون وحداناً، وبسبب غير ذلك، ولا خبر بشيء من ذلك يقطع العذر، ولا دلالة في ظاهر التنزيل على حقيقة شيء منه، والصواب التسليم لما دلَّ عليه ظاهر التنزيل، والتوقف فيما لم يكن على صحته دليل.

وقوله: (فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) (اختلف أهل > 225-19 < التأويل في ذلك. فقال بعضهم: معناه: فإذا دخلتم أيها الناس بيوت أنفسكم، فسلموا على أهلكم وعيالكم.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري وقتادة في قوله: (فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ) قالوا بيتك، إذا دخلته فقل: سلام عليكم.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج ( فَأَيُّ دَخَلْتُمْ )  
بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ) قال: سلم على أهلِكَ ، قال ابن جريج: وسئل  
عطاء بن أبي رباح: أحقُّ على الرجل إذا دخل على أهله أن يسلم عليهم؟  
قال: نعم. وقالها عمرو بن دينار، وتلوا: ( فَأَيُّ دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ  
تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ) قال عطاء بن أبي رباح: ذلك غير مرّة.

قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، قال: أخبرني أبو الزبير، قال: سمعت جابر بن  
عبد الله يقول: إذا دخلت على أهلِكَ فسلم عليهم ( تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً  
طَيِّبَةً ) قال: ما رأيته إلا يوجهه.

قال ابن جُرَيْج، وأخبرني زياد، عن ابن طاوس أنه كان يقول: إذا دخل أحدكم  
بيته فليسلم.

قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، قال: قلت لعطاء: إذا خرجت أوجب السلام،  
هل أسلم عليهم؟ وإنما قال: ( فَأَيُّ دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا ) ؟ قال: ما أعلمه  
واجبا، ولا أثر عن أحد وجوه ولكن أحب إليّ وما أدعه إلا ناسيا.

قال ابن جُرَيْج، وقال عمرو بن دينار: لا قال: قلت لعطاء: فإن لم يكن في  
البيت أحد؟ قال: سلم ، قل: السلام على النبيّ ورحمة الله وبركاته، السلام  
علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام على أهل البيت ورحمة الله، قلت له:  
قولك هذا إذا دخلت بيتا ليس فيه أحد عن تأثره؟ قال: سمعته ولم يؤثر لي  
عن أحد.

قال ابن جُرَيْج، وأخبرني عطاء الخراساني، عن ابن عباس، قال: السلام علينا  
من ربنا، وقال عمرو بن دينار: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

حدثنا أحمد بن عبد الرحيم، قال: ثنا عمرو بن أبي سلمة، قال: ثنا صدقة، عن  
زهير، عن ابن جُرَيْج، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله، قال: إذا دخلت  
على أهلِكَ < 226-19 > فسلم عليهم، تحية من عند الله مباركة طيبة. قال:  
ما رأيته إلا يوجهه.

حدثنا محمد بن عباد الرازي، قال: ثنا حجاج بن محمد الأعور، قال: قال لي  
ابن جُرَيْج: أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول، فذكر مثله.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت  
الضحاك يقول في قوله: ( فَأَيُّ دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ) يقول:  
سلموا على أهاليكم إذا دخلتم بيوتكم، وعلى غير أهاليكم، فسلموا إذا دخلتم  
بيوتهم.

وقال آخرون: بل معناه: فإذا دخلتم المساجد فسلموا على أهلها.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا عبد الله بن المبارك عن معمر، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس ( فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ) قال: هي المساجد، يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، في قوله: ( فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ) قال: إذا دخلت المسجد فقل: السلام على رسول الله ، وإذا دخلت بيتا ليس فيه أحد، فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، وإذا دخلت بيتك فقل: السلام عليكم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إذا دخلتم بيوتا من بيوت المسلمين فيها ناس منكم، فليسلم بعضهم على بعض.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسين، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحسن، في قوله: ( فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ) أي: ليسلم بعضهم على بعض، كقوله: وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ .

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ) قال: إذا دخل المسلم سلم عليه، كمثل قوله: وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إنما هو: لا تقتل أخاك المسلم.

وقوله: ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ قال: يقتل بعضهم بعضا، قريظة والنضير.

وقال آخرون: معناه: إذا دخلتم بيوتا ليس فيها أحد، فسلموا على أنفسكم.

< 19-227 >

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن أبي مالك، قال: إذا دخلت بيتا ليس فيه أحد، فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، وإذا دخلت بيتا فيه ناس من المسلمين وغير المسلمين، فقل مثل ذلك.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي سنان، عن ماهان، قال: إذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم، قال: تقولوا: السلام علينا من ربنا.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: أخبرنا شعبة عن منصور، قال شعبة: وسألته عن هذه الآية: ( فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ) قال: قال إبراهيم: إذا دخلت بيتا ليس فيه أحد، فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث، عن بكير بن الأشج عن نافع أن عبد الله كان إذا دخل بيتا ليس فيه أحد، قال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، قال: ثنا منصور، عن إبراهيم: ( فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ ) قال: إذا دخلت بيتا فيه يهود، فقل: السلام عليكم ، وإن لم يكن فيه أحد فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال معناه: فإذا دخلت بيوتا من بيوت المسلمين، فليسلم بعضكم على بعض.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لأن الله جل ثناؤه قال: ( فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا ) ولم يخصص من ذلك بيتا دون بيت، وقال: ( فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ ) يعني: بعضكم على بعض، فكان معلوما إذ لم يخصص ذلك على بعض البيوت دون بعض، أنه معني به جميعها، مساجدها وغير مساجدها. ومعنى قوله: ( فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ ) نظير قوله: وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ . وقوله: ( تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ) ونصب تحية، بمعنى: تحيون أنفسكم تحية من عند الله السلام تحية، فكانه قال: فليحي بعضكم بعضا تحية من عند الله، وقد كان بعض أهل العربية يقول: إنما نصبت بمعنى: أمركم بها تفعلونها تحية منه، ووصف جل ثناؤه هذه التحية المباركة الطيبة لما فيها من الأجر الجزيل والثواب العظيم.

وقوله: ( كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ) يقول تعالى ذكره: هكذا يفصل الله لكم < 228-19 > معالم دينكم، فيبينها لكم، كما فصل لكم في هذه الآية ما أحل لكم فيها، وعرفكم سبيل الدخول على من تدخلون عليه ( لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ) يقول: لكي تفقهوا عن الله أمره ونهيه وأدبه. القول في تأويل قوله تعالى : **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنُ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ (62)**

يقول تعالى ذكره: ما المؤمنون حق الإيمان، إلا الذين صدقوا الله ورسوله ( وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ ) يقول: وإذا كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ( عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ ) يقول: على أمر يجمع جميعهم من حرب حضرت، أو صلاة اجتمع لها، أو تشاور في أمر نزل ( لَمْ يَذْهَبُوا ) يقول: لم ينصرفوا عما اجتمعوا له من الأمر، حتى يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي ، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ) يقول: إذا كان أمر طاعة لله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: قوله: ( وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ ) قال: أمر من طاعة الله عام.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا محمد بن بكر، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: سألت مكحولاً الشامي إنسان وأنا أسمع، ومكحول جالس مع عطاء عن قول الله في هذه الآية ( وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ) فقال مكحول: في يوم الجمعة، وفي زحف، وفي كل أمر جامع، قد أمر أن لا يذهب أحد في يوم جمعة حتى يستأذن الإمام، وكذلك في كل جامع، ألا ترى أنه يقول: ( وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ ) .

حدثني يعقوب، قال: ثني ابن عليه، قال: أخبرنا هشام بن حسان، عن الحسن، قال: كان الرجل إذا كانت له حاجة والإمام يخطب، قام فأمسك أنفه، فأشار إليه الإمام أن < 229-19 > يخرج، قال: فكان رجل قد أراد الرجوع إلى أهله، فقام إلى هرم بن حيان وهو يخطب، فأخذ أنفه، فأشار إليه هرم أن يذهب، فخرج إلى أهله فأقام فيهم، ثم قدم، قال له هرم: أين كنت؟ قال: في أهلي؟ قال: أباذن ذهبت؟ قال: نعم، قمت إليك وأنت تخطب فأخذت أنفي، فأشرت إليّ أن اذهب فذهبت، فقال: أفأخذت هذا دغلاً؟ أو كلمة نحوها، ثم قال: اللهم آخر رجال السوء إلى زمان السوء.

حدثني الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، في قوله: ( وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ ) قال: هو الجمعة إذا كانوا معه لم يذهبوا حتى يستأذنوه.

حدثني يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ) قال: الأمر الجامع حين يكونوا معه في جماعة الحرب أو جمعة، قال: والجمعة من الأمر الجامع لا ينبغي لأحد أن يخرج إذا قعد الإمام على المنبر يوم الجمعة إلا بإذن سلطان، إذا كان حيث يراه أو يقدر عليه، ولا يخرج إلا بإذن، وإذا كان حيث لا يراه ولا يقدر عليه، ولا يصل إليه، فالله أولى بالعدر.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله: ( إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ) يقول تعالى ذكره: إن الذين لا ينصرفون يا محمد إذا كانوا معك في أمر جامع عنك إلا بإذنك لهم طاعة منهم لله ولك، وتصديقا بما أتيهم به من عندي، أولئك الذين يصدقون الله ورسوله حقا، لا من يخالف أمر الله وأمر رسوله، فينصرف عنك بغير إذن منك له، بعد تقدمك إليه أن لا ينصرف عنك إلا بإذنك. وقوله: ( فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ) يقول تعالى ذكره: فإذا استأذنتك يا محمد الذين لا يذهبون عنك إلا بإذنك في هذه المواطن لبعض شأنهم، يعني: لبعض حاجاتهم التي تعرض لهم، فأذن لمن شئت منهم في الانصراف عنك لقضائها ( وَاسْتَعْفِرْ لَهُمْ ) يقول: وادع الله لهم بأن يتفضل عليهم بالعفو عن تبعات ما بينه وبينهم ( إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ ) لذنوب عباده التائبين، ( رحيم ) بهم أن يعاقبهم عليها بعد توبتهم منها.

القول في تأويل قوله تعالى : لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ < 230-19 > يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (63)

يقول تعالى ذكره لأصحاب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ( لا تَجْعَلُوا أَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ).

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: نهى الله بهذه الآية المؤمنين أن يتعرضوا لدعاء الرسول عليهم، وقال لهم: اتقوا دعاءه عليكم، بأن تفعلوا ما يسخطه، فيدعو لذلك عليكم فتهلكوا، فلا تجعلوا دعاءه كدعاء غيره من الناس، فإن دعاءه موجبة.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ( لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ) دعوة الرسول عليكم موجبة، فاحذروها.

وقال آخرون: بل ذلك نهى من الله أن يدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلظ وجفاء، وأمر لهم أن يدعوه بلين وتواضع.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ( كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ) قال: أمرهم أن يدعوا: يا رسول الله، في لين وتواضع، ولا يقولوا: يا محمد، في تجهم.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله، ( لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ) قال: أمرهم أن يدعوه: يا رسول الله، في لين وتواضع.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ( لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ) قال: أمرهم أن يفحّموه وبشرفوه.

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي التأويل الذي قاله ابن عباس، وذلك أن الذي قبل قوله: ( لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ) نهي من الله المؤمنين أن يأتوا من الانصراف عنه في الأمر الذي يجمع جميعهم ما يكرهه، والذي بعده وعيد للمنصرفين بغير إذنه عنه، فالذي بينهما بأن يكون تحذيرا لهم سخطه أن يضطره إلى الدعاء عليهم أشبه من أن يكون أمرا لهم بما لم يجر له ذكر من تعظيمه وتوقيره بالقول والدعاء.

< 19-231 >

وقوله: ( قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ) يقول تعالى ذكره: إنكم أيها المنصرفون عن نبيكم بغير إذنه، تسترا وخفية منه، وإن خفي أمر من يفعل ذلك منكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن الله يعلم ذلك، ولا يخفى عليه، فليتنق من يفعل ذلك منكم، الذين يخالفون أمر الله في الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بإذنه، أن تصيبهم فتنة من الله، أو يصيبهم عذاب أليم، فيطبع على قلوبهم، فيكفروا بالله.

ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو بن قيس، عن جويبر، عن الضحاك، في قول الله: ( قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ) قال: كانوا يستتر بعضهم ببعض، فيقومون، فقال: ( فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ) قال: يطبع على قلبه، فلا يأمن أن يظهر الكفر بلسانه فتضرب عنقه.

حدثنا ابن القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ( قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ) قال: خلافا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ) قال: هؤلاء المنافقون الذين يرجعون بغير إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: اللواذ: يلوذ عنه، ويروغ ويذهب بغير إذن النبي صلى الله عليه وسلم ( فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ) الذين يصنعون هذا أن تصيبهم فتنة، أو يصيبهم عذاب أليم. الفتنة هاهنا: الكفر،

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

واللواذ: مصدر لاوذت بفلان ملاوذة ولوادا، ولذلك ظهرت الواو، ولو كان مصدرا للذئ لقليل: لياذا، كما يقال: قمت قياما، وإذا قيل: قاومتك، قيل: قواما طويلا. واللواذ: هو أن يلوذ القوم بعضهم ببعض، يستتر هذا بهذا، وهذا بهذا، كما قال الضحاك.

وقوله: ( أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) يقول: أو يصيبهم في عاجل الدنيا عذاب من الله موجع، على صنيعهم ذلك، وخلافهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقوله: ( فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ) وأدخلت " عن " ؛ لأن معنى الكلام: فليحذر الذين يلوذون عن أمره، ويدبرون عنه معرضين.

القول في تأويل قوله تعالى : **أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ > 19-**  
**232 < قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (64)**

يقول تعالى ذكره : ألا إن لله ملك جميع السماوات والأرض: يقول: فلا ينبغي لمملوك أن يخالف أمر مالكة فيعصيه، فيستوجب بذلك عقوبته، يقول: فكذلك أنتم أيها الناس لا يصلح لكم خلاف ربكم الذي هو مالكم فأطيعوه، وأتمروا لأمره، ولا تنصرفوا عن رسوله إذا كنتم معه على أمر جامع إلا بإذنه.

وقوله: ( قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ) من طاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم من ذلك، كما حدثني أيضا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ( قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ) صنيعكم هذا أيضا ( وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ ) يقول: ويوم يرجع إلى الله الذين يخالفون عن أمره ( فَيُنَبِّئُهُم ) يقول: فيخبرهم حينئذ، ( بِمَا عَمِلُوا ) في الدنيا، ثم يجازيهم على ما أسلفوا فيها، من خلافهم على ربهم ( وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ) يقول: والله ذو علم بكل شيء عملتموه أنتم وغيركم وغير ذلك من الأمور، لا يخفى عليه شيء، بل هو محيط بذلك كله، وهو موفٍ كل عامل منكم أجر عمله يوم ترجعون إليه.

آخر تفسير سورة النور.

> 19-233 <

تفسير سورة الفرقان  
> 19-234 < > 19-235 <

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه : **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (1)**

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: تبارك: تفاعل من البركة، كما حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عثمان بن سعيد، قال: ثنا بشر بن عمارة، قال: ثنا أبو روق، عن الضحاك، عن عبد الله بن عباس، قال: تبارك: تفاعل من البركة. وهو كقول القائل: تقدّس ربنا، فقوله: ( تَبَارَكَ الَّذِي نَزَلَ الْفُرْقَانَ ) يقول: تبارك الذي نزل الفصل بين الحقّ والباطل، فصلا بعد فصل وسورة بعد سورة، على عبده محمد صلى الله عليه وسلم، ليكون محمد لجميع الجنّ والإنس، الذين بعثه الله إليهم داعيا إليه، نذيرا: يعني منذرا يندرهم عقابه ويخوّفهم عذابه، إن لم يوحده ولم يخلصوا له العبادة، ويخلصوا كلّ ما دونه من الآلهة والأوثان.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( تَبَارَكَ الَّذِي نَزَلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ) قال: النبيّ النذير. وقرأ **وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** وقرأ **وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْنَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ** قال: رسل. قال: المنذرون: الرسل. قال: وكان نذيرا واحدا بلغ ما بين المشرق والمغرب، ذو القرنين، ثم بلغ السدّين، وكان نذيرا، ولم أسمع أحدا يحقّ أنه كان نبيا **وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ** قال: من يبلغه القرآن من الخلق، فرسل الله نذيره. وقرأ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** وقال: لم يرسل الله رسولا إلى الناس عامة إلا نوحا، بدأ به الخلق، فكان رسول أهل الأرض كلهم، ومحمد < 236-19 > صلى الله عليه وسلم ختم به.

القول في تأويل قوله تعالى: **الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا** (2)

يقول تعالى ذكره: تبارك الذي نزل الفرقان (الذي له ملك السماوات والأرض) فالذي الثانية من نعت الذي الأولى، وهما جميعا في موضع رفع، الأولى بقوله تبارك، والثانية نعت لها ويعني بقوله: (الذي له ملك السماوات والأرض) الذي له سلطان السماوات والأرض ينفذ في جميعها أمره وقضائه، ويمضي في كلها أحكامه، يقول: فحقّ على من كان كذلك أن يطيعه أهل مملكته، ومن في سلطانه، ولا يعصوه، يقول: فلا تعصوا نذيري إليكم أيها الناس، واتبعوه، واعملوا بما جاءكم به من الحق (ولم يتخذ ولدا) يقول: تكذيبا لمن أضاف إليه الولد، وقال: الملائكة بنات الله، ما اتخذ الذي نزل الفرقان على عبده ولدا، فمن أضاف إليه ولدا فقد كذب وافترى على ربه (ولم يكن له شريك في الملك) يقول تكذيبا لمن كان يضيف الألوهة إلى الأصنام ويعبدها من دون الله من مشركي العرب، ويقول في تلييته: لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك، كذب قائلو هذا القول، ما كان لله من شريك في ملكه وسلطانه، فيصلح أن يعبد من دونه. يقول تعالى ذكره: فأفردوا أيها الناس لربكم الذي نزل الفرقان على عبده محمد نبيه صلى الله عليه وسلم الألوهة، وأخلصوا له العبادة دون كلّ ما تعبدونه من دونه من الآلهة والأصنام والملائكة والجنّ



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

والإنس، فإن كل ذلك خلقه وفي ملكه، فلا تصلح العبادة إلا لله الذي هو مالك جميع ذلك، وقوله: ( وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ) يقول تعالى ذكره: وخلق الذي نزل على محمد الفرقان كل شيء، فالأشياء كلها خلقه وملكه، وعلى المماليك طاعة مالكمهم، وخدمة سيدهم دون غيره. يقول: وأنا خالقكم ومالككم، فأخلصوا لي العبادة دون غيري، وقوله: ( فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ) يقول: فسوّى كل ما خلق، وهياًه لما يصلح له، فلا خلل فيه ولا تفاوت. القول في تأويل قوله تعالى :  
وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا (3)

< 19-237 >

يقول تعالى ذكره مقرعاً مشركي العرب بعبادتهم ما دونه من الآلهة، ومعجبا أولي النهى منهم، ومنبهم على موضع خطأ فعلهم وذهابهم عن منهج الحق، وركوبهم من سبل الضلالة ما لا يركبه إلا كل مدخول الرأي، مسلوب العقل: واتخذ هؤلاء المشركون بالله من دون الذي له مُلك السماوات والأرض وحده. من غير شريك، الذي خلق كل شيء فقدره، آلهة: يعني أصناماً بأيديهم يعبدونها، لا تخلق شيئاً وهي تخلق، ولا تملك لأنفسها نفعا تجرّه إليها، ولا ضرراً تدفعه عنها ممن أرادها بضر، ولا تملك إماتة حي، ولا إحياء ميت، ولا نشره من بعد مماته، وتركوا عبادة خالق كل شيء، وخالق آلهتهم، ومالك الضر والنفع، والذي بيده الموت والحياة والنشور. والنشور: مصدر نُشِر الميت نشوراً، وهو أن يُبعث ويحيا بعد الموت.

القول في تأويل قوله تعالى : وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (4)

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء الكافرون بالله، الذين اتخذوا من دونه آلهة: ما هذا القرآن الذي جاءنا به محمد (إلا إفك) يعني: إلا كذب وبهتان (افتراه) اختلقه وتخترصه بقوله: ( وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ) ذكر أنهم كانوا يقولون: إنما يعلم محمداً هذا الذي يجئنا به اليهود، فذلك قوله: ( وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ) يقول: وأعان محمداً على هذا الإفك الذي افتراه يهود.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ( وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ) قال: يهود.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

وقوله: ( فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ) يقول تعالى ذكره: فقد أتى قائلو هذه المقالة، يعني الذين قالوا: ( إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ )

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ظلمًا، يعني بالظلم نسبتهم كلام الله وتنزيله إلى أنه إفك افتراه محمد صلى الله عليه وسلم. وقد بينا فيما مضى < 238-19 > أن معنى الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، فكان ظلم قائلها هذه المقالة القرآن بقليلهم هذا وصفهم إياه بغير صفته، والزور: أصله تحسين الباطل. فتأويل الكلام: فقد أتى هؤلاء، القوم في قليلهم (إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ) كذبا محضا.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، وحدثني القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد (فَقَدْ جَاءُوا ظَلْمًا وَزُورًا) قال: كذبًا.

القول في تأويل قوله تعالى: **وَقَالُوا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** اكَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (5) **قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا** (6)

ذكر أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث، وأنه المعني بقوله: ( **وَقَالُوا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** ).

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثنا شيخ من أهل مصر، قدم منذ بضع وأربعين سنة، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي من شياطين قريش، وكان يؤدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة، تعلم بها أحاديث ملوك فارس، وأحاديث رستم وأسفنديار، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس مجلسا، فذكر بالله وحدث قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم، من نقمة الله خلفه في مجلسه إذا قام، ثم يقول: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه. فهلما فأننا أحدثكم أحسن من حديثه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم وأسفنديار، ثم يقول: ما محمد أحسن حديثا مني، قال: فأنزل الله تبارك وتعالى في النضر ثمانين آيات من القرآن، قوله: **إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالُوا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** وكل ما ذكر فيه الأساطير في القرآن.

< 19-239 >

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد أو عكرمة، عن ابن عباس نحوه، إلا أنه جعل قوله: " فأنزل

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الله في النضر ثمانى آيات "، عن ابن إسحاق، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج (أساطير الأولين) أشعارهم وكهانتهم، وقالها النضر بن الحارث.

فتأويل الكلام: وقال هؤلاء المشركون بالله، الذين قالوا لهذا القرآن إن هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هذا الذي جاءنا به محمد أساطير الأولين، يعنون أحاديثهم التي كانوا يسطرونها في كتبهم، اكتبها محمد صلى الله عليه وسلم من يهود، (فَهِيَ تُمَلَى عَلَيْهِ) يعنون بقوله: (فَهِيَ تُمَلَى عَلَيْهِ) فهذه الأساطير تقرأ عليه، من قولهم: أمليت عليك الكتاب وأملت (بُكْرَةً وَأَصِيلًا) يقول: وتملى عليه غدوة وعشيا.

وقوله: (قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المكذِّبين بآيات الله من مشركي قومك: ما الأمر كما تقولون من أن هذا القرآن أساطير الأولين، وأن محمد صلى الله عليه وسلم افتراه وأعانه عليه قوم آخرون، بل هو الحق، أنزله الرب الذي يعلم سر من في السماوات ومن في الأرض، ولا يخفى عليه شيء، ومحصي ذلك على خلقه، ومجازيهم بما عزمت عليه قلوبهم، وأضمره في نفوسهم (إِنَّهُ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا) يقول: إنه لم يزل يصفح عن خلقه ويرحمهم، فيتفضل عليهم بعفوه، يقول: فلأن ذلك من عادته في خلقه، يمهلكم أيها القائلون ما قلتم من الإفك، والفاعلون ما فعلتم من الكفر.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج (قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) قال: ما يسر أهل الأرض وأهل السماء.

القول في تأويل قوله تعالى: وَقَالُوا مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا (7) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا < 240-19 > مَسْحُورًا (8)

ذكر أن هاتين الآيتين نزلتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان مشركو قومه قالوا له ليلة اجتماع أشرافهم بظهر الكعبة، وعرضوا عليه أشياء، وسألوه الآيات.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فكان فيما كملوه به حينئذ، فيما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثنا محمد بن أبي محمد، مولى زيد بن ثابت، عن سعيد بن جبير، أو عكرمة مولى ابن عباس، عن ابن عباس أن قالوا له: فإن لم تفعل لنا هذا- يعني ما سألوه من تسيير جبالهم عنهم، وإحياء آبائهم، والمجيء بالله والملائكة قبلا وما ذكره الله في سورة بني إسرائيل، فخذ لنفسك، سل ربك يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول، ويراجعنا عنك، وسله فيجعل لك قصورا وجنانا، وكنوزا من ذهب وفضة، تغنيك عما نراك تتبغي، فإنك تقوم بالأسواق، وتلتمس المعاش كما نلتمسه، حتى نعلم فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أنا بفاعل، فأنزل الله في قولهم: أن خذ لنفسك ما سألوه، أن يأخذ لها، أن يجعل له جنانا وقصورا وكنوزا، أو يبعث معه ملكا يصدقه بما يقول، ويرد عنه من خاصمه. ( وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكْوِينٌ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ).

فتأويل الكلام: وقال المشركون ما لهذا الرسول يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم، الذي يزعم أن الله يبعثه إلينا يأكل الطعام كما نأكل، ويمشي في أسواقنا كما نمشي ( لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ ) يقول: هلا أنزل إليه ملك إن كان صادقا من السماء، فيكون معه منذرا للناس، مصدقا له على ما يقول، أو يلقي إليه كنز من فضة أو ذهب، فلا يحتاج معه إلى التصرف في طلب المعاش ( أَوْ تَكْوِينٌ لَهُ جَنَّةٌ ) يقول: أو يكون له بستان ( يَأْكُلُ مِنْهَا ).

واختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين ( يَأْكُلُ ) بالياء، بمعنى: يأكل منها الرسول. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين ( تَأْكُلُ مِنْهَا ) بالنون، بمعنى: نأكل من الجنة.

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بالياء، وذلك للخبر الذي ذكرنا قبل بأن مسألة من سأل من المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن يسأل ربه هذه الخلال لنفسه لا لهم. فإذا كانت مسألتهم إياه ذلك كذلك، فغير جائز أن يقولوا له: < 241-19 > سل لنفسك ذلك لنأكل نحن.

وبعد، فإن في قوله تعالى ذكره: تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ دليلا بيّنا على أنهم إنما قالوا له: اطلب ذلك لنفسك، لتأكل أنت منه، لا نحن.

وقوله: ( وَقَالَ الظَّالِمُونَ ) يقول: وقال المشركون للمؤمنين بالله ورسوله: ( إِنْ تَتَّبِعُونَ ) أيها القوم باتباعكم محمدا ( إِلَّا رَجُلًا ) به سحر.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى: **انظُرْ كَيْفَ صَرَّبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَصَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (9) تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُضُورًا (10)**

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: انظر يا محمد إلى هؤلاء المشركين الذين شبهوا لك الأشباه بقولهم لك: هو مسحور، فضلوا بذلك عن قصد السبيل، وأخطؤوا طريق الهدى والرشاد، فلا يستطيعون يقول: فلا يجدون سبيلا إلى الحق، إلا فيما بعثك به، ومن الوجه الذي ضلوا عنه.

وينحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثنا محمد بن أبي محمد، عن يسعيد بن جبير، أو عكرمة، عن ابن عباس ( **انظُرْ كَيْفَ صَرَّبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَصَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا** ) أي التمسوا الهدى في غير ما بعثك به إليهم فضلوا، فلن يستطيعوا أن يصيبوا الهدى في غيره.

وقال آخرون في ذلك ما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ( **فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا** ) قال: مخرجا يخرجهم من الأمثال التي ضربوا لك.

وقوله: ( **تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ** ) يقول تعالى ذكره: تقدس الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك.

واختلف أهل التأويل في المعنى ب: " ذلك " التي في قوله: ( **جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ** ) فقال < 242-19 > بعضهم: معنى ذلك: خيرا مما قال هؤلاء المشركون لك يا محمد: هلا أوتيته وأنت لله رسول، ثم بين تعالى ذكره عن الذي لو شاء جعل له من خير مما قالوا، فقال: ( **جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ** ).

\* ذكر من قال ذلك.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( **تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ** ) خيرا مما قالوا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ( **تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ** ) قال: مما قالوا وتمنوا لك، فيجعل لك مكان ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: عني بذلك المشي في الأسواق، والتماس المعاش.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، فيما يرى الطيرى، عن سعيد بن جبير، أو عكرمة، عن ابن عباس قال: ثم قال: (تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ) من أن تمشي في الأسواق، وتلتمس المعاش كما يلتمسه الناس، (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُضُوزًا).

قال أبو جعفر: والقول الذي ذكرناه عن مجاهد في ذلك أشبه بتأويل الآية، لأن المشركين إنما استعظموا أن لا تكون له جنة يأكل منها، وأن لا يلقى إليه كنز واستنكروا أن يمشي في الأسواق، وهو لله رسول، فالذي هو أولى بوعده الله إياه أن يكون وعدا بما هو خير مما كان عند المشركين عظيما، لا مما كان منكرا عندهم، وعني بقوله: (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) بساتين تجري في أصول أشجارها الأنهار.

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) قال: حوائط.

وقوله: (وَيَجْعَلُ لَكَ فُضُوزًا) يعني بالقصور: البيوت المبنية.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

< 19-243 >

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: قال أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَيَجْعَلُ لَكَ فُضُوزًا) قال: بيوتا مبنية مشيدة، كان ذلك في الدنيا، قال: كانت قريش ترى البيت من الحجارة قصرا كائنا ما كان.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد (وَيَجْعَلُ لَكَ فُضُوزًا) مشيدة في الدنيا، كل هذا قالته قريش. وكانت قريش ترى البيت من حجارة ما كان صغيرا (1) قصرا.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن حبيب قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: إن شئت أن نعطيك من خزائن الأرض ومفاتيحها ما لم يعط نبي قبلك، ولا يعطى من بعدك، ولا ينقص ذلك مما لك عند الله

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

تعالى، فقال: " اجمعوها لي في الآخرة "، فأنزل الله في ذلك ( تَبَارَكَ الَّذِي  
إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَجَعَلَ لَكَ  
فُصُورًا ).

القول في تأويل قوله تعالى : بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ  
سَعِيرًا (11)

يقول تعالى ذكره: ما كذب هؤلاء المشركون بالله، وأنكروا ما جئتهم به يا  
محمد من الحق من أجل أنك تأكل الطعام، وتمشي في الأسواق، ولكن من  
أجل أنهم لا يوقنون بالمعاد، ولا يصدقون بالثواب والعقاب تكذيباً منهم  
بالقيامة، وبعث الله الأموات أحياء لحشر القيامة ،

( وَأَعْتَدْنَا ) يقول: وأعدنا لمن كذب ببعث الله الأموات أحياء بعد فنائهم لقيام  
الساعة، نارا تسعر عليهم وتتقد.

الهوامش:

(1) الظاهر أنه سقط من قلم الناسخ " أو كبيراً" كما يفيد ما قبله . والذي  
في ابن كثير " صغيراً كان أو كبيراً "  
القول في تأويل قوله تعالى : إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا  
وَرَفِيْرًا (12)

( إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ )، يقول: إذا رأيت هذه النار التي اعتدناها لهؤلاء  
المكذبين أشخاصهم من مكان بعيد، تغيظت عليهم، وذلك أن تغلي وتفور،  
يقال: فلان تغيظ على فلان، وذلك إذ غضب عليه، فعلى صدره من الغضب  
عليه، < 244-19 > وتبين في كلامه، (وَرَفِيْرًا)، وهو صوتها.

فإن قال قائل: وكيف قيل ( سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا ) والتغيظ: لا يسمع، قيل معنى  
ذلك: سمعوا لها صوت التغيظ من التلهب والتوقد.

حدثني محمود بن خدّاش، قال: ثنا محمد بن يزيد الواسطي، قال: ثنا أصعب بن  
زيد الوزّاق، عن خالد بن كثير، عن فديك، عن رجل من أصحاب محمد صلى  
الله عليه وسلم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَنْ يَقُولُ عَلَيَّ  
مَا لَمْ أَقُلْ فَلَيْتَبَوَّأَ بَيْنَ عَيْنِي وَجَهَنَّمَ مَفْعَدًا " قالوا: يا رسول الله، وهل لها من  
عين؟ قال: " أَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ اللَّهِ ( إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ) ... الآية.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر في قوله: ( سَمِعُوا لَهَا  
تَغِيْطًا وَرَفِيْرًا ) قال: أخبرني المنصور بن المعتمر، عن مجاهد، عن عبيد بن



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

عمير، قال: إن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك ولا نبي إلا خر ترعد فرائضه حتى إن إبراهيم ليحثو على ركبته، فيقول: يا رب لا أسألك اليوم إلا نفسي!.

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: إن الرجل ليجر إلى النار، فتنزوي، وينقبض بعضها إلى بعض، فيقول لها الرحمن: ما لك؟ فتقول: إنه ليستجير مني! فيقول: أرسلوا عبيدي. وإن الرجل ليجر إلى النار، فيقول: يا رب ما كان هذا الظن بك؟ فيقول: ما كان ظنك؟ فيقول: أن تسعني رحمتك، قال: فيقول أرسلوا عبيدي. وإن الرجل ليجر إلى النار، فتشهب إليه النار شهوق البغلة إلى الشعير، وتزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف.

القول في تأويل قوله تعالى : **وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (13) لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا (14)**

يقول تعالى ذكره: وإذا ألقى هؤلاء المكذبون بالساعة من النار مكانا ضيقا، قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال (دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا )

واختلف أهل التأويل في معنى الثبور، فقال بعضهم: هو الويل.

< 19-245 >

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس. في قوله: ( وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ) يقول: ويلا.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ( لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا ) يقول: لا تدعوا اليوم ويلا واحدا، وادعوا ويلا كثيرا.

وقال آخرون: الثبور الهلاك.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ( لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا ) الثبور: الهلاك.

قال أبو جعفر: والثبور في كلام العرب: أصله انصراف الرجل عن الشيء، يقال منه: ما تبرك عن هذا الأمر: أي ما صرفك عنه، وهو في هذا الموضع دعاء هؤلاء القوم بالندم على انصرافهم عن طاعة الله في الدنيا، والإيمان بما جاءهم به نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى استوجبوا العقوبة منه، كما يقول القائل: وا ندامته، وا حسرتاه على ما فرطت في جنب الله: وكان بعض

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول في قوله: ( دَعُوا هُنَالِكَ ثُبُورًا ) ( أي هلكته، ويقول: هو مصدر من ثبر الرجل: أي أهلك، ويستشهد لقيه في ذلك بيت ابن الرُّبْعَرِيّ:

إذ أجاري الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ الْغِي

وَمِنْ مَالٍ مَيْلُهُ مَثْبُورًا (1)

وقوله: ( لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ) أيها المشركون ندمًا واحدًا: أي مرة واحدة، ولكن ادعوا ذلك كثيرًا. وإنما قيل: ( لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا ) لأن الثبور مصدر؛ والمصادر لا تجمع، وإنما توصف بامتداد وقتها وكثرتها، كما يقال: قعد قعودًا طويلًا وأكل أكلاً كثيرًا.

حدثنا محمد بن مرزوق، قال: ثنا حجاج، قال: ثنا حماد قال: ثنا علي بن زيد، عن أنيس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أَوَّلُ مَنْ يُكَيِّسِي حُلَّةً مِنَ النَّارِ إِبْلِيسُ، < 246-19 > فَيَصْعُقُهَا عَلَى حَاجِبِيهِ، وَيَسْحَبُهَا مِنْ خَلْفِهِ، وَدُرَّتِيهِ مِنْ خَلْفِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا ثُبُورَاهُ، وَهُمْ يُتَادُونَ: يَا ثُبُورَهُمْ فيقال: ( لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ) ."

القول في تأويل قوله تعالى : قُلْ أَدْلِكْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا (15) لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْتُوًّا (16)

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المكذِّبين بالساعة: أهذه النار التي وصف لكم ربكم صفتها وصفة أهلها خير؟ أم بستان الخلد الذي يدوم نعيمه ولا يبديد، الذي وعد من اتقاه في الدنيا بطاعته فيما أمره ونهاه؟ وقوله: ( كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ) يقول: كانت جنة الخلد للمتقين جزاء أعمالهم لله في الدنيا بطاعته، وثواب تقواهم إياه، ومصيرا لهم، يقول: ومصيرا للمتقين بصيرون إليها في الآخرة. وقوله: ( لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ) يقول: لهؤلاء المتقين في جنة الخلد التي وعدهموها الله ما يشاءون مما تشتتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين، ( خَالِدِينَ ) فيها، يقول: لا يثين فيها ما كثرين أبدا، لا يزولون عنها ولا يزول عنهم نعيمها. وقوله: ( كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْتُوًّا ) وذلك أن المؤمنين سألوا ربهم ذلك في الدنيا حين قالوا: وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ يقول الله تبارك وتعالى: وكان إعطاء الله المؤمنين جنة الخلد التي وصف صفتها في الآخرة وعدا وعدهم الله على طاعتهم إياه في الدنيا، ومسألتهم إياه ذلك.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس ( كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعَدًّا مَسْئُولًا ) قال: فسألوا الذي وعدهم وتنجزوه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعَدًّا مَسْئُولًا ) قال: سألوه إياها في الدنيا، طلبوا ذلك فأعطاهم وعدهم إذ سألوه أن يعطيهم، فأعطاهم، فكان ذلك وعدا مسئولا كما وقت أرزاق العباد في الأرض قبل أن يخلقهم فجعلها أقواتا للسائلين، وقت ذلك على مسألتهم، وقرأ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي < 19-247 > أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ .

وقد كان بعض أهل العربية يوجه معنى قوله: ( وَعَدًّا مَسْئُولًا ) إلى أنه معنيّ به وعدا واجبا، وذلك أن المسئول واجب، وإن لم يُسأل كالدين، ويقول ذلك نظير قول العرب: لأعطيتك ألفا وعدا مسئولا بمعنى واجب لك، فتسأله.

القول في تأويل قوله تعالى : وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قِيْلُ أَنْتُمْ أَصْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ صَلَّوْا السَّبِيْلَ (17)

يقول تعالى ذكره: ويوم نحشر هؤلاء المكذّبين بالساعة، العابدين الأوثان، وما يعبدون من دون الله من الملائكة والإنس والجنّ.

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ( وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) فيقول: ( أَنْتُمْ أَصْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ ) قال: عيسى وعزير والملائكة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، نحوه.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه أبو جعفر القارئ وعبد الله بن كثير: ( وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قِيْلُ ) بالياء جميعا، بمعنى: ويوم يحشرهم ربك، ويحشر ما يعبدون من دون فيقول. وقرأته عامة قراء الكوفيين ( تَحْشُرُهُمْ ) بالنون، فنقول. وكذلك قرأه نافع.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب.

وقوله: ( قِيْلُ أَنْتُمْ أَصْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ ) يقول: فيقول الله للذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله: أنتم أصللتم عبادي هؤلاء: يقول: أنتم أزلتموهم عن طريق الهدى، ودعوتموهم إلى الغي والضلالة حتى تاهوا وهلكوا،

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أم هم ضلوا السبيل، يقول: أم عبادي هم الذين ضلوا سبيل الرشده والحقّ وسلخوا العطب.

القول في تأويل قوله تعالى : قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ > 19-248  
< تَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى تَسْأُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا (18)

يقول تعالى ذكره: قالت الملائكة الذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله وعيسى: تنزيها لك يا ربنا، وتبرئة مما أضاف إليك هؤلاء المشركون، ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء نوالهم، أنت ولينا من دونهم، ولكن متعتهم بالمال يا ربنا في الدنيا والصحة، حتى نسوا الذكر وكانوا قوما هلكى، قد غلب عليهم الشقاء والخذلان.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ( وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى تَسْأُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ) يقول: قوم قد ذهب أعمالهم وهم في الدنيا، ولم تكن لهم أعمال صالحة.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ( وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ) يقول: هلكى.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ) يقول: هلكى.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر عن الحسن ( وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ) قال: هم الذين لا خير فيهم، حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ) قال: يقول: ليس من الخير في شيء. البور: الذي ليس فيه من الخير شيء.

واختلفت القراء في قراءة قوله: ( مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ تَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار ( تَتَّخِذَ ) بفتح النون سوى الحسن ويزيد بن القعقاع، فإنهما قرأه: ( أَنْ تَتَّخِذَ ) بضم النون. فذهب الذين فتحوها إلى المعنى الذي بيّناه في تأويله من أن الملائكة وعيسى، ومن عُبد من دون الله من المؤمنين، هم الذين تبرّءوا أن يكون كان لهم وليّ غير الله تعالى ذكره. وأما الذين قرءوا ذلك بضمّ النون، فإنهم وجهوا معنى الكلام إلى أن المعبودين في الدنيا إنما تبرّءوا إلى الله أن يكون كان لهم أن يعبدوا من دون الله >

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

19-249 < جل ثناؤه، كما أخبر الله عن عيسى، أنه قال إذا قيل: أأنت قلت للناس اتخذوني وأممي إلهين من دون الله قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق....\* ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بفتح النون، لعل ثلاث: إحداهن إجماع من القراء عليها. والثانية: أن الله جل ثناؤه ذكر نظير هذه القصة في سورة سبأ، فقال: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهؤُلَاءِ إِبْرَاهِيمَ كَانُوا يَعْبُدُونَ \* قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ ، فأخبر عن الملائكة أنهم إذا سُئِلُوا عن عبادة من عبدتهم تبرءوا إلى الله من ولايتهم، فقالوا لربهم: أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ فذلك يوضح عن صحة قراءة من قرأ ذلك ( مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ) بمعنى: ما كان ينبغي لنا أن نتخذهم من دونك أولياء. والثالثة: أن العرب لا تدخل " من " هذه التي تدخل في الجحد إلا في الأسماء، ولا تدخلها في الأخبار، لا يقولون: ما رأيت أخاك من رجل، وإنما يقولون: ما رأيت من أحد، وما عندي من رجل، وقد دخلت ها هنا في الأولياء، وهي في موضع الخبر، ولو لم تكن فيها " من " كان وجهها حسنا. وأما البور: فمصدر واحد وجمع للبائر، يقال: أصبحت منازلهم بورا: أي خالية لا شيء فيها، ومنه قولهم: بارت السوق وبار الطعام إذا خلا من الطلاب والمشتري، فلم يكن له طالب، فصار كالشيء الهالك؛ ومنه قول ابن الزبيري:

يَا رَسُولَ الْمَلِكِ إِنَّ لِسَانِي

رَاتِقٌ مَا فَتَّقْتُ إِذْ أَنَا بُورٌ (2)

وقد قيل: إن بور: مصدر، كالعدل والزور والقطع، لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، وإنما أريد بالبور في هذا الموضع أن أعمال هؤلاء الكفار كانت باطلة؛ لأنها لم تكن لله كما ذكرنا عن ابن عباس.

< 19-250 >

القول في تأويل قوله تعالى : فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا تَصْرًا

يقول تعالى ذكره مخبرا عما هو قائل للمشركين عند تبري من كانوا يعبدونه في الدنيا من دون الله منهم: قد كذبكم أيها الكافرون من زعمتم أنهم أضلوكم، ودعوكم إلى عبادتهم بما تقولون، يعني بقولكم، يقول: كذبكم بكذبكم.

وينحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: < 251-19 > ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ( فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ ) يقول الله للذين كانوا يعبدون عيسى وعزيرا والملائكة، يكذبون المشركين.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ( فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ ) قال: عيسى وعزيرا والملائكة، يكذبون المشركين بقولهم.

وكان ابن زيد يقول في تأويل ذلك: ما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله ( فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا تَصْرًا ) قال: كذبوكم بما تقولون بما جاء من عند الله جاءت به الأنبياء والمؤمنون آمنوا به، وكذب هؤلاء فوجه ابن زيد تأويل قوله: ( فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ ) إلى: فقد كذبوكم أيها المؤمنون المكذبون بما جاءهم به محمد من عند الله، بما تقولون من الحق، وهو أن يكون خيرا عن الذين كذبوا الكافرين في زعمهم أنهم دعوهم إلى الضلالة، وأمروهم بها على ما قاله مجاهد من القول الذي ذكرناه عنه أشبه وأولى؛ لأنه في سياق الخبر عنهم، والقراءة في ذلك عندنا ( فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ ) بالتاء على التأويل الذي ذكرناه لإجماع الحجة من قراء الأمصار عليه. وقد حكي عن بعضهم أنه قرأه ( فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا يَقُولُونَ ) بالياء، بمعنى: فقد كذبوكم بقولهم.

وقوله جل ثناؤه ( فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا تَصْرًا ) يقول: فما يستطيع هؤلاء الكفار صرف عذاب الله حين نزل بهم عن أنفسهم، ولا نصرها من الله حين عذبها وعاقبها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ( فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا تَصْرًا ) قال: المشركون لا يستطيعونه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ( فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا تَصْرًا ) قال: المشركون. قال ابن جريج: لا يستطيعون صرف العذاب عنهم، ولا نصر أنفسهم.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا تَصْرًا ) قال: لا يستطيعون يصرفون عنهم العذاب الذي نزل بهم حين كذبوا، ولا أن ينتصروا قال: وينادي مناد يوم القيامة حين يجتمع الخلائق: ما لكم لا تناصرون، قال: من عبد من دون الله لا ينصر اليوم من عبده، وقال العابدون من دون الله: لا ينصره اليوم إلهه الذي يعبد من دون الله، فقال الله تبارك وتعالى: بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ وقرأ قول الله جل ثناؤه فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا .

وروي عن ابن مسعود في ذلك ما حدثنا به أحمد بن يونس، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا حجاج، عن هارون، قال: هي في حرف عبد الله بن مسعود (فَمَا يَسْتَطِيعُونَ لَكَ صَرْفًا) فَإِنْ تَكُنْ هَذِهِ الرَّوَايَةُ عَنْهُ صَحِيحَةً صَحَّ التَّأْوِيلُ الَّذِي تَأْوِيلُهُ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: ( فَكَيْدٌ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ ) ويصير قوله ( فَكَيْدٌ كَذَّبُوكُمْ ) خبراً عن المشركين أنهم كذبوا المؤمنين، ويكون تأويل قوله حينئذ (فَمَا يَسْتَطِيعُونَ لَكَ صَرْفًا) فما يستطيع يا محمد هؤلاء الكفار لك صرفاً عن الحق الذي هداك الله له، ولا نصر أنفسهم، مما بهم من البلاء الذي هم فيه، بتكذيبهم إياك.

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا (19)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به: ( وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ ) أيها المؤمنون- يعني بقوله: ( وَمَنْ يَظْلِمُ ) ومن يشرك بالله فيظلم نفسه، فذلك نذقه عذاباً كبيراً كالذي ذكرنا أئناً نذيقه الذين كذبوا بالساعة.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

< 19-252 >

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، قال: قال ابن جريج، في قوله: ( وَمَنْ يَظْلِمُ مِنْكُمْ ) قال: يشرك ( نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ).

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحسن، في قوله: ( وَمَنْ يَظْلِمُ مِنْكُمْ ) قال: هو الشرك:

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا (20)

وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره لنبية على مشركي قومه الذين قالوا: مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ وجواب لهم عنه يقول لهم جل ثناؤه: وما أنكر يا محمد هؤلاء القائلون: ما لهذا الرسول يأكل الطعام،



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ويمشي في الأسواق، من أكلك الطعام، ومشيك في الأسواق، وأنت لله رسول، فقد علموا أنا ما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، كالذي تأكل أنت وتمشي، فليس لهم عليك بما قالوا من ذلك حجة.

فإن قال قائل: فإن (من) ليست في التلاوة، فكيف قلت: معنى الكلام: إلا من إنهم ليأكلون الطعام؟ قيل: قلنا في ذلك: معناه: أن الهاء والميم في قوله: إنهم، كناية أسماء لم تذكر، ولا بد لها من أن تعود على من كني عنه بها، وإنما ترك ذكر " من " وإظهاره في الكلام اكتفاء بدلالة قوله: ( مِنَ الْمُرْسَلِينَ ) عليه، كما اكتفي في قوله: وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ من إظهار " من "، ولا شك أن معنى ذلك: وما منا إلا من له مقام معلوم، كما قيل: وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا وَمَعْنَاهُ: وإن منكم إلا من هو واردها، فقوله: ( إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ) صلة لمن المتروك، كما يقال في الكلام: ما أرسلت إليك من الناس إلا من إنه ليبلغك الرسالة، فإنه ليبلغك الرسالة، صلة لمن.

وقوله: ( وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ) يقول تعالى ذكره: وامتنحنا أيها الناس بعضكم ببعض، جعلنا هذا نبياً وخصصناه بالرسالة، وهذا مليكاً وخصصناه بالدنيا، وهذا فقيراً وحرمانه الدنيا لنختبر الفقير بصره على ما حرم مما أعطيه الغني، والملك بصره على ما < 253-19 > أعطيه الرسول من الكرامة، وكيف رضي كل إنسان منهم بما أعطى، وقسم له، وطاعته ربه مع ما حرم مما أعطى غيره. يقول فمن أجل ذلك لم أعط محمداً الدنيا، وجعلته يطلب المعاش في الأسواق، ولأبتليكم أيها الناس، وأختبر طاعتكم بركم وإجاباتكم رسوله إلى ما دعاكم إليه، بغير عرض من الدنيا ترجونه من محمد أن يعطيكم على اتباعكم إياه، لأنني لو أعطيته الدنيا، لسارع كثير منكم إلى اتباعه طمعا في دنياه أن ينال منها.

وينحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، قال: ثني عبد القدوس، عن الحسن، في قوله: ( وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ) ... الآية، يقول هذا الأعمى: لو شاء الله لجعلني بصيراً مثل فلان، ويقول هذا الفقير: لو شاء الله لجعلني غنياً مثل فلان، ويقول هذا السقيم: لو شاء الله لجعلني صحيحاً مثل فلان.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، في قوله: ( وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ) قال: يمسك عن هذا، ويوسع على هذا، فيقول: لم يعطني مثل ما أعطى فلانا، ويبتلى بالوجع كذلك، فيقول: لم يجعلني ربي صحيحاً مثل فلان في أشباه ذلك من البلاء، ليعلم من يصبر ممن يجزع.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا ابن إسحاق، قال: ثنا محمد بن أبي محمد، فيما يرى الطبري، عن عكرمة، أو عن سعيد، عن ابن عباس، قال: وأنزل عليه في ذلك من قولهم: ( مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ) ... الآية: ( وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ) : أي جعلت بعضكم لبعض بلاء لتصبروا على ما تسمعون منهم، وترون من خلافهم، وتتبعوا الهدى بغير أن أعطيتهم عليه الدنيا، ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي، فلا يخالفون لفعلت، ولكني قد أردت أن أتلي العباد بكم وأبتليكم بهم.

وقوله: (وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا) يقول: وربك يا محمد بصير بمن يجزع ومن يصبر على ما امتحن به من المحن.

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج (وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا) إن ربك لبصير بمن يجزع، ومن يصبر.

الهوامش:

(1) البيت لعبد الله بن الزبير شاعر قريش الذي كان يهجو رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه ثم خرج إليه وأسلم بعد فتح مكة ، وقال حين أسلم شعراً ، منه هذا البيت من مقطوعة أربعة أبيات أنشدها ابن إسحاق في السيرة (طبعة الحلبي 4 : 61) ومعنى آجاري : أباري وأعارض . والسنن بالتحريك : وسط الطريق . ومثبور : هالك . والشاهد فيه عند المؤلف أن الثبور معناه الهلاك والمثبور : الهالك

(2) البيت لعبد الله بن الزبير قاله حين أسلم عند فتح مكة . وهو في أول المقطوعة قبل البيت الذي مضى شرحه قبل هذا . وراتق : مصلح لما أفسدت ، وأصل الرتق السد للثوب الممزق بإصلاح ما تقطع منه . وفتقت : أي أفسدت من الدين ، فكل إثم فتق وتمزيق ، وكل ثوبة رتق وإصلاح . وبور : هالك . يقال : رجل بور وبائر ، وقوم بور ، وأصل البور : مصدر بار ببور بوراً ، ثم وصف به فلزم الإفراد لأن المصادر لا تجمع . وقال المؤلف : إنه مصدر واحد (غير مجموع) ، وجمع للبائر ، قال يقال: أصبحت منازلهم بوراً ، أي خالية < 19-254 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا (21)

يقول تعالى ذكره: وقال المشركون الذين لا يخافون لقاءنا، ولا يخشون عقابنا، هلا أنزل الله علينا ملائكة، فتخبرنا أن محمداً محقّ فيما يقول، وأن ما جاءنا به صدق، أو نرى ربنا فيخبرنا بذلك، كما قال جل ثناؤه مخبراً عنهم: وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَبُوعًا ثم قال بعد: أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وَالْمَلَائِكَةَ قَبِيلًا يقول الله: لقد استكبر قائلو هذه المقالة في أنفسهم، ونعظموا، ( وَعَتَّوْا عُنُوتًا كَبِيرًا ) يقول: وتجاوزوا في الاستكبار بقيلهم ذلك حده. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال كفار قريش: ( لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ ) فيخبرونا أن محمدا رسول الله ( لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَّوْا عُنُوتًا ) لأن " عتا " من ذوات الواو، فأخرج مصدره على الأصل بالواو، وقيل في سورة مريم وَقَدْ بَلَغَتْ مِنَ الْكِبَرِ عِتْيًا وإنما قيل ذلك كذلك لموافقة المصادر في هذا الوجه جمع الأسماء كقولهم: قعد قعودا، وهم قوم قعود، فلما كان ذلك كذلك، وكان العاتي يجمع عتيا بناء على الواحد، جعل مصدره أحيانا موافقا لجمعه، وأحيانا مردودا إلى أصله.

القول في تأويل قوله تعالى : يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى لِمُمْئِدٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا (22)

يقول تعالى ذكره: يوم يرى هؤلاء الذين قالوا: لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ أَوْ تَرَى رَبَّنَا بتصديق محمد الملائكة، فلا بشرى لهم يومئذ بخير (وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا) يعني أن الملائكة يقولون للمجرمين حجرا محجورا، حراما محرما عليكم اليوم البشري أن تكون لكم من الله؛ ومن الحجر قول المتلمس:

< 19-255 >

حَنَّتْ إِلَى تَحْلَةِ الْقُصْوَى فَقُلْتُ لَهَا

حِجْرٌ حَرَامٌ أَلَا تِلْكَ الدَّهَارِسُ (1)

ومنه قولهم: حجر القاضي على فلان، وحجر فلان على أهله؛ ومنه حجر الكعبة، لأنه لا يدخل إليه في الطواف، وإنما يطاف من ورائه؛ ومنه قول الآخر.

فَهَمَمْتُ أَنْ أَلْقَى إِلَيْهَا مَحْجَرًا

فَلَمِثْلَهَا يُلْقَى إِلَيْهِ الْمَحْجَرُ (2)

أي مثلها يُركب منه المُحَرَّمُ.

واختلف أهل التأويل في المخبر عنهم بقوله: (وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا) ومن قائلوه؟ فقال بعضهم: قائلو ذلك الملائكة للمجرمين نحو الذي قلنا فيه.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: ثنا أبو أسامة، عن الأجلح، قال: سمعت الضحاك بن مزاحم، وسأله رجل عن قول الله (وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا) قال: تقول الملائكة: حراما محرما أن تكون لكم البشري.

حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد، قال: ثني أبي، عن جدي، عن الحسن، عن قتادة (وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا) قال: هي كلمة كانت العرب تقولها، كان الرجل إذا نزل به شدة قال: حجرا، يقول: حراما محرما.

< 19-256 >

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ( لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ) لما جاءت زلازل الساعة، فكان من زلازلها أن السماء انشقت فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ \* وَالْمَلَكُ عَلَيَّ أَرْجَائِهَا عَلَى شَفَةِ كُلِّ شَيْءٍ تَشَقُّقٌ مِنَ السَّمَاءِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ( يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ ) : يعني الملائكة تقول للمجرمين حراما محرما أيها المجرمون أن تكون لكم البشري اليوم حين رأيتمونا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد ( يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ ) قال: يوم القيامة (وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا) قال: عودا معادا.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله، وزاد فيه: الملائكة تقولها.

وقال آخرون: ذلك خبر من الله عن قيل المشركين إذا عاينوا الملائكة.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثني الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج ( يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ) قال ابن جريج: كانت العرب إذا كرهوا شيئا قالوا حجرا، فقالوا حين عاينوا الملائكة. قال ابن جريج: قال مجاهد: ( حِجْرًا ) عودا، يستعيذون من الملائكة.

قال أبو جعفر: وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في تأويل ذلك من أجل أن الحِجْر هو الحرام، فمعلوم أن الملائكة هي التي تخبر أهل الكفر أن البشري عليهم حرام، وأما الاستعادة فإنها الاستجارة، وليست بتحريم، ومعلوم أن الكفار لا يقولون للملائكة حرام عليكم، فيوجه الكلام إلى أن ذلك خبر عن قيل المجرمين للملائكة.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً  
مَّنُورًا (23) أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا (24)

يقول تعالى ذكره: ( وَقَدِمْنَا ) وعمدنا إلى ما عمل هؤلاء المجرمون ( مِنْ عَمَلٍ )  
( ; ومنه قول الراجز:

< 19-257 >  
وَقَدِمَ الْخَوَارِجُ الصُّلَالُ  
إِلَىٰ عِبَادِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا

إِنَّ دِمَاءَكُمْ لَنَا حَلَالٌ (3)

يعني بقوله: قدم: عمد.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو, قال: ثنا أبو عاصم, قال: ثنا عيسى; وحدثني الحارث,  
قال: ثنا الحسن, قال: ثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله:  
( وَقَدِمْنَا ) قال: عمَدنا.

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله  
وقوله: ( فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنُورًا ) يقول: فجعلناه باطلا لأنهم لم يعملوه لله وإنما  
عملوه للشيطان.

والهباء: هو الذي يرى كهيئة الغبار إذا دخل ضوء الشمس من كوة يحسبه  
الناظر غباراً ليس بشيء تقبض عليه الأيدي ولا تمسه, ولا يرى ذلك في  
الظل.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه.

\* ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد، قال: ثنا شعبة، عن سماك، عن عكرمة أنه قال في هذه الآية ( هَبَاءٌ مَّنُورًا ) قال: الغبار الذي يكون في الشمس.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علي، عن أبي رجا، عن الحسن، في قوله: ( وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنُورًا ) قال: الشعاع في كوة أحدهم إن ذهب يقبض عليه لم يستطع.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( هَبَاءٌ مَّنُورًا ) قال: شعاع الشمس من الكوة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

< 19-258 >

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحسن، في قوله: ( هَبَاءٌ مَّنُورًا ) قال: ما رأيت شيئا يدخل البيت من الشمس تدخله من الكوة، فهو الهباء.

وقال آخرون: بل هو ما تسفيه الرياح من التراب، وتذروه من حطام الأشجار، ونحو ذلك.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، قوله: ( هَبَاءٌ مَّنُورًا ) قال: ما تسفي الرياح تَبُّهُ.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة ( هَبَاءٌ مَّنُورًا ) قال: هو ما تذرو الرياح من حطام هذا الشجر.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( هَبَاءٌ مَّنُورًا ) قال: الهباء: الغبار.

وقال آخرون: هو الماء المهراق.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ( هَبَاءٌ مَّنُورًا ) يقال: الماء المهراق.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله جل ثناؤه: ( أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ) يقول تعالى ذكره: أهل الجنة يوم القيامة خير مستقرًا، وهو الموضع الذي يستقرون فيه من منازلهم في الجنة من مستقر هؤلاء المشركين الذين يفتخرون بأموالهم، وما أوتوا من عرض هذه الدنيا في الدنيا، وأحسن منهم فيها مقيلًا.

فإن قال قائل: وهل في الجنة قائل؟ فيقال: ( وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ) فيها؟ قيل: معنى ذلك: وأحسن فيها قرارًا في أوقات قائلتهم في الدنيا، وذلك أنه ذكر أن أهل الجنة لا يمرّ فيهم في الآخرة إلا قدر ميقات النهار من أوّله إلى وقت القائلة، حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة، فذلك معنى قوله: ( وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ) .

< 19-259 >

\* ذكر الرواية عن قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ( أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ) يقول: قالوا في الغرف في الجنة، وكان حسابهم أن عرضوا على ربهم عرضة واحدة، وذلك الحساب اليسير، وهو مثل قوله: فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ \* فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا \* وَنَبْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا .

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، في قوله: ( أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ) قال: كانوا يرون أنه يفرغ من حساب الناس يوم القيامة في نصف النهار، فيقبل هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج ( أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ) قال: لم ينتصف النهار حتى يقضي الله بينهم، فيقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار. قال: وفي قراءة ابن مسعود: ( ثُمَّ إِنَّ مَقِيلَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ ).

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ) قال: قال ابن عباس: كان الحساب من ذلك في أوّله، وقال القوم حين قالوا في منازلهم من الجنة، وقرأ ( أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ) .

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا عمرو بن الحارث أن سعيدًا الصّوّاف حدثه أنه بلغه أن يوم القيامة يقضي على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس، وأنهم يقبلون في رياض الجنة حتى يفرغ من الناس، فذلك قول الله: ( أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ) .

قال أبو جعفر: وإنما قلنا: معنى ذلك: خير مستقرا في الجنة منهم في الدنيا، لأن الله تعالى ذكره عمّ بقوله: ( أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ) .



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

مَقِيلًا ) جميع أحوال الجنة في الآخرة أنها خير في الاستقرار فيها، والقائلة من جميع أحوال أهل النار، ولم يُخَصَّ بذلك أنه خير من أحوالهم في النار دون الدنيا، ولا في الدنيا دون الآخرة، فالواجب أن يعَمَّ كما عمَّ ربنا جلَّ ثناؤه، فيقال: أصحاب الجنة يوم القيامة خير مستقرًّا > 19-260 < في الجنة من أهل النار في الدنيا والآخرة، وأحسن منهم مقيلا وإذا كان ذلك معناه، صحَّ فساد قول من توهم أن تفضيل أهل الجنة بقول الله: ( خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا ) على غير الوجه المعروف من كلام الناس بينهم في قولهم: هذا خير من هذا، وهذا أحسن من هذا.

القول في تأويل قوله تعالى : وَيَوْمَ تَشْهَقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَتُرْتَلِّ الْمَلَائِكَةُ نَزِيلًا (25) الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا (26)

اختلف القراء في قراءة قوله ( تَشْهَقُ ) فقرأته عامة قراء الحجاز ( وَيَوْمَ تَشْهَقُ ) بتشديد الشين بمعنى: تَشْهَقُ، فأدغموا إحدى التاءين في الشين فشددوها، كما قال: ( لَا يَسْتَمْعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى )

وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة: ( وَيَوْمَ تَشْهَقُ ) بتخفيف الشين والاجتزاء بإحدى التاءين من الأخرى.

والقول في ذلك عندي: أنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. وتأويل الكلام: ويوم تُشْهَقُ السماء عن الغمام. وقيل: إن ذلك غمام أبيض مثل الغمام الذي ظلل على بني إسرائيل، وجعلت الباء، في قوله: ( بِالْغَمَامِ ) مكان " عن " كما تقول: رميت عن القوس وبالقوس وعلى القوس، بمعنى واحد.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ( وَيَوْمَ تَشْهَقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ ) قال: هو الذي قال: فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ الذي يأتي الله فيه يوم القيامة، ولم يكن في تلك قط إلا لبني إسرائيل. قال ابن جريج: الغمام الذي يأتي الله فيه غمام زعموا في الجنة.

قال: ثنا الحسين، قال: ثنا معتمر بن سليمان، عن عبد الجليل، عن أبي حازم، عن عبد الله بن عمرو قال: يهبط الله حين يهبط، وبينه وبين خلقه سبعون حجابا، منها النور والظلمة والماء، فيصوت الماء صوتا تنخلع له القلوب.

> 19-261 <

قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة في قوله: يَا أَيُّهَا اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ يقول: والملائكة حوله.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال: ثني حجاج, عن مبارك بن فضالة, عن عليّ بن زيد بن جُدعان, عن يوسف بن مهران, أنه سمع ابن عباس يقول: إن هذه السماء إذا انشقت نزل منها من الملائكة أكثر من الجنّ والإنس, وهو يوم التلاق, يوم يلتقي أهل السماء وأهل الأرض, فيقول أهل الأرض: جاء ربنا, فيقولون: لم يجيء وهو آت, ثم تَنشَقُّ السماء الثانية, ثم سماء سماء على قدر ذلك من التضعيف إلى السماء السابعة, فينزل منها من الملائكة أكثر من جميع من نزل من السماوات ومن الجنّ والإنس. قال: فتنزل الملائكة الكروبيون, ثم يأتي ربنا تبارك وتعالى في حملة العرش الثمانية, بين كعب كل ملك وركبته مسيرة سبعين سنة, وبين فخذة ومنكبه مسيرة سبعين سنة, قال: وكل ملك منهم لم يتأمل وجه صاحبه, وكلّ ملك منهم واضع رأسه بين ثديه يقول: سبحان الملك القدوس, وعلى رءوسهم شيء مبسوط كأنه القباء, والعرش فوق ذلك, ثم وقف.

قال: ثنا الحسن, قال: ثنا جعفر بن سليمان, عن هارون بن وثاب, عن شهر بن حوشب, قال: حملة العرش ثمانية, فأربعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك, لك الحمد على حلمك بعد علمك. وأربعة يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك, لك الحمد على عفوك بعد قدرتك.

قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي بكر بن عبد الله, قال: إذا نظر أهل الأرض إلى العرش يهبط عليهم فوقهم شخصت إليه أبصارهم, ورجفت كلابهم في أجوافهم, قال: وطارت قلوبهم من مقرّها في صدورهم إلى حناجرهم.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: ( وَيَوْمَ تَنشَقُّ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ) يعني يوم القيامة حين تشقق السماء بالغمام, وتنزل الملائكة تنزيلا.

وقوله: ( وَنُزِلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ) يقول: ونزل الملائكة إلى الأرض تنزيلا(الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ) يقول: الملك الحقّ يومئذ خالص للرحمن دون كلّ من سواه, وبطلت الممالك يومئذ سوى ملكه. وقد كان في الدنيا ملوك, فيطل الملك يومئذ سوى ملك الجبار ( وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ) يقول: وكان يوم تشقق السماء بالغمام < 262-19 > يوما على أهل الكفر بالله عسيرا, يعني صعبا شديدا.

القول في تأويل قوله تعالى : وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28) لَقَدْ أَصْلَبْتَنِي مِنَ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ حَذُولًا (29)

يقول تعالى ذكره: ويوم يعضّ الظالم نفسه المشرك بربه على يديه ندما وأسفًا على ما فرط في جنب الله, وأوبق نفسه بالكفر به في طاعة خليله الذي صدّه عن سبيل ربه, يقول: يا ليتني اتخذت في الدنيا مع الرسول سبيلا

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يعني طريقا إلى النجاة من عذاب الله ، وقوله ( يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ) .

اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: ( الظَّالِمُ ) وبقوله: ( فُلَانًا ) فقال بعضهم: عنى بالظالم: عقبة بن أبي معيط، لأنه ارتدَّ بعد إسلامه، طلبا منه لرضا أبي بن خلف، وقالوا: فلان هو أبي.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثني الحسين، قال: ثني حجاج عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس قال: كان أبي بن خلف يحضر النبي صلى الله عليه وسلم، فزجره عقبة بن أبي معيط، فنزل: ( وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْبًا ) ... إلى قوله ( حَذُولًا ) قال: ( الظَّالِمُ ) : عقبة، وفلانا خليلا أبي بن خلف.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن الشعبي في قوله: ( لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ) قال: كان عقبة بن أبي معيط خليلا لأمية بن خلف، فأسلم عقبة، فقال أمية: وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمدا فكفر؛ وهو الذي قال: ( لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ) .

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر عن قتادة وعثمان الجزري، عن مقسم في قوله: ( وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْبًا ) قال: اجتمع عقبة بن أبي معيط وأبي بن خلف، وكانا خليلين، فقال أحدهما لصاحبه: بلغني أنك أتيت محمدا فاستمعت منه، والله لا أرضى عنك حتى تتفل < 263-19 > في وجهه وتكذبه، فلم يسلمه الله على ذلك، فقتل عقبة يوم بدر صبرا (4). وأما أبي بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم أحد في القتال، وهما اللذان أنزل الله فيهما: ( وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْبًا ) .

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن ابن عباس، ( وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ) ... إلى قوله: ( فُلَانًا خَلِيلًا ) قال: هو أبي بن خلف، كان يحضر النبي صلى الله عليه وسلم، فزجره عقبة بن أبي معيط.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ( وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ) قال: عقبة بن أبي معيط دعا مجلسا فبهم النبي صلى الله عليه وسلم لطعام، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم أن يأكل، وقال: " ولا آكل حتى تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله "، فقال: ما أنت بآكل حتى أشهد؟ قال: " نعم "، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. فلقبه أمية بن خلف فقال: صوت؟ فقال: إن أخاك

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

على ما تعلم، ولكنني صنعت طعاما فأبى أن يأكل حتى أقول ذلك، فقلته،  
وليس من نفسي.

وقال آخرون: عنى بفلان: الشيطان.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث،  
قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ( قُلَانَا  
حَلِيلَا ) قال: الشيطان.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد،  
مثله. وقوله: ( لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ) يقول جل ثناؤه مخبرا  
عن هذا النادم على ما سلف منه في الدنيا، من معصية ربه في طاعة خليله:  
لقد أضلني عن الإيمان بالقرآن، وهو الذكر، بعد إذ جاءني من عند الله، فصدّني  
عنه، يقول الله: ( وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا ) يقول: مسلما لما ينزل به  
من البلاء غير منقذه ولا منجيه.

< 19-264 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا  
الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (30) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ  
هَادِيًا وَنَصِيرًا (31)

يقول تعالى ذكره: وقال الرسول يوم يعصّ الظالم على يديه: يا ربّ إن قومي  
الذين بعثتني إليهم لأدعوهم إلى توحيدك اتخذوا هذا القرآن مهجورا.

واختلف أهل التأويل في معنى اتخاذهم القرآن مهجورا، فقال بعضهم: كان  
اتخاذهم ذلك هجرا، قولهم فيه السييء من القول، وزعمهم أنه سحر، وأنه  
شعر.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث،  
قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله:  
( اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ) قال: يهجرون فيه بالقول، يقولون: هو سحر.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد،  
قوله: ( وَقَالَ الرَّسُولُ ) ... الآية: يهجرون فيه بالقول. قال مجاهد: وقوله:  
مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ قال: مستكبرين بالبلد سامرا مجالس تهجرون،  
قال: بالقول السييء في القرآن غير الحق.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني الحارث, قال: ثنا الحسن, قال, ثنا هشيم, عن مغيرة, عن إبراهيم, في قول الله: ( إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ) قال: قالوا فيه غير الحق, ألم تر إلى المريض إذا هذي قال غير الحق.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: الخبر عن المشركين أنهم هجروا القرآن وأعرضوا عنه ولم يسمعوا له.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: ( وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ) لا يريدون أن يسمعه, وإن دعوا إلى الله قالوا لا. وقرأ وهم يتهون عنه ويتأون عنه قال: ينهون عنه, ويبعدون عنه.

قال أبو جعفر: وهذا القول أولى بتأويل ذلك, وذلك أن الله أخبر عنهم أنهم قالوا: < 265-19 > لا تسمعوا لهذا القرآن والعوا فيه , وذلك هجرهم إياه.

وقوله: ( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وكما جعلنا لك يا محمد أعداء من مشركي قومك, كذلك جعلنا لكل من نبأناه من قبلك عدوًّا من مشركي قومه, فلم تخصص بذلك من بينهم. يقول: فاصبر لما نالك منهم كما صبر من قبلك أولو العزم من رسلنا.

ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن عباس: ( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ) قال: يوطن محمدا صلى الله عليه وسلم أنه جاعل له عدوًّا من المجرمين كما جعل لمن قبله.

وقوله: ( وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ) يقول تعالى ذكره لنبيه: وكفاك يا محمد ربك هاديا يهديك إلى الحق, ويبصرك الرشيد, ونصيرا: يقول: ناصرا لك على أعدائك, يقول: فلا يهولنك أعداؤك من المشركين, فإني ناصرك عليهم, فاصبر لأمري, وامض لتبليغ رسالتي إليهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ( وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (32) )

يقول تعالى ذكره: ( وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ) بالله ( لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ ) يقول: هلا نزل على محمد صلى الله عليه وسلم القرآن ( جُمْلَةً وَاحِدَةً ) كما

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة؟ قال الله: ( كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ) تنزيله عليك الآية بعد الآية، والشيء بعد الشيء، لثبته به فؤادك نزلناه.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ( وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ) قال: كان الله ينزل عليه الآية، فإذا علمها نبي الله نزلت آية أخرى ليعلمه الكتاب عن ظهر قلب، ويثبت به فؤاده.

< 19-266 >

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ( وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ) كما أنزلت التوراة على موسى، قال: ( كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ) قال: كان القرآن ينزل عليه جواباً لقولهم: ليعلم محمد أن الله يجب القوم بما يقولون بالحق، ويعني بقوله: ( لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ) لنصح به عزيمة قلبك ويقين نفسك، ونشجعك به.

وقوله ( وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ) يقول: وشيئنا بعد شيء علمناكه حتى تحفظنه، والترتيل في القراءة: الترسل والتثبث.

وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم، في قوله: ( وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ) قال: نزل متفرقاً.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحسن، في قوله: ( وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ) قال: كان ينزل آية وأيتين وآيات جواباً لهم إذا سألوا عن شيء أنزله الله جواباً لهم، ورداً عن النبي فيما يتكلمون به. وكان بين أوله وآخره نحو من عشرين سنة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ( وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ) قال: كان بين ما أنزل القرآن إلى آخره أنزل عليه لأربعين، ومات النبي صلى الله عليه وسلم لثنتين أو ثلاث وستين.

وقال آخرون: معنى الترتيل: التبيين والتفسير.

\* ذكر من قال ذلك:

# جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: (وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) قال: فسرناه تفسيرًا، وقرأ: وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا .

الهوامش:

(1) البيت للمتلمس جرير بن عبد المسيح (عن معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري : رسم نخلة) .. وحتت : اشتاقت . وفي (اللسان : دهرس) : حجت . ونخلة القصوى : موضع على ليلة من مكة . وقيل: هما نخلة الشامية ونخلة اليمانية ؛ فالشامية واد ينصب من الغمير . واليمانية : واد ينصب من بطن قرن المنازل ، وهو طريق اليمن إلى مكة . وحجر : مثلث الحاء بمعنى حرام ، وفي المعجم البكري : بسل عليك ، وهو الحرام أيضًا . والدهاريس جمع دهرس ، مثلث الدال ، وهي الداهية (عن اللسان ) . والبيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (الورقة 167 من مصورة الجامعة رقم 26059) وعنه أخذ المؤلف

(2) البيت لحميد بن ثور الهلالي (اللسان : حجر . والديوان طبعة دار الكتب المصرية ص 84) . وفي رواية الديوان واللسان : أغشى في موضع ألقى . والمحجر : الحرام . قال في اللسان : لمثلها يؤتى إليه الحرام . وقبل البيت ثلاثة أبيات وهي :

لَمْ أَلْقَ عَمْرَةَ بَعْدَ إِذْ هِيَ تَأَشِي

حَرَجَتْ مُعْطَفَةً عَلَيَّهَا مَنْرُ

بَرَزَتْ عَقِيلَةَ أَرْبَعِ هَادِيَتَيْهَا

بِيضِ الْوُجُوهِ كَأَنْهَنْ الْعُنُقُ

دَهَبَتْ بِعَقْلِكَ رِبْطَةً مَطْوِيَةً

وَهِيَ الَّتِي تُهْدِي بِهَا لَوْ تَشْعُرُ

والبيت شاهد على أنت المحجر الحرام . وقال الفراء في معاني القرآن ( الورقة 224 من مصورة الجامعة 24059) : ألقى : من لقيت أي مثلها يركب منه المحرم . وعنه أخذ المؤلف

(3) الرجز من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (الورقة 167 مصورة الجامعة 26059) وقدم إلى الشيء : عمد إليه وقصده . وهو محل الشاهد عند المؤلف



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(4) يقال : قتل فلان صبرًا : قدم فقتل ، وهو يرى وينظر ، وهو غير من يقتل في حرب أو حادث . السقا .  
القول في تأويل قوله تعالى : وَلَا يَأْتُوكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسِنَ  
تَفْسِيرًا (33) الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سُورُ مَكَاتٍ وَأَصْلُ  
سَبِيلًا (34)

يقول تعالى ذكره: ولا يأتيك يا محمد هؤلاء المشركون بمثل يضربونه إلا جئناك  
> 267-19 < من الحق، بما نبطل به ما جاءوا به، وأحسن منه تفسيرًا.

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ( وَلَا يَأْتُوكَ  
بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ ) قال: الكتاب بما تردُّ به ما جاءوا به من الأمثال التي  
جاءوا بها وأحسن تفسيرا.

وعنى بقوله ( وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ) وأحسن مما جاءوا به من المثل بيانا وتفصيلا.  
وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن ابن  
عباس قوله: ( وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ) يقول: أحسن تفصيلا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد:  
وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا قال: بيانا.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت  
الضحاك يقول في قوله: ( وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ) يقول: تفصيلا.

وقوله: ( الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سُورُ مَكَاتٍ يَقُولُ تَعَالَىٰ  
ذَكَرَهُ لِنَبِيهِ: هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَا مُحَمَّدُ، الْقَائِلُونَ لَكَ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ  
جُمْلَةً وَاحِدَةً وَمَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ، الَّذِينَ  
يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ، فَيَسَاقُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ سُورُ  
مَسْتَقَرًّا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَصْلُ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا  
طَرِيقًا.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد  
( الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ) قال: الذي أمشاهم على أرجلهم

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قادرٌ على أن يمشيهم على وجوههم (أولئك شرُّ مَكَاثًا) من أهل الجنة (وأصل سَيْلًا) قال: طريقًا.

حدثني محمد بن يحيى الأزدي، قال: ثنا الحسين بن محمد، قال: ثنا شيبان، عن قتادة، قوله: (الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ) قال: حدثنا أنس بن > 268-19 < مالك أن رجلاً قال: يا رسول الله، كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: "الَّذِي أَمْسَاهُ عَلَىٰ رِجْلَيْهِ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُمَشِّيَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ".

حدثنا أبو سفيان الغنوي يزيد بن عمرو، قال: ثنا خلاد بن يحيى الكوفي، قال: ثنا سفيان الثوري، عن إسماعيل بن أبي خالد، قال: أخبرني من سمع أنس بن مالك يقول: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: كيف يحشرهم على وجوههم؟ قال: "الَّذِي يَحْشُرُهُمْ عَلَىٰ أَرْجُلِهِمْ قَادِرٌ بِأَنْ يَحْشُرَهُمْ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ".

حدثنا عبيد بن محمد الوراق، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي داود، عن أنس بن مالك، قال: "سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف يحشر أهل النار على وجوههم؟ فقال: إِنَّ الَّذِي أَمْسَاهُمْ عَلَىٰ أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُمَشِّيَهُمْ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ".

حدثني أحمد بن المقدم قال: ثنا حزم، قال: سمعت الحسن يقول: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ) فقالوا: يا نبي الله، كيف يمشون على وجوههم؟ قال: "أَرَأَيْتَ الَّذِي أَمْسَاهُمْ عَلَىٰ أَقْدَامِهِمْ أَلَيْسَ قَادِرًا أَنْ يُمَشِّيَهُمْ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ".

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا منصور بن زاذان، عن علي بن زيد بن جدعان، عن أبي خالد، عن أبي هريرة، قال: "يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف: صنف على الدواب، وصنف على أقدامهم، وصنف على وجوههم، فقيل: كيف يمشون على وجوههم؟ قال: إن الذي أمسأهم على أقدامهم، قادر أن يمشيهم على وجوههم.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ آخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا (35) فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا (36)

يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم يتوعد مشركي قومه على كفرهم بالله، وتكذيبهم رسوله ويخوفهم من حلول نعمته بهم، نظير الذي يجل بمن كان قبلهم من الأمم المكذبة رسلها (وَلَقَدْ آتَيْنَا) يا محمد (مُوسَى الْكِتَابَ) يعني التوراة، > 269-19 < كالذي آتيناك من الفرقان وَجَعَلْنَا مَعَهُ آخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا يعني معينا وظهرًا (فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) يقول: فقلنا لهما: اذهبا إلى فرعون وقومه الذين كذبوا بإعلامنا وأدلتنا،

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فدمرناهم تدميرا. وفي الكلام متروك استغني بدلالة ما ذكر من ذكره وهو:  
فذهبا فكذبوهما فدمرناهم حينئذ.

القول في تأويل قوله تعالى : وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَعْرَفْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ  
لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (37)

يقول تعالى ذكره: وقوم نوح لما كذبوا رسلنا، وردوا عليهم ما جاءوهم به من  
الحق، أعرفناهم بالطوفان ( وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ) يقول: وجعلنا تغريقنا إياهم  
وإهلاكنا عظة وعبرة للناس يعتبرون بها ( وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ) يقول:  
وأعدنا لهم من الكافرين بالله في الآخرة عذابا أليما، سوى الذي حل بهم  
من عاجل العذاب في الدنيا.

القول في تأويل قوله تعالى : وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ  
كَثِيرًا (38) وَكَلَّا صَرَئِلًا لَهُ الْأُمْتَالِ وَكَلَّا تَبْرَأًا تَثْبِيرًا (39)

يقول تعالى ذكره: ودمرنا أيضا عادا وثمود وأصحاب الرس.

واختلف أهل التأويل في أصحاب الرس، فقال بعضهم: أصحاب الرس من ثمود.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القايم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن  
عباس: ( وَأَصْحَابَ الرِّسِّ ) قال: قرية من ثمود.

وقال آخرون: بل هي قرية من اليمامة يقال لها الفلج (1).

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن وهب، قال: ثنا جرير بن حازم، قال:  
قال قتادة: الرس: قرية من اليمامة يقال لها الفلج.

< 19-270 >

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قال  
عكرمة: أصحاب الرس بفلج هم أصحاب يس.

وقال آخرون: هم قوم رسوا نبيهم في بئر.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي بكر، عن  
عكرمة، قال: كان الرس بئرا رسوا فيها نبيهم.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: هي بئر كانت تسمى الرّسّ.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سبيد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ( وَأَصْحَابَ الرَّسِّ ) قال: هي بئر كانت تسمى الرّسّ.

حدثني محمد بن عمار، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي يحيى عن مجاهد في قوله: ( وَأَصْحَابَ الرَّسِّ ) قال: الرّسّ بئر كان عليها قوم.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك، قول من قال: هم قوم كانوا على بئر، وذلك أن الرّسّ في كلام العرب: كلّ محفور مثل البئر والقبر ونحو ذلك؛ ومنه قول الشاعر:

سَبَقْتُ إِلَى قَرَطٍ بِأَهْلٍ

تَنَابَلَةَ يَحْفَرُونَ الرَّسَّاسَا (2)

يريد أنهم يحفرون المعادن، ولا أعلم قوما كانت لهم قصة بسبب حفرة، ذكرهم الله في كتابه إلا أصحاب الأخدود، فإن يكونوا هم المعنيين بقوله: وَأَصْحَابَ الرَّسِّ فإننا سنذكر خبرهم إن شاء الله إذا انتهينا إلى سورة البروج، وإن يكونوا غيرهم فلا نعرف لهم خبرا، إلا ما جاء من جملة الخبر عنهم أنهم قوم رسوا نبهم في حفرة.

إلا ما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يَدْخُلُ > 271-19 < الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْعَبْدُ الْأَسْوَدُ". وذلك أن الله تبارك وتعالى بعث نبيا إلى أهل قرية فلم يؤمن من أهلها أحد إلا ذلك الأسود، ثم إن أهل القرية عدوا على النبي عليه السلام، فحفروا له بئرا فألقوه فيها، ثم أطبقوا عليه بحجر ضخمة، قال: وكان ذلك العبد يذهب فيحتطب على ظهره، ثم يأتي بحطبه فيبيعه، فيشتري به طعاما وشرابا، ثم يأتي به إلى ذلك البئر، فيرفع تلك الصخرة، فيعينه الله عليها، فيدلي إليه طعامه وشرابه، ثم يعيدها كما كانت، قال: فكان كذلك ما شاء الله أن يكون. ثم إنه ذهب يوما يحتطب، كما كان يصنع، فجمع حطبه، وحزم حزمته وفرغ منها؛ فلما أراد أن يحتملها وجد سينة، فاضطجع فنام، فضرب الله على أذنه سبع سنين نائما. ثم إنه هبّ فتمطى، فتحول لشقة الآخر، فاضطجع، فضرب الله على أذنه سبع سنين أخرى. ثم إنه هبّ فاحتمل حزمته، ولا يحسب إلا أنه نام ساعة من نهار، فجاء إلى القرية

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فباع حزمته، ثم اشترى طعاما وشرابا كما كان يصنع ثم ذهب إلى الحفرة في موضعها التي كانت فيه فالتمسه فلم يجده، وقد كان بدا لقومه فيه بداء، فاستخرجوه وأمنوا به وصدّقوه، قال: فكان النبي عليه السلام يسألهم عن ذلك الأسود ما فعل؟ فيقولون: ما ندري، حتى قبض الله النبي، فأهّب الله الأسود من نومته بعد ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ ذَلِكَ الْأَسْوَدَ لِأَوَّلِ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ" غير أن هؤلاء في هذا الخبر يذكر محمد بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهم آمنوا بنبيهم واستخرجوه من حفرة، فلا ينبغي أن يكونوا المعنيين بقوله: ( وَأَصْحَابَ الرَّسِّ ) لأن الله أخبر عن أصحاب الرّسّ أنه دمرهم تدميرا، إلا أن يكونوا دمروا بأحداث أحدثوها بعد نبيهم الذي استخرجوه من الحفرة وأمنوا به، فيكون ذلك وجها ( وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ) يقول: ودمرنا بين أضعاف هذه الأمم التي سمّيناها لكم أمما كثيرة.

كما حدثنا الحسن بن شبيب، قال: ثنا خلف بن خليفة، عن جعفر بن عليّ بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: خلفت بالمدينة عمي ممن يفتي علي أن القرن سبعون سنة، وكان عمه عبيد الله بن أبي رافع كاتب عليّ رضي الله عنه.

حدثنا عمرو بن عبد الحميد، قال: ثنا حفص بن غياث، عن الحجاج، عن > 19-  
272 < الحكم، عن إبراهيم قال: القرن أربعون سنة.

وقوله: ( وَكُلًّا صَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ ) يقول تعالى ذكره: وكل هذه الأمم التي أهلكتها التي سميناها لكم أو لم نسماها ضربنا له الأمثال يقول: مثلنا له الأمثال ونبناها على حجنا عليها، وأعدرنا إليها بالعبر والمواعظ، فلم نهلك أمة إلا بعد الإبلاغ إليهم في المعذرة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ( وَكُلًّا صَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ ) قال: كلّ قد أعذر الله إليه، ثم انتقم منه.

وقوله: ( وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ) يقول تعالى ذكره: وكل هؤلاء الذين ذكرنا لكم أمرهم استأصلناهم، فدمرناهم بالعذاب إبادة، وأهلكتناهم جميعا.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحسن، في قوله: ( وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ) قال: تبر الله كلا بعذاب تتبيرا.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا أبو كريب قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد بن جبير ( وَكَلَّا تَبَرَّأْتُ تَبِيرًا ) قال: تتبر بالنبطية.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قوله: ( وَكَلَّا تَبَرَّأْتُ تَبِيرًا ) قال: بالعذاب.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْتُ مَطَرًا السُّوءِ أَقْلَمَ يَكُونُوا يَرَوْهَا بَلًا كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا (40)

يقول تعالى ذكره: ولقد أتى هؤلاء الذين اتخذوا القرآن مهجورا على القرية التي أمطرها الله مطر السوء وهي سدوم، قرية قوم لوط. ومطر السوء: هو الحجارة التي أمطرها الله عليهم فأهلكهم بها. كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج ( وَلَقَدْ > 19- 273 < أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْتُ مَطَرًا السُّوءِ ) قال: حجارة، وهي قرية قوم لوط، واسمها سدوم. قال ابن عباس: خمس قرى، فأهلك الله أربعة، وبقيت الخامسة، واسمها صعوة. لم تهلك صعوة، كان أهلها لا يعملون ذلك العمل، وكانت سدوم أعظمها، وهي التي نزل بها لوط، ومنها بعث، وكان إبراهيم صلى الله عليه وسلم ينادي نصيحة لهم: يا سدوم، يوم لكم من الله، أنهاكم أن تعرضوا لعقوبة الله، زعموا أن لوطا ابن أخي إبراهيم صلوات الله عليهما.

وقوله: ( أَقْلَمَ يَكُونُوا يَرَوْهَا ) يقول جل ثناؤه: أو لم يكن هؤلاء المشركون الذين قد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء يرون تلك القرية، وما نزل بها من عذاب الله بتكذيب أهلها رسلهم، فيعتبروا ويتذكروا، فيراجعوا التوبة من كفرهم وتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم ( بَلًا كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ) يقول تعالى ذكره: ما كذبوا محمدا فيما جاءهم به من عند الله، لأنهم لم يكونوا رأوا ما حل بالقرية التي وصفت، ولكنهم كذبوه من أجل أنهم قوم لا يخافون نشورا بعد الممات، يعني أنهم لا يوقنون بالعقاب والثواب، ولا يؤمنون بقيام الساعة، فيردعهم ذلك عما يأتون من معاصي الله.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج ( أَقْلَمَ يَكُونُوا يَرَوْهَا بَلًا كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ) بعثا.

القول في تأويل قوله تعالى : وَإِذَا رَأَوْكَ إِِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلا هُزُوعًا أَهْدَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا (41)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإذا رآك هؤلاء المشركون الذين قصصت عليك قصصهم (إِنْ يَتَّخِذُوكَ إِلَّا هُزُوعًا) يقول: ما يتخذونك إلا سخرية يسخرون منك، يقولون: (أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا) من بين خلقه.

القول في تأويل قوله تعالى: **إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا (42)**

< 19-274 >

يقول تعالى ذكره مخبراً عن هؤلاء المشركين الذين كانوا يهزءون برسول الله صلى الله عليه وسلم إنهم يقولون إذا رأوه: قد كاد هذا يضلنا عن آلهتنا التي نعبدها، فيصدِّنا عن عبادتها لولا صبرنا عليها، وثبتنا على عبادتها وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ) يقول جل ثناؤه: سيبين لهم حين يعابنون عذاب الله قد حلَّ بهم على عبادتهم الآلهة (مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا) يقول: من الراكب غير طريق الهدى، والسالك سبيل الردى أنت أوهم.

وبنحو ما قلنا في تأويل قوله: (لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا) قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج (إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا) قال: ثبتنا عليها.

القول في تأويل قوله تعالى: **أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (43)**

يعني تعالى ذكره: (أَرَأَيْتَ) يا محمد (مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ) شهوته التي يهواها وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد الحجر، فإذا رأى أحسن منه رمي به، وأخذ الآخر يعبده، فكان معبوده وإلهه ما يتخيره لنفسه، فلذلك قال جل ثناؤه (أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا) يقول تعالى ذكره: أفأنت تكون يا محمد على هذا حفيظاً في أفعاله مع عظيم جهله؟

الهوامش:

(1) في تاج العروس : وقيل (فلج) : بلد . ومنه قيل لطريق مأخذه من البصرة إلى اليمامة : طريق بطن فلج . ا ه .

(2) البيت للنابغة الجعدي ( اللسان : رسس) . والفرط بالتحريك : القوم يتقدمون إلى الماء قبل الورود ، فيهيئون لهم الأرسال والدلاء ، ويملئون



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الحياض ، ويستقون لهم ( عن اللسان ) . والباهل : المتردد بلا عمل . والتنايلة جمع تنبل ، بوزن جَعْفَر ، وهو الرجل القصير . ولعله كناية عن البطء والعجز عن العمل . والرساس جمع رس ، وهي البئر القديمة أو المعدن ( المنجم تستخرج منه المعادن كالحديد ونحوه ) . استشهد به المؤلف على أن كل محفور مثل البئر والقبر والمعدن فهو رس عند العرب . القول في تأويل قوله تعالى : أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (44)

( أَمْ تَحْسَبُ ) يا محمد أن أكثر هؤلاء المشركين ( يَسْمَعُونَ ) ما يتلى عليهم ، فيعون ( أَوْ يَعْقِلُونَ ) ما يعاينون من حجج الله ، فيفهمون ( إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ) يقول : ما هم إلا كالبهائم التي لا تعقل ما يقال لها ، ولا تفقه ، بل هم من البهائم أضل سبيلا لأن البهائم تهتدي لمراعيها ، وتنقاد لأربابها ، وهؤلاء الكفرة لا يطيعون ربهم ، ولا يشكرون نعمة من أنعم عليهم ، بل يكفرونها ، ويعصون من خلقهم وبراهم .

القول في تأويل قوله تعالى : أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (45) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (46)

< 19-275 >

يقول تعالى ذكره: ( أَلَمْ تَرَ ) يا محمد ( كَيْفَ مَدَّ ) ربك ( الظِّلَّ ) وهو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ( أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ) يقول: ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ( أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ) قال: مدّه ما بين صلاة الصبح إلى طلوع الشمس .

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، في قوله: ( أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ) قال: الظلّ: ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: ثنا أبو محصن، عن حصين، عن أبي مالك، قال: ( أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ) قال: ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ) قال: ظل الغداة قبل أن تطلع الشمس.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: الظلُّ: ظلُّ الغداة.

قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، قوله: ( أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ) قال: مده من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ( أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ) يعني: من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس.

قوله: ( وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ) يقول: ولو شاء لجعله دائما لا يزول، ممدودا > 276-19 < لا تذهبه الشمس، ولا تنقصه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ( وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ) يقول: دائما.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ) قال: لا تصيبه الشمس ولا يزول.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ( وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ) قال: لا يزول.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ) قال: دائما لا يزول.

وقوله: ( ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ) يقول جل ثناؤه: ثم دللناكم أيها الناس بنسخ الشمس إياه عند طلوعها عليه، أنه خلق من خلق ربكم، يوجد إذا شاء، ويفنيه إذا أراد؛ والهاء في قوله: " عليه " من ذكر الظلِّ. ومعناه: ثم جعلنا

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الشمس على الظلّ دليلاً. قيل: معنى دلالتها عليه أنه لو لم تكن الشمس التي تنسخه لم يعلم أنه شيء، إذا كانت الأشياء إنما تعرف بأضدادها، نظير الحلو الذي إنما يعرف بالحامض والبارد بالحارّ، وما أشبه ذلك.

وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ( ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ) يقول: طلوع الشمس.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ( ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ) قال: تحويه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن > 19-277 < مجاهد، مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ( ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ) قال: أخرجت ذلك الظل فذهبت به وقوله: ( ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ) يقول تعالى ذكره: ثم قبضنا ذلك الدليل من الشمس على الظلّ إلينا قبضاً خفياً سريعاً بالفيء الذي نأتي به بالعشيّ.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ) قال: حوى الشمس الظلّ. وقيل: إن الهاء التي في قوله: ( ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا ) عائدة على الظلّ، وإن معنى الكلام: ثم قبضنا الظلّ إلينا بعد غروب الشمس، وذلك أن الشمس إذا غربت غاب الظلّ الممدود، قالوا: وذلك وقت قبضه.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ( يَسِيرًا ) فقال بعضهم: معناه: سريعاً.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ( ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ) يقول: سريعاً.

# جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: بل معناه: قبضا خفيا.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عبد العزيز بن رفيع، عن مجاهد ( ثُمَّ قَبَضَتْهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ) قال: خفيا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج ( قَبْضًا يَسِيرًا ) قال: خفيا، قال: إن ما بين الشمس والظلّ مثل الخيط، واليسير الفعيل من اليسر، وهو السهل الهين في كلام العرب. فمعنى الكلام إذ كان ذلك كذلك، يتوجه لما روي عن ابن عباس ومجاهد؛ لأن سهولة قبض ذلك قد تكون بسرعة وخفاء. وقيل: إنما قيل ( ثُمَّ قَبَضَتْهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ) لأن الظلّ بعد غروب الشمس لا يذهب < 278-19 > كله دفعة، ولا يقبل الظلام كله جملة، وإنما يقبض ذلك الظلّ قبضا خفيا، شيئا بعد شيء ويعقب كل جزء منه يقبضه جزء من الظلام.

القول في تأويل قوله تعالى : وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا (47)

يقول تعالى ذكره: الذي مدّ الظلّ ثم جعل الشمس عليه دليلا هو الذي جعل لكم أيها الناس الليل لباسا. وإنما قال جلّ ثناؤه ( جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا ) لأنه جعله لخلق جنة يجتنون فيها ويسكنون، فصار لهم سترا يستترون به، كما يستترون بالثياب التي يكسونها. وقوله: ( وَالنَّوْمَ سُبَاتًا ) يقول: وجعل لكم النوم راحة تستريح به أبدانكم، وتهدا به جوارحكم. وقوله: ( وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ) يقول تعالى ذكره: وجعل النهار يقظة وحياة من قولهم: نَشَرَ المِثْ، كما قال الأعشى:

حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا

يَا عَجَبًا لِلْمَيْتِ النَّاشِرِ (1)

ومنه قول الله: وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا

وكان مجاهد يقول في تأويل ذلك ما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ) قال: ينشر فيه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في تأويل ذلك، أنه عقيب قوله: ( وَالتَّوَمَّ سُبَاتًا ) في الليل. فإذا كان ذلك كذلك، فوصف النهار بأن فيه اليقظة والنشور من النوم أشبه إذ كان النوم أخص الموت. والذي قاله مجاهد غير بعيد من الصواب؛ لأن الله أخبر أنه جعل النهار معاشا، وفيه الانتشار للمعاش، ولكن النشور مصدر من قول القائل: نشر، < 279-19 > فهو بالنشر من الموت والنوم أشبه، كما صحّت الرواية عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا أصبح وقام من نومه: " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ".

القول في تأويل قوله تعالى : وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (48) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْاسِيَّ كَثِيرًا (49)

يقول تعالى ذكره: والله الذي أرسل الرياح الملقحة (بُشْرًا) : حياة أو من الحيا والغيث الذي هو منزله على عباده ( وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ) يقول: وأنزلنا من السحاب الذي أنشأناه بالرياح من فوقكم أيها الناس ماء طهورا. (لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا ) يعني أرضا قحطة عذبة لا تُنبِت. وقال: ( بَلْدَةً مَيِّتًا ) ولم يقل ميتة، لأنه أريد بذلك لنحيي به موضعا ومكانا ميتا ( وَنُسْقِيَهُ ) من خلقنا ( أَنْعَامًا ) من البهائم ( وَأَنْاسِيَّ كَثِيرًا ) يعني الأناسي: جمع إنسان وجمع أناسي، فجعل الياء عوضا من النون التي في إنسان، وقد يجمع إنسان: إناسين، كما يجمع الثشبان (2) نشابين. فإن قيل: أناسي جمع واحده إنسي، فهو مذهب أيضا محكي، وقد يجمع أناسي مخففة الياء، وكان من جمع ذلك كذلك أسقط الياء التي بين عين الفعل ولامه، كما يجمع الفرقور: قراقرق وقراقرق. ومما يصح جمعهم إياه بالتخفيف، قول العرب: أناسية كثيرة.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَقَدْ صَرَّفْنَاَهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا قَابَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كَفُورًا (50)

يقول تعالى ذكره: ولقد قسمنا هذا الماء الذي أنزلناه من السماء طهورا لنحيي به الميت من الأرض بين عبادي، ليتذكروا نعمي عليهم، ويشكروا أيادي عندهم وإحساني إليهم ( قَابَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كَفُورًا ) يقول: إلا جحودا لنعمي عليهم، وأيادي عليهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

< 19-280 >

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا معتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: سمعت الحسن بن مسلم يحدث طاوسا، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: ما

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

عام بأكثر مطرا من عام، ولكنّ الله يصرفه بين خلقه؛ قال: ثم قرأ: ( وَلَقَدْ صَرَّفْنَاُ بَيْنَهُمْ ).

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليّة، عن سليمان التيمي، قال: ثنا الحسن بن مسلم، عن سعيد بن جبير، قال: قال ابن عباس: ما عام بأكثر مطرا من عام، ولكنه يصرفه في الأرضين، ثم تلا ( وَلَقَدْ صَرَّفْنَاُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا ).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ( وَلَقَدْ صَرَّفْنَاُ بَيْنَهُمْ ) قال: المطر ينزله في الأرض، ولا ينزله في الأرض الأخرى، قال: فقال عكرمة: صرفناه بينهم ليذكروا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَلَقَدْ صَرَّفْنَاُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا ) قال: المطر مرّة هاهنا، ومرّة هاهنا.

حدثنا سعيد بن الربيع الرازي، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن يزيد بن أبي زياد، أنه سمع أبا جحيفة يقول: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: ليس عام بأكثر مطر من عام، ولكنه يصرفه، ثم قال عبد الله: ( وَلَقَدْ صَرَّفْنَاُ بَيْنَهُمْ ).

وأما قوله: ( قَابَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ) فإن القاسم حدثنا قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج عن ابن جريج، عن عكرمة: ( قَابَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ) قال: قولهم في الأنواء.

القول في تأويل قوله تعالى : **وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا (51) فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (52)**

يقول تعالى ذكره: ولو شئنا يا محمد لأرسلنا في كلِّ مصر ومدينة نذيرا يندرهم بأسنا على كفرهم بنا، فيخفّ عنك كثير من أعباء ما حملناك منه، ويسقط عنك بذلك مؤنة عظيمة، ولكننا حملناك ثقل نذارة جميع القرى، لتستوجب بصبرك عليه إن صبرت ما أعدّ الله لك من الكرامة عنده، والمنازل الرفيعة قبّله، فلا تطع الكافرين فيما يدعونك < 281-19 > إليه من أن تعبد ألهتهم، فنديقك ضعف الحياة وضعف الممات، ولكن جاهدهم بهذا القرآن جهادا كبيرا، حتى ينقادوا للإقرار بما فيه من فرائض الله، ويدينوا به ويدعونا للعمل بجميعة طوعا وكرها.

وبنحو الذي قلنا في قوله: ( وَجَاهِدْهُمْ بِهِ ) قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس، قوله ( فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ ) قال: بالقرآن.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون في ذلك بما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَجَاهِدُهُمْ بِهٖ جِهَادًا كَبِيرًا ) قال: الإسلام. وقرأ وَأَغْلَطَ عَلَيْهِمْ وقرأ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وقال: هذا الجهاد الكبير.

القول في تأويل قوله تعالى : وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَدْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أَجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا (53)

يقول تعالى ذكره: والله الذي خلط البحرين، فأمرج أحدهما في الآخر، وأفاضه فيه. وأصل المرح الخلط، ثم يقال للتخية مرج؛ لأن الرجل إذا خلى الشيء حتى اختلط بغيره، فكأنه قد مرجه، ومنه الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقوله لعبد الله بن عمرو: " كَيْفَ بِكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ إِذَا كُنْتَ فِي حُتَالَةٍ مِنَ النَّاسِ، قَدْ مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَتُهُمْ، وَصَارُوا هَكَذَا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. يَعْنِي بِقَوْلِهِ: قَدْ مَرَجَتْ: ائْتَلَطْتُ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ: فِي أَمْرِ مَرِيحٍ أَي مَخْتَلَطٍ. وَإِنَّمَا قِيلَ لِلْمَرَجِ مَرَجٌ مِنْ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ يَكُونُ فِيهِ أَخْلَاطٌ مِنَ الدَّوَابِّ، وَيُقَالُ: مَرَجْتَ دَابَّتَكَ: أَي خَلَيْتَهَا تَذْهَبُ حَيْثُ شَاءَتْ. وَمِنْهُ قَوْلُ الرَّاجِزِ:

رَعَى بِهَا مَرَجَ رَبِيعٍ مَمْرَجٍ (3)

وبنحو ما قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

< 19-282 >

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ( وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ) يعني أنه خلع أحدهما < 19-283 > على الآخر.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ( مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ) أفاض أحدهما على الآخر.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ( وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ) يقول: خلع أحدهما على الآخر.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثنا أبو تميلة, عن أبي حمزة, عن جابر, عن مجاهد ( مَرَجَ ) أفاض أحدهما على الآخر.

وقوله ( هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ) الفرات: شديد العذوبة, يقال: هذا ماء فرات: أي شديد العذوبة وقوله ( وَهَذَا مِلْحٌ أَجَاخٌ ) يقول: وهذا ملح مَرٌّ, يعني بالعذب الفرات: مياه الأنهار والأمطار, وبالملح الأجاج: مياه البحار.

وإنما عنى بذلك أنه من نعمته على خلقه, وعظيم سلطانه, يخلط ماء البحر العذب بماء البحر الملح الأجاج, ثم يمنع الملح من تغيير العذب عن عذوبته, وإفساده إياه بقضائه وقدرته, لئلا يضر إفساده إياه بركبان الملح منهما, فلا يجدوا ماء يشربونه عند حاجتهم إلى الماء, فقال جل ثناؤه: ( وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ) يعني حاجزا يمنع كل واحد منهما من إفساد الآخر ( وَجِجْرًا مَحْجُورًا ) يقول: وجعل كل واحد منهما حراما محرما على صاحبه أن يغيره ويفسده.

وينحو الذي قلنا في تأويل ذلك, قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: ( هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أَجَاخٌ ) يعني أنه خلع أحدهما على الآخر, فليس يفسد العذب المالح, وليس يفسد المالح العذب, وقوله: ( وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ) قال: البرزخ: الأرض بينهما ( وَجِجْرًا مَحْجُورًا ) يعني: حجر أحدهما على الآخر بأمره وقضائه, وهو مثل قوله وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِرًا .

وحدثني محمد بن عمرو, قال: ثنا أبو عاصم, قال: ثنا عيسى; وحدثني الحارث, قال: ثنا الحسن, قال: ثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد ( وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ) قال: محبسا, قوله: ( وَجِجْرًا مَحْجُورًا ) قال: لا يختلط البحر بالعذب.

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد ( وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ) قال: حاجزا لا يراه أحد, لا يختلط العذب في البحر. قال ابن جريج: فلم أجد بحرا عذبا إلا الأنهار العذاب, فإن دجلة تقع في البحر, فأخبرني الخبير بها أنها تقع في البحر, فلا تمر فيه بينهما مثل الخيط الأبيض, فإذا رجعت لم ترجع في طريقها من البحر, والنيل يصب في البحر.

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني أبو تميلة, عن أبي حمزة, عن جابر, عن مجاهد ( وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ) قال: البرزخ أنهما يلتقيان فلا يختلطان, وقوله ( جِجْرًا مَحْجُورًا ) : أي لا تختلط ملوحة هذا بعذوبة هذا, لا يبغى أحدهما على الآخر.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عليه، عن رجاء، عن الحسن، في قوله: ( وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ) قال: هذا اليبس.

حدثنا الحسن، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ( وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ) قال: جعل هذا ملحا أجاجًا، قال: والأجاج: المر.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول: ( مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أَجَاغٌ ) يقول: خلع أحدهما على الآخر، فلا يغير أحدهما طعم الآخر ( وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ) هو الأجل ما بين الدنيا والآخرة ( وَحِجْرًا مَحْجُورًا ) جعل الله بين البحرين حجرا، يقول: حاجزا حجز أحدهما عن الآخر بأمره وقضائه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَجَعَلَ > 284-19 < بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ) وجعل بينهما سترا لا يلتقيان. قال: والعرب إذا كلم أحدهم الآخر بما يكره قال حجرا، قال: سترا دون الذي تقول.

قال أبو جعفر: وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في معنى قوله: ( وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ) دون القول الذي قاله من قال معناه: إنه جعل بينهما حاجزا من الأرض أو من اليبس، لأن الله تعالى ذكره أخبر في أول الآية أنه مرج البحرين، والمرج: هو الخلط في كلام العرب على ما بينت قبل، فلو كان البرزخ الذي بين العذب الفرات من البحرين، والملح الأجاج أرضا أو يبسا لم يكن هناك مرج للبحرين، وقد أخبر جل ثناؤه أنه مرجهما، وإنما عرفنا قدرته بحجزه هذا الملح الأجاج عن إفساد هذا العذب الفرات، مع اختلاط كل واحد منهما بصاحبه. فاما إذا كان كل واحد منهما في حيز عن حيز صاحبه، فليس هناك مرج، ولا هناك من الأعجوبة ما ينبه عليه أهل الجهل به من الناس، ويذكرون به، وإن كان كل ما ابتدعه ربنا عجيبا، وفيه أعظم العبر والمواعظ والحجج البوالغ.

القول في تأويل قوله تعالى : وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (54)

يقول تعالى ذكره: والله الذي خلق من النطف بشرا إنسانا فجعله نسبا، وذلك سبعة، وصهرا، وهو خمسة.

كما حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ( فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ) النسب: سبع، قوله: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ... إلى قوله وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَاللِّصْرَ خَمْسِ، قوله: وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْتَكُمْ ... إلى قوله وَخَلَائِلُ أَبْتَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ .

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله: (وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا) يقول: وربك يا محمد ذو قدرة على خلق ما يشاء من الخلق، وتصريفهم فيما شاء وأراد.

القول في تأويل قوله تعالى : وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا (55)

يقول تعالى ذكره: ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهة لا تنفعهم، فتجلب < 285-19 > إليهم نفعا إذا هم عبدوها، ولا تضرهم إن تركوا عبادتها، ويتركون عبادة من أنعم عليهم هذه النعم التي لا كفاء لأدناها، وهي ما عِدَّ علينا جل جلاله في هذه الآيات من قوله: أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ إلى قوله: قَدِيرًا ، ومن قدرته القدرة التي لا يمتنع عليه معها شيء أراد، ولا يتعذر عليه فعل شيء أراد فعله، ومن إذا أراد عقاب بعض من عصاه من عباده أحلَّ به ما أحلَّ بالذين وصف صفتهم من قوم فرعون وعاد وشمود وأصحاب الرِّسِّ، وقرونا بين ذلك كثيرا، فلم يكن لمن غضب عليه منه ناصر، ولا له عنه دافع ( وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ) يقول تعالى ذكره: وكان الكافر معينا للشيطان على ربه، مظاهرا له على معصيته.

ونحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن ليث، عن مجاهد ( وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ) قال: يظاهر الشيطان على معصية الله بعينه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ) قال: معينا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، عن مجاهد، مثله. قال ابن جُرَيْج: أبو جهل معينا ظاهر الشيطان على ربه.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحسن، في قوله: ( وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ) قال: عوناً للشيطان على ربه على المعاصي.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ) قال: على ربه عوينا. والظهير: العوين. وقرأ قول الله: فَلَا يَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ قال: لا تكونن لهم عوينا. وقرأ أيضا قول الله: وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ قال: ظاهروهم: أعانوهم.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ( وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ) يعني: أبا الحكم الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبا جهل بن هشام.

< 19-286 >

وقد كان بعضهم يوجه معنى قوله: ( وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ) أي وكان الكافر على ربه هينا، من قول العرب: ظهرت به، فلم ألتفت إليه، إذا جعله خلف ظهره فلم يلتفت إليه، وكان الظهير كان عنده فاعيل صرف من مفعول إليه من مظهر به، كأنه قيل: وكان الكافر مظهورا به. والقول الذي قلناه هو وجه الكلام، والمعنى الصحيح، لأن الله تعالى ذكره أخبر عن عبادة هؤلاء الكفار من دونه، فأولى الكلام أن يتبع ذلك ذمه إياهم، وذم فعلهم دون الخبر عن هوانهم على ربهم، ولم يجر لاستكبارهم عليه ذكر، فيتبع بالخبر عن هوانهم عليه.

الهوامش:

(1) البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة (ديوان طبعة القاهرة ، بشرح الدكتور محمد حسين 141) وهو من قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة ، ويمدح عامر بن الطفيل في المنافرة التي جرت بينهما . وقبل البيت قوله :

لَوْ أَسْتَدْتُ مَيِّتًا إِلَىٰ صَدْرِهَا

عَاشَ وَلَمْ يَنْقَلْ إِلَىٰ قَابِرِ

والبيت كذلك في ( اللسان : نشر) قال : ونشر الله الميت ينشره نشرًا ونشورًا ، وأنشره ، فنشر الميت ( برفع الميت ) لا غير : أحياه قال الأعشى : حتى يقول ... " البيت . وهذا محل الشاهد عند المؤلف .

(2) يقال : رجل نشوان ، من السكر ؛ ونشيان للخبر : يختبر الأخبار أول ورودها ، ويبحث عنها . وأصلها الواو .

(3) البيت من مشطور الرجز ، للعجاج الراجز ( ديوانه طبع ليبسك سنة 1093 ص 9 ) وهو البيت الثاني والثمانون من أرجوزته التي مطلعها \* ما هاج أحزانا وشجوا قد شجا \*

وضبط ناشره لفظ ممرج ، بضم الميم الأول وكسر الراء ، والصواب ما في اللسان ، ونقلناه عنه ، وهو اسم مكان من مرج الدابة يمرجها ( من باب نصر ) إذا أرسلها ترعى في المرح .

إلقول في تأويل قوله تعالى : وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (56) قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (57)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ ) يا محمد إلى من أرسلناك إليه ( إِلَّا مُبَشِّرًا ) بالثواب الجزيل، من آمن بك وصدقك، وأمن بالذي جنتهم به من عندي، وعملوا به ( وَتَذِيرًا ) من كذبك وكذب ما جنتهم به من عندي، فلم يصدقوا به، ولم يعملوا ( قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ) يقول له: قل لهؤلاء الذين أرسلتك إليهم، ما أسألكم يا قوم على ما جنتكم به من عند ربي أجرا، فتقولون: إنما يطلب محمد أموالنا بما يدعونا إليه، فلا نتبعه فيه، ولا نعطيه من أموالنا شيئا، ( إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ) يقول: لكن من شاء منكم اتخذ إلى ربه سبيلا طريقا بإنفاقه من ماله في سبيله، وفيما يقربه إليه من الصدقة والنفقة في جهاد عدوه، وغير ذلك من سبل الخير.

القول في تأويل قوله تعالى : وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا (58)

يقول تعالى ذكره: وتوكل يا محمد على الذي له الحياة الدائمة التي لا موت معها، فثق به في أمر ربك وفوض إليه، واستسلم له، واصبر على ما نابت فيه. قوله: ( وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ) يقول: واعبده شكرا منك له على ما أنعم به عليك. قوله: ( وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ < 287-19 > خَبِيرًا ) يقول: وحسبك بالحي الذي لا يموت خبرا بذنوب خلقه، فإنه لا يخفى عليه شيء منها، وهو محص جميعها عليهم حتى يجازيهم بها يوم القيامة.

القول في تأويل قوله تعالى : الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا (59)

يقول تعالى ذكره: وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ( الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ) فقال: ( وَمَا بَيْنَهُمَا ) وقد ذكر السماوات والأرض، والسماوات جماع، لأنه وجه ذلك إلى الصنفين والشئيين، كما قال القطامي:

أَلَمْ يَخْرُجْكَ أَنَّ جِبَالَ قَيْسٍ

وَتَغْلِبَ قَدْ تَبَايَنَّا انْقِطَاعًا (1)

يريد: وجبال تغلب فثنى، والحبال جمع، لأنه أراد الشئيين والنوعين.

وقوله: ( فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ) قيل: كان ابتداء ذلك يوم الأحد، والفرغ يوم الجمعة ( ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ ) يقول: ثم استوى على العرش الرحمن وعلا عليه، وذلك يوم السبت فيما قيل. وقوله: ( فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ) يقول: فاسأل يا

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

محمد خبيرا بالرحمن, خبيرا بخلقه, فإنه خالق كل شيء, ولا يخفى عليه ما خلق.

وينحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قوله: ( فَاسْأَلُ بِهِ حَبِيرًا ) قال: يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم: إذا أخبرتك شيئاً, فاعلم أنه كما أخبرتك, أنا الخبير, والخير في قوله: ( فَاسْأَلُ بِهِ حَبِيرًا ) منصوب على الحال من الهاء التي في قوله به.

القول في تأويل قوله تعالى : **وَلِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا > 19-  
288 < وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا (60)**

يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء الذين يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم: ( اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ ) أي اجعلوا سجودكم لله خالصاً دون الآلهة والأوثان. قالوا: ( أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ).

واختلفت القراء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة: ( لِمَا تَأْمُرُنَا ) بمعنى: أنسجد نحن يا محمد لما تأمرنا أنت أن نسجد له. وقرأته عامة قراء الكوفة " لِمَا يَأْمُرُنَا " بالياء, بمعنى: أنسجد لما يأمر الرحمن, وذكر بعضهم أن مسيلمة كان يُدعى الرحمن, فلما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن, قالوا: أنسجد لما يأمرنا رحمن اليمامة؟ يعنون مسيلمة بالسجود له.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك, أنهما قراءتان مستفيضتان مشهورتان, قد قرأ بكل واحد منهما علماء من القراء, فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وقوله: ( وَزَادَهُمْ نُفُورًا ) يقول: وزاد هؤلاء المشركين قول القائل لهم: اسجدوا للرحمن من إخلاص السجود لله, وإفراد الله بالعبادة بعد ما دعوا إليه من ذلك فرارا.

القول في تأويل قوله تعالى : **تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (61)**

يقول تعالى ذكره: تقدّس الربّ الذي جعل في السماء بروجاً, ويعني بالبروج: القصور, في قول بعضهم.

\* ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا محمد بن العلاء ومحمد بن المثنى وسلم بن جنادة، قالوا: ثنا عبيد الله بن إدريس، قال: سمعت أبي، عن عطية بن سعد، في قوله: (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا) قال: قصورا في السماء، فيها الحرس.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا أبو معاوية، قال: ثنا إسماعيل، عن يحيى بن رافع، في قوله: (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا) قال: قصورا في السماء.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن منصور، عن إبراهيم (جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا) قال: قصورا في السماء.

< 19-289 >

حدثني إسماعيل بن سيف، قال: ثنا علي بن مسهر، عن إسماعيل، عن أبي صالح، في قوله: (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا) قال: قصورا في السماء فيها الحرس.

وقال آخرون: هي النجوم الكبار.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني ابن المثنى، قال: ثنا يعلى بن عبيد، قال: ثنا إسماعيل، عن أبي صالح (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا) قال: النجوم الكبار.

قال: ثنا الضحاك، عن مخلد، عن عيسى بن ميمون، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: الكواكب.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: (بُرُوجًا) قال: البروج: النجوم.

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: هي قصور في السماء، لأن ذلك في كلام العرب وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وقول الأخطل:

كَأَنَّهَا بُرُجٌ رُومِيٌّ يُشَيِّدُهُ

بَانَ بِحِصِّ وَأَجْرٍ وَأَحْجَارٍ (2)

يعني بالبرج: القصر.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قوله: ( وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا ) اختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة ( وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا ) على التوحيد، ووجهوا تأويل ذلك إلى أنه جعل فيها الشمس، وهي السراج التي عني عندهم بقوله: ( وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا ).

كما حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ( وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ) قال: السراج: الشمس.

وقرأته عامة قراء الكوفيين " وَجَعَلَ فِيهَا سُرْجًا " على الجماع، كأنهم وجهوا تأويله: وجعل فيها نجومًا ( وَقَمَرًا مُنِيرًا ) وجعلوا النجوم سرجًا إذ كان يهتدي بها.

< 19-290 >

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار، لكل واحدة منهما وجه مفهوم، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب.

وقوله: ( وَقَمَرًا مُنِيرًا ) يعني بالمنير: المضيء.

القول في تأويل قوله تعالى : وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ سُكُورًا (62)

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ( جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ) فقال بعضهم: معناه: أن الله جعل كل واحد منهما خلفًا من الآخر، في أن ما فات أحدهما من عمل يعمل فيه لله، أدرك قضاؤه في الآخر.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب القمي، عن حفص بن حميد، عن شمر بن عطية، عن شقيق قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: فاتتني الصلاة الليلة، فقال: أدرك ما فاتك من ليلتك في نهارك، فإن الله جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر، أو أراد شكورا.

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ( وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ) يقول: من فاته شيء من الليل أن يعمل أدركه بالنهار، أو من النهار أدركه بالليل.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحسن، في قوله: ( جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ) قال: جعل أحدهما خلفًا للآخر، إن فات رجلا من النهار شيء أدركه من الليل، وإن فاته من الليل أدركه من النهار.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: بل معناه أنه جعل كل واحد منهما مخالفا صاحبه, فجعل هذا أسود وهذا أبيض.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو, قال: ثنا أبو عاصم, قال: ثنا عيسى; وحدثني الحارث, قال: ثنا الحسن, قال: ثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: ( اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خَلْفَةً ) قال: أسود وأبيض.

< 19-291 >

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

حدثنا أبو هشام الرفاعي, قال: ثنا يحيى بن يمان, قال: ثنا سفيان, عن عمر بن قيس بن أبي مسلم الماصر, عن مجاهد ( وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خَلْفَةً ) قال: أسود وأبيض.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أن كل واحد منهما يخلف صاحبه, إذا ذهب هذا جاء هذا, وإذا جاء هذا ذهب هذا.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار, قال: ثنا أبو أحمد الزبيري, قال: ثنا قيس, عن عمر بن قيس الماصر, عن مجاهد, قوله: ( جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خَلْفَةً ) قال: هذا يخلف هذا, وهذا يخلف هذا.

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ( وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خَلْفَةً ) قال: لو لم يجعلهما خلفه لم يدر كيف يعمل, لو كان الدهر ليلا كله كيف يدرى أحد كيف يصوم, أو كان الدهر نهارا كله كيف يدرى أحد كيف يصلي. قال: والخلفة: مختلفان, يذهب هذا ويأتي هذا, جعلهما الله خلفه للعباد, وقرأ ( لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ) والخلفة: مصدر, فلذلك وحدث, وهي خبر عن الليل والنهار; والعرب تقول: خلف هذا من كذا خلفه, وذلك إذا جاء شيء مكان شيء ذهب قبله, كما قال الشاعر:

وَلَهَا بِالْمَاطِرُونَ إِذَا

أَكَلَ التَّمْلُ الَّذِي جَمَعَا

خَلْفَةٌ حَتَّى إِذَا ارْتَبَعَتْ

سَكَنْتُ مِنْ جِلْقِ بَيْعَا (3)

# جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 19-292 >  
وكما قال زهير:

بِهَا الْعَيْنُ وَالْآرَامُ يَمْشِينَ خَلْفَةً  
وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْتَمٍ (4)

يعني بقوله: يمشين خلفه: تذهب منها طائفة، وتخلف مكانها طائفة أخرى. وقد يحتمل أن زهيراً أراد بقوله: خلفه: مختلفات الألوان، وأنها ضروب في ألوانها وهيئاتها. ويحتمل أن يكون أراد أنها تذهب في مشيها كذا، وتجيء كذا.

وقوله ( لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ ) يقول تعالى ذكره: جعل الليل والنهار، وخلوف كل واحد منهما الآخر حجة وآية لمن أراد أن يذكر أمر الله، فينبى إلى الحق ( أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ) أو أراد شكر نعمة الله التي أنعمها عليه في اختلاف الليل والنهار.

وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ( أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ) قال: شكر نعمة ربه عليه فيهما.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ( لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ ) ذاك آية له ( أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ) قال: شكر نعمة ربه عليه فيهما.

واختلف القراء في قراءة قوله: ( يَذَّكَّرَ ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: ( يَذَّكَّرَ ) مشددة، بمعنى يتذكر. وقرأه عامة قراء الكوفيين: " يَذُكَّرُ " < 293-19 > مخففة، وقد يكون التشديد والتخفيف في مثل هذا بمعنى واحد. يقال: ذكرت حاجة فلان وتذكرتها.

والقول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فيهما.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِدَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63)

يقول تعالى ذكره: ( وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) بالحلم والسكينة والوقار غير مستكبرين، ولا متجبرين، ولا ساعين فيها بالفساد ومعاصي الله.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، غير أنهم اختلفوا، فقال بعضهم: عنى بقوله: ( يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) أنهم يمشون عليها بالسكينة والوقار.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ( الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) قال: بالوقار والسكينة.

قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا محمد بن أبي الوضاح، عن عبد الكريم، عن مجاهد: ( يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) قال: بالحلم والوقار.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث؛ قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) قال: بالوقار والسكينة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن الثوري، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ( يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) بالوقار والسكينة.

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: ثنا شريك، عن سالم، عن سعيد وعبد الرحمن ( الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) قالا بالسكينة والوقار.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن شريك، عن جابر، عن عمار، عن > 19- 294 < عكرمة، في قوله: ( يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) قال: بالوقار والسكينة.

قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن أيوب، عن عمرو الملائي ( يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) قال: بالوقار والسكينة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهم يمشون عليها بالطاعة والتواضع.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: (الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوًّا) بالطاعة والعفاف والتواضع.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوًّا) قال: يمشون على الأرض بالطاعة.

حدثني أحمد بن عبد الرحمن، قال: ثنا عمي عبد الله بن وهب، قال: كتب إلي إبراهيم بن سويد، قال: سمعت زيد بن أسلم يقول: التمسيت تفسير هذه الآية (الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوًّا) فلم أجدها عند أحد، فأتيت في النوم فقبل لي: هم الذين لا يريدون يفسدون في الأرض.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن أسامة بن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: لا يفسدون في الأرض.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوًّا) قال: لا يتكبرون على الناس، ولا يتجبرون، ولا يفسدون. وقرأ قول الله تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهم يمشون عليها بالحلم لا يجهلون على من جهل عليهم.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن أبي الأشهب، عن الحسن، في (يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوًّا) قال: علماء، وإن جهل عليهم لم يجهلوا.

< 19-295 >

حدثنا ابن حميد قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة (يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوًّا) قال: علماء.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحسن، في قوله: (يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوًّا) قال: علماء علماء لا يجهلون.

وقوله: (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) يقول: وإذا خاطبهم الجاهلون بالله بما يكرهونه من القول، أجابوهم بالمعروف من القول، والسداد من الخطاب.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا أبو الأشهب، عن الحسن ( وَإِذَا خَاطَبَهُمْ ) ... الآية، قال: حلما، وإن جهل عليهم لم يجهلوا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا ابن المبارك، عن معمر، عن يحيى بن المختار، عن الحسن، في قوله ( وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ) قال: إن المؤمنين قوم ذُلُّ، ذلت منهم والله الأسماع والأبصار والجوارح، حتى يحسبهم الجاهل مرضى، وإنهم لأصحاء القلوب، ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة، فقالوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ وَاللَّهُ مَا حَزَنَهُمْ حَزَنَ الدُّنْيَا، وَلَا تَعَازَمُ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا طَلَبُوا بِهِ الْجَنَّةَ، أَبْكَاهُمُ الْخَوْفُ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَتَعَزَّ بِعِزِّ اللَّهِ تَقَطَّعَ نَفْسَهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسْرَاتٍ، وَمَنْ لَمْ يَرِ لِلَّهِ عَلَيْهِ نِعْمَةٌ إِلَّا فِي مَطْعَمٍ وَمَشْرَبٍ، فَقَدْ قَلَّ عِلْمُهُ وَحَضَرَ عَذَابُهُ.

حدثنا ابن بشار قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ( وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ) قال: سدادا.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا محمد بن أبي الوضاح، عن عبد الكريم، عن مجاهد ( وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ) قال: سدادا من القول.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن الثوري، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد > 19-296 < ( وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ) حلما.

قال: ثنا الحسين، قال: ثنا يحيى بن يمان، عن أبي الأشهب، عن الحسن، قال: حلما لا يجهلون، وإن جهل عليهم حلموا ولم يسفهاوا، هذا نهارهم فكيف ليهم - خير ليل - صفوا أقدامهم، وأجروا دموعهم على خدودهم يطلبون إلى الله جل ثناؤه في فكاك رقابهم.

قال: ثنا الحسين، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا عبادة، عن الحسن، قال: حلما لا يجهلون وإن جهل عليهم حلموا.

القول في تأويل قوله تعالى : وَالَّذِينَ يَبِينُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (64) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (65) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (66)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره: والذين يبيتون لربهم يصلون لله، يراوحون بين سجود في صلاتهم وقيام. وقوله: ( وَقِيَامًا ) جمع قائم، كما الصيام جمع صائم ( وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ) يقول تعالى ذكره: والذين يدعون الله أن يصرف عنهم عقابه وعذابه حذرا منه ووجلا . وقوله: ( إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ) يقول: إن عذاب جهنم كان غراما ملحا دائما لازما غير مفارق من عذب به من الكفار، ومهلكا له. ومنه قولهم: رجل مُعْرَم، من العُرْم والذَّين. ومنه قيل للغريم غريم لطلبه حقه، وإلحاحه على صاحبه فيه. ومنه قيل للرجل المولع للنساء: إنه لمغرم بالنساء، وفلان مغرم بفلان: إذا لم يصبر عنه؛ ومنه قول الأعرابي:

إِنْ يُعَاقِبَ يَكُنْ غَرَامًا وَإِنْ يُعْ

طَ جَزِيلًا فَإِنَّهُ لَا يِبَالِي (5)

يقول: إن يعاقب يكن عقابه عقابا لازما، لا يفارق صاحبه مهلكا له، وقول > 297-19 < بشر بن أبي خازم:

وَيَوْمَ التَّسَارِ وَيَوْمَ الْجِيفَا

رِ كَانَ عِقَابًا وَكَانَ غَرَامًا (6)

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني علي بن الحسن اللاني، قال: أخبرنا المعافي بن عمران الموصلي، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب في قوله: ( إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ) قال: إن الله سأل الكفار عن نعمه، فلم يردوها إليه، فأغرمهم، فأدخلهم النار.

قال: ثنا المعافي، عن أبي الأشهب، عن الحسن، في قوله: ( إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ) قال: قد علموا أن كلَّ غريم مفارق غريمه إلا غريم جهنم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ) قال: الغرام: الشر.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، في قوله: ( إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ) قال: لا يفارقه.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله ( إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ) يقول: إن جهنم ساءت مستقرًّا ومقامًا, يعني بالمستقرّ: القرار, وبالمقام: الإقامة; كان معنى الكلام: ساءت جهنم منزلاً < 298-19 > ومقامًا. وإذا ضمت الميم من المقام فهو من الإقامة, وإذا فتحت فهو من قمت, ويقال: المقام إذا فتحت الميم أيضا هو المجلس, ومن المقام بضمّ الميم بمعنى الإقامة, قول سلامة بن جندل:

يَوْمَانِ: يَوْمٌ مُّقَامَاتٍ وَأَنْدِيَةٍ

وَيَوْمٌ سَيْرٍ إِلَى الْأَعْدَاءِ تَأْوِيَبَ (7)

ومن المقام الذي بمعنى المجلس, قول عباس بن مرداس:

فَأَيُّ مَا وَأَيْكَ كَانَ شَرًّا

فَقِيدَ إِلَى الْمَقَامَةِ لَا يَرَاهَا (8)

يعني: المجلس.

القول في تأويل قوله تعالى : وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (67)

يقول تعالى ذكره: والذين إذا أنفقوا أموالهم لم يسرفوا في إنفاقها.

ثم اختلف أهل التأويل في النفقة التي عنها الله في هذا الموضع, وما الإسراف فيها والإقتار. فقال بعضهم: الإسراف ما كان من نفقة في معصية الله وإن قلت: قال: وإياها عني الله, وسماها إسرافا. قالوا: والإقتار: المنع من حقّ الله.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ, قال: ثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: ( وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ) قال: هم المؤمنون لا يسرفون فينفقون في معصية الله, ولا يُقترون فيمنعون حقوق الله تعالى.

< 19-299 >

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد، قال: لو أنفقت مثل أبي قبيس ذهباً في طاعة الله ما كان سرفاً، ولو أنفقت صاعاً في معصية الله كان سرفاً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قوله: ( وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ) قال: في النفقة فيما نهاهم وإن كان درهماً واحداً، ولم يقتروا ولم يُقَصِّرُوا عن النفقة في الحق.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ( وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ) قال: لم يسرفوا فينفقوا في معاصي الله كل ما أنفق في معصية الله، وإن قل فهو إسراف، ولم يقتروا فيمسكوا عن طاعة الله. قال: وما أمسيك عن طاعة الله وإن كثر فهو إقتار.

قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني إبراهيم بن نسيطة، عن عمر مولى عُفرة أنه سئل عن الإسراف ما هو؟ قال: كل شيء أنفقته في غير طاعة الله فهو سرف.

وقال آخرون: السرف: المجاوزة في النفقة الحد، والإقتار: التقصير عن الذي لا بد منه.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا عبد السلام بن حرب، عن مغيرة، عن إبراهيم، قوله: ( وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ) قال: لا يجيعهم ولا يعريهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف.

حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال: ثنا محمد بن يزيد بن خنيس أبو عبد الله المخزومي المكي، قال: سمعت وهيب بن الورد أبا الورد مولى بني مخزوم، قال: لقي عالم عالماً هو فوقه في العلم، فقال: يرحمك الله أخبرني عن هذا البناء الذي لا إسراف فيه ما هو؟ قال: هو ما سترك من الشمس، وأكنك من المطر، قال: يرحمك الله، فأخبرني عن هذا الطعام الذي نصيبه لا إسراف فيه ما هو؟ قال: ما سدّ الجوع ودون الشبع، قال: يرحمك الله، فأخبرني عن هذا اللباس الذي لا إسراف فيه ما هو؟ قال: ما ستر عورتك، وأدفاك من البرد.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عبد الرحمن بن شريح، > 300-19 < عن يزيد بن أبي حبيب في هذه الآية: ( وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا ... الآية، قال: كانوا لا يلبسون ثوباً للجمال، ولا يأكلون طعاماً للذة، ولكن كانوا يريدون من اللباس ما يسترون به عورتهم، ويكتنون به من الحرّ والقرّ، ويريدون من الطعام ما سدّ عنهم الجوع، وقواهم على عبادة ربهم.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن العلاء بن عبد الكريم، عن يزيد بن مزة الجعفي. قال: العلم خير من العمل، والحسنة بين السيئتين، يعني: إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا، وخير الأعمال أوساطها.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مسلم بن إبراهيم، قال: ثنا كعب بن فروخ، قال: ثنا قتادة، عن مطرف بن عبد الله، قال: خير هذه الأمور أوساطها، والحسنة بين السيئتين. فقلت لقتادة: ما الحسنة بين السيئتين؟ فقال: ( وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ) ... الآية.

وقال آخرون: الإسراف هو أن تأكل مال غيرك بغير حق.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا سالم بن سعيد، عن أبي مَعْدَانَ، قال: كنت عند عون بن عبد الله بن عتبة، فقال: ليس المسرف من يأكل ماله، إنما المسرف من يأكل مال غيره.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك، قول من قال: الإسراف في النفقة الذي عناه الله في هذا الموضوع: ما جاوز الحد الذي أباحه الله لعباده إلى ما فوقه، والإقتار: ما قصر عما أمر الله به، والقوام: بين ذلك.

وإنما قلنا إن ذلك كذلك، لأن المسرف والمقتِر كذلك، ولو كان الإسراف والإقتار في النفقة مرخصا فيهما ما كانا مذمومين، ولا كان المسرف ولا المقتِر مذموما، لأن ما أذن الله في فعله فغير مستحق فاعله الذم.

فإن قال قائل: فهل لذلك من حدٍّ معروف تبينه لنا؟ قيل: نعم ذلك مفهوم في كلِّ شيء من المطاعم والمشارب والملابس والصدقة وأعمال البرِّ وغير ذلك، نكره تطويل الكتاب بذكر كلِّ نوع من ذلك مفصلا غير أن جملة ذلك هو ما بيننا وذلك نحو أكل أكل من الطعام فوق الشيع ما يضعف بدنه، وينهك قواه ويشغله عن طاعة < 301-19 > ربه، وأداء فرائضه؛ فذلك من السرف، وأن يترك الأكل وله إليه سبيل حتى يضعف ذلك جسمه وينهك قواه ويضعفه عن أداء فرائض ربه؛ فذلك من الإقتار وبين ذلك القوام على هذا النحو، كل ما جانس ما ذكرنا، فأما اتخاذ الثوب للجمال يلبسه عند اجتماعه مع الناس، وحضوره المحافل والجمع والأعياد دون ثوب مهنته، أو أكله من الطعام ما قواه على عبادة ربه، مما ارتفع عما قد يسدُّ الجوع، مما هو دونه من الأغذية، غير أنه لا يعين البدن على القيام لله بالواجب معونته، فذلك خارج عن معنى الإسراف، بل ذلك من القوام، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر ببعض ذلك، وحضَّ على بعضه، كقوله: " مَا عَلَى أَحَدِكُمْ لَوْ اتَّخَذَ تَوْبِينَ: تَوْبًا لِمَهْنَتِهِ، وَتَوْبًا لِحُمُوعِهِ وَعَيْدِهِ " وكقوله: " إِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً أَحَبَّ أَنْ يَرَى أُمَّرَهَا عَلَيْهِ " وما أشبه ذلك من الأخبار التي قد بيناها في مواضعها.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأما قوله: ( وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ) فإنه النفقة بالعدل والمعروف على ما قد بينا.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن أبي سليمان، عن وهب بن منبه، في قوله: ( وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ) قال: الشطر من أموالهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ( وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ) النفقة بالحق.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ) قال: القوام: أن ينفقوا في طاعة الله، ويمسكوا عن محارم الله.

قال: أخبرني إبراهيم بن نشيط، عن عمر مولى عُفْرَةَ، قال: قلت له: ما القوام؟ قال: القوام: أن لا تنفق في غير حق، ولا تمسك عن حق هو عليك. والقوام في كلام العرب، بفتح القاف، وهو الشيء بين الشئيين. تقول للمرأة المعتدلة الخلق: إنها لحسنة القوام في اعتدالها، كما قال الحطيئة:

طَافَتْ أَمَامَهُ بِالرُّكْبَانِ آوَتَهُ

يا حُسْنَهُ مِنْ قَوَامٍ مَا وَمُنْتَقَبَا (9)

< 19-302 >

فأما إذا كسرت القاف فقلت: إنه قوام أهله، فإنه يعني به: أن به يقوم أمرهم وشأنهم. وفيه لغات آخر، يقال منه: هو قيام أهله وقيامهم في معنى قوامهم. فمعنى الكلام: وكان إنفاقهم بين الإسراف والإقتار قواما معتدلا لا مجاوزة عن حد الله، ولا تقصيرا عما فرضه الله، ولكن عدلا بين ذلك على ما أباحه جل ثناؤه، وأذن فيه ورخص.

واختلفت القراء في قراءة قوله: ( وَلَمْ يَقْتُرُوا ) فقرأته عامة قراء المدينة " وَلَمْ يَقْتُرُوا " بضم الياء وكسر التاء من أقتَر يَقْتِر. وقراءته عامة قراء الكوفيين ( وَلَمْ يَقْتُرُوا ) بفتح الياء وضم التاء من قتر يَقْتِر. وقراءته عامة قراء البصرة " وَلَمْ يَقْتُرُوا " بفتح الياء وكسر التاء من قتر يَقْتِر.

# جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

والصواب من القول في ذلك، أن كل هذه القراءات على اختلاف ألفاظها لغات مشهورات في العرب، وقراءات مستفيضات وفي قراء الأمصار بمعنى واحد، فبأيتها قرأ القارئ فمصيب.

وقد بينا معنى الإسراف والإقتار بشواهدهما فيما مضى في كتابنا في كلام العرب، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضوع. وفي نصب القوام وجهان: أحدهما ما ذكرت، وهو أن يجعل في كان اسم الإنفاق بمعنى: وكان إنفاقهم ما أنفقوا بين ذلك قواما: أي عدلا والآخر أن يجعل بين هو الاسم، فتكون وإن كانت في اللفظة نصبا في معنى رفع، كما يقال: كان دون هذا لك كافيا، يعني به: أقل من هذا كان لك كافيا، فكذلك يكون في قوله: ( وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ) لأن معناه: وكان الوسط من ذلك قواما.

الهوامش:

(1) البيت للقطامي ، وقد سبق الكلام عنه مفصلا ، والشاهد فيه هنا : أن الشاعر قال : "تبايتنا" بالثنية ، مع أن حبال جمع حبل . والمسوغ لذلك : أن حبال قيس جماعة ، وحبال تغلب جماعة أخرى ، فعاملهما في إعادة الضمير عليهما معاملة المفردين ، ومثله في القرآن : { الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما } لأنه وجه ذلك إلى الصفتين .  
(2) البيت للأخطل كما قال المؤلف . والبرج : المراد به القصر كما قاله . وقد كثر في كلام العرب تشبيه إبل السفر القوية الموثقة الخلق بأبنية الرومي ، ومن ذلك قول طرفة في وصف ناقته :

كَقَطْرَةِ الرَّومِيِّ أَقْسَمَ رَبُّهَا

لَتُكْتَفَنَ حَتَّى تُشَادَ بِقَرْمَدٍ

والبيت شاهد على أن البرج معناه : القصر .  
(3) البیتان ليزيد بن معاوية من مقطوعة له ذكرها صاحب (خزانة الأدب الكبرى 3: 278-280) قالها متغزلا في امرأة نصرانية كانت قد ترهبت في دير عند الماطرون وهو بستان بظاهر دمشق . وفي الأبيات "خرفة" في موضع "خلفة" وخرافة بضم الخاء : ما يخترف ويجتنى ، وهذه رواية المبرد في الكامل .

ورواية المؤلف موافقة لرواية صاحب العباب ، وكذلك رواها العيني عن أبي القوطية قال : الرواية : هي الخلفة باللام ، وهو ما يطلع من الثمر بعد الثمر الطيب . قال البغدادي : والجيد عندي رواية الخلفة ، على أنها اسم من الاختلاف ، أي التردد . وارتبعت : دخلت في الربيع . وپروی : ربت ، بمعناه .

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وبروى : ذكرت : بدل سكنت ، وجلق : مدينة بالشام ، والبيع : جمع بيعة بكسر الباء، وهي متعبد . قال الجوهري وصاحبها العباب ، والمصباح : هي للنصارى ، وقال العيني : البيعة: لليهود ، والكنيسة للنصارى ، وهذا لا يناسب قوله إن الشعر في نصرانية . ومعنى البيتين : إن لهذه المرأة تردداً إلى الماطرون في الشتاء ، فإن النمل يخزن الحب في الصيف ، ليأكله في الشتاء ؛ وإذا دخلت في أيام الربيع ارتحلت إلى البيع التي بجلق . ا . هـ . وأورد المؤلف الشعر شاهداً على معنى الخلفة كما شرحه البغدادي .

(4) البيت من معلقة زهير بن أبي سلمى ( مختار شعر جاهلي ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ص 228 ) قال شارحه : العين : جمع عيناء ، بقر الوحش . والآرام : جمع رئم ، وهو الظبي الخالص البياض . وخلفة : يخلف بعضها بعضاً . والأطلاء : جمع الطلاء ، وهو الولد من ذوات الظلف . والمجثم : المريض ، والشاهد في البيت عند المؤلف في قوله "خلفة" كما في الشاهد الذي قبله : أي يذهب بعضها ويخلفه بعض .

(5) البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة ( ديوانه طبع القاهرة ، بشرح الدكتور محمد حسين ، ص 9 ) وهو من قصيدة يمدح بها الأسود بن المنذر اللخمي ، وأولها ما بكاء الكبير بالأطلال

والغرام الشر الدائم ، ومنه قوله تعالى { إن عذابها كان غراماً } أي هلاكاً ولزاماً لهم . يقول : إن عاقب كان غراماً ، وإن أعطى لم يبالي العذال .

(6) البيت لبشر بن أبي خازم كما قال المؤلف . وفي اللسان نسبه للطرماح . قال : والغرام : اللازم من العذاب ، والشر الدائم ، والبلاء ، والحب ، والعشق ، وما لا يستطيع أن يتفصى منه ، وقال الزجاج : هو أشد العذاب في اللغة . قال الله عز وجل : { إن عذابها كان غراماً } ، وقال الطرماح : " ويوم النصار .. " البيت . وقوله عز وجل : { إن عذابها كان غراماً } : أي ملحاً دائماً ملازماً . وفي معجم ما استعجم للبكري ( طبعة القاهرة ص 385 ) الجفار : بكسر أوله ، وبالراء المهملة : موضع بنجد ، وهو الذي عنى بشر بن أبي خازم بقوله : " ويوم الجفار .. " البيت . وقال أبو عبيدة : الجفار : في بلاد بني تميم . وقال البكري في رسم النصار : النصار ، بكسر أوله : على لفظ الجمع ، وهي أجبل صغار ، شبهت بالنسر واقعة ، وذكر ذلك أبو حاتم . وقال في موضع آخر : هي ثلاث قارات سود ، تسمى الأنسر . وهناك أوقعت طيئ وأسد وغطفان ، وهم حلفاء لبني عامر وبني تميم ، ففرت تميم ، وثبتت بنو عامر ، فقتلوهم قتلاً شديداً ؛ فغضبت بنو تميم لبني عامر ، فجمعوا ولقوهم يوم الجفار ، فلقيت أشد مما لقيت بنو عامر ، فقال بشر ابن أبي خازم :

عَصَبَتْ تَمِيمٌ أَنْ تُقْتَلَ عَامِرٌ

يَوْمَ النَّسَارِ فَأَعْقَبُوا بِالصَّيْلَمِ

قلت : الصيلم : الداھية المستأصلة . وفي رواية : فأعتبوا

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(7) البيت لسلامة بن جندل ، كما قال المؤلف . ( وانظر اللسان : أوب ) .  
والمقامات جمع مقامة ، بمعنى الإقامة ، والتأويب في كلام العرب : سير  
النهار كله إلى الليل . يقول : إننا نمضي حياتنا على هذا النحو : نجعل يوماً  
للإقامة ، يجتمع أولو الرأي فينا في أنديةهم ومجالسهم ، ليتشاوروا ويدبروا  
أمر القبيلة ؛ واليوم الآخر نجعله للإغارة على الأعداء نشئنا عليهم ، ولو سرنا  
إليهم النهار كله فما نبالي ، لأننا أهل عزة ومنعة . واستشهد به المؤلف عند  
قوله تعالى في صفة جهنم : { إنها ساءت مستقراً ومقاماً } أي إقامة .  
(8) البيت لعباس بن مرداس ، أنشده ابن بري في ( اللسان : قوم ) وهو  
شاهد على أن المقام والمقامة ، بفتح الميم : المجلس . وقال البغدادي في  
الخرزانه ( 2 : 230 ) يدعو على الشر منهما ، أي من كان منا شراً أعماه الله  
في الدنيا ، فلا يبصر حتى يقاد إلى مجلسه . وقال شارح اللباب : أي قيد  
إلى مواضع إقامة الناس وجمعهم في العرصات لا يراها ، أي قيد أعمى لا  
يرى المقامة . والبيت من جملة أبيات للعباس بن مرداس السلمي ، قالها  
لخفاف بن ندبه في أمر شجر بينهما .

(9) البيت للحطيئة : وأونة : جمع أوان . والقوام : حسن الطول . والمنتقب :  
مصدر ميمي بمعنى الانتقاب . يقول : إن أمانة كانت أحياناً تطوف بالركبان ،  
فما أعدل قوامها ، وأحسن نقيبها . والنقاب : ما وضع على مارن الأنف من  
أغطية الوجه . والنقبة : هيئة الانتقاب به ، يقال : إن فلانة لحسنة النقبة .  
ويكون معنى القوام كذلك : الشيء الوسط بين الشئيين . وقد حمل عليه  
المؤلف معنى البيت .

القول في تأويل قوله تعالى : وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا  
يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ( )  
(68) يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا (69) < 303-19 > إلا  
مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ  
اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (70) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (71)

يقول تعالى ذكره: والذين لا يعبدون مع الله إلهاً آخر، فيشركون في عبادتهم  
إياه، ولكنهم يخلصون له العباداة ويفردونه بالطاعة ( وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي  
حَرَّمَ اللَّهُ ) قتلها ( إِلَّا بِالْحَقِّ ) إما بكفر بالله بعد إسلامها، أو زنا بعد إحصانها،  
أو قتل نفس، فتقتل بها ( وَلَا يَزْنُونَ ) فيأتون ما حرم الله عليهم إتيانه من  
الفروج ( وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ) يقول: ومن يأت هذه الأفعال، فإدعا مع الله إلهاً  
آخر، وقتل النفس التي حرم الله بغير الحق، وزنى ( يَلْقَى أَثَامًا ) يقول: يلق من  
عقاب الله عقوبة ونكالا كما وصفه ربنا جل ثناؤه، وهو أنه ( يُضَاعَفُ لَهُ  
الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا )، ومن الأثام قول بلعاء بن قيس  
الكناني:

جَرَى اللَّهُ ابْنَ عُرْوَةَ حَيْثُ أَمْسَى

عُفُوقًا وَالْعُفُوقُ لَهُ أَثَامٌ (1)



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يعني بالأثام: العقاب.

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل قوم من المشركين أرادوا الدخول في الإسلام، ممن كان منه في شركه هذه الذنوب، فخافوا أن لا ينفعهم مع ما سلف منهم من ذلك إسلام، فاستفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية، يعلمهم أن الله قابل توبة من تاب منهم.

< 19-304 >

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: ثني يعلي بن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أن ناسا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا، فأتوا محمداً صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن الذي تدعوننا إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزلت ( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ) ونزلت: قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِلَىٰ قَوْلِهِ: مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَعَثَ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ قال ابن جريج: وقال مجاهد مثل قول ابن عباس سواء.

حدثنا عبد الله بن محمد الفريابي، قال: ثنا سفيان، عن أبي معاوية، عن أبي عمرو الشيباني، عن عبد الله، قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: ما الكبائر؟ قال: أَنْ تَدْعُوَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلْقَكَ وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَأْكَلَ مَعَكَ، وَأَنْ تُزْنِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ، وقرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتاب الله ( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ).

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا سفيان عن الأعمش ومنصور، عن أبي وائل، عن عمرو بن شرحبيل، عن عبد الله، قال: قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلْقَكَ، قلت: ثم أي؟ قال: أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ حَسْبِيَّةً أَنْ يَأْكَلَ مَعَكَ، قلت: ثم أي؟ قال: أَنْ تُزْنِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ " فأنزل تصديق قول النبي صلى الله عليه وسلم: ( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ) " ... الآية.

حدثنا سليمان بن عبد الجبار، قال: ثنا علي بن قادم، قال: ثنا أسباط بن نصر الهمداني، عن منصور، عن أبي وائل، عن أبي ميسرة، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم، نحوه.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي، قال: ثني عمي يحيى بن عيسى، < 305-19 > عن الأعمش، عن سفيان، عن عبد الله قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أي الذنب أكبر؟ ثم ذكر نحوه.

حدثني أحمد بن إسحاق الأهوازي، قال: ثنا عامر بن مدرك، قال: ثنا السري - يعني ابن إسماعيل - قال: ثنا الشعبي، عن مسروق، قال: قال عبد الله: " خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، فاتبعته، فجلس على نَشْرٍ من الأرض، وقعدت أسفل منه، ووجهي حيال ركبتيه، فاغتنمت خلوته وقلت: بأبي وأمي يا رسول الله، أي الذنوب أكبر؟ قال: " أَنْ تَدْعُوَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ. قلت: ثم مه؟ قال: " أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ كَرَاهِيَةً أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ ". قلت: ثم مه؟ قال: " أَنْ تُرَانِي حَلِيلَةَ جَارِكَ ", ثم تلا هذه الآية: ( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ) ... إلى آخر الآية.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا طلق بن غنام، عن زائدة، عن منصور، قال: ثني سعيد بن جبير، أو حدثت عن سعيد بن جبير، أن عبد الرحمن بن أبي أمره أن يسأل ابن عباس عن هاتين الآيتين التي في النساء ( وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ... إلى آخر الآية، والآية التي في الفرقان ( وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَتَمًا ) إلى ( وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ) قال ابن عباس: إذا دخل الرجل في الإسلام وعلم شرائع وأمره، ثم قتل مؤمنا متعمدا، فلا توبة له، والتي في الفرقان لما أنزلت قال المشركون من أهل مكة: فقد عدلنا بالله، وقتلنا النفس التي حرم الله بغير الحق، فما ينفعنا الإسلام؟ قال: فنزلت ( إِلَّا مَنْ تَابَ ) قال: فمن تاب منهم قبل منه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، قال: ثني سعيد بن جبير، أو قال: حدثني الحكم عن سعيد بن جبير، قال: أمرني عبد الرحمن بن أبي، فقال: سل ابن عباس، عن هاتين الآيتين، ما أمرهما عن الآية التي في الفرقان ( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ) الآية، والتي في النساء ( وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ) فسألت ابن عباس عن ذلك، فقال: لما أنزل الله التي في الفرقان، قال مشركو أهل مكة: قد قتلنا النفس التي حرم الله، ودعونا مع الله إليها آخر، فقال: ( إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ) الآية. فهذه لأولئك. وأما التي في النساء ( وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ) ... الآية، فإن الرجل إذا عرف الإسلام، ثم قتل مؤمنا متعمدا، فجزاؤه جهنم، فلا توبة له. فذكرته لمجاهد، < 306-19 > فقال: إلا من ندم.

حدثنا محمد بن عوف الطائي، قال: ثنا أحمد بن خالد الذهني، قال: ثنا شيبان، عن منصور بن المعتمر، قال: ثني سعيد بن جبير، قال لي سعيد بن عبد الرحمن بن أبي: سل ابن عباس، عن هاتين الآيتين عن قول الله: ( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ) ... إلى ( مَنْ تَابَ ) وعن قوله ( وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ) ... إلى آخر الآية، قال: فسألت عنها ابن عباس، فقال: أنزلت هذه الآية في الفرقان بمكة إلى قوله ( وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ) فقال المشركون: فما

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يغني عنا الإسلام، وقد عدلنا بالله، وقتلنا النفس التي حرم الله، وأتينا الفواحش، قال: فأنزل الله (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا) ... إلى آخر الآية، قال: وأما من دخل في الإسلام وعقله، ثم قتل، فلا توبة له.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال في هذه الآية (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) ... الآية، قال: نزلت في أهل الشرك.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن منصور، عن سعيد بن جبير، قال: أمرني عبد الرحمن بن أبيزى أن أسأل ابن عباس عن هذه الآية (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) فذكر نحوه.

حدثني عبد الكريم بن عمير، قال: ثنا إبراهيم بن المنذر، قال: ثنا عيسى بن شعيب بن ثوبان، مولى لبي الديلم من أهل المدينة، عن فليح الشماس، عن عبيد بن أبي عبيد، عن أبي هريرة، قال: "صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العتمة، ثم انصرفت فإذا امرأة عند بابي، ثم سلمت، ففتحت ودخلت، فبينما أنا في مسجدي أصلي، إذ نقرت الباب، فأذنت لها، فدخلت فقالت: إني جئتك أسألك عن عمل عملت، هل لي من توبة؟ فقالت: إني زويت وولدت، فقتلته، فقلت: ولا لا نعمت العين ولا كرامة، فقامت وهي تدعو بالحسرة تقول: يا حسرتاه، أخلق هذا الحسن للنار؟ قال: ثم صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح من تلك الليلة، ثم جلسنا نتظر الإذن عليه، فأذن لنا، فدخلنا، ثم خرج من كان معي، وتخلفت، فقال: مَا لَكَ يَا أبا هُرَيْرَةَ، أَلَيْكَ حَاجَةٌ؟ فقلت له: يا رسول الله صليت معك البارحة ثم < 307-19 > انصرفت. وقصصت عليه ما قالت المرأة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما قُلتَ لَهَا؟ قال: قلت لها: لا والله، ولا نعمت العين ولا كرامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بئسَ مَا قُلتَ، أَمَا كُنْتَ تَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) ... الآية (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا) فقال أبو هريرة: فخرجت، فلم أترك بالمدينة حصنا ولا دارًا إلا وقفت عليه، فقلت: إن تكن فيكم المرأة التي جاءت أبا هريرة الليلة، فلتأتني ولتبشرني، فلما صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم العشاء، فإذا هي عند بابي، فقلت: أبشري، فإني دخلت على النبي، فذكرت له ما قلت لي، وما قلت لك، فقال: وبئسَ مَا قُلتَ لها، أَمَا كُنْتَ تَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ؟ فقرأتها عليها، فخرت ساجدة، فقالت: الحمد لله الذي جعل مخرجًا وتوبة مما عملت، إن هذه الجارية وابنها حران لوجه الله، وإني قد تبت مما عملت."

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا جعفر بن سليمان، عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، قال: اختلفت إلى ابن عباس ثلاث عشرة سنة، فما شيء من القرآن إلا سألته عنه، ورسولي يختلف إلى عائشة، فما سمعته ولا سمعت أحدا من العلماء يقول: إن الله يقول لذنب: لا أغفره.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: هذه الآية منسوخة بالتي في النساء.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني المغيرة بن عبد الرحمن الحراني، عن أبي الزناد، عن خارجة بن زيد أنه دخل على أبيه وعنده رجل من أهل العراق، وهو يسأله عن هذه الآية التي في تبارك الفرقان، والتي في النساء وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فقال زيد بن ثابت: قد عرفت الناسخة من المنسوخة، نسختها التي في النساء بعدها بستة أشهر.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال الضحاك بن مزاحم: هذه السورة بينها وبين النساء وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ثمان حجج. وقال ابن جريج: وأخبرني القاسم بن أبي بزة أنه سأل سعيد بن جبير: هل لمن قتل مؤمنا متعمدا توبة؟ فقال: لا فقرأ عليه هذه الآية كلها، فقال سعيد بن جبير: < 308-19 > قرأتها على ابن عباس كما قرأتها علي، فقال: هذه مكية، نسختها آية مدنية، التي في سورة النساء، وقد أتينا على البيان عن الصواب من القول في هذه الآية التي في سورة النساء بما أغنى عن إعادته في هذا الموضوع.

وينحو الذي قلنا في الأثام من القول، قال أهل التأويل، إلا أنهم قالوا: ذلك عقاب يعاقب الله به من أتى هذه الكبائر بواد في جهنم يُدعى أثاما.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني أحمد بن المقدم، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت أبي يحدث، عن قتادة، عن أبي أيوب الأزدي، عن عبد الله بن عمرو، قال: الأثام: واد في جهنم.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعًا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: (يَلْقَى أَثَامًا) قال: واديا في جهنم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، حدثنا ابن حميد قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة، في قوله: ( وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ) قال: واديا في جهنم فيه الزناة.

حدثني العباس بن أبي طالب، قال: ثنا محمد بن زياد، قال: ثنا شرقي بن قطن، عن لقمان بن عامر الخزاعي، قال: جئت أبا أمامة صدي بن عجلان الباهلي، فقلت: حدثني حديثًا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فدعا لي بطعام، ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لَوْ أَنَّ

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

صَخْرَةً زَيْتَةً عَشْرَ عَشْرَوَاتٍ فُذِفَ بِهَا مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ مَا بَلَغَتْ قَعْرَهَا حَمْسِينَ خَرِيفًا، ثُمَّ تَنْتَهِي إِلَى عَيٍّْ وَأَثَامٍ". قلت: وما عَيٍّْ وَأَثَامٍ؟ قال: يَنْتَرَانُ فِي أَسْفَلِ جَهَنَّمَ يَسِيلُ فِيهِمَا صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ، وَهُمَا اللَّذَانِ ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ أَصَاغُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَيًّْا وَقَوْلُهُ فِي الْفَرْقَانِ ( وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ).

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( يَلْقَى أَثَامًا ) قال: الأثام الشرُّ، وقال: سيكفيك ما وراء ذلك: ( يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ).

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ( يَلْقَى أَثَامًا ) قال: نكالا قال: وقال: إنه واد في جهنم.

< 19-309 >

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن هشيم، قال: أخبرنا زكريا بن أبي مريم قال: سمعت أبا أمامة الباهلي يقول: إن ما بين شفير جهنم إلى قعرها مسيرة سبعين خريفا بحجر يهوي فيها أو بصخرة تهوي، عظمها كعشر عشرافات سمان، فقال له رجل: فهل تحت ذلك من شيء؟ قال: نعم عَيٍّْ وَأَثَامٍ.

قوله: ( يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) اختلفت القراء في قراءته، فقرأته عامة قراء الأمصار بسوى عاصم ( يُضَاعَفُ ) جزما ( وَيَخْلُدُ ) جزما. وقرأه عاصم: ( يُضَاعَفُ ) رفعا ( وَيَخْلُدُ ) رفعا كلاهما على الابتداء، وأن الكلام عنده قد تنهى عند ( يَلْقَى أَثَامًا ) ثم ابتداء قوله: ( يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ ). والصواب من القراءة عندنا فيه: جزم الحرفين كليهما: يضاعف، ويخلد، وذلك أنه تفسير للأثام لا فعل له، ولو كان فعلا له كان الوجه فيه الرفع، كما قال الشاعر:

مَتَى تَأْتِيهِ تَعَشُّوْا إِلَى صَوِّهِ تَارِهِ

تَجِدُ حَيْرَ تَارٍ عِنْدَهَا حَيْرٌ مُوقِدٍ (2)

فرغ تعشوا، لأنه فعل لقوله تأته، معناه: متى تأته عاشيا.

وقوله ( وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ) ويبقى فيه إلى ما لا نهاية في هوان. وقوله: ( إِلَّا مَنْ > 310-19 < تَابَ وَأَمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ) يقول تعالى ذكره: ومن يفعل هذه الأفعال التي ذكرها جل ثناؤه يلقى أثاما ( إِلَّا مَنْ تَابَ ) يقول: إلا من راجع طاعة الله تبارك وتعالى بتركه ذلك، وإنابته إلى ما يرضاه الله ( وَأَمَنَ ) يقول: وصدق بما جاء به محمد نبي الله ( وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ) يقول: وعمل بما أمره الله من الأعمال، وانتهى عما نهاه الله عنه.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قوله: ( فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ). اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: فأولئك يبذل الله بقبايح أعمالهم في الشرك، محاسن الأعمال في الإسلام، فيبدله بالشرك إيماناً، ويقبل أهل الشرك بالله قيل أهل الإيمان به، وبالزنا عفة وإحصاناً.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ( فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ) قال: هم المؤمنون كانوا قبل إيمانهم على السيئات، فرغب الله بهم عن ذلك، فحوّلهم إلى الحسنات، وأبدلهم مكان السيئات حسنات.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ( إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ) ... إلى آخر الآية، قال: هم الذين يتوبون فيعملون بالطاعة، فيبدل الله سيئاتهم حسنات حين يتوبون.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن سعيد، قال: نزلت ( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ) ... إلى آخر الآية في وحشي وأصحابه، قالوا: كيف لنا بالتوبة، وقد عبدنا الأوثان، وقتلنا المؤمنين، ونكحنا المشركيات، فأنزل الله فيهم ( إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ) فأبدلهم الله بعبادة الأوثان عبادة الله، وأبدلهم بقتالهم مع المشركين قتالاً مع المسلمين للمشركين، وأبدلهم بنكاح المشركيات نكاح المؤمنات.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قال ابن عباس، في قوله: ( فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ) قال: بالشرك إيماناً، وبالقتل إمساكاً، والزنا إحصاناً.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت > 311-19 الضحاك يقول في قوله: ( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ) وهذه الآية مكية نزلت بمكة ( وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ) يعني: الشرك، والقتل، والزنا جميعاً. لما أنزل الله هذه الآية قال المشركون من أهل مكة: يزعم محمد أن من أشرك وقتل وزنى فله النار، وليس له عند الله خير، فأنزل الله ( إِلَّا مَنْ تَابَ ) من المشركين من أهل مكة، ( فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ) يقول: يبذل الله مكان الشرك والقتل والزنا: الإيمان بالله، والدخول في الإسلام، وهو التبديل في الدنيا. وأنزل الله في ذلك ( يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ يَعْنِيهِمْ بِذَلِكَ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ) يعني ما كان في الشرك، يقول الله لهم: ( أَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ )، يدعوهم إلى الإسلام، فهاتان الآيتان مكيتان والتي في النساء ( وَمَنْ يَقْتُلْ

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ... الآية، هذه مدنية، نزلت بالمدينة، وبينها وبين التي نزلت في الفرقان ثمان سنين، وهي مبهمة ليس منها مخرج.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا أبو ثُمَيْلَةَ، قال ثنا أبو حمزة، عن جابر، عن مجاهد، قال: سئل ابن عباس عن قول الله جل ثناؤه: (يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) فقال:

بُدِّلَ بَعْدَ حَرِّهِ حَرِيفًا

وَبَعْدَ طُولِ النَّفْسِ الْوَجِيفَا (3)

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) ... إلى قوله: (وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَابًا) فقال المشركون: ولا والله ما كان هؤلاء الذين مع محمد إلا معنا، قال: أنزل الله (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ) قال: تاب من الشرك، قال: وأمن بعقاب الله ورسوله (وَعَمِلَ عَمَلًا < 312-19 > صَالِحًا) قال: صدق، (فَأُولَئِكَ يَبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) قال: يبدل الله أعمالهم السيئة التي كانت في الشرك بالأعمال الصالحة حين دخلوا في الإيمان.

وقال آخرون: بل معنى ذلك، فأولئك يبدل الله سيئاتهم في الدنيا حسنات لهم يوم القيامة.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني أحمد بن عمرو البصري، قال: ثنا قريش بن أنس أبو أنس، قال: ثنا صالح بن رستم، عن عطاء الخراساني، عن سعيد بن المسيب (فَأُولَئِكَ يَبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) قال: تصير سيئاتهم حسنات لهم يوم القيامة.

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا محمد بن حازم أبو معاوية، عن الأعمش، عن المعرور بن سويد، عن أبي ذر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنِّي لَأَعْرِفُ أَحْرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنَ النَّارِ، وَأَحْرَ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةِ، قَالَ: يُؤْتَى بِرَجُلٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: تَخَوُّوا كِبَارَ دُئُوبِهِ وَسَلُوهُ عَنْ صِعَارِهَا، قَالَ: فَيُقَالُ لَهُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَقَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ مَا أَرَاهَا هَاهُنَا، قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، قَالَ: فَيُقَالُ لَهُ: لَكَ مَكَانٌ كُلُّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةٌ".

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين بالصواب في ذلك، تأويل من تأوله: فأولئك يبدل الله سيئاتهم: أعمالهم في الشرك حسنات في الإسلام، بنقلهم عما يسخطه الله من الأعمال إلى ما يرضى.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية، لأن الأعمال السيئة قد كانت مضت على ما كانت عليه من القُبْح، وغير جائز تحويل عين قد مضت بصفة إلى خلاف ما كانت عليه إلا بتغييرها عما كانت عليه من صفتها في حال أخرى، فيجب إن فعل ذلك كذلك أن يصير شرك الكافر الذي كان شركا في الكفر بعينه إيمانا يوم القيامة بالإسلام ومعاصيه كلها بأعيانها طاعة، وذلك ما لا يقوله ذو حجا.

وقوله: ( وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا ) يقول تعالى ذكره: وكان الله ذا عفو عن ذنوب من تاب من عباده، وراجع طاعته، وذا رحمة به أن يعاقبه على ذنوبه بعد توبته منها. قوله: ( وَمَنْ تَابَ ) يقول: ومن تاب من المشركين، فأمن بالله ورسوله > 313-19 < ( وَعَمِلَ صَالِحًا ) يقول: وعمل بما أمره الله فأطاعه، فإن الله فاعل به من إبداله سيئ أعماله في الشرك بحسنها في الإسلام، مثل الذي فعل من ذلك بمن تاب وأمن وعمل صالحا قبل نزول هذه الآية من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ) قال: هذا للمشركين الذين قالوا لما أنزلت ( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ) ... إلى قوله ( وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا ) لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما كان هؤلاء إلا معينا، قال: ومن تاب وعمل صالحا فإن لهم مثل ما لهؤلاء ( فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ) لم تُحظر التوبة عليكم.

القول في تأويل قوله تعالى : وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (72)

اختلف أهل التأويل في معنى الزور الذي وصف الله هؤلاء القوم بأنهم لا يشهدونه، فقال بعضهم: معناه الشرك بالله.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا سفيان، عن جوير، عن الضحاك، في قوله: ( لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ) قال: الشرك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ) قال: هؤلاء المهاجرون، قال: والزور قولهم لآلئهم، وتعظيمهم إياها.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: بل عني به الغناء.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني علي بن عبد الأعلى المجاربي قال: ثنا محمد بن مروان، عن ليث، عن مجاهد في قوله: ( وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ) قال: لا يسمعون الغناء.

< 19-314 >

وقال آخرون: هو قول الكذب.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ( وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ) قال: الكذب.

قال أبو جعفر: وأصل الزور تحسين الشيء، ووصفه بخلاف صفته، حتى يخيل إلى من يسمعه أو يراه، أنه خلاف ما هو به، والشرك قد يدخل في ذلك، لأنه محسن لأهله، حتى قد ظنوا أنه حق، وهو باطل، ويدخل فيه الغناء، لأنه أيضا مما يحسنه ترجيع الصوت، حتى يستحلي سامعه سماعه، والكذب أيضا قد يدخل فيه لتحسين صاحبه إياه، حتى يظن صاحبه أنه حق، فكل ذلك مما يدخل في معنى الزور.

فإذا كان ذلك كذلك، فأولى الأقوال بالصواب في تأويله أن يقال: والذين لا يشهدون شيئا من الباطل لا شركا، ولا غناء، ولا كذبا ولا غيره، وكل ما لزمه اسم الزور، لأن الله عم في وصفه إياهم أنهم لا يشهدون الزور، فلا ينبغي أن يخص من ذلك شيء إلا بحجة يجب التسليم لها، من خبر أو عقل.

وقوله: ( وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ) اختلف أهل التأويل في معنى اللغو الذي ذكر في هذا الموضع، فقال بعضهم: معناه: ما كان المشركون يقولونه للمؤمنين، ويكلمونهم به من الأذى. ومرورهم به كراما إعراضهم عنهم وصفهم.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ) قال: صفحوا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ( وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ) قال: إذا أودوا مَرُّوا كراما، قال: صفحوا.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: بل معناه: وإذا مرّوا بذكر النكاح, كفوا عنه.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثنا هشيم, قال: أخبرنا العوام > 315-19  
< بن حوشب, عن مجاهد ( وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ) قال: إذا ذكروا  
النكاح كفوا عنه.

حدثني الحارث, قال: ثنا الأشيب, قال: ثنا هشيم, قال: أخبرنا العوام بن حوشب,  
عن مجاهد, ( وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ) قال: كانوا إذا أتوا على ذكر  
النكاح كفوا عنه.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: ثنا المعتمر, عن أبي مخزوم, عن سيار ( وَإِذَا مَرُّوا  
بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ) إذا مرّوا بالرفث كفوا.

وقال آخرون: إذا مرّوا بما كان المشركون فيه من الباطل مرّوا منكبين له.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ( وَإِذَا مَرُّوا  
بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ) قال: هؤلاء المهاجرون, واللغو ما كانوا فيه من الباطل,  
يعني المشركين وقرأ قَاجَتَبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْتَانِ

وقال آخرون: عُني باللغو هاهنا: المعاصي كلها.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الحسن, في قوله:  
( وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ) قال: اللغو كله: المعاصي.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي, أن يقال: إن الله أخبر  
عن هؤلاء المؤمنين الذين مدحهم بأنهم إذا مروا باللغو مرّوا كراما, واللغو في  
كلام العرب هو كل كلام أو فعل باطل لا حقيقة له ولا أصل, أو ما يستقبح  
فسبّ الإنسان الإنسان بالباطل الذي لا حقيقة له من اللغو. وذكر النكاح  
بصريح اسمه مما يُستقبح في بعض الأماكن, فهو من اللغو, وكذلك تعظيم  
المشركين ألّتهم من الباطل الذي لا حقيقة لما عظموه على نحو ما  
عظموه, وسماع الغناء مما هو مستقبح في أهل الدين, فكل ذلك يدخل في  
معنى اللغو, فلا وجه إذ كان كل ذلك يلزمه اسم اللغو, أن يقال: عُني به بعض  
ذلك دون بعض, إذ لم يكن لخصوص ذلك دلالة من خير أو عقل. فإذا كان  
ذلك كذلك, فتأويل الكلام: وإذا مرّوا بالباطل فسمعوه أو رأوه, مرّوا كراما,  
مرورهم كراما في بعض ذلك بأن لا يسمعوه, وذلك كالغناء. وفي بعض ذلك

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

بأن يعرضوا عنه ويصفحوا، وذلك إذا أو ذوا بإسماع القبيح من القول، وفي بعضه بأن يَنْهَوْا عن < 316-19 > ذلك، وذلك بأن يروا من المنكر ما يغير بالقول فيغيروه بالقول. وفي بعضه بأن يضاربوا عليه بالسيوف، وذلك بأن يروا قوماً يقطعون الطريق على قوم، فيستصرخهم المراد ذلك منهم، فيصرخونهم، وكل ذلك مرورهم كراماً.

وقد حدثني ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا محمد بن مسلم، عن إبراهيم بن ميسرة، قال: مرّ ابن مسعود بـلهو مسرعاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنْ أَصْبَحَ ابْنُ مَسْعُودٍ لَكَرِيماً".

وقيل: إن هذه الآية مكية.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، قال: سمعت السدي يقول: (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) قال: هي مكية، وإنما عني السدي بقوله هذا إن شاء الله، أن الله نسخ ذلك بأمره المؤمنين بقتال المشركين بقوله: قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَأَمْرُهُمْ إِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ الَّذِي هُوَ شَرٌّ، أَنْ يُقَاتِلُوا أَمْرَاءَهُ، وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ الَّذِي هُوَ مَعْصِيَةٌ لِلَّهِ أَنْ يَغْيِرُوهُ، وَلَمْ يَكُونُوا أَمْرًا بِذَلِكَ بِمَكَّةَ، وَهَذَا الْقَوْلُ نَظِيرُ تَأْوِيلِنَا الَّذِي تَأْوَلْنَاهُ فِي ذَلِكَ.

القول في تأويل قوله تعالى : وَالَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (73)

يقول تعالى ذكره: والذين إذا ذكّرهم مذكّر الله بحجج الله، لم يكونوا صما لا يسمعون، وعميا لا يبصرونها ولكنهم يقاطّ القلوب، فهما العقول، يفهمون عن الله ما يذكّرهم به، ويفهمون عنه ما ينبههم عليه، فيوعون مواعظه أذانا سمعته، وقلوبا وعته.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: (لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا) فلا يسمعون، ولا يبصرون، ولا يفقهون حقا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن < 317-19 > مجاهد، قوله: ( وَالَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ) قال: لا يفقهون، ولا يسمعون، ولا يبصرون.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن ابن عون، قال: قلت للشعبي: رأيت قوماً قد سجدوا ولم أعلم ما سجدوا منه أسجد (4) قال: ( وَالَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ).

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَالَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ) قال: هذا مثل ضربه الله لهم، لم يدعوها إلى غيرها، وقرأ قول الله: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا دُكِّرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ... الآية.

فإن قال قائل: وما معنى قوله ( لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ) أَوْ يَخِرُّ الكافرون صما وعميانا إذا ذكروا بآيات الله، فَيُنْفَى عن هؤلاء ما هو صفة للكفار؟ قيل: نعم، الكافر إذا ثلثت عليه آيات الله خر عليها أصم وأعمى، وخره عليها كذلك: إقامته على الكفر، وذلك نظير قول العرب: سببت فلانا، فقام يبكي، بمعنى فظل يبكي، ولا قيام هنالك، ولعله أن يكون بكى قاعداً، وكما يقال: نهيت فلانا عن كذا، فقعد يشتمني: ومعنى ذلك: فجعل يشتمني، وظل يشتمني، ولا قعود هنالك، ولكن ذلك قد جرى على ألسن العرب، حتى قد فهموا معناه. وذكر الفراء أنه سمع العرب تقول: قعد يشتمني، كقولك: قام يشتمني، وأقبل يشتمني؛ قال: وأنشد بعض بني عامر:

لَا يُفْنِعُ الْجَارِيَةَ الْخِصَابُ

وَلَا الْوِشَاحَانِ وَلَا الْجِلْبَابُ

مَنْ دُونَ أَنْ تَلْتَقِيَ الْأَرْكَابُ

وَيَفْعَدَ الْأَيْرُ لَهُ لُعَابُ (5)

< 19-318 >

بمعنى: يصير، فكذلك قوله: ( لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ) إنما معناه: لم يَصَمُّوا عنها، ولا عموا عنها، ولم يصيروا على باب ربه صُمًّا وَعُمْيَانًا، كما قال الراجز:

وَيَفْعَدَ الْهَنْ لَهُ لُعَابُ

بمعنى: ويصير.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا  
قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (74)

يقول تعالى ذكره: والذين يرغبون إلى الله في دعائهم ومسألتهم بأن يقولوا: ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا ما تقرّ به أعيننا من أن تربناهم يعملون بطاعتك.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ( هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ) يعنون: من يعمل لك بالطاعة فتقرّ بهم أعيننا في الدنيا والآخرة.

حدثني أحمد بن المقدم، قال: ثنا جزم، قال: سمعت كثيرا سأل الحسن، قال: يا أبا سعيد، قول الله: ( هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ) في الدنيا والآخرة؟ قال: لا بل في الدنيا، قال: وما ذاك؟ قال: المؤمن يرى زوجته وولده يطيعون الله.

حدثنا الفضل بن إسحاق، قال: ثنا سالم بن قُتيبة، قال: ثنا حزم، قال: سمعت الحسن فذكر نحوه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: قرأ حضرمي ( رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ) قال: وإنما قرّة أعينهم أن يروهم يعملون بطاعة الله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا ابن المبارك، عن ابن جريج فيما قرأنا عليه في قوله: ( هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ) قال: يعبدونك فيحسنون عبادتك، > 319-19 < ولا يجزؤون الجرائر.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قوله: ( رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ) قال: يعبدونك يحسنون عبادتك، ولا يجزؤون علينا الجرائر.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ( وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ) قال: يسألون الله لأزواجهم وذرياتهم أن يهديهم للإسلام.

حدثنا محمد بن عون، قال: ثنا محمد بن إسماعيل بن عياش، قال: ثني أبي، عن صفوان بن عمرو، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه، قال: جلسنا

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

إلى المقداد بن الأسود، فقال: لقد بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على أشدّ حالة بُعث عليها نبيّ من الأنبياء في فترة وجاهلية، ما يرون دينا أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفرقان قَرَق به بين الحق والباطل، وفرق بين الوالد وولده، حتى إن كان الرجل ليرى ولده ووالده وأخاه كافرا، وقد فتح الله قفل قلبه بالإسلام، فيعلم أنه إن مات دخل النار، فلا تقرّ عينه، وهو يعلم أن حبيبه في النار، وإنما للتي قال الله: ( وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ) ... الآية.

حدثني ابن عوف، قال: ثني علي بن الحسن العسقلاني، عن عبد الله بن المبارك، عن صفوان، عن عبد الرحمن بن جبير بن نُقيير، عن أبيه، عن المقداد، نحوه.

وقيل: هب لنا قرّة أعين، وقد ذكر الأزواج والذريات وهم جمع، وقوله: ( قُرَّةَ أَعْيُنٍ ) واحدة لأن قوله: قرّة أعين مصدر من قول القائل: قرّت عينك قرّة، والمصدر لا تكاد العرب تجمععه.

وقوله: ( وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ) اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه: اجعلنا أئمة يقتدي بنا من بعدنا.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني ابن عبد الأعلى بن واصل، قال: ثني عون بن سلام، قال: أخبرنا بشر بن عمارة عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس، في قوله: ( وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ) يقول: أئمة يقتدي بنا.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ( وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ) أئمة التقوى ولأهله يقتدي بنا. قال ابن زيد: كما قال لإبراهيم: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا .

< 19-320 >

وقال آخرون: بل معناه: واجعلنا للمتقين إمامًا: نأتمّ بهم، ويأتمّ بنا من بعدنا.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ( وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ) أئمة نقتدي بمن قبلنا، ونكون أئمة لمن بعدنا.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ( وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ) قال: اجعلنا مؤتمين بهم، مقتدين بهم.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: واجعلنا للمتقين الذين يتقون معاصيك، ويخافون عقابك إماما يأتون بنا في الخيرات، لأنهم إنما سألوا ربهم أن يجعلهم للمتقين أئمة ولم يسألوه أن يجعل المتقين لهم إماما، وقال: ( وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ) ولم يقل أئمة. وقد قالوا: واجعلنا وهم جماعة، لأن الإمام مصدر من قول القائل: أم فلان فلانا إماما، كما يقال: قام فلان قياما وصام يوم كذا صياما. ومن جمع الإمام أئمة، جعل الإمام اسما، كما يقال: أصحاب محمد إمام، وأئمة للناس. فمن وُجِدَ قال: يأتهم بهم الناس. وهذا القول الذي قلناه في ذلك قول بعض نحويي أهل الكوفة. وقال بعض أهل البصرة من أهل العربية: الإمام في قوله: ( لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ) جماعة، كما تقول: كلهم عُذُول. قال: ويكون على الحكاية كما يقول القائل: إذا قيل له: من أميركم، هؤلاء أميرنا، واستشهد لذلك بقول الشاعر:

يا عاذلاني لا تُردن ملامتي

إن العوادل لسن لي بأمير (6)

< 19-321 >

القول في تأويل قوله تعالى : أُولَئِكَ يُجْرَوْنَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (75)

يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفت صفتهم من عبادي، وذلك من ابتداء قوله: وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوًّا ... إلى قوله: وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاجِنَا ... الآية ( يُجْرَوْنَ ) يقول: يثابون على أفعالهم هذه التي فعلوها في الدنيا ( الْعُرْفَةَ ) وهي منزلة من منازل الجنة رفيعة ( بِمَا صَبَرُوا ) يقول: بصبرهم على هذه الأفعال، ومقاساة شدتها. وقوله: ( وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ) اختلفت القراء في قراءته، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة ( وَيُلَقَّوْنَ ) مضمومة الياء، مشددة القاف، بمعنى: وتلقاهم الملائكة فيها بالتحية. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: " وَيُلَقَّوْنَ " بفتح الياء، وتخفيف القاف.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار بمعنى واحد، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب، غير أن أعجب القراءتين إلي أن أقرأ بها " وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا " بفتح الياء، وتخفيف القاف. لأن العرب إذا قالت ذلك بالتشديد، قالت: فلان يُتَلَقَّى بالسلام وبالخير ونحن نتلقاهم بالسلام، قرنته بالياء وقلما تقول: فلان يُتَلَقَّى بالسلام، فكان وجه الكلام لو كان بالتشديد، أن يقال: وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا بالتحية والسلام.

وإنما اخترنا القراءة بذلك، كما تجيز أخذت بالخطام، وأخذت الخطام.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقد بينا معنى التحية والسلام فيما مضى قبل، فأغنى عن إعادته في هذا الموضوع.

القول في تأويل قوله تعالى: **خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (76) قُلْ مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (77)**

يقول تعالى ذكره: أولئك يجزون الغرفة بما صبروا، خالدين في الغرفة، يعني أنهم ماكتون فيها، لا يثون إلى غير أمد، حسنت تلك الغرفة قرارا لهم ومقاما. يقول: وإقامة. وقوله: ( قُلْ مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ رَبِّي ) يقول جل ثناؤه لنبيه: قل يا محمد لهؤلاء الذين أرسلت إليهم: أي شيء يعدكم، وأي شيء يصنع بكم ربي؟ يقال منه: عبأت به أعبأ عبئا، < 322-19 > وعبأت الطيب أعبؤه: إذا هيأته، كما قال الشاعر:

كَأَنَّ يَنْخِرَهُ وَبِمَنْكَبَيْهِ

عَبِيرًا بَاتَ يَعْْبُوهُ عَرُوسُ (7)

يقول: يهينه ويعمله يعبؤه عبا وعبوءا، ومنه قولهم: عبأت الجيش بالتشديد والتخفيف فأنا أعبئه: أهينته والعبء: الثقل.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ( قُلْ مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ رَبِّي ) يصنع لولا دعاؤكم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( قُلْ مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ رَبِّي ) قال: يعبا: يفعل.

وقوله: ( لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ) يقول: لولا عبادة من يعبد منكم، وطاعة من يطيعه منكم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ( مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ) يقول: لولا إيمانكم، وأخبر الله الكفار أنه لا حاجة له بهم إذ لم يخلقهم مؤمنين، ولو كان له بهم حاجة لحبب إليهم الإيمان كما حَبَّبه إلى المؤمنين.

وحدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ) قال: لولا دعاؤكم إياه لتعبده وتطيعوه.

< 19-323 >

وقوله: ( فَقَدْ كَذَّبْتُمْ ) يقول تعالى ذكره لمشركي قريش قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقد كذبتم أيها القوم رسولكم الذي أرسل إليكم وخالفتم أمر ربكم الذي أمر بالتمسك به لو تمسكتم به، كان يعبا بكم ربي، فسوف يكون تكذيبكم رسول ربكم، وخلافكم أمر بارتئكم، عذاباً لكم ملازماً، قتلاً بالسيوف وهلاكاً لكم مفنيا يلحق بعضكم بعضاً، كما قال أبو ذؤيب الهذلي:

فَفَاجَأَهُ بِعَادِيَةِ لِرَامٍ

كَمَا يَتَفَجَّرُ الْحَوْضُ اللَّقِيفُ (8)

يعني باللزام: الكبير الذي يتبع بعضه بعضاً، وباللقيف: المتساقط الحجارة المتهدّم، ففعل الله ذلك بهم، وصدقهم وعده، وقتلهم يوم بدر بأيدي أوليائه، وألحق بعضهم ببعض، فكان ذلك العذاب اللزام.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثني، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: أخبرني مولى لشقيق بن ثور أنه سمع سلمان أبا عبد الله، قال: صليت مع ابن الزبير فسمعته يقرأ: فقد كذب الكافرون.

حدثنا ابن المثني، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا سعيد بن أدهم السدوسي، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن عبد المجيد، قال: سمعت مسلم بن عمار، قال: سمعت ابن عباس يقرأ هذا الحرف: فقد كذب الكافرون ( فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ).

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ( قُلْ مَا يَعْتَابُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ) يقول: كذب الكافرون أعداء الله.

< 19-324 >

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عامر، عن ابن مسعود، قال: فسوف يلقون لزاما يوم بدر.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، قال: قال عبد الرحمن: خمس قد مضين: الدخان، واللزام، والبطشة، والقمر، والروم.

حدثني الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قوله: ( فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ) قال أبي بن كعب: هو القتل يوم بدر.

حدثنا بن حميد، قال: ثنا سلمة، عن عمرو، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: اللزام: يوم بدر.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عليه، عن ليث، عن مجاهد ( فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ) قال: هو يوم بدر.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ( فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ) قال: يوم بدر.

حدثني القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن مَعْمَرٍ، عن منصور، عن سفيان، عن ابن مسعود، قال: اللزام، القتل يوم بدر.

حدثت عن الحسين قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ( فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ) الكفار كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبما جاء به من عند الله، فسوف يكون لزاما، وهو يوم بدر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم، عن عبد الله، قال: قد مضى اللزام، كان اللزام يوم بدر، أسروا سبعين، وقتلوا سبعين.

وقال آخرون: معنى اللزام: القتال.

# جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( فَسَوْفَ > 325-19 < يَكُونُ لِرَآمًا ) قال: فسوف يكون قتالا للزام: القتال.

وقال آخرون: للزام: الموت.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس ( فَسَوْفَ يَكُونُ لِرَآمًا ) قال: موتا.

وقال بعض أهل العلم بكلام العرب: معنى ذلك: فسوف يكون جزاء يلزم كل عامل ما عمل من خير أو شرّ. وقد بيّنا الصواب من القول في ذلك. وللنصب في اللزام وجه آخر غير الذي قلناه، وهو أن يكون في قوله ( يَكُونُ ) مجهول، ثم ينصب اللزام على الخبر كما قيل:

إِذَا كَانَ طَعْنًا بَيْنَهُمْ وَقِتَالًا

وقد كان بعض من لا علم له بأقوال أهل العلم يقول في تأويل ذلك: قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم ما تدعون من دونه من الآلهة والأنداد، وهذا قول لا معنى للتشاغل به لخروجه عن أقوال أهل العلم من أهل التأويل.

آخر تفسير سورة الفرقان، والحمد لله وحده.

الهوامش:

(1) البيت لبلعام بن قيس بن ربيعة بن عبد الله بن يعمر ، واسمه حميضة وهو من كنانة بن خزيمة ، وكان بلعاء رأس بني كنانة في أكثر حروبهم ومغازيهم ، وكان كثير الغارات على العرب ، وله أخبار في حروب الفجار . وهو شاعر محسن ، قال في كل فن أشعاراً جيداً ( انظر المؤلف والمختلف 106 ومعجم الشعراء للمرزباني 357 ) . والبيت أنشده صاحب ( اللسان : أثم ) ونسبه إلى شافع الليثي . ونسبه أبو عبيدة في مجاز القرآن إلى بلعاء بن قيس الكناني ، وعنه أخذ المؤلف قال في اللسان : " قال أبو إسحاق : تأويل الأثم : المجازاة وقال أبو عمرو الشيباني : لقي فلان أثم ذلك : أي جزاء ذلك ، فإن الخليل وسيبويه يذهبان إلى أن معناه : يلقي جزاء الأثم . وقول شافع الليثي في ذلك جزى الله ابن عروة .....

# جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

..... له أثم"

أي عقوبة مجازاة العقوق ، وهي قطيعة الرحم . وقال الليث : الأثم في جملة التفسير عقوبة الإثم . وقيل في قوله تعالى {يلق أثاما} قيل : هو واد في جهنم . قال ابن سيده: والصواب عندي : أن معناه : يلق عقاب الأثم. ا هـ

(2) البيت للحطيئة ( اللسان : عشا ) . قال : عشا إلى النار وعشاها عشواً وعشواً (كفعول ) واعتشاها واعتشى بها : كله: رآها ليلاً على بعد ، فقصدها مستضيئاً بها ؛ قال الحطيئة : \* متى تأته تعشو \*

البيت . أي متى تأته لا تتبين ناره من ضعف بصرك . ا هـ . وجملة تعشو : في محل نصب على الحال . ولذلك قال المؤلف : فرفع تعشو لأنه فعل لقوله تأته ، أي : هو حال من فاعل تأته . أي متى تأته عاشياً . أما ما رواه الطبري من أن القراء مختلفون في قراءة : (يضاعف ) جزماً ورفعاً فهو كلام وجيه ، ولكل قراءة تأويلها من جهة النحو ، ولكنه يؤثر رواية الجزم على التفسير ، أي البدل مما قبله ، وهو (يلق ) والذي ذهب إليه المؤلف تبع فيه الفراء في معاني القرآن (مصور الجامعة رقم 24059 ص 226) قال : وقوله : { ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة } : قرأت القراء بجزم { يضاعف } ورفع عاصم بن أبي النجود ؛ والوجه الجزم . وذلك إن فسرتَه ولم يكن فعلاً لما قبله ( أي مصاحبا الفعل الذي قبله ) فالوجه الجزم . وما كان فعلاً لما قبله رفعته ، فأما المفسر للمجزوم ( أي المبدل منه ) فقوله : { ومن يفعل ذلك يلق أثاما } ثم فسر الأثم ، فقال { يضاعف له العذاب } . ومثله في الكلام : " إن تكلمني توصني بالخير والبر أقبل منك " . ألا ترى أنك فسرت الكلام بالبر ، ولم يكن له فعلاً له ، فلذلك جزمت ، ولو كان الثاني فعلاً للأول لرفعته ، كقولك : " إن تأتانا تطلب الخير تجده " . ألا ترى تجد تطلب فعلاً للإتيان ، كقيلك : إن تأتانا طالباً للخير تجده ، قال الشاعر : متى تأته تعشو ...

" البيت ، فرفع تعشو لأنه أراد : متى تأته عاشياً . ورفع عاصم { يضاعف له } ، لأنه أراد الاستئناف ، كما تقول : إن تأتانا نكرمك ، نعطيك كل ما تريد ، لا على الجزاء .

(3) هذا بيت للبيد العامري الشاعر . وروايته هكذا غامضة . ولم أجده في أصل ديوانه ، وإنما وجدته في الملحق بالديوان (طبع ليدن ص 56) ، وروايته فيه كرواية السيوطي في الإتيان : وهذه الرواية أجود وأوضح ، وهي :

بَدَّلَنَّ بَعْدَ النَّقْشِ الْوَجِيفَا

وَبَعْدَ طُولِ الْجِرَّةِ الصَّرِيفَا

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يصف لبيد جماعة من الإبل ، بأنها كانت ترعى ليلاً زمناً طويلاً، ثم بدلت بذلك الوجيف ، وهو ضرب من سير الإبل والخيل سريع ، يقال: وجف البعير والفرس وجفًا ، ووجيفًا أسرع وبدلت بعد طول الاجتراء في مباركها الصريف . والاجتراء : أن يخرج دو الكرش جزءًا من الطعام ليمضغه جيدًا ثم يعيده والصريف يطلق على معان ، منها اللبن ساعة يحلب ، والخمر؛ والمراد به هنا صوت ناب الناقة إذا حركته ، وإنما يكون ذلك إذا نالها الإعياء والكلال فكأن لبيدًا يقول تبدلت أحوالها بعد النعيم بؤسًا .

(4) أي فكنت أسجد معهم . ولكنه اختصر الكلام . وكثير من هؤلاء القائلين والمجيبين يختصرون الكلام إلى حد الرمز والإشارة ، اكتفاءً بدلالة الحال .

(5) هذه أربعة أبيات من مشطور الرجز ، رواها الفراء في معاني القرآن عن بعض العرب ( مصور الجامعة ص 227 ) قال : وسمعت العرب تقول : قعد يشتمني ، كقولك: قام يشتمني، وأقبل يشتمني ، وأنشد بعض العرب : \* لا يقنع الجارية ..... \*

الآيات . وفي البيت الرابع : "ويقعدُّ الهنُّ " ... إلخ كقولك : يصير . وقوله : الأركاب ، هو جمع ركب ، كسبب ، وهو العانة أو منبتها ، أو ظاهر الفرج . قال الخليل : هو للمرأة خاصة وقال الفراء : هو للرجل والمرأة . وأنشد الفراء : " لا يقنع الجارية ... " الآيات . وفي التهذيب : ولا يقال : ركب للرجل . وقيل : يجوز أن يقال : ركب للرجل . والهين (في رواية الفراء) : الجر .

(6) البيت من شواهد بن هشام في المغني في حرف اللام ، على أن قوله : " لا تردن ملامتي " أبلغ من : لا تلمني لأنه نهى عن السبب ، والنهي عن إرادة الفعل أبلغ من النهي عن الفعل نفسه . وقال الأمير في حاشيته : قوله : " بأمر " : أخبر به عن الجمع ، إما لكونه "فعلًا" يستوي فيه الواحد وغيره ، قال الله تعالى : { والملائكة بعد ذلك ظهير } . أو أنه صفة لمفرد لفظًا ، جمع معنى محذوف ، أي بفريق أمير . فلاحظ في الإخبار معناه وفي وصفه لفظه . قلت : ولم ينسب البيت ابن هشام ولا الأمير ، ولا ذكره السيوطي في شرح شواهد المغني في حرف اللام. وتوحيد الأمير في البيت نظير توحيد الإمام في قوله تعالى: { واجعلنا للمتقين إمامًا } ، وكلاهما يراد به الجمع في المعنى . قال في اللسان : وقوله تعالى : { واجعلنا للمتقين إمامًا } . قال أبو عبيدة : هو واحد يدل على الجمع . ا هـ .

(7) البيت لأبي زيد الطائي يصف أسدًا (اللسان : عبأ) . قال : عبأ الطيب يعبؤه عبئًا : صنعه وخلطه ، قال أبو زيد يصف أسدًا : " كان بنحره ... " البيت . ويروى : " بات يخبؤه " . وقال الفراء في معاني القرآن : وقوله : { ما يعبأ بكم ربي } : استفهام ، أي ما يصنع بكم لولا دعاؤه إياكم إلي الإسلام ؟ وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ( ص 170 ) : ومنه قوله : ما عبأت بك شيئًا : أي ما عددتك شيئًا . ا هـ .

(8) البيت لأبي ذؤيب الهذلي ( اللسان : لقف) . قال : وحوض لقف ولقيف : تهور من أسفله واتسع ، ومنه قول أبي ذؤيب : \* فلم تر غير عادية لزامًا \*



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

... البيت قال : ويقال: المَلآن . والأول: هو الصحيح . قال : والعادة : القوم يعدون على أرجلهم أي : فحملتهم لزامًا ، كأنهم لزموه ، لا يفارقون ما هم فيه . اهـ . وقال في (لزم) : واللزام : الملازم قال أبو ذؤيب : ( البيت كروايته في لقف ) ثم فسره كما فسره هناك . قال : واللقيف : المتهور من أسفله . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ( مصورة الجامعة رقم 26059 ص 170 ) : لزام : أي كثيرة بعضها في أثر بعض وبهامشه : اللقيف المتهدم ، الذي سقطت حجاره بعضها على بعض . اهـ .

< 19-326 > < 19-327 >

تفسير سورة الشعراء

< 19-328 > < 19-329 >

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى : طسم (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) لَعَلَّكَ  
بَاخِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (3)

قال أبو جعفر: وقد ذكرنا اختلاف المختلفين فيما في ابتداء فواتح سور القرآن من حروف الهجاء، وما انتزع به كل قائل منهم لقوله ومذهبه من العلة. وقد بينا الذي هو أولى بالصواب من القول فيه فيما مضى من كتابنا هذا بما أغنى عن إعادته، وقد ذكر عنهم من الاختلاف في قوله: طسم و طس ، نظير الذي ذكر عنهم في: الم و المر و المص .

وقد حدثني علي بن داود، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي بن عباس، في قوله: ( طسم ) قال: فإنه قسم أقسمه الله، وهو من أسماء الله.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ( طسم ) قال: اسم من أسماء القرآن.

فتأويل الكلام على قول ابن عباس والجميع: إن هذه الآيات التي أنزلتها على محمد صلى الله عليه وسلم في هذه السورة لآيات الكتاب الذي أنزلته إليه من قبلها الذي بين لمن تدبره بفهم، وفكر فيه بعقل، أنه من عند الله جل جلاله، لم يتخَرَّصه محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يتقوِّله من عنده، بل أوحاه إليه ربه.

وقوله: ( لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ) يقول تعالى ذكره: لعلك يا محمد قاتل نفسك ومهلكها إن لم يؤمن قومك بك، ويصدقوك على ما جئتهم به والبخع: هو القتل والإهلاك في كلام العرب; ومنه قول ذي الرُّمة:

أَلَا أَيُّهَذَا الْبَاخِعُ الْوَجْدُ نَفْسَهُ

# جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

لشَيْءٍ تَحْتَهُ عَرَى يَدَيْهِ الْمَقَارِ (1)

< 19-330 >

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج, قال: قال ابن عباس: ( بَاخِعٌ نَفْسَكَ ) : قاتل نفسك.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: ( لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ) قال: لعلك من الحرص على إيمانهم مخرج نفسك من جسدك, قال: ذلك البخع.

حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ( لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ ) عليهم حرصا.

وأن من قوله: ( أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ) في موضع نصب بباخع, كما يقال: زرت عبد الله أن زارني, وهو جزاء; ولو كان الفعل الذي بعد أن مستقبلا لكان وجه الكلام في " أن " الكسر كما يقال: أزور عبد الله إن يزورني.

القول في تأويل قوله تعالى : إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (4)

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ( فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ )... الآية, فقال بعضهم: معناه: فضل القوم الذين أنزل عليهم من السماء آية خاضعة أعناقهم لها من الذلة.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج, عن مجاهد في قوله: ( فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ) قال: فضلوا خاضعة أعناقهم لها.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: ( خَاضِعِينَ ) قال: لو شاء الله لنزل عليه آية يذلون بها, فلا يلوي أحد عنقه إلى معصية الله.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج: ( أَلَا يَكُونُوا > 331-19 < مُؤْمِنِينَ إِنْ نَسَأَ نُزُلٌ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً ) قال: لو شاء الله لأراهم أمرا من أمره لا يعمل أحد منهم بعده بمعصية.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: ( فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ) قال: ملقين أعناقهم.

حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ( فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ) قال: الخاضع: الذليل.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فضلت سادتهم وكبرائهم للآية خاضعين, ويقول: الأعناق: هم الكبراء من الناس.

واختلف أهل العربية في وجه تذكير (خاضعين), وهو خبر عن الأعناق, فقال بعض نحويي البصرة: يزعمون أن قوله ( أَعْنَاقُهُمْ ) على الجماعات, نحو: هذا عنق من الناس كثير, أو دُكِرَ كما يذكر بعض المؤنث, كما قال الشاعر:

تَمَرَزْتُهَا وَالِدَيْكَ يَدْعُو صَبَاحَهُ

إذا ما بنو تغشٍ دَتُوا فَتَصَوَّبُوا (2)

فجماعات هذا أعناق, أو يكون ذكره لإضافته إلى المذكر كما يؤنث لإضافته إلى > 332-19 < المؤنث, كما قال الأعشى:

وتشرقُ بالقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَدَعْتَهُ

كَمَا شَرَقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ (3)

وقال العجاج:

لَمَّا رَأَى مَتْنِ السَّمَاءِ أُبْعِدَتْ (4)

وقال الفرزدق:

إِذَا الْقُنْبُصَاتُ السُّودُ طَوَّفْنَ بِالضَحَى

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

رَقَدْنَ عَلَيْهِنَّ الْجِبَالَ الْمُسَجَّفُ (5)

وقال الأعشى:

وإن امرأاً أهْدَى إِلَيْكَ وَدُوَّتَهُ

مِنَ الْأَرْضِ يَهْمَاءُ وَيَبْدَاءُ حَيَّفُ

لَمَحْقُوقَةٍ أَنْ تَسْتَجِيبِي لِصَوْتِهِ

وَأَنْ تَعْلَمِي أَنَّ الْمُعَانَ الْمُؤَفَّقُ (6)

< 19-333 >

قال: ويقولون: بنات نعش وبنو نعش، ويقال: بنات عرس، وبنو عرس؛ وقالت امرأة: أنا امرؤ لا أخبر السر، قال: وذكر لرؤية رجل فقال: هو كان أحد بنات مساجد الله، يعني الحصى. وكان بعض نحوي الكوفة يقول: هذا بمنزلة قول الشاعر:

تَرَى أَرْمَاحَهُمْ مُتَقَلِّدِيهَا

إِذَا صَدِيَّ الْحَدِيدُ عَلَى الْكُمَاةِ (7)

فمعناه عنده: فطلت أعناقهم خاضعيها هم، كما يقال: يدك باسطها، بمعنى: يدك باسطها أنت، فاكتفى بما ابتداء به من الاسم أن يكون، فصار الفعل كأنه للأول وهو للثاني، وكذلك قوله: لمحقوقة أن تستجيبى لصوته إنما هو لمحقوقة أنت، والمحقوقة: الناقة، إلا أنه عطفه على المرء لما عاد بالذكر. وكان آخر منهم يقول: الأعناق: الطوائف، كما يقال: رأيت الناس إلى فلان عنقا واحدة، فيجعل الأعناق الطوائف والعصب؛ ويقول: يحتمل أيضا أن تكون الأعناق هم السادة والرجال الكبراء، فيكون كأنه قيل: < 334-19 > فطلت رعوس القوم وكبرائهم لها خاضعين، وقال: أحب إلي من هذين الوجهين في العربية أن يقال: إن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون، فجعلت الفعل أولا للأعناق، ثم جعلت خاضعين للرجال، كما قال الشاعر:

عَلَى قَبْصَةِ مَرْجُوءَةٍ ظَهْرُ كَفِّهِ

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فَلَا الْمَرْءُ مُسْتَحْيٍ وَلَا هُوَ طَاعِمٌ (8)

فأنت فعل الظهر، لأن الكفّ تجمع الظهر، وتكفي منه، كما أنك تكتفي بأن تقول: خضعت لك، من أن تقول: خَصَعْتُ لك رقبتني، وقال: ألا ترى أن العرب تقول: كل ذي عين ناظر وناظرة إليك، لأن قولك: نظرتُ إليك عيني، ونظرتُ إليك بمعنى واحد بترك كل، وله الفعل ومرده إلى العين، فلو قلت: فظلت أعناقهم لها خاضعة، كان صواباً.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب وأشبهها بما قال أهل التأويل في ذلك أن تكون الأعناق هي أعناق الرجال، وأن يكون معنى الكلام: فظلت أعناقهم ذليلة، للآية التي ينزلها الله عليهم من السماء، وأن يكون قوله " خاضعين " مذكراً، لأنه خبر عن الهاء والميم في الأعناق، فيكون ذلك نظير قول جرير:

أَرَى مَرَّ السَّيْنِ أَحَدَنْ مِئِي

كَمَا أَحَدَ السَّرَّارِ مِنَ الْهَلَالِ (9)

وذلك أن قوله: مرّ، لو أسقط من الكلام، لأدى ما بقي من الكلام عنه ولم يفسد سقوطه معنى الكلام عما كان به قبل سقوطه، وكذلك لو أسقطت الأعناق من < 335-19 > قوله: فظلت أعناقهم، لأدى ما بقي من الكلام عنها، وذلك أن الرجال إذا ذلوا، فقد ذلت رقابهم، وإذا ذلت رقابهم فقد ذلوا.

فإن قيل في الكلام: فظلوا لها خاضعين، كان الكلام غير فاسد، لسقوط الأعناق، ولا متغير معناه عما كان عليه قبل سقوطها، فصرف الخبر بالخضوع إلى أصحاب الأعناق، وإن كان قد ابتدأ بذكر الأعناق لما قد جرى به استعمال العرب في كلامهم، إذا كان الاسم المبتدأ به، وما أضيف إليه يؤدّي الخبر كل واحد منهما عن الآخر.

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (5)

يقول تعالى ذكره: وما يجيء هؤلاء المشركين الذين يكذبونك ويجحدون ما أتيتهم به يا محمد من عند ربك من تذكير وتنبيه على مواضع حجج الله عليهم على صدقك، وحقيقة ما تدعوهم إليه مما يحدثه الله إليك ويوحيه إليك، لتذكرهم به، إلا أعرضوا عن استماعه، وتركوا أعمال الفكر فيه وتدبره.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَاتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ  
يَسْتَهْزِئُونَ (6)

يقول تعالى ذكره: فقد كذب بها محمد هؤلاء المشركون بالذكر الذي أتاهم من  
عند الله، وأعرضوا عنه ( فَسَيَاتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ) يقول:  
فسياتيهم أخبار الأمر الذي كانوا يسخرون منه، وذلك وعيد من الله لهم أنه  
محل بهم عقابه على تماديهم في كفرهم، وتمردهم على ربهم.

القول في تأويل قوله تعالى : أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ  
رَوْحٍ كَرِيمٍ (7)

يقول تعالى ذكره: أولم ير هؤلاء المشركون المكذِّبون بالبعث والنشر إلى  
الأرض، كم أنبتنا فيها بعد أن كانت ميتة لا نبات فيها ( مِنْ كُلِّ رَوْحٍ كَرِيمٍ )  
يعني بالكريم: الحسن، كما يقال للنخلة الطيبة الحمل: كريمة، وكما يقال للشاة  
أو الناقة إذا غزرتا، فكثرت ألبانهما: ناقة كريمة، وشاة كريمة.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

< 19-336 >

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث،  
قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول  
الله: ( أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ رَوْحٍ كَرِيمٍ ) قال: من نبات الأرض، مما تأكل الناس  
والأنعام.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد،  
مثله.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله:  
( مِنْ كُلِّ رَوْحٍ كَرِيمٍ ) قال: حسن.

القول في تأويل قوله تعالى : إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (8)  
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (9)

يقول تعالى ذكره: إن في إنباتنا في الأرض من كلِّ زوج كريم آية. يقول:  
لدلالة هؤلاء المشركين المكذِّبين بالبعث، على حقيقته، وأن القدرة التي بها  
أنبت الله في الأرض ذلك النبات بعد جدوبتها، لن يُعجزه أن يُنشر بها الأموات  
بعد مماتهم، أحياء من قبورهم.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله: ( وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ) يقول: وما كان أكثر هؤلاء المكذبين بالبعث، الجاحدين نبوتك يا محمد، بمصدقك على ما تأتيهم به من عند الله من الذكر.

يقول جل ثناؤه: وقد سبق في علمي أنهم لا يؤمنون، فلا يؤمن بك أكثرهم للسابق من علمي فيهم. وقوله: ( وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ) يقول: وإن ربك يا محمد لهو العزيز في نعمته، لا يمتنع عليه أحد أراد الانتقام منه. يقول تعالى ذكره: وإني إن أحللت بهؤلاء المكذبين بك يا محمد، المعرضين عما يأتيهم من ذكر من عندي، عقوبتي بتكذيبهم إياك، فلن يمنعهم مني مانع، لأنني أنا العزيز الرحيم، يعني أنه ذو الرحمة بمن تاب من خلقه من كفره ومعصيته، أن يعاقبه على ما سلف من جرمه بعد توبته.

وكان ابن جريج يقول في معنى ذلك، ما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا الحجاج، عن ابن جريج قال: كل شيء في الشعراء من قوله ( الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ) فهو ما أهلك ممن مضى من الأمم، يقول عزيز، حين انتقم من أعدائه، رحيم بالمؤمنين، حين أنجاهم مما أهلك به أعداءه.

< 19-337 >

قال أبو جعفر: وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك في هذا الموضع، لأن قوله: ( وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ) عقيب وعيد الله قوماً من أهل الشرك والتكذيب بالبعث، لم يكونوا أهلكوا، فيوجه إلى أنه خبر من الله عن فعله بهم وإهلاكه. ولعل ابن جريج بقوله هذا أراد ما كان من ذلك عقيب خبر الله عن إهلاكه من أهلك من الأمم، وذلك إن شاء الله إذا كان عقيب خبرهم كذلك.

القول في تأويل قوله تعالى : **وَإِذْ تَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ اتَّيَّاتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10) قَوْمٌ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (11)**

يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد إذ نادى ربك موسى بن عمران ( أَنْ اتَّيَّاتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ) يعني الكافرين قوم فرعون، ونصب القوم الثاني ترجمة عن القوم الأول، وقوله: ( أَلَا يَتَّقُونَ ) يقول: ألا يتقون عقاب الله على كفرهم به، ومعنى الكلام: قوم فرعون فقل لهم: ألا يتقون. وترك إظهار فقل لهم لدلالة الكلام عليه. وإنما قيل: ألا يتقون بالياء، ولم يقل ألا تتقون بالياء، لأن التنزيل كان قبل الخطاب، ولو جاءت القراءة فيها بالياء كان صواباً، كما قيل: ( قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْيٌ مَبْرُورٌ ) و **سَتُعَلِّبُونَ**

القول في تأويل قوله تعالى : **قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَدِّبُونِ (12) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَازُونَ (13) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَعْتَلُونَ (14)**

يقول تعالى ذكره: ( قال ) موسى لربه ( رَبِّ إِنِّي أَخَافُ ) من قوم فرعون الذين أمرتني أن أتتهم ( أَنْ يُكَدِّبُونِ ) بقيلي لهم: إنك أرسلتني إليهم، ( وَيَضِيقُ صَدْرِي ) من تكذيبهم إياي إن كدّبوني. ورفع قوله: ( وَيَضِيقُ صَدْرِي ) عطفاً به على أخاف، وبالرفع فيه قرأته عامة قرّاء الأمصار، ومعناه: وإني يضيق صدري



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله: ( وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي ) يقول: ولا ينطق بالعبارة عما ترسلني به إليهم، للغة التي كانت بلسانه. وقوله: ( وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي ) كلام معطوف به على يضيق. وقوله: ( فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ) يعني هارون أخاه، ولم يقل: فأرسل إلي هارون ليؤازرني وليعينني، إذ كان مفهوما معنى الكلام، وذلك كقول القائل: لو نزلت بنا نازلة لفرعنا إليك، بمعنى: لفرعنا إليك لتعيننا. وقوله: ( وَلَهُمْ عَلَيَّ دَنْبٌ ) يقول: ولقوم فرعون عليّ دعوى ذنب أذنبت < 338-19 > إليهم، وذلك قتله النفس التي قتلها منهم.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( وَلَهُمْ عَلَيَّ دَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ) قال: قتل النفس التي قتل منهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: قتل موسى النفس.

قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة، قوله: ( وَلَهُمْ عَلَيَّ دَنْبٌ ) قال: قتل النفس.

وقوله: ( فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ) يقول: فأخاف أن يقتلوني قودا بالنفس التي قتلت منهم.

القول في تأويل قوله تعالى : قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (15) فَآتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (16) أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (17)

يقول تعالى ذكره: ( كَلَّا ) : أي لن يقتلك قوم فرعون. ( فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا ) يقول: فاذهب أنت وأخوك بآياتنا، يعني بأعلامنا وحججنا التي أعطيناك عليهم. وقوله: ( إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ) من قوم فرعون ما يقولون لكم، ويجيبونكم به. وقوله: ( فَآتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا ) ... الآية، يقول: فات أنت يا موسى وأخوك هارون فرعون. ( فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ) إليك ب ( أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ) وقال رسول رب العالمين، وهو يخاطب اثنين بقوله فقولا لأنه أراد به المصدر من أرسلت، يقال: أرسلت رسالة ورسولا كما قال الشاعر:

لَقَدْ كَذَّبَ الْوَأَشُونَ مَا بُحِثَ عِنْدَهُمْ

بِسُوءٍ وَلَا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولٍ (10)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 19-339 >

يعنى برسالة, وقال الآخر:

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي خُفَاةً

رَسُولًا بَيِّتُ أَهْلِكَ مُنْتَهَاهَا (11)

يعني بقوله: رسولا رسالة, فأنت لذلك الهاء.

القول في تأويل قوله تعالى: قَالَ أَلَمْ نُنزِّبْكَ فِيْنَا وَلِيْدًا وَلَيِّنْتْنَا فِيْنَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18) وَقَعَلْتْنَا فَعَلْتْنَا الَّتِي فَعَلْتْنَا وَأَنْتْنَا مِنَ الْكَافِرِينَ (19)

وفي هذا الكلام محذوف استغني بدلالة ما ظهر عليه منه, وهو: فأتيا فرعون فأبلغاه رسالة ربهما إليه, فقال فرعون: ألم نريك فينا يا موسى وليدا, ولبثت فينا من عمرك سنين؟ وذلك مكثه عنده قبل قتل القليل الذي قتله من القبط. (وَقَعَلْتْنَا فَعَلْتْنَا الَّتِي فَعَلْتْنَا ) يعني: قتله النفس التي قتل من القبط.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو, قال: ثنا أبو عاصم, قال: ثنا عيسى; وحدثني الحارث, قال: ثنا الحسن, قال: ثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَقَعَلْتْنَا فَعَلْتْنَا الَّتِي فَعَلْتْنَا وَأَنْتْنَا مِنَ الْكَافِرِينَ \* قَالَ فَعَلْتْنَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ قال: قتل النفس

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

وإنما قيل ( وَقَعَلْتْنَا فَعَلْتْنَا ) لأنها مرة واحدة, ولا يجوز كسر الفاء إذا أريد بها هذا المعنى. وذكر عن الشعبي أنه قرأ ذلك: " وَقَعَلْتْنَا فَعَلْتْنَا " بكسر الفاء, وهي قراءة لقراءة القراء من أهل الأمصار- مخالفة.

وقوله: ( وَأَنْتْنَا مِنَ الْكَافِرِينَ ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معنى ذلك: وأنت من الكافرين بالله على ديننا.

< 19-340 >

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ( وَفَعَلَتْ  
فَعَلَّتْكَ الَّتِي فَعَلَّتْ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ) يعني على ديننا هذا الذي تعيب.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وأنت من الكافرين نعمتنا عليك.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَفَعَلَتْ  
فَعَلَّتْكَ الَّتِي فَعَلَّتْ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ) قال: ربيناك فينا وليدا، فهذا الذي  
كافأنا أن قتلنا منا نفسا، وكفرت نعمتنا!.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه،  
عن ابن عباس: ( وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ) يقول: كافرا للنعمة لأن فرعون لم يكن  
يعلم ما الكفر.

قال أبو جعفر: وهذا القول الذي قاله ابن زيد أشبه بتأويل الآية، لأن فرعون  
لم يكن مقرا لله بالربوبية وإنما كان يزعم أنه هو الرب، فغير جائز أن يقول  
لموسى إن كان موسى كان عنده على دينه يوم قتل القليل على ما قاله  
السدي: فعلت الفعلة وأنت من الكافرين، الإيمان عنده: هو دينه الذي كان  
عليه موسى عنده، إلا أن يقول قائل: إنما أراد: وأنت من الكافرين يومئذ يا  
موسى، على قولك اليوم، فيكون ذلك وجهها يتوجه. فتأويل الكلام إذن: وقتلت  
الذي قتلنا منا وأنت من الكافرين نعمتنا عليك، وإحساننا إليك في قتلك إياه.

وقد قيل: معنى ذلك: وأنت الآن من الكافرين لنعمتي عليك، وتربيتي إياك.

الهوامش:

(1) البيت لذي الرمة، وقد تقدم الاستشهاد به في سورة الكهف (15: 194)  
على أن معنى البخع: القتل، فراجعه ثمة.

(2) هذا البيت أنشده سيوبه للناطقة الجعدي، (اللسان: نعش) وقبله بيت آخر،  
يصف بهما الخمر، وهو قوله:

وَصَهْبَاءُ لَا يَخْفَى الْقَدَى وَ هِيَ دُونَهُ

تُصَفَّقُ فِي رَأُوقِهَا ثُمَّ تُقْطَبُ

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال: وبنات نعش سبعة كواكب، أربعة منها مربعة، وثلاثة بنات نعش، الواحد: ابن نعش لأن الكوكب مذكر فيذكرونه على تذكيره. وإذا قالوا: ثلاث أو أربع ذهبوا إلى البنات، وكذلك بنات نعش الصغرى. واتفق سيبويه والفراء على ترك صرف نعش للمعرفة والتأنيث. وقيل: شبهت بحملة النعش في تربيعها. وجاء في الشعر بنو نعش، أنشد سيبويه للنابعة الجعدي: \* وصهباء لا يخفي .....

" البيتان، الصهباء: الخمر. وقوله: "لا يخفى القذى وهي دونه" أي لا تستره إذا وقع فيها، لكونها صافية، فالقذى يرى فيها إذا وقع. وقوله: وهي دونه: يريد أن القذى إذا حصل في أسفل الإناء، رآه الرائي في الموضع الذي فوقه الخمر، والخمر أقرب إلى الرائي من القذى. يريد أنها يرى ما وراءها. وتصفق تدار من إناء إلى إناء وقوله: تميزتها: أي شربتها قليلا قليلا. وتقطب: تمزج بالماء. قال الأزهري: وللشاعر إذا اضطر أن يقول: بنو نعش، كما قال الشاعر، وأنشد البيت، ووجه الكلام: بنات نعش، كما قالوا: بنات أوى وبنات عرس، والواحد منها ابن عرس، يؤنثون جمع ما خلا الآدميين. ورواية أبي عبيدة في (مجاز القرآن ص 171): شربت إذا ما الديك... إلخ البيت.

(3) البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة (اللسان: شرق) قال: شرق الشيء شرقًا، فهو شرق: اشتدت حمرة بدم، أو بحسن لون أحمر، قال الأعشى: "وتشرق بالقول.. البيت. والبيت هو الرابع والثلاثون من قصيدة في ديوانه (طبع القاهرة ص 121) يهجو بها عمير بن عبد الله بن المنذر بن عبدان، حين جمع بينه وبين جهنم الشاعر ليهاجيه. قال شارح الديوان: "وحتى تشرق بما أذعنت من قول، كما يشرق مقدم الرمح بالدم". وصدر القناة: أعلاها. والشاهد في البيت أنه أنت الفعل شرق بالتاء، مع أن فاعله وهو "صدر" مذكر. ولكنه لما أضيف إلى القناة وهي مؤنثة، فكانه جعل الفعل للقناة لا لصدرها.

(4) لم أجد البيت في ديوان العجاج ورؤية. ووجدت أرجوزة من نفس القافية للزفيان ملحقة بديوان العجاج (94، 95) وليس فيها البيت. والمتن: الظهر. والشاهد في هذا الرجز أنه أنت الفعل أبعدت بالتاء، مع أن الضمير فيه راجع إلى المتن، وهو مذكر؛ لكن لما أضيف المتن إلى السماء وهي مؤنثة، فكان الشاعر أعاد الضمير على السماء، وتناسى المتن، فأنت لذلك، وكأنه قال: "لما رأى السماء أبعدت". وهو كالشاهد الذي قبله.

(5) البيت للفرزدق (اللسان: قبض). والقنبضة من النساء: القصيرة، والنون زائدة، والضمير في رقدن: يعود إلى نساء وصفهن بالنعمة والترف إذا كانت القنبضات السود في خدمة وتعب أو ه. يعني بالقنبضات الولائد والإماء من الخدم. والحجال: جمع حجلة، بالتحريك، وهي بيت كالقبة يستر بالثياب، ويكون له أزرار كبار. ومنه حديث: "أعروا النساء يلزمن الحجال". وجمع الحجلة: حجل وحجال، قال الفرزدق: \* رقدن عليهن الحجال المسجف \*

قال: الحجال، وهي جماعة، ثم قال: المسجف فذكر، لأن لفظ الحجال لفظ الواحد مثل الجراب. قال: ومثله قوله تعالى: (قال من يحيي العظام وهي رميم)، ولم يقل رميمة. وانظر البيت أيضًا في ديوان الفرزدق (طبعة الصاوي

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ص 552) قال: والتسجيف: إرخاء السجفين، وهما ستر باب الحجة للعروس وكل باب يستتره ستران بينهما مشقوق، فكل شق منهما سجف. (6) البيتان لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه ص 223) من قافيته التي مطلعها: \* أرقت وما هذا السهاد المؤرق \*

يمدح بها المحلق بن خنثم بن شداد بن ربيعة. وفي رواية البيت الأول فيه وفي خزانة الأدب الكبرى (للبيغادي 1: 551، 2: 410) أسرى، في موضع: أهدى. و"أن المعان موفق" في موضع "أن المعان الموفق". = ومعنى أهدى من الهدية، وهذا لا يصلح إلا على أن الخطاب للناقة وكان قد أهداها الممدوح إليه، لا على أن الخطاب للمرأة المذكورة في القصيدة قبل البيت في قوله "وكم دون ليلي" وتمام رواية البيت على أنه خطاب للناقة هو:

وإن امرأ أهداك بيني وبينه

فياف تنوفات ويهماء سملق

والأكثر على رواية أسرى إليك، وأنه خطاب للمرأة، وعليه بنى الكوفيون كلامهم في الاستشهاد بالبيت. وأسرى: لغة في سرى أي سار ليلاً. والموماة: الأرض التي لا ماء فيها. والبيداء واليهماء القفر. والسملق: الأرض المستوية. وقد اختلف النحويون في تخريج قوله: "المحقوقة أن تستجيبى"، ف قيل: لمحقوقة استجابتك أي استجابتك محقوقة. وعليه فالتأنيث في محقوقة للمصدر المؤنث جوازاً. وعليه أيضاً فلا شاهد في البيت. وقال الكوفيون: محقوقة خبر إن امرأ، غير جار على من هو له وهو امرأ، وإنما هو جار على المرأة المخاطبة بقوله إليك. والبصريون يوجبون إذا جرى الخبر على غير من هو له إبراز الضمير المستتر فيه، فكان حقه أن يقول: لمحقوقة أنت أن تستجيبى لصوته. ويرى الكوفيون أن إبراز الضمير المستتر في مثل هذه الحالة حكمه الجواز لا الوجوب، واستدلوا بالبيت على ترك إبرازه. ورد البصريون كلامهم بما لا محل لذكره هنا. واستشهد المؤلف بالبيت على ما استشهد به الكوفيون. (7) البيت ذكره ابن الأنباري في الإنصاف ولم ينسبه وكذلك لم ينسبه البيغادي في الخزانة (2: 411) وهو كالشاهد الذي قبله. قال البيغادي: الظاهر من كلام ابن الشجري في أماليه، ومن كلام ابن الأنباري في مسائل الخلاف، ومن كلام غيرهما: أن مذهب الكوفيين، جواز ترك التأكيد مطلقاً، سواء أمن اللبس أم لا. قال ابن الأنباري: احتج الكوفيون لمذهبهم بالشعر المتقدم، ويقولون: "تري أرباقهم.." البيت. ولو كان إبراز الضمير واجباً لقال: متقلديها هم. فلما لم يبرز الضمير دل على جوازه. وأجاب البصريون عن هذا بأنه على حذف مضاف، أي نرى أصحاب أرباقهم متقلديها. ورواية البيت في الخزانة والإنصاف: "تري أرباقهم" في موضع "تري أرباقهم". وكذلك أنشده الفراء في معاني القرآن: أرباقهم (ص 228).

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(8) هذا البيت مما استشهد به الفراء في معاني القرآن (الورقة 328) قال عند قوله تعالى: (فظلت أعناقهم لها خاضعين): الفعل للأعناق، فيقول القائل: كيف لم يقل خاضعة. وفي ذلك وجه كلها صواب. أولها: أن مجاهدًا جعل الأعناق الرجال الكبراء، فكانت الأعناق ها هنا بمنزلة قولك: ظلت رءوسهم، رءوس القوم وكبرائهم (لها خاضعين)، الآية. والوجه الآخر: أن تجعل الأعناق الطوائف، كما تقول: رأيت الناس إلى فلان عنقًا واحدًا، فتجعل الأعناق: الطوائف والعصب. وأحب إليّ من هذين الوجهين في العربية: أن الأعناق إذا خضعت، فأربابها خاضعون، فجعلت الفعل أولًا للأعناق. ثم جعلت خاضعين للرجال، كما قال الشاعر "على قبضة مرجوة.. البيت. فأنت فعل الظهر، لأن الكف تجمع الظهر، وتكفي منه.

(9) البيت لجبر، وقد سبق الاستشهاد به في الجزء (12 : 157) وذكره صاحب (اللسان: خضع) قال: جاز أن يخبر عن المضاف إليه كما قال الشاعر "رأت مر السنين"، لما كانت السنون لا تكون إلا بمن أخبر عن السنين، وإن كان أضاف إليها المرور. والسرار: الليلة التي يخفى فيها الهلال آخر الشهر. ورواية "رأت مر السنين": هي رواية الديوان (طبعة الصاوي: 426) ورواية أبي عبيدة في مجاز القرآن (ص 171).

(10) البيت في (اللسان: رسل). وفي رواية "بليلى" في موضع "بسوء". قال: والإرسال التوجيه، وقد أرسل إليه. والاسم الرسالة (بكسر الراء المشددة وفتحها) والرسول والرسيل. الأخيرة عن ثعلب. وأنشد: "لقد كذب الواشون. ز" البيت قال: والرسول بمعنى الرسالة يؤنث ويذكر. وفي (اللسان: رسل) رواية أخرى للبيت كرواية المؤلف، ونسبه إلى كثير.

(11) البيت لعباس بن مرداس (اللسان: رسل). قال: فأنت الرسول (بعود الضمير المؤنث) حيث كان بمعنى الرسالة. وهذا البيت من المقطوعة التي منها الشاهد السابق (ص 37) وهو: "فأيي ما وأيك.. البيت. يهجو به العباس بن مرداس خفاف بن ندية لشيء كان بينهما (خزاية الأدب للبيدادي 2: 229). القول في تأويل قوله تعالى: قَالَ فَعَلْتُمَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ (20) فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (21)

يقول تعالى ذكره: قال موسى لفرعون: فعلت تلك الفعلة التي فعلت، أي قتلت تلك النفس التي قتلت إذن وأنا من الصالين. يقول: وأنا من الجاهلين قبل أن يأتيني من الله وحى بتحريم قتله عليّ. والعرب تضع من الضلال موضع الجهل، والجهل موضع < 341-19 > الضلال، فتقول: قد جهل فلان الطريق وضل الطريق، بمعنى واحد.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ( وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ ) قال: من الجاهلين.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج, عن مجاهد,  
مثله.

قال ابن جُرَيْج: وفي قراءة ابن مسعود: " وَأَنَا مِنَ الْجَاهِلِينَ".

قال: ثنا الحسين, قال: ثنا أبو سفيان, عن معمر, عن قتادة: ( وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ )  
قال: من الجاهلين.

حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت  
الضحاك يقول في قوله: وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ فقال موسى: لم أكفر, ولكن  
فعلتها وأنا من الصالين. وفي حرف ابن مسعود: " فعلتها إذا وأنا من الجاهلين  
".

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: ( قَالَ فَعَلْتُهَا  
إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ ) قبل أن يأتيني من الله شيء كان قتلي إياه ضلالة  
خطأ. قال: والضلالة ههنا الخطأ, لم يقل ضلاله فيما بينه وبين الله.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه,  
عن ابن عباس: ( قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ ) يقول: وأنا من الجاهلين.

وقوله ( فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ )... الآية, يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل  
موسى لفرعون: ( فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ ) معشر الملائ من قوم فرعون ( لَمَّا خِفْتُكُمْ )  
أن تقتلونني بقتلي القتل منكم. ( فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا ) يقول: فوهب لي ربي  
نبوة وهي الحكم.

كما حدثنا موسى بن هارون, قال: ثنا عمرو, قال: ثنا أسباط عن السدي:  
( فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا ) والحكم: النبوة.

وقوله: ( وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ) يقول: وألحقني بعداد من أرسله إلى خلقه,  
مبلغاً عنه رسالته إليهم بإرساله إياي إليك يا فرعون.

< 19-342 >

القول في تأويل قوله تعالى: ( وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
(22) قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (23) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا  
بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (24)

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل نبيه موسى صلى الله عليه وسلم لفرعون  
( وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ ) يعني بقوله: وتلك تربية فرعون إياه, يقول: وتربيتك  
إياي, وتركك استعبادي, كما استعبدت بني إسرائيل نعمة منك تمنها عليّ بحق.  
وفي الكلام محذوف استغني بدلالة ما ذكر عليه عنه, وهو: وتلك نعمة تمنها



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

علي أن عبدت بني إسرائيل وتركتني، فلم تستعبدني، فترك ذكر " وتركتني " لدلالة قوله ( أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ) عليه، والعرب تفعل ذلك اختصاراً للكلام، ونظير ذلك في الكلام أن يستحق رجلان من ذي سلطان عقوبة، فيعاقب أحدهما، ويعفو عن الآخر، فيقول المعفو عنه هذه نعمة علي من الأمير أن عاقب فلانا، وتركتني، ثم حذف " وتركتني " لدلالة الكلام عليه، ولأن في قوله: ( أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ) وجهين: أحدهما النصب، لتعلق " تمنها " بها، وإذا كانت نصبا كان معنى الكلام: وتلك نعمة تمنها علي لتعبدك بني إسرائيل. والآخر: الرفع على أنها ردّ على النعمة. وإذا كانت رفعاً كان معنى الكلام: وتلك نعمة تمنها عليّ تعبيدك بني إسرائيل. ويعني بقوله: ( أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ) : أن اتخذتهم عبيداً لك. يقال منه: عبدت العبيد وأعبدتهم، قال الشاعر:

عَلَامٌ يُعِيدِنِي قَوْمِي وَقَدْ كَثُرَتْ

فِيهَا أَبَاعِرُ مَا شَاءُوا وَعُجْبَانُ (1)

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ( تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ) قال: قهرتهم واستعملتهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، قال: > 343-19 < تمن علي أن عبّدت بني إسرائيل، قال: قهرت وغلبت واستعملت بني إسرائيل.

حدثنا موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ( وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ) وربيتني قبل وليداً.

وقال آخرون: هذا استفهام كان من موسى لفرعون، كأنه قال: أتمنّ عليّ أن اتخذت بني إسرائيل عبيداً.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ( وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ ) قال: يقول موسى لفرعون: أتمنّ عليّ أن اتخذت أنت بني إسرائيل عبيداً.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

واختلف أهل العربية في ذلك، فقال بعض نحويي البصرة: وتلك نعمة تمنها عليّ، فيقال: هذا استفهام كأنه قال: أتمنأ عليّ؟ ثم فسر فقال: (أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ) وجعله بدلا من النعمة. وكان بعض أهل العربية ينكر هذا القول، ويقول: هو غلط من قائله لا يجوز أن يكون همز الاستفهام يلقى، وهو يطلب، فيكون الاستفهام كالخبر، قال: وقد استقيح ومعه أم، وهي دليل على الاستفهام واستقبحوا:

تَرُوْخٌ مِّنَ الْحَيِّ أَمْ تَتَّبَعُونَ

وَمَاذَا يَصُورُكَ لَوْ تَنْتَظِرُ؟ (2)

قال: وقال بعضهم: هو أتروح من الحيّ، وحذف الاستفهام أوّلا اكتفاء بأم. وقال أكثرهم: بل الأوّل خبر، والثاني استفهام، وكان " أم " إذا جاءت بعد الكلام فهي الألف، فأما وليس معه أم، فلم يقله إنسان.

وقال بعض نحويي الكوفة في ذلك ما قلنا. وقال: معنى الكلام: وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين لنعمتي: أي لنعمة تربيتي لك، فأجابه فقال: نعم هي نعمة عليّ أن عبدت الناس ولم تستعبدني.

وقول ( قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ) يقول: وأي شيء رب العالمين؟

( قال ) < 344-19 > موسى هو ( رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ) ومالكهن ( وَمَا بَيْنَهُمَا ) يقول: ومالك ما بين السموات والأرض من شيء. ( إِنَّكُمْ مَّقْرُونُونَ ) يقول: إن كنتم موقنين أن ما تعابنونه كما تعابنونه، فكذلك فأيقنوا أن ربنا هو رب السموات والأرض وما بينهما.

القول في تأويل قوله تعالى : قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ (25) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ (26) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّكُمْ تَعْقِلُونَ (28) قَالَ لئن اتَّخَذتُ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (29)

يعني تعالى ذكره بقوله ( قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ) قال فرعون لمن حوله من قومه: ألا تسمعون لما يقول موسى، فأخبر موسى عليه السلام القوم بالحواب عن مسألة فرعون إياه وقيله له وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ليفهم بذلك قوم فرعون مقالته لفرعون، وجوابه إياه عما سأله، إذ قال لهم فرعون ( أَلَا تَسْمَعُونَ ) إلى قول موسى، فقال لهم الذي دعوته إليه وإلى عبادته ( رَبُّكُمْ ) الذي خلقكم ( وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ) فقال فرعون لما قال لهم موسى ذلك، وأخبرهم عما يدعو إليه فرعون وقومه: ( إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ) يقول: إن رسولكم هذا الذي يزعم أنه أرسل إليكم لمغلوب

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

على عقله، لأنه يقول قولاً لا نعرفه ولا نفهمه، وإنما قال ذلك ونسب موسى عدو الله إلى الجنة، لأنه كان عنده وعند قومه أنه لا رب غيره يعبد، وأن الذي يدعوه إليه موسى باطل ليست له حقيقة، فقال موسى عند ذلك محتجاً عليهم، ومعرفهم ربهم بصفته وأدلته، إذ كان عند قوم فرعون أن الذي يعرفونه رباً لهم في ذلك الوقت هو فرعون، وأن الذي يعرفونه لأبائهم أرباباً ملوكاً آخر، كانوا قبل فرعون، قد مضوا فلم يكن عندهم أن موسى أخبرهم بشيء له معنى يفهمونه ولا يعقلونه، ولذلك قال لهم فرعون: إنه مجنون، لأن كلامه كان عندهم كلاماً لا يعقلون معناه، وقوله: (قَالَ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا) فمعناه: الذي أدعوكم وفرعون إلى عبادته رب المشرق والمغرب وما بينهما يعني ملك مشرق الشمس ومغربها، وما بينهما من شيء لا إلى عبادة ملوك مصر الذين كانوا ملوكها قبل فرعون لأبائكم فمضوا، ولا إلى عبادة فرعون الذي هو ملكها. (إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) يقول: إن كان لكم عقول تعقلون بها ما يقال لكم، وتفهمون بها ما تسمعون مما يعين لكم؛ فلما أخبرهم عليه السلام بالأمر الذي علموا أنه الحق < 345-19 > الواضح، إذ كان فرعون ومن قبله من ملوك مصر لم يجاوز ملكهم عريش مصر، وتبين لفرعون ومن حوله من قومه أن الذي يدعوهم موسى إلى عبادته، هو الملك الذي يملك الملوك. قال فرعون حينئذ استكباراً عن الحق، وتمادياً في الغي لموسى: (لَئِن اتَّخَذْتُ إِلَٰهًا غَيْرِي) يقول: لئن أقررت بمعبود سواي (لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُودِينَ) يقول: لأسجنك مع من في السجن من أهله.

القول في تأويل قوله تعالى: (قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ (30) قَالَ فَأَتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (31) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (32) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (33))

يقول تعالى ذكره: قال موسى لفرعون لما عرفه ربه، وأنه رب المشرق والمغرب، ودعاه إلى عبادته وإخلائه الألوهة له، وأجابه فرعون بقوله لئن اتَّخَذْتُ إِلَٰهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُودِينَ: أتجعلني من المسجودين (أولئك جئتك بشيءٍ مبين) بين لك صدق ما أقول يا فرعون وحقيقة ما أدعوك إليه؟ وإنما قال ذلك له، لأن من أخلاق الناس السكون للإنصاف، والإجابة إلى الحق بعد البيان؛ فلما قال موسى له ما قال من ذلك، قال له فرعون: فات بالشيء المبين حقيقة ما تقول، فإن لن نسجنك حينئذ إن اتخذت إلهاً غيري إن كنت من الصادقين: يقول: إن كنت محققاً فيما تقول، وصادقاً فيما تصف وتخبر، (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ) يقول جل ثناؤه: فألقى موسى عصاه فتحولت ثعباناً، وهي الحية الذكر كما قد بينت فيما مضى قبل من صفته وقوله (مُبِينٌ) يقول: يبين لفرعون والملا من قومه أنه ثعبان.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي بكر بن عبد الله, عن شهر بن حوشب, عن ابن عباس, قوله: ( فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ) يقول: مبين له خلق حية.

وقوله: ( وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ ) يقول: وأخرج موسى يده من جيبه فإذا هي بيضاء تلمع ( للناظرين ) لمن ينظر إليها ويراها.

< 19-346 >

حدثنا أبو كريب, قال: ثنا عثام بن عليّ, قال: ثنا الأعمش, عن المنهال, قال: ارتفعت الحية في السماء قدر ميل, ثم سفلت حتى صار رأس فرعون بين ناييها, فجعلت تقول: يا موسى مرني بما شئت, فجعل فرعون يقول: يا موسى أسألك. بالذي أرسلك, قال: فأخذه بطنه.

القول في تأويل قوله تعالى : قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (34) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (35) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (36) يَا تُوَكُّ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ (37)

يقول تعالى ذكره: قال فرعون لما أراه موسى من عظيم قدرة الله وسلطانه حجة عليه لموسى بحقيقة ما دعاه إليه, وصدق ما أتاه به من عند ربه ( لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ ) يعني لأشراف قومه الذين كانوا حوله. ( إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ) يقول: إن موسى سحر عصاه حتى أراكموها ثعباناً ( عَلِيمٌ ), يقول: ذو علم بالسحر وبصر به. ( يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ ) يقول: يريد أن يخرج بني إسرائيل من أرضكم إلى الشام بقهره إياكم بالسحر. وإنما قال: يريد أن يخرجكم فجعل الخطاب للملأ حوله من القبط, والمعنى به بنو إسرائيل, لأن القبط كانوا قد استعبدوا بني إسرائيل, واتخذوهم خدماً لأنفسهم ومهاناً, فلذلك قال لهم: ( يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ ) وهو يريد: أن يخرج خدمكم وعبيدكم من أرض مصر إلى الشام.

وإنما قلت معنى ذلك كذلك, لأن الله إنما أرسل موسى إلى فرعون يأمره بإرسال بني إسرائيل معه, فقال له ولأخيه قَاتِلَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* أَنْ أُرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ .

وقوله: ( فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ) يقول: فأي شيء تأمرون في أمر موسى وما به تشيرون من الرأي فيه؟ ( قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ) يقول تعالى ذكره: فأجاب فرعون الملأ حوله بأن قالوا له: أحر موسى وأخاه وأنظره, وأبعث في بلادك وأمصار مصر حاشرين يحشرون إليك كل سحر عليم بالسحر.

القول في تأويل قوله تعالى : فَجَمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (38) > 347-19 < وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (39)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره: فجمع الحاشرون الذين بعثهم فرعون بحشر السحرة (لَمِيقَاتٍ يَوْمَ مَعْلُومٍ) يقول: لوقت واعد فرعون لموسى الاجتماع معه فيه من يوم معلوم، وذلك يوم الزينة وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَى .

وقيل للناس: هل أنتم مجتمعون لتتنظروا إلى ما يفعل الفريقان، ولمن تكون الغلبة، لموسى أو للسحرة؟

الهوامش:

(1) البيت من شواهد (اللسان: عبد) قال: تعبد الرجل (وعبده) بتشديد الباء فيهما، وأعبده: صيره كالعبد. قال الشاعر: "ختم يعبدني قومي..". البيت.  
(2) البيت: لامرء القيس بن حجر الكندي (مختار الشعر الجاهلي بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي ص 115) تروح: أتروح، وتبتكر: تخرج مبكرًا. يقول: أتروح إلى أهلك آخر النهار، أم تخرج إليهم بكرة، وما الذي يعجلك عن الانتظار وهو خير لك. والبيت شاهد على أنه حذف همزة الاستفهام اكتفاء بدلالة أم عليه. وبعضهم يستقبح الحذف في هذا الموضع. وبمنعه فيما يليس بالخبر. القول في تأويل قوله تعالى : لَعَلْنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْعَالِيِينَ (40)

فلعلنا نتبع السحرة، ومعنى لعل هنا كي، يقول: كي نتبع السحرة، إن كانوا هم الغالبين موسى، وإنما قلت ذلك معناها: لأن قوم فرعون كانوا على دين فرعون، فغير معقول أن يقول من كان على دين: أنظر إلى حجة من هو على خلافي لعلني أتبع ديني، وإنما يقال: أنظر إليها كي أزداد بصيرة بديني، فأقيم عليه. وكذلك قال قوم فرعون. فإياها عنوا بقليلهم: (لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين).

وقيل: إن اجتماعهم للميقات الذي اتعد للاجتماع فيه فرعون وموسى كان بالإسكندرية.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ قال: كانوا بالإسكندرية، قال: ويقال: بلغ ذنب الحية من وراء البحيرة يومئذ، قال: وهربوا وأسلموا فرعون وهمت به، فقال: فخذها يا موسى، قال: فكان فرعون مما يلي الناس منه أنه كان لا يضع على الأرض شيئًا، قال: فأحدث يومئذ تحته، قال: وكان إرساله الحية في القبة الحمراء.

القول في تأويل قوله تعالى : فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَا لِأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِيِينَ (41) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (42) قَالَ لَهُمْ

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (43) فَالْقُوا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِيُونَ (44)

يقول تعالى ذكره: ( فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ ) فرعون لوعده لموسى وموعد فرعون ( قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَمَّا لِأَجْرًا ) سحرنا قبلك ( إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِيِينَ ) مُوسَى ، ( قَالَ ) فرعون لهم ( نَعَمْ ) لكم الأجر على ذلك ( وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ) منا. فقالوا عند ذلك لموسى: إما أن تلقي، وإما أن نكون نحن الملقين، وترك ذكر قبلمهم < 348-19 > ذلك لدلالة خبر الله عنهم أنهم قال لهم موسى: ألقوا ما أنتم ملقون، على أن ذلك معناه ف ( قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ) من حبالكم وعصيكم. ( فَالْقُوا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ ) من أيديهم ( وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ ) يقول: أقسموا بقوة فرعون وشدة سلطانه، ومنعة مملكته ( إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِيُونَ ) موسى.

القول في تأويل قوله تعالى : فَالْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (45) فَالْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (46) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (47) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (48) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (49)

يقول تعالى ذكره: ( فَالْقَى مُوسَى عَصَاهُ ) حين ألقت السحرة حبالهم وعصيهم. ( فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ) يقول: فإذا عصا موسى تزدرد ما يلتون به من الفرية والسحر الذي لا حقيقة له، وإنما هو مخايل (1) وخذعة. ( فَالْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ) يقول: فلما تبين السحرة أن الذي جاءهم به موسى حق لا سحر، وأنه مما لا يقدر عليه غير الله الذي فطر السموات والأرض من غير أصل، خرّوا لوجوههم سجدا لله، مذعنين له بالطاعة، مقرّين لموسى بالذي أتاهم به من عند الله أنه هو الحق، وأن ما كانوا يعملونه من السحر باطل، قائلين: ( آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ) الذي دعانا موسى إلى عبادته دون فرعون وملئه. ( رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ) يقول جل ثناؤه: قال فرعون للذين كانوا سحرته فأمّنوا: أمّنتم لموسى بأن ما جاء به حق قبل أن آذن لكم في الإيمان به. ( إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ) يقول: إن موسى لرئيسكم في السحر، وهو الذي علمكموه، ولذلك أمّنتم به. ( فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ) عند عقابي إياكم وبال ما فعلتم، وخطأ ما صنعتم من الإيمان به.

القول في تأويل قوله تعالى : قَالُوا لَا صَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (50)

< 19-349 >  
يقول لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مخالفا في قطع ذلك منكم بين قطع الأيدي والأرجل، وذلك أن أقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، ثم اليد اليسرى والرجل اليمنى، ونحو ذلك من قطع اليد من جانب، ثم الرجل من الجانب الآخر، وذلك هو القطع من خلاف وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ فوكد ذلك بأجمعين إعلاما منه أنه غير مُسْتَبَقٍ منهم أحدا. ( قَالُوا لَا صَيْرَ ) يقول تعالى ذكره: قالت السحرة: لا

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ضبر علينا; وهو مصدر من قول القائل: قد ضار فلانٌ فلانا فهو يضير ضيرا، ومعناه: لا ضرر.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( لا ضَيْرَ ) قال: يقول: لا يضرنا الذي تقول، وإن صنعه بنا وصلبتنا. ( إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ) يقول: إنا إلى ربنا راجعون، وهو مجازينا بصبرنا على عقوبتك إيانا، وثباتنا على توحيدِهِ، والبراءة من الكفر به.

القول في تأويل قوله تعالى : إِنَّا يَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَا أَنْ كُنَّا أَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ (51) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِلَيْكُمْ مُتَّبِعُونَ (52)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل السحرة: إنا نطمع: إنا نرجو أن يصفع لنا ربنا عن خطايانا التي سلفت منا قبل إيماننا به، فلا يعاقبنا بها.

كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( إِنَّا يَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَا ) قال: السحر والكفر الذي كانوا فيه. ( أَنْ كُنَّا أَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ ) يقول: لأن كنا أول من آمن بموسى وصدق به بما جاء به من توحيد الله وتكذيب فرعون في ادعائه الربوبية في دهرنا هذا وزماننا.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( أَنْ كُنَّا أَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال: كانوا كذلك يومئذ أول من آمن بآياته حين رأوها.

< 19-350 >

وقوله: ( وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ) يقول: وأوحينا إلى موسى إذ تمادى فرعون في غيه وأبى إلا الثبات على طغيانه بعد ما أريناه آياتنا، أن أسر بعبادي: يقول: أن سر بني إسرائيل ليلا من أرض مصر. ( إِلَيْكُمْ مُتَّبِعُونَ ) إن فرعون وجنده متبعوك وقومك من بني إسرائيل، ليحولوا بينكم وبين الخروج من أرضهم، أرض مصر.

القول في تأويل قوله تعالى : فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (53) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (54) وَإِنَّهُمْ لَنَا لِعَائِلُونَ (55) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ (56)



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره: فأرسل فرعون في المدائن يحشر له جنده وقومه ويقول لهم ( إِنَّ هَؤُلَاءِ ) يعني بهؤلاء: بني إسرائيل ( لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ) يعني بالشرذمة: الطائفة والعصبة الباقية من عصب جبيرة، وشرذمة كل شيء: بقيته القليلة; ومنه قول الراجز:

جَاءَ الشُّتَاءُ وَقَمِصِي أَخْلَاقٍ

شَرَاذِمٌ يَصْحَكُ مِنْهُ التَّوَّاقُ (2)

وقيل: قليلون، لأن كل جماعة منهم كان يلزمها معنى القلة; فلما جمع جمع جماعاتهم قيل: قليلون، كما قال الكميت:

فَرَدَّ قَوَاصِي الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ

فَقَدْ صَاوُوا كَحَيِّ وَاحِدِنَا (3)

< 19-351 >

وذكر أن الجماعة التي سماها فرعون شرذمة قليلين، كانوا ستّ مئة ألف وسبعين ألفاً.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة: ( إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ )، قال: كانوا ستّ مئة وسبعين ألفاً.

قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد الله، قال: الشرذمة: ستّ مئة ألف وسبعون ألفاً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب القرظي، عن عبد الله بن شدّاد بن الهاد، قال: اجتمع يعقوب وولده إلى يوسف، وهم اثنان وسبعون، وخرجوا مع موسى وهم ستّ مئة ألف، فقال فرعون ( إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ )، وخرج فرعون على فرس أدهم حصان على لون فرسه في عسكره ثمان مئة ألف.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عليّ، عن سعيد الجريري، عن أبي السليل، عن قيس بن عباد، قال: وكان من أكثر الناس أو أحدث الناس عن بني إسرائيل، قال: فحدثنا أن الشرذمة الذين سماهم فرعون من بني إسرائيل

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

كانوا ستّ مئة ألف، قال: وكان مقدمة فرعون سبعة مئة ألف، كل رجل منهم على حصان على رأسه بيضة، وفي يده حربة، وهو خلفهم في الدهم. فلما انتهى موسى ببني إسرائيل إلى البحر، قالت بنو إسرائيل: يا موسى أين ما وعدتنا، هذا البحر بين أيدينا، وهذا فرعون وجنوده قد دهمنا من خلفنا، فقال موسى للبحر: انفلق أبا خالد، قال: لا لن أنفلق لك يا موسى، أنا أقدم منك خلقا؛ قال: فنودي أن اضرب بعصاك البحر، فضربه، فانفلق البحر، وكانوا اثني عشر سبطا. قال الجريري: فأحسبه قال: إنه كان لكل سبط طريق، قال: فلما انتهى أول جنود فرعون إلى البحر، هابت الخيل للهب؛ قال: ومثل لحصان منها فرس وديق، فوجد ريحها فاشتدّ، فاتبعه الخيل؛ قال: فلما تمام آخر جنود فرعون في البحر، وخرج آخر بني إسرائيل، أمر البحر فانصفق عليهم، فقالت بنو إسرائيل: ما مات فرعون وما كان ليموت أبدا، فسمع الله تكذيبهم نبيه عليه السلام، قال: فرمى به على الساحل، كأنه ثور أحمر يتراءاه بنو إسرائيل.

< 19-352 >

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، في قوله: ( إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ) يعني بني إسرائيل.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ( إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ) قال: هم يومئذ ستّ مئة ألف، ولا يحصى عدد أصحاب فرعون.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قوله: وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِلَيْكُمْ مُتَّبِعُونَ قال: أوحى الله إلى موسى أن أجمع بني إسرائيل، كل أربعة أبيات في بيت، ثم اذبحوا أولاد الضأن، فاضربوا بدمائها على الأبواب، فإني سأمر الملائكة أن لا تدخل بيتا على بابه دم، وسأمرهم بقتل أبقار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم، ثم اخبزوا خبزا فطيرا، فإنه أسرع لكم، ثم أسر بعبادي حتى تنتهي للبحر، فإتيك أمري، ففعل؛ فلما أصبحوا قال فرعون: هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبقارنا من أنفسنا وأموالنا، فأرسل في أثرهم ألف ألف وخمسة مئة ألف وخمسة مئة ملك مسور، مع كل ملك ألف رجل، وخرج فرعون في الكرش العظيم، وقال ( إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ) قال: قطعة، وكانوا ستّ مئة ألف، مئتا ألف منهم أبناء عشرين سنة إلى أربعين.

قال: ثنا حجاج، عن أبي بكر بن حوشب، عن ابن عباس، قال: كان مع فرعون يومئذ ألف جبار، كلهم عليه تاج، وكلهم أمير على خيل.

قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: كانوا ثلاثين ملكا ساقا خلف فرعون يحسبون أنهم معهم وجبرائيل أمامهم، يرد أوائل الخيل على أواخرها، فأتبعهم حتى انتهى إلى البحر، وقوله: ( وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِطُونَ ) يقول: وإن هؤلاء الشرذمة لنا لغائطون، فذكر أن غيظهم إياهم كان قتل الملائكة من قتلت من أبقارهم.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قوله: ( وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ) يقول: يقتلهم أبقارنا من أنفسنا وأموالنا. وقد يحتمل أن يكون معناه: وإنهم لنا لغائظون بذهابهم منهم بالعواري التي كانوا استعاروها منهم من الحلبي, < 353-19 > ويحتمل أن يكون ذلك بفراقهم إياهم, وخروجهم من أرضهم بكره لهم لذلك.

وقوله ( وَإِنَّا لَجَمِيعٌ خَازِرُونَ ) اختلفت القراء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قراء الكوفة ( وَإِنَّا لَجَمِيعٌ خَازِرُونَ ) بمعنى: أنهم معدون مؤدون ذوو أداة وقوة وسلاح. وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة: " وأنا لجميع حذرون " بغير ألف. وكان الفراء يقول: كأن الحاذر الذي يحذرك الآن, وكان الحذر المخلوق حذرا لا تلقاه إلا حذرا; ومن الحذر قول ابن أحرمر:

هَلْ أَنْسَأَنْ يَوْمًا إِلَى عَيْرِهِ

إِنِّي حَوَالِيٍّ وَأَنِّي حَذِرٌ (4)

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان في قراء الأمصار متقاربتا المعنى, فبايتهما قرأ القارئ, فمصيب الصواب فيه.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار, قال: ثنا سفيان, عن أبي إسحاق, قال: سمعت الأسود بن زيد يقرأ: ( وَإِنَّا لَجَمِيعٌ خَازِرُونَ ) قال: مقوون مؤدون.

حدثنا ابن حميد, قال: ثنا يحيى بن واضح, قال: ثنا عيسى بن عبيد, عن أيوب, عن أبي العرجاء, عن الضحاك بن مزاحم أنه كان يقرأ: ( وَإِنَّا لَجَمِيعٌ خَازِرُونَ ) يقول: مؤدون.

< 19-354 >

حدثنا موسى, قال: ثنا عمرو, قال: ثنا أسباط, عن السدي في قوله: ( وَإِنَّا لَجَمِيعٌ خَازِرُونَ ) يقول: حذرنا, قال: جمعنا أمرنا.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْجٍ: ( وَإِنَّا لَجَمِيعٌ خَازِرُونَ ) قال: مؤدون معدون في السلاح والكراع.

ثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج أبو معشر, عن محمد بن قيس قال: كان مع فرعون ست مئة ألف حصان أدهم سوى ألوان الخيل.

حدثنا عمرو بن عليّ, قال: ثنا أبو داود, قال: ثنا سليمان بن معاذ الضبي, عن عاصم بن بهدلة, عن أبي رزين, عن ابن عباس أنه قرأها: ( وَإِنَّا لَجَمِيعٌ خَازِرُونَ ) قال: مؤدون مقوون.

القول في تأويل قوله تعالى: فَأَخْرَجْنَا لَهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (57) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (58) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (59) فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (60)

يقول تعالى ذكره: فأخرجنا فرعون وقومه من بساتين وعيون ماء, وكنوز ذهب وفضة, ومقام كريم. قيل: إن ذلك المقام الكريم: المنابر. وقوله ( كذلك ) يقول: هكذا أخرجناهم من ذلك كما وصفت لكم في هذه الآية والتي قبلها. ( وأورثناها ) يقول: وأورثنا تلك الجنات التي أخرجناهم منها والعيون والكنوز والمقام الكريم عنهم بهلاكهم بني إسرائيل. وقوله: ( فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ) فاتبع فرعون وأصحابه بني إسرائيل, مشرقين حين أشرقت الشمس, وقيل حين أصبحوا.

حدثني محمد بن عمرو, قال: ثني أبو عاصم, قال: ثنا عيسى; وحدثني الحارث, قال: ثنا الحسن, قال: ثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: ( فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ) قال: خرج موسى ليلا فكسف القمر وأظلمت الأرض, وقال أصحابه: إن يوسف أخبرنا أنا سننحى من فرعون, وأخذ علينا العهد لنخرجن بعظامه معنا, فخرج موسى ليلته يسأل عن قبره, فوجد عجوزا بيتها على قبره, فأخرجته له بحكمها, وكان حكمها أو كلمة تشبه هذا, أن قالت: احملني فأخرجني معك, فجعل عظام يوسف في كسائه, ثم حمل العجوز على كسائه, فجعله على رقبته, وخيل فرعون هي ملء أعنتها < 355-19 > حضرا ( 5 ) في أعينهم, ولا تبرح, حبست عن موسى وأصحابه حتى تواروا.

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْجٍ, عن مجاهد, قوله: ( فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ) قال: فرعون وأصحابه, وخيل فرعون في ملء أعنتها في رأي عيونهم, ولا تبرح, حبست عن موسى وأصحابه حتى تواروا.

الهوامش:

(1) مخايل: جمع مخيلة، بمعنى المظنة، وأصله مخايل. والكوفيون يزيدون في مثل هذا الجمع ياء قبل آخره، مثل دارهيم وصياريف جمعى درهم وصيرف.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(2) البيت في (اللسان: خلق) منسوب لراجز. قال: يقال: ثوب أخلاق، يصفون به الواحد، إذا كانت الخلقة فيه كله، كما قالوا: برمة أعشار، وحبل أرمام، وأرض سباسب، وكذلك برمة أخلاق عن اللحياني، أي نواحيها أخلاق. وقال الراجز: "جاء الشتاء.. البيت ا هـ. كأنه لما صار خلقًا كله، كان كل جزء فيه خلقًا، فجمعه باعتبار أجزائه، كما تفيده عبارة اللحياني. والتواق: اسم ولد الراجز. وفي (اللسان: شرذم) الشرذمة: القطعة من الشيء، والجمع شراذم والشرذمة: الجماعة من الناس القليلة، وفي التنزيل: (إن هؤلاء لشرذمة قليلون) وثياب شراذم أي: أخلاق متقطعة وثوب شراذم أي قطع. وأنشد البيت عن ابن بري.

(3) البيت للكميت (اللسان: وحد). قال الجوهرى: العرب تقول: أنتم حي واحد، وحي واحدون، كما يقال: شرذمة قليلون، وأنشد للكميت: "فرد قواصي الأحياء.. البيت. وهو يشبه كلام الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة الورقة 229) قال: وقوله: (إن هؤلاء لشرذمة قليلون) يقول: عصبة قليلة، وقليلون وكثيرون. وأكثر كلام العرب أن يقولوا: قومك قليل وقومنا كثير. وقليلون وكثيرون: جائز عربي، وإنما جاز لأن القلة إنما تدخلهم جميعًا، فقليل: قليل؛ وأوثر "قليل" على "قليلين"، وجاز الجمع إذا كانت القلة تلزم جميعهم في المعنى، فظهرت أسماؤهم على ذلك. ومثله أنتم حي واحد، وحي واحدون. ومعنى واحدون: واحد، كما قال الكميت: "فرد قواصي الأحياء.. البيت.

(4) البيت لابن أحمر الباهلي. قاله المؤلف. ونسبه في (اللسان: حول) إلى المرار بن منقذ العدوي. قال: ويقال رجل حوالي: للجيد الرأي ذي الحيلة كما قال ابن أحمر، ويقال للمرار بن منقذ العدوي \* أو تنسان يومي إلى غيره \*

وقال في "حذر": ورجل حذر وحذر (بكسر الذال وضمها) وحاذورة، وحذريان: متيقظ، شديد الحذر والفرع متحزر. وحاذر: متأهب معد، كأنه يحذر أن يفاجأ. والجمع "حذرون وحذاري". وفي التنزيل: (وإننا لجميع حاذرون)، وقرئ "حذرون" و "حذرون". الأخيرة بضم الذال، حكاة الأخفش. ومعنى "حاذرون" متأهبون، ومعنى "حذرون" خائفون. وقيل: معنى "حذرون" معدون. الأزهرى. من قرأ (وإننا لجميع حاذرون) أي مستعدون. ومن قرأ "حذرون" فمعناه: إننا نخاف شرهم. وقال الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة، الورقة 229): وقوله: "حاذرون، وحذرون: حدثني أبو ليلى السجستاني، عن ابن جرير قاضي سجستان، أن ابن مسعود قرأ: (وإننا لجميع حاذرون). يقولون: مؤدون في السلاح. يقولون: ذوو أداة من السلاح. و "حذرون" وكان الحاذر: الذي يحذر الآن؛ وكان "الحذر": المخلوق حذرًا، لا تلقاه إلا حذرًا. ا هـ.

(5) في الأصل خضراء، والراجح أنه "حضرًا"، وهو الأسراع في العدو. أي: يرونها مسرعة وهي لا تبحر أماكنها. القول في تأويل قوله تعالى: قَلَمًا تَرَاءَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ (61) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اصْرِبْ يَعْصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (63)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره: فلما تناظر الجمعان: جمع موسى وهم بنو إسرائيل، وجمع فرعون وهم القبط ( قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ) أي إنا لملحقون، الآن يلحقنا فرعون وجنوده فيقتلوننا، وذكر أنهم قالوا ذلك لموسى، تشاؤماً بموسى.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبيد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: قلت لعبد الرحمن ( فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ) قال: تشاءموا بموسى، وقالوا: أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْنَا .

حدثنا موسى، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ( فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ ) فنظرت بنو إسرائيل إلى فرعون قد رمقهم قالوا ( إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ) (قالوا) يَا مُوسَى (أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْنَا) اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا، إنا لمدركون؛ البحر بين أيدينا، وفرعون من خلفنا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي بكر، عن شهر بن حوشب، عن ابن عباس، قال: لما انتهى موسى إلى البحر، وهاجت الرياح العاصف، فنظر أصحاب موسى خلفهم إلى الريح، وإلى البحر أمامهم ( قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ \* قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ).

< 19-356 >

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار سوى الأعرج ( إِنَّا لَمُدْرِكُونَ )، وقراه الأعرج: " إِنَّا لَمُدْرِكُونَ " كما يقال نزلت، وأنزلت. والقراءة عندنا التي عليها قراء الأمصار، لإجماع الحجة من القراء عليها.

وقوله: ( كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ) قال موسى لقومه: ليس الأمر كما ذكرتم، كلا لن تدركوا إن معي ربي سيهدين، يقول: سيهدين لطريق أنجو فيه من فرعون وقومه.

كما حدثني ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي، عن عبد الله بن شداد بن الهاد، قال: لقد ذكر لي أنه خرج فرعون في طلب موسى على سبعين ألفاً من دُهم الخيل، سوى ما في جنده من شية الخيل، وخرج موسى حتى إذا قابله البحر، ولم يكن عنه منصرف، طلع فرعون في جنده من خلفهم ( فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ( أي للنجاة، وقد وعدني ذلك، ولا خُلف لموعوده.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ( قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ) يقول: سيكفيني، وقال: عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِقَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ وقوله ( فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اصْرِبْ

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يَعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ ) ذكر أن الله كان قد أمر البحر أن لا ينفلق حتى يضربه موسى بعصاه.

حدثنا موسى, قال: ثنا عمرو, قال: ثنا أسباط, عن السدي, قال: فتقدم هارون فضرب البحر, فأبى أن ينفتح, وقال: من هذا الجبار الذي يضربني, حتى أتاه موسى فكناه أبا خالد, وضربه فانفلق.

حدثنا ابن حميد, قال: ثنا سلمة, قال: ثنا محمد بن إسحاق, قال: أوحى الله فيما ذكر إلى البحر: إذا ضربك موسى بعصاه فانفلق له, قال: فبات البحر يضرب بعضه بعضا فرقا من الله, وانتظار أمره, وأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر, فضربه بها وفيها سلطان الله الذي أعطاه, فانفلق.

حدثنا ابن بشار, قال: ثنا أبو أحمد, قال: ثنا سفيان, ظن سليمان التيمي, عن أبي السليل, قال: لما ضرب موسى بعصاه البحر, قال: إيها أبا خالد, فأخذه إفكلاً.

< 19-357 >

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثنا حجاج, عن ابن جريج, وحجاج عن أبي بكر بن عبد الله وغيره, قالوا: لما انتهى موسى إلى البحر وهاجت الرياح والبحر يرمي بتياره, وبموج مثل الجبال, وقد أوحى الله إلى البحر أن لا ينفلق حتى يضربه موسى بالعصا, فقال له يوشع: يا كليم الله أين أمرت؟ قال: ههنا, قال: فجاز البحر ما يوارى حافره الماء, فذهب القوم يصنعون مثل ذلك, فلم يقدروا, وقال له الذي يكتم إيمانه: يا كليم الله أين أمرت؟ قال: ههنا, فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزيد من شذقيه, ثم قحمه البحر فأرسب في الماء, فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر, فضرب بعصاه موسى البحر فانفلق, فإذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبدته.

وقوله: ( فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ) يقول تعالى ذكره: فكان كل طائفة من البحر لما ضربه موسى كالجبل العظيم. وذكر أنه انفلق اثنتي عشرة فلقة على عدد الأسباط, لكل سبط منهم فرق.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا موسى, قال: ثنا عمرو, قال: ثنا أسباط, عن السدي: ( فَأَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ) يقول: كالجبل العظيم, فدخلت بنو إسرائيل, وكان في البحر اثنا عشر طريقا, في كل طريق سبط, وكان الطريق كما إذا انفلقت الجدران, فقال: كل سبط قد قتل أصحابنا; فلما رأى ذلك موسى دعا الله فجعلها قناطر كهيئة الطيقان, فنظر آخرهم إلى أولهم حتى خرجوا جميعا.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج, وحجاج, عن أبي بكر بن عبد الله وغيره قالوا: انفلق البحر, فكان كل فرق كالطود العظيم, اثنا عشر طريقا في كل طريق سبط, وكان بنو إسرائيل اثني عشر سبطا, وكانت الطرق بجدران, فقال كل سبط: قد قتل أصحابنا; فلما رأى ذلك موسى, دعا الله فجعلها لهم بقناطر كهيئة الطيقان, ينظر بعضهم إلى بعض, وعلى أرض يابسة كأن الماء لم يصبها قط حتى عبر.

قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج, قال: لما انفلق البحر لهم صار فيه > 19-358 < كوى ينظر بعضهم إلى بعض.

حدثنا ابن حميد, قال: ثنا سلمة, قال: ثني محمد بن إسحاق: ( فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ ) أي كالجبل على نشز من الأرض.

حدثني عليّ, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: ( فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ ) يقول: كالجبل.

حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاک يقول, في قوله: ( كَالطُّودِ الْعَظِيمِ ) قال: كالجبل العظيم.

ومنه قول الأسود بن يعفر:

خَلُّوا بِأَنْقَرَةَ يَسِيلُ عَلَيْهِمْ

مَاءَ الْفُرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ (1)

يعني بالأطواد: جمع طود, وهو الجبل.

القول في تأويل قوله تعالى : وَأَزَلَفْنَا تَمَّ الْآخِرِينَ (64) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (65) ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ (66) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (67) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (68)

يعني بقول تعالى ذكره: ( وَأَزَلَفْنَا تَمَّ الْآخِرِينَ ) : وقربنا هنالك آل فرعون من البحر, وقدمناهم إليه, ومنه قوله: وَأَزَلَفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ بمعنى: قربت وأدريت; ومنه قول العجاج:

طَيِّ اللَّيَالِي زُلْفًا قَزْلَفَا

سَمَاوَةَ الْهَلَالِ حَتَّى اخْقَوْقَفَا (2)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 19-359 >

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن عطاء الخراساني, عن ابن عباس, قوله: ( وَأَرْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ) قال: قرّبنا.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: ( وَأَرْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ) قال: هم قوم فرعون قريهم الله حتى أغرقهم في البحر.

حدثنا موسى, قال: ثنا عمرو, قال: ثنا أسباط, عن السدي, قال: دنا فرعون وأصحابه بعد ما قطع موسى بني إسرائيل البحر من البحر; فلما نظر فرعون إلى البحر منفلقا, قال: ألا ترون البحر فرق مني, قد تفتح لي حتى أدرك أعدائي فأقتلهم, فذلك قول الله ( وَأَرْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ) يقول: قربنا ثم الآخرين هم آل فرعون; فلما قام فرعون على الطرق, وأبت خيله أن تتقحم, فنزل جبرائيل صلى الله عليه وسلم على ماذيانه, فتشامت الحُصن ربح الماذيانه فأقتحمت في أثرها حتى إذا هم أولهم أن يخرج ودخل آخرهم, أمر البحر أن يأخذهم, فالتطم عليهم, وتفرد جبرائيل بمقلة من مقل البحر, فجعل يدسها في فيه.

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي بكر بن عبد الله, قال: أقبل فرعون فلما أشرف على الماء, قال أصحاب موسى: يا مكرم الله إن القوم يتبعوننا في الطريق, فاضرب بعصاك البحر فاخبطه, فأراد موسى أن يفعل, فأوحى الله إليه: أن اترك البحر رهوا يقول: أمره على سكناته إِيَّاهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ إنما أمكر بهم, < 360-19 > فإذا سلكوا طريقكم غرقتهم; فلما نظر فرعون إلى البحر قال: ألا ترون البحر فرق مني حتى تفتح لي, حتى أدرك أعدائي فأقتلهم; فلما وقف على أفواه الطرق وهو على حصان, فرأى الحصان البحر فيه أمثال الجبال هاب وخاف, وقال فرعون: أنا راجع, فمكر به جبرائيل عليه السلام, فأقبل على فرس أنثى, فأدناها من حصان فرعون, فطفق فرسه لا يقتر, وجعل جبرائيل يقول: تقدم, ويقول: ليس أحد أحق بالطريق منك, فتشامت الحصن الماذيانه, فما ملك فرعون فرسه أن ولج على أثره; فلما انتهى فرعون إلى وسط البحر, أوحى الله إلى البحر: خذ عبيد الظالم وعبادي الظلمة, سلطاني فيك, فإني قد سلطتك عليهم, قال: فتغطمطت تلك الفرق من الأمواج كأنها الجبال, وضرب بعضها بعضها; فلما أدركه الغرق قال آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وكان جبرائيل صلى الله عليه وسلم شديد الأسف عليه لما ردّ من آيات الله, ولطول علاج موسى

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

إياه، فدخل في أسفل البحر، فأخرج طينا، فحشاه في فم فرعون لكيلا يقولها الثانية، فتدركه الرحمة، قال: فبعث الله إليه ميكائيل يعيره: **الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ** وقال جبرائيل: يا محمد ما أبغضت أحدا من خلق الله ما أبغضت اثنين أحدهما من الجن وهو إبليس، والآخر فرعون **فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى** : ولقد رأيتني يا محمد، وأنا أحشو في فيه مخافة أن يقول كلمة يرحمه الله بها.

وقد زعم بعضهم أن معنى قوله: ( **وَأَزَلَفْنَا تَمَّ الْأَخْرَبِينَ** ) وجمعنا، قال: ومنه ليلة المزدلفة، قال: ومعنى ذلك: أنها ليلة جمع. وقال بعضهم: وأزلفنا تَمَّ وأهلكنا.

وقوله: ( **وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ** ) يقول تعالى ذكره: وأنجينا موسى مما أتبعنا به فرعون وقومه من الغرق في البحر ومن مع موسى من بني إسرائيل أجمعين. وقوله: ( **ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرَبِينَ** ) يقول: ثم أغرقتنا فرعون وقومه من القبط في البحر بعد أن أنجينا موسى منه ومن معه.

وقوله: ( **إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً** ) يقول تعالى ذكره: إن فيما فعلت بفرعون ومن معه تغريقي إياهم في البحر إذ كذبوا رسولي موسى، وخالفوا أمري بعد الإعذار إليهم، والإنذار لدلالة بينة يا محمد لقومك من قريش علي أن ذلك سنتي فيمن سلك سبيلهم من تكذيب رسلي، وعظة لهم وعبرة أن ادكروا واعتبروا أن يفعلوا مثل فعلهم من تكذيبك مع البرهان والآيات التي قد أتيتهم، فيحل بهم من العقوبة نظير ما حل بهم، ولك آية في فعلي بموسى، وتنجيتي إياه بعد طول علاجه فرعون وقومه < 361-19 > منه، وإظهار إياه وتورثه وقومه دورهم وأرضهم وأموالهم، على أنني سألك فيك سبيله، إن أنت صبرت صبره، وقمت من تبليغ الرسالة إلي من أرسلتك إليه قيامه، ومظهرك على مكذبك، ومعليك عليهم. ( **وَمَا كَانَ أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ** ) يقول: وما كان أكثر قومك يا محمد مؤمنين بما أتاك الله من الحق المبين، فسابق في علمي أنهم لا يؤمنون.

( **وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ** ) في انتقامه ممن كفر به وكذب رسله من أعدائه، ( **الرَّحِيمُ** ) بمن أنجى من رسله، وأتباعهم من الغرق والعذاب الذي عذب به الكفرة.

القول في تأويل قوله تعالى : **وَإِنلُ عَلَيْهِم تَبَأُ إِبْرَاهِيمَ (69) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (70) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (71)**

يقول تعالى ذكره: واقصص على قومك من المشركين يا محمد خبر إبراهيم حين قال لأبيه وقومه: أي شيء تعبدون؟ (قالوا) له: (تعبدوا أصناما فنظل لها عاكفين) يقول: فنظل لها خدما مقيمين على عبادتها وخدمتها.

وقد بينا معنى العكوف بشواهد في ما مضى قبل، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وكان ابن عباس فيما روي عنه يقول في معنى ذلك ما حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس, قوله: ( قَالُوا تَعْبُدُوا أَصْنَامًا فَتَطَّلُّ لَهَا عَافِيَيْنَ ) قال: الصلاة لأصنامهم.

القول في تأويل قوله تعالى: قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (72) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (73) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (74)

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لهم: هل تسمع دعاءكم هؤلاء الآلهة إذ تدعونهم؟ واختلف أهل العربية في معنى ذلك: فقال بعض نحويي البصرة معناه: هل يسمعون منكم أو هل يسمعون دعاءكم. فحذف الدعاء, كما قال زهير:

القائدُ الخيلَ منكوبًا دوايرها

قد أحكمت حكام القدِّ والأبقا (3)

< 19-362 >

وقال: يريد أحكمت حكام الأبق, فألقى الحكام وأقام الأبق مقامها. وقال بعض من أنكر ذلك من قوله من أهل العربية: الفصح من الكلام في ذلك هو ما جاء في القرآن, لأن العرب تقول: سمعت زيدا متكلمًا, يريدون: سمعت كلام زيد, ثم تعلم أن السمع لا يقع على الأناسي. إنما يقع على كلامهم ثم يقولون: سمعت زيدا: أي سمعت كلامه. قال: ولو لم يقدم في بيت زهير حكام القدِّ لم يجر أن يسبق بالأبق عليها, لأنه لا يقال: رأيت الأبق, وهو يريد الحكمة. وقوله: ( أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ) يقول: أو تنفعكم هذه الأصنام, فيرزقونكم شيئًا على عبادتكموها, أو يضرُّونكم فيعاقبونكم على ترككم عبادتها بأن يسلبوكم أموالكم, أو يهلكوكم إذا هلكتم وأولادكم ( قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ). وفي الكلام متروك استغني بدلالة ما ذكر عما ترك, وذلك جوابهم إبراهيم عن مسألته إياهم: ( هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ \* أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ) فكان جوابهم إياه: لا ما يسمعوننا إذا دعوناهم, ولا ينفعوننا ولا يضرُّون, يدل على أنهم بذلك أجابوه. قولهم: ( بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ) وذلك رجوع عن مجحود, كقول القائل: ما كان كذا بل كذا وكذا, ومعنى قولهم: ( وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ) وجدنا من قبلنا ولا يضرُّون, يدل على أنهم بذلك أجابوه, قولهم من آبائنا يعبدونها ويعكفون عليها لخدمتها وعبادتها, فنحن نعمل ذلك اقتداء بهم, واتباعا لمنهاجهم.

القول في تأويل قوله تعالى: قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (75) أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ (76) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (77)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لقومه: أفرايتم أيها القوم ما كنتم تعبدون من هذه < 363-19 > الأصنام أنتم وأباؤكم الأقدمون، يعني بالأقدمين: الأقدمين من الذين كان إبراهيم يخاطبهم، وهم الأولون قبلهم ممن كان على مثل ما كان عليه الذين كلمهم إبراهيم من عبادة الأصنام ( فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ). يقول قائل: وكيف يوصف الخشب والحديد والنحاس بعداوة ابن آدم؟ فإن معنى ذلك: فإنهم عدو لي لو عبدتهم يوم القيامة، كما قال جل ثناؤه وَأَتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا \* كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا .

وقوله: ( إِيَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ ) نصبا على الاستثناء، والعدو بمعنى الجمع، ووحيد لأنه أخرج مخرج المصدر، مثل القعود والجلوس.

ومعنى الكلام: أفرايتم كل معبود لكم ولآبائكم، فإني منه بريء لا أعبده، إلا رب العالمين.

القول في تأويل قوله تعالى : الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80)

يقول: فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ( الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ) للصواب من القول والعمل، ويسددي للرشاد. ( وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ) يقول: والذي يغذوني بالطعام والشراب، ويرزقني الأرزاق ( وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ) يقول: وإذا سقم جسمي واعتل، فهو يبرئه ويعافيه.

القول في تأويل قوله تعالى : وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (82)

يقول: والذي يميتني إذا شاء ثم يحييني إذا أراد بعد مماتي. ( وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ) فربي هذا الذي بيده نفعي وضرِّي، وله القدرة والسلطان، وله الدنيا والآخرة، لا الذي لا يسمع إذا دعي، ولا ينفع ولا يضر. وإنما كان هذا الكلام من إبراهيم احتجاجا على قومه، في أنه لا تصلح الألوهة، ولا ينبغي أن تكون العبادة إلا لمن يفعل هذه الأفعال، لا لمن لا يطيق نفعًا ولا ضرًا.

وقيل: إن إبراهيم صلوات الله عليه، عني بقوله: ( وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ) : والذي أرجو أن يغفر لي قولي: إِيَّا سَقِيمٌ وقوله: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا وَقَوْلِي لِسَارَةٍ: إنها أختي.

< 19-364 >

\* ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: (أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) قال: قوله: إِي سَقِيمٌ وقوله: فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا وقوله لسارة: إنها أختي، حين أراد فرعون من الفراعنة أن يأخذها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: (وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) قال: قوله إِي سَقِيمٌ وقوله: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا وقوله لسارة: إنها أختي.

قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو ثَمِيلَةَ، عن أبي حمزة، عن جابر، عن عكرمة ومجاهد نحوه.

ويعني بقوله (يَوْمَ الدِّينِ) يوم الحساب، يوم المجازاة. وقد بيَّنا ذلك بشواهد مما مضى.

الهوامش:

(1) البيت للأسود بن يعفر، قاله المؤلف، وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (مخطوطة الجامعة ص 172) قال: كالطود العظيم: أي الجبل. قال: "حلوا بأنقرة.." البيت وفي (اللسان: طود): الطود: الجبل العظيم. وفي حديث عائشة تصف أباه (رضي الله عنهما): ذاك طود منيف: أي جبل عال. والطود: الهضبة. عن ابن الأعرابي. والجمع: أطواد. ا ه. وفي رواية أبي عبيدة في مجاز القرآن: "يجيش" في موضع "يسيل" ورواية البكري في معجم ما استعجم ص 204 طبعة القاهرة: "يسيل" كرواية المؤلف. وأنقرة: موضع بظهر الكوفة، أسفل من الخورنق، كانت إياد تنزله في الدهر الأول، إذا غلبوا على ما بين الكوفة والبصرة. قال البكري: وفيه اليوم طيئ وسليح، وفي بارق إلى هيث وما يليها، كلها منازل طيئ وسليح. هذا قول عمر بن شبة. وقال غيره: أنقرة: موضع بالحيرة. وقد صرحوا بأن أنقرة هذه. غير أنقرة التي في بلاد الروم (الأناضول) وهي الآن قاعدة دولة الترك.

(2) البيت من مشطور الرجز، وهما للعجاج، من أرجوزة مطولة له، وصف ارتحاله في ظلال الليل، وجملاً ناجياً حمله. (انظر اللسان: زلف. وأراجيز العرب للسيد البكري ص 52). وقبل البيتين بيت متصل بمعناهما، وهو قوله: \* ناج طواه الأبن مما وجفا \*

قال في اللسان: يقول: منزلة بعد منزلة، ودرجة بعد درجة. وقال السيد البكري: زلفاً فزلفاً: أي درجة فدرجة. وسماوة: أي أعلى. واحقوقف: اعوج. يريد طواه السير كما تطوى الليالي الأهلة حتى تنحل (من النحول) وتعوج ا ه. وفي

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

اللسان: الزلف (كسبب) والزلفة والزلفى: القرية، والدرجة، والمنزلة. وأزلف الشيء: قربه. وفي التنزيل (وأزلفت الجنة للمتقين): أي قربت. قال الزجاج: وتأويله: أي قريب دخولهم فيها، ونظرهم إليها. وقوله عز وجل: (وأزلفنا ثم الآخرين) معنى (أزلفنا): جمعنا، وقيل: قربنا الآخرين من الغرق، وهم أصحاب فرعون، وكلاهما حسن جميل؛ لأن جمعهم تقرب بعضهم من بعض. والبيتان من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (ص 172 من مخطوطة جامعة القاهرة).

(3) البيت لزهير بن أبي سلمى المزني، من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان (مختار الشعر الجاهلي، بشرح مصطفى السقا، طبعة الحلبي 248) قال شارحه: الدوابر: الحوافر، أي تأكلها الأرض وتؤثر فيها. (وفي اللسان: دبر): دابرة الحافر مؤخرة، وقيل: هي التي تلي مؤخر الرسخ. وجمعها: دوابر. (وأحكمت): جعل لها حكمت. والحكمة: التي تكون على الأنف من الرسن. والقدر: ما قطع من الجلد. والأبق: شبه الكتان، وقيل: هو القنب. ا هـ. وفي (اللسان: حكم): والحكمة: حديدة في اللجام تكون على أنف الفرس وحنكه تمنعه عن مخالفة راكمه وحكم الفرس حكماً (بفتح الحاء)، وأحكمه بالحكمة: جعل للجامه حكمة، وكانت العرب تتخذها من القدر والأبق، لأن قصدهم الشجاعة، لا الزينة؛ قال زهير: "القائد الخيل.. البيت. يريد قد أحكمت بحكمات القدر، وبحكمات الأبق. فحذف الحكمات، وأقام الأبق مكانها. وپروي: "محكومة حكمت القدر والأبقا" على اللغتين جميعاً. قال أبو الحسن: عُذِّي: "قد أحكمت" لأن فيه معنى قلدت، وقلدت متعدية إلى مفعولين، الأزهرى: وفرس محكومة في رأسها حكمة، وأنشد \* محكومة حكمت القدر والأبق \*

ابن شميل: الحكمة: خلقة تكون في فم الفرس.  
القول في تأويل قوله تعالى: رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَآلِحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (83)  
وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (84)

يقول تعالى ذكره مخبراً عن مسألة خليفه إبراهيم إياه ( رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا ) يقول: رب هب لي نبوة. ( وَآلِحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ) يقول: واجعلني رسولا إلى خلقك، حتى تلحقني بذلك بعداد من أرسلته من رسلك إلى خلقك، وإئتمنته على وحيك، واصطفيته لنفسك. وقوله: ( وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ) يقول: واجعل لي في الناس ذكراً جميلاً وثناءً حسناً، باقياً فيمن يجيء من القرون بعدي.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي بكر، عن عكرمة، قوله: ( وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ) قَوْلُهُ وَآيَّتَاهُ أَجْرُهُ فِي الدُّنْيَا . قال: إن الله فضله بالخلّة حين اتخذه خليلاً فسأل الله فقال: ( وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ) حتى لا تكذبني الأمم، فأعطاه الله ذلك، فإن اليهود أمنت



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

بموسى، < 365-19 > وكفرت بعبسى، وإن النصرى آمنت بعبسى، وكفرت  
بمحمد صلى الله عليه وسلم، وكلهم يتولى إبراهيم؛ قالت اليهود: هو خليل الله  
وهو منا، فقطع الله ولايتهم منه بعد ما أقرّوا له بالنبوة وأمنوا به، فقال: مَا  
كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ  
الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ الْحَقُّ وَلايْتَهُ بِكُمْ فَقَالَ: إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ  
وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ فهذا أجره الذي عجل له، وهي  
الحسنة، إذ يقول: وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وهو اللسان الصدق الذي سأل  
ربه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَاجْعَلْ لِي  
لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ) قال: اللسان الصدق: الذكر الصدق، والثناء الصالح،  
والذكر الصالح في الآخرين من الناس، من الأمم.

القول في تأويل قوله تعالى: ( وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (85) وَاعْفُرْ لِي  
إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ (86) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (87) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا  
بُنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89) )

يعني إبراهيم صلوات الله عليه بقوله: ( وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ) أورثني  
يا ربّ من منازل من هلك من أعدائك المشركين بك من الجنة، وأسكنني  
ذلك. ( وَاعْفُرْ لِي ) يقول: واصفح لأبي عن شركه بك، ولا تعاقبه عليه ( إِنَّهُ  
كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ ) يقول: إنه كان ممن ضل عن سبيل الهدى، فكفر بك.

وقد بيّنا المعنى الذي من أجله استغفر إبراهيم لأبيه صلوات الله عليه،  
وإختلاف أهل العلم في ذلك، والصواب عندنا من القول فيه فيما مضى، بما  
أغنى عن إعادته في هذا الموضوع.

وقوله: ( وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ) يقول: ولا تذلني بعقابك إياي يوم تبعث  
عبادك من قبورهم لموقف القيامة. ( يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ) يقول: لا  
تخزني يوم لا ينفع من كفر بك وعصاك في الدنيا مال كان له في الدنيا، ولا  
بنوه الذين كانوا له فيها، فيدفع ذلك عنه عقاب الله إذا عاقبه، ولا ينجيه منه.

وقوله: ( إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ) يقول: ولا تخزني يوم يبعثون، يوم لا  
ينفع < 366-19 > إلا القلب السليم.

والذي عني به من سلامة القلب في هذا الموضوع: هو سلامة القلب من الشكّ  
في توحيد الله، والبعث بعد الممات.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علي، عن عون، قال: قلت لمحمد: ما القلب السليم؟ قال: أن يعلم أن الله حق، وأن الساعة قائمة، وأن الله يبعث من في القبور.

حدثنا ابن يشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد: (إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال: لا شك فيه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: (إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال: ليس فيه شك في الحق.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: (بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال: سليم من الشرك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: (إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال: سليم من الشرك، فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد.

حدثني عمرو بن عبد الحميد الأملي، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن جُوَيْر، عن الضحاك، في قول الله: (إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال: هو الخالص.

القول في تأويل قوله تعالى: **وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (90) وَبُرِّرَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (91) وَقِيلَ لَهُمْ أَيَنْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (92) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُوكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ (93) فَكَبُّوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (94) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (95)**

يعني جل ثناؤه بقوله: (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ) وأدريت الجنة وقربت للمتقين، الذين اتقوا عقاب الله في الآخرة بطاعتهم إياه في الدنيا (وَبُرِّرَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ) يقول: < 367-19 > وأظهرت النار للذين غواوا فضلوا عن سواء السبيل. وقيل لِلْغَاوِينَ (أَبْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) من الأنداد (هَلْ يَنْصُرُوكُمْ) اليوم من الله، فينقذونكم من عذابه (أَوْ يَنْصُرُونَ) لأنفسهم، فينجونها مما يُرَادُ بها؟.

وقوله: (فَكَبُّوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ) يقول: فرمى بعضهم في الجحيم على بعض، وطرح بعضهم على بعض منكبين على وجوههم. وأصل ككبوا: كبوا، ولكن الكاف كرتت كما قيل: يريج صرصر يعني به صر، ونهني يئنهني، يعني به: نهني.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: (فككبوا) قال: فدهوروا.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ( فَكَبِّبُوا فِيهَا ) يقول: فجمعوا فيها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( فَكَبِّبُوا فِيهَا ) قال: طرحوا فيها. فتأويل الكلام: فككبك هؤلاء الأنداد التي كانت تعبد من دون الله في الجحيم والغاوون.

وذكر عن قتادة أنه كان يقول: الغاوون في هذا الموضع. الشياطين.

\* ذكر الرواية عمن قال ذلك:

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ( فَكَبِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ) قال: الغاوون: الشياطين.

فتأويل الكلام على هذا القول الذي ذكرنا عن قتادة. فككبك فيها الكفار الذين كانوا يعبدون من دون الله الأصنام والشياطين.

وقوله: ( وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ) يقول: وككبك فيها مع الأنداد والغاوين جنود إبليس أجمعون. وجنوده: كل من كان من تبعه، من ذريته كان أو من ذرية آدم.

القول في تأويل قوله تعالى : قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (96) تَاللَّهِ إِنَّ >  
368-19 < كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (97) إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (98)

يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء الغاوون والأنداد التي كانوا يعبدونها من دون الله وجنود إبليس، وهم في الجحيم يختصمون. ( تَاللَّهِ إِنَّ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ) يقول: تالله لقد كنا في ذهاب عن الحق، إن كنا لفي ضلال مبين، بين ذهابنا ذلك عنه عن نفسه، لمن تأمله وتدبره، أنه ضلال وباطل. وقوله: ( إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ) يقول الغاوون للذين يعبدونهم من دون الله: تالله إن كنا لفي ذهاب عن الحق حين عدلكم برب العالمين فنعدكم من دونه.

ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ) قال: لتلك الآلهة.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَا أَصَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (99) فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (100) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (101) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتُكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (102)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء الغاوبن في الجحيم: ( وَمَا أَصَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ) يعني بالمجرمين إبليس، وابن آدم الذي سنّ القتل.

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، قوله: ( وَمَا أَصَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ) قال: إبليس وابن آدم القاتل.

وقوله ( فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ) يقول: فليس لنا شافع فيشفع لنا عند الله من الأبعاد، فيعفو عنا، وينجيننا من عقابه. ( وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ) من الأقارب.

واختلف أهل التأويل في الذين عُنوا بالشافعين، وبالصديق الحميم، فقال بعضهم: عني بالشافعين: الملائكة، وبالصديق الحميم: النسب.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ( فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ) قال: من الملائكة ( وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ) قال: من الناس، قال مجاهد: < 369-19 > صديق حميم، قال: شقيق.

وقال آخرون: كل هؤلاء من بني آدم.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، قال: ثنا إسحاق بن سعيد البصري المسمعي، عن أخيه يحيى بن سعيد المسمعي، قال: كان قتادة إذا قرأ: ( فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ) قال: يعلمون والله أن الصديق إذا كان صالحا نفع، وأن الحميم إذا كان صالحا شفع.

وقوله ( فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتُكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ) يقول: فلو أن لنا رجعة إلى الدنيا فنؤمن بالله فنكون بإيماننا به من المؤمنين.

القول في تأويل قوله تعالى : إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (103) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (104)

يقول تعالى ذكره: إن فيما احتجّ به إبراهيم على قومه من الحجج التي ذكرنا له لدلالة بينة واضحة لمن اعتبر، على أن سنة الله في خلقه الذين يستنون بسنة قوم إبراهيم من عبادة الأصنام والآلهة، ويقتدون بهم في ذلك ما سنّ فيهم في الدار الآخرة، من كعبتهم وما عبدوا من دونه مع جنود إبليس في

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الجحيم، وما كان أكثرهم في سابق علمه مؤمنين. وإن ربك يا محمد لهو الشديد الانتقام ممن عبد دونه، ثم لم يتب من كفره حتى هلك، الرحيم بمن تاب منهم أن يعاقبه على ما كان سلف منه قبل توبته من إثم وجرم.

القول في تأويل قوله تعالى : كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (105) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (106) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (107)

يقول تعالى ذكره: ( كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ) رسل الله الذين أرسلهم إليهم لما ( قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ) فتحذروا عقابه على كفركم به، وتكذيبكم رسله. ( إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ ) من الله ( أَمِينٌ ) على وحيه إلي، برسالاته إياي إليكم.

القول في تأويل قوله تعالى : فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (108) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (109) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (110)

< 19-370 >

يقول تعالى ذكره: فاتقوا عقاب الله أيها القوم على كفركم به، وأطيعوني في نصيحتي لكم، وأمري إياكم باتقائه. ( وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ) يقول: وما أطلب منكم على نصيحتي لكم وأمري إياكم باتقاء عقاب الله بطاعته فيما أمركم ونهاكم، من ثواب ولا جزاء ( إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ) دونكم ودون جميع خلق الله، فاتقوا عقاب الله على كفركم به، وخافوا حلول سخطه بكم على تكذيبكم رسله، وأطيعوني: يقول: وأطيعوني في نصيحتي لكم، وأمري إياكم بإخلاص العبادة لخالقكم. القول في تأويل قوله تعالى : قَالَوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ (111) قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (112) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (113)

يقول تعالى ذكره: قال قوم نوح له مجيبه عن قوله لهم: إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ \* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا قالوا: أنؤمن لك يا نوح، ونقرّ بتصديقك فيما تدعوننا إليه، وإنما اتبعك منا الأردلون دون ذوي الشرف وأهل البيوتات. ( قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) قال نوح لقومه: وما علمي بما كان أتباعي يعملون، إنما لي منهم ظاهر أمرهم دون باطنه، ولم أكلف علم باطنهم، وإنما كلفت الظاهر، فمن أظهر حسنا ظننت به حسنا، ومن أظهر سيئا ظننت به سيئا. يقول: إن حساب باطن أمرهم الذي خفي عني إلا على ربي لو تشعرون، فإنه يعلم سر أمرهم وعلايته.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ( إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ) قال: هو أعلم بما في نفوسهم.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (114) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (115) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (116)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح لقومه: وما أنا بطارد من آمن بالله واتبعني على التصديق بما جئت به من عند الله. (إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ) يقول: ما أنا إلا نذير لكم من عند ربكم أنذركم بأسه، وسطوته على كفركم به مبين: يقول: نذير قد أبان < 371-19 > لكم إنذاره، ولم يكتممك نصيحته. ( قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ) يقول: قال لنوح قومه: لئن لم تنته يا نوح عما تقول، وتدعو إليه، وتعيب به الهتاء، لتكونن من المشتومين، يقول: لنشتمك.

القول في تأويل قوله تعالى : قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ (117) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ قَنْجًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (118) فَأَنْجِيئَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ (119) ثُمَّ أَعْرَفْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ (120)

يقول تعالى ذكره: قال نوح: ( رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ) فيما أتيتهم به من الحق من عندك، وردوا عليّ نصيحتي لهم. ( فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ قَنْجًا ) يقول: فاحكم بيني وبينهم حكما من عندك تهلك به المبطّل، وتنتقم به ممن كفر بك ووجد توحيدك، وكذب رسولاك.

كما حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ( فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ قَنْجًا ) قال: فاقض بيني وبينهم قضاء.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ قَنْجًا ) قال: يقول: اقض بيني وبينهم. ( ونجني ) يقول: ونجني من ذلك العذاب الذي تأتي به حكما بيني وبينهم. ( وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ) يقول: والذين معي من أهل الإيمان بك والتصديق لي.

وقوله ( فَأَنْجِيئَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ) يقول: فأنجينا نوحا ومن معه من المؤمنين -حين فتحنا بينهم وبين قومهم، وأنزلنا بأسنا بالقوم الكافرين- في الفلك المشحون، يعني في السفينة الموقرة المملوءة.

وينحو الذي قلنا في تأويل قوله ( الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ) قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ( فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ) قال: يعني الموقر.

حدثنا محمد بن سنان القزاز، قال: ثنا الحسين بن الحسن الأشقر، قال: ثنا أبو كدينة، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: (المشحون): الموقر.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 19-372 >

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: (الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) قال: المفروغ منه المملوء.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: (المشحون) المفروغ منه تحميلا.

حدثنا الحسين، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قول الله: (الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) قال: هو المحمل.

وقوله: (ثُمَّ أَعْرَفْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ) من قومه الذين كذبوه، وردوا عليه النصيحة.

القول في تأويل قوله تعالى: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (121) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (122)

يقول تعالى ذكره: إن فيما فعلنا يا محمد بنوح ومن معه من المؤمنين في الفلك المشحون، حين أنزلنا بأسنا وسطوتنا، بقومه الذين كذبوه، لآية لك ولقومك المصدّيق منهم والمكذّب، في أن سنتنا تنجية رسلنا وأتباعهم، إذا نزلت نعمتنا بالمكذّبين بهم من قومهم، وإهلاك المكذّبين بالله، وكذلك سنتي فيك وفي قومك. (وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) يقول: ولم يكن أكثر قومك بالذين يصدّقونك مما سبق في قضاء الله أنهم لن يؤمنوا. (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ) في انتقامه ممن كفر به، وخالف أمره (الرَّحِيمُ) بالتائب منهم، أن يعاقبه بعد توبته.

القول في تأويل قوله تعالى: كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ (123) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (124) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (125) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (126) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (127)

يقول تعالى ذكره: (كَذَّبَتْ عَادُ) رسل الله إليهم. (إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ) عقاب الله على كفركم به. (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ) من ربي يأمركم بطاعته، ويحذركم على كفركم بأسه، (أَمِينٌ) على وحيه ورسالته. (فَاتَّقُوا اللَّهَ) بطاعته والانتهاة إلى ما يأمركم وبنيهاكم (وأطيعوا) فيما أمركم به من اتقاء الله وتحذيركم سطوته. (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ) يقول: وما أطلب منكم على أمري إياكم باتقاء الله جزاء ولا ثوابا. (إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ) يقول: ما جزائي وثوابي على نصيحتي إياكم إلا على رب العالمين.

القول في تأويل قوله تعالى: أَتَيْتُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (128) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (129) وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ (130)



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه: ( أَتَبْتُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ )  
والريح: كل مكان مشرف من الأرض مرتفع، أو طريق أو وادٍ، ومنه قول ذي  
الرُّمَّة:

طِرَاقُ الْخَوَافِي مُشْرِفٌ فَوْقَ رِيحَةٍ  
نَدَى لَيْلِهِ فِي رِيثِهِ يَتَرَفَّرُ (1)

وقول الأعشى:

وَبِهَمَاءٍ قَفْرٍ تَجَاوَزَتْهَا  
إِذَا حَبَّ فِي رِيحِهَا أَلْهَا (2)

< 19-374 >

وفيه لغتان: ريع ورّيع بكسر الراء وفتحها.  
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.  
\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس،  
قوله: ( أَتَبْتُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ) يقول: بكلّ شرف.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث،  
قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله:  
( بِكُلِّ رِيحٍ ) قال: فجّ.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه،  
عن ابن عباس، في قوله: ( أَتَبْتُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً ) قال: بكلّ طريق.

حدثني سليمان بن عبيد الله الغيلاني، قال: ثنا أبو قتيبة، قال: ثنا مسلم بن  
خالد، قال: ثنا ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ( أَتَبْتُونَ بِكُلِّ رِيحٍ ) قال:  
الريح: الثنية الصغيرة.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني يونس, قال: أخبرنا يحيى بن حسان, عن مسلم بن خالد, عن ابن أبي نجیح, عن مجاهد مثله.

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج, قال: قال عكرمة: ( يَكُلُّ رِيعٍ ) قال: فجَّ وواد, قال: وقال مجاهد ( يَكُلُّ رِيعٍ ) بين جبلين.

قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج, عن مجاهد, قوله: ( أَتَبُّونَ يَكُلُّ رِيعٍ ) قال: شرف ومنظر.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قوله: ( يَكُلُّ رِيعٍ ) قال: بكلِّ طريق.

حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ( يَكُلُّ رِيعٍ ) بكلِّ طريق. ويعني بقوله ( آية ) بنيانا, علما.

وقد بينا في غير موضع من كتابنا هذا, أن الآية هي الدلالة والعلامة بالشواهد المغنية عن إعادتها في هذا الموضع.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في ألفاظهم > 375-19 < في تأويله.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: ( يَكُلُّ رِيعٍ آيَةً ) قال: الآية: علم.

حدثني محمد بن عمرو, قال: ثنا أبو عاصم, قال: ثنا عيسى; وحدثني الحارث, قال: ثنا الحسن, قال: ثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجیح, عن مجاهد: ( يَكُلُّ رِيعٍ آيَةً ) قال: آية: بنيان.

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج, عن مجاهد: ( آية ) : بنيان.

حدثني علي بن سهل, قال: ثنا حجاج, عن ابن جُرَيْج, عن مجاهد, في قوله: ( يَكُلُّ رِيعٍ آيَةً ) قال: بنيان الحمام.

وقوله: ( تعبثون ) قال: تلعبون.

وينحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: (تعثون) قال: تلعبون.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك، يقول في قوله: (تعثون) قال: تلعبون.

وقوله: (وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ) اختلف أهل التأويل في معنى المصانع، فقال بعضهم: هي قصور مشيدة.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ) قال: قصور مشيدة، وبنيان مخلد.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: (مصانع) : قصور مشيدة وبنيان.

< 19-376 >

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن مجاهد، قال: (مصانع) يقول: حصون وقصور.

حدثني يونس، قال: أخبرنا يحيى بن حسان، عن مسلم، عن رجل، عن مجاهد، قوله: (مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ) قال: أبرجة الحمام.

وقال آخرون: بل هي مأخذ للماء.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: (مصانع) قال: مأخذ للماء.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن المصانع جمع مصنعة، والعرب تسمي كل بناء مصنعة، وجائز أن يكون ذلك البناء كان قصورا وحصونا مشيدة، وجائز أن يكون كان مأخذ للماء، ولا خبر يقطع العذر بأي ذلك كان، ولا هو مما يدرك من جهة العقل. فالصواب أن يقال فيه، ما قال الله: إنهم كانوا يتخذون مصانع.

وقوله: (لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ) يقول: كأنكم تخلصون، فتبغون في الأرض.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ( لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ) يقول: كأنكم تخلدون.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: قال في بعض الحروف ( وَتَخْلُدُونَ مَصَانِعَ ) كأنكم تخلدون.

وكان ابن زيد يقول: " لعلكم " في هذا الموضع استفهام.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَتَخْلُدُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ) قال: هذا استفهام، يقول: لعلكم تخلدون حين تبنون هذه الأشياء؟.

وكان بعض أهل العربية يزعم أن لعلكم في هذا الموضع بمعنى " كما " .

< 19-377 >

وقوله: ( وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ) يقول: وإذا سطوتم سطوتم قتلا بالسيوف، وضربا بالسياط.

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: ( وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ) قال: القتل بالسيوف والسياط.

القول في تأويل قوله تعالى: فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (131) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (132) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنَيْنَ (133) وَجَنَاتٍ وَعُيُونٍ (134) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (135)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه من عاد: اتقوا عقاب الله أيها القوم بطاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم، وانتهوا عن اللهو واللعب، وظلم الناس، وقهرهم بالغلبة والفساد في الأرض، واحذروا سخط الذي أعطاكم من عنده ما تعلمون، وأعانكم به من بين المواشي والبنين، والبساتين والأنهار. ( إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ ) من الله ( عَظِيمٍ ) .

القول في تأويل قوله تعالى: قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (136)

# جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره: قالت عاد لنيهم هود صلى الله عليه وسلم: معتدل عندنا وعظك إيانا، وتركك الوعظ، فلن نؤمن لك ولن نصدقك على ما جئتنا به.

الهوامش:

(1) البيت لذي الرمة (اللسان: ريع) قال: والريع: الجبل، والجمع أرباع، وربوع، ورباع. وقيل: الواحدة ربعة. والجمع: رباع. وحكى ابن بري عن أبي عبيدة: الربعة: جمع ريع، خلاف قول الجوهرى، قال ذو الرمة: \* طراق الخوافي واقعًا فوق ربعة \*

والريع: السبيل، سلك أو لم يسلك. وقوله تعالى: (أتبون بكل ريع آية). وقرئ: "بكل ريع"، (بفتح الراء): قيل في تفسيره: بكل مكان مرتفع. وقيل معناه: بكل فج. والفج: الطريق المتفرج في الجبال خاصة. وقيل: بكل طريق. وقال الفراء: الريع والريع (يكسر الراء وفتحها) لغتان، مثل الريع والريع. وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (مصورة الجامعة 173): (بكل ريع)، وهو الارتفاع من الأرض، والطريق. والجمع أرباع وربعة. قال ذو الرمة:

طِرَاقُ الخَوَافِي مُشْرِفٌ فَوْقَ رِيعَةٍ

تَدَى لَيْلِهِ فِي رَيْشِهِ يَتَرَفَّرِقُ

وفي (اللسان: طرق): وطائر طراق الريش: إذا ركب بعضه بعضًا. قال ذو الرمة يصف بازيا:

طِرَاقُ الخَوَافِي وَاقِعٌ فَوْقَ رِيعِهِ

تَدَى لَيْلِهِ فِي رَيْشِهِ يَتَرَفَّرِقُ

ويتفرق: يلمع. وكل شيء له بصيص وتلألؤ فهو رقراق. والخوافي: ما تحت القوادم في الطائر من الريش. والقوادم: جمع قادمة، وهي أربع ريشات طويلة في أول جناحه.

(2) البيت نسبه المؤلف للأعشى (أعشى بني قيس بن ثعلبة) وفي ديوانه طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين (ص 163-169) قصيدة من هذا البحر المتقارب ومن القافية نفسها، عدتها 47 بيتًا، يمدح بها إياس بن قبيصة الطائي. ولكن البيت سقط منها في نسخة الديوان، ولعله يوجد في نسخ أخرى منه قديمة واليهما القازة لا ماء بها ولا أنيس وخب تحرك واضطراب والريع قد فسرناه في الشاهد قبل هذا، ونقلنا كلام العلماء والأل السراب

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وخب السراب أي تحرك ولمع وهذا الشاهد كالذي قبله يريد المؤلف أنه كل مكان مشرف من الأرض مرتفع، أو طريق أو واد وفيه لغتان ريع وريع بكسر الراء وفتحها كما قال، وكما قال غيره من أهل اللغة.  
القول في تأويل قوله تعالى: **إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأُولَىٰ (137) وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ (138)**

وقوله: ( **إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأُولَىٰ** ) اختلفت القراء في قراءة ذلك؛ فقرأته عامة قراء المدينة سوى أبي جعفر، وعامة قراء الكوفة المتأخرين منهم: ( **إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأُولَىٰ** ) من قبلنا؛ وقرأ ذلك أبو جعفر، وأبو عمرو بن العلاء: " **إِنْ هَذَا إِلَّا خَلَقُ الْأُولَىٰ**" بفتح الخاء وتسكين اللام بمعنى: ما هذا الذي جئنا به إلا كذب الأولين وأحاديثهم.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، نحو اختلاف القراء في قراءته، فقال بعضهم: معناه: ما هذا إلا دين الأولين وعاداتهم وأخلاقهم.

< 19-378 >

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ( **إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأُولَىٰ** ) يقول: دين الأولين.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة قوله: ( **إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأُولَىٰ** ) يقول: هكذا خلقة الأولين، وهكذا كانوا يحيون ويموتون.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ما هذا إلا كذب الأولين وأساطيرهم.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ( **إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأُولَىٰ** ) قال: أساطير الأولين.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( **إِلَّا خُلُقُ الْأُولَىٰ** ) قال: كذبهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( **إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأُولَىٰ** ) قال: إن هذا إلا أمر الأولين وأساطير الأولين اكتبها فهي ثملى عليه بكرة وأصيلا.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عامر، عن علقمة، عن ابن مسعود: (إِنَّ هَذَا إِلا خُلِقَ الْأَوَّلِينَ) يقول: إن هذا إلا اختلاق الأولين.

قال ثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا داود، عن الشعبي، عن علقمة، عن عبد الله، أنه كان يقرأ (إِنَّ هَذَا إِلا خُلِقَ الْأَوَّلِينَ) ويقول شيء اختلقوه.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، عن داود، عن الشعبي، قال: قال علقمة: (إِنَّ هَذَا إِلا خُلِقَ الْأَوَّلِينَ) قال: اختلاق الأولين.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب: قراءة من قرأ (إِنَّ هَذَا إِلا خُلِقَ الْأَوَّلِينَ) < 379-19 > بضم الخاء واللام، بمعنى: إن هذا إلا عادة الأولين ودينهم، كما قال ابن عباس، لأنهم إنما عوتبوا على البنيان الذي كانوا يتخذونه، ويطشهم بالناس بطش الجابرة، وقلة شكرهم ربهم فيما أنعم عليهم، فأجابوا نبئهم بأنهم يفعلون ما يفعلون من ذلك، احتذاء منهم سنة من قبلهم من الأمم، واقتفاء منهم آثارهم، فقالوا: ما هذا الذي نفعله إلا خلق الأولين، يعنون بالخلق: عادة الأولين. ويزيد ذلك بيانا وتصحيحا لما اخترنا من القراءة والتأويل، قولهم: (وَمَا تَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ) لأنهم لو كانوا لا يقرؤون بأن لهم ربا يقدر على تعذيبهم، ما قالوا: (وَمَا تَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ) بل كانوا يقولون: إن هذا الذي جئنا به يا هود إلا خلق الأولين، وما لنا من معذب يعذبنا، ولكنهم كانوا مقرين بالصانع، وعبدون الآلهة، على نحو ما كان مشركو العرب يعبدونها، ويقولون إنها تقرينا إلى الله زلفى، فلذلك قالوا لهود وهم منكرون نبوته: سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوْعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ثم قالوا له: ما هذا الذي نفعله إلا عادة من قبلنا وأخلاقهم، وما الله معذبنا عليه. كما أخبرنا تعالى ذكره عن الأمم الخالية قبلنا، أنهم كانوا يقولون لرسولهم: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ .

القول في تأويل قوله تعالى : فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (139) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (140)

يقول تعالى ذكره: فكذبت عاد رسول ربهم هودا، والهاء في قوله (فكذبوه) من ذكر هود. (فأهلكناهم) يقول: فأهلكنا عادا بتكذيبهم رسولنا. (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً) يقول تعالى ذكره: إن في إهلاكنا عادا بتكذيبها رسولها، لعبرة وموعظة لقومك يا محمد، المكذبيك فيما أتيتهم به من عند ربك.

يقول: وما كان أكثر من أهلكنا بالذين يؤمنون في سابق علم الله.

(وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ) في انتقامه من أعدائه، (الرَّحِيمُ) بالمؤمنين به.

القول في تأويل قوله تعالى : كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (141) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ (142) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (143) فَاتَّقُوا > 380-19



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< اللَّهُ وَأَطِيعُونَ (144) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ  
الْعَالَمِينَ (145)

يقول تعالى ذكره: كذبت ثمود رسل الله، إذ دعاهم صالح أخوهم إلى الله، فقال لهم: ألا تتقون عقاب الله يا قوم على معصيتكم إياه، وخلافكم أمره، بطاعتكم أمر المفسدين في أرض الله. (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ) من الله أرسلني إليكم بتحذيركم عقوبته على خلافكم أمره (أَمِينٌ) على رسالته التي أرسلها معي إليكم. (فَاتَّقُوا اللَّهَ) أيها القوم، واجذبوا عقابه (وَأَطِيعُونَ) في تحذيري إياكم، وأمر ربكم باتباع طاعته. (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ) يقول: وما أسألكم علي نصحي إياكم، وإنذاركم من جزاء ولا ثواب. (إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ) يقول: إن جزائي وثوابي إلا على رب جميع ما في السموات، وما في الأرض، وما بينهما من خلق.

القول في تأويل قوله تعالى: أَسْتَرْكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِينَ (146) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (147) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (148) وَتَنْجُوتَ مِنَ الْجِبَالِ يُبُوتًا قَارِهِينَ (149) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ (150)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل صالح لقومه من ثمود: أيتركم يا قوم ربكم في هذه الدنيا آمين، لا تخافون شيئا؟. (فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) يقول: في بساتين وعيون ماء. (وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ) يعني بالطلع: الكفري.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله (هَضِيمٌ) فقال بعضهم: معناه البائع النضيج.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: (وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ) يقول: أبيع وبلغ فهو هضم.

وقال آخرون: بل هو المتهشم المتفتت.

< 19-381 >

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: (وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ) قال محمد بن عمرو في حديثه تهشم هشما. وقال الحارث: تهشم تهشما.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْجٍ, قال: سمعت عبد الكريم يقول: سمعت مجاهدا يقول في قوله: ( وَتَخَلَّيْ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ) قال: حين تطلع يقبض عليه فيهضمه.

قال ابن جُرَيْجٍ: قال مجاهد: إذا مسَّ تهشُّمٌ وتفتَّت, قال: هو من الرطب هضم تقبض عليه فتهضمه.

وقال آخرون: هو الرطب اللين.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد, قال: ثنا أبو الأحوص, عن سماك, عن عكرمة قوله: ( وَتَخَلَّيْ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ) قال: الهضم: الرطب اللين.

وقال آخرون: هو الراكب بعضه بعضا.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ( طَلْعُهَا هَضِيمٌ ) إذا كثر حمل النخلة فركب بعضها بعضا, حتى نقص بعضها بعضا, فهو حينئذ هضم.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: الهضم: هو المتكسر من لينه ورطوبته, وذلك من قولهم: هضم فلان حقه: إذا انتقصه وتحيفه, فكذلك الهضم في الطلع, إنما هو التنقص منه من رطوبته ولينه إما بمسِّ الأيدي, وإما بركوب بعضه بعضا, وأصله مفعول صرف إلى فعيل.

وقوله: ( وَتَخَلَّيْ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ) يقول تعالى ذكره: وتتخذون من الجبال بيوتا.

واختلفت القراء في قراءة قوله ( فارهين ) فقرأته عامة قراء أهل الكوفة: > 382-19 < ( فارهين ) بمعنى: حاذقين بنحتها.

وقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة: " قَرِهَيْنَ " بغير ألف, بمعنى: أشربين بطرين.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك على نحو اختلاف القراء في قراءته, فقال بعضهم: معنى فارهين: حاذقين.

\* ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا أبو كريب, قال: ثنا عثام, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح وعبد الله بن شدّاد: ( وَتَنْجُتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا قَارِهِينَ ) قال أحدهما: حاذقين, وقال الآخر: يتجبرون.

حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: ثنا مروان, قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح: ( وَتَنْجُتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا قَارِهِينَ ) قال: حاذقين بنحتها.

حدثني عليّ, قال: ثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: ( فارهين ) يقول: حاذقين.

وقال آخرون: معنى فارهين: مستفرهين متجبرين.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار, قال: ثنا يحيى, قال: ثنا سفيان, عن السديّ, عن عبد الله بن شداد في قوله: " قَرِهِينَ " قال: يتجبرون.

قال أبو جعفر: والصواب: فارهين.

وقال آخرون ممن قرأه فارهين: معنى ذلك: كيسين.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ( فارهين ) قال: كيسين.

حدثنا ابن حميد, قال: ثنا يحيى بن واضح, قال: ثنا عبيد, عن الضحاك أنه قرأ ( فارهين ) قال: كيسين.

وقال آخرون: فرهين: أشرين.

< 19-383 >

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: ( وَتَنْجُتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا قَارِهِينَ ) يقول: أشرين, ويقال: كيسين.

حدثني محمد بن عمرو, قال: ثنا أبو عاصم, قال: ثنا عيسى; وحدثني الحارث, قال: ثنا الحسن, قال: ثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قوله: " بيوتا فرهين " قال: شرهين.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد,  
بمثله.

وقال آخرون: معنى ذلك: أقوياء.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: " وَتَّحْتُونَ مِنْ  
الْجِبَالِ بِيُوتًا قَرِهِينَ " قال: الفره: القوي.

وقال آخرون في ذلك بما حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا  
معمر عن قتادة, في قوله: " قَرِهِينَ " قال: معجيين بصنيعكم. والصواب من القول  
في ذلك أن يقال: إن قراءة من قرأها ( فارهين ) وقراءة من قرأ " قَرِهِينَ "  
قراءتان معروفتان, مستفيضة القراءة بكل واحدة منهما في علماء القراء,  
فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. ومعنى قراءة من قرأ ( فارهين ) : حاذقين بنحتها,  
متخيرين لمواضع نحتها, كيسين, من الفراهة. ومعنى قراءة من قرأ " قَرِهِينَ "  
مرحين أشربين. وقد يجوز أن يكون معنى فاره وفره واحدا, فيكون فاره مبنيا  
على بنائه, وأصله من فعل يفعل, ويكون فره صفة, كما يقال: فلان حاذق بهذا  
الأمر وحذق. ومن الفاره بمعنى المرح قول الشاعر عدي بن وادع العوفي من  
الأزد:

لا أَسْتَكِينُ إِذَا مَا أَرَمَهُ أَرَمْتُ

وَلَنْ تَرَانِي بِخَيْرٍ فَارِهِ الطَّلَبِ (1)

< 19-384 >

أي مرح الطلب. وقوله: ( فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ) يقول تعالى ذكره: فاتقوا  
عقاب الله أيها القوم على معصيتكم ربكم, وخلافكم أمره, وأطيعوا في  
نصيحتي لكم, وإنذاري إياكم عقاب الله ترشدوا.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151) الَّذِينَ  
يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (152) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (153)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل صالح لقومه من ثمود: لا تطيعوا أيها القوم  
أمر المسرفين على أنفسهم في تماديهم في معصية الله, واجترائهم على  
سخطه, وهم الرهط التسعة الذين كانوا يفسدون في الأرض, ولا يصلحون من  
ثمود الذين وصفهم الله جل ثناؤه بقوله: وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ يقول: الذين يسعون في أرض الله بمعاصيه، ولا يصلحون، يقول: ولا يصلحون أنفسهم بالعمل بطاعة الله.

وقوله: (إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ) اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه إنما أنت من المسحورين.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: > 19-385 (إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ) قال: من المسحورين.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتاده، في قوله: (إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ) قال: إنما أنت من المسحورين.

وقال آخرون: معناه: من المخلوقين.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عبيد، قال: ثنا موسى بن عمرو، عن أبي صالح، عن ابن عباس، في قوله: (إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ) قال: من المخلوقين.

واختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى ذلك، فكان بعض أهل البصرة يقول: كل من أكل من إنس أو دابة فهو مسحور، وذلك لأن له سحرا يقري ما أكل فيه، واستشهد على ذلك بقول لبيد:

فَإِنْ تَسْأَلِينَا فِيمَ تَحْنُ فَإِنَّا

عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمُسَحَّرِ (2)

وقال بعض نحويي الكوفيين نحو هذا، غير أنه قال: أخذ من قولك: انتفخ سحرك: أي أنك تأكل الطعام والشراب، فُتَسَحَّرُ به وتعلل. وقال: معنى قول لبيد: "من هذا الأنام المسحور": من هذا الأنام المعلل المخدوع. قال: ويروى أن السحر من ذلك، لأنه كالخدعة.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 19-386 >

والصواب من القول في ذلك عندي: القول الذي ذكرته عن ابن عباس، أن معناه: إنما أنت من المخلوقين الذين يعللون بالطعام والشراب مثلنا، ولست ربا ولا ملكا فنطيعك، ونعلم أنك صادق فيما تقول. والمسحر: المفعول من السحرة، وهو الذي له سحرة.

القول في تأويل قوله تعالى : مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (154) قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (155) وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ (156)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ثمود لنبينا صالح: ( مَا أَنْتَ - يَا صَالِحُ - إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ) من بني آدم، تأكل ما نأكل، وتشرب ما نشرب، ولست برَبٍّ ولا ملك، فعلام تتبعك؟ فإن كنت صادقا في قيلك، وأن الله أرسلك إلينا ( فَأْتِ بآيَةٍ ) يعني: بدلالة وجحة على أنك محق فيما تقول، إن كنت ممن صدقنا في دعواه أن الله أرسله إلينا.

وقد حدثنا أحمد بن عمرو البصري، قال: ثنا عمرو بن عاصم الكلابي، قال: ثنا داود بن أبي الفرات، قال: ثنا علباء بن أحمر، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن صالحا النبي صلى الله عليه وسلم بعثه الله إلى قومه، فأمنوا به واتبعوه، فمات صالح، فرجعوا عن الإسلام، فأتاهم صالح، فقال لهم: أنا صالح، قالوا: إن كنت صادقا فأتنا بآية، فأتاهم بالناقة، فكذبوه وعقروها، فعدبهم الله.

وقوله: ( قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ) يقول تعالى ذكره: قال صالح لثمود لما سألوه آية يعلمون بها صدقه، فأتاهم بناقة أخرجها من صخرة أو هضبة: هذه ناقة يا قوم، لها شرب ولكم مثله شرب يوم آخر معلوم، ما لكم من الشرب، ليس لكم في يوم وريدها أن تشربوا من شربها شيئا، ولا لها أن تشرب في يومكم مما لكم شيئا. ويعني باليشرب: الحظ والنصيب من الماء، يقول: لها حظ من الماء، ولكم مثله، والشرْب والشرْب والشرْب مصادر كلها بالضم والفتح والكسر.

وقد حُكي عن العرب سماعا: آخرها أقلها شُرْبًا وشُرْبًا.

< 19-387 >

وقوله: ( وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ ) يقول: لا تمسوها بما يؤذيها من عقر وقتل ونحو ذلك.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، في قوله: ( وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ ) لا تعقروها. وقوله: ( فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ ) يقول: فيحل بكم من الله عذاب يوم عظيم عذابه.

القول في تأويل قوله تعالى : فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ (157) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (158) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (159)

يقول تعالى ذكره، فخالفت ثمود أمر نبيها صالح صلى الله عليه وسلم، فعقروا الناقة التي قال لهم صالح: لا تمسوها بسوء، فأصبحوا نادمين علي عقرها، فلم ينفعهم ندمهم، وأخذهم عذاب الله الذي كان صالح توعدهم به فأهلكهم. (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً) يقول: إِنَّ فِي إِهْلَاكِ ثَمُودَ بِمَا فَعَلَتْ مِنْ عَقْرِهَا نَاقَةَ اللَّهِ وَخِلَافِهَا أَمْرَ نَبِيِّ اللَّهِ صَالِحٍ لَعِبْرَةٌ لِمَنْ أَعْتَبَرَ بِهِ يَا مُحَمَّدٌ مِنْ قَوْمِكَ. (وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) يقول: ولن يؤمن أكثرهم في سابق علم الله. (وَإِنَّ رَبَّكَ) يا محمد (لَهُوَ الْعَزِيزُ) في انتقامه من أعدائه (الرَّحِيمُ) بمن آمن به من خلقه.

الهوامش:

(1) البيت لعدي بن وادع الشاعر الأزدي الأعمى، (كما سماه صاحب معجم الشعراء ص 252)، وكما في مجاز القرآن لأبي عبيدة (مصورة الجامعة ص 173) قال (وتحتون من الجبال بيوتًا فارهين) أي مرحين. قال عدي بن وادع العفوي من العفاة بن عمرو بن فهم من الأزدي:

لَا أَسْتَكِينُ إِذَا مَا أَرَمْتُ أَرَمْتُ

وَ لَنْ تَرَانِي بِخَيْرٍ فَارِهِ اللَّبِّ

أي مرح اللب. قال: ويجوز: "فرهين" في معنى "فارهين".

أو هو ابن وادع العفوي، كما في (اللسان: فره) قال: الفاره: الحاذق بالشيء والفروهة والفراهة والفراهية: النشاط. وفره بالكسر: أشر وبطر، ورجل فره نشيط أشر. وفي التنزيل: (وتحتون من الجبال بيوتًا فرهين). فمن قرأه كذلك، فهو من هذا: شرهين بطرين. ومن قرأه: "فارهين"، فهو من فره بالضم. قال ابن بري عند هذا الموضع: قال ابن وادع العفوي:

لَا أَسْتَكِينُ إِذَا مَا أَرَمْتُ أَرَمْتُ

وَلَنْ تَرَانِي بِخَيْرٍ فَارِهِ الطَّلَبِ



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال الفراء: معنى فارهين: حاذقين. ا هـ. وأما "اللبب" في رواية أبي عبيدة، فلعلها الرواية الصحيحة. ومعناه: البال. يقال: إنه لرخى اللبب. وفي التهذيب: فلان في بال رخی، ولبب رخی: أي في سعة وخصب وأمن. (2) سبق الاستشهاد ببيت لبيد هذا في (15 : 96) وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (مصورة الجامعة الورقة 174) قال: وكل من أكل من إنس أو دابة فهو مسحر، وذلك أن له سحرًا يقرى فيه ما أكل، قال لبيد (وأنشد البيت). وفي (اللسان: سحر) / سحره بالطعام والشراب يسحره سحرًا، وسحره: غذاه وعلله. وقيل: خدعه. والسحر: الغذاء. قال امرؤ القيس:

أَرَانَا مُوَضِّعِينَ لِأَمْرِ عَيْبٍ

وَنُسْحَرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ

موضعين: مسرعين. ولأمر غيب: يريد الموت وأنه قد غيب عنا وقته، ونحن نلهى عنه بالطعام والشراب والسحر: الخديعة. وقول لبيد: "فإن تسألينا.. البيت. يكون على وجهين. وقوله تعالى: (إنما أنت من المسحرين) يكون من التغذية ومن الخديعة وقال الفراء: (إنما أنت من المسحرين): قالوا لنبي الله: لست بملك، إنما أنت بشر مثلنا. قال: والمسحر: المجوف؛ كأنه أعلم، أخذ من قولك: انتفخ سحرًا، أي أنك تأكل الطعام والشراب، فتعلل به. وقيل: (من المسحرين) أي: ممن سحر مرة بعد مرة.

القول في تأويل قوله تعالى : كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (160) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ (161) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (162) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (163) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (164)

يقول تعالى ذكره: ( كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ) من أرسله الله إليهم من الرسل حين ( قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ) الله أيها القوم ( إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ ) من ربكم ( أَمِينٌ ) على وحيه، وتبليغ رسالته. ( فَاتَّقُوا اللَّهَ ) في أنفسكم، أن يحل بكم عقابه < 388-19 > على تكذيبكم رسوله ( وأطيعوا ) فيما دعوتكم إليه أهدكم سبيل الرشاد. ( وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ) يقول: وما أسألكم على نصيحتي لكم ودعايتكم إلى ربي جزاء ولا ثوابا. يقول: ما جزائي على دعايتكم إلى الله، وعلى نصحي لكم وتبليغ رسالات الله إليكم، إلا على رب العالمين.

القول في تأويل قوله تعالى : أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (165) وَتَدْرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (166)

يعني بقوله: ( أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ) : أتتكحون الذكران من بني آدم في أدبارهم. وقوله: ( وَتَدْرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ ) يقول: وتدعون

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الذي خلق لكم ربكم من أزواجكم من فروجهنّ، فأحله لكم. وُذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: " وَتَدْرُونَ مَا أَصْلَحَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ".

وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ( وَتَدْرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ ) قال: تركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال وأدبار النساء.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد بنحوه.

وقوله: ( بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ) يقول: بل أنتم قوم تتجاوزون ما أباح لكم ربكم، وأحله لكم من الفروج إلى ما حرم عليكم منها.

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ( بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ) قال: قوم معتدون.

القول في تأويل قوله تعالى : قَالُوا لَنْبُرُ لَمْ تَنْتَهُ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (167) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (168)

يقول تعالى ذكره: قال قوم لوط: ( لَنْبُرُ لَمْ تَنْتَهُ يَا لُوطُ ) عن نهينا عن إتيان < 389-19 > الذكران ( لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ) من بين أظهرنا وبلدنا. ( قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ) يقول لهم لوط: إني لعملكم الذي تعملونه من إتيان الذكران في أدبارهم من القالين، يعني من المبغضين، المنكرين فعله.

القول في تأويل قوله تعالى : رَبِّ بَحْنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (169) فَتَجَبَّأَهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (170) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (171)

يقول تعالى ذكره: فاستغاث لوط حين توعدده قومه بالإخراج من بلدهم إن هو لم ينته عن نهيمهم عن ركوب الفاحشة، فقال ( رَبِّ بَحْنِي وَأَهْلِي ) من عقوبتك إياهم على ما يعملون من إتيان الذكران. ( فَتَجَبَّأَهُ وَأَهْلَهُ ) من عقوبتنا التي عاقبنا بها قوم لوط ( أَجْمَعِينَ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ) يعني في الباقين، لطول مرور السنين عليها، فصارت هرمة، فإنها أهلكت من بين أهل لوط، لأنها كانت تدل قومها على الأضياف. وقد قيل: إنما قيل من الغابرين لأنها لم تهلك مع قومها في قربتهم، وأنها إنما أصابها الحجر بعد ما خرجت عن قربتهم مع لوط وابتئيه، فكانت من الغابرين بعد قومها، ثم أهلكها الله بما أمطر على

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

بقايا قوم لوط من الحجارة، وقد بيّنا ذلك فيما مضى بشواهد المغنية عن إعادتها.

القول في تأويل قوله تعالى : ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (172) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا قَسِيًّا مَطَرُ الْمُؤَدِّرِينَ (173) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (174) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (175)

يقول تعالى ذكره: ثم أهلكنا الآخرين من قوم لوط بالتدمير. (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا) وذلك إرسال الله عليهم حجارة من سجيل من السماء. (قَسِيًّا مَطَرُ الْمُؤَدِّرِينَ) يقول: فبئس ذلك المطر مطر القوم الذين أنذرهم نبهم فكذبوه. (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً) يقول تعالى ذكره: إن في إهلاكنا قوم لوط الهلاك الذي وصفنا بتكذيبهم رسولنا، لعبرة وموعظة لقومك يا محمد، يتعظون بها في تكذيبهم إياك، وردهم عليك ما جنتهم به من عند ربك من الحق (وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) في سابق علم الله (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) بمن أمن به .

القول في تأويل قوله تعالى : كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ < 390-19 > (176) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (177) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (178) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (179)

يقول تعالى ذكره: (كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ). والأيكة: الشجر الملتف، وهي واحدة الأيك، وكل شجر ملتف فهو عند العرب أيكة؛ ومنه قول نابغة بني ذبيان:

تَجَلُّوْ بِقَادِمَتِي حَمَامَةَ أَيَكَةٍ

بَرَدًا أَسْفَ لِنَائِهِ بِالْإِثْمِدِ (1)

وأصحاب الأيكة: هم أهل مدين فيما ذكر.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: (كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ) يقول: أصحاب الغيضة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: (كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ) قال: الأيكة: مجمع الشجر.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس، قوله: ( كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ) قال: أهل مدين، والأيكة: الملتف من الشجر.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ) قال: الأيكة: الشجر، بعث الله شعيبا إلى قومه من أهل مدين، وإلى أهل البادية، قال: وهم أصحاب ليكة، وليكة والأيكة: واحد.

وقوله ( إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ) يقول تعالى ذكره: قال لهم شعيب: > 391-19 < أَلَا تَتَّقُونَ عِقَابَ اللَّهِ عَلَىٰ مَعْصِيَتِكُمْ رَبِّكُمْ؟ (إِنِّي لَكُمْ مِنَ اللَّهِ رَسُولٌ أَمِينٌ) عَلَىٰ وَجْهِهِ. (فَاتَّقُوا) عِقَابَ (اللَّهِ) عَلَىٰ خِلَافِكُمْ أَمْرَهُ (وَأَطِيعُوا) تَرشُدُوا.

القول في تأويل قوله تعالى: وَمَا أَسْأَلُكُمُ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (180) أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (181)

يقول: ( وَمَا أَسْأَلُكُمُ ) على نصحي لكم من جزاء وثواب، ما جزائي وثوابي على ذلك ( إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَوْفُوا الْكَيْلَ ). يقول: أوفوا الناس حقوقهم من الكيل. ( وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ) يقول: ولا تكونوا ممن نقصهم حقوقهم.

القول في تأويل قوله تعالى: وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (182) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (183)

يعني بقوله ( وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ ) وزنوا بالميزان ( الْمُسْتَقِيمِ ) الذي لا يخس فيه على من وزنتم له. ( وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ) يقول: ولا تنقصوا الناس حقوقهم في الكيل والوزن. ( وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ) يقول: ولا تكثروا في الأرض الفساد. قد بينا ذلك كله بشواهد، واختلاف أهل التأويل فيه فيما مضى، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضوع.

الهوامش:

(1) البيت للنابغة الذبياني زياد بن معاوية (مختار الشعر الجاهلي بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي ص 185) قال شارحه: تجلو: تكشف. والقوادم: الريش المقدم في جناح الطائر. ويكون شديد السواد. شبه سواد شفيتها بالقوادم؛ وشبه بياض ثغرها بياض البرد. والثلاث: مغارز الأسنان، ومن عاداتهم أن يذروا عليها الإثمد، ليبين بياض الأسنان. ا هـ. والأيكة: الشجر الكثير الملتف. وقيل: هي الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر. وخص بعضهم به منبت الأثل ومجمعه. وقال أبو حنيفة الدينوري: قد تكون الأيكة: الجماعة من الشجر، حتى من النخل. قال: والأول أعرف. والجمع أيك. القول

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

في تأويل قوله تعالى : **وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَى** (184) **قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ** (185) **وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطْنُكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ** (186) **فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ** (187)

يقول تعالى ذكره: ( واتقوا ) أيها القوم عقاب ربكم ( الَّذِي خَلَقَكُمْ وَ خَلَقَ الْجِبِلَّةَ الْأُولَى ) يعني بالجبل: الخلق الأولين. وفي الجبله للعرب لغتان: كسر الجيم والباء وتشديد اللام, وضم الجيم والباء وتشديد اللام; فإذا نزعنا إلهاء من آخرها كان الضم في الجيم والباء أكثر كما قال جل ثناؤه: " وَلَقَدْ أَصَلَّ مِنْكُمْ جُبُلًا كَثِيرًا " وربما سكنوا الباء من الجبل, كما قال < 392-19 > أبو ذؤيب:

مَنَايَا يُقَرَّبْنَ الْخُثُوفَ لِأَهْلِهَا

جَهَارًا وَيَسْتَمْتَعْنَ بِالْأَنْسِ الْجِبَلِ (1)

وبنحو ما قلنا في معنى الْجِبِلَّةَ قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: قوله: ( **وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَى** ) يقول: خلق الأولين.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى; وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( **وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَى** ) قال: الخليفة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( **وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَى** ) قال: الخلق الأولين، الجبله: الخلق.

وقوله: ( **قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ** ) يقول: قالوا: إنما أنت يا شعيب معلل تغلل بالطعام والشراب، كما نعلل بهما، ولست ملكا. ( **وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا** ) تأكل وتشرب ( **وَإِنْ نَطْنُكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ** ). يقول: وما نحسبك فيما تخبرنا وتدعوننا إليه، إلا ممن يكذب فيما يقول، فإن كنت صادقا فيما تقول بأنك رسول الله كما تزعم ( **فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ** ) يعني قطعا من السماء، وهي جمع كسفة، جمع كذلك كما تجمع تمرة: تمرا (2) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: (كسفا) يقول: قطعاً.

خُذْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ: أَخْبَرْنَا عُبَيْدٌ، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ، فِي قَوْلِهِ: (كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ) : جَانِبًا مِنَ السَّمَاءِ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: (قَاسِقِطٌ عَلَيَّا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ) قال: ناحية من السماء، عذاب ذلك الكسف.

القول في تأويل قوله تعالى: قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (188) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (189)

يقول تعالى ذكره: قال شعيب لقومه: (رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ) يقول: بأعمالهم هو بها محيط، لا يخفي عليه منها شيء، وهو مجازيكم بها جزاءكم. (فكذبوه) يقول: فكذبهم قومه. (فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ) يعني بالظلة: سحابة ظللتهم، فلما تناموا تحتها التهبت عليهم نارا، وأحرقتهم، وبذلك جاءت الآثار.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن زيد بن معاوية، في قوله: (فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ) قال: أصابهم حرّ أفلقهم في بيوتهم، فنشأت لهم سحابة كهيئة الظلة، فابتدروها، فلما تناموا تحتها أخذتهم الرجفة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، في قوله: (عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ) قال: كانوا يحفرون الأسراب ليتبردوا فيها، فإذا دخلوها وجدوها أشدّ حرا من الظاهر، وكانت الظلة سحابة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنا جرير بن حازم أنه سمع قتادة يقول: بعث شعيب إلى أمتين: إلى قومه أهل مدين، وإلى أصحاب الأيكة. وكانت الأيكة من شجر ملتف؛ فلما أراد الله أن يعذبهم، بعث الله عليهم حرّا شديدا، ورفع لهم العذاب كأنه سحابة؛ فلما دنت منهم خرجوا إليها رجاء بردها، فلما كانوا تحتها مطرت عليهم نارا. قال: فذلك قوله: (فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ).

< 19-394 >

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد، قال: ثنا حاتم بن أبي صغيرة، قال: ثنا يزيد الياهلي، قال: سألت عبد الله بن عباس، عن هذه الآية: (فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) فقال عبد الله بن عباس: بعث الله عليهم ومدة وحرّا شديدا، فأخذ بأنفاسهم،

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فدخلوا البيوت، فدخل عليهم أجواف البيوت، فأخذ بأنفاسهم، فخرجوا من البيوت هرابا (3) إلى البرية، فبعث الله عليهم سحابة، فأظلتهم من الشمس، فوجدوا لها بردا ولذة، فنادى بعضهم بعضا، حتى إذا اجتمعوا تحتها، أرسلها الله عليهم نارا. قال عبد الله بن عباس: فذلك عذاب يوم الظلة، (إنه كان عذاب يوم عظيم).

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: "يَوْمُ الظِّلَّةِ" قال: إطلال العذاب إياهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: (عَذَابُ يَوْمِ الظِّلَّةِ) قال: أَطْلُ العَذَابِ قوم شُعَيْب.

قال ابن جريج: لما أنزل الله عليهم أول العذاب، أخذهم منه حر شديد، فرفع الله لهم غمامة، فخرج إليها طائفة منهم ليستظلوا بها، فأصابهم منها روح وبرد وريح طيبة، فصنَّب الله عليهم من فوقهم من تلك الغمامة عذابا، فذلك قوله: (عَذَابُ يَوْمِ الظِّلَّةِ).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر بن راشد، قال: ثني رجل من أصحابنا، عن بعض العلماء قال: كانوا عطلوا حدًّا، فوسع الله عليهم في الرزق، ثم عطلوا حدًّا، فوسع الله عليهم في الرزق، ثم عطلوا حدًّا، فوسع الله عليهم في الرزق، حتى إذا أراد إهلاكهم سلط الله عليهم حرًّا لا يستطيعون أن يتقاروا، ولا ينفعهم ظل ولا ماء، حتى ذهب ذاهب منهم، فاستظلَّ تحت ظلة، فوجد روحا، فنادى أصحابه: هلموا إلى الروح، فذهبوا إليه سراعا، حتى إذا اجتمعوا ألهبها الله عليهم نارا، فذلك عذاب يوم الظلة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو تميلة، عن أبي حمزة، عن جابر، عن ابن عباس، قال: من حدثك من العلماء ما عذاب يوم الظلة؟ فكذبته.

< 19-395 >

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: (فَأَخَذَهُم عَذَابُ يَوْمِ الظِّلَّةِ) قوم شعيب، حبس الله عنهم الظل والريح، فأصابهم حرٌّ شديد، ثم بعث الله لهم سحابة فيها العذاب، فلما رأوا السحابة انطلقوا يؤمنونها، زعموا يستظلون، فاضطربت عليهم نارا فأهلكتهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: (فَأَخَذَهُم عَذَابُ يَوْمِ الظِّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) قال: بعث الله إليهم ظلة من سحب، وبعث إلى الشمس فأحرقت ما على وجه الأرض، فخرجوا كلهم إلى تلك الظلة، حتى إذا اجتمعوا كلهم، كشف الله عنهم الظلة، وأحمى عليهم



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الشمس, فاحترقوا كما يحترق الجراد في المقلَى. وقوله: ( إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ) يقول تعالى ذكره: إن عذاب يوم الظلة كان عذاب يوم لقوم شعيب عظيم.

القول في تأويل قوله تعالى : إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ( 190 ) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ( 191 )

يقول تعالى ذكره: إن في تعذيبنا قوم شعيب عذاب يوم الظلة, بتكذيبهم نبهم شعيبا, آية لقومك يا محمد, وعبرة لمن اعتبر, إن اعتبروا أن سنتنا فيهم بتكذيبهم إياك, سنتنا في أصحاب الأيكة. ( وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ) في سابق علمنا فيهم ( وَإِنَّ رَبَّكَ ) يا محمد ( لَهُوَ الْعَزِيزُ ) في نعمته ممن انتقم منه من أعدائه ( الرَّحِيمُ ) بمن تاب من خلقه, وأتاب إلى طاعته.

القول في تأويل قوله تعالى : وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ( 192 ) تَرَلَّ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ( 193 ) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ( 194 ) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ( 195 )

يقول تعالى ذكره: وإن هذا القرآن ( لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ) والهاء في قوله ( وإنه ) كناية الذكر الذي في قوله: وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في > 19- 396 < قوله: ( لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ) قال: هذا القرآن.

واختلف القراء في قراءة قوله ( نزل به الروح الأمين ) فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة ( نزل ) به مخففة ( الروح الأمين ) رفعا بمعنى: أن الروح الأمين هو الذي نزل بالقرآن على محمد, وهو جبريل. وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة. ( نزل ) مشددة الزاي ( الروح الأمين ) نصبا, بمعنى: أن رب العالمين نزل بالقرآن الروح الأمين, وهو جبريل عليه السلام.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إنهما قراءتان مستفيضتان في قراء الأمصار, متقاربتا المعنى, فأيتهما قرأ القارئ فمصيب, وذلك أن الروح الأمين إذا نزل على محمد بالقرآن, لم ينزل به إلا بأمر الله إياه بالنزول, ولن يجهل أن ذلك كذلك ذو إيمان بالله, وأن الله إذا أنزله به نزل.

وينحو الذي قلنا في أن المعنى بالروح الأمين في هذا الموضع جبريل قال أهل التأويل.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس. في قوله: ( نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ) قال: جبريل.

حدثنا الحسين، قال أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قول الله: ( نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ) قال: جبريل.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج قال: ( الرُّوحُ الْأَمِينُ ) جبريل.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ( الرُّوحُ الْأَمِينُ ) قال: جبريل.

وقوله ( عَلَى قَلْبِكَ ) يقول: نزل به الروح الأمين فتلاه عليك يا محمد، حتى وعيته بقلبك. وقوله: ( لَتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ) يقول: لتكون من رسل الله الذين كانوا يندرون من أرسلوا إليه من قومهم، فتندر بهذا التنزيل قومك المكذبين بآيات الله. وقوله: ( بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ) يقول: لتندر قومك بلسان عربي مبين، بين لمن سمعه أنه عربي، وبلسان العرب نزل، والباء من قوله ( بلسان ) من صلة قوله: ( نَزَلَ )، وإنما ذكر < 397-19 > تعالى ذكره أنه نزل هذا القرآن بلسان عربي مبين في هذا الموضوع، إعلاماً منه مشركي قريش أنه أنزله كذلك، لئلا يقولوا إنه نزل بغير لساننا، فنحن إنما نعرض عنه ولا نسمع، لأننا لا نفهمه، وإنما هذا تقرير لهم، وذلك أنه تعالى ذكره قال: وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ . ثم قال: لم يعرضوا عنه لأنهم لا يفهمون معانيه، بل يفهمونها، لأنه تنزّل رب العالمين نزل به الروح بالأمين بلسانهم العربي، ولكنهم أعرضوا عنه تكديبا به واستكباراً فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ . كما أتى هذه الأمم التي قصصنا نبأها في هذه السورة حين كذبت رسلها أنباء ما كانوا به يكذبون.

القول في تأويل قوله تعالى : وَإِنَّ لَفِي زُجُرِ الْأُولَى (196) أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (197) وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (198) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (199) كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (200) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (201)

يقول تعالى ذكره: وإن هذا القرآن لفي زبر الأولين: يعني في كتب الأولين، وخرج مخرج العموم ومعناه الخصوص، وإنما هو: وإن هذا القرآن لفي بعض زبر الأولين؛ يعني: أن ذكره وخبره في بعض ما نزل من الكتب على بعض رسله. وقوله: ( أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ) يقول تعالى ذكره: أولم يكن لهؤلاء المعرضين عما يأتيك يا محمد من ذكر ربك، دلالة على أنك رسول رب العالمين، أن يعلم حقيقة ذلك وصحته علماء بني إسرائيل. وقيل: عني بعلماء بني إسرائيل في هذا الموضوع: عبد الله بن سلام ومن

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أشبهه ممن كان قد آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من بني إسرائيل في عصره.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ( أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ) قال: كان عبد الله بن سلام من علماء بني إسرائيل، وكان من خيارهم، فأمن بكتاب محمد صلى الله عليه وسلم، فقال لهم الله: أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني  $398-19$  إسرائيل وخيارهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ( عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ) قال: عبد الله بن سلام وغيره من علمائهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ( أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ ) قال محمد: ( أَنْ يَعْلَمَهُ ) قال: يعرفه. ( عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ). قال ابن جريج، قال مجاهد: علماء بني إسرائيل: عبد الله بن سلام، وغيره من علمائهم.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ( أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ) قال: أولم يكن للنبي آية، علامة أن علماء بني إسرائيل كانوا يعلمون أنهم كانوا يجدونه مكتوبا عندهم؟. وقوله: ( وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ) يقول تعالى ذكره: ولو نزلنا هذا القرآن على بعض البهائم التي لا تنطق، وإنما قيل على بعض الأعجمين، ولم يقل على بعض الأعجميين، لأن العرب تقول إذا نعتت الرجل بالعجمة وأنه لا يفصح بالعربية: هذا رجل أعجم، وللمرأة: هذه امرأة عجماء، وللجماعة: هؤلاء قوم عجم وأعجمون، وإذا أريد هذا المعنى وصف به العربي والأعجمي، لأنه إنما يعني أنه غير فصيح اللسان، وقد يكون كذلك، وهو من العرب ومن هذا المعنى قول الشاعر:

مِنْ وَائِلٍ لَا حَيٍّ يَغْدِلُهُمْ

مِنْ سُوقَةٍ عَرَبٌ وَلَا عُجْمٌ (4)

فأما إذا أريد به نسبة الرجل إلى أصله من العجم، لا وصفه بأنه غير فصيح اللسان،  $399-19$  فإنه يقال: هذا رجل عجمي، وهذان رجلان عجميان، وهؤلاء قوم عجم، كما يقال: عربي، وعربيان، وقوم عرب. وإذا قيل: هذا رجل أعجمي، فإنما نسب إلى نفسه كما يقال للأحمر: هذا أحمر، ضخم، وكما قال العجاج:

# جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

والدَّهْرُ بِالْإِنْسَانِ دَوَّارِيٌّ (5)

ومعناه: دوار، فنسبه إلى فعل نفسه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن محمد بن أبي موسى، قال: كنت واقفا إلى جنب عبد الله بن مطيع بعرفة، فتلا هذه الآية: ( وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ) قال: لو نزل على بعيري هذا فتكلم به ما آمنوا به لَقَالُوا لَوْ لَا فَضَّلْتَ آيَاتُهُ حَتَّى يَفْقَهُه عَرَبِيٌّ وَعَجْمِيٌّ، لو فعلنا ذلك.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت داود بن أبي هند، عن محمد بن أبي موسى، قال: كان عبد الله بن مطيع واقفا بعرفة، فقرأ هذه الآية ( وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ) قال: فقال: جملي هذا أعجم، فلو أنزل على هذا ما كانوا به مؤمنين.

< 19-400 >

وروي عن قتادة في ذلك ما حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: ( وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ) قال: لو نزله الله أعجميا كانوا أخسر الناس به، لأنهم لا يعرفون بالعجمية.

وهذا الذي ذكرناه عن قتادة قول لا وجه له، لأنه وجّه الكلام أن معناه: ولو أنزلناه أعجميا، وإنما التنزيل ( وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ) يعني: ولو نزلنا هذا القرآن العربي علي بهيمة من العجم أو بعض ما لا يفصح، ولم يقل: ولو نزلناه أعجميا. فيكون تأويل الكلام ما قاله.

وقوله ( فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ ) يقول: فقرأ هذا القرآن على كفار قومك يا محمد الذين حتمت عليهم أن لا يؤمنوا ذلك الأعجم ما كانوا به مؤمنين. يقول: لم يكونوا ليؤمنوا به، لما قد جرى لهم في سابق علمي من الشقاء، وهذا تسلية من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن قومه، لئلا يشدد وجدّه بإدبارهم عنه، وإعراضهم عن الاستماع لهذا القرآن، لأنه كان صلى الله عليه وسلم شديدا حرصه على قبولهم منه، والدخول فيما دعاهم إليه، حتى عاتبه ربه على شدة حرصه على ذلك منهم، فقال له: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ثم قال مؤبسه من إيمانهم وأنهم هالكون ببعض مثلاته، كما هلك بعض الأمم الذين قص عليهم قصصهم في هذه السورة. ولو نزلناه على بعض الأعجمين

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يا محمد لا عليك، فإنك رجل منهم، ويقولون لك: ما أنت إلا بشر مثلنا، وهلا نزل به ملك، فقرأ ذلك الأعجم عليهم هذا القرآن، ولم يكن لهم علة يدفعون بها أنه حق، وأنه تنزيل من عندي، ما كانوا به مصدقين، فخفض من حرصك على إيمانهم به، ثم وكد تعالى ذكره الخبر عما قد حتم على هؤلاء المشركين، الذين آيس نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من إيمانهم من الشقاء والبلاء، فقال: كما حتمنا على هؤلاء أنهم لا يؤمنون بهذا القرآن ( وَلَوْ تَرَّيْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ ) ( كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ ) التَّكْذِيبَ وَالْكَفْرَ ( فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ) . ويعني بقوله: سلطنا: أدخلنا، والهاء في قوله ( سلطنا ) كناية من ذكر قوله ( مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ )، كأنه قال: كذلك أدخلنا في قلوب المجرمين ترك الإيمان بهذا القرآن.

وينحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

< 19-401 >

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ( كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ ) قال: الكفر ( فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ) .

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ) . لا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ) . (6)

حدثني علي بن سهل، قال: ثنا زيد بن أبي الزرقاء، عن سفيان، عن حميد، عن الحسن، في هذه الآية: ( كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ) قال: خلقناه.

قال: ثنا زيد، عن حماد بن سلمة، عن حميد، قال: سألت الحسن في بيت أبي خليفة، عن قوله ( كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ) قال: الشرك سلكه في قلوبهم. وقوله: ( لا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ) يقول: فعلنا ذلك؛ بهم لئلا يصدقوا بهذا القرآن، حتى يروا العذاب الأليم في عاجل الدنيا، كما رأت ذلك الأمم الذين قص الله قصصهم في هذه السورة. ورفع قوله ( لا يُؤْمِنُونَ ) لأن العرب من شأنها إذا وضعت في موضع مثل هذا الموضع " لا " ربما جازمت ما بعدها، وربما رفعت فتقول: ربطت الفرس لا تنفلت، وأحكمت العقد لا ينحل، جزما ورفعاً. وإنما تفعل ذلك لأن تأويل ذلك: إن لم أحكم العقد انحل، فجزمه على التأويل، ورفعه بأن الجازم غير ظاهر.

ومن الشاهد على الجزم في ذلك قول الشاعر:

لَوْ كُنْتُ إِذْ جِئْنَا حَاوَلْتُ رُؤْيَيْنَا

أَوْ جِئْنَا مَا شِئْنَا لَا يَعْْرِفُ الْفَرَسَ (7)

# جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقول الآخر:

< 19-402 >

لَطَالَمَا حَلَّتْمَاهَا لَا تَرِدُ

فَحَلِّيَاهَا وَالسَّجَالَ تَبْتَرِدُ (8)

القول في تأويل قوله تعالى : **فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (202) فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ (203) أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (204)**

يقول تعالى ذكره: فيأتي هؤلاء المكذبين بهذا القرآن، العذاب الأليم بغتة، يعني فجأة ( وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) يقول: لا يعلمون قبل ذلك بمجيئه حتى يفجأهم بغتة. ( فيقولوا ) حين يأتيهم بغتة ( هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ) : أي هل نحن مؤخر عنا العذاب، ومُنْسَأً في آجالنا لننوب، وننيب إلى الله من شركنا وكفرنا بالله، فنراجع الإيمان به، وننيب إلى طاعته؟. وقوله: ( أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ) يقول تعالى ذكره: أبعذابنا هؤلاء المشركون يستعجلون بقولهم: لن نؤمن لك حتى تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا رَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا .

القول في تأويل قوله تعالى : **أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (206)**

يقول تعالى ذكره: ثم جاءهم العذاب الذي كانوا يوعدون على كفرهم بآياتنا، وتكذيبهم رسولنا.

الهوامش:

(1) البيت لأبي ذؤيب الهذلي (اللسان: جبل) والمنايا: جمع منية، وهي الموت. والحتوف جمع حتف، وهو الهلاك. والأنس الناس. والجبل: الأمة من الخلق. وفيه لغات، فيكون مثلث الجيم، ساكن الباء. ويكون بضم الجيم والباء وتشديد اللام. قال في اللسان: وحى جبل كثير. قال أبو ذؤيب: "منايا.. البيت. أي كثير. يقول: الناس كلهم متعة للموت، يستمتع بهم. قال ابن بري: ويروى: الجبل، بضم الجيم. قال: وكذا رواه أبو عبيدة. وقول الله عز وجل: (ولقد أضل منكم جبلا كثيرا): يقرأ: جبلا (بضم فسكون) عن أبي عمرو وجبلا (بضميتين) عن الكسائي. وجبلا (بكسر فسكون) عن الأعرج وعيسى بن عمر. وجبلا (بكسرتين فلام مشددة) عن أهل المدينة وجبلا (بضميتين مع التشديد) عن الحسن وابن أبي

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

إسحاق قال: ويجوز أيضًا جبل (بكسر ففتح) جمع جبلة (بكسرة فسكون) وهو في جميع هذه الوجوه: خلقًا كثيرًا ا هـ.

(2) كذا في الأصل وقياس الجمع الأخير على ما قبله ليس بواضح

(3) هرابًا: لعله جمع هارب، ولم أجده في اللسان.

(4) السوقة: الرعية التي تسوسها الملوك. يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث

والمذكر. والعجم بضم العين: جمع أعجم. قال أبو عبيدة في مجاز القرآن

(مصورة الجامعة الورقة 175): يقال: رجل أعجم: إذا كان في لسانه عجمة،

ورجل عجمي: أي من العجم. والدواب: عجم، لأنها لا تتكلم. وفي (اللسان:

عجم) قال أبو إسحاق: الأعجم: الذي لا يفصح ولا يبين كلامه، وإن كان عربي

النسب، كزياد الأعجم. والأشئ: عجماء، وكذلك الأعجمي. فأما العجمي فالذي من

جنس العجم: أفصح أو لم يفصح، والجمع: عجم (بالتحريك) كعربي وعرب. ورجل

أعجمي وأعجم: إذا كانت في لسانه عجمة، وإن أفصح بالعجمية وكلام أعجم

وأعجمي: بين العجمة. وفي لتنزيل: (لسان الذي يلحدون إليه أعجمي). وجمعه

بالواو والنون، تقول: أحمري وأحمرون، وأعجمي وأعجمون، على حد أشعبي

وأشعئين وأشعري وأشعرين وعليه قوله عز وجل: (ولو نزلناه على بعض

الأعجمين)

(5) هذا بيت من مشطور الرجز للعجاج الراجز المشهور (اللسان: دور. وأراجيز

العرب للسيد توفيق البكري 174) وهو من أرجوزة له حزينة، بدأها بقوله:

بَكَيْتُ وَالْمُخْتَرِئُ الْبَكِيُّ

وَإِنَّمَا يَأْتِي الصَّبَا الصَّبِيُّ

أَطْرَبَا وَأَنْتَ قَسْرِيُّ

وَالدَّهْرُ بِالْإِنْسَانِ دَوَّارِيُّ

أَفْتَى الْفُرُونَ وَهُوَ قَعْسَرِيُّ

وَبِالدَّهَاءِ يُخْتَلُّ الْمَدْهِيُّ

يقول: بكيت ومن حزم كان بكاؤك. والقنصري: المسن القديم. ودواري: دائر، أي

أنه يتصرف بالإنسان ويدور به أطوارًا وأحوالًا. والقعسري: الشديد، يريد الدهر.

ومحل الشاهد في قوله: "دواري" قال في اللسان: أي دائر به، على إضافة

الشيء إلى نفسه (أي نسبته إلى نفسه، لأن دواري منسوب إلى دوار، فلفظ

المنسوب إليه كلفظ المنسوب). قال ابن سيده: هذا قول اللغويين قال

الفارسي هو على لفظ النسب، وليس بنسب، ونظيره بختى وكرسی. وفي

(اللسان: عجم) وينسب إلى الأعجم الذي في لسانه عجمة، فيقال: لسان

أعجمي، وكتاب أعجمي، ولا يقال رجل أعجمي فتنسب إلى نفسه، إلا أن



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يكون أعجم وأعجمي بمعنى، مثل دوار ودواري، وجمل قعسر وقعسري؛ هذا إذا ورد وردًا لا يمكن رده. اهـ (6) سقط تفسير ابن زيد لما أراد من الآية، ولعله الكفر أو الشرك، أو نحوه، أو مثله.

(7) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة الورقة 230) قال: وقوله: (كذلك سلكناه) تقول: سلكننا التكذيب في قلوب المجرمين كيلا يؤمنوا به حتى يروا العذاب الأليم. وإذا كان موقع كي في مثل هذا "لا" و "إن" جميعًا، صلح الجزم في "لا" والرفع. والعرب تقول: ربطت الفرس لا ينفلت: جزمًا ورفعًا وأوثقت العبد لا يفر: جزمًا ورفعًا؛ وإنما جزم، لأن تأويله: إن لم أربطه فر؛ فجزم على التأويل. أنشدني بعض بني عقيل:

وَخَتَى رَأَيْتَا أَحْسَنَ الْفِعْلِ بَيْنَنَا

مُسَاكَنَةً لَا يَفْرِقُ الشَّرَّ قَارِقُ

ينشد رفعًا وجزمًا. وقال الآخر: "لو كنت إذ جئتنا.. البيت: رفعًا وجزمًا، وقوله: "لطالما حلأتماها.. الشاهد الآتي بعد من ذلك.

(8) البيت في (اللسان: حلأ). وروايته: قد طالما.. إلخ، قال: حلأ الإبل والماشية عن الماء تحليئًا وتحلئة: طردها أو حبسها عن الورود، ومنعها أن ترده. وكذلك حلأ القوم عن الماء. وقال ابن الأعرابي: قالت قريبة: كان رجل عاشق لمرأة فتزوجها، فجاءها النساء، فقال بعضهن لبعض \* قد طالما حلأتماها لا ترد \*

البيت. والسجال: جمع سجل وهو الدلو الضخمة المملوءة ماء (اللسان) والبيت شاهد كالذي قبله، على أن "لا ترد" يجوز فيه الرفع والجزم على التأويل الذي ذكره الفراء.

القول في تأويل قوله تعالى : مَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ (207)

( مَا أَعْنَى عَنْهُمْ ) يقول: أي شيء أغنى عنهم التأخير الذي أخرنا في آجالهم، والمتاع الذي متعناهم به من الحياة، إذ لم يتوبوا من شركهم، هل زادهم تمتعنا إياهم ذلك إلا خبالًا؟ وهل نفعهم شيئًا؟ بل ضرهم بازديادهم من الآثام، واكتسابهم من الإجرام ما لو لم يمتعوا لم يكتسبوه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ إِلَى قَوْلِهِ ( مَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ ) قال: هؤلاء أهل الكفر.

< 19-403 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ (208) ذَكَرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ (209) وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (210) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (211) إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ (212)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول تعالى ذكره: (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ) من هذه القرى التي وصفت في هذه السور (إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ) يقول: إلا بعد إرسالنا إليهم رسلاً يذرونهم بأسنا على كفرهم وسخطنا عليهم. (ذَكَرَى) يقول: إلا لها منذرون يذرونهم، تذكرة لهم وتنبيهها لهم على ما فيه النجاة لهم من عذابنا. ففي الذكرى وجهان من الإعراب: أحدهما النصب على المصدر من الإنذار على ما بيَّنتُ، والآخر: الرفع على الابتداء (1) كأنه قيل: ذكرى.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ \* ذَكَرَى) قال: الرسل. قال ابن جريج: و قوله: (ذَكَرَى) قال: الرسل.

قوله: (وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ) يقول: وما كنا ظالمينهم في تعذيبناهم وإهلاكهم، لأننا إنما أهلكناهم، إذ عتوا علينا، وكفروا نعمتنا، وعبدوا غيرنا بعد الإعدار عليهم والإنذار، ومتابعة الحجج عليهم بأن ذلك لا ينبغي أن يفعلوه، فأبوا إلا التمادي في الغي.

وقوله: (وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ) يقول تعالى ذكره: وما تنزلت بهذا القرآن الشياطين على محمد، ولكنه ينزل به الروح الأمين. (وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ) يقول: وما ينبغي للشياطين أن ينزلوا به عليه، ولا يصلح لهم ذلك. (وَمَا يَسْتَطِيعُونَ) يقول: وما يستطيعون أن ينزلوا به، لأنهم لا يصلون إلى استماعه في المكان الذي هو به من السماء. (إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ) يقول: إن الشياطين عن سماع القرآن من المكان < 404-19 > الذي هو به من السماء لمعزولون، فكيف يستطيعون أن ينزلوا به.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: (وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ) قال: هذا القرآن. وفي قوله (إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ) قال: عن سماع السماء.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة، بنحوه، إلا أنه قال: عن سماع القرآن.

والقرآن مجمعة على قراءة (وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ) بالتاء ورفع النون، لأنها نون أصلية، واحدهم شيطان، كما واحد البساتين بستان. وذكر عن الحسن أنه

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

كان يقرأ ذلك: " وَمَا تَتَرَلَّخَ بِهِ الشَّيَاطُونَ " بالواو، وذلك لحن، وينبغي أن يكون ذلك إن كان صحيحا عنه، أن يكون توهم أن ذلك نظير المسلمين والمؤمنين، وذلك بعيد من هذا.

القول في تأويل قوله تعالى : فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ (213) وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214) وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: (فَلَا تَدْعُ) يا محمد (مَعَ) الله (إِلَهًا آخَرَ) أي لا تعبد معه معبودا غيره (فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ) فينزل بك من العذاب ما نزل بهؤلاء الذين خالفوا أمرنا وعبدوا غيرنا. وقوله: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) يقول جل ثناؤه لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: وأنذر عشيرتك من قومك الأقربين إليك قرابة، وحثهم من عذابنا أن ينزل بهم بكفرهم.

وذكر أن هذه الآية لما نزلت، بدأ بنبي جده عبد المطلب وولده، فحثهم وأنذرهم.

< 19-405 >

\*ذكر الرواية بذلك:

حدثني أحمد بن المقدم، قال: ثنا محمد بن عبد الرحمن، قال: ثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: لما نزلت هذه الآية: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يا قَاطِمَةَ بِنْتُ مُحَمَّدٍ يا بِنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ ".

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي ويونس بن بكير، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بنحوه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا عنيسة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: لما نزلت (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قام النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " يا قَاطِمَةَ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، يا صَفِيَّةُ ابْنَةَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ " ثم ذكر نحو حديث ابن المقدم.

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: ثنا سلامة، قال: قال عقيل: ثنا الزهري، قال: قال سعيد بن المسيب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن: إن أبا هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ): " يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، لَا أَعْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بِنِي عَبْدِ مَتَّافٍ لَا أَعْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بَنِ عَبْدِ

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

المُطَلِّبِ لَا أُعْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُعْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، مَا سَلَّيْنِي مَا سَلَّيْتِ، لَا أُعْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا " .

حدثني محمد بن عبد الملك، قال: ثنا أبو اليمان، قال: أخبرنا شعيب عن الزهري، قال: أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قال: " يَا مَعْشَرَ قُرَيْشِ اسْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ " ثم ذكر نحوه حديث يونس، عن سلامة؛ غير أنه زاد فيه " يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُعْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا " ولم يذكر في حديثه فاطمة.

حدثني يونس، قال: ثنا سلامة بن روح، قال: قال عقيل: ثنا ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) جمع قريشا، < 406-19 > ثم أتاهم، فقال لهم: " هَلْ فِيكُمْ غَرِيبٌ؟ " فقالوا: لا إلا ابن أخت لنا لا نراه إلا منا، قال: " إِنَّهُ مِنْكُمْ " فوعظهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال لهم في آخر كلامه: " لَا أُعْرَقَنَّ مَا وَرَدَ عَلَيَّ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسُوفُونَ الْآخِرَةَ، وَجِئْتُمْ إِلَيَّ تَسُوفُونَ الدُّنْيَا " .

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن، أن أبا هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) : " يَا مَعْشَرَ قُرَيْشِ اسْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ لَا أُعْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُعْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُعْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُعْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَلَّيْنِي مَا سَلَّيْتِ لَا أُعْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا " .

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، قال: سمعت الحجاج يحدث، عن عبد الملك بن عمير، عن موسى بن طلحة، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لما أنزل الله: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: " يَا مَعْشَرَ قُرَيْشِ أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ أَنْقِذِي نَفْسِكَ مِنَ النَّارِ، أَلَا إِنَّ لَكُمْ رَجِمًا سَابِلَهَا بِلَالًا " .

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو أسامة، عن زائدة، عن عبد الملك بن عمير، عن موسى بن طلحة، عن أبي هريرة، قال: لما نزلت هذه الآية: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا، فعم وخص، فقال: " يَا مَعْشَرَ قُرَيْشِ اسْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، يَا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، يَا مَعْشَرَ بَنِي عَبْدِ مَتَّاقٍ، يَا مَعْشَرَ بَنِي هَاشِمٍ، يَا مَعْشَرَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ "، يقول لكلهم: " أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ أَنْقِذِي نَفْسِكَ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، أَلَا إِنَّ لَكُمْ رَجِمًا سَابِلَهَا بِلَالًا " .

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، قال: ثنا أبو عثمان، عن زهير بن عمرو وقبيصة بن مخارق: أنهما قالا أنزل الله على نبي الله صلى الله

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

عليه وسلم: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)، فحدثنا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه علا صخرة من < 407-19 > جبل، فعلا أعلاها حجرا، ثم قال: " يا آل عَبْدٍ مَنَافاه، يا صَبَاحاه، إني تَذِيرُ، إِنَّ مَتَلِي وَمَتَلَكُم مَّثَل رَجُلٍ أَتَى الْجَيْشُ، فَحَشِيَهُمْ عَلَى أَهْلِهِ، فَذَهَبَ يَزْبُوهُمْ (2) فَحَشِيَّ أَنْ يَسْبِقُوهُ إِلَى أَهْلِهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِهِمْ: يَا صَبَاحَاهُ! " أو كما قال.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الوهاب ومحمد بن جعفر، عن عوف، عن قسامة بن زهير، قال: بلغني أنه لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) جاء فوضع أصبعه في أذنه، ورفع من صوته، وقال: " يا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَاصْبَاحَاهُ! "

قال: ثني أبو عاصم، قال: ثنا عوف، عن قسامة بن زهير، قال: أظنه عن الأشعري، عن النبي صلى الله عليه وسلم، بنحوه.

حدثني عبد الله بن أبي زياد، قال: ثنا أبو زيد الأنصاري سعد بن أوس، عن عوف، قال: قال قسامة بن زهير، حدثني الأشعري، قال: لما نزلت، ثم ذكر نحوه؛ إلا أنه قال: وضع أصبعه في أذنيه.

حدثنا أبو كُريب، قال: ثنا ابن ثُمير، عن الأعمش، عن عمرو بن مَرَّة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا، ثم نادى: " يا صَبَاحَاهُ، " فاجتمع الناس إليه، فبين رجل يجيء، وبين آخر يبعث رسوله، فقال: " يا بَنِي هَاشِمٍ، يا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يا بَنِي فَهْرٍ، يا بَنِي أَبِي بَنِي، أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَحْبَرْتُكُمْ أَنَّ حَيْلًا يَسْفَحُ هَذَا الْجَبَلَ تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ صَدَقْتُمُونِي؟ " قالوا: نعم، قال: " فَأِنِّي تَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ " فقال أبو لهب: تبا لكم سائر اليوم، ما دعوتموني إلا لهذا؟ فنزلت: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ .

حدثنا أبو كُريب وأبو السائب، قالا ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمرو بن مَرَّة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم الصفا، فقال: " يا صَبَاحَاهُ! " فاجتمعت إليه قريش، فقالوا له: < 408-19 > مالك؟ فقال: " أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَحْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ أَوْ مُمَسِّبِكُمْ أَلَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟ " قالوا: بلى، قال: " فَأِنِّي تَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ". قال أبو لهب: تبا لك، ألهذا دعوتنا أو جمعتنا!، فأنزل الله: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ... إلى آخر السورة.

حدثنا أبو كُريب، قال: ثنا أبو أسامة، عن الأعمش، عن عمرو بن مَرَّة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) ورهطك منهم المخلصين، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا، فهتف: " يا صَبَاحَاهُ! " فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ فقالوا: محمد، فاجتمعوا إليه، فقال: " يا بَنِي فُلان، يا بَنِي فُلان، يا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، " فاجتمعوا إليه، فقال: " أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَحْبَرْتُكُمْ أَنَّ حَيْلًا تَخْرُجُ يَسْفَحُ

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟ " قالوا: ما جربنا عليك كذبا، قال: " فَإِنِّي تَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ "، فقال أبو لهب: تبا لك، ما جمعنا إلا لهذا؟ ثم قام فنزلت هذه السورة: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، كذا قرأ الأعمش، إلى آخر السورة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو معاوية بن هشام، عن سفيان، عن حبيب، عن سعيد، عن ابن عباس، قال: لما نزلت (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام على الصفا، فقال: " يا صباحاه! "

قال ثنا خالد بن عمرو، قال: ثنا سفيان الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما نزلت (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا، فقال: " يا صباحاه! " فجعل يعددهم: " يا بني فلان، ويا بني فلان، ويا بني عبد مناف ".

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن عمرو بن مزة الجملبي، قال: لما نزلت: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قال: أتى جبلا فجعل يهتف: " يا صباحاه "، فأتاه من خف من الناس، وأرسل إليه المتأقلون من الناس رسلا فجعلوا يحيئون يتبعون الصوت؛ فلما انتهوا إليه قال: " إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ جَاءَ لِيَنْظُرَ، وَمِنْكُمْ مَنْ أَرْسَلَ لِيَنْظُرَ مِنَ الْهَاتِفِ "، فلما اجتمعوا وكثروا قال: " أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَحْبَبْتُكُمْ أَنْ حَبَلًا مُصَبِّحُكُمْ مِنْ هَذَا الْجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟ " قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذبا، فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ هَذِهِ < 409-19 > الآيات التي أنزلن، وأنذرهم كما أمر، فَجَعَلَ ينادي: " يا فَرَيْشُ، يا بَنِي هاشِمٍ " حتى قال: " يا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِنِّي تَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ ".

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عمرو: أنه كان يقرأ: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) ورهطك المخلصين.

قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن عبد الغفار بن القاسم، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، عن عبد الله بن عباس، عن علي بن أبي طالب: لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لي: " يا علي، إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَنْذِرَ عَشِيرَتِي الْأَقْرَبِينَ "، قال: " فضقت بذلك ذرعا، وعرفت أني متى ما أنادهم بهذا الأمر أر منهم ما أكره، فصممتُ حتى جاء جبرائيل، فقال: يا محمد، إنك إلا تفعل ما تؤمر به يعدبك ربك. فاصنع لنا صاعا من طعام، واجعل عليه رجل شاة، واملا لنا عسا من لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب، حتى أكلهم، وأبلغهم ما أمرت به "، ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه، فيهم أعمامه: أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب؛ فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم، فجئت به. فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم حذية من اللحم (3) فشققها بأسنانه، ثم ألقاها في نواحي الصحيفة، قال: " خذوا باسم الله "، فأكل القوم



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حتى ما لهم بشيء حاجة، وما أرى إلا مواضع أيديهم؛ وإيم الله الذي نفس علي بيده إن كان الرجل الواحد ليأكل ما قدمت لجمعهم، ثم قال: "اسق النَّاسَ"، فَجِئْتُهُمْ بِذَلِكَ الْعَسِ، فشربوا حتى رخوا منه جميعا، وإيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله؛ فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم، بده أبو لهب إلى الكلام، فقال: لَهْدٌ (4) ما سحركم به صاحبكم، فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "الغد يا علي، إن هَذَا الرَّجُلَ قَدْ بَسَقَنِي إِلَى مَا < 410-19 > قَدْ سَمِعْتَ مِنَ الْقَوْلِ، فَتَفَرَّقَ الْقَوْمَ قَبْلَ أَنْ أَكَلَهُمْ فَأَعِدَّ لَنَا مِنَ الطَّعَامِ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ، ثُمَّ اجْمَعَهُمْ لِي"، قال: ففعلت ثم جمعتهم، ثم دعاني بالطعام، فقربته لهم، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة، قال: "اسقهم"، فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رخوا منه جميعا، ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "يا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ شَأْنًا فِي الْعَرَبِ جَاءَ قَوْمَهُ بِأَفْضَلِ مِمَّا جِئْتُمْ بِهِ، إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ أَنْ أَدْعُوَكُمْ إِلَيْهِ، فَأَيُّكُمْ يُؤَاوِرُنِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ، عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي" وَكَذَا؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعا، وقلت وإني لأحدثهم سنا، وأرمصهم عينا، وأعظمهم بطنا، وأخمشهم ساقا. أنا يا نبي الله أكون وزيرك، فأخذ برقبتي، ثم قال: "إن هذا أخي" وكذا وكذا، "فاسمعوا له وأطيعوا"، قال: فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع!.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني إسحاق، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن بن أبي الحسن، قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبطح، ثم قال: "يا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، يا بَنِي قُصَيٍّ"، قال: ثم فخذ قريشا قبيلة قبيلة، حتى مر على آخرهم، "إِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ، وَأَنْذِرُكُمْ عَذَابَهُ".

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قال: أمر محمد أن يندر قومه، ويبدأ بأهل بيته وفصيلته، قال: وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ .

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: ولما نزلت: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، يا صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ".

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) بدأ بأهل بيته وفصيلته.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: لما نزلت: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) جمع النبي صلى الله عليه وسلم بني هاشم، فقال: "يا < 411-19 > بني هاشم، ألا لا أَلْفَيْتُمْ تَأْتُونِي تَحْمِلُونَ الدُّنْيَا، وَبِأَيِّ"



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

النَّاسُ يَحْمِلُونَ الآخِرَةَ، أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءِي مِنْكُمْ الْمُتَّقُونَ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ  
تَمْرَةٍ".

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: لما نزلت  
هذه الآية بدأ بأهل بيته وفصيلته؛ قال: وشيَّق ذلك على المسلمين، فأنزل الله  
تعالى: (وَاحْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ).

وقوله: (وَاحْفِضْ جَنَاحَكَ) يقول: وألن جانبك وكلامك (لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)  
(.

كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: (وَاحْفِضْ  
جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) قال: يقول: لن لهم.

القول في تأويل قوله تعالى: فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿216﴾  
وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿217﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿218﴾ وَتَقَلِّبَكَ  
فِي السَّاجِدِينَ ﴿219﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿220﴾

يقول تعالى ذكره: فإن عصتك يا محمد عشيرتك الأقربون الذين أمرتك  
بإذارهم، وأبوا إلا الإقامة على عبادة الأوثان، والإشراك بالرحمن، فقل لهم: (إِنِّي  
بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ) من عبادة الأصنام ومعصية باري الأنام. (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ)  
في نعمته من أعدائه (الرَّحِيمِ) بمن أناب إليه وتاب من معاصيه.

(الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ) يقول: الذي يراك حين تقوم إلى صلاتك.

وكان مجاهد يقول في تأويل ذلك ما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني  
حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: (الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ) قال: أينما كنت.

(وَتَقَلِّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى  
ذلك: ويرى تقلبك في صلاتك حين تقوم، ثم ترقع، وحين تسجد.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه،  
عن ابن عباس قوله: (وَتَقَلِّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) يقول: قيامك وركوعك وسجودك.

< 19-412 >

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، قال: سمعت أبي وعلي  
بن بزيمة يحدثان عن عكرمة في قوله: (يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ \* وَتَقَلِّبَكَ فِي  
السَّاجِدِينَ) قال: قيامه وركوعه وسجوده.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا الحسين، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، قال: قال عكرمة، في قوله: (وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) قال: قائما وساجدا وراكعا وجالسا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ويرى تقلبك في المصلين، وإبصارك منهم من هو خلفك، كما تبصر من هو بين يديك منهم.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد: (وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) كان يرى من خلفه، كما يرى من قدامه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: (وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) قال: المصلين كان يرى من خلفه في الصلاة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: (وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) قال: المصلين، قال: كان يرى في الصلاة من خلفه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وتقلبك مع الساجدين: أي تصرفك معهم في الجلوس والقيام والقعود.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: أخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس، قال: (وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) قال: يراك وأنت مع الساجدين تقلب وتقوم وتقعدهم معهم.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: (وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) قال: في المصلين.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: (وَتَقَلَّبَكَ > 413-19 < فِي السَّاجِدِينَ) قال: في الساجدين: المصلين.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ويرى تصرفك في الناس.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا ربيعة بن كلثوم، قال: سألت الحسن عن قوله: (وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) قال: في الناس.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وتصرفك في أحوالك كما كانت الأنبياء من قبلك تفعله، والساجدون في قول قائل هذا القول: الأنبياء.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُريب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد، في قوله: (الَّذِي يَرَاكَ)... الآية، قال: كما كانت الأنبياء من قبلك.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بتأويله قول من قال تأويله: ويرى تقلبك مع الساجدين في صلاتهم معك، حين تقوم معهم وتركع وتسجد، لأن ذلك هو الظاهر من معناه. فأما قول من وجهه إلى أن معناه: وتقلبك في الناس، فإنه قول بعيد من المفهوم بظاهر التلاوة، وإن كان له وجه، لأنه وإن كان لا شيء إلا وظله يسجد لله، فإنه ليس المفهوم من قول القائل: فلان مع الساجدين، أو في الساجدين، أنه مع الناس أو فيهم، بل المفهوم بذلك أنه مع قوم سجود، السجود المعروف، وتوجيه معاني كلام الله إلى الأغلب أولى من توجيهه إلى الأنكر.

وكذلك أيضا في قول من قال: معناه: تتقلب في أبصار الساجدين، وإن كان له وجه، فليس ذلك الظاهر من معانيه.

فتأويل الكلام إذن: وتوكل على العزيز الرحيم، الذي يراك حين تقوم إلى صلاتك، ويرى تقلبك في المؤمنين بك فيها بين قيام وركوع وسجود وجلوس.

وقوله: (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) يقول تعالى ذكره: إن ربك هو السميع تلاوتك يا محمد، وذكرك في صلاتك ما تتلو وتذكر، العليم بما تعمل فيها ويعمل فيها من يتقلب فيها معك مؤتما بك، يقول: فرتل فيها القرآن، وأقم حدودها، فإنك بمراى من ربك ومسمع.

القول في تأويل قوله تعالى: هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ > 19-  
414 < (221) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (222) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتَرُهُمْ كَاذِبُونَ  
(223)

يقول تعالى ذكره: (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ) من الناس؟ (تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ) يعني كذاب بهات (أَثِيمٍ) يعني: أثم.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: (كُلُّ أَقَاكٍ أَثِيمٌ) قال: كل كذاب من الناس.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: (تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَقَاكٍ أَثِيمٌ) قال: كذاب من الناس.

حدثنا الحسين، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: (كُلُّ أَقَاكٍ أَثِيمٌ) قال: هم الكهنة تسترق الجن السمع، ثم يأتون به إلى أوليائهم من الإنس.

حدثني محمد بن عمارة الأسدي، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن وهب، قال: كنت عند عبد الله بن الزبير، ف قيل له: إن المختار يزعم أنه يوحى إليه، فقال: صدق، ثم تلا (هَلْ أَتَيْتُمُ عَلَى مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ \* نَزَّلَ عَلَى كُلِّ أَقَاكٍ أَثِيمٌ).

وقوله: (يُلْقُونَ السَّمْعَ) يقول تعالى ذكره: يلقي الشياطين السمع، وهو ما يسمعون مما استرقوا سمعه من حين حدث من السماء، إلى (كُلُّ أَقَاكٍ أَثِيمٌ) من أوليائهم من بني آدم.

وينحو ما قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: (يُلْقُونَ السَّمْعَ) قال: الشياطين ما سمعته ألقته على كلِّ أَقَاكٍ كَذَّاب.

< 19-415 >

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: (يُلْقُونَ السَّمْعَ) الشياطين ما سمعته ألقته (عَلَى كُلِّ أَقَاكٍ) قال: يلقون السمع، قال: القول.

وقوله: (وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ) يقول: وأكثر من تنزل عليه الشياطين كاذبون فيما يقولون ويخبرون.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، في قوله: ( وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ) عن عروة، عن عائشة قالت: الشياطين تسترق السمع، فتجيء بكلمة حق فيقذفها في أذن وليه؛ قال: ويزيد فيها أكثر من مائة كذبة.

القول في تأويل قوله تعالى: **وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (226) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (227)**

يقول تعالى ذكره: والشعراء يتبعهم أهل الغي لا أهل الرشاد والهدى.

واختلف أهل التأويل في الذين وصفوا بالغي في هذا الموضع فقال بعضهم: رواة الشعر.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني الحسن بن يزيد الطحان، قال: ثنا إسحاق بن منصور، قال: ثنا قيس، عن يعلى، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ وحدثني أبو كريب، قال: ثنا طلق بن غنام، عن قيس؛ وحدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن عطية، عن قيس، عن يعلى بن النعمان، عن عكرمة، عن ابن عباس: (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) قال: الرواة.

وقال آخرون: هم الشياطين.

< 19-416 >

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) : الشياطين.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: (يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) قال: يتبعهم الشياطين.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن، قالا ثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن عكرمة، في قوله: (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) قال: عصاة الجن.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: هم السفهاء، وقالوا: نزل ذلك في رجلين تهاجيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) ... إلى آخر الآية، قال: كان رجلاً علي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحدهما من الأنصار، والآخر من قوم آخرين، وأنها تهاجيا، وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه، وهم السفهاء، فقال الله: (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ \* أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ).

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) قال: كان رجلاً علي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحدهما من الأنصار، والآخر من قوم آخرين، تهاجيا، مع كل واحد منهما غواة من قومه، وهم السفهاء.

وقال آخرون: هم ضلال الجنّ والإنس.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: > 417-19 < (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) قال: هم الكفار يتبعهم ضلال الجنّ والإنس.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) قال: الغاؤون المشركون.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال فيه ما قال الله جل ثناؤه: إن شعراء المشركين يتبعهم غواة الناس، ومردة الشياطين، وعصاة الجنّ، وذلك أن الله عم بقوله: (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) فلم يخص بذلك بعض الغواة دون بعض، فذلك على جميع أصناف الغواة التي دخلت في عموم الآية. قوله: (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) يقول تعالى ذكره: ألم تر يا محمد أنهم، - يعني الشعراء - في كلّ وادٍ يذهبون، كالهائم على وجهه على غير قصد، بل جائراً على الحقّ، وطريق، الرشاد، وقصد السبيل.

وإنما هذا مثل ضربه الله لهم في افتنانهم في الوجوه التي يفتنون فيها بغير حق، فيمدحون بالباطل قوماً ويهجون آخرين كذلك بالكذب والنور.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) يقول: في كلِّ لَعُوٍ يخوضون.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) قال: في كلِّ فَنٍّ يَفْتِنُونَ.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ) قال: فن (يَهيمُونَ) قال: يقولون.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: (فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) قال: يمدحون قوما باطل، ويشتمون قوما باطل.

وقوله: (وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) يقول: وأن أكثر قيلهم باطل وكذب.

كما حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: (وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) يقول: أكثر قولهم يكذبون.

وعني بذلك شعراء المشركين.

< 19-418 >

كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال عبد الرحمن بن زيد: قال رجل لأبي: يا أبا أسامة، أرايت قول الله جل ثناؤه: (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ \* أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ \* وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) فقال له أبي: إنما هذا لشعراء المشركين، وليس شعراء المؤمنين، ألا ترى أنه يقول: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) ... إلخ. فقال: فَرَجَّتْ عني يا أبا أسامة؛ فَرَّجَ اللهُ عَنكَ.

وقوله: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) وهذا استثناء من قوله (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) هذا الاستثناء نزل في شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم، كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، ثم هو لكل من كان بالصفة التي وصفه الله بها.

وبالذي قلنا في ذلك جاءت الأخبار.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة وعليّ بن مجاهد، وإبراهيم بن المختار، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن عبد الله بن قُسيط، عن أبي الحسن سالم البراد مولى



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

تميم الداري, قال: لما نزلت: (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) قال: جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة, وكعب بن مالك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, وهم يبكون, فقالوا: قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء, فثبلا النبي صلى الله عليه وسلم: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ).

حدثنا ابن حميد, قال: ثنا سلمة, قال: ثنا محمد بن إسحاق, عن بعض أصحابه, عن عطاء بن يسار, قال: نزلت (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) إلى آخر السورة في حسان بن ثابت, وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك.

قال: ثنا يحيى بن واضح, عن الحسين, عن يزيد, عن عكرمة وطاويس, قال: قال: (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ \* أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ \* وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ), فنسخ من ذلك واستثنى, قال: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) ... الآية.

حدثني عليّ, قال: ثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, > 419-19 < قال: ثم استثنى المؤمنين منهم, يعني الشعراء, فقال: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ).

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس, فذكر مثله.

حدثنا الحسين قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا) قال: هم الأنصار الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثنا عيسى بن يونس, عن محمد بن إسحاق, عن يزيد بن عبد الله بن قسيط, عن أبي حسن البراد, قال: لما نزلت: (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) ثم ذكر نحو حديث ابن حميد عن سلمة.

وقوله: (وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) اختلف أهل التأويل في حال الذكر الذي وصف الله به هؤلاء المستثنى من الشعراء, فقال بعضهم: هي حال منطقتهم ومحاورتهم الناس, قالوا: معنى الكلام: وذكروا الله كثيرا في كلامهم.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ, قال: ثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) في كلامهم.

وقال آخرون: بل ذلك في شعرهم.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَذَكِّرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ) قال: ذكروا الله في شعرهم.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله وصف هؤلاء الذين استثناهم من شعراء المؤمنين بذكر الله كثيرا، ولم يخص ذكرهم الله على حال دون حال في كتابه، ولا على لسان رسوله، فصفتهم أنهم يذكرون الله كثيرا في كل أحوالهم.

وقوله: ( وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ) يقول: وانتصروا ممن هجاهم من شعراء المشركين ظلما بشعرهم وهجائهم إياهم، وإجابتهم عما هجوههم به.

< 19-420 >

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: ( وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ) قال: يردون على الكفار الذين كانوا يهجون المؤمنين.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَانْتَصَرُوا مِنْ الْمُشْرِكِينَ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ).

وقيل: عني بذلك كله الرهط الذين ذكرت.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا عليّ بن مجاهد وإبراهيم بن المختار، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن أبي الحسن سالم البراد مولى تميم الداربي، قال: لما نزلت: ( وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ) جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم وهم يبكون، فقالوا: قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء فتلا النبيّ صلى الله عليه وسلم: ( إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكِّرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا عيسى بن يونس، عن محمد بن إسحاق، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن أبي حسن البراد، قال: لما نزلت ( وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ) ثم ذكر نحوه.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ( وَاتَّصَرُّوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ) قال: عبد الله بن رواحة وأصحابه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ( وَاتَّصَرُّوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ) قال: عبد الله بن رواحة.

وقوله: ( وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ) يقول تعالى ذكره: وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم بشركهم بالله من أهل مكة ( أَيِّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ) يقول: أي مرجع يرجعون إليه، وأي معاد يعودون إليه بعد مماتهم، فإنهم يصيرون إلى نار لا يطفأ سعيها، ولا يسكن لها.

< 19-421 >

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، وعلي بن مجاهد، وإبراهيم بن المختار، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن أبي الحسن سالم البراد مولى تميم الداري: ( وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيِّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ) يعني: أهل مكة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ( وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيِّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ) قال: وسيعلم الذين ظلموا من المشركين أي منقلب ينقلبون.

آخر تفسير سورة الشعراء

الهوامش:

- (1) يجوز أن يكون قوله تعالى (ذكرى) مرفوعاً على الابتداء والخبر محذوف، أي ذكرى لهم. ويجوز أن يكون مرفوعاً على أنه خبر عن مبتدأ، تقديره: "هم" أي المنذرون، ذكرى لهم.
- (2) يقال رباً القوم يربؤهم، ورباً لهم إذا وقف على مكان عال، ونظر بعيداً، يرقب عدواً أو جيشاً مغيراً، أو نحو ذلك.
- (3) في (اللسان: حذا): أعطيته حذية من لحم، وحذة وفلذة، كل هذا إذا قطع طولاً. أ. ه. وقيل: هي القطعة الصغيرة.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(4) في (اللسان: هد) وفي الحديث "أن أبا لهب قال: لهد ما سحركم صاحبكم" قال لهد: كلمة يتعجب بها، يقال: لهد الرجل: أي ما أجلده. قلت: وهو كقولنا لشد ما قال فلان، أي ما أشد < 422-19 > < 423-19 >  
تفسير سورة النمل  
< 19-424 > < 19-425 >

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى : طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (1) هُدًى  
وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ  
يُوقِنُونَ (3)

قال أبو جعفر: وقد بينا القول فيما مضى من كتابنا هذا فيما كان من حروف المعجم في فواتح السور، فقوله: ( طس ) من ذلك. وقد روي عن ابن عباس أن قوله: ( طس ) قسم أقسمه الله هو من أسماء الله.

حدثني علي بن داود، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس: قوله: ( طس ) قسم أقسمه الله هو من أسماء الله.

فالواجب على هذا القول أن يكون معناه: والسميع اللطيف، إن هذه الآيات التي أنزلتها إليك يا محمد لآيات القرآن، وآيات كتاب مبين: يقول: يبين لمن تدبره، وفكر فيه بفهم أنه من عند الله، أنزله إليك، لم تتخرّصه أنت ولم تتقوله، ولا أحد سواك من خلق الله، لأنه لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثله، ولو تظاهر عليه الجن والإنس. وخفض قوله: ( وَكِتَابٍ مُبِينٍ ) عطفاً به على القرآن. وقوله: ( هُدًى ) من صفة القرآن.

يقول: هذه آيات القرآن بيان من الله بين به طريق الحق وسبيل السلام. ( وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ) يقول: وبشارة لمن آمن به، وصدق بما أنزل فيه بالفوز العظيم في المعاد.

وفي قوله: ( هُدًى وَبُشْرَى ) وجهان من العربية: الرفع على الابتداء بمعنى: هو هدى وبُشْرَى. والنصب على القطع من آيات القرآن، فيكون معناه: تلك آيات القرآن الهدى والبُشْرَى للمؤمنين، ثم أسقطت الألف واللام من الهدى والبُشْرَى، فصارا نكرة، وهما صفة للمعرفة فنصبا.

وقوله: (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ) يقول: هو هدى وبُشْرَى لمن آمن بها، وأقام الصلاة المفروضة بحدودها. وقوله: ( وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ) يقول: ويؤدّون الزكاة > 426-19 < المفروضة. وقيل: معناه: وبطهرون أجسادهم من دنس المعاصي.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضوع. (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) يقول: وهم مع إقامتهم الصلاة، وإيتائهم الزكاة الواجبة، بالمعاد إلى الله بعد الممات يوقنون، فيذلون في طاعة الله، رجاء جزيل ثوابه، وخوف عظيم عقابه، وليسوا كالذين يكذبون بالبعث، ولا يبالون، أحسنوا أم أساءوا، وأطاعوا أم عصوا، لأنهم إن أحسنوا لم يرجوا ثوابا، وإن أساءوا لم يخافوا عقابا.

القول في تأويل قوله تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ رَبَّنَا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ** (4) **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ** (5)

يقول تعالى ذكره: إن الذين لا يصدقون بالدار الآخرة، وقيام الساعة، وبالمعاد إلى الله بعد الممات والثواب والعقاب. (رَبَّنَا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ )

يقول: حبينا إليهم قبيح أعمالهم، وسهّلنا ذلك عليهم. (فَهُمْ يَعْمَهُونَ ) يقول: فهم في ضلال أعمالهم القبيحة التي زينّاها لهم يترددون حيارى يحسبون أنهم يحسنون.

وقوله: (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ ) يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة لهم سوء العذاب في الدنيا، وهم الذين قتلوا بيد من مشركي قريش.

يقول: وهم يوم القيامة هم الأوضعون تجارة والأوكسوها باشترائهم الضلالة بالهدى **فَمَا رِبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ .**

القول في تأويل قوله تعالى: **وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ** (6) **إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ نَارًا سَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبْرٍ أَوْ أْتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ** (7) **فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** (8)

يقول تعالى ذكره: وإنك يا محمد لتحفظ القرآن وتعلمه (مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ) يقول: من عند حكيم بتدبير خلقه، عليم بأبناء خلقه ومصالحهم، والكائن من أمورهم، والماضي من أخبارهم، والحادث منها. (إِذْ قَالَ مُوسَى) وإذ من صلة عليم. ومعنى < 427-19 > الكلام: عليم حين قال موسى (لأهله) وهو في مسيره من مدين إلى مصر، وقد آذاهم برد ليلهم لما أصد زنده. (إِنِّي آنستُ نَارًا) أي أبصرت نارا أو أحسستها، فامكثوا مكانكم (سَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبْرٍ) يعني من النار، والهاء والألف من ذكر النار (أَوْ أْتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ)

اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة: " بِشِهَابٍ قَبَسٍ " بإضافة الشهاب إلى القبس، وترك التنوين، بمعنى: أو أتيكم بشعلة نار

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أقتبسها منها. وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة: (بِشِهَابٍ قَبَسٍ) بتنوين الشهاب وترك إضافته إلى القبس، يعني: أو أتاكم بشهاب مقتبس.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان في قِراءة الأمصار، متقاربتا المعنى، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب. وكان بعض نحويي البصرة يقول: إذا جُعِلَ القبس بدلا من الشهاب، فالتنوين في الشهاب، وإن أضاف الشهاب إلى القبس لم ينون الشهاب. وقال بعض نحويي الكوفة: إذا أضيف الشهاب إلى القبس فهو بمنزلة قوله وَلَدَاؤُ الْآخِرَةِ مما يضاف إلى نفسه إذا اختلف اسماء ولفظاه توهما بالثاني أنه غير الأول قال: ومثله حبة الخضراء، وليلة القمر، ويوم الخميس وما أشبهه. وقال آخر منهم: إن كان الشهاب هو القبس لم تجز الإضافة، لأن القبس نعت، ولا يضاف الاسم إلى نعته إلا في قليل من الكلام، وقد جاء: وَلَدَاؤُ الْآخِرَةِ و وَلَدَدَاؤُ الْآخِرَةِ .

والصواب من القول في ذلك: أن الشهاب إذا أُريد به أنه غير القبس، فالقراءة فيه بالإضافة، لأن معنى الكلام حينئذ، ما بينا من أنه شعلة قبس، كما قال الشاعر:

فِي كَفِّهِ صَعْدَهُ مُتَّقَفُهُ

فِيهَا سِنَانٌ كَشَعْلَةَ الْقَبَسِ (1)

وإذا أُريد بالشهاب أنه هو القبس، أو أنه نعت له، فالصواب في الشهاب التنوين؛ لأن الصحيح في كلام العرب ترك إضافة الاسم إلى نعته، وإلى نفسه، بل الإضافات في كلامها المعروف إضافة الشيء إلى غير نفسه وغير نعته.

< 19-428 >

وقوله: (لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) يقول: كي تصطلوا بها من البرد. وقوله: (فَلَمَّا جَاءَهَا) يقول: فلما جاء موسى النار التي أنسها(تُودِي أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا).

كما حدثنا عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: (تُودِي أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ) يقول: قدس.

واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله (مَنْ فِي النَّارِ) فقال بعضهم: عنى جلّ جلاله بذلك نفسه، وهو الذي كان في النار، وكانت النار نوره تعالى ذكره في قول جماعة من أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: (فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ) يعني نفسه؛ قال: كان نور رب العالمين في الشجرة.

حدثني إسماعيل بن الهيثم أبو العالية العبدي، قال: ثنا أبو قُتَيْبَةَ، عن ورقاء، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَيْر، في قول الله: (بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ) قال: ناداه وهو في النار.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن الحسن في قوله: (نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا) قال: هو النور.

قال معمر: قال قتادة: (بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ) قال: نور الله بورك.

قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، قال: قال الحسن البصري: (بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ) (2).

وقال آخرون: بل معنى ذلك: بوركت النار.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني الحارث، قال: ثنا الأشيب، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ) بوركت النار. كذلك قاله ابن عباس.

< 19-429 >

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: (أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ) قال: بوركت النار.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، قال: قال مجاهد: (بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ) قال: بوركت النار.

حدثنا محمد بن سنان القزازي قال: ثنا مكّي بن إبراهيم، قال: ثنا موسى، عن محمد بن كعب، في قوله: (أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ) نور الرحمن، والنور هو الله (وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

واختلف أهل التأويل في معنى النار في هذا الموضع، فقال بعضهم: معناه: النور، كما ذكرت عن ذلك عنه.

وقال آخرون: معناه النار لا النور.

\*ذكر من قال ذلك:



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج, عن سعيد بن جبير, أنه قال: حجاب العزّة, وحجاب المَلِك, وحجاب السلطان, وحجاب النار, وهي تلك النار التي نودي منها. قال: وحجاب النور, وحجاب الغمام, وحجاب الماء, وإنما قيل: بورك من في النار, ولم يقل: بورك فيمن في النار على لغة الذين يقولون: باركك الله. والعرب تقول: باركك الله, وبارك فيك.

وقوله: (وَمَنْ حَوَّلَهَا) يقول: ومن حول النار. وقيل: عني بمن حولها: الملائكة.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: (وَمَنْ حَوَّلَهَا) قال: يعني الملائكة.

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج, عن الحسن, مثله.

وقال آخرون: هو موسى والملائكة.

حدثنا محمد بن سنان القرّاز, قال: ثنا مكي بن إبراهيم, قال: ثنا موسى, عن محمد بن كعب (وَمَنْ حَوَّلَهَا) قال: موسى النبيّ والملائكة, ثم قال: يَا مُوسَى < 430-19 > إِنَّهُ أَتَا اللَّهَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .

وقوله: (وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) يقول: وتنزيها لله رب العالمين, مما يصفه به الظالمون.

القول في تأويل قوله تعالى: يَا مُوسَى إِنَّهُ أَتَا اللَّهَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (9) وَأَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَى مُدَبِّرًا لَمْ يَعْقِبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (10) إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَأَبَى غَفُورٌ رَحِيمٌ (11)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبيله لموسى: (إِنَّهُ أَتَا اللَّهَ الْعَزِيزُ) في نعمته من أعدائه (الْحَكِيمُ) في تدبيره في خلقه, والهاء التي في قوله: (إِنَّهُ) هاء عماد, وهو اسم لا يظهر في قول بعض أهل العربية. وقال بعض نحوي الكوفة: يقول هي الهاء المجهولة, ومعناها: أن الأمر والشأن: أنا الله. وقوله: (وَأَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ) في الكلام محذوف ترك ذكره, إيتغناء بما ذكر عما حذف, وهو فالحاها فصارت حية تهتز (فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ) يقول: كأنها حية عظيمة, والجان: جنس من الحيات معروف.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال ابن جُرَيْجٍ في ذلك ما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، قال: قال ابن جُرَيْجٍ: (وَأَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ) قال: حين تحوّلت حية تسعى، وهذا الجنس من الحيات عنى الراجز بقوله:

يَرْقَعَنَّ بِاللَّيْلِ إِذَا مَا أَسَدَفَا

أَغْنَاقَ جِنَانٍ وَهَامَا رُجَّفَا

وَعَنَقَا بَعْدَ الرَّسِيمِ حَيْطَفَا (3)

< 19-431 >

وقوله: (وَلَى مُذِيرًا) يقول تعالى ذكره: ولي موسى هاربا خوفا منها (وَلَمْ يُعَقِّبْ) يقول: ولم يرجع . من قولهم: عقب فلان: إذا رجع على عقبه إلى حيث بدأ.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: (وَلَمْ يُعَقِّبْ) قال: لم يرجع.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جُرَيْجٍ، عن مجاهد، مثله.

قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان عن معمر، عن قتادة، قال: لم يلتفت.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: (وَلَمْ يُعَقِّبْ) قال: لم يرجع (يَا مُوسَى) قال: لما ألقى العصا صارت حية، فرعب منها وجزع، فقال الله: (إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ) قال: فلم يرعو لذلك، قال: فقال الله له: أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ قال: فلم يقف أيضا على شيء من هذا حتى قال: سَنُعِيدُهَا سَبِيْرَتَهَا الْأُولَى قال: فالتفت فإذا هي عصا كما كانت، فرجع فأخذها، ثم قوي بعد ذلك حتى صار يرسلها على فرعون وبأخذها.

وقوله: (يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ) يقول تعالى ذكره: فناداه ربه: يَا مُوسَى لَا تَخَفْ مِنْ هَذِهِ الْحِيَةِ، إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

المرسلون. يقول: إني لا يخاف عندي رسلي وأنبيائي الذين أختصهم بالنبوة، إلا من ظلم منهم، فعمل بغير الذي أذن له في العمل به.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قوله: (يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ) قال: لا يخيف الله الأنبياء > 19-432 < إلا بذنب يصيبه أحدهم، فإن أصابه أخافه حتى يأخذه منه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا عبد الله الفزاري، عن عبد الله بن المبارك، عن أبي بكر، عن الحسن، قال: قوله: (يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ) قال: إني إنما أخفتك لقتلك النفس، قال: وقال الحسن: كانت الأنبياء تذنب فتعاقب.

واختلف أهل العربية في وجه دخول إلا في هذا الموضع، وهو استثناء مع وعد الله الغفران المستثنى من قوله: (إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ) بقوله: (فَأِنِّي عَفُورٌ رَحِيمٌ). وحكم الاستثناء أن يكون ما بعده بخلاف معنى ما قبله، وذلك أن يكون ما بعده إن كان ما قبله منفيًا مثبتًا كقوله: ما قام إلا زيد، فزيد مثبت له القيام، لأنه مستثنى مما قبل إلا وما قبل إلا منفي عنه القيام، وأن يكون ما بعده إن كان ما قبله مثبتًا منفيًا كقولهم: قام القوم إلا زيدًا؛ فزيد منفي عنه القيام؛ ومعناه: إن زيدًا لم يقم، القوم مثبت لهم القيام (إلا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ)، فقد أمنه الله بوعده الغفران والرحمة، وأدخله في عداد من لا يخاف لديه من المرسلين، فقال بعض نحويي البصرة: أدخلت إلا في هذا الموضع؛ لأن إلا تدخل في مثل هذا الكلام، كمثل قول العرب: ما أشتكي إلا خيرا، فلم يجعل قوله: إلا خيرا على الشكوى، ولكنه علم أنه إذا قال: ما أشتكي شيئا أن يذكر عن نفسه خيرا، كأنه قال: ما أذكر إلا خيرا.

وقال بعض نحويي الكوفة يقول القائل: كيف صير خائفا من ظلم، ثم بدل حسنا بعد سوء، وهو مغفور له؟ فأقول لك: في هذه الآية وجهان: أحدهما أن يقول: إن الرسل معصومة مغفور لها أمانة يوم القيامة، ومن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فهو يخاف ويرجو، فهذا وجه. والآخر: أن يجعل الاستثناء من الذين تركوا في الكلمة، لأن المعنى: لا يخاف لدي المرسلون، إنما الخوف على من سواهم، ثم استثنى فقال: (إلا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا) يقول: كان مشركا، فتاب من الشرك، وعمل حسنا، فذلك مغفور له، وليس يخاف. قال: وقد قال بعض النحويين: إن إلا في اللغة بمنزلة الواو، وإنما معنى هذه الآية: لا يخاف لدي المرسلون، ولا من ظلم ثم بدل حسنا، قال: وجعلوا مثله كقول الله: لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم قال: ولم أجد العربية تحتمل ما قالوا، لأنني لا أجزئ: قام الناس إلا عبد الله، وعبد الله قائم، إنما > 19-433 < معنى الاستثناء أن يخرج الاسم الذي بعد إلا من معنى الأسماء التي

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قبل إلا. وقد أراه جائزا أن يقول: لي عليك ألف سوى ألف آخر؛ فإن وضعت إلا في هذا الموضع صلحت، وكانت إلا في تأويل ما قالوا، فأما مجردة قد استثنى قليلها من كثيرها فلا ولكن مثله مما يكون معني إلا كمعنى الواو وليست بها قوله **حَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ** هو في المعنى، والذي شاء ربك من الزيادة، فلا تجعل إلا بمنزلة الواو، ولكن بمنزلة سوى؛ فإذا كانت " سوى " في موضع " إلا " صلحت بمعنى الواو، لأنك تقول: عندي مال كثير سوى هذا؛ أي وهذا عندي، كأنك قلت: عندي مال كثير وهذا أيضا عندي، وهو في سوى أبعد منه في إلا لأنك تقول: عندي سوى هذا، ولا تقول: عندي إلا هذا.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في قوله (إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ) عندي غير ما قاله هؤلاء الذين حكينا قولهم من أهل العربية، بل هو القول الذي قاله الحسن البصري وابن جريج ومن قال قولهما، وهو أن قوله: (إِلَّا مَنْ ظَلِمَ) استثناء صحيح من قوله (لَا يَخَافُ لَدَيْهِ الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ) منهم فأتى ذنبا، فإنه خائف لديه من عقوبته، وقد بين الحسن رحمه الله معنى قيل الله لموسى ذلك، وهو قوله قال: إني إنما أخفتك لقتلك النفس.

فإن قال قائل فما وجه قوله إن كان قوله (إِلَّا مَنْ ظَلِمَ) استثناء صحيحا، وخارجا من عداد من لا يخاف لديه من المرسلين، وكيف يكون خائفا من كان قد وُعد الغفران والرحمة؟ قيل: إن قوله: (ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ) كلام آخر بعد الأول، وقد تنهى الخبر عن الرسل من ظلم منهم، ومن لم يظلم عند قوله (إِلَّا مَنْ ظَلِمَ) ثم ابتدأ الخبر عن ظلم من الرسل، وسائر الناس غيرهم، وقيل: فمن ظلم ثم بدّل حسنا بعد سوء فإني له غفور رحيم.

فإن قال قائل: فعلام تعطف إن كان الأمر كما قلت ب (ثُمَّ) إن لم يكن عطفا على قوله: (ظَلِمَ) ؟ قيل: على متروك استغني بدلالة قوله (ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ) عليه عن إظهاره، إذ كان قد جرى قبل ذلك من الكلام نظيره، وهو فمن ظلم من الخلق. وأما الذين ذكرنا قولهم من أهل العربية، فقد قالوا على مذهب العربية، غير أنهم أغفلوا معنى الكلمة وحملوها على غير وجهها من التأويل. وإنما ينبغي أن يحمل الكلام على وجهه < 434-19 > من التأويل، ويلتمس له على ذلك الوجه للإعراب في الصحة مخرج لا على إحالة الكلمة عن معناها ووجهها الصحيح من التأويل.

وقوله: (ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ) يقول تعالى ذكره: فمن أتى ظلما من خلق الله، وركب مائثما، ثم بدل حسنا، يقول: ثم تاب من ظلمه ذلك وركوبه المائثم، (فَإِنِّي عَفُورٌ) يقول: فإني ساتر على ذنبه وظلمه ذلك بعفوي عنه، وترك عقوبته عليه (رَحِيمٌ) به أن أعاقبه بعد تبديله الحسن بصدده.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: (إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ) ثم تاب من بعد إساءته (فَأَيُّ عَفْوٍ رَجِيمٍ) (

القول في تأويل قوله تعالى : وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (12)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبيله لنبيه موسى: (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) ذكر أنه تعالى ذكره أمره أن يدخل كفه في جيبه؛ وإنما أمره بإدخاله في جيبه، لأن الذي كان عليه يومئذٍ مدرعة من صوف. قال بعضهم: لم يكن لها كُمٌّ. وقال بعضهم: كان كمها إلى بعض يده.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين قال ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) قال: الكف فقط في جيبك، قال: كانت مدرعة إلى بعض يده، ولو كان لها كُمٌّ أمره أن يدخل يده في كمه.

قال: ثني حجاج، عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن عمرو بن ميمون قال: قال ابن مسعود: إن موسى أتى فرعون حين أتاه في دُرٍّ مانقة، يعني جبة صوف.

< 19-435 >

وقوله: (تَخْرُجُ بَيْضًا) يقول: تخرج اليد بيضاء بغير لون موسى (مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) يقول: من غير برص (فِي تِسْعِ آيَاتٍ) ، يقول تعالى ذكره: أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء، فهي آية في تسع آيات مُرسل أنت بهنَّ إلى فرعون؛ وترك ذكر مُرسل لدلالة قوله (إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ) على أن ذلك معناه، كما قال الشاعر:

رَأَيْتَنِي بِحَبْلَيْهَا فَصَدَّتْ مَخَافَةً

وَفِي الْحَبْلِ رَوْعَاءُ الْفُؤَادِ قَرْوُقٌ (4)

ومعنى الكلام: رأيتني مقبلا بحبليها، فترك ذكر "مقبل" استغناء بمعرفة السامعين معناه في ذلك، إذ قال: رأيتني بحبليها؛ ونظائر ذلك في كلام العرب كثيرة.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

والآيات التسع: هنّ الآيات التي بيّناها فيما مضى.

وقد حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: (تَسِعَ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ) قال: هي التي ذكر الله في القرآن: العصا، واليد، والجراد، والقمل، والضفادع، والطوفان، والدم، والحجر، والطمس الذي أصاب آل فرعون في أموالهم.

وقوله: (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) يقول: إن فرعون وقومه من القبط كانوا قوما فاسقين، يعني كافرين بالله، وقد بيّنا معنى الفسق فيما مضى.

القول في تأويل قوله تعالى: فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (13)

يقول تعالى ذكره: فلما جاءت فرعون آياتنا، يعني: أدلتنا وحججنا، على حقيقة ما دعاهم إليه موسى وصحته، وهي الآيات التسع التي ذكرناها قبل. وقوله (مُبْصِرَةً) يقول: يبصر بها من نظر إليها ورآها حقيقة ما دلت عليه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

< 19-436 >

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً) قال: بينة (قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ) ، يقول: قال فرعون وقومه: هذا الذي جاءنا به موسى سحر مبین، يقول: يبين للناظرين له أنه سحر.

الهوامش:

(1) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (الورقة 175) قال: "بشهاب قبس" أي بشعلة نار. ومجاز قبس: ما اقتبست منها ومن الجمر، قال: "في كفه.. " البيت، والصعدة: القناة تنبت مستقيمة. والشاهد في البيت: إضافة الشعلة إلى القبس أي شعلة مقتبسة من نار كما في قول الله عز وجل (بشهاب قبس) في قراءة من قرأه بالإضافة. ويجوز تنوين "شهاب" وجعل قبس صفة له إذا اعتبر الشهاب هو نفس القبس، لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه، ولا إلى صفته.

(2) لعل المؤلف لم يجيء بمقول القول، اكتفاء بنص ما قبله، لموافقته إياه لفظاً ومعنى. وقد تكرر منه ذلك في مواضع.

(3) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز للخطفي وهو حذيفة بن بدر جد جرير بن عطية شاعر تميم يصف إبله وسيرها في الليل. وأسدف: أظلم. والجنان

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

جنس من الحيات، إذا مشت رفعت رءوسها والهام. جمع هامة. والرجف جمع راجفة أي مضطربة، لاهتزازها في مشيها وسرعتها. والعنق: ضرب من السير السريع. والرسيم سير خفيف. والخيطف: السريع ويروى: خطفا وبهذا لقب حذيفة جد جرير الخطفي، لمجيء اللفظة في شعره وفي (اللسان خطف) والخيطف سرعة انجذاب السير، كأنه يختطف في سيره عنقه، أي يجتدبه وجمل خيطف أي سريع المر ويقال عنق خيطف وخطفي، قال جد جرير \* وعنقا بعد الرسيم خيظفا \*

وقيل هو مأخوذ من الخطف، وهو الخلس وجمل خيطف سيره كذلك أي سريع المر

(4) سبق الكلام مفصلا على هذا الشاهد في الجزء (7: 113) وهو لحميد بن ثور الهلالي. وانظره في (اللسان: حبل) وفرق. وفي الأساس (روع). وفي معاني القرآن للفراء (الورقة 232) قال الفراء أراد رأيتي أقبلت بحبليها: بحبلى الناقة، فأضمر فعلا، كأنه قال: رأيتي مقبلا القول في تأويل قوله تعالى: وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (14)

وقوله: (وَجَحَدُوا بِهَا) يقول: وكذبوا بالآيات التسع أن تكون من عند الله.

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: (وَجَحَدُوا بِهَا) قال: الجحود: التكذيب بها. وقوله: (وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ) يقول: وأيقنتها قلوبهم، وعلموا يقينا أنها من عند الله، فعاندوا بعد تبيينهم الحق، ومعرفتهم به.

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس: (وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ) قال: يقينهم في قلوبهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله: (وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا) قال: استيقنوا أن الآيات من الله حق، فلم جحدوا بها؟ قال: ظلما وعلوا.

وقوله: (ظُلْمًا وَعُلُوًّا) يعني بالظلم: الاعتداء، والعلو: الكبر، كأنه قيل: اعتداء وتكبرا.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، في قوله: (ظُلْمًا وَعُلُوًّا) قال: تعظما واستكبارا، ومعنى ذلك: وجحدوا بالآيات التسع ظلما وعلوا، واستيقنتها أنفسهم أنها من عند الله، فعاندوا الحق بعد وضوحه لهم، فهو من المؤخر الذي معناه التقديم.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله: (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ).

ويقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فانظر يا محمد بعين قلبك < 437-19 > كيف كان عاقبة تكذيب هؤلاء الذين جحدوا آياتنا حين جاءتهم مبصرة، وماذا حل بهم من إفسادهم في الأرض ومعصيتهم فيها ربهم، وأعقبهم ما فعلوا، فإن ذلك أخرجهم من جنات وعيون، وزروع ومقام كريم، إلى هلاك في العاجل بالغرق، وفي الآجل إلى عذاب دائم لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون. يقول: وكذلك يا محمد سنتي في الذين كذبوا بما جئتهم به من الآيات على حقيقة ما تدعوهم إليه من الحق من قومك.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (15)

يقول تعالى ذكره: (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا) وذلك علم كلام الطير والدواب، وغير ذلك مما خصهم الله بعلمه. (وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ) يقول جل ثناؤه: وقال داود وسليمان: الحمد لله الذي فضلنا بما خصنا به من العلم الذي آتانا، دون سائر خلقه من بني آدم في زماننا هذا على كثير من عباده المؤمنين به في دهرنا هذا.

القول في تأويل قوله تعالى : وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16)

يقول تعالى ذكره: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ) أباه (دَاوُدَ) العلم الذي كان آتاه الله في حياته، والمُلك الذي كان خصه به على سائر قومه، فجعله له بعد أبيه داود دون سائر ولد أبيه (وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ) يقول: وقال سليمان لقومه: يا أيها الناس علمنا منطِق الطير، يعني فهمنا كلامها؛ وجعل ذلك من الطير كمنطق الرجل من بني آدم إذ فهمه عنها.

وقد حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن أبي معشر، عن محمد بن كعب: (وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ) قال: بلغنا أن سليمان كان عسكره مائة فرسخ: خمسة وعشرون منها للإنس، وخمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للوحش، وخمسة وعشرون للطير، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب؛ فيها ثلاث مائة صريحة، وسبع مائة سرية، فأمر الريح العاصف فرفعته، وأمر الرخاء < 438-19 > فسيرته، فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض: إني قد أردت أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت الريح فأخبرته. وقوله: (وَأَوْتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يقول: وأعطينا ووهب لنا من كل شيء من الخيرات (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ) يقول: إن هذا الذي أوتينا من الخيرات لهو الفضل على جميع أهل دهرنا المبين، يقول: الذي بين لمن تأمله وتدبره أنه فضل أعطينا على من سوانا من الناس.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : وَخَشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17)

يقول تعالى ذكره: وجمع لسليمان جنوده من الجنّ والانس والطير في مسير لهم، فهم يوزعون.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله (فَهُمْ يُوزَعُونَ) فقال بعضهم: معنى ذلك: فهم يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، قال: جعل على كل صنف من يرد أولها على آخرها لئلا يتقدموا في المسير، كما تصنع الملوك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا أبو سفيان عن معمر، عن قتادة في قوله: (وَخَشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) قال: يردّ أولهم على آخرهم.

وقال آخرون: معنى ذلك فهم يساقون.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: (وَخَشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) قال: يوزعون؛ يساقون.

وقال آخرون: بل معناه: فهم يتقدمون.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان عن معمر، قال: قال الحسن: (يُوزَعُونَ) يتقدمون.

< 19-439 >

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معناه: يردّ أولهم على آخرهم؛ وذلك أن الوازع في كلام العرب هو الكاف، يقال منه: وزع فلان فلانا عن الظلم: إذا كفه عنه، كما قال الشاعر:

أَلَمْ يَزِعِ الْهَوَىٰ إِذْ لَمْ يُؤَاتِ

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

بَلَىٰ وَسَلَوتٌ عَن صَلْبِ القَتَاةِ (1)

وقال آخر:

عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ المَشِيبَ عَلَى الصَّبَا

وَقُلْتُ أَلَمَّا أَضْحُ وَالشَّيْبُ وَارِعَ (2)

وإنما قيل للذين يدفعون الناس عن الولاة والأمراء: وزعة: لكفهم إياهم عنه.

القول في تأويل قوله تعالى: حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنِكُمْ لَّا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَّا يَشْعُرُونَ (18)

يعني تعالى ذكره بقوله: (حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ) حتى إذا أتى سليمان وجنوده على وادي النمل (قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنِكُمْ لَّا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ) يقول: لا يكسرنكم ويقتلنكم سليمان وجنوده (وَهُمْ لَّا يَشْعُرُونَ) يقول: وهم لا يعلمون أنهم يحطمونكم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن ويحيى، قالوا ثنا سفيان، عن الأعمش، عن رجل يقال له الحكم، عن عوف في قوله: (قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ) قال: كان نمل سليمان بن داود مثل الذباب.

القول في تأويل قوله تعالى: فَتَبَسَّمَ صَاحِبًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا < 440-19 > تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19)

يقول تعالى ذكره: فتبسّم سليمان صاحبا من قول النملة التي قالت ما قالت، وقال: (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ) يعني بقوله (أَوْزِعْنِي) (الهمني).

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس في قوله: (قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتِكَ) يقول: اجعلني.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: (رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ) قال: في كلام العرب، تقول: أوزع فلان بفلان، يقول: حرص عليه. وقال ابن زيد: (أَوْزَعْنِي) ألهمني وحرّضني على أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ.

وقوله: (وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ) يقول: وأوزعني أن أعمل بطاعتك وما ترضاه (وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) يقول: وأدخلني برحمتك مع عبادك الصالحين، الذين اخترتهم لرسالتك وانتخبهم لوحيدك، يقول: أدخلني من الجنة مداخلهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: (وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) قال: مع عبادك الصالحين الأنبياء والمؤمنين.

القول في تأويل قوله تعالى: (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ) (20) لَأَعَذِّبُهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحُهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (21)

يقول تعالى ذكره: (وَتَفَقَّدَ) سليمان (الطَّيْرَ) فقال ما لي لا أرى الهدد. وكان سبب تفقده الطير وسؤاله عن الهدد خاصة من بين الطير، ما حدثنا ابن عبد الأعلى، < 441-19 > قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت عمران عن أبي مجلز، قال: جلس ابن عباس إلى عبد الله بن سلام، فسأله عن الهدد: لم تفقده سليمان من بين الطير فقال عبد الله بن سلام: إن سليمان نزل منزلة في مسير له، فلم يدر ما بُعد الماء، فقال: من يعلم بُعد الماء؟ قالوا: الهدد، فذاك حين تفقده.

حدثنا محمد، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا عمران بن حدير، عن أبي مجلز، عن ابن عباس وعبد الله بن سلام بنحوه.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان سليمان بن داود يوضع له ستّ مائة كرسي، ثم يجيء أشراف الإنس فيجلسون مما يليه، ثم تجيء أشراف الجن فيجلسون مما يلي الإنس قال: ثم يدعو الطير فتظلمهم، ثم يدعو الريح فتحملهم، قال: فيسير في الغداة الواحدة مسيرة شهر، قال: فيبنا هو في مسيره إذ احتاج إلى الماء وهو في فلاة من الأرض، قال: فدعا الهدد، فجاءه فنقر الأرض، فيصيب موضع الماء، قال: ثم تجيء الشياطين فيسلخونه كما يسلك الإهاب، قال: ثم يستخرجون الماء. فقال له نافع بن الأزرق: قف يا وقاق، رأيت قولك

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الهدهد يجيء فينقر الأرض، فيصيب الماء، كيف يبصر هذا، ولا يبصر الفخّ يجيء حتى يقع في عنقه؟ قال: فقال له ابن عباس: ويحك إن القدر إذا جاء حال دون البصر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه، قال: كان سليمان بن داود إذا خرج من بيته إلى مجلسه عكفت عليه الطير، وقام له الجنّ والإنس حتى يجلس على سريره، حتى إذا كان ذات غداة في بعض زمانه غدا إلى مجلسه الذي كان يجلس فيه، فتفقد الطير. وكان فيما يزعمون يأتيه نوبا من كل صنف من الطير طائر، فنظر فرأى من أصناف الطير كلها قد حضره إلا الهدهد، فقال: ما لي لا أرى الهدهد.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: أول ما فقد سليمان الهدهد نزل بواد فسأل الإنس عن ماءه، فقالوا: ما نعلم له ماء، فإن يكن أحد من جنودك يعلم له ماء فالجنّ فدعا الجنّ فسألهم، فقالوا: ما نعلم له ماء وإن يكن < 442-19 > أحد من جنودك يعلم له ماء فالطير، فدعا الطير فسألهم، فقالوا: ما نعلم له ماء، وإن يكن أحد من جنودك يعلمه فالهدهد، فلم يجده، قال: فذاك أول ما فقد الهدهد.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ) قال: تفقد الهدهد من أجل أنه كان يدلّه على الماء إذا ركب، وإن سليمان ركب ذات يوم فقال: أين الهدهد ليدلنا على الماء؟ فلم يجده؛ فمن أجل ذلك تفقده، فقال ابن عباس: إن الهدهد كان ينفعه الحذر ما لم يبلغه الأجل؛ فلما بلغ الأجل لم ينفعه الحذر، وحال القدر دون البصر، فقد اختلف عبد الله بن سلام والقائلون بقوله ووهب بن منبه، فقال عبد الله: كان سبب تفقده الهدهد وسؤاله عنه ليستخبره عن بُعد الماء في الوادي الذي نزل به في مسيره، وقال وهب بن منبه: كان تفقده إياه وسؤاله عنه لإخلاله بالنوبة التي كان ينوبها، والله أعلم بأي ذلك كان إذ لم يأتنا بأي ذلك كان تنزيل، ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح.

فالصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن سليمان أنه تفقد الطير، إما للنوبة التي كانت عليها وأخلت بها، وإما لحاجة كانت إليها عن بُعد الماء.

وقوله: (فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ) يعني بقوله (مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ) أخطأه بصري فلا أراه وقد حضر أم هو غائب فيما غاب من سائر أجناس الخلق فلم يحضر؟.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سيلمه، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه: (مَا لِي لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْعَائِيَيْنِ) أخطأه بصري في الطير، أم غاب فلم يحضر؟.

وقوله: (لَأَعَذَّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا) يقول: فلما أخبر سليمان عن الهدهد أنه لم يحضر، وأنه غائب غير شاهد، أقسم (لَأَعَذَّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا) وكان تعذيبه الطير فيما ذكر عنه إذا عذبها أن ينتف ريشها.

ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

< 19-443 >

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب قال: ثنا الحمانى، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: (لَأَعَذَّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا) قال: نتف ريشه.

حدثنا أبو كريب قال: ثنا ابن عطية، عن شريك، عن عطاء، عن مجاهد، عن ابن عباس في: (لَأَعَذَّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا) عذابه: نتفه وتشميسه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: (لَأَعَذَّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا) قال: نتف ريشه وتشميسه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (لَأَعَذَّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا) قال: نتف ريشه كله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد قوله: (لَأَعَذَّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا) قال: نتف ريش الهدهد كله، فلا يغفو سينة.

قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة، قال: نتف ريشه.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: (لَأَعَذَّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا) يقول: نتف ريشه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق، عن يزيد بن رومان أنه حدث أن عذابه الذي كان يعدب به الطير نتف جناحه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: قيل لبعض أهل العلم: هذا الذبح، فما العذاب الشديد؟ قال: نتف ريشه بتركه بضعه تنزو.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا سعيد بن الربيع الرازي، قال: ثنا سفيان، عن عمرو بن بشار، عن ابن عباس، في قوله: (لَأَعَدَّبْتُهُ عَدَابًا شَدِيدًا) قال: نتفه.

حدثني سعيد بن الربيع، قال: ثنا سفيان، عن حسين بن أبي شداد، قال: نتفه وتشميسه (أَوْ لَأَذْبَحْتُهُ) يقول: أو لأقتلنه.

< 19-444 >

كما حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: (أَوْ لَأَذْبَحْتُهُ) يقول: أو لأقتلنه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا عباد بن العوام، عن حصين، عن عبد الله بن شداد: (لَأَعَدَّبْتُهُ عَدَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحْتُهُ) ... الآية، قال: فتلقاه الطير، فأخبره، فقال: ألم يستثن.

وقوله: (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) يقول: أو ليأتيني بحجة تبين لسامعها صحتها وحقيقتها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا علي بن الحسين الأزدي، قال: ثنا المعافى بن عمران، عن سفيان، عن عمار الدهني، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كل سلطان في القرآن فهو حجة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) يقول: بيينة أعذره بها، وهو مثل قوله: الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ يَعِيرُ سُلْطَانٍ يقول: بغير بيينة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن رجل، عن عكرمة، قال: كل شيء في القرآن سلطان، فهو حجة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا عبد الله، بن يزيد، عن قباث (3) بن رزين، أنه سمع عكرمة يقول: سمعت ابن عباس يقول: كل سلطان في القرآن فهو حجة، كان للهدد سلطان.

حدثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة: (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) قال: بعذر بين.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه: (أَوْ لِيَأْتِيَنَّ سُلْطَانٍ مُّبِينٍ) : أي بحجة عذر له في غيبته.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: (أَوْ لِيَأْتِيَنَّ سُلْطَانٍ مُّبِينٍ) يقول: بينة، وهو قول الله الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ بغير بينة.

< 19-445 >

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: (أَوْ لِيَأْتِيَنَّ سُلْطَانٍ مُّبِينٍ) قال: بعدر أعذره فيه.

القول في تأويل قوله تعالى : فَمَكَتْ عَيْرٌ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتًا يَتِيمًا يَقِينِ (22)

يعني تعالى ذكره بقوله: (فَمَكَتْ عَيْرٌ بَعِيدٍ) فمكت سليمان غير طويل من حين سأل عن الهدهد، حتى جاء الهدهد.

واختلف القراء في قراءة قوله: (فَمَكَتْ) فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار سوى عاصم: "فَمَكَّتْ" بضم الكاف، وقرأه عاصم بفتحها، وكلتا القراءتين عندنا صواب؛ لأنهما لغتان مشهورتان، وإن كان الضم فيها أعجب إلي، لأنها أشهر اللغتين وأفصحهما.

وقوله: (فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ) يقول: فقال الهدهد حين سأله سليمان عن تخلفه وغيبته: أحطت بعلم ما لم تحط به أنت يا سليمان.

كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: (أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ) قال: ما لم تعلم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه: (فَمَكَتْ عَيْرٌ بَعِيدٍ) ثم جاء الهدهد، فقال له سليمان: ما خلفك عن نوبتك؟ قال: أحطت بما لم تحط به.

وقوله: (وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتًا يَتِيمًا يَقِينِ) يقول: وجئتك من سبأ بخبر يقين.

وهو ما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه: (وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتًا يَتِيمًا يَقِينِ) أي أدركت ملكا لم يبلغه ملكك.

واختلفت القراء في قراءة قوله: (مِنْ سَبَإٍ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة (مِنْ سَبَإٍ) بالإجراء. المعنى أنه رجل اسمه سبأ. وقرأه بعض قراء أهل مكة والبصرة (مِنْ سَبَأٍ) بترك الإجراء، على أنه اسم قبيلة أو لامرأة.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

والصواب من القول في ذلك أن يُقال: إنهما قراءتان مشهورتان، وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب؛ فالإجراء في سبأ، وغير الإجراء صواب، لأن سبأ إن كان رجلاً كما جاء به الأثر، فإنه إذا أُريد به اسم الرجل < 446-19 > أجري، وإن أُريد به اسم القبيلة لم يجر، كما قال الشاعر في إجرائه:

الْوَارِدُونَ وَتَيْمٌ فِي دَرَا سَبَأٍ

قَدْ عَصَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الْجَوَامِيسِ (4)

يروى: ذرا، وذري، وقد حُذث عن الفراء عن الرؤاسي أنه سأل أبا عمرو بن العلاء كيف لم يجر سبأ؟ قال: لست أدري ما هو؛ فكأن أبا عمرو ترك إجراءه إذ لم يدر ما هو، كما تفعل العرب بالأسماء المجهولة التي لا تعرفها من ترك الإجراء، حكى عن بعضهم: هذا أبو معرور قد جاء، فترك إجراءه إذ لم يعرفه في أسمائهم. وإن كان سبأ جبلاً أجري؛ لأنه يُراد به الجبل بعينه، وإن لم يجر فلأنه يجعل اسماً للجبل وما حوله من البقعة.

الهوامش:

- (1) الوزع: كف النفس عن هواها. وزعه وبه يزع (بفتح الزاي وكسرهما) وزعاً كفه، وبؤات يوافق. قال في اللسان: واتاه على الأمر: طاوعه. والمؤاتاة: حسن المطاوعة وأتيته على ذلك الأمر مؤاتاه: إذا وافقته وطاوعته. والعامية تقول: وأتَيْتُهُ. ولا تقل. وأتَيْتُهُ. إلا في لغة لأهل اليمن ومثله آسيت، وأكلت، وأمرت وإنما جعلوها واوًا على تخفيف الهمزة
- (2) البيت للنابعة الذبياني من قصيدة يعتذر بها إلى النعمان بن المنذر (مختار الشعر لجاهلي شرح مصطفى السقا، طبعة الحلبي 156 وما بعدها) قال صحا: أفاق والوازع الكاف الزاجر عن اللهو والصبا الصبوة، والميل إلى التشبه بأعمال الصبيان من الطيش واللهو
- (3) قبات بوزن سحاب، ابن رزين اللخمي (ويقال: التجيبي). وقبات: اسم عربي.
- (4) استشهد المؤلف بهذا البيت مرة قبل هذه في (الجزء 14: 117) وهو من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة 172). ثم استشهد المؤلف به هنا مرة ثانية، على أن كلمة "سبأ" إن كان اسم قبيلة من اليمن، فهو ممنوع من الصرف، للعلمية والتأنيث. وإن لوحظ فيه أصله، وهو اسم أبي القبيلة، فهو مذكر مجرى. القول في تأويل قوله تعالى: **إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ** (23) **وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ**

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

دُونِ اللَّهِ وَرَبِّنَا لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24)

يقول تعالى مخبراً عن قيل الهدد لسليمان مخبراً بعذره في مغيبه عنه: (إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ) يعني تملك سبأ، وإنما صار هذا الخبر للهدد عذراً وحجة عند سليمان، درأ به عنه ما كان أوعده به؛ لأن سليمان كان لا يرى أن في الأرض أحداً له مملكة معه، وكان مع ذلك صلى الله عليه وسلم رجلاً حَبَّبَ إليه الجهاد والغزو، فلما دله الهدد على ملك بموضع من الأرض هو لغيره، وقوم كفرة يعبدون غير الله، له في جهادهم وغزوهم الأجر الجزيل، والثواب العظيم في الآجل، وضمَّ مملكة لغيره إلى ملكه، حَقَّتْ للهدد المعذرة، وصَحَّتْ له الحجة في مغيبه عن سليمان.

وقوله: (وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يقول: وأوتيت من كل شيء يؤتاه الملك في عاجل الدنيا مما يكون عندهم من العتاد والآلة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

< 19-447 >

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي عبيدة الباجي، عن الحسن، قوله: (وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يعني: من كل أمر الدنيا.

وقوله (وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) يقول: ولها كرسي عظيم. وعني بالعظيم في هذا الموضع: العظيم في قدره، وعظم خطره، لا عظمه في الكبر والسعة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، قوله: (وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) قال: سرير كريم، قال: حسن الصنعة، وعرشها: سرير من ذهب قوائمه من جوهر ولؤلؤ.

قال: ثني حجاج، عن أبي عبيدة الباجي، عن الحسن، قوله: (وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) يعني سرير عظيم.

وقوله: (وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ) يقول: وجدت هذه المرأة ملكة سبأ، وقومها من سبأ، يسجدون للشمس فيعبدونها من دون الله. وقوله: (وَرَبِّنَا لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) يقول: وحسن لهم إبليس عبادتهم الشمس، وسجودهم لها من دون الله، وحبَّبَ ذلك إليهم (فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ)

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول: فمنعهم بتزيينه ذلك لهم أن يتبعوا الطريق المستقيم، وهو دين الله الذي بعث به أنبياءه، ومعناه: فصدّهم عن سبيل الحق (فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ) يقول: فهم لما قد زين لهم الشيطان ما زين من السجود للشمس من دون الله والكفر به لا يهتدون لسبيل الحق ولا يسلكونه، ولكنهم في ضلالهم الذي هم فيه يترددون.

القول في تأويل قوله تعالى : أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (26)

اختلف القراء في قراءة قوله (أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ) فقرأ بعض المكين وبعض المدنيين والكوفيين "ألا" بالتخفيف، بمعنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا، فأضمرُوا "هؤلاء" اكتفاءً < 448-19 > بدلالة "يا" عليها. وذكر بعضهم سماعاً من العرب: ألا يا ارحمنا، ألا يا تصدق علينا؛ واستشهد أيضاً بيت الأخطل:

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا هِنْدَ هِنْدَ بَنِي بَدْرِ

وَإِنْ كَانَ حَيَاتَنَا عِدًّا آخِرَ الدَّهْرِ (1)

فعلى هذه القراءة اسجدوا في هذا الموضع جزم، ولا موضع لقوله "ألا" في الإعراب. وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة والبصرة (أَلَا يَسْجُدُوا) بتشديد ألا بمعنى: وزين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا لله "ألا" في موضع نصب لما ذكرت من معناه أنه لئلا (ويسجدوا) في موضع نصب بأن.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء مع صحة معنيهما.

واختلف أهل العربية في وجه دخول "يا" في قراءة من قرأه على وجه الأمر، فقال بعض نحويي البصرة: من قرأ ذلك كذلك، فكأنه جعله أمراً، كأنه قال لهم: اسجدوا، وزاد "يا" بينهما التي تكون للتنبيه، ثم أذهب ألف الوصل التي في اسجدوا، وأذهبت الألف التي في "يا"؛ لأنها ساكنة لقيت السين، فصار ألا يسجدوا. وقال بعض نحويي الكوفة: هذه "يا" التي تدخل للنداء يكتفى بها من الاسم، ويكتفى بالاسم منها، فتقول: يا أقبل، وزيد أقبل، وما سقط من السواكن فعلى هذا.

ويعني بقوله: (يُخْرِجُ الْخَبَاءَ) يخرج المخبوء في السموات والأرض من غيث في السماء، ونبات في الأرض ونحو ذلك.

وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وإن اختلفت عبارتهم عنه.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 19-449 >

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا ابن المبارك، عن ابن جريج، قراءة عن مجاهد: (يُخْرِجُ الْحَبَّ فِي السَّمَاوَاتِ) قال: الغيث.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: (يُخْرِجُ الْحَبَّ) قال: الغيث.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: (الَّذِي يُخْرِجُ الْحَبَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) قال: خبء السماء والأرض ما جعل الله فيها من الأرزاق، والمطر من السماء، والنبات من الأرض، كانتا رتقا لا تمطر هذه، ولا تنبت هذه، ففتق السماء، وأنزل منها المطر، وأخرج النبات.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا عيسى بن يونس، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن حكيم بن جابر، في قوله: (أَلَا تَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْحَبَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) ويعلم كل خفية في السموات والأرض.

حدثني محمد بن عمارة، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا أسامة بن زيد، عن معاذ بن عبد الله، قال: رأيت ابن عباس على بغلة يسأل تبعا ابن امرأة كعب: هل سألت كعبا عن البذر تنبت الأرض العام لم يصب العام الآخر؟ قال: سمعت كعبا يقول: البذر ينزل من السماء ويخرج من الأرض، قال: صدقت.

قال أبو جعفر: إنما هو تبيع، ولكن هكذا قال محمد: وقيل: يخرج الخبء في السموات والأرض، لأن العرب تضع "من" مكان "في" و "في" مكان "من" في الاستخراج (وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ) يقول: ويعلم السر من أمور خلقه هؤلاء الذين زين لهم الشيطان أعمالهم والعلانية منها، وذلك على قراءة من قرأ ألا بالتشديد. وأما على قراءة من قرأ بالتخفيف فإن معناه: ويعلم ما يسره خلقه الذين أمرهم بالسجود بقوله: "ألا يا هؤلاء اسجدوا". وقد ذكر أن ذلك في قراءة أبي: "أَلَا تَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَمَا تُعْلِنُونَ".

وقوله: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) يقول تعالى ذكره: الله الذي لا تصلح العبادة إلا له، لا إله إلا هو، لا معبود سواه تصلح له العبادة، فأخلصوا له < 19-450 > العبادة، وأفردوه بالطاعة، ولا تشركوا به شيئا (رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) يعني بذلك: مالك العرش العظيم الذي كل عرش، وإن عظم، فدونه، لا يُشبهه عرش ملكة سبأ ولا غيره.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد؛ في قوله: أَحَطُّ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ إِلَى قَوْلِهِ (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) هَذَا كَلِمَةٌ الْهَدِيدِ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق بنحوه.

القول في تأويل قوله تعالى: قَالَ سَتَنْظُرُونَ أَصَدَقْتُمْ أَمْ كُنْتُمْ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلِّقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28)

يقول تعالى ذكره: (قَالَ) سليمان للهدد: (سَتَنْظُرُونَ) فيما اعتذرت به من العذر، واحتججت به من الحجة لغيبتك عنا، وفيما جئتنا به من الخير (أَصَدَقْتُمْ) في ذلك كله (أَمْ كُنْتُمْ مِنَ الْكَاذِبِينَ) فيه (اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلِّقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ)

فاختلف أهل التأويل في تأويل ذلك؛ فقال بعضهم: معناه: اذهب بكتابي هذا، فألقه إليهم، فانظر ماذا يرجعون، ثم تول عنهم منصوراً إلي، فقال: هو من المؤخر الذي معناه التقديم.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: فأجابه سليمان، يعني أجاب الهدد لما فرغ: (سَتَنْظُرُونَ أَصَدَقْتُمْ أَمْ كُنْتُمْ مِنَ الْكَاذِبِينَ) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلِّقَهُ إِلَيْهِمْ (وانظر ماذا يرجعون، ثم تول عنهم منصوراً إلي. وقال: وكانت لها كوة مستقبلة الشمس، ساعة تطلع الشمس تطلع فيها فتسجد لها، فجاء الهدد حتى وقع فيها فسدها، واستبطات الشمس، فقامت تنظر، فرمى بالصحيفة إليها من تحت جناحه، وطار حتى قامت تنظر الشمس.

قال أبو جعفر: فهذا القول من قول ابن زيد يدل على أن الهدد تولى إلى سليمان راجعاً بعد إلقائه الكتاب، وأن نظره إلى المرأة ما الذي ترجع وتفعل كان قبل إلقائه كتاب سليمان إليها.

< 19-451 >

وقال آخرون: بل معنى ذلك: اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم، ثم تول عنهم، فكن قريباً منهم، وانظر ماذا يرجعون؛ قالوا: وفعل الهدد، وسمع مراجعة المرأة أهل مملكتها، وقولها لهم: إِنِّي أَلْقِي إِلَيْكِ كِتَابٌ كَرِيمٌ \* إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وما بعد ذلك من مراجعة بعضهم بعضاً.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه، قوله: (فَأَلِّقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ) أي كن قريباً (فَانظُرْ مَاذَا

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

بَرَجُعُونَ) وهذا القول أشبه بتأويل الآية؛ لأن مراجعة المرأة قومها، كانت بعد أن ألقى إليها الكتاب، ولم يكن الهدد لينصرف وقد أمر بأن ينظر إلى مراجعة القوم بينهم ما يتراجعونه قبل أن يفعل ما أمره به سليمان.

القول في تأويل قوله تعالى : قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ( 29) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأُنُوبِي مُسْلِمِينَ (31)

يقول تعالى ذكره: فذهب الهدد بكتاب سليمان إليها، فألقاه إليها فلما قرأته قالت لقومها: (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ).

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه، قال: كتب -يعني سليمان بن داود- مع الهدد: بسم الله الرحمن الرحيم من سليمان بن داود، إلى بلقيس بنت ذي سرح وقومها، أما بعد، فلا تَعْلُوا عَلَيَّ، وَأُنُوبِي مُسْلِمِينَ، قال: فأخذ الهدد الكتاب برجله، فانطلق به حتى أتاها، وكانت لها كوة في بيتها إذا طلعت الشمس نظرت إليها، فسجدت لها، فأتى الهدد الكوة فسدّها بجناحيه حتى ارتفعت الشمس ولم تعلم، ثم ألقى الكتاب من الكوة، فوقع عليها في مكانها الذي هي فيه، فأخذته.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن > 452-19 < قتادة، قال: بلغني أنها امرأة يقال لها بلقيس، أحسبه قال: ابنة شراحيل، أحد أبويها من الجن، مؤخر أحد قدميها كحافر الدابة، وكانت في بيت مملكة، وكان أولو مشورتها ثلاث مائة واثنى عشر كل رجل منهم على عشرة آلاف، وكانت بارض يقال لها مارب، من صنعاء على ثلاثة أيام؛ فلما جاء الهدد بخبرها إلى سليمان بن داود، كتب الكتاب وبعث به مع الهدد، فجاء الهدد وقد عُلقت الأبواب، وكانت تغلق أبوابها وتضع مفاتيحها تحت رأسها، فجاء الهدد فدخل من كوة، فألقى الصحيفة عليها، فقرأتها، فإذا فيها: ( إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأُنُوبِي مُسْلِمِينَ ) وكذلك كانت تكتب الأنبياء لا تطنب، إنما تكتب جملا.

قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: لم يزد سليمان على ما قصّ الله في كتابه إنه وإنه.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا قَالِقَهُ إِلَيْهِمْ فمضى الهدد بالكتاب، حتى إذا حاذى الملكة وهي على عرشها ألقى إليها الكتاب.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله: (قَالَتِ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّ الْقِيِّ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ) والمَلَأُ أشرف قومها، يقول تعالى ذكره: قالت ملكة سبأ لأشرف قومها: (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّ الْقِيِّ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ).

واختلف أهل العلم في سبب وصفها الكتاب بالكريم، فقال بعضهم: وصفته بذلك لأنه كان مختوماً.

وقال آخرون: وصفته بذلك لأنه كان من ملك فوصفته بالكرم لكرم صاحبه. وممن قال ذلك ابن زيد.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: (إِنِّي أَلْقِي إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ ) قال: هو كتاب سليمان حيث كتب إليها.

وقوله (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ) كُسِرَتْ إِنَّ الْأُولَى والثانية على الرَّدِّ على "إني" من قوله: (إِنِّي أَلْقِي إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ ). ومعنى الكلام: قالت: يا أيها المَلَأُ إني ألقى إلي كتاب، وإنه من سليمان.

وقوله (أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ) يقول: ألقى إلي كتاب كريم > 19- 453 < ألا تعلموا عليّ.

ففي " أنْ " وجهان من العربية: إن جعلت بدلا من الكتاب كانت رفعا بما رفع به الكتاب بدلا منه; وإن جعل معنى الكلام: إني ألقى إلي كتاب كريم ألا تعلموا علي كانت نصبا بتعلق الكتاب بها.

وعنى بقوله: (أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ ) ألا تتكبروا ولا تتعاضموا عما دعوتكم إليه.

كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: (أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ ) ألا تمتنعوا من الذي دعوتكم إليه إن امتنعتم جاهدكم، فقلت لابن زيد: (أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ ) ألا تتكبروا علي؟ قال: نعم; قال: وقال ابن زيد: (أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ) ذلك في كتاب سليمان إليها. وقوله: (وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ) يقول: وأقبلوا إليّ مذعنين لله بالوحدانية والطاعة.

القول في تأويل قوله تعالى : قَالَتِ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (32) قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأَوْلُو بِأَسِّ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (33)

يقول تعالى ذكره: قالت ملكة سبأ لأشرف قومها: ( يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي ) تقول: أشيروا عليّ في أمري الذي قد حضرني من أمر صاحب هذا الكتاب الذي ألقى إليّ، فجعلت المشورة فتيا.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله: (مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ) تقول: ما كنت قاضية أمرا في ذلك حتى تشهدون، فأشاوركم فيه.

كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: دعت قومها تشاورهم (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ) يقول في الكلام: ما كنت لأقطع أمرا دونك ولا كنت لأقضي أمرا، فلذلك قالت: (مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا) بمعنى: قاضية.

وقوله: (قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأَوْلُو بِأْسِ شَدِيدٍ) يقول تعالى ذكره: قال الملأ من قوم ملكة سبأ، إذ شاورتهم في أمرها وأمر سليمان: نحن ذوو القوة على القتال، والبأس > 454-19 < الشديد في الحرب، والأمر أيتها الملكة إليك في القتال وفي تركه، فانظري من الرأي ما ترين، فمُرِينَا نَأْتِمِرَ لِأَمْرِكَ.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: (قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأَوْلُو بِأْسِ شَدِيدٍ) عرضوا لها القتال، يقاتلون لها، والأمر إليك بعد هذا، (فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد، قال: كان مع ملكة سبأ اثنا عشر ألف قيول (2) مع كل قيول مئة ألف.

حدثنا عمرو بن علي، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: كان مع بلقيس مائة ألف قيل، مع كل قيل مائة ألف.

قال: ثنا وكيع، قال: ثنا الأعمش، قال: سمعت مجاهدا يقول: كانت تحت يد ملكة سبأ اثنا عشر ألف قيول، والقيول بلسانهم: الملك تحت يد كل ملك مائة ألف مقاتل.

القول في تأويل قوله تعالى: قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (34)

يقول تعالى ذكره: قالت صاحبة سبأ للملأ من قومها، إذ عرضوا عليها أنفسهم لقتال سليمان، إن أمرتهم بذلك: (إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً) عنوة وغلبة (أَفْسَدُوهَا) يقول: خربوها (وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً) وذلك باستعبادهم الأحرار، واسترقاقهم إياهم؛ وتناهى الخبر منها عن الملوك في هذا الموضع فقال الله: (وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) يقول تعالى ذكره: وكما قالت صاحبة سبأ تفعل الملوك، إذا دخلوا قرية عنوة.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

< 19-455 >

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُريب, قال: ثنا أبو بكر, في قوله: (وَجَعَلُوا أَعْرَةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ) قال أبو بكر: هذا عنوة.

حدثنا أبو هشام الرفاعي, قال: ثنا أبو بكر, قال: ثنا الأعمش, عن مسلم, عن ابن عباس, في قوله: (إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ) قال: إذا دخلوها عنوة خربوها.

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج, قال: قال ابن عباس: (قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ) قال ابن عباس: يقول الله: (وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ).

القول في تأويل قوله تعالى : وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاطِرُهُ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35)

ذكر أنها قالت: إني مرسله إلى سليمان, لتختبره بذلك وتعرفه به, أملك هو, أم نبي؟ وقالت: إن يكن نبيا لم يقبل الهدية, ولم يرضه منا, إلا أن نتبعه على دينه, وإن يكن ملكا قبل الهدية وانصرف.

\*ذكر الرواية عن قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قالت: (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاطِرُهُ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ) قال: وبعثت إليه بوصائف ووصفاء, وألبستهم لباسا واحدا حتى لا يعرف ذكر من أثنى, فقالت: إن زيل بينهم حتى يعرف الذكر من الأثنى, ثم ردّ الهدية فإنه نبي, وينبغي لنا أن نترك ملكنا, ونتبع دينه, ونلحق به.

حدثني محمد بن عمرو, قال: ثنا أبو عاصم, قال: ثنا عيسى, وحدثني الحارث, قال: ثنا الحسن, قال: ثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد قوله: (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ ) قال: بجوار لباسهم لباس الغلمان, وغلمان لباسهم < 456-19 > لباس الجواري.

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج, قال: قولها: (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ ) قال: مائتي غلام ومائتي جارية. قال ابن جُرَيْج: قال مجاهد: قوله: ( بِهَدِيَّةٍ ) قال: جوار ألبستهن لباس الغلمان, وغلمان ألبستهم لباس الجواري.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال ابن جُرَيْجٍ: قال: قالت: فإن خلص الجواري من الغلمان، وردَّ الهدية فإنه نبي، وينبغي لنا أن نتبعه.

قال ابن جُرَيْجٍ، قال مجاهد: فخلص سليمان بعضهم من بعض، ولم يقبل هديتها.

قال: ثنا الحسين، قال: ثنا سفيان، عن معمر، عن ثابت البُنَّانِي، قال: أهدت له صفائح الذهب في أوعية الديباج، فلما بلغ ذلك سليمان أمر الجرّ فموّهوا له الآجرّ بالذهب، ثم أمر به فألقي في الطرق، فلما جاءوا فراوه ملقى ما يُلتفت إليه، صغر في أعينهم ما جاءوا به.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ... الآية، وقالت: إن هذا الرجل إن كان إنما همته الدنيا فسنرضيه، وإن كان إنما يريد الدين فلن يقبل غيره (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاطِرُهُ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ).

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه، قال: كانت بلقيس امرأة لبيبة أديبة في بيت ملك، لم تملك إلا لبقايا من مضى من أهلها، إنه قد سيست وساست حتى أحكمها ذلك، وكان دينها ودين قومها فيما ذكر الزنديقية؛ فلما قرأت الكتاب سمعت كتابا ليس من كتب الملوك التي كانت قبلها، فبعثت إلى المقابلة من أهل اليمن، فقالت لهم: يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أَلْقِي إِلَيْكِ كِتَابٌ كَرِيمٌ \* إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ إلى قوله (بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) ثم قالت: إنه قد جاءني كتاب لم يأتي مثله من ملك من الملوك قبله، فإن يكن الرجل نبيا مرسلًا فلا طاقة لنا به ولا قوّة، وإن يكن الرجل ملكا يكثر، فليس بأعز منا، ولا أعدّ. فهيات هدايا مما يُهدى للملوك، مما يُفتنون به، فقالت: إن يكن ملكا فسيقبل الهدية ويرغب في المال، وإن يكن نبيا > 457-19 < فليس له في الدنيا حاجة، وليس إياها يريد، إنما يريد أن ندخل معه في دينه ونتبعه على أمره، أو كما قالت.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ) بعثت بوصائف ووصفاء، لباسهم لباس واحد، فقالت: إن زيل بينهم حتى يعرف الذكر من الأنثى، ثم رد الهدية فهو نبي، وينبغي لنا أن نتبعه، وندخل في دينه؛ فزيل سليمان بين الغلمان والجواري، وردَّ الهدية، فقال (أَتُمَدُّوْنَ بِمَالٍ فَمَا أَتَانِ اللَّهُ حَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ).

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: كان في الهدايا التي بعثت بها وصائف ووصفاء يختلفون في ثيابهم، ليميز الغلمان من الجواري، قال: فدعا بماء، فجعل الجواري يتوضآن من المرفق إلى أسفل، وجعل الغلمان يتوضئون من المرفق إلى فوق. قال: وكان أبي يحدثنا هذا الحديث.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا عبد الأعلى، قال: ثنا مروان بن معاوية، قال: ثنا إسماعيل، عن أبي صالح: (وَإِنِّي مُرْسِلُهُ إِلَيْهِمْ يَهْدِيَّةً ) قال: أرسلت بلبنة من ذهب، وقالت: إن كان يريد الدنيا علمته، وإن كان يريد الآخرة علمته.

وقوله: (فَتَاطَرَهُ يَمَّ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ) تقول: فأنظر بأي شيء من خبره وفعله في هديتي التي أرسلها إليه ترجع رسلي، أقبول وانصراف عنا، أم برّد الهدية والثبات على مطالبتنا باتباعه على دينه؟ وأسقطت الألف من " ما " في قوله ( يَمَّ ) وأصله: بما، لأن العرب إذا كانت " ما " بمعنى: أي، ثم وصلوها بحرف خافض أسقطوا ألفها تفريقاً بين الاستفهام وغيره، كما قال جل ثناؤه عَمَّ يَسَاءَلُونَ و قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ، وربما أثبتوا فيها الألف، كما قال الشاعر:

عَلَمًا قَامَ يَشْتُمُنِي لَيْمٌ

كَخَنْزِيرٍ تَمَرَّعَ فِي تُرَابٍ (3)

< 19-458 >

وقالت: (وَإِنِّي مُرْسِلُهُ إِلَيْهِمْ ) وإنما أرسلت إلى سليمان وحده على النحو الذي بينا في قوله: عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِمْ ،

الهوامش:

(1) البيت: نسبه في (اللسان: عدا) إلى الأخطل التغلبي الشاعر الأموي. قال: وقد جاء في الشعر العدى: بمعنى الأعداء. وقال ابن الأعرابي في قول الأخطل: "ألا يا اسلمي.." البيت: العدى: التباعد. وقوم عدى: إذا كانوا متباعدين لا أرحام بينهم ولا حلف. وقوم عدى: إذا كانوا حرباً. وقد روى البيت بالكسر والضم، مثل سوى وسوى. الأصمعي: يقال: هؤلاء قوم عدى مقصور، يكون للأعداء وللغرباء. ولا يقال: قوم عدى (بضم العين) إلا أن تدخل الهاء، فتقول: عدا، في وزن قضاة. قال أبو زيد: طالت عدواءهم، أي تباعدتهم وتفرقتهم. وشاهد المؤلف في هذا البيت: أن حرف النداء يا، داخل على منادي محذوف. تقديره: ألا يا هذه اسلمي. وهو نظير قول الله عز وجل: "ألا يا اسجدوا" تقديره: ألا يا هؤلاء اسجدوا. فأضمر هؤلاء، اكتفاء بدلالة "يا" عليها.

(2) القَيْل بفتح فسكون: الملك الصغير في اليمن، وجمعه: أقيال وقبول. وأما القيول، ولعله بفتح القاف، للملك الواحد، فلم أجده بالمعجم، ولعله لفظ عام عند اليمن.

(3) البيت لحسان بن ثابت وهو من شواهد كتاب المغني لابن هشام: "ما" وفي قافيته روايتان أخريان: (في دمان، في رماد). قال ابن هشام: ويجب

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حذف ألف "ما" الاستفهامية إذا جرت، وإبقاء الفتحة دليلاً عليها، نحو: فيم، وإلام، وعلام، وبم، وعلّة حذف الألف: الفرق بين الاستفهام والخبر، فلهذا حذف في نحو (فيم أنت من ذكراها)، (فناظرة بم يرجع المرسلون)، (لم تقولون ما لا تفعلون) وأما قراءة عكرمة وعيسى: (عما يتساءلون) فنادر، وأما قول حسان "على ما قام" البيت، فضرورة، والدمان كالرماد: وزناً ومعنى. ويروى: في رماد، فلذلك رجحته على تفسير ابن الشجري له بالسرجين ومثله قول الآخر:

إننا قتلنا بقتلانا سراتكم

أهل اللواء ففيما يكثر القيل

وهذا يتضمن معنى قول المؤلف في هذا الشاهد.  
القول في تأويل قوله تعالى: **فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالِهِ فَمَا آتَانِ اللَّهُ حَبِيرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ** (36) **ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَدْلَةً وَهُمْ صَاغِرُونَ** (37)

وقوله: (فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالِهِ).

إن قال قائل: وكيف قيل: (فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ) فجعل الخبر في مجيء سليمان عن واحد، وقد قال قبل ذلك: (فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) فإن كان الرسول كان واحداً، فكيف قيل (بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) وإن كانوا جماعة فكيف قيل: (فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ) قيل: هذا نظير ما قد بينا قبل من إظهار العرب الخبر في أمر كان من واحد على وجه الخبر، عن جماعة إذا لم يقصد قصد الخبر عن شخص واحد بعينه، يُشار إليه بعينه، فسمي في الخبر. وقد قيل: إن الرسول الذي وجهته ملكة سبأ إلى سليمان كان أمراً واحداً، فلذلك قال: (فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ) يُراد به: فلما جاء الرسول سليمان؛ واستدلّ قائلو ذلك على صحة ما قالوا من ذلك بقول سليمان للرسول: (ارْجِعْ إِلَيْهِمْ) وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله، فلما جاءوا سليمان على الجمع، وذلك للفظ قوله: (بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) فصلح الجمع للفظ والتوحيد للمعنى.

وقوله: (أَتُمِدُّونَ بِمَالِهِ) يقول: قال سليمان لما جاء الرسول من قبل المرأة بهداياها: أتمدون بمال.

واختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأه بعض قراء أهل المدينة "أَتُمِدُّونِي" بنونين، وإثبات الياء. وقرأه بعض الكوفيين مثل ذلك، غير أنه حذف الياء من آخر ذلك وكسر النون الأخيرة. وقرأه بعض قراء البصرة بنونين، وإثبات الياء في الوصل وحذفها في الوقف. وقرأه بعض قراء الكوفة بتشديد النون وإثبات الياء. وكلّ هذه القراءات متقاربات وجميعها صواب، لأنها معروفة في لغات العرب، مشهورة في منطقتها.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله: (فَمَا آتَانِ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ) يقول: فما آتاني الله من المال والدينا أكثر مما أعطاكم منها وأفضل (بَلْ أَنْتُمْ يَهْدِيْتِكُمْ تَفْرَحُونَ) يقول: ما أفرح بهديتكم التي < 459-19 > أهديتكم إلي، بل أنتم تفرحون بالهدية التي تُهدى إليكم، لأنكم أهل مفاخرة بالدينا، ومكاثرة بها، وليست الدينا وأموالها من حاجتي، لأن الله تعالى ذكره قد مكنتني منها وملكني فيها ما لم يُمَلِّك أحداً.

(اِزْجِعْ إِلَيْهِمْ) وهذا قول سليمان لرسول المرأة (اِزْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا) لا طاقة لهم بها ولا قدرة لهم على دفعهم عما أرادوا منهم.

ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه، قال: لما أتت الهدايا سليمان فيها الوصائف والوصفاء والخيل العرب، وأصناف من أصناف الدنيا، قال للرسول الذين جاءوا به: (أَتُمِدُّونَ بِمَا لَمْ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ يَهْدِيْتِكُمْ تَفْرَحُونَ) لأنه لا حاجة لي بهديتكم، وليس رأيي فيه كرايكم، فارجعوا إليها بما جئتم به من عندها، (فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا).

حدثنا عمرو بن عبد الحميد، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح في قوله: (فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا) قال: لا طاقة لهم بها. وقوله: (وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ) يقول: ولنخرجن من أرسلكم من أرضهم أذلة وهم صاغرون إن لم يأتوني مسلمين.

ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه: (وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ)، أو لتأيني مسلمة هي وقومها.

المقول في تأويل قوله تعالى: قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38) قَالَ عِفْرِيثُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ < 460-19 > مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40)



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

اختلف أهل العلم في الحين الذي قال فيه سليمان (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا) فقال بعضهم: قال ذلك حين أتاه الهدد بنبا صاحبة سبأ، وقال له: وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتًا يَتِيمًا يَقِينٌ وَأَخْبِرُهُ أَنْ لَهَا عَرْشًا عَظِيمًا، فقال له سليمان صلى الله عليه وسلم: سَتَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ فكان اختباره صدقه من كذبه بأن قال لهؤلاء: أيكم يأتيني بعرش هذه المرأة قبل أن يأتوني مسلمين. وقالوا إنما كتب سليمان الكتاب مع الهدد إلى المرأة بعد ما صحَّ عنده صدق الهدد بمجيء العالم بعرشها إليه على ما وصفه به الهدد، قالوا: ولولا ذلك كان محالا أن يكتب معه كتابا إلى من لا يدري، هل هو في الدنيا أم لا؟ قالوا: وأخرى أنه لو كان كتب مع الهدد كتابا إلى المرأة قبل مجيء عرشها إليه، وقبل علمه صدق الهدد بذلك، لم يكن لقله له سَتَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ معنى؛ لأنه لا يُلم بخبره الثاني من إبلاغه إياها الكتاب، أو ترك إبلاغه إياها ذلك، إلا نحو الذي علم بخبره الأول حين قال له: وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتًا يَتِيمًا يَقِينٌ قالوا: وإن لم يكن في الكتاب معهم امتحان صدقه من كذبه، وكان محالا أن يقول نبي الله قولا لا معنى له وقد قال: سَتَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ علم أن الذي امتحن به صدق الهدد من كذبه هو مصير عرش المرأة إليه، على ما أخبره به الهدد الشاهد على صدقه، ثم كان الكتاب معه بعد ذلك إليها.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قال: إن سليمان أوتي ملكا، وكان لا يعلم أن أحدا أوتي ملكا غيره؛ فلما فقد الهدد سأله: من أين جئت؟ ووعدته وعيدا شديدا بالقتل والعذاب، قال: وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتًا يَتِيمًا يَقِينٌ قال له سليمان: ما هذا النبا؟ قال الهدد: إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً بَسْبَأَ تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ فلما أخبر الهدد سليمان أنه وجد سلطانا، أنكر أن يكون لأحد في الأرض سلطان غيره، < 461-19 > فقال لمن عنده من الجن والإنس: (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ) قال سليمان: أريد أعجل من ذلك (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ) وهو رجل من الإنس عنده علم من الكتاب فيه اسم الله الأكبر، الذي إذا دعي به أجاب: (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) فدعا بالاسم وهو عنده قائم، فاحتمل العرش احتمالا حتى وُضع بين يدي سليمان، والله صنع ذلك؛ فلما أتى سليمان بالعرش وهم مشركون، يسجدون للشمس والقمر، أخبره الهدد بذلك، فكتب معه كتابا ثم بعثه إليهم، حتى إذا جاء الهدد الملكة ألقى إليها الكتاب قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ... إلى وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ فقالت لقومها ما قالت وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ قال: وبعثت إليه بوصائف ووصفاء، وألبستهم لباسا واحدا، حتى لا يعرف ذكر من أنثى، فقالت: إن زيل بينهم حتى يعرف الذكر من الأنثى، ثم رد الهدية، فإنه نبي، وينبغي لنا أن نترك ملكنا ونتبع دينه ونلحق به، فردَّ سليمان الهدية وزيل بينهم، فقال:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

هؤلاء غلمان وهؤلاء جوار وقال: أُمِدُّوَن يَمَالٍ فَمَا آتَانِ اللّهُ حَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ يَهْدِيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ ... إلى آخر الآية.

حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ... الآية; قال: وأنكر سليمان أن يكون لأحد على الأرض سلطان غيره, قال لمن حوله من الجن والإنس: (أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بَعْرَشِيهَا) ... الآية.

وقال آخرون: بل إنما اختبر صدق الهدد سليمان بالكتاب, وإنما سأل من عنده إحضاره عرش المرأة بعد ما خرجت رسلها من عنده, وبعد أن أقبلت المرأة إليه.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد: ثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن بعض أهل العلم, عن وهب بن منبه, قال: لما رجعت إليها الرسل بما قال سليمان: قالت: والله عرفت ما هذا بملك, وما لنا به طاقة, وما نضع بمكائرته شيئاً, وبعثت: إني قادمة عليك بملوك قومي, حتى أنظر ما أمرك, وما تدعو إليه من دينك؟ ثم أمرت بسرير ملكها, الذي كانت تجلس عليه, وكان من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ, فجعل في سبعة أبيات بعضها < 462-19 > في بعض, ثم أقفلت عليه الأبواب. وكانت إنما يخدمها النساء, معها ستمائة امرأة يخدمنها; ثم قالت لمن خلفت على سلطانها, احتفظ بما قبلك, وبسرير ملكي, فلا يخلص إليه أحد من عباد الله, ولا يرينه أحد حتى آتيك; ثم شخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف قبيل معها من ملوك اليمن, تحت يد كل قبيل منهم ألوف كثيرة, فجعل سليمان يبعث الجن, فيأتونه بمسيرها ومنتهاها كل يوم وليلة, حتى إذا دنت جمع من عنده من الجن والإنس ممن تحت يده, فقال: (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بَعْرَشِيهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ).

وتأويل الكلام: قال سليمان لأشرف من حضره من جنده من الجن والإنس: (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بَعْرَشِيهَا) يعني سريرها.

كما حدثني محمد بن عمرو, قال: ثنا أبو عاصم, قال: ثنا عيسى; وحدثني الحارث, قال: ثنا الحسن, قال: ثنا ورقاء جميعاً, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد قوله: (أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بَعْرَشِيهَا) قال: سرير في أريكة.

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قال: عرشها سرير في أريكة. قال ابن جريج: سرير من ذهب, قوائمه من جوهر ولؤلؤ.

حدثنا ابن حميد, قال: ثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن بعض أهل العلم, عن وهب بن منبه: (أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بَعْرَشِيهَا) بسريرها.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: (أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بَعْرَشِهَا) قال: مجلسها.

واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله خصَّ سليمان مسألة الملاء من جنده إحضار عرش هذه المرأة من بين أملاكها قبل إسلامها، فقال بعضهم: إنما فعل ذلك لأنه أعجبه حين وصف له الهدد صفته، وخشي أن تسلم فيحرم عليه مالها، فأراد أن يأخذ سريرها ذلك قبل أن يحرم عليه أخذه بإسلامها.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة، قال: أخبر سليمان الهدد أنها قد خرجت لتأتيه، وأخبر بعرشها فأعجبه. كان من ذهب < 463-19 > وقوائمه من جوهر مكلل باللؤلؤ، فعرف أنهم إن جاءوه مسلمين لم تحل لهم أموالهم، فقال للجن: (أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بَعْرَشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ).

وقال آخرون: بل فعل ذلك سليمان ليعاتبها به، ويختبر به عقلها، هل تثبت إذا رآته، أم تنكره؟

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: أعلم الله سليمان أنها ستأتيه، فقال: (أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بَعْرَشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) حتى يعاتبها، وكانت الملوك يتعابون بالعلم.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) فقال بعضهم: معناه: قبل أن يأتوني مستسلمين طوعا.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: (قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) يقول: طائعين.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: قبل أن يأتوني مسلمين الإسلام الذي هو دين الله.

\*ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جُرَيْجٍ: (أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَزِيَّتِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) بحرمة الإسلام فيمنعهم وأموالهم، يعني الإسلام يمنعهم.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال بالصواب في السبب الذي من أجله خصَّ سليمان بسؤاله الملائكة من جنده بإحضاره عرش هذه المرأة دون سائر ملكها عندنا، ليجعل ذلك حجة عليها في نبوته، ويعرفها بذلك قدرة الله وعظيم شأنه، أنها خلفته في بيت في جوف أبيات، بعضها في جوف بعض، مغلق مقفل عليها، فأخرجه الله من ذلك كله، بغير فتح أغلاق وأقفال، حتى أوصله إلى ولية من خلقه، وسلمه إليه، فكان لها في ذلك أعظم حجة، على حقيقة ما دعاها إليه سليمان، وعلى صدق سليمان فيما أعلمها من نبوته.

فأما الذي هو أولى التأويلين في قوله (قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) بتأويله، فقول < 464-19 > ابن عباس الذي ذكرناه قبل، من أن معناه طائعين، لأن المرأة لم تأت سليمان إذ أتته مسلمة، وإنما أسلمت بعد مقدمها عليه وبعد محاورة جرت بينهما ومساءلة.

وقوله: (قَالَ عَفْرِيْتُ مِنَ الْجِنِّ) يقول تعالى ذكره: قال رئيس من الجنِّ مرد قويٍّ. وللعرب فيه لغتان: عفريت، وعفرية؛ فمن قال: عفرية، جمعه: عفاري؛ ومن قال: عفريت، جمعه: عفاريت.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جُرَيْجٍ، قال مجاهد: (قَالَ عَفْرِيْتُ مِنَ الْجِنِّ) قال: مرد من الجنِّ (أَنَا أَيْتُكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة وغيره، مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن بعض أصحابه: (قَالَ عَفْرِيْتُ) قال: داهية.

قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْجٍ، قال: أخبرني وهب بن سليمان، عن شعيب الجبائي قال: العفريت الذي ذكره الله: اسمه كوزن.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم: (قَالَ عَفْرِيْتُ) اسمه: كوزن.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله: (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ) يقول: أنا آتيك بعرشها قبل أن تقوم من مقعدك هذا.

وكان فيما ذكر قاعدا للقضاء بين الناس, فقال: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مجلسك هذا الذي جلست فيه للحكم بين الناس. وذكر أنه كان يقعد إلى انتصاف النهار.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو, قال: ثنا أبو عاصم, قال: ثنا عيسى; وحدثني الحارث, قال: ثنا الحسن, قال: ثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

< 19-465 >

قال: ثنا الحسين, قال: ثنا أبو سفيان, عن معمر, عن قتادة وغيره, مثله, قال: وكان يقضي قال: قبل أن تقوم من مجلسك الذي تقضي فيه.

حدثنا ابن حميد, قال: ثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن بعض أهل العلم, عن وهب بن منبه: (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ) يعني مجلسه.

وقوله (وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ) على ما فيه من الجواهر, ولا أخون فيه.

وقد قيل: أمين على فرج المرأة.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ, قال: ثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: (وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ) يقول: قويّ على حملة, أمين على فرج هذه.

قوله: (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ ) يقول جلّ ثناؤه: قال الذي عنده علم من كتاب الله, وكان رجلا فيما ذكر من بني آدم, فقال بعضهم: اسمه بليخا.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن بشار, قال: ثنا أبو عثمة, قال: ثنا شعبة, عن بشر, عن قتادة, في قوله: (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ ) قال: كان اسمه بليخا.

حدثني يحيى بن داود الواسطي, قال: ثنا أبو أسامة, عن إسماعيل, عن أبي صالح, في قوله: (الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ ) رجل من الإنس.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن عرفة، قال: ثنا مروان بن معاوية الفزاري، عن العلاء بن عبد الكريم، عن مجاهد، في قول الله: (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَتَاكَ بِهَا) قال: أنا أنظر في كتاب ربي، ثم أتيتك به (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قال: فتكلم ذلك العالم بكلام دخل العرش تحت الأرض حتى خرج إليهم.

حدثنا ابن عرفة، قال: ثنا حماد بن محمد، عن عثمان بن مطر، عن الزهري، قال: دعا الذي عنده علم من الكتاب: يا إلهنا وإله كل شيء إلهنا واحدا، لا إله إلا أنت، اتنتي بعرشها، قال: فمثل بين يديه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة: (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ) قال: رجل من بني آدم، أحسبه قال: من بني إسرائيل، كان يعلم اسم الله الذي إذا دعي به أجاب.

< 19-466 >

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: (الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ) قال: الاسم الذي إذا دعي به أجاب، وهو: يا ذا الجلال والإكرام.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول: قال سليمان لمن حوله: (أَتَيْتُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) فقال عفريت (أَتَاكَ بِهَا قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ) قال سليمان: أريد أعجل من ذلك، فقال رجل من الإنس عنده علم من الكتاب، يعني اسم الله إذا دعي به أجاب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: (قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَتَاكَ بِهَا قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ) لا أتيتك بغيره، أقول غيره أمثله لك. قال: وخرج يومئذ رجل عابد في جزيرة من البحر، فلما سمع العفريت، (أَتَاكَ بِهَا قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قال: ثم دعا باسم من أسماء الله، فإذا هو يحمل بين عينيه، وقرأ: (فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي) ... حتى بلغ (قَالَ رَبِّي عَنِّي كَرِيمٌ).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: قال رجل من الإنس.

قال: وقال مجاهد: الذي عنده علم من الكتاب: علم اسم الله.

وقال آخرون: الذي عنده علم من الكتاب، كان آصف.

\*ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: (قَالَ عَفْرِيْتُ) لسليمان (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ) فزعموا أن سليمان بن داود قال: أبتغي أعجل من هذا، فقال أصف بن برخيا، وكان صديقا يعلم الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب، وإذا سئل به أعطى: أْنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ (آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ).

وقوله: (أْنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) اختلف أهل التأويل في تأويل < 467-19 > فقال بعضهم: معناه: أنا آتيك به قبل أن يصل إليك من كان منك على مدِّ البصر.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني إبراهيم، قال: ثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن سعيد بن جبيرة: (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قال: من قبل أن يرجع إليك أقصى من ترى، فذلك قوله (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ).

قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، قال: قال غير قتادة: (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قبل أن يأتيك الشخص من مدِّ البصر.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: من قبل أن يبلغ طرفك مداه وغايته.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه: (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) تمدد عينيك فلا ينتهي طرفك إلى مداه حتى أمثله بين يديك. قال: ذلك أريد.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عثام، عن إسماعيل، عن سعيد بن جبيرة، قال: أخبرت أنه قال: أرفع طرفك من حيث يجيء، فلم يرجع إليه طرفه حتى وضع العرش بين يديه.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا سفيان، عن عطاء، عن مجاهد، في قوله: (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قال: مدُّ بصره.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قال: إذا مدَّ البصر حتى يردَّ الطرف خاسئا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قال: إذا مدَّ البصر حتى يحسر الطرف.



## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: قبل أن يرجع إليك طرفك من أقصى أثره، وذلك أن معنى قوله (يَرْتَدُّ إِلَيْكَ) يرجع إليك البصر، إذا فتحت العين غير راجع، بل إنما يمتدّ ماضياً إلى أن يتناهي ما امتدّ نوره. فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله إنما أخبرنا عن قائل ذلك (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ) لم يكن < 468-19 > لنا أن نقول: أنا آتيك به قبل أن يرتدّ راجعاً (إِلَيْكَ طَرْفُكَ) من عند منتهاه.

وقوله: (فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ) يقول: فلما رأى سليمان عرش ملكة سبأ مستقراً عنده. وفي الكلام متروك استغنى بدلالة ما ظهر عما ترك، وهو: فدعا الله، فأتى به؛ فلما رآه سليمان مستقراً عنده. وذكر أن العالم دعا الله، فغار العرش في المكان الذي كان به، ثم نبع من تحت الأرض بين يدي سليمان.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه، قال: ذكروا أن أصب بن برخيا توجساً، ثم ركع ركعتين، ثم قال: يا نبي الله، امدد عينك حتى ينتهي طرفك، فمدّ سليمان عينه ينظر إليه نحو اليمن، ودعا أصب فانخرق بالعرش مكانه الذي هو فيه، ثم نبع بين يدي سليمان (فَلَمَّا رَأَهُ) سليمان (مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ) قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي... (الآية).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس قال: نبع عرشها من تحت الأرض.

وقوله: (قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي) يقول: هذا البصر والتمكن والملك والسلطان الذي أنا فيه حتى حمل إليّ عرش هذه في قدر ارتداد الطرف من مأرب إلى الشام، من فضل ربي الذي أفضله عليّ وعطائه الذي جاد به عليّ، ليبلوني، يقول: ليختبرني ويمتحنني، أشكر ذلك من فعله عليّ، أم أكفر نعمته عليّ بترك الشكر له.

وقد قيل: إن معناه: أشكر عليّ عرش هذه المرأة إذ أتيت به، أم كفر إذ رأيت من هو دوني في الدنيا أعلم مني.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عطاء الخراساني، عن ابن عباس، في قوله: (فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ) قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرُ) على السرير إذ أتيت به (أَمْ أَكْفُرُ) إذ رأيت من هو دوني في الدنيا أعلم مني؟ .

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله: (وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) يقول: ومن شكر نعمة الله عليه، وفضله عليه، وإنما يشكر طلب نفع نفسه، لأنه ليس ينفع بذلك غير نفسه؛ لأنه لا حاجة < 469-19 > لله إلى أحد من خلقه، وإنما دعاهم إلى شكره تعريضا منه لهم للنفع، لا لاجتلاب منه بشكرهم إياه نفعاً إلى نفسه، ولا دفع ضرر عنها (وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عِنِّي كَرِيمٌ) يقول: ومن كفر نعمه وإحسانه إليه، وفضله عليه، لنفسه ظلم، وحظها بخس، والله غني عن شكره، لا حاجة به إليه، لا يضره كفر من كفر به من خلقه، كريم، ومن كرمه إفضاله على من يكفر نعمه، ويجعلها وصلة يتوصل بها إلى معاصيه.

القول في تأويل قوله تعالى : قَالَ تَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرُ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (41)

يقول تعالى ذكره: قال سليمان -لما أتى عرش بلقيس صاحبة سبأ، وقدمت هي عليه، لجنده: غيروا لهذه المرأة سريرها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة، قوله: (تَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا) قال: غيروا.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: فلما أتته (قَالَ تَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا) قال: وتنكير العرش، أنه زيد فيه ونقص.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: (تَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا) قال: غيروه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، نحوه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: (تَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا) قال: مجلسها الذي تجلس فيه.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول، أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: (تَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا) أمرهم أن يزيدوا فيه، وينقصوا منه.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله: (تَنْظُرُ أَتَهْتَدِي ) يقول: ننظر أتعقل فثبت عرشها أنه هو الذي لها(أُمَّ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ) يقول: من الذين لا يعقلون فلا تثبت عرشها.

وقيل: إن سليمان إنما نكّر لها عرشها, وأمر بالصرح يعمل لها, من أجل أن الشياطين كانوا أخبروه أنه لا عقل لها, وأن رجلها كحافر حمار, فأراد أن يعرف صحة ما قيل له من ذلك.

وينحو الذي قلنا في تأويل قوله (أَتَهْتَدِي أُمَّ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ) قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: (تَنْظُرُ أَتَهْتَدِي أُمَّ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ) قال: زيد في عرشها ونقص منه؛ لينظر إلى عقلها, فوجدت ثابتة العقل.

حدثنا القاسم, قال: ثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: (تَنْظُرُ أَتَهْتَدِي ) أتعرفه؟.

حدثني محمد بن عمرو, قال: ثنا أبو عاصم, قال: ثنا عيسى, وحدثني الحارث, قال: ثنا الحسن, قال: ثني ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: (تَنْظُرُ أَتَهْتَدِي ) قال: تعرفه.

حدثنا ابن حميد, قال: ثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن بعض أهل العلم, عن وهب بن منبه: (أَتَهْتَدِي أُمَّ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ) أي أتعقل, أم تكون من الذين لا يعقلون؟ ففعل ذلك لينظر أتعرفه, أم لا تعرفه؟

القول في تأويل قوله تعالى : فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرَشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (42)

يقول تعالى ذكره: لما جاءت صاحبة سبأ سليمان, أخرج لها عرشها, فقال لها: (أَهَكَذَا عَرَشُكِ )؟ قالت وشبهته به: (كَأَنَّهُ هُوَ ).

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

< 19-471 >

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد, قال: ثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن بعض أهل العلم, عن وهب بن منبه, قال: لما انتهت إلى سليمان وكلمته أخرج لها عرشها, ثم قال: (أَهَكَذَا عَرَشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ).

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة: (فَلَمَّا جَاءَتْ قَيْلَ أَهْكَدَا عَرَشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ) قال: شبهته، وكانت قد تركته خلفها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: كان أبي يحدثنا هذا الحديث كله، يعني حديث سليمان، وهذه المرأة (فَلَمَّا جَاءَتْ قَيْلَ أَهْكَدَا عَرَشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ) شكت.

وقوله: (وَأُوتِيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل سليمان، وقال سليمان: (وَأُوتِيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا ) أي: هذه المرأة، بالله وبقدرته على ما يشاء، (وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ) لله من قبلها.

وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: (وَأُوتِيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا ) قال: سليمان يقوله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

القول في تأويل قوله تعالى : وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (43)

يقول تعالى ذكره: ومنع هذه المرأة صاحبة سبأ (مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ )، وذلك عبادتها الشمس أن تعبد الله.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

< 19-472 >

\*ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) قال: كفرها بقضاء الله، وعبادة الوثن (1) صدها أن تهتدي للحق.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: (وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) قال: كفرها بقضاء الله، صدها أن تهتدي

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

للحق. ولو قيل: معنى ذلك: وصدّها سليمان ما كانت تعبد من دون الله, بمعنى: منعها وحال بينها وبينه, كان وجها حسنا. ولو قيل أيضا: وصدّها الله ذلك بتوفيقها للإسلام, كان أيضا وجها صحيحا.

وقوله: (إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ) يقول: إن هذه المرأة كانت كافرة من قوم كافرين. وكسرت الألف من قوله "إنها" على الابتداء. ومن تأول قوله: (وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) التاويل الذي تأولنا, كانت "ما" من قوله (مَا كَانَتْ تَعْبُدُ) في موضع رفع بالصدر, لأن المعنى فيه لم يصدّها عن عبادة الله جهلها, وأنها لا تعقل, إنما صدّها عن عبادة الله عبادتها الشمس والقمر, وكان ذلك من دين قومها وآبائها, فاتبعت فيه آثارهم. ومن تأوله على الوجهين الآخرين كانت "ما" في موضع نصب.

القول في تأويل قوله تعالى: قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44)

ذكر أن سليمان لما أقبلت صاحبة سبأ تريده, أمر الشياطين فبنوا له صرحا, وهو كهيئة السطح من قوارير, وأجرى من تحته الماء ليختبر عقلها بذلك, وفهمها على نحو الذي كانت تفعل هي من توجيهها إليه الوصائف والوصفاء ليميز بين الذكور منهم والإناث معاتبه بذلك كذلك.

< 19-473 >

حدثنا ابن حميد, قال: ثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن بعض أهل العلم, عن وهب بن منبه, قال: أمر سليمان بالصرح, وقد عملته له الشياطين من زجاج كأنه الماء بياضا, ثم أرسل الماء تحته, ثم وضع له فيه سريره, فجلس عليه, وعكفت عليه الطير والجنّ والإنس, ثم قال: (ادْخُلِي الصَّرْحَ) ليربها ملكا هو أعز من ملكها, وسلطانا هو أعظم من سلطانها (فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا) لا تشك أنه ماء تخوضه, قيل لها: ادخلي إنه صرح ممرّد من قوارير; فلما وقفت على سليمان دعاها إلى عبادة الله ونعى عليها في عبادتها الشمس دون الله, فقالت بقول الزنادقة, فوقع سليمان ساجدا إعظاما لما قالت, وسجد معه الناس; وسقط في يديها حين رأت سليمان صنع ما صنع; فلما رفع سليمان رأسه قال: ويحك ماذا قلت؟ قال: وأيسيت ما قالت: , فقالت: (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وأسلمت, فحسن إسلامها.

وقيل: إن سليمان إنما أمر ببناء الصرح على ما وصفه الله, لأن الجنّ خافت من سليمان أن يتزوّجها, فأرادوا أن يزهدوه فيها, فقالوا: إن رجلها رجل حمار, وإن أمها كانت من الجنّ, فأراد سليمان أن يعلم حقيقة ما أخبرته الجنّ من ذلك.

\*ذكر من قال ذلك:

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن أبي معشر، عن محمد بن كعب القرظي، قال: قالت الجنّ لسليمان تزهد في بلقيس: إن رجلها رجل حمار، وإن أمها كانت من الجنّ. فأمر سليمان بالصرح، فعمل، فسجن فيه دواب البحر: الحيتان، والضفادع؛ فلما بصرت بالصرح قالت: ما وجد ابن داود عذابا يقتلني به إلا الغرق؟ (حَسِبْتُهُ لُجَّةً وَكَشَفْتُ عَنْ سَاقِيهَا) قال: فإذا أحسن الناس ساقا وقدماء. قال: فضنّ سليمان بساقها عن موسى، قال: فاتخذت النورة بذلك السبب.

وجائز عندي أن يكون سليمان أمر باتخاذ الصرح للأمرين الذي قاله وهب، والذي قاله محمد بن كعب القرظي، ليختبر عقلها، وينظر إلى ساقها وقدمها، ليعرف صحة ما قيل له فيها.

وكان مجاهد يقول -فيما ذكر عنه في معنى الصرح- ما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: < 474-19 > ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: (الصرح) قال: بركة من ماء ضرب عليها سليمان قوارير ألبسها. قال: وكانت بلقيس هلباء شعراء، قدمها كحافر الحمار، وكانت أمها جنية.

حدثني أحمد بن الوليد الرملي، قال: ثنا هشام بن عمار، قال: ثنا الوليد بن مسلم، عن سعيد بن بشير، عن قتادة، عن النضر بن أنس، عن بشير بن نهيك، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كان أحد أبوي صاحبة سبا جنبا ".

قال: ثنا صفوان بن صالح، قال: ثنا الوليد، عن سعيد بن بشير، عن قتادة، عن بشير بن نهيك، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يذكر النضر بن أنس.

وقوله: (فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبْتُهُ لُجَّةً) يقول: فلما رأت المرأة الصرح حسبته لياضه واضطراب دواب الماء تحته لجة بحر كشفت من ساقها؛ لتخوضه إلى سليمان.

ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة: (قيل لها ادخلي الصرح فلما رأتها حسبته لجة) قال: وكان من قوارير، وكان الماء من خلفه فحسبته لجة.

قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قوله: (حَسِبْتُهُ لُجَّةً) قال: بحرا.

## جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا ابن سوار، قال: ثنا روح بن القاسم، عن عطاء بن السائب، عن مجاهد، في قوله: (وَكَشَفْتُ عَنْ سَاقَيْهَا) فإذا هما شعرًا وان، فقال: ألا شيء يذهب هذا؟ قالوا: موسى، قال: لا موسى له أثر، فأمر بالنورة فصنعت.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا حفص، عن عمران بن سليمان، عن عكرمة وأبي صالح قالا لما تزوج سليمان بلقيس قالت له: لم تمسني حديدة قط، قال سليمان للشياطين: انظروا ما يذهب الشعر؟ قالوا: النورة، فكان أول من صنع النورة.

< 19-475 >

وقوله: (إِنَّهُ صَرَخَ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ) يقول جل ثناؤه: قال سليمان لها: إن هذا ليس ببحر، إنه صرح ممرّد من قوارير، يقول: إنما هو بناء مبني مشيد من قوارير.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: (مُمَرَّدٌ) قال: مشيد.

وقوله: (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ) ... الآية، يقول تعالى ذكره: قالت المرأة صاحبة سبأ: رب إنني ظلمت نفسي في عبادتي الشمس، وسجودي لما دونك (وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ) تقول: وانقدت مع سليمان مذعنة لله بالتوحيد، مفردة له بالألوهة والربوبية دون كل من سواه.

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في: (حَسْبَبْتُ لَجَّةً) قال: (إِنَّهُ صَرَخَ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ) فَعَرَفْتُ أَنَّهَا قَدْ غَلَبَتْ (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

الهوامش:

(1) لعل العبارة سقط منها كلمة، وهي "صدها" كما تدل الرواية الآتية بعد.